تأليف مجموعة من الباحثين
بإشراف العماد أول
مُصطفى طلاس

الغزو الإسرائيلي للبنان





دمشق : منطقة المزة (3) ـ حي الجلاء (5) شارع كعب بن مالك
(طلعة الإسكان سابقاً) بناء رقم (2) ـ ص.ب : 16035
هاتف: 6618013 - 6618961 تلفاكس: 6618820 ـ برقياً: طلاسدار
E-mail:info@dartlass.com Website:www.dartlass.com

مكتبة دار طلاس ـ برج دمشق ـ مقابل وزارة الداخلية ـ هاتف: 2319558

ريع الدار لهيئة مدارس
أبناء و بنات الشهداء في الجمهورية العربية السورية

الغزو الاسرائيلي للبنان

الطبعة الأولى - ١٩٨٥
الطبعة الثانية - ٢٠٠٢

الغزو الاسرائيلي للبنان

تأليف

مجموعة من الباحثين

بإشراف

العماد أول

مصطفى طلاس

تم تأليف الكتاب من قبل مجموعة من المؤلفين والباحثين بإشراف العماد أول الدكتور مصطفى طلاس.

لجنة التأليف:

اللواء : محمد سعيد طيان

اللواء : محمد سميح السيد

اللواء : علي ملاحفجي

اللواء : إبراهيم العمر

العميد الركن : مصطفى أنطاكي

المقدم : فيصل علاف

الدكتور : هيثم الكيلاني

الدكتور : غازي حسين

السيد : الهيثم الأيوبي

السيد : عميد خولي

السيد : بسام العسلي

لجنة الصياغة:

اللواء : محمد سميح السيد

اللواء : ياسين مزيك

العميد الركن : مصطفى أنطاكي

الدكتور : هيثم الكيلاني

السيد : الهيثم الأيوبي

توجيــه

الفريق حافظ الأسَد

رئيسُ الجُمهُوريَّة

القائد العام للجيش والقوات المسلحة

إلى أبنائه المقاتلين

اخواني وأبنائي في القوات المسلحة الباسلة

أيها الضباط وصف الضباط والجنود الشجعان

أحببت أن أتصل بكم ، ولم أجد وسيلة أفضل من أن أكتب اليكم هذه الكلمات بخط يدي .

نحن لم نبدأ هذه المعركة ، بل العدو هو الذي بدأها ، وقد يستأنفها في أي وقت لانه يطمع في أرضنا ووطننا .

عندما بدأ العدو المعركة كان ردكم شجاعاً ، واذا استأنف العدو المعركة يجب ان يكون ردكم شجاعاً باسلا يتميز بالصبر العنيد ، والتصميم ، والنفس الطويل الذي لا نهاية له ، والذي يحطم كل أمل للعدو في إحراز النصر .

اذا بدأت المعركة يجب أن تستمر مهما طال الزمن ، ويجب ان يكون قتالكم عنيفاً دؤوبا الى الحد الذي يسجل التاريخ وتتحدث البشرية ان شعبنا مارس أروع الشجاعة وأشدها صلابة ، وان شعبنا في مقدمة شعوب العالم بسالة وتضحية من أجل ارضه وكرامته .

نعم ، يجب ان يسجل التاريخ هذا ، وتقرأه وتتحدث به شعوب الدنيا . فاذا كان العدو الذي جمع شتاته من بلدان العالم المختلفة يقاتل ويضحي من أجل باطله وعدوانه ، من اجل ان يحتل ارضنا ، ويذل شعبنا ،

ويقتل اطفالنا ونساءنا وشيوخنا ، فما أحرانا نحن أن نموت ميتة الشرف دفاعا عن الحق وضد الباطل ، دفاعا عن الحرية وضد العدوان ، دفاعا عن ارضنا وشعبنا ، دفاعا عن اطفالنا ونسائنا وشيوخنا ومستقبل اجيالنا .

الحياة قصيرة ، ايها الابناء ، ولا تستحق ان تعاش اذا لم نكن أعزاء في وطننا .

حياة المرء قصيرة بذاته ، طويلة مستمرة بعمله وحياة شعبه .

حياة المرء قصيرة ، فليقرر كل منا ان لا تنتهي حياته الا نهاية العز والشرف والرجولة . وهل هناك اعز وأشرف وأروع خلودا من نهاية أبية للحياة تتم في ميدان القتال دفاعا عن الشعب والوطن . وتلك هي الشهادة .

الحياة قصيرة ، والسعيد الخالد من أدى خلالها

عملا كبيرا ينعكس خيرا وكرامة على الشعب واجياله المقبلة ، ولا أكبر من الشهادة في مواجهة العدو .

فلنتحدَّ العدو الذي يعمل على إذلالنا واحتلال ارضنا ، اذ ليس هناك ما يبعث الاعتزاز في النفس كوقفة التحدي التي يقفها الانسان في وجه نار العدو دفاعا عن الوطن .

لا مجد في مستوى مجد الشهيد من أجل الوطن . فليطمح كل منا الى نيل الشهادة .

انا الذي قلت في الماضي ، واقول الان ، وفي المستقبل : الشهداء هم أكرم من في الدنيا وأنبل بني البشر .

من يربح المعركة هو الانسان بشجاعته وتصميمه ، وهذه حقيقة تظل ثابتة مهما تطور السلاح .

يجب ألا يخيفنا تفوق طيران العدو ، فهو يستطيع ان يلحق بنا خسائر خلال المعركة بالعتاد والرجال ، ولكنه لا يستطيع أبدا ان يربح المعركة إذا صمم الرجال المقاتلون على القتال والصمود .

الرجال الشجعان الصامدون المصممون هم وحدهم الذين يحسمون المعركة ويربحونها في نهاية الامر . وهم الذين يستحقون حب الوطن واعتزاز المواطنين .

واذا استؤنف القتال ، علينا ان نقاتل دون أن نأبه لتفوق طيران العدو ، مع العلم ان طيارينا الابطال قاموا وسوف يقومون بواجبهم في مواجهة العدو .

يجب ان يقتنع العدو ان الزمن الذي كان يخيفنا فيه بهدير طائراته وقنابلها قد ولّى ، ويجب ان نثبت له وللعالم ان من يكسب المعركة هو الانسان الشجاع الذي

يرفض الذل ، ويحتقر الجبن والتخاذل ، والذي يعتبر ان حياته المثلى هي في استشهاده دفاعا عن كرامة الوطن والمواطنين .

يجب ان نثبت للعدو أن طيرانه لن يكسب المعركة لان طيران امريكا لم يستطع ان يهزم شعب فيتنام ، بل لم يستطع ان يحمي امريكا من الهزيمة .

أنتم الان على ابواب ملحمة كبرى ، فاجعلوها ملحمة المجد .

أنتم الان على ابواب ان تكتبوا فصلا خطيرا من فصول التاريخ فاكتبوه بالنور ، ليستضيء به شعبنا بأجياله المتعاقبة ، وليستضيء به كل شعب يتعرض للعدوان . وما النور إلا قطرات دم الشجاع ، دم البطل ، دم الشهيد .

أيها الابناء ..

قسما بالاجداد ، قسما بالابناء والاحفاد ، قسما بالشعب ، قسما بكم ايها المقاتلون ، قسما بالله ، لن أدع الفرصة تهرب مني عندما أجد ممكنا ان اكون معكم في الميدان ، وأسير معكم على الطريق الذي أوصيتكم ان تسيروا عليه ، واذا حدث ذلك فنعمة الفضل كل الفضل فيها لهذا الوطن ، لهذا الشعب .

فكل الاماني تصغر وتصغر أمام أمنية الشهادة ، وكل الفضائل تصغر وتصغر أمام فضيلة الشهيد .

فإلى النصر ايها الابناء العسكريون ، ضباطاً وصف ضباط وجنودا .

لنقاتل العدو وفي ذاكرتنا قول راسخ لا ننساه : إنه لا تستطيع قوة في الدنيا أن تهزم شعبا صمم أبناؤه

على القتال حتى النصر . ونحن المقاتلين السوريين صممنا على القتال حتى النصر .

تحيتي لكم ، حبي لكم ، أيها الابناء العسكريون .

دمشق في ٢١ حزيران ١٩٨٢

حافظ الاسد

رئيس الجمهورية

القائد العام للجيش والقوات المسلحة

المقـدمة

قبل القاء الاضواء على الغزو الاسرائيلي للبنان ، لابد من القول ان هدف الغزو الاسرائيلي هو اخضاع لبنان لمشيئة الاطماع الامريكية والمخططات الاسرائيلية تمهيداً لدفعه الى الارتماء في الخندق المعادي للامة العربية ، والانفراد بسورية وبقوى الثورة الفلسطينية ، وابقاء العرب في زمن الوهن والضعف والتمزق . كل ذلك بتوجيه الامبريالية الامريكية والصهيونية وتنسيقهما وتخطيطهما .

بدأ التآمر المكشوف على لبنان عندما وقع أنور السادات اتفاق الكيلو /١٠١/ مع العدو الصهيوني ، وتلاحقت الاحداث على الساحة اللبنانية بشكل سريع من خلال تطورات الاحداث السياسية واستغلال الاوضاع الحساسة في لبنان . وبدأ مسلسل

الاغتيالات على الهوية والمجازر الدموية التي نفذها الكتائبيون في عين الرمانة ومنطقة الدكوانة ، ضد اخواننا الفلسطينيين .

ونشطت سورية لايقاف نزيف الدم العربي في لبنان ، وكان للمبادرات السورية دور هام واساسي في اطفاء نار الفتنة ولكن المؤامرة عادت للظهور ، ونشب الاقتتال وتصاعد ليغطي اتفاق سيناء /١٩٧٥/ الذي وقعه السادات ، وبشّر بعده بأن الدم سيسيل حتى الركب في لبنان ...

في هذه الفترة كان التناغم الساداتي ــ الكتائبي واضحاً لمتابعة تنفيذ المؤامرة على لبنان . وبدأت عمليات الاغتيال والخطف وتمحورت الاحداث في بيروت ، وانفجرت حرب الكرنتينا وتلتها حرب الدامور ، وظهرت بوادر الانقسام الطائفي في الجيش اللبناني ، وفي /٨/ آذار /١٩٧٦/ كانت مجزرة بيروت . المعروفة باسم السبت الاسود .

في ٢٠ تموز ١٩٧٦ القى الرئيس حافظ الاسد خطاباً قومياً شرح فيه الموقف على الساحة اللبنانية ، ووضع القوات السورية بتصرف السلطة الشرعية اللبنانية . وتألفت قوات الردع

العربية بأمرة الرئيس الياس سركيس استناداً الى قرار مؤتمر القمة السادس في الرياض ، ودخلت القوات السورية لبنان دفاعاً عنه وحفاظاً على استقلاله ، وحقناً للدماء ومنعاً للتقسيم ، واعتبر القطر العربي السوري الوثيقة الدستورية التي وقعها الرئيس سليمان فرنجية نصراً وطنياً كبيراً .

وعندما استتب الامن وعاد الهدوء الى لبنان ، خرجت اسرائيل من صمتها بعد استمرارها طيلة الحرب الاهلية واعلنت انها لن تسمح للقوات السورية العاملة ضمن قوات الردع العربية ، بتجاوز الخط الاحمر وكشفت نياتها وفضحت اهدافها .

وبعد رحلة العار التي قام بها السادات الى القدس العربية المحتلة ، انفجر الموقف في العاصمة اللبنانية ، وانطلقت الشرارة من ثكنة الفياضية ، ونصب الكتائبيون الكمائن لقتل عناصر قوات الردع العربية .

وكانت دمشق موطن الامل والرجاء في تحقيق الامن وحقن الدماء ، ولكن هذا الموقف لم يكن مناسباً لاسرائيل واتباعها في المنطقة ، فقامت باجتياح عسكري للجنوب اللبناني في ١٥ آذار ١٩٧٨ .

واعلن السادات عن مجازر ستشمل لبنان بكامله ، وابتدأت هذه المجازر بالفعل في اهدن والبقاع وبعلبك وقضى لبنان صيفاً حارا تخللته اشتباكات دموية وهجمات متكررة على القوات السورية العاملة في لبنان ، وتصدى الطيران العربي السوري بكل بسالة للطيران الاسرائيلي في سماء لبنان ومنعه من تحقيق اهدافه العدوانية .

وتلاحقت الاحداث بسرعة على الساحة اللبنانية ، ونشطت القوات الكتائبية في اعمال الاغتيال والتصفية الجسدية ، كان ضحيتها العديد من شباب لبنان الوطني منهم كمال جنبلاط ، وطوني فرنجية نجل سيادة الرئيس سليمان فرنجية والمناضل الفلسطيني زهير محسن . وتأزم الموقف في مدينة زحلة ووقعت خسائر كبيرة في صفوف المدنيين اللبنانيين والفلسطينيين .

ومرة اخرى تدخلت القوات السورية لوقف المعارك وايقاف التهجير .

هكذا تابع القطر السوري مهمته القومية على الساحة

اللبنانية من اجل المحافظة على الكيان اللبناني الموحد ارضاً وشعباً ، والمحافظة على وحدة المقاومة الفلسطينية وأمنها وسلامتها . فعززت القوات السورية مواقعها الامنية ودفعت بوحدات من الصواريخ المضادة للطائرات الى منطقة البقاع ، لحماية القوات السورية هناك ولدفع العدوان الجوي الاسرائيلي عن لبنان .

وانطلاقاً من هذا الموقف التاريخي لقطرنا الصامد ، تابعت قواتنا المسلحة مهامها الامنية على الساحة اللبنانية بشرف واخلاص ، واستمرت في تأدية واجبها القومي على أكمل وجه .

ولكن الفئات اللبنانية المتآمرة على لبنان ، تابعت نشاطها الهدام وراحت تستمد القوة من امريكا تارة ، ومن اسرائيل تارة اخرى .. ورافق هذا التآمر تحركات امريكية مشبوهة حتى توافرت الظروف الملائمة لشن عدوان اسرائيلي غادر واسع النطاق ، هدفه تقويض ما حاولت سورية بناءه خلال فترة وجودها في لبنان وضرب البنية العسكرية الفلسطينية واخراج القوات السورية من لبنان .

واستفاق العالم صباح يوم ١٩٨٢/٦/٤ ليستمع الى اخبار مؤكدة مفادها ان الطائرات الحربية الاسرائيلية بدأت تقصف مواقع ومناطق مختلفة من لبنان قصفاً كثيفاً ، زاعمة ان هذه الاعمال العدوانية هي ردود فعل انتقامية لحادثة اغتيال سفير اسرائيل شلومو آرغوف في لندن .

ولكن سرعان ما اتضحت الحقائق .. فقد اجتاحت القوات الاسرائيلية الجنوب اللبناني تحت ستار كثيف من نيران البر والجو والبحر وتجاوزت حدود الـ ٤٠ كم التي اعلنت عنها وتجاوزت القوات الاسرائيلية صيدا ، ثم زجت بقوات جديدة فاقت كل التقديرات الاولية مع دعم جوي واسع النطاق اشتركت فيه احدث الطائرات الحربية المقاتلة الامريكية الصنع من طراز /إف ١٥ و إف ١٦/ وقامت بعدد من الانزالات الجوية والبحرية وفي نهاية الاسبوع الاول من عملية « سلامة الجليل » كانت القوات الاسرائيلية قد توغلت اكثر من ٦٠ كم في عمق الاراضي اللبنانية .

ومنذ اليوم الاول للغزو تصدت القوات السورية في البر

والجو للقوات الاسرائيلية الغازية . وجسّدت سورية هذا الموقف عملياً حين هبت الى نجدة لبنان ودفعت بقواتها الى ساحة المعركة برغم معرفتها حجم القوات الاسرائيلية الغازية ، وتحمّلت في سبيل ذلك الاعباء والتضحيات الكبيرة انطلاقاً من واجبها القومي وادراكها العميق لمعاني الاواصر الاخوية التي تربط بين سورية و لبنان . وعلى الرغم من تصدي القوات السورية والفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية البطولي تابعت القوات الاسرائيلية تقدمها وفرضت الحصار على بيروت العاصمة .

ومما لاشك فيه ان حصار بيروت الغربية وقصفها من البر والجو والبحر مع تجويع السكان وحرمانهم من متطلبات الحياة اليومية والضغوط النفسية كان جزءاً من استراتيجية اسرائيلية استهدفت اخراج القوات السورية والفلسطينية من المدينة . ومن الثابت ان الحصار وعمليات القصف المستمرة لم تؤثر في صمود المقاتلين ، فخلال الحصار كانت السيارات توزع الماء والخبز والمحروقات والاغذية في شوارع بيروت وتحث الناس على الصمود والتصدي .

وبعد حصار طويل ، خرجت القوات السورية والفلسطينية من بيروت لتأخذ مواقعها القتالية الجديدة في البقاع . ولم يكن خروج هذه القوات في اخر الامر الا بسبب تلك الخسائر البشرية والمادية التي نزلت بالسكان المدنيين ولان دمار بيروت فوق رؤوس اهلها لم يكن احتمالا بل كان حقيقة واقعة .

وبرغم خروج القوات من بيروت تابعت اسرائيل قصفها للمدينة بكل ما استطاعت اليه سبيلا ، من اسلحة الدمار ، تلقيها على ساحات المدينة وشوارعها . وبرغم كل ذلك ايضاً اخفقت القوات الاسرائيلية في اخراج المدنيين اللبنانيين من بيوتهم ، كما اخفقت ايضاً في هزيمة المدينة البطلة المحاصرة .

وتتابعت الاحداث السياسية وتلاحقت مع الاعمال القتالية التي نشبت في مناطق الجبل بين القوات السورية والاسرائيلية ، وجرى اغتيال بشير الجميّل بتفجير عبوات ناسفة في مقر قيادة حزب الكتائب في ١٤/ ايلول/ ١٩٨٢ ، وعلى الفور قالت وكالات الانباء عدا راديو الكتائب ان الانفجار عمل قامت به اسرائيل .

وتحرك الجيش الاسرائيلي الذي استقدم قوات جديدة الى بيروت الغربية واندفعت القوات الاسرائيلية الى قلب المدينة من الشرق والجنوب وخلال ٢٤ ساعة ، سقطت عاصمة لبنان في ايدي الغزاة الاسرائيليين ، وتمكن الجيش الاسرائيلي من تحقيق ما لم يجرؤ على محاولته اثناء وجود القوات السورية وقوات الثورة الفلسطينية في المدينة ، وحدثت مذبحة صبرا وشاتيلا ، وذهب ضحيتها مئات من القتلى من النساء والشيوخ والاطفال والمذبحة كانت من تخطيط اسرائيل وتنفيذ الكتائب المدربين تدريباً جيداً في اسرائيل :

ويمكننا القول ان ابجدية التوجيه الصهيوني خلال الغزو اعتمدت نظرية الكذب ثم الكذب بهدف تضليل الرأي العام الداخلي والخارجي ، وشن الحرب النفسية ، واذا استطاعت الحرب الاعلامية الديماغوجية ان تحقق بعض اهدافها ضد الحضور السوري في مواجهة الغزو في بداية الاعمال القتالية ، فقد استطاعت القوات السورية الباسلة التصدي ببطولة للقوات الاسرائيلية الغازية منزلة بها الخسائر الكبيرة ، وحاصرت الاعلام الاسرائيلي واضعفت تأثيره ، برغم اتكائه في اكثر مراحل القتال ،

على اجهزة الدعاية العربية الرجعية في المنطقة وعلى الوسائط الاعلامية الكتائبية والاردنية والامريكية ، فقد استغلت اسرائيل تخاذل الحكومات العربية وصمتها لصالحها .

مما لاشك فيه ان تشديد الرقابة العسكرية على الصحف الاسرائيلية والبعثات الاعلامية الاسرائيلية والاجنبية واخضاعها كلياً لدائرة الرقابة العسكرية . جعل الاعلام الاسرائيلي في ارتباك مشتت .

وخلال فترة الغزو رفضت الولايات المتحدة الامريكية ممارسة أية ضغوط على حكومة بيغن كي تتوقف عن الغزو ، بل عكفت الادارة الامريكية على تغطية موقفها السلبي بعدد من التصريحات عن حلول الفرصة المؤاتية لاعادة رسم الخريطة السياسية في المنطقة ، وعن خلق ظروف اقامة سلام دائم في المنطقة ، يخدم مخططات الامبريالية الامريكية ويجعل العرب اجراء تابعين للهيمنة الصهيونية .

ومن خلال استعراض هذه التصريحات نؤكد ان الادارة الامريكية كانت على علم مسبق بالعدوان ، وقد شاركت في

التخطيط له كشريك كامل ، لاستثمار نتائجه العسكرية ، لا لانه فرصة متاحة امام الدبلوماسية الامريكية فحسب ، بل من خطوط استراتيجيتها العريضة في المنطقة ، ووسط الاحداث المتلاحقة راحت واشنطن تدفع بالعرب لتقديم تنازلات تقرب مواقعهم الى المواقع التي رسمتها الاستراتيجية الامريكية ، واعلنت اكثر من مرة انه لن يحدث اي شيء ما لم تتضح اكثر فأكثر رغبة العرب في السلام مع اسرائيل .

فواشنطن كانت ترمي الى منح اسرائيل الغطاء الدولي المتعدد الجنسيات لتبرير احتلال يراد له ان يبقى في لبنان أطول أمد ممكن ، ودخول امريكا في لعبة المفاوضات الدائرة في المنطقة تحت اسم السلام هو تكتيك يدخل في صلب استراتيجية الولايات المتحدة في الشرق الاوسط ، هدفه زج لبنان في معركة الحد الاقصى من التنازلات دون الانتباه الى ان هذه التنازلات تفتقر الى الاجماع اللبناني ، بقدر افتقارها الى اولوية المصلحة اللبنانية والمصالح العربية .

لقد ثبت بالفعل ان الشراكة الامريكية الاسرائيلية لم ينتج

عنها سوى استمرار احتلال لبنان ، وسوى الضغط على لبنان من خلال مشاريع مصدرة وتحركات دبلوماسية مكوكية لحل النزاع ، فكل ما حدث لم يكن سوى دور من أدوار المناورات التي تقوم بها واشنطن لترويض العرب على هضم الغزو والقبول به كأمر واقع .

وفي اطار متابعة تصعيد اسرائيل في عدوانها على لبنان من جهة، ثم تغطية اخفاق العدو الصهيوني في وضع حد للعمليات الفدائية اللبنانية خلف الخطوط من جهة اخرى ، برزت حقائق عديدة اهمها ان العجز الصهيوني وصل الى مرحلة الخوف من دفع فاتورة حساب ثمن الغزو ، ومن معاناة القوات الاسرائيلية في لبنان .

لذلك كان لابد من الاسراع في الامور للوصول الى اتفاق مع لبنان يحقق المكاسب السياسية المطلوبة ، وتحقق ذلك عندما وافق المجلس النيابي اللبناني في ١٩٨٣/٦/١٥ على اتفاقية الاذعان ، وفي ضوء التقويم الموضوعي والشامل الذي فنّد به السيد الرئيس حافظ الاسد بنود هذا الاتفاق ومخاطره الجسيمة

على لبنان وسورية والامة العربية ، فاننا نستطيع القول ان هذا الاتفاق يرمي الى جعل لبنان امتداداً جغرافياً لاسرائيل وتحويله الى بلد حليف للكيان الصهيوني وجاء مكافأة من الامبريالية الامريكية للمعتدي .

ومن المستغرب ان نجد ان اطرافاً عربية واخرى لبنانية مشبوهة تحاول ان تزوّر الوقائع وتعطي التصورات المزيفة أن هذه الاتفاقية جاءت ملبية لمتطلبات السيادة اللبنانية والامن اللبناني .

واليوم وبعد مرور عام كامل على العدوان ، يبدو ان الغزو الاسرائيلي للبنان اصبح عبئاً ثقيلا على اسرائيل ، ومأزقاً معقداً يصعب الخروج منه ، لقد زال بسرعة بريق الانتصار وصدأت الاوهام الاسرائيلية والاحكام الامريكية ، وأكدت الحقائق أن أهداف الغزو المعلنة قد باءت بالفشل . واكتشفت واشنطن ان ثمن الغزو اصبح باهظاً ، وان رمال لبنان المتحركة تبتلع كل يوم نزيفاً اسرائيلياً جديداً من خلال المقاومة اللبنانية وتكثيف اعمالها العسكرية خلف الخطوط التي وضعت القوات الاسرائيلية في لبنان في مواجهة حرب استنزاف يومية أرهقت الآلة العسكرية الاسرائيلية ووضعتها في حالة تأهب مستمر .

وسورية الثورة ، بقيادة الرئيس حافظ الاسد التي طالما أكدت موقفها من خلال نقطتين اساسيتين هما :

— سيادة لبنان واستقلاله ووحدته الوطنية ، يجب أن تبقى فوق أي اعتبار .
— يجب أن يخرج الغزاة الصهاينة من لبنان وفقاً لقرارات مجلس الأمن دون قيد أو شرط .

وعلى هذا الاساس رفضت سورية الاتفاق جملة وتفصيلا واعلنت موقفها منه بصراحة واكدت انه خيانة كبيرة للبنان وللامة العربية .

وسورية الثورة التي ارادت تقوية الموقف اللبناني حتى لا يتسول بقايا شرعيته على ارضه ووطنه ، حريصة كل الحرص على الاستمرار بمهامها القومية ، وبكل ثقة نؤكد ان العدوان سيفشل ولن تستطيع اسرائيل ان تحقق اهدافها مهما تكن التضحيات والاعباء والنتائج .

ولا بد من الاشارة الى ان الحافز الاساسي لتأليف هذا الكتاب ، هو دفع الظلم والتجني عن الجيش السوري البطل

الذي خاولت اجهزة الاعلام المعادية « وخاصة الأسرائيلية والاردنية والكتائبية والمصرية » التقليل من دوره .

لقد واجه بشجاعة الثقل الاساسي للغزو الصهيوني للبنان ، وعلى الرغم من ان انتشار القوات السورية قبل الغزو كان لاغراض أمنية ، لا دفاعية ، فقد انزلت قواتنا المسلحة بالعدو خسائر كبيرة ومنعته من احتلال الجزء الاكبر من البقاع ثم من السيطرة على طريق دمشق ـــ بيروت .

ولقد عهدت الى مجموعة من رفاق السلاح والعقيدة لتأليف فصل او أكثر من هذا الكتاب ثم اعيدت الفصول إلي وقمت باجراء التصحيحات المناسبة ودفعتها الى لجنة الصياغة التي وضعتها بشكلها النهائي ، فالى كل من شاركني في تأليف هذا الكتاب الشكر الجزيل .

واليوم وبعد مرور عام كامل على الغزو لم تتبلور بعد ولم تتضح كل الوضوح الملامح الكاملة لميزان القوى الاستراتيجي العربي ـــ الاسرائيلي الذي افرزته الحرب ، كما ان النتائج النهائية للقتال وانعكاساته العسكرية والسياسية ماتزال الى حد كبير

مرهونة بالتطورات الجارية في المنطقة ومنها خروج مصر من ساحة الصراع العربي الصهيوني ، واستمرار الحرب العراقية ــ الايرانية واتفاق الاذعان واحتمالات نشوب الاعمال القتالية مرة اخرى ، بين القوات السورية والقوات الاسرائيلية . ولكن على الرغم من ذلك اصبح ممكناً تحديد بعض اهم نتائج الغزو بناء على ما توافر من معلومات موثوقة واحداث نعيشها في واقع الازمة . كما بات من الممكن القاء نظرة موضوعية على بعض المتغيرات والتحولات التي طرأت على المنطقة وعلى توقعات العمل العسكري من خلال التحركات العسكرية الاسرائيلية في البقاع وفي ضوء المخططات الامريكية المبيتة .

فنحن العرب ، في مأزق حقيقي ، امام التحدي المصيري الذي تواجهه المنطقة العربية ، وهو بالواقع تحد مرفوع في وجه الامة العربية ، يستثير همتها ويحفز إمكاناتها ، وعلى مرارة ما حدث وما سيحدث ، سيبقى وجودنا مرهوناً بقوتنا وحتى لا يخضع تقويمنا لأي مؤثر بحكم اعتزازنا بالطرف الذي ننتمي اليه لابد من تحديد اقصى ما هو مطلوب منا ومهما قيل عن التمزق في الجبهة العربية والاهتراء المخيف لطاقاتها الكبيرة في صراعات ونزاعات

هامشية وثانوية فان الاجتياح الاسرائيلي للبنان يكفي بالتأكيد لوقفة نهائية في مواجهة هذا العدوان ، وتستطيع الدول العربية ان تسترجع الصور الحية للحالة التي كانت عليها بعد نكسة حزيران ١٩٦٧ سياسياً وعسكرياً . فهذه الدول هي نفسها التي شهدت عبور القوات السورية والمصرية للموانع التي كانت الدعاية الاسرائيلية تزعم ان اختراقها من المحال ، وذلك يوم خاضت قواتنا معارك البطولة والفخار في تشرين التحرير /١٩٧٣/ ، فهل يجد المسؤولون العرب بعد ذلك في العودة الى التضامن العربي الجاد دعوة لكسر طوق الانتظار والتحرك العملي لايقاف المؤامرة الجديدة التي ازدادت عنفاً صباح ١٩٨٢/٦/٤ . .

ان سورية الثورة ، تقاوم اليوم المؤامرة بثبات واصرار ، تؤيدها الجماهير العربية المناضلة وتساندها حركات التقدم والتحرر في العالم ، وستظل قواتنا المسلحة الباسلة على أهبة الاستعداد لصد أي عدوان غادر ولسحق أي مؤامرة تحاك على أمن قطرنا وامتنا العربية وسننتصر لاننا على حق ، ولا يسعني في هذه المناسبة الا ان اتذكر الشهداء العرب الابطال الذين قدموا ارواحهم رخيصة في سبيل عزة الوطن وكرامته ، وأتذكر ايضاً

مقاتلينا الأبطال الرابضين فوق ذرا جبال لبنان صامدين ينتظرون الاوامر للسير على درب الشهادة او النصر .

فتحية لقواتنا المسلحة الباسلة بوقفتها الصامدة وتحية الى جماهير شعبنا التي تمد قواتنا باسباب الصمود والقوة ، وتحية للمقاومة اللبنانية الباسلة ولقوات الثورة الفلسطينية التي تقض مضاجع العدو .

وتحية للمناضل الكبير حافظ الاسد قائد مسيرتنا الظافرة نحو النصر والتحرير ... وعهداً أمام الله والتاريخ ان نقاتل الغزاة الصهاينة مدى الدهر حتى يعودوا الى صوابهم ويرحلوا عن أرضنا الطيبة ﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾ .

الشآم ـــ ٢٧ / حزيران / ١٩٨٣

العماد أول الدكتور

مصطفى طلاس

الفصل الأول

خلفيات الصراع

١ ــ الاطماع الصهيونية في لبنان
٢ ــ المساعي الاسرائيلية لتحقيق الاطماع في لبنان
٣ ــ دور سورية القومي لتهدئة الصراع .

« إن الاجتياح الاسرائيلي للبنان فرصة نادرة لتحقيق أهداف استراتيجية مشتركة لاميركا واسرائيل » .

(الجنرال الكسندر هيغ)

يدخل الغزو الاسرائيلي للبنان في صيف ١٩٨٢ في اطار الاعمال العسكرية التي تخدم الاستراتيجية العليا في المنطقة العربية ، والتي تعهدت الدولة الصهيونية القيام بها ، مقابل حصولها على دعم الولايات المتحدة في مختلف المجالات الاقتصادية والسياسية والعسكرية . الا انه يدخل في الوقت ذاته في اطار الاعمال العسكرية الرامية الى خدمة الاستراتيجية الصهيونية وتحقيق اغراضها الآنية والمستقبلية وفي مقدمتها : التوسع على حساب الارض العربية ، وقهر الانسان العربي حيثما كان وتجريده من روح المقاومة وضرب قوى التحرر المعادية لكل مظاهر الاستغلال والتخلف وصولاً الى السيطرة المطلقة على المنطقة العربية ، والمشاركة في نهب ثرواتها المادية وتصفيتها حضاريا وبناء (اسرائيل الكبرى) المتناقضة جذريا وصداميا مع اهداف الامة العربية وطموحاتها المشروعة وتطلعاتها نحو مستقبل افضل .

ومن هذا التطابق في اغراض الاستراتيجيتين الاميركية والصهيونية تولدت فكرة العدوان على لبنان ونفذت القوات الاسرائيلية الاجتياح الذي

اعتبره وزير الدفاع الاميركي الكسندر هيغ « فرصة نادرة لتحقيق اهداف استراتيجية مشتركة لاميركا واسرائيل » .

١ ــ الاطماع الصهيونية في لبنان

تميزت الاستراتيجية الصهيونية ككل استراتيجية عدوانية ، بطرح اهداف دفاعية ، والعمل على تحقيق اهداف هجومية الطابع ، وشن الحرب تحت غطاء الدعوة الى السلام . وتبدو هذه السمة بوضوح في الاسلوب الذي اتبعته (اسرائيل) قبل غزو الاراضي اللبنانية ، وإبان الغزو وفي المراحل التي تلته .

فقد ادعت الاوساط الصهيونية انها راغبة في الدفاع عن أمن مستعمرات الجليل ، وحماية السكان المدنيين من القذائف المنطلقة عبر حدود لبنان الجنوبية في حين كانت تعد لعملية عسكرية هجومية ، تستهدف السيطرة على جنوبي لبنان ، الذي تعتبره الاستراتيجية الصهيونية جزءا من المجال الحيوي للدولة العبرية ومنطقة هامة يشكل التوسع فيها احد مرتكزات بناء تلك الدولة .

وليست الاطماع الصهيونية وليدة ايامنا هذه او وليدة الظروف والنتائج التي آلت اليها الاوضاع اللبنانية اثر الحرب الاهلية التي اندلعت في نيسان (ابريل) ١٩٧٥ ولم تنته ذيولها بعد . كما انها لم تتبلور من جراء التمزق الذي خلفته اتفاقيات كامب ديفيد على الساحة العربية ، وساهمت المخططات الاميركية والصهيونية في تفجيره واستمراره . ولكنها تعود الى

بدايات نشوء الحركة الصهيونية ، التي وضعت لبنان في مقدمة اهتماماتها الاستراتيجية وخططت لتحقيق اطماعها فيه عندما تتاح لها الفرصة لذلك ، ثم جاءت الاوضاع العربية واللبنانية لتمنحها تلك الفرصة . ولعل من المفيد استعراض بذور هذه الاطماع وتسلسلها تاريخيا من خلال تقسيمها الى مرحلتين : مرحلة ما قبل قيام الكيان الصهيوني . ومرحلة ما بعد قيامه .

آ ـــ مرحلة ما قبل قيام الكيان الصهيوني :

عكفت الحركة الصهيونية منذ نشوئها على تحقيق أحلام هرتزل التي تحدث عنها في كتابه « الارض الجديدة ـــ الارض القديمة » والتي تطالب بضم المناطق الغنية بالمياه الى رقعة الارض التي تطمع بالاستيلاء عليها لانشاء الوطن اليهودي « وتأمين المجال الحيوي للنشاطات الاستعمارية » .

ويلخص فرش فاسر رعنان المخططات التوسعية الصهيونية على صعيد الموارد المائية المتوافرة في المناطق المتاخمة لفلسطين. فيقول : « لما كانت المنظمة الصهيونية تهدف الى جمع اكبر عدد من الناس في ارض محدودة المساحة ، فقد اصبح من الواجب وضع مخططات للري واسعة النطاق . ولما كانت الموارد المائية محدودة في فلسطين ، فقد جرى توسيع تلك المخططات لتشمل الاراضي الواقعة الى الشمال والشمال الشرقي من فلسطين ، كي تصل الى منابع الاردن ونهر الليطاني وثلوج حرمون واليرموك . وفضلا عن ذلك فان افتقار البلاد الى الفحم والبترول اوجب

الاعتماد في المشاريع التصنيعية على انتاج الطاقة الكهربائية التي يمكن تأمينها من الليطاني واليرموك »[1] .

ويكتب الصهيوني الاميركي هوراس مايركالين ما نصه : « ان اقتصاد اسرائيل ، وعدد الناس الذين يمكن اعالتهم ، ومكانة البلاد الثقافية وتنظيمها الاجتماعي ، يجب ان تعتمد الى حد بعيد على درجات التصنيع التي يمكن تحقيقها . والتصنيع يعتمد على الطاقة . وفي اسرائيل وخلال المرحلة الحاضرة من السيطرة التقنية على الطاقة ، لا يمكن الا ان تنحصر هذه الطاقة بالطاقة المائية . والطاقة المائية هي مسألة حدود ، والحدود الشمالية بنوع خاص . ان مستقبل اسرائيل بأكمله هو في أيدي الدولة التي تبسط سيطرتها على الليطاني واليرموك ومنابع الاردن »[2] .

استنادا الى هذه المنطلقات الفكرية وما يماثلها ، بدأت الحركة الصهيونية خطواتها العملية الرامية الى تنفيذ « احلامها النظرية » .

ففي الثالث من شباط (فبراير) ١٩١٩ ، تقدمت المنظمة الصهيونية العالمية بمذكرة الى المجلس الاعلى لـ « مؤتمر السلام » في باريس ، اوضحت فيها معالم الحدود التي تريدها لفلسطين اي للاراضي التي يراد تحويلها الى دولة صهيونية . وقد طالبت هذه المذكرة الدول المجتمعة في « مؤتمر السلام » ، بان تقدم اعترافا بما اسمته « الحق التاريخي

1- R. F. Frisch Wasser Raanan, The Frontiers Of a Nationm P. 87.

2- Horace Mayer Kallen, Zionism And World Politices, London 1921, p. 288-289.

للشعب اليهودي في فلسطين ، وحق اليهود في ان يعيدو انشاء وطن قومي لهم فيها »[1] .

وترسم هذه المذكرة التي نوردها بنصها .نظرا لاهميتها التاريخية ، الحدود المطلوبة لفلسطين على الشكل التالي :

يجب ان تتبع حدود فلسطين الخطوط العامة المبينة في ما يلي :

« في الشمال تبتدىء الحدود بنقطة تقع على ساحل البحر الابيض المتوسط بجوار صيدا ، وتتبع مجاري مياه الجبال اللبنانية حتى جسر القرعون ، ومنها الى البيرة ، متبعة الخط الفاصل بين حوضي وادي القرن ووادي التيم ، ثم تسير في اتجاه جنوبي متبعة الخط الفاصل بين السفوح الشرقية والسفوح الغربية لجبل الشيخ حتى تصل الى جوار بيت جن ، ثم تتجه شرقاً متبعة الضفة الشمالية لنهر مغنية حتى تحاذي الخط الحديدي الحجازي غربا .

« وفي الشرق خط محاذ للخط الحديدي الحجازي ، والى الغرب منه ينتهي في خليج العقبة . وفي الجنوب خط يتم الاتفاق عليه مع الحكومة المصرية وفي الغرب البحر الابيض المتوسط .

« ويجب ان تسري اية تفاصيل للحدود او اية تعديلات تفصيلية عليها ، بواسطة لجنة خاصة يكون لليهود تمثيل فيها .

---

(1) The Zionist Organisation Memoradndum To The Supreme Council At The Peace Conference, 3 Feb . 1919, J.C.Hurawitg. Diplomacy In The Near And Middle East A Decumantary Record New York, 1950, Vol. 2.

« ان الحدود المبينة فيما تقدم هي ما نعتبره جوهريا للأسس الاقتصادية اللازمة للبلد . يجب ان يكون لفلسطين مخارجها الطبيعية على البحار ، وسيطرتها على انهارها ومنابع مياهها . وقد رسمت الحدود على اساس مراعاة الحاجات الاقتصادية العامة والتقاليد التاريخية للبلد . وهي عوامل لابد من ان تراعيها اللجنة الخاصة عندما تضع الحدود . وعلى هذه اللجنة ان تراعي انه من الملائم جدا لمصلحة الادارة الاقتصادية ان تكون مساحة فلسطين على اكبر اتساع ممكن ، لتستطيع مع الوقت ان تحتوي اعدادا كثيرة من السكان الميسورين يستطيعون ان يتحملوا اعباء الحكومة العصرية الحديثة بأسهل مما تتحملها بلاد صغيرة محدودة السكان بالضرورة .

« ان الحياة الاقتصادية لفلسطين ، شأنها في ذلك شأن اي بلد شبه جاف ، تعتمد على الموفور من موارد المياه . ولذلك فإن من الامور الحيوية الا يكتفى بتأمين جميع موارد المياه التي تتغذى بها البلد حاليا ، بل ان يمكن ايضا خزنها والسيطرة عليها في منابعها .

« وجبل الشيخ هو (ابو المياه) الحقيقي بالنسبة لفلسطين ولايمكن فصله عنها من دون إنزال ضربة جذرية بحياتها .. فيجب إذن ان يبقى تحت سيطرة أولئك الذين هم أكثر رغبة فيه وأقدر على إعادته الى نفعه الاقصى . ويجب وضع ترتيبات دولية لحماية حقوق المياه للسكان الذين يعيشون الى الجنوب من نهر الليطاني . واذا ما لقيت هذه المنابع عناية كافية فمن الممكن استخدامها لتنمية لبنان ولتنمية فلسطين ايضا » .

هذه هي اذن الحدود التي رسمتها الصهيونية العالمية « لدولتها » .

وهي تحدد صراحة الحدود الشمالية في خط يصل ما بين نقطة تقع جنوب صيدا وسفوح جبل الشيخ عند بيت جن . ولم يكن من قبيل المصادفة ان يشمل الاحتلال الاسرائيلي للجنوب اللبناني في آذار (مارس) ١٩٧٨ ، معظم هذه المناطق الواردة في مذكرة المنظمة الصهيونية العالمية ، التي تقدم بوضوح صورة جلية عن الاطماع الصهيونية في الارض اللبنانية منذ العام ١٩١٩ . وهي اطماع يمكن تحديدها جغرافيا في شقين :

(١) الارض : احتلال الاراضي اللبنانية الواقعة جنوبي خط :

صيدا ــ القرعون ــ البيرة ــ بيت جن واغتصابها .

(٢) المياه : الاستيلاء على أكبر نسبة ممكنة من مياه الليطاني .

ولم تقف جهود الحركة الصهيونية عند حدود تقديم هذه المذكرة . فقد نشطت هذه الحركة ، خاصة في بريطانيا والولايات المتحدة ، من أجل تعديل الحدود التي رسمتها اتفاقية سايكس ــ بيكو ، لتشمل المناطق المطلوبة من جنوب لبنان .

ففي تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ ، رسمت اللجنة الاستشارية الصهيونية لفلسطين حدود البلد الشمالية ، بحيث جعلتها تمتد من الليطاني الى بانياس .

وفي ١٦ شباط (فبراير) ١٩٢٠ بعث ممثل الصهيونية الاميركية « لويس براندیس » الى وأيزمان برقية يطلب فيها تدخل الحكومة البريطانية عمليا للحيلولة دون خسارة جزء كبير من « فلسطين الشمالية » وفيها يقول :

« نرجوكم نقل الرسالة التالية ، عني وعن جميع العاملين معي في المنظمة الصهيونية الاميركية ، الى رئيس الوزراء لويد جورج : لقد ابرق لي زملائي في المنظمة الصهيونية الاميركية في باريس بان فرنسا تصر الان في المؤتمر حول المعاهدة التركية ، على بنود اتفاقية سايكس ـــ بيكو . ولو انتصر هذا الادعاء الفرنسي لكان معنى ذلك القضاء على التحقيق التام للوطن اليهودي والوعد بتأسيسه ، لان اتفاقية سايكس ـــ بيكو تقسم البلاد متجاهلة كليا الحدود التاريخية والضرورات . والحدود الوطنية الشمالية والشرقية لاغنى عنها لقيام مجتمع يعيل نفسه بنفسه . ولتطور البلاد الاقتصادي في الشمال ، ينبغي ان تضم فلسطين مفارق مياه الليطاني عند جبل الشيخ (حرمون) وإلى الشرق سهول الجولان وحوران[1] ... »

واقترح هربرت صموئيل ، احد الزعماء الصهيونيين واول مندوب سام لبريطانيا بعد اعلان انتدابها على فلسطين ، حدودا اكثر ايغالا داخل لبنان . اذ جعل حدود فلسطين الشمالية تمتد من الضفة الشمالية لنهر الليطاني وتصل حتى اقصى ينابيع الاردن قرب راشيا .

ولقد كان موقف بريطانيا والولايات المتحدة مؤيدا تأييدا كاملا للمطالب الصهيونية . بيد ان ما حال دون تنفيذ تلك الاطماع الصهيونية في جنوبي لبنان آنذاك ، هو موقف فرنسا التي اصرت على الخطوط التي رسمتها اتفاقية سايكس ـــ بيكو في العام ١٩١٦ ، وهي الاتفاقية

1 - Thomas Mason, Brandeis : A free Man's Life, New Work,1950, P .455

الاستعمارية المعروفة التي حددت أسس اقتسام « غنائم » الدولة العثمانية التي خرجت خاسرة من الحرب .

اقترحت بريطانيا في المؤتمر الذي عقد بين الدولتين الاستعماريتين في كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٨ خطا للحدود الفلسطينية ــ اللبنانية يمتد من شمالي عكا الى حيث يستدير الليطاني نحو الغرب ، قبل مصبه ثم يتجه الى جبل الشيخ . وانتهى المؤتمر بتمسك فرنسا بوجهة نظرها . ولكنها قدمت الى الصهيونيين تسوية ، تقضي بمنحهم ثلث المياه التي تنبع من جبل الشيخ .

وجاء مؤتمر سان ريمو في نيسان (ابريل) ١٩٢٠ ، ليكرس انتداب الدولتين الاستعماريتين : بريطانيا على فلسطين والعراق وشرقي الاردن ، وفرنسا على سورية ولبنان . وفي ٢٣ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٢٠ ، وقع اتفاق الحدود بين بريطانيا وفرنسا في الشرق الاوسط . وقد رسم الحد الشمالي لفلسطين بحيث يمتد من راس الناقورة (على بعد بضعة اميال شمالي خط سايكس ــ بيكو) الى غرب المالكية ثم شمالاً نحو المطلة . ولكن الدوائر الصهيونية اصيبت بخيبة امل بعد ان تم رسم خط الحدود بصورة نهائية ولم تملك سوى ان تعلن « قبولها » بالاستفادة من الليطاني دون ان ينال الصهيونيون اية مكاسب اقليمية في واديه .

لقد كانت المصادر المائية والتوسع الجغرافي تحقيقا للاغراض الاستيطانية من العوامل الاساسية وراء الجهود الصهيونية المحمومة التي بذلتها الدوائر الصهيونية من اجل ضم جزء من الاراضي اللبنانية الى الدولة الصهيونية المزمع انشاؤها . ولعل خير ما يكشف الدوافع الحقيقية لهذه

الاطماع الصهيونية ما اكده ارثر روبين ، احد دعاة الصهيونية البارزين في مطلع هذا القرن ، عندما اعتبر ان المهمة الاولى للصهيونية هي توحيد فلسطين ضمن حدودها التاريخية والاقتصادية والطبيعية لتؤلف منطقة ادارية واحدة . ولقد رسم خط الحدود الشمالية بقوله : « وفيما يتعلق بالحدود الشمالية التاريخية . فقد شملت هذه دون جدال احد المنبعين الرئيسيين لنهر الاردن . غير ان الاسباب الاقتصادية تتطلب بالضرورة ان تمتد فلسطين الى ناحية الشرق لتشمل المنبع الاخر عند حاصبيا (الحاصباني) .. »[1] .

كذلك تجلى الاهتمام بالمصادر المائية الموجودة في لبنان ، في الدراسة التي اجرتها ادارة مياه فلسطين في العام ١٩٤٣ والتي دعت الى استثمار حوالي ٨٥ ٪ من مياه الليطاني في فلسطين . وكانت الوكالة اليهودية قد انتدبت الى فلسطين في العام ١٩٣٨ احد أكبر خبراء التربة الاميركيين وهو لاودرميلك ، وكلفته بتقديم تقرير عن اوضاعها المائية ، وتتلخص التوصيات ـــ التي وضعها هذا الخبير في العام ١٩٤٤ والتي لاتزال تعتبر اساساً لجميع المشروعات المائية في الاراضي المحتلة ـــ في تحويل مياه نهر الاردن من حوضه الطبيعي الى المنطقة الساحلية ، ومنها الى النقب ، بعد الاستيلاء على مياه الحاصباني وبانياس .

يتضح من مجمل ما تقدم من وثائق وتصريحات ، ان الصهيونية

---

1 - Dr. Arther Ruppin Der Aufbau Des Landes Israel, Verlaj, Berlin, 1919,P. 60-61.

وجدت منذ ان قررت انشاء دولتها في فلسطين ، ان هذه الدولة ذات موارد مائية ضئيلة لاتكفي لمشروعات التوسع السكاني والاستيطاني . لهذا توجهت حتى قبل قيام « الدولة » الى البحث عن مصادر رديفة للمياه لدى البلدان العربية المتاخمة ، حيث توجهت اطماعها ، خاصة نحو مياه الليطاني والحاصباني .

ب ـــ مرحلة مابعد قيام الكيان الصهيوني .

في اعقاب توصيات لاودرميلك المشار اليها آنفاً ، وصل الى الارض المحتلة في العام ١٩٤٨ خبيرا المياه الدوليان هايز وسافيج ، لوضع تلك التوصيات موضع التنفيذ . وقد وضع هذان الخبيران مشروعا لتحويل نهر الاردن يتضمن تحويل الليطاني ودمجه بالمشروع العام . ولم يقم هذا المشروع آنذاك اي اعتبار للاوضاع التي انتهت اليها اتفاقات الهدنة العربية ـــ الاسرائيلية (١) .

وفي العام ١٩٤٩ ، اثار المندوب الاسرائيلي امام لجنة التوفيق الدولية « مسألة مياه الليطاني » مما حدا باللجنة الى ان توصي ، في تقريرها الصادر في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٩ ، بتأجير سبعة اثمان مياه الليطاني لاسرائيل وذلك بتحويل مياهه الى وادي الاردن بغية الاستفادة منها في الري وتوليد الطاقة الكهربائية .

وفي العام ١٩٥٣ ، اوفد الرئيس الاميركي ايزنهاور مبعوثاً خاصاً

---

(١) النهار :١٣/٥/١٩٧٥ . ص ٢٧

وهواريك جونستون ، ليعرض على الاردن وسورية ولبنان واسرائيل مشروعاً مشتركاً لاستثمار المصادر المائية القريبة من مناطق الحدود المشتركة . ويتلخص المشروع في انشاء سد على نهر الحاصباني (في الاراضي اللبنانية) لتخزين الفائض السنوي للنهر وتحويله الى ترعة لري اراضي حوض الحولة وتلال الجليل (في الاراضي المحتلة) وكذلك انشاء محطة توليد الطاقة الكهربائية من مياه هذا النهر تقام داخل الارض المحتلة . وكان من الطبيعي ان يرفض لبنان هذا المشروع (بالرغم من وعود المساعدات المادية الاميركية) ، لانه لايتيح له الانتفاع من الموارد المائية التي يملكها . وقد عبر رئيس مجلس النواب اللبناني عن هذا الرفض بقوله « ان المشروع يهدف الى حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين على اسس لايقبلها الشعب العربي ولا اللاجئون » .

ووضعت السلطات الاسرائيلية في العام ١٩٥٤ مشروعا عرف باسم مشروع كوتون ، تضمن خططا مفصلة بالنسبة لنهر الليطاني . ففي هذا المشروع ادخلت اسرائيل ما اسمته فائض الليطاني (٤٠٠ مليون متر مكعب) الى مشروع الري الاسرائيلي الكبير ، بحيث تروي مصادر المياه المتوافرة لها نحو مليوني دونم . ولم يبق المشروع الاسرائيلي من مياه الليطاني للبنان الا ما يكفي لارواء ٣٥٠ الف دونم من الاراضي[١] .

وفي خلال العامين ١٩٥٤ ، ١٩٥٥ ، قام المبعوث الاميركي جونستون بعدة زيارات للمنطقة لاجراء مباحثات تهدف الى تحديد كمية

1- J. S. Cotton, Plan For The Development And Civilization Of The Water Resources Of The Jordan and Litani River Basins, Vol. 1, 1954

المياه التي تتلقاها كل دولة من الدول المعنية بالمشروع . وكانت حصة لبنان من مياه الحاصباني (٣٥) مليون متر مكعب فقط . وقد رفضت الاقطار العربية المعنية المشروع في قرار موحد اتخذ في شباط (فبراير) ١٩٥٥ . وكانت اسرائيل قد رفضت المشروع قبل ذلك لانه لا يتضمن مياه الليطاني . ووضعت بدلا عنه مشروع كوتون الذي اشرنا اليه : والذي يصح ان نسميه مشروع « جونستون المعدل » اذ لا يختلف المشروع الاسرائيلي عن المشروع الاخير الا بزيادة حصة اسرائيل من المياه واضافة الليطاني .

وظهر اثر ذلك مشروع فايتس ، الذي يقوم في الاساس على تقديم مقترحات لحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين. ويطرح رعنان فايتس ــ الذي كان يشغل منصب رئيس دائرة الاستيطان في الوكالة اليهودية ــ في مشروعه هذا ، الذي نشر في بداية السبعينات فكرة تكشف عن المقاصد والاطماع الاسرائيلية التوسعية المستمرة تجاه لبنان . فهو يدعو الى الاستفادة من مياه نهر الليطاني ، بغية اقامة مشروعات في المناطق المحتلة لتشغيل اللاجئين واستيعابهم .

ويتضمن المشروع نقل « فائض » مياه الليطاني عن طريق الانابيب ودمجها بمشروع المياه الاسرائيلي العام ، من أجل تطوير الاراضي العربية المحتلة وانشاء مشروعات زراعية وصناعية فيها وكذلك انشاء منطقة تجارية حرة في غزة ، بشكل يجعل بالامكان استيعاب اللاجئين وتشغيلهم وتوطينهم . ويعتقد فايتس انه يمكن استيعاب مليون لاجىء ، منهم ٤٠٠ الف لاجىء من خارج الاراضي المحتلة ، اذا ما تم تحويل

٤٠٠ مليون متر مكعب من مياه الليطاني ونقلها لخدمة المشروع المقترح .

يبدو واضحا ، من خلال استعراضنا لهذه المشروعات ان الحركة الصهيونية ومن بعدها الدولة الصهيونية لم تخفيا في يوم من الايام اطماعهما في موارد لبنان المائية . وكانت الحجة التقليدية للدوائر الصهيونية ان مياه الليطاني والحاصباني تذهب هدرا ، وانها تستطيع ان تستغل هذه المياه بفعالية اكبر . وقد ادعى موشي شاريت ــ أحد رؤساء الحكومات الاسرائيلية السابقين ــ ان استغلال الليطاني في لبنان سيخلق لاسرائيل مشاكل اقتصادية . واعتبر عدم ادراج الليطاني في مشروعات اسرائيل المائية بمثابة خطيئة اساسية ارتكبتها حكومته [1] .

اما ليفي اشكول ــ أحد رؤساء الحكومة الاسرائيلية السابقين ــ فقد كشف عن اطماع اسرائيل في مياه الليطاني ، حين صرح لصحيفة لوموند الفرنسية :

« ان نصف مليار متر مكعب من مياه الليطاني تذهب هدرا الى البحر في كل عام بدلا من استغلالها لمنفعة سكان المنطقة » [2] ثم أكد أشكول الاطماع ذاتها في حديث أجراه في العام ١٩٦٨ مع الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر حيث قال ان (اسرائيل) ، قسمت ثلاث مرات . وكانت المرة الاولى عندما وضع نهر الحاصباني وبانياس خارجها [3] .

---

(١) جويش اوبزرفر : ١٩٧٤/٩/٢٤ .

(٢) لوموند ، ١٩٦٧/٧/٨ .

(٣) الاتحاد ١٩٦٨/٦/١٤ .

٢ ـ المساعي الاسرائيلية لتحقيق الاطماع في لبنان

اثر انتهاء الحرب العربية ـ الاسرائيلية الاولى (١٩٤٨) وقع لبنان والدولة الصهيونية في ١٩٤٩/٣/٢٣ اتفاقية الهدنة ، التي نصت على اعتبار خط الحدود الدولية المرسوم في العام ١٩٢٣ حداً فاصلا بين الجيشين . ولقد التزم لبنان بعد ذلك بتلك الاتفاقية فلم يشارك في الحروب العربية ـ الاسرائيلية التي تلتها ، مما جعله يتحول عمليا الى دولة محايدة ازاء الصراع العربي ـ الصهيوني ، دون اعلان هذا الحياد رسميا . وكان هذا الموقف الوسط بين حالة الحرب المتوقفة بهدنة عسكرية وحالة الحياد الرسمي محصلة لمواقف القوى الفاعلة في لبنان وصورة من صور تعايشها في اطار الصيغة اللبنانية ووفق قواعدها .

ومع ان هذا الحياد غير المعلن كان يتعارض مع اطماع (اسرائيل) في لبنان ، ويحرم الدولة الصهيونية من السعي الى تحقيق تلك الاطماع ، فان الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة وجدت في البداية ان استمرار الحياد اللبناني العملي يخدم مصالحها ، لانه يقصر خطوط المواجهة مع الدول العربية المجاورة ، ويخفف بالتالي الاعباء الامنية الملقاة على عاتق قواتها المسلحة ويسمح لها بالتركيز على مجابهة القوتين المصرية والسورية ، وعلى هذا فقد التزمت (اسرائيل) بتهدئة حدودها مع لبنان ، مقابل موافقة لبنان الضمنية على تهدئة حدوده الجنوبية ، وعدم بناء قوات مسلحة تسمح له في المستقبل بلعب دور فعال في اي صدام عسكري بين العرب والصهيونيين .

بيد ان ابقاء لبنان خارج دائرة الصراع لم يكن بالنسبة الى (اسرائيل) سوى مرحلة مؤقتة ، لذا بقي هذا القطر العربي في دائرة اهتمام الدولة الصهيونية التي كانت تراقب التيارات السياسية ـــ الاجتماعية المتنامية فيه ، وترصد تطوراتها وانعكاساتها على القوى الفاعلة وتأثيرات ذلك كله على استمرارية الصيغة اللبنانية ، خاصة على الجزء المتعلق بالعلاقة مع المحيط العربي من تلك الصيغة ، ولقد ادعت الدوائر الصهيونية ان مصالحها الانية المتمثلة في الحفاظ على حياد لبنان غير المعلق ، ومصالحها المستقبلية المتمثلة في اضعاف لبنان بشكل يجعله عاجزا عن منع (اسرائيل) من تحقيق اطماعها في ارضه ومياهه تفرض عليها العمل على محورين : اولهما دعم القوى اللبنانية المعارضة لنمو الخط العربي التقدمي المعادي للامبريالية والصهيونية في لبنان ، وثانيهما العمل على تأجيج الصراعات الطائفية ، بغية احباط تجربة التعايش الاسلامي ـــ المسيحي في ظل دولة ديمقراطية واحدة ، وتفتيت تماسك الشعب اللبناني ووحدته الوطنية ، وانهاكه في صراعات جانبية حتى يغدو مؤهلا للخضوع الى إرادة (اسرائيل) والتسليم باطماعها ، عندما يسمح الوضعان الدولي والعربي بذلك .

من هذا المنظور يمكن فهم ماقاله بن غوريون في العام (١٩٥٤ لوزير خارجيته موشي شاريت : « ان هذه الساعة هي الساعة المؤاتية لاقامة دولة مسيحية بجوارنا ، فدون مبادراتنا ومساعدتنا الفعالة لن يتم الامر ... ويبدو لي ان هذه هي المهمة الرئيسية الان ، او على الاقل احدى

المهام الرئيسية لسياستنا الخارجية » [1] . ومن المنظور نفسه يمكن تفسير الاتصالات السرية التي اجرتها (اسرائيل) في الخمسينات مع عدد من الزعماء اللبنانيين المعارضين لاندماج لبنان التام في محيطه العربي ، وتحديد اهداف الخطط التي وضعتها الحكومة الاسرائيلية لتأجيج الصراع الداخلي في العام ١٩٥٨ ومحاولاتها الرامية الى استغلال هذا الصراع .

ولقد وجدت (اسرائيل) ان انتهاء الحرب الاهلية اللبنانية في العام ١٩٥٨ تحت شعار « لاغالب ولا مغلوب » هزيمة لمخطط التفتيت الذي سعت الى تحقيقه واستغلاله ، بيد ان هذه الهزيمة المؤقتة لم تمنعها من متابعة ذلك المخطط باساليب خفية وسياسية ، وبدعم من الامبريالية الامريكية ، التي اعتبرت ان اي تحول داخلي يؤدي الى تخلي لبنان عن موقف الحياد غير المعلن وأن التلاحم مع قوى التحرر العربية ، يتعارض مع مصالحها الاستراتيجية في المنطقة العربية .

ولم تلبث (اسرائيل) ان تخلت عن الأساليب الخفية ، وعادت الى الضغط العلني ، عندما وجدت ان السياسة اللبنانية تسير وفق خط يحظى باجماع عربي ويهدد الاطماع الصهيونية في لبنان . ففي ١٩٦٥/١/٢١ ، وافق مجلس النواب اللبناني على دخول قوات عربية الى الاراضي اللبنانية لحماية عملية تحويل مجرى نهر الحاصباني ، كيلا تستفيد منه اسرائيل ، فقام وزير الدفاع الاسرائيلي آنذاك بتوجيه التهديد ، الى لبنان قائلا : « ان اللبنانيين بموافقتهم على المشروعات العربية ، يضعون انفسهم في موقف

---

(١) : د . أسعد رزوق ، اسرائيل الكبرى ، مركز الابحاث الفلسطيني ، بيروت ، /١٩٧٣/

خطير جداً »[1] وقالت صحيفة هآرتس : « ان ظروف لبنان تحمله على الامتناع عن القيام باعمال معادية لاسرائيل »[2] وقامت السلطات الاسرائيلية بتنفيذ تهديداتها في العام نفسه ، عندما تحركت قوة اسرائيلية باتجاه الحدود اللبنانية يوم ١٩٦٥/١٠/٢٩ ، وتوغلت فيها ، وقامت بسلسلة من اعمال التفجير والتخريب .

وعلى اثر الانتصار العسكري الذي حققته الدولة الصهيونية في حرب ١٩٦٧ ، شعر المسؤولون الاسرائيليون انهم غدوا اقوياء الى درجة تسمح لهم بتكثيف الضغط على لبنان بغية تحقيق اطماعهم فيه ، ولقد ظهر ذلك بوضوح في تصريح وزير خارجية (اسرائيل) الذي اكد في آب (اغسطس) ١٩٦٧ ، ان اتفاقية الهدنة مع لبنان غدت في حكم الملغاة ، واستغلت (اسرائيل) تنامي قوى الثورة الفلسطينية في لبنان ، والتفاف القوى الوطنية اللبنانية حولها ، من اجل تشديد الضغط وتأجيج الصراعات الداخلية . وشهد العامان ١٩٦٨ و ١٩٦٩ سلسلة من الاعتداءات الاسرائيلية على الاراضي اللبنانية ، الامر الذي دفع مندوب لبنان في الامم المتحدة الى الشكوى في ١٩٦٩/٨/١٨ ، من ان (اسرائيل) حالت منذ حرب ١٩٦٧ دون قيام لجنة الهدنة اللبنانية ــ الاسرائيلية المشتركة بمهامها ، وفي ١٩٦٩/٨/٢٥ ، كرر المندوب الاسرائيلي في الامم المتحدة ، اعلان بلاده عن ان عهد اتفاقيات الهدنة قد مضى الى غير رجعة .

---

(١) : هآرتس ، ١٩٦٥/١/٢٤

(٢) : المرجع نفسه .

وتابعت (اسرائيل) اعتداءاتها على لبنان في العام ١٩٧٠ وكان اعنفها حتى ذلك الحين الهجوم على منطقة العرقوب في ١٩٧٠/٥/١٢ ، ثم تصاعدت الاعتداءات بعد احداث ايلول (سبتمبر) الاسود في الأردن (١٩٧٠) وإخراج القوة العسكرية للثورة الفلسطينية نهائياً من الاردن بعد معركة جرش وعجلون في تموز/يوليو ١٩٧١ ،وتحول لبنان الى مقر كثافة سكانية فلسطينية متنامية ومرتكز اساسي للثورة الفلسطينية، ووجدت الدولة الصهيونية في الوجود المسلح الفلسطيني على الاراضي اللبنانية مدخلا الى اذكاء الروح الطائفية من خلال التقارب مع قوى المارونية السياسية ، سيما وان قادة القوى الاساسية المنظمة للمارونية السياسية ، كانوا يرون ان وجود الفلسطينيين الكثيف في لبنان ، وهم في غالبيتهم من المسلمين ، يشكل خطراً على التوازن الديموغرافي بين المسيحيين والمسلمين في لبنان ، كما يؤثر على استقرار لبنان وسيطرة المسيحيين فيه . وفي الوقت ذاته اعتبرت (اسرائيل) ان وجود قواعد الثورة الفلسطينية ومكاتبها في لبنان يشكل ذريعة كافية للاعتداء على اراضي هذا القطر العربي ، والتدخل في شؤونه الداخلية ، وتفتيته عبر تشجيع جزء من ابناء شعبه على محاربة الجزء الاخر المتعاطف مع الشعب الفلسطيني وثورته ، بغية ايصال لبنان في النهاية الى وضع يسهّل تحقيق الاطماع الصهيونية .

ومع اندلاع الحرب الاهلية في لبنان ، وجد الصهيونيون الفرصة الذهبية التي ساهموا في اعدادها وانضاج ظروفها ، من خلال التحريض الاعلامي والعدوان المستمر على اراضي لبنان ، وانتهاك اجوائه ومياهه الاقليمية واستعداء بعض فئات شعبه ضد الاخر ، وكان من الطبيعي ان

تمد (اسرائيل) يد المساعدة الى القوى الانعزالية ، التي يطلق عليها الاعلام الصهيوني وبعض اجهزة الاعلام الغربية تجاوزا اسم القوات المسيحية او الميليشيات المسيحية ، امعانا منها في التفرقة واذكاء روح الطائفية ، وهناك عشرات الادلة والمؤشرات التي تؤكد تورط الجبهة اللبنانية في التعاون مع العدو قبل الحرب الأهلية وفي خلالها وطوال الفترة التي تلتها ونجاح الاسرائيليين في استغلال تلك الجبهة وتسخيرها لتحقيق اغراض صهيونية بحتة ، ولقد جاء تقرير لجنة كاهان المكلفة بالتحقيق في مجازر صبرا وشاتيلا ، ليقوم دليلا جديدا ومن قلب معسكر العدو ، على مدى تعاون الجبهة اللبنانية مع الصهيونيين ضد كل ماهو عربي وتقدمي في لبنان .

وعلى الرغم من تحفظنا على التقرير ككل (راجع الفصل الخاص بمذبحة صبرا وشاتيلا) وتحفظنا على توقيت بدء التعاون الوارد في التقرير فان الفقرة التالية الواردة فيه ، تكشف العديد من الامور التي حاولت الجبهة اللبنانية اخفاءها لاغراض تكتيكية . تقول الفقرة : « العلاقة بين القوات المسيحية و (دولة اسرائيل) تشكلت بعد فترة قصيرة من بداية الحرب الاهلية . ومع الزمن ، اصبحت هذه العلاقة اكثر وثوقا على المستويين السياسي والعسكري . ولقد قُدّم وعد الى القوات المسيحية بان اسرائيل ستأتي لمساعدتها في حال تعرضها للخطر . قدمت اسرائيل مساعدات مهمة للقوات المسيحية المسلحة : الامداد بالاسلحة والبزات العسكرية الخ ... وكذلك من حيث التدريب والتأهيل . ومع الزمن « عقدت اجتماعات عديدة بين قادة الكتائبيين وممثلين عن حكومة اسرائيل وعن (جيش الدفاع الاسرائيلي) وخلال هذه الاجتماعات ازدادت

العلاقة بين قادة الطرفين قوة . مؤسسة الاستخبارات والمهمات الخاصة (الموساد) جُعلت المسؤولة عن العلاقة بالكتائبيين واقام ممثلون عن الموساد في اوقات مختلفة وبطرق مختلفة ، علاقات وثيقة مع القيادة الكتائبية »[1] .

والحقيقة ان الدولة الصهيونية تمكنت من استغلال الحرب الاهلية الى الحد الاقصى وحققت من جراء ذلك المكاسب التالية :

(١) استخدام الجبهة اللبنانية وقواتها العسكرية لاستنزاف الثورة الفلسطينية عسكريا ، والهائها عن دورها الاساسي المتمثل في الصراع ضد العدو الصهيوني وتشويه سمعتها سياسيا .

(٢) اقناع الجبهة اللبنانية بأنها القوة الوحيدة القادرة على حمايتها ، واكتساب هذه الجبهة الى صف القوى العربية المساومة المستعدة لمصالحة العدو وتطبيع العلاقات معه .

(٣) تخريب مساعي التهدئة ودفع الانعزاليين الى نقض الاتفاقيات التي يتم التوصل اليها الامر الذي ساهم في اطالة أمد الحرب الاهلية وتوسيع الشرخ الوطني ، على الرغم من رغبة أكثرية اللبنانيين في ايقاف النزف .

(٤) تشكيل مجموعات متطرفة داخل قوات الجبهة اللبنانية وربط هذه المجموعات بالموساد مباشرة ، بغية ضرب اي خط معتدل يمكن أن يظهر داخل الجبهة .

---

(١) : تقرير لجنة كاهان حول التحقيق في مذبحة صبرا وشاتيلا راجع جريدة السفير ، ١٩٨٣/٢/١٠ .

(٥) الاقلال ما أمكن من خسائر الاسرائيليين في الصراع ضد الثورة الفلسطينية ، طالما ان هناك لبنانيين يقومون بهذه المهمة ويتكبدون الخسائر لحساب (اسرائيل) .

(٦) تشجيع الجبهة اللبنانية على رفض انهاء الحرب تحت شعار « لا غالب ولا مغلوب » ومتابعة القتال للوصول الى وضع « الغالب والمغلوب » ، حتى في الحالات التي لاح فيها امام الانعزاليين شبح الهزيمة العسكرية الشاملة (بعد معارك الدامور والمتن وعينطورة)، على اعتبار أن هناك وعداً إسرائيلياً قاطعاً بمساعدتهم في حال تعرضهم لخطر داهم .

(٧) تدريب الانعزاليين على تنفيذ المذابح الجماعية وفق الاسلوب الصهيوني ودفعهم الى ارتكاب الفظائع التي تعمق الحقد بين فئات الشعب اللبناني ، وتضع العقبات امام عودته الى كنف الوحدة والتعايش .

٣ ــ دور سورية القومي لتهدئة الصراع

لقد كانت الحرب الاهلية اللبنانية منذ اندلاعها في مقدمة الهموم السورية ، لذا راقبت دمشق مجريات الحرب عن كثب ، وكانت اول الساعين الى انهاء هذا الصراع الدامي ، الذي يدفع الشعبان اللبناني والفلسطيني ثمنه غاليا ، ولا يستفيد منه سوى اعداء الامة العربية ، وساهمت في كافة المحاولات الرامية الى التوفيق بين الاطراف المتصارعة ،

حتى يعود لبنان الى السلام ، ويستعيد هذا القطر عافيته ودوره في المنطقة العربية ، وحتى لا يتمكن العدو من متابعة استنزاف الثورة الفلسطينية والهاء الامة العربية عن الاعداد لمواجهة الخطر الرئيسي المحدق بها .

ولقد كان المنطق القومي نقطة الانطلاق في تعامل سورية مع الحرب الاهلية في لبنان ، فعلى اساس هذا المنطق وبسبب الادراك الصحيح لحقيقة العلاقة المتبادلة بين الامنين القومي والقطري ، اعتبرت سورية ان تحقيق الامن في لبنان يوفر الجهد والدم العربيين ويخدم بالتالي مصالح الامن القومي . كما ان تعزيز القدرات العسكرية العربية التي تحمي الامن القومي يساهم في ردع اسرائيل ومنعها من التدخل في لبنان ويضمن بالضرورة امنه القطري .. لهذا شاركت سورية في المساعي العربية لاحلال السلام في لبنان ، وحملت العبء الاكبر من الحل العربي المتمثل باستخدام قوات الردع العربية ، من أجل ايقاف الحرب الاهلية ، وطالبت في الوقت ذاته بتطوير القوات المسلحة العربية واعداد استراتيجية شاملة للمواجهة وتعزيز التضامن العربي لصالح المعركة المقبلة مع العدو المشترك .

وانطلاقا من المنطق القومي نفسه ، كثفت سورية جهودها لبناء قوتها الذاتية ورفع مستوى جاهزيتها القتالية والفنية لتكون اداة فاعلة في خدمة اهداف الامة العربية ، وحلقة قوية في الدرع الذي يحمي الامنين القومي والقطري كما طالبت بان تكون مهمة التصدي للتدخل الاسرائيلي في شؤون لبنان ، ذات طابع عربي شامل .

وعندما كانت سورية جاهدة في معالجة الحرب الاهلية اللبنانية وفق بنود الحل العربي التهدئوي المضاد للحل الاسرائيلي التفجيري . وبينما كان

الجهد السوري منصبا على استقطاب قوى الخط العربي المقاوم والعمل على حشدها ، حققت الولايات المتحدة ، اختراق النظام المصري الذي غدا رأس الحربة في الخط العربي المهادن ، وادى انسحاب هذا النظام من الصراع العربي ــ الصهيوني ، وتدفق المساعدات العسكرية الاميركية الى الدولة الصهيونية الى اختلال ميزان القوى في المنطقة لصالح العدو ، واتساع حرية العمل امام العسكرية الاسرائيلية التي وجدت نفسها في وضع يسمح لها بتهديد القطر العربي السوري ومتابعة دورها التفجيري في لبنان .

ولمواجهة هذا الاختلال في موازين القوى وضعت سورية خطة اكثر طموحا لتعزيز قدراتها الذاتية ، بشكل يسمح لها بسد العجز الناجم عن خروج القوة المصرية الكبيرة من المعركة . وكان هاجس الامن القومي وراء توجهها نحو تمتين علاقتها الاستراتيجية مع الاتحاد السوفييتي الذي يمثل المصدر الاساسي لتسليح القوات المسلحة السورية ، والدولة الكبرى المؤيدة للحق العربي في مواجهة الولايات المتحدة المؤيدة للمعتدين الصهيونيين ، كما كان ذلك الهاجس وراء تكثيف الجهود والمساعي من اجل ايقاف الحرب الاهلية اللبنانية وفق معطيات الحل العربي .

وهكذا تحول وجود القوات السورية في لبنان (في اطار قوات الردع) ومساعي التهدئة السياسية الى عقبة اساسية امام المخطط الصهيوني التفتيتي ومحاولات (اسرائيل) لتحقيق اطماعها الذاتية واغراض الاستراتيجية الاميركية والاسرائيلية ضد سورية ، وغدت دمشق الهدف الاول لاعداء الامة العربية .

ومنذ ذلك الحين بدا على الارض اللبنانية صراع حاد بين الحل العربي التهدئوي الذي حملت سورية لواءه ، والحل الاميركي ـــ الاسرائيلي التفجيري المتعارض مع عروبة لبنان وسيادته وسلامة اراضيه ، ولقد اخذ هذا الصراع أشكالاً متعددة وساهمت القوى المحلية فيه حسب امكاناتها واساليبها .واذا كانت سورية والثورة الفلسطينية والقوى اللبنانية الوطنيّة قد مارست في خلاله الكثير من ضبط النفس واظهرت في مراحله المختلفة قسطا كبيرا من المرونة ، بغية تجنيب لبنان مغبة العودة الى دوامة الحرب الاهلية ، فان الولايات المتحدة واسرائيل والقوى الانعزالية اللبنانية ، كانت تضغط باتجاه التفجير ، وتستعد للسير على طريق الخيار العسكري وفي اطار السباق بين الحلين التهدئوي والتفجيري ، قامت (اسرائيل) بعدوانها على الجنوب اللبناني في آذار (مارس) ١٩٧٨ .

ودخلت الازمة اللبنانية مرحلة جديدة ، تشابكت فيها الحلول العربية والاميركية ـــ الاسرائيلية والدولية وغدا لبنان من اكثر مناطق التوتر المؤهلة للانفجار .

الفصل الثاني

الطريق الى الحرب

١ ـ اجتياح الجنوب اللبناني عام ١٩٧٨ . وإنشاء الشريط الحدودي .
٢ ـ القوات الدولية في جنوب لبنان .
٣ ـ عمليات التخريب لانهاك قوات الردع العربية وقوات الثورة الفلسطينية بالاستعانة بقوى محلية .
٤ ـ معركة زحلة ودلالاتها .
٥ ـ تنامي القوة الفلسطينية في لبنان عسكريا وسياسيا .

١ ـــ اجتياح الجنوب اللبناني عام ١٩٧٨ وانشاء الشريط الحدودي

نظرة مسبقة للاحداث :

في بداية الاحداث اللبنانية ، ومنذ العام ١٩٧٦ ، تفككت الوحدات الحدودية الجنوبية اللبنانية ، بسبب انفصالها وبعدها عن قيادة الجيش اللبناني في بيروت . وكان من نتيجة هذا التفكك التحاق هذه العناصر بجهات ثلاث ، بعضها بقيادة الجيش اللبناني حيث عينت العناصر في وحدات اخرى من الجيش وبعضها التحق بالقوى الوطنية اللبنانية التي كانت تقاتل الى جانب قوات الثورة الفلسطينية ، والبعض ألاخر فر الى العدو الاسرائيلي ، الذي استغل هذا الوضع وجمع هذه العناصر في وحدات صغيرة ، اطلقت عليها تسمية جيش لبنان الحر ، ونصب عليها العميل الخائن الرائد سعد حداد يعاونه ضابط لبناني اخر هو الرائد شدياق .

وقد قامت القوات الاسرائيلية بمساعدة الرائد الخائن بالاستيلاء على بعض القرى اللبنانية الحدودية حيث اتخذت منها قواعد لحماية الكيان

الصهيوني من الهجمات الفلسطينية المباشرة . ومن هذه المواقع الانعزالية : مرجعيون ، القليعة ، عين ابل ، يارون ، رميش ، علما الشعب . وقد اتخذ الرائد الخائن بلدة القليعة مقرا لقيادته .

كان هذا العمل ، بالنسبة للكيان الصهيوني ، عملا اقتصاديا عسكريا دعائيا مناسبا حيث امنت اسرائيل به حراسة لبعض نقاط حدودها بقوى لبنانية ، عوضا عن تكليف قواتها بهذه الحراسة ، خاصة ان العناصر اللبنانية المحلية تعرف الارض والسكان والغرباء عن المنطقة بشكل افضل ، وخاصة منهم المعادين لاسرائيل والمتعاونين مع القوى الفلسطينية .

ومن هذه القواعد الانعزالية وبتخطيط اسرائيلي ، كانت تنطلق الاعتداءات ضد العناصر الوطنية اللبنانية فتدمر وتقتل واحيانا توسع قاعدة وجودها في المنطقة (١) وكلما كبر حجم المنطقة التي تسيطر عليها العناصر الانعزالية كلما زاد مستوى الامان الاسرائيلي . واسرائيل تفضل الحدود الامنة على الحدود الدولية حيث ان الاولى ، عدا عن كونها تبعد الخطر عن الاهداف الاسرائيلية ، فانها قابلة للتعديل والتوسيع دوماً ، في حين ان الحدود الدولية ثابتة ، لاتريد اسرائيل ان تعترف بها ، لانها تضع حدا لتعديها وتوسعها الاقليمي .

(١) بتاريخ ١٠ اذار ١٩٧٨ ، قام العدو الاسرائيلي بادخال ست ناقلات جنود مدرعة من طراز م ١١٣ ، بعد تمويهها ووضع شعار قوات الكتائب عليها ، الى قرية مارون الراس . وقد قام الفدائيون الفلسطينيون بالاشتباك مع هذه الناقلات وقد نفذ الاشتباك من قبل مجموعة من قوات الصاعقة . وقد قدمت المدفعية الفلسطينية دعما ناريا قويا لعمل هذه المجموعة ، وتم الاستيلاء على هذه الناقلات حيث سلمت الى جيش لبنان العربي . وعندما نزع دهان الشارات الكتائبية ظهرت نجمة اسرائيل . (معلومات القيادات الفلسطينية)

من اجل توسيع هذه القواعد الانعزالية المتعاونة مع الكيان الصهيوني وجعلها شريطا عريضا يغطي كافة الحدود الدولية وضعت القيادة الصهيونية خطة للعدوان تهدف الى تصفية التواجد الفلسطيني المسلح في جنوب لبنان ، او التخفيف منه على الاقل ومن ثم الركون الى هذا الشريط الامني بحيث يكون عمقه عشرة كيلو مترات يمتد على طول الحدود الدولية بالاضافة الى جلب قوات دولية لاحتلال القسم الباقي من الجنوب اللبناني ، بشكل تصبح فيه الحدود اللبنانية ــ الفلسطينية مغطاة بشريطين تجاه القوى الفلسطينية والوطنية اللبنانية . شريط بقوات دولية وشريط بقوات لبنانية متعاونة ، يتخللها بالطبع وحدات حراسة اسرائيلية .

واخذت اسرائيل ، من اجل تنفيذ مخططها هذا ، تنتظر المبرر .

المبرر/عمليـــــة الشهيـــــــد كمال عدوان/ :

في يوم السبت ١١ اذار ١٩٧٨ ، قامت مجموعة فدائية فلسطينية يقدر عددها باحد عشر مقاتلا بالنزول على شاطىء فلسطين المحتلة في منطقة ناتانيا وكان الهدف من نزولها الضغط على العدو لتحرير اسرى موقوفين لدى الجانب الاسرائيلي . وقد تمكنت المجموعة من السيطرة على سيارتي (اوتوبيس) اسرائيليتين واخذتهما بركابهما رهائن في سبيل تحقيق الاهداف المطلوبة . لم تذعن السلطات الاسرائيلية لمطالب الفدائيين ، وقامت بتنفيذ هجوم مفاجىء ضدهم .. ادى الى استشهاد ٩ فدائيين واسر ٢ اخرين ومقتل ٣٣ شخصا اسرائيليا وجرح ٧٨ اخرين .

التحضيرات والاجراءات التي سبقت العدوان

آ ـ اجراءات سياسية واعلامية :

ـ استغلت القيادة الاسرائيلية عملية كمال عدوان ذريعة لشن حملة سياسية قوية ضد منظمة التحرير الفلسطينية على المستوى العالمي ، خاصة في الدول الاوربية الغربية ، التي اعترفت بمنظمة التحرير الفلسطينية وقد طالبت اسرائيل تلك الدول باغلاق مكاتب هذه المنظمة لديها .

ـ عقد البرلمان الاسرائيلي (الكنيست) جلسة طارئة يوم ٣ اذار ١٩٧٨ ، اثر عملية الفدائيين المذكورة اتخذ فيها قرارا يفوض الحكومة الاسرائيلية بالانتقام من الفلسطينيين وصادق على خطة حكومة بيغن باجتياح الجنوب اللبناني وتدمير البنية العسكرية الفلسطينية فيه .

ـ شنت وسائط الاعلام الصهيونية حملة كبيرة ، استهدفت لفت انتباه العالم ، خاصة الغربي منه الى مدى خطر « الارهاب » الذي تمارسه منظمة التحرير الفلسطينية وانه لابد من اتخاذ الاجراء اللازم لدرء الخطر والدفاع عن النفس .

ـ طلبت الحكومة الاسرائيلية الموافقة على خطة العملية من الرئيس الاميركي كارتر .

ب ـ اجراءات عسكرية :

اتخذ العدو اجراءات فورية كان الهدف منها التحضير لتنفيذ العملية العسكرية اهمها:

ـ في يوم ١٢ اذار وبعد انتهاء البحث عن الفدائيين الذين نفذوا عملية

(كمال عدوان) وازالة الاثار الناجمة عنها ، اعطيت الاوامر الى تشكيل مقاتل ميكانيكي كان قد اشترك في قوة الامن التي جابهت الفدائيين يوم ١١ اذار ان يتحرك الى منطقة التحشد في الشمال (منطقة نهاريا) قريبا من الحدود اللبنانية .

— اعتبارا من يوم ١٢ اذار ، بدأ العدو باجراء تعبئة سرية لبعض التشكيلات الاحتياطية من المنطقة الشمالية (فرقة مدرعة) .

— وضعت القوات المتمركزة في هضبة الجولان المحتلة في حالة الجاهزية القتالية القصوى وعززت بوحدات اضافية .

— قام العدو بتاريخ ١٢ اذار ١٩٧٨ بانزال بحري على الشاطىء في مواجهة مخيم الرشيدية وقد تمكنت قوات المقاومة الفلسطينية ، المتمركزة في المخيم ، من تدمير زورقين من هذه الزوارق في حين سقط ١٣ شهيدا من رجال المقاومة .

— بدأ العدو يحشد قواته في مناطق قريبة من الحدود اللبنانية ، اعتبارا من صباح ١٣ اذار ويقدر حجم هذه القوات في حدود فرقتين مدرعتين معززتين .

جـ — فكرة موجزة عن العملية :

ركز العدو هجومه على الجنوب اللبناني بضربتين رئيسيتين : ضربة اساسية على طول الخط الساحلي من رأس الناقورة حتى مدينة صور . وهذه الضربة تهدف الى تنظيف الاتجاه الساحلي من قوات الثورة الفلسطينية ، ومنع وصول الامدادات البحرية الى ماوراء الخطوط

الاسرائيلية ، وحصر القوى الفلسطينية بين هذا الاتجاه واتجاه الضربة الثانية . اما الضربة الثانية فقد وجهت اعتبارا من رأس اصبع الجليل « منطقة جسر الخردلي » باتجاه مدينة صور .

بهاتين الضربتين كانت القوات الاسرائيلية تهدف الى تطويق الجنوب اللبناني ومن ثم تمشيطه وتنظيفه نهائيا من الوجود الفلسطيني المسلح .

د ــ سير الأعمال القتالية :

ــ الاربعاء ١٥ اذار ١٩٧٨ :

في الساعة الواحدة ليلا بدأ العدو بقصف مدفعي شديد لقواعد الفدائيين الفلسطينيين في منطقة بنت جبيل ، ومارون الراس ، ويارون ، والطيبة ، والخيام وراشيا الفخار . وهي قرى تقع كلها قرب الحدود اللبنانية ــ الفلسطينية . وفي الساعة الثانية اخذت قوات العدو تتقدم بحذر على الإتجاهات :

ــ المطلة ــ مرجعيون والخيام وابل السقي .

ــ العديسة ــ الطيبة ــ رب الثلاثين ــ مركبة .

ــ براعم ــ يارون ــ بنت جبيل ــ مارون الراس .

ــ قطمون ــ رميش ــ عين ابل .

ــ يعرين ــ جبين ــ شمعة ــ طيرحرفا .

ــ راس الناقورة ــ راس البياضة .

وقام الطيران الاسرائيلي منذ الساعات الاولى بالاشتراك في دعم الاعمال القتالية البرية بطلعات استطلاع وانارة وقصف . وكذلك قامت

السفن الحربية الاسرائيلية ، منذ بدء الاعمال القتالية ، بقصف ميناء صور ، ومخيم الرشيدية « جنوب صور » ، وانزلت جوا قوة من المشاة تقدر بحوالي سرية معززة ، في منطقة العزية ، جنوب مدينة صور بحوالى ١٠ كم .

وقد تلقت القوات الاسرائيلية الترحيب والدعم من قبل الميليشيات اليمينية ، واعوانها الموجودين في قطاعات الهجوم ، حيث كانت تستخدم هذه القوى من قبل الاسرائيليين من اجل الدلالة على الاهداف الفلسطينية ، ومن اجل حراسة المناطق التي تجتازها القوات الاسرائيلية ، وكذلك من اجل القيام باعمال تخريبية على طريق امداد واخلاء القوات الفلسطينية في الجنوب اللبناني .

كان الهدف الاسرائيلي المعلن من هذه العملية ، هو تدمير قواعد المخربين« ! » ، القريبة من الحدود الاسرائيلية ، والتي خرج منها « المخربون » للعمل ضد اسرائيل واكد الناطق ان جيش الدفاع الاسرائيلي « ! » لا ينوي ان يلحق الاذى بالمواطنين ، وبالجيش اللبناني ، وكذلك بقوات الردع العربية ، ولا يقصد الا « المخربين » ومن يقوم بمساعدتهم ، لكي يؤمن الامن والحياة لمواطني اسرائيل « ! »[1] .

وقد لاقى تقدم الوحدات الاسرائيلية مقاومة عنيفة جدا من قبل رجال الثورة الفلسطينية . وبسبب الطابع القتالي الخاص الذي كان يتبعه

---

(١) محطة الاذاعة الاسرائيلية ، باللغة العبرية ، الساعة ٠٠ر٢٠ من تاريخ ١٥ اذار ١٩٧٨ .

رجال الثورة الفلسطينية ، فان القوات الاسرائيلية كانت تتقدم بمنتهى البطء والحذر ، لان السرعة كانت تعني زيادة عدد الاصابات في صفوفها .

وفي الساعة ١٠،٠٠ من يوم ١٥ اذار ، أي بعد مرور تسع ساعات على العملية الهجومية الاسرائيلية ، اعلن رئيس الاركان الاسرائيلي « موردخاي غور » ، للمراسلين في تل ابيب ، ان معظم الاهداف المطلوبة قد تم احتلالها ، « ويجري الان تطهير بعض الاماكن . وبعد ذلك ستقوم قوات جيش الدفاع الاسرائيلي بربط جميع الجيوب المحتلة في شريط أمني يمتد الى عمق ٧ ــ ١٠ كم على طول الحدود . وان هذه العملية ستنتهي خلال عدة ساعات ؛ لكن القتال ، حاليا ما زال مستمرا بسبب وجود بعض اوكار المخربين »[١] .

وقد دارت معركة ضارية في شوارع قرية بنت جبيل « في القطاع الاوسط من الحدود » وذلك بعد ان انزلت الحوامات الاسرائيلية وحدة من رجال المغاوير في هذا القطاع[٢] . كذلك لم تسقط بلدة الطيبة الا بعد معركة ضارية ايضا مع قوات المقاومة . اما على محور صديقين ــ قانا فقد تقدم العدو ودخل قرية قانا . وقد اضطر العدو ان يدخل في حارات القرية وبين بيوتها بسبب كون الارض المحيطة بالقرية غير صالحة لتقدم الاليات . وقد لاقت وحدات العدو هنا مقاومة شديدة ، وتكبدت خسائر كبيرة على ايدي رجال المقاومة .

---

(١) محطة الاذاعة الاسرائيلية ــ باللغة العبرية في سعت ١٠،٠٠ من تاريخ ١٥/٣/١٩٧٨ .

(٢) متحدث باسم القوات الفلسطينية التقدمية ، سعت ١٠،٠٠ تاريخ ١٥/٣/١٩٧٨ .

كما قام الطيران المعادي ، في الساعة ١٤٫٠٠ ، بقصف قاعدة للفدائيين الفلسطينيين بالقرب من بلدة الدامور ، حيث ادعى الاسرائيليون ان الفدائيين ، الذين اشتركوا في عملية الشهيد كمال عدوان ، قد تدربوا فيها .

وكان مع الفدائيين الفلسطينيين في منطقة الدامور هذه ، وحدات مضادة للطائرات من قوات الردع العربية « القوات السورية » ، اشتركت بالرمي ضد الطائرات المعادية بالصواريخ ، تغطية للفدائيين من القصف الجوي الاسرائيلي [1].

وقد قام الطيران الاسرائيلي في الساعة ١٤٫١٠ ، لمدة ١٥ دقيقة بقصف الاوزاعي وبرج البراجنة من ضواحي بيروت بالقنابل ، الامر الذي ادى الى اغلاق مطار بيروت واصابة منطقة الاوزاعي بتدمير كبير .

وفي الساعة ١٥٫٠٠ ، قامت مجموعات مؤلفة من ثماني طائرات من نوع فانتوم F4 - E بقصف مخيم صبرا جنوب بيروت .

وقد استطاع الفدائيون ، بالرغم من كل الهجمات البرية والجوية الصهيونية ان يعاودوا قصف المستعمرات الشمالية الاسرائيلية بصواريخ الكاتيوشا ، مما احدث بعض الأضرار في مستعمرة « كريات شمونة » .

وقد دار قتال عنيف بين قوات المقاومة والعدو في منطقة العرقوب . ولم يتمكن العدو من السيطرة عليها حتى مساء يوم ١٥ آذار .

واكد رئيس الاركان الاسرائيلي مرة اخرى في الساعة ١٧٫٠٠ ان

---

(١) محطة الاذاعة الاسرائيلية ــ باللغة العربية سمعت ١٤٫٠٠ تاريخ ٣/١٥ .

العمليات الرئيسية ، التي كلف بها جيش الدفاع الاسرائيلي في الجنوب اللبناني قد انتهت[1] . كما صرح ناطق عسكري اخر بأن القوات الاسرائيلية قد تمكنت من الوصول الى جميع اهدافها عند حلول الظلام . وقال ان عمليات تطهير اماكن الفدائيين سوف تستمر طيلة الليل ، واضاف ان المسيحيين اللبنانيين « ويقصد الميليشيات اليمينية » قد حاربوا سوية مع القوات الاسرائيلية في بعض العمليات .

كذلك صرح بيغن رئيس الوزراء الصهيوني ، في مؤتمر صحفي عقده في القدس بأن الجيش الاسرائيلي قد أتم تنفيذ مهمته في جبهة مساحتها ١٠٠ كيلو متر مربع ، ويتوقع ان تحقق تسوية بشكل لا يعود الفدائيون لمهاجمة اسرائيل ومواطنيها في هذه المنطقة . وان القوات ستبقى حتى تتم هذه التسوية . وأضاف انه لايعتبر هذه العملية عملية انتقامية بسبب حادث يوم السبت الماضي « ١١ آذار » ، وان اسرائيل استخدمت حقها في الدفاع عن النفس ، وهاجم الاتحاد السوفييتي بسبب ادانته عملية الجيش الاسرائيلي[2] .

اما في داخل الوطن المحتل فقد اعلنت حالة استعداد في وحدات الشرطة الاسرائيلية تحسبا من وقوع اعمال فدائية انتقامية . وطلب من الشعب ابداء اليقظة والابلاغ عن مشاهدة اي جسم غريب فورا . كما

---

(١) واف سعت ٢٢٫٠٠ ــ ٣/١٥

(٢) محطة الاذاعة الاسرائيلية ــ باللغة العبرية ، ٢٣٫٠٠ ــ ٣/١٥ .

اوصى الناطق بالامتناع عن استخدام اية صفارات او ألعاب تسمع اصواتا تشبه اصوات الانفجارات[1] .

كما اعلن كيسنجر ان عملية الجيش الاسرائيلي في جنوب لبنان من اجل ضرب قواعد الفدائيين كانت عملا لا مفر منه . وقال ان هناك سببين اساسيين لهذه العملية اولهما ، ضرورة التصدي للارهاب ، والثاني ان الاعتداءات أتت من جنوب لبنان . وطلب استبدال القوات الاسرائيلية في جنوب لبنان بقوى من الجيش اللبناني النظامي[2] .

وكعادة الاسرائيليين باعلانهم عن خسائر بشرية ومادية مخفضة ، فقد اعلنوا ان عدد الاصابات في اليوم الاول من القتال كان فقط مقتل ١١ جنديا وجرح ٥٧ ، وسردوا لائحة بأسماء القتلى[3] .

ـــ الخميس ١٦ آذار :

تابع العدو في اليوم الثاني من العملية ، بالرغم من كذبه واعلانه انتهاء الاعمال القتالية ، التقدم تحت تغطية نيران الطيران والمدفعية . واستطاع ، في الساعة العاشرة من يوم ١٦ آذار ، احتلال بلدة راشيا الفخار وتابع قصف النبطية ، كفر تبنيت ـــ كفر رمان ـــ الجرمق ـــ كوكبا ـــ حاصبيا ـــ قنطرة وطريق صور ومخيم الرشيدية .

---

(١) محطة الاذاعة الاسرائيلية ـــ باللغة العبرية سعت ١٠ر٢٣ ـــ ٣/١٥ .

(٢) محطة الاذاعة الاسرائيلية ـــ اللغة العربية سعت ٣٠ر٦ ـــ ٣/١٦

(٣) محطة الاذاعة الاسرائيلية ـــ اللغة العربية سعت ٠٠ر٩ تاريخ ٣/١٦

كما تابعت الزوارق الحربية الاسرائيلية اعمال الدوريات في عرض البحر ، بالقرب من الصرفند « الواقعة بين صيدا وصور » ، وذلك بهدف منع امداد الفدائيين بالقوى والوسائط من البحر والبر .

واستخدم العدو الحوامات على نطاق واسع من اجل نقل الامدادات الى مناطق القتال واخلاء القتلى والجرحى .

وقد رحب العميل الخائن الرائد سعد الحداد في مؤتمر صحفي في المطلة بعملية الجيش الاسرائيلي واتهم سورية بتحريض الفدائيين على القيام بأعمال ضد الكيان الاسرائيلي .

وفي الساعة ١٣٫٣٠ ، اعلن مصدر فلسطيني ان قوات الفدائيين ما تزال تقاوم الغزو الاسرائيلي . وان العدو لم بعد يحتل سوى جيوب صغيرة غير مترابطة . وان الفدائيين قد اخلوا بعض المواقع متبعين اسلوب الكر والفر ضد مشاة ودبابات العدو .

وقد كرر الطيران الاسرائيلي ، ظهرا ، هجماته الجوية على مواقع الفدائيين ، حيث افاد الفلسطينيون بانهم اسقطوا طائرة معادية من نوع ميراج ، وانهم صدوا هجمات دبابات العدو المتكررة على بلدة راشيا الفخار . وقد سقطت هذه البلدة بعد مقاومة شديدة في الساعة ١٤٫٠٠ كما استطاع طيران العدو تدمير جسر بالقرب من جزين .

واعلنت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ان مجموع خسائرها حتى ذلك الوقت قد بلغ ٣٩ شهيداً وجريحا في صفوفها و ١٥٠ قتيلا وجريحا من المدنيين اللبنانيين والفلسطينيين ، في حين فقد الاسرائيليين حوالى

٣٥٠ جنديا بين قتيل وجريح ، بالاضافة لبعض الاسرى . بينما كررت اسرائيل بأن خسائرها قد بلغت فقط ١١ قتيلا و٥٧ جريحا .

وهكذا اصبح هذا التباين في اعلان أرقام الخسائر معروفا لكافة مصادر المعلومات في العالم العربي والغربي على السواء .

كذلك كرر العدو قصفه الجوي لمنطقة الاوزاعي في بيروت . وذكر ان هذا الحي قد دمر تدميرا كاملا ، وبلغت الضحايا المعلنة فيه حوالي ٢٠ قتيلا وعشرات الجرحى وتدمير ٥٠ منزلا .

وقد استغل العدو ليلة ١٥ ــ ١٦ آذار ١٩٧٨ من اجل امداد قواته بما يلزمها من ذخائر وتموين ، ومن اجل تبديل بعض وحداته المنهكة او المصابة بخسائر كبيرة . تابع تنفيذ اعماله القتالية ببطء شديد بهدف اخلاء منطقة جنوب لبنان من الفدائيين واعوانهم والاقلال ما امكن من خسائره البشرية والمادية ، مركزا اعماله القتالية الاساسية على اتجاهات المحاور المؤدية الى مدينة صور ووادي الليطاني .

ــ **الجمعة ١٧ آذار:**

واعتبارا من صباح هذا اليوم بدأ النشاط السياسي الدولي يدب لايقاف القتال فاقترحت بريطانيا وضع قوة سلام تابعة للامم المتحدة ، وطلبت الولايات المتحدة انسحاب القوات الاسرائيلية فورا من لبنان[١] وطلب ياسر عرفات من السادات تدخل امريكا لوقف القتال[٢] واعلنت

---

(١) و (٢) يونايتد برس ١٠ر٢ ، جريدة الجمهورية صباح الجمعة ١٩٧٨/٣/١٧ .

اسرائيل انها ستوافق على تواجد قوات الامم المتحدة في لبنان وانه بعد تواجد هذه القوى ستسحب قواتها من هذه المنطقة[1] .

واعلن كميل شمعون انه يحمل الفلسطينيين مسؤولية العملية الاسرائيلية الجارية في جنوب لبنان[2] .

واعلنت إسرائيل من اذاعتها ان قذائف الكاتيوشا سقطت صباح اليوم على عدد من المستوطنات في الجليل الاعلى الشرقي ، وكذلك قبل ساعة من اعلانها هذا البيان (الساعة ١٠ر٠٠) .

ولاول مرة استخدمت اسرائيل طائرات الـ ف ـــ ١٥ والقنابل العنقودية التي وصلت حديثا في قصف مواقع الفدائيين . كما واصلت قواتها البرية تمشيط المواقع الفدائية وعمقت تغلغلها في الارض اللبنانية ، حيث وصلت طلائع قواتها الى بلدة الطيرة شمال بنت جبيل .

واعلن الصليب الاحمر الدولي ان خسائر الفدائيين واللبنانيين خلال اليومين الماضيين قد بلغت ٦٠٠ منهم ٣٥٠ قتيلا وقد التجأ اكثر من مائة الف لبناني وفلسطيني مدني الى المعابد والمدارس .

واعلن الجنرال غور رئيس الاركان الاسرائيلي آنذاك ، ان المنطقة التي تسيطر عليها اسرائيل هي منطقة ضيقة لا تتجاوز الـ ١٠ كيلو مترات في حين ان مدى مدفعية الفدائيين هو أكثر من ٣٠ كيلو متراً . وانه ليس امام الجيش الأسرائيلي سوى الاستمرار في التوغل الى ما وراء خط الامان المحدد .

---

(١) محطة الاذاعة الاسرائيلة ، اللغة العبرية سعت ١٠ر٠٠ تاريخ ٣/١٧

(٢) محطة الاذاعة الاسرائيلية ، اللغة العربية سعت ١١ر٠٠ تاريخ ٣/١٧

وقد تابع الاسرائيليون التقدم على كافة المحاور وهاجموا سوق الخان ـــ كوكبا ـــ دير السريان ـــ حاريص ـــ كفرة ـــ البياضة ـــ مزرعة جل البحر ـــ تبنين في القطاع الاوسط منذ الصباح ، وتمكنوا من احتلالها في الساعة ٥٠ر١٦ ، وتابعوا قصف مدينة صور قصفا شديدا من الجو والبر ، بينما ظل الفلسطينيون يدفعون الامدادات المادية والبشرية عبر جسر الليطاني الى منطقة جنوب لبنان . وقد استطاعوا رشق المستعمرات الصهيونية في منطقة الجليل الاعلى مرة اخرى بالكاتيوشا في الساعة /٠٠ر١٨/ .

وبقي العدو لليوم الثالث على التوالي ينفذ قصفه الجوي والبري والبحري على مناطق تواجد الفدائيين في العرقوب ومعابر الليطاني من اجل عرقلة امداد الفدائيين وتكبيدهم اكبر ما يمكن من الخسائر . كما تمكن العدو من السيطرة على منطقة تبعد ٦ ـــ ١٢ كيلو مترا من الحدود الدولية ، حيث تحدد ذلك بالخط : الهبارية ، الفريديس ، سوق الخان ، جبل زهير ، القليعة ، دير السريان ، القنطرة ، مشارف تبنين ، كفرة ، الحنية ، تخوم مزرعة جل البحر ، راس البياضة . وتابعت قواته التقدم البطيء الحذر بحثا عن اعشاش المقاومة الفلسطينية .

وقد تقدم لبنان بشكوى الى مجلس الامن الدولي يطالب بوقف العدوان والمحافظة على استقلاله .

ـــ السبت ١٨ آذار :

استمر القتال صباح هذا اليوم في جنوب لبنان ، وكانت الخسائر

البشرية والمادية كبيرة لدى الجانب الاسرائيلي ، بحيث اضطر الجنرال غور ، رئيس الاركان الاسرائيلي ، لان يصرح بان نصف خسائر اسرائيل كانت نتيجة اصطدامها بحقول ألغام غير معروفة . استمر تقدم القوات الاسرائيلية على الاتجاه الساحلي بدعم من نيران البحرية المنتشرة جنوب صور ، على المحور : شمعة ، المنصوري ، مزرعة جل البحر . كما زج العدو بنفس الوقت قواته باتجاه تبنين وتم الاستيلاء عليها ظهرا . وبعد ذلك تابع التقدم باتجاه : حاريص ، كفرة ، صدّيقين .

وقد هدد رئيس الاركان الاسرائيلي ، بانه اذا استمرت شدة المقاومة الفلسطينية فانه سيأمر قواته بمتابعة التوغل نحو الشمال . وقال ان الحزام الامني سوف يمتد لمسافة ١٠ كيلو مترات ، داخل الاراضي اللبنانية ، فقط من اجل عدم استفزاز سورية ويتمنى ان لاتحصل اشتباكات مع الجانب السوري[١] .

وقامت الطائرات الاسرائيلية ، بعد ظهر اليوم بقصيف مناطق : قلية ، العيشية ، كفر تبنيت ، النبطية ، الغندورية ، صديقين ، راس العين ، انصار . وكانت قبل ذلك قد تعرضت منذ الصباح لرمايات المدفعية الثقيلة . كما قصف الطيران الاسرائيلي مهبطا للمنظمة في قرية انصار[٢] .

بعد ظهر هذا اليوم هدد السيد الرئيس حافظ الاسد ، بتدخل سوري في حال عدم توقف الهجوم الاسرائيلي على الجنوب اللبناني . وقال

---

(١) واف .. في الساعه ، ١٠ر١٤ من ١٨ اذار ١٩٧٨ .

(٢) محطة الاذاعة الاسرائيلية — باللغة العبرية في الساعة ٠٠ر١٦ من تاريخ ١٨ اذار .

سيادته ان العالم يتوقع ولا شك ، بأنه لابد ان تزداد مقاومة الاحتلال حجما ، اذا لم يتوقف العدوان على لبنان والمقاومة الفلسطينية ، واذا لم تنسحب القوات الاسرائيلية عن هذه الدولة . في خلال فترة المساء قصف الطيران الاسرائيلي المناطق المحيطة بحاصبيا بالقنابل مع استخدام الانارة الليلية .

ـ الاحد ١٩ آذار :

تابع العدو منذ الصباح الباكر ، اعماله العدوانية ، مركزا جهوده الاساسية باتجاه صور لاستكمال احتلال المنطقة الواقعة جنوبي نهر الليطاني . وقد تم التقدم على المحاور التالية :

ـ محور الطيبة ـ قنطرة الغندورية ـ دير قانون النهر ـ برج رحّال .

ـ محور السلطانية ـ طير زبنا ـ جويا ـ البازورية .

ـ محور صديقين ـ قنا ـ عين بعل .

ـ محور مزرعة جل البحر ـ راس العين ـ الرشيدية .

ـ محور دير ميماس ـ جسر الخردلي .

وكان يستخدم على كل محور من هذه المحاور قوة تعادل لواء من المشاة الميكانيكية او لواء مدرعا بالاضافة لاستخدام قوات من المغاوير .

في العرقوب اقتصرت اعمال العدو في هذا اليوم على تحصين المواقع المحتلة ومتابعة قصف الفدائيين الفلسطينيين بالنيران .

كما قام الطيران الصهيوني بمتابعة اعماله في قصف مناطق تجمع رجال المقاومة الفلسطينية في العرقوب ، وحاصبيا وشمالها ، وشمال الليطاني ، مركزا بشكل خاص على النبطية ، وعلى دعم تقدم قواته البرية على المحاور المذكورة .

كما قامت الزوارق الحربية المعادية بتركيز دورياتها على اتجاه نهاريا « في الارض المحتلة » — صور ، وقامت بقصف منطقة القاسمية ، صور ، الرشيدية ، حتى الساعة ٢٠٫٠٠ ، حيث بلغت قواتها الخط : برج رحال — العباسية — معركة — البازورية — ٢ كم جنوب راس العين .

وهكذا استطاعت قوات العدو حتى نهاية اليوم تطويق مدينة صور من الجنوب والشرق ، وبالسفن الحربية من الغرب وبقي الطريق الشمالي مفتوحا الى صيدا بيد القوات الفلسطينية .

— الاثنين ٢٠ آذار :

اعتبارا من الساعة ٥٫٤٠ واصلت قوات العدو تمشيط المنطقة الواقعة جنوبي الليطاني وشرقي صور ، واحتفظت بالخط المحتل مساء امس .

تابعت المدفعية المعادية تبادل اطلاق النيران مع المدفعية الفلسطينية في منطقة العرقوب في حين قام الطيران المعادي ، بمجموعات مؤلفة من ٢ — ٨ طائرات باستطلاع المحاور ، وقصف مدينة صور ومخيم الرشيدية ومواقع الفدائيين في قلية ، والدلاقي « في منطقة العرقوب » .

كذلك تابعت القطع البحرية الاسرائيلية دورياتها لمنع إمداد الفدائيين الفلسطينيين عن طريق البحر مع قصف بحزي لمدينة صور ومخيم الرشيدية . ولوحظ ان العدو تحاشى الوصول الى صور ، خشية المزيد من الخسائر . وهكذا انتهى الاجتياح الصهيوني للجنوب اللبناني في ٢٠ آذار ، وبقيت القوات الصهيونية تمشط المنطقة المحتلة وتوقف كل شخص تعاون مع المنظمة او تشتبه به .

سمات الاجتياح الاسرائيلي للجنوب اللبناني في آذار ١٩٧٨

١ ــ بلغ اجمالي الجهد الجوي المستخدم خلال هذه العملية حوالى ٨٠٠ ــ ٩٠٠ طلعة جوية .

٢ ــ سيطرت الزوارق الحربية الاسرائيلية على المنطقة المائية الممتدة من نهاريا حتى شمالي صور ، واشتركت في قصف الاهداف المدنية والفلسطينية الساحلية .

٣ ــ حققت العملية العدوانية الاسرائيلية ضد القطر اللبناني جزءا من الاهداف الموضوعة من الجهة الأمنية ، وهي تطهير منطقة جنوب نهر الليطاني من قوات المقاومة ، بصورة مؤقتة ووجهت ضربة للقوى الوطنية المتعاونة والمتعاطفة مع قوى الثورة الفلسطينية ، وزادت في عمق النطاق الأمني داخل الاراضي اللبنانية .

٤ ــ نفذت القوات الاسرائيلية عملياتها في الجنوب اللبناني بحذر وبطء شديدين للاقلال من الخسائر قدر الامكان ، وتجنبت الاشتباك مع القوات العربية السورية العاملة ضمن قوات الردع العربية .

ولندرك مدى فشل الاجتياح الاسرائيلي للجنوب اللبناني فيما يتعلق بالقضاء على بنية الثورة الفلسطينية ، يمكن أن نقرأ ما كتبه احد المعلقين الصحفيين الاسرائيليين ، وهو « يوري افنيري » حيث نشر ذلك في مجلة « هاعولام هازيه » العدد ٢١١٧ تاريخ ٢٩ آذار ١٩٧٨ ، تحت عنوان « حرب الليطاني » .

« يستطيع جيش الدفاع ان يتقدم الى الشمال والشرق والجنوب ، وبامكانه ان يدفع الفلسطينيين امامه من بلد الى آخر ، ولكنه لن يحل بهذه الطريقة مشكلتهم . ان نصف الشعب الفلسطيني قد دفع الى خارج البلد ، الذي كان يسمى فلسطين . وان مخيمات اللاجئين هي التي أنجبت الفدائيين .. لقد بدأت حرب الاستقلال بالاصطدام بين السكان اليهود والسكان الفلسطينيين ، كما ان حرب سيناء نشبت على اساس الحكاية الرسمية التي تقول بضرورة القضاء على اوكار الفدائيين . ونشبت حرب الايام الستة بسبب العمليات الفدائية من الاراضي السورية والتهديد بالرد الاسرائيلي ...

وقد نشبت حرب يوم الغفران في اعقاب عدم اعادة المناطق التي احتلت في الحرب السابقة ، واخيرا نشبت حرب الليطاني كرد مباشر على عملية فلسطينية فدائية ، ومع ذلك ، فلم تستطع اية حرب من هذه الحروب القضاء على القضية بل العكس هو الصحيح .

إن النشاط الفدائي ، الذي يضفي ظله منذ سنوات طويلة على دولة اسرائيل ناجم عن الواقع الفلسطيني ، وليكن رأي الانسان ما يكون حول

المسألة الفلسطينية ، الا ان الغبي أو الاعمى ، عديم المبدأ ، هو الذي يتجاهل الحقائق ...

واذا ما طرد الفدائيون من منطقة فسوف يظهرون في منطقة اخرى ... واذا لم يعد بامكانهم تحقيق هدف ما ، فانهم سيصلون الى هدف آخر ، واذا ما زالت زعامة ما منهم ، فانهم سيخلقون زعامات اخرى .. وهذه امور اولية مفهومة ، وقد اثبتها التاريخ مرات كثيرة .

٢ ــ القوات الدولية في جنوب لبنان

بتاريخ ١٩ آذار ، اصدر مجلس الامن الدولي القرار رقم ٤٢٥ ، بعد مناقشة العدوان الاسرائيلي على جنوبي لبنان . وقد تضمن القرار بصورة اساسية انه يجب احترام وحدة اراضي لبنان واستقلاله ، ويدعو اسرائيل لوقف عملياتها العسكرية فورا وسحب قواتها من جميع الاراضي اللبنانية ، وان يقيم قوة مؤقتة لمنطقة جنوبي لبنان تابعة للامم المتحدة ، وذلك من أجل تأكيد انسحاب القوات الاسرائيلية ، واعادة السلام والامن الى لبنان ، ومساعدة حكومته على ضمان عودة سلطتها إلى الجنوب . وقد طلب في القرار من الامين العام ان يبلغ مجلس الامن في غضون ٢٤ ساعة عن اجراءاته بخصوص تنفيذ هذا القرار .

تنفيذ القرار

بتاريخ ١١ نيسان ١٩٧٨ وصلت القوات الدولية الى جنوب لبنان

تنفيذا لقرار مجلس الامن . وقد دخلت المجموعة الاولى من هذه القوات وهي عبارة عن وحدة نرويجية ، احتلت سبع نقاط في منطقة مرجعيون .

واستنادا لذلك سحبت اسرائيل قواتها من الجنوب اللبناني ، وانهت الانسحاب من بعض المناطق بتاريخ ٣١ حزيران ١٩٧٨ ، واحتفظت بالسيطرة على منطقة حدودية بعمق ١٠ كيلو مترات ، تمتد من راس البياضة على البحر الأبيض المتوسط حتى بلدة مرجعيون تحت ستار ما يسمى بدولة لبنان الحر ، بقيادة الرائد اللبناني الخائن سعد حداد . وقد شارك في القوة الدولية الدول التالية التي ارسلت وحدات عسكرية ، كل منها في حدود كتيبة واحدة : فرنسا ، النروج ، ايرلندا ، نيجيريا ، نيبال ، هولاندا ، السنغال ، ايران ، ثم ساهمت دول اخرى مثل السويد ، غانا ، فيجي ، ايطاليا . وسحبت ايران وحدتها نهائيا في عام ١٩٧٩ بعد قيام الثورة الايرانية .

وبتاريخ ١ آذار ١٩٨٢ ، كان موقف القوات الدولية في لبنان على الشكل التالي :

ـــ القوة الهولندية	٨١	ومقرها في بلدة	حاريص
ـــ القوة الفيجية	٦٢٨	ومقرها في بلدة	قانا
ـــ القوة السنغالية	٥٦١	ومقرها في بلدة	معركة
ـــ القوة النيجيرية	٦٩٦	ومقرها في بلدة	الغندورية
ـــ القوة النيبالية	٤٢١	ومقرها في بلدة	كوكبا

ـــ القـــوة الايرلنديـــة ٦٠٠ ومقرها في بلدة تبنين
ـــ القـــوة النرويجيـــة ٦٨٨ ومقرها في بلدة الهبارية

ويبلغ مجموع هذه القوى ٤٤٠٤ بين جنود وضباط ، تضاف اليها قوة امداد وتموين تعدادها ١٢٠٩ ، مأخوذة من الدول : فرنسا ، النرويج ، السويد ، ايطاليا ، غانا .

ويبلغ المجموع العام للقوات الدولية في جنوب لبنان ٥٦١٣ ضابطا وجنديا . وتعمل جميع هذه القوات خارج منطقة سيطرة قوات سعد حداد اي خارج منطقة السيطرة الاسرائيلية ، الممتدة على طول الحدود الدولية الفلسطينية ـ اللبنانية بعمق عشرة كيلو مترات .

مخطط انتشار القوات الدولية ومسؤوليتها :

وكما في المخطط رقم ٢ ، فإن القوات الدولية انتشرت في المنطقة الواقعة جنوبي الليطاني بهدف منع الاعمال العسكرية في حدود هذه المنطقة .

وقد انتشرت معظم هذه القوات على شكل مخافر رصد وحواجز على الطرق ، بالاضافة الى مقرات السيطرة وقوة احتياطية متحركة .

ولكن ثبت من خلال فترة وجودها الطويلة ، بانها لم تكن بالفعالية المرجوة ولم تتمكن من فرض سيطرتها على المنطقة التي تشغلها بسبب استمرار المحاولات الاسرائيلية وعناصر سعد حداد في العدوان على القوى الوطنية اللبنانية والفلسطينية . وبقيت القوات الدولية لتسجل على هذا

وذاك عدداً من المخالفات وتبين بانها عاجزة عن فرض ارادتها ، اذ لم تحترم اوامرها من قبل المتخاصمين .

ولم يظهر للقوات الدولية هذه اي دور خلال الاجتياح الاسرائيلي اللاحق الذي حصل في ٦ حزيران ١٩٨٢ حيث انها لم تكن مؤهلة بحكم تشكيلها ومهمتها للتصدي الفعال لقوات الغزو الاسرائيلي الكبيرة .

٣ ــ عمليّات التخريب لانهاك قوات الردع وقوات الثورة الفلسطينية بالاستعانة بقوى محلية

لانعرف ، على وجه الدقة ، متى تم الاتصال ، ومن ثم التعاون بين ميليشيات الكتائب وبين السلطات السياسية والعسكرية الصهيونية ، ولا شك ان ذلك قد تم بقرار من حزب الكتائب اللبناني في عام ١٩٧٥ ، وحتما بايحاء اميركي أمن اللقاء بين بشير الجميل وبين الطغمة العسكرية الحاكمة في الكيان الصهيوني .

ولكن حركة معارضة وجود قوات الردع العربية في لبنان من قبل الانعزاليين بدأت مباشرة بعد ان استقر السلام بين الفئات المتصارعة في لبنان بدخول هذه القوات في صيف ١٩٧٦ ، فقد استقبلت هذه القوات ، في البدء ، من قبل كافة الفئات بالتهليل والترحيب ، وساد الهدوء في كل لبنان . ولكن هذا الهدوء ، الذي لم يعجب الامبريالية الاميركية والسياسة الصهيونية ، لم يستمر طويلا . فقد تدخلت هذه القوى لعرقلة مسيرة السلام في لبنان ووفاق الفئات المتخاصمة . وكان

الدليل يظهر واضحا لدى كل تقارب او توافق بين هذه الفئات المتخاصمة .

وكان لبنان يشكل بالنسبة للوطن العربي مركزا اساسيا من مراكز الفكر والثقافة . فهيمنة الاستعمار على هذا القطر العربي يعني تخريباً اساسيا في الوطن العربي ، ويعني ايضا هيمنة ثقافية وفكرية امبريالية على الفكر العربي . لذا كانت ردة الفعل من قبل الاستعمار تجاه هذا القطر العربي الصغير قوية ومركزة .

كان تخطيط حزب الكتائب اللبناني يهدف الى الانفراد الطائفي في حكم لبنان ، وابعاد شعبه عن انتمائه للامة العربية ، وكان قادته المشبوهون يحاولون تبديل الوجه الحضاري العربي فيه الى وجه انعزالي يؤمن لهم جعله مركزا للتآمر الدولي وتجارة التهريب والعمالة لاية جهة تدفع المال في منطقة الشرق الاسط .

ولم يكن حزب الكتائب هذا قويا من الناحية العسكرية بما فيه الكفاية ليربح صراعا ضد القوى الوطنية اللبنانية . وقد راى قادته في هذا الضعف انحدارا نحو الزوال ، لذلك قرروا القبول بدخول القوات العربية السورية الى لبنان بهدف ايقاف الاقتتال الطائفي حماية لهم .

وعندما لمس هؤلاء القادة المشبوهون الخط القومي العربي الذي تنحوه القوات السورية في لبنان ، تنكروا لهذه القوات وبدؤوا الاتصالات الخفية مع العملاء الاسرائيليين والامبرياليين في المنطقة . وبدأ التسليح الصهيوني يصل الى مناطقهم وبدأت اسرائيل تدرب الدورات تلو الدورات تأهيلا لها لمعاودة الصراع ضد العروبة في لبنان .

ومنذ اليوم الاول من عام ١٩٧٧ بدأت القوى الانعزالية بالقيام باعمال استفزازية كانت مخططة من قبل الجانب الصهيوني ترافقها دعاية موجهة من اذاعة خاصة وصحف خاصة مشبوهة .

ومن هذه الاعمال :

- استمرار فتح نيران القنص من مراكز في بيروت الشرقية ضد أي شخص موجود في بيروت الغربية دون تمييز .
- وضع اشراك متفجرة بدأت بحشوات صغيرة وانتهت بخبرات صهيونية على شكل سيارات مفخخة بكميات كبيرة من المتفجرات ضد كافة الاهداف الوطنية اللبنانية والفلسطينية وقوات الردع العربية .
- افتعال معارك صغيرة في اماكن متفرقة ضد قوات الردع ، كانت تدوم من عدة ساعات حتى عدة ايام ، بهدف خلق الذريعة لاسرائيل والدول الامبريالية للتدخل لصالحهم وتدويل القضية عوضا عن ابقائها في الاطار العربي .

ويمكن سرد بعض الحوادث الهامة فقط في هذا المجال :

بتاريخ ١٩٧٧/١/١ قامت عناصر من حزب الكتائب في منطقة انطلياس ، شمال بيروت بخطف عمال سوريين وتصفيتهم . كما تم بنفس التاريخ اطلاق النار على سيارة مدنية لبنانية في كورنيش المنارة في بيروت ، من قبل عناصر مجهولة نتج عن ذلك مقتل جميع من كان في السيارة وكان بينهم ضابط سوري وعنصران من الفدائيين الفلسطينيين ومدني .

وفي ٣ كانون الثاني ١٩٧٧ انفجرت عبوة ناسفة كبيرة في منطقة مار ميخائيل في الاشرفية (في مدينة بيروت) وادى الانفجار الى تحطيم

عدد من السيارات المدنية ونشوب حرائق كبيرة في المنطقة . واسفر الحادث عن مقتل ٤٠ شخصا وجرح عدد مماثل وتدمير ٣٠ سيارة مدنية .

واخذت عناصر ميليشيات الكتائب باقامة الحواجز على الطرق وتوقيف السيارات واحتجاز المواطنين على هوياتهم . كما وقع اعتداء في ٥ كانون الثاني على سيارة تكسي بداخلها اربعة اشخاص فلسطينيين وسائق لبناني . فقد احتجز حاجز كتائبي مسلح هذه السيارة في جونية واسفر الحادث عن مقتل الفلسطينيين الاربعة وضرب السائق المدني اللبناني .

وفي ٢٧ شباط ١٩٧٧ القى بشير الجميل خطابا في اجتماع حزبي كتائبي في بلدة شكا (جنوب طرابلس) قال فيه ، سيخوض معركة مقبلة مع قوات الردع اعنف واقسى ..واعلم أنه سيكتب تقريراً بهذا الكلام . ولست خائفا ، واقولها علنا .

وبتاريخ ٢٨ شباط ١٩٧٧ ارسل ستة الاف متطوع من ميليشيات الكتائب الى اسرائيل بحرا عن طريق جونية لتدريبهم والحاقهم بالجنوب ـــ القليعة ـــ بغية تحقيق الاهداف التالية :

ـــ توسيع المعركة في الجنوب .

ـــ القيام باعمال تخريبية .

ـــ اخراج الفلسطينيين من بيروت .

ـــ الضغط لاخراج قوات الردع العربية .

حوادث في الجنوب بدعم من اسرائيل تلصق بسعد حداد العميل

الاسرائيلي ، واعمال في الشمال ضد قوات الردع العربية . ولا يتسع مجلد كبير لذكر كافة اعمال الكتائب من قنص وتفجير قنابل وعبوات ناسفة وقصف خلال مدة السنوات التي تلت .

كانت اسرائيل تتصل بالعناصر الكتائبية حتى وصل الامر الى ان تكون عناصر الميليشيات عناصر اسرائيلية من حيث التسليح والتدريب والتربية . بل كان الخبراء الاسرائيليون يتواجدون ويشتركون في كثير من اعمال الاضطرابات والاشتباكات اليومية .

اهم اعمال التخريب التي نفذتها الميليشيات الانعزالية في لبنان

— اعمال قصف ونسف وهجوم في الجنوب من قبل ميليشيات الخائن سعد حداد من أجل توسيع حزام الامن حول الحدود اللبنانية الفلسطينية لصالح اسرائيل .

— اعمال منسقة من قبل ميليشيات بشير الجميل في شمال لبنان مع اعمال ميليشيات الجنوب تهدف الى خلق الاضطرابات في وجه قوات الردع العربية .

— في ٤ كانون الثاني ١٩٧٧ ، اقامت ميليشيات بشير الجميل وكميل شمعون حواجز مسلحة على طريق طرابلس — بيروت خلال الليل واوقفوا عددا من المسافرين وقتلوهم واحضروا جرافة حفروا بها قبرا جماعيا ودفنوهم فيه . ويقدر عدد هؤلاء بحوالي ٢٤ شخصا وتبين فيما

بعد ان مرقص الدويهي كان المسؤول عن هذه العملية ، وهو من اتباع كميل شمعون (الاحرار) وان مكان طمر الجثث يقع غرب سجن رومية (٨ كم شرق مدينة بيروت) .

ــ ٦ كانون الثاني ١٩٧٧ خطف واحتجاز ١٠ عمال سوريين و ٩ عمال مصريين في مزرعة ياشوع جنوب شرقي جونية وبقي مصيرهم مجهولا .

ــ ٢٩ اذار ١٩٧٧ تقدمت قوات اسرائيلية مع قوات سعد حداد واحتلت التلال المشرفة على بلدة الطيبة جنوب غرب مرجعيون . ثم هاجمت البلدة ودخلتها بعد اشتباكات مع المنظمات الفلسطينية .

ــ ٢٨ نيسان ١٩٧٧ قام حوالي ٤٠ ــ ٥٠ مسلحا من الميليشيات اليمينية باطلاق النار من التلال المحيطة بقرية بيلا (جنوب زغرتا) على دورية لقوات الردع العربية . وفي يوم ١٥ ايار ازداد عدد المسلحين في التلال المحيطة بقرية بيلا (١٥٠ ــ ٢٠٠) مسلح وقاموا بفتح النار ضد وحدات الردع التي تقدمت باتجاه بيلا وبرحليون لجلب شخص مخطوف ونصبوا كمينا لاحدى دوريات الردع . وقد اضطرت قوات الردع لتطويق القرية والمناطق المحيطة بالمسلحين واستعادت زمام الموقف بالقوة .

ــ واعتباراً من ٥ ــ ٢٩ حزيران قصف إسرائيلي ، ومن قبل الميليشيات ضد قرى الجنوب اللبناني .

ــ ٢ تموز ١٩٧٧ هجوم اسرائيلي مع الميليشيات على بلدة يعرين (٢ كم

شمال الحدود الدولية) تصدت للهجوم فصائل المقاومة الفلسطينية وانسحب العدو في الليل .

— ٢٢ تشرين الاول : خمسة مسلحين في جديدة غزير (شرق جونية) اختطفوا أربعة سوريين من العمال واعتدوا عليهم بالضرب وسلبوا اموالهم .

— ٥ تشرين الثاني ١٩٧٧ تعرضت قرى الجنوب لقصف مدفعي ثقيل .

— ٨ و٩ و١١ تشرين الثاني ١٩٧٧ قصف مدفعي وبحري اسرائيلي وانعزالي لمدينة صور وقصف جوي للمنطقة الواقعة بين صور والرشيدية .

— ٢٦ تشرين الثاني ، اطلاق النار من قبل حزب الكتائب على احدى دوريات الردع في رياق .

— ١٢ كانون الاول اعمال استفزازية واسعة من ميليشيات الكتائب برمي اصابع ديناميت في مناطق عدة في بيروت (عين الرمانة ، فرن الشباك ، سن الفيل ، الاشرفية) وحرق عجلات سيارات واطلاق نار وتوزيع مناشير تحريضية .

— طيلة كانون الثاني ١٩٧٨ ، انفجارات في عدة مناطق لبنانية .

— ٧ كانون الثاني ، استفزازات من العناصر الكتائبية في الجيش اللبناني ضد قوات الردع العربية في منطقة الفياضية (ثكنة شكري غانم) واطلاق النار من قبل عناصر غير منضبطة من الجيش اللبناني وعناصر ميليشيات الكتائب ضد قوات الردع .

ـــ ٨ كانون الثاني تطور الاستفزاز من جديد في منطقة الفياضية تبعه استفزاز اخر في منطقة عين الرمانة .

تزامن هذا الاستفزاز مع قصف مدفعي اسرائيلي لعدة قرى في جنوب لبنان وتبادل برقيات لاسلكية بين كميل شمعون في بيروت والرائد شدياق (معاون الخائن سعد حداد في الجنوب) .

ـــ ٩ كانون الثاني ، من الصباح حتى المساء فتحت ميليشيات الكتائب والاحرار نيرانا غزيرة على قواع الردع العربية في عين الرمانة ، وفرن الشباك ، والفياضية والاشرفية والتباريس . وقصف اسرائيلي بالمدفعية لقرى الجنوب .

ـــ ١٠ و ١١ شباط متابعة الاعمال الاستفزازية من الميليشيات اليمينية .

ـــ ١٦ شباط تعرضت عربة جيب لقوات الردع العربية لنيران من الميليشيات في فرن الشباك .

ـــ ١٥ آذار بدء الاجتياح الاسرائيلي لجنوب لبنان .

ـــ ١٣ نيسان اطلاق نار من ميليشيات (شمعون) وقطعت اتصالات قوات الردع السلكية في الحازمية ـــ سن الفيل .

ـــ ١٧ نيسان خطف ٨ عمال سوريين حيث قتلوا في المنطقة الشرقية تمكن واحد من الهرب مطعونا بسكين .

ـــ ١٣ حزيران ١٩٧٨ ، ٣٠٠ مسلح من ميليشيات بشير الجميل تهاجم قصير الرئيس فرنجية في اهدن ، وتقتل الحراس وطوني فرنجية نجل الرئيس الاسبق سليمان فرنجية وزوجته وابنته وخادمته . خسائر القصر ٢١ عنصرا وتدمير ٥ سيارات .

ـــ ١ ـــ ١٧ تموز ١٩٧٨ انتشار مسلح لميليشيات الجميل في منطقة الرمانة ـــ ساحة البرج واعتداء على المواطنين السوريين في المنطقة الشرقية من بيروت . واطلاق النار ضد قوات الردع العربية من اسلحة خفيفة وهاونات واسلحة مضادة للدبابات واقامة متاريس وتكديس ذخائر .

ـــ ١٨ تموز ، اطلاق نار من الميليشيات على قوات الردع العربية ، اصابة سيارة عسكرية سودانية ومقتل سائقها .

ـــ ١٩ ـــ ٣١ تموز ، متابعة الاستفزازات باستخدام هاونات ١٢٠ مم ومدافع ١٠٦م .

ـــ ١ ـــ ١٨ آب ، اطلاق نار بين شديد ومتقطع واعمال تحصين لعناصر الميليشيات في عين الرمانة وفرن الشباك والمرفأ مع متابعة القنص .

ـــ حتى ٢١ تشرين الثاني استمرت اعمال الاستفزاز باطلاق نيران القنص وبعض طلقات الهاون والاسلحة المضادة للدبابات ضد قوات الردع العربية .

ـــ حتى ٢٥ كانون الاول ١٩٧٨ متابعة نيران القنص الخفيفة وبعض طلقات الهاون المنفردة .

ـــ كانون الثاني وشباط واذار ونيسان ١٩٧٩ استمرار اعمال الاستفزاز نفسها مع بعض محاولات التسلل باتجاه بعض مخافر قوات الردع العربية ، وقد صدت كافة المحاولات .

وبقيت بعد ذلك اعمال القنص الفردي مستمرة يوميا وبشكل خفيف بهدف توتير الاجواء حتى نهاية عام ١٩٧٩ .

— في ٣٠ حزيران ١٩٧٩ اطلقت عناصر ميليشيات بشير الجميل المختبئة وراء وحدة صغيرة من الجيش اللبناني النار ضد وحدة هندسة من قوات الردع العربية كانت تفتح طريقا من البقاع حتى افقا عبر الجبال . حصلت معركة بسيطة ، استخدمت فيها الهاونات والمدفعية والصواريخ المضادة للدبابات من جانب قوات الردع العربية ، وفرت عناصر الميليشيات خلال ساعات من بدء الاشتباك وتم فتح الطريق المطلوبة .

عام ١٩٨٠

— ١٢ شباط ، استغلت ميليشيات بشير الجميل عدم دخول دوريات قوات الردع العربية الى قرية قنات ، في القطاع الشمالي « غرب حدث الجبة » ودخلت باعداد كبيرة « حوالي ٣٠٠ — ٤٠٠ عنصر » الى البلدة .. وبعد خداع قام به مختار القرية لقائد القطاع من القوات العربية السورية ، قامت دورية آلية من قوات الردع بدخول القرية ، ففتحت عليها النيران المفاجئة ، فاصيبت الآلية واستشهد اربعة عناصر منها . ورفض بشير الجميل تسليم جثث الشهداء والالية ، واعتبر انه بدأ يحرر لبنان منذ هذا الوقت ، وحشد اعدادا كبيرة من ميليشياته في القرى المجاورة مع مدفعية ثقيلة اخذت من الجيش اللبناني .

وقد اضطرت قوات الردع العربية لخوض معركة هذه القوات انتهت في ١٧ شباط باعادة تطهير البلدة والمرتفعات المجاورة لها ، وفرت الميليشيات منها بعد ان تركت اعدادا كبيرة من القتلى في البلدة ، ساد بعد هذه المعركة هدوء طويل في المنطقة .

ــ ٢٤ و٢٥ حزيران ١٩٨٠ . تجددت اعمال القنص في الليل ضد قوات الردع العربية .

ــ ١٥ كانون الاول ١٩٨٠ ، توتر الوضع في مدينة زحلة بين انصار ميليشيات بشير الجميل « الكتائب » وميليشيات كميل شمعون « الاحرار » . وانتشرت بين الطرفين اعمال العنف واقامة الحواجز . فدخلت دوريات من قوات الردع العربية بناء على طلب شخصيات كبيرة من مدينة زحلة . فتعرضت احدى دوريات الردع لكمين كتائبي فسقط عدة شهداء من الردع .

وبهذا بدأت احداث زحلة الكبيرة .

٤ ــ معركة زحلة ودلالاتها

زحلة مدينة كبيرة في البقاع تقع شمال طريق دمشق بيروت الدولية على مسافة ٥ ــ ٦ كيلو مترات . ويبلغ تعداد سكانها حوالي ٢٠٠ الف نسمة وتعتبر زحلة عاصمة البقاع واقرب المدن اللبنانية الكبيرة الى القطر العربي السوري . وتعيش المدينة على التجارة والاعمال المصرفية وبصورة خاصة على التجارة مع السوريين . ويسكن المدينة اعداد كبيرة من العائلات الدمشقية والحمصية في وئام مع سكان المدينة الهادئة المسالمة .

وتسيطر زحلة اقتصاديا على كامل النشاط الزراعي والصناعي والمالي في البقاع . ولذا فان السيطرة عليها من قبل الميليشيات الكتائبية تعتبر تفكيكا لاهالي البقاع وبذر الشقاق بينه وبين اشقائه السوريين . كما ان البقاع هو اسهل واقرب طريق لاتصال ميليشيات بشير الجميل عسكريا مع ميليشيات العميل سعد حداد وبالتالي مع العدو الصهيوني .

وقد اوحت اسرائيل الى بشير الجميل ان يبدأ اعمال الاستفزاز ضد قوات الردع العربية في البقاع وان ينطلق من هذه المدينة ، حيث يمكن التأثير عليها باسم الدفاع عن المسيحية .. الخ . بحيث يتطور النزاع بين الميليشيات الكتائبية (تحت اسم عام هو سكان زحلة) وبين قوات الردع العربية . عندئذ ، وبعد حملة اعلامية عالمية كبيرة مضللة تحاول اثارة النعرات الطائفية في لبنان ، تتدخل القوات الصهيونية لانقاذ المسيحية ويكون لدخولها الذريعة الواضحة .

وبدخول القوات الصهيونية الى زحلة سواء عن طريق الهجوم من اتجاه البقاع او اتجاه الجبل (جزين ـــ الشوف ـــ المديرج ـــ زحلة) فان القوات العربية السورية في لبنان (قوات الردع العربية) الموجودة غرب شتورة ستصبح مقطوعة عن القوات الرئيسية . وقد كانت هذه خطة تطويق كاملة تشترك فيها القوات الصهيونية الى جانب ميليشيات حزب الكتائب .

وضعية المدينة قبل المعركة :

نظرا لعدم وجود اية حساسية بين سكان زحلة وقوات الردع العربية فلم يكن يوجد في زحلة كمدينة سوى مركز واحد لقوات الردع موجود في

منطقة (جسر زحلة) مؤلف من دبابة واحدة وعربتين مدرعتين مع بضعة عناصر لايصل عددها الى الـ / ٢٠ / فردا وكان الهدف من وجود هذا المركز الذي كان يطلق عليه في لبنان تسمية الحاجز (حاجز جسر زحلة) هو مساعدة قوى الامن الداخلي اللبنانية في المحافظة على الامن وشد ازرها عند اللزوم في السيطرة على اعمال المخالفات والشغب التي تثيرها بعض العناصر وكانت هذه المخالفات نادرة عمليا .

وعدا عن هذه القوة فلم يكن هناك اي جندي من جنود قوات الردع العربية ، وذلك منذ بداية الاحداث في لبنان حتى اواخر تشرين الثاني من عام ١٩٨٠ .

اما اقرب قوة عسكرية لقوات الردع العربية فكانت موجودة في مدينة رياق التي تبعد عن زحلة مسافة ٨ ـــ ٩ كم .

منذ اواسط عام ١٩٧٨ بدأ بشير الجميل يعزز وجود عناصره داخل المدينة وذلك بارسال عناصر ميليشياته بشكل منفرد إما بواسطة الطرق الجبلية المختلفة الكثيرة في المنطقة او على الطريق العام .

واستعدادا للسيطرة على المدينة أنشأت الميليشيات الكتائبية طريقا جبليا تمتد عبر الوديان (عيون السيمان ـــ قناة باكيش وجبل صنين) التي تدخل مدينة زحلة من الشمال والغرب ولم يكن في هذه المناطق اي وجود لقوات الردع العربية حيث تتسم دوما بالهدوء .

غير انه في بداية عام ١٩٧٩ بدأت تصل معلومات لقيادة القوات العربية السورية في لبنان عن انشاء مراكز تدريب ورمي لعناصر الميليشيات في الوديان الواقعة شمال وغرب مدينة زحلة وعن جرائم ترتكب ضد بعض

العناصر المناوئة للميليشيات كالخطف والقتل . وبالاضافة الى ذلك بدأت الميليشيات تحتل بعض الابنية الكبيرة في اطراف المدينة كالمدارس والاديرة لتحولها الى ثكنات تخبأ فيها الاسلحة وتجتمع فيها عناصر الميليشيات القادمة من خارج زحلة كما فتحت مكاتب لحزب الكتائب في عدة امكنة من المدينة :

ولم يقصر حزب الاحرار عن حزب الكتائب فانشأ مكتبا له في المدينة وبدأ ايضا يسرب عناصره من مدنيين واشباه العسكريين الى زحلة حيث كان يعتبر ان المدينة يجب ان تخضع لة وليس لبشير الجميل .

استمر هذا النشاط داخل المدينة مدة تزيد عن السنة والنصف بتستر كامل ودون ظهور مسلح من قبل عناصر الميليشيات داخل المدينة . فقد كان بنية بشير الجميل التوسع داخل المدينة وتحريض اهلها تدريجيا حتى تصبح كلها معادية لسورية ولقوات الردع العربية السورية .

وعندما نشب الصراع الكبير بين ميليشيات بشير الجميل وميليشيات كميل شمعون واستطاعت الاولى تصفية الثانية تقتيلا وذبحا في كانون الاول ١٩٨٠ في المنطقة الانعزالية وقع النزاع ايضا في مدينة زحلة بين عناصر هذه الميليشيات .

ففي ١٥ كانون الاول ١٩٨٠ قامت ميليشيات بشير الجميل بمهاجمة مكتب حزب الاحرار في المدينة بالإسلحة الخفيفة (البنادق الرشاشة والـ ر ب ج) وجرى اطلاق نار شديد بين الطرفين اقلق سكان المدينة الذين سارعوا الى ايفاد وجهاء ووزراء المدينة الى قيادة قوات الردع

والى القيادة العامة في دمشق يطلبون فيها تدخل قوات الردع لايقاف المجزرة بين الطرفين واعادة الهدوء والسلام للمدينة .

وبناء على ذلك اصدرت قيادة القوات العربية السورية الاوامر بدخول دوريات مدرعة وآلية الى شوارع المدينة الرئيسية وفرض الهدوء ومنع المظاهر المسلحة ، واتخذت هذه القوات عدة اماكن لها في المناطق الهامة من المدينة وفرضت النظام . وتوقف على الاثر اطلاق النار بين الطرفين وطوق الحادث مؤقتا . ولكن بشير الجميل لم يعجبه ذلك لان خطته تعطلت بدخول هذه المفارز الصغيرة من قوات الردع العربية الى المدينة . فبدأت عناصره باثارة القلاقل من جديد داخل المدينة .

فبتاريخ ١٩ كانون الاول ١٩٨٠ وردت معلومات لقيادة قطاع البقاع من قوات الردع العربية عن اختلال الامن داخل المدينة وعن انتشار عناصر مسلحة داخلها توقف المواطنين وتفرض عليهم التفتيش كما تعتقل بعضهم . فارسل قائد القطاع على الاثر دورية آلية الى منطقة الحادث في المدينة بحثا عن المسلحين فاصطدمت هذه الدورية بكمين نصبته عناصر الميليشيات وفاجأت الدورية بنيران من اسطحة ونوافذ الابنية ادت الى استشهاد قائد الدورية مع اربعة من عناصره وجرح اثنين .

ولدعم اعمال بشير الجميل ولو من الناحية المعنوية قامت ميليشيات العميل سعد حداد باعتدة ورجال صهاينة بقصف مواقع للفلسطينيين في جنوب لبنان (النبطية والجرمق) وكذلك مخافر لقوات الردع في الجنوب اللبناني (العيشية كفر حونة) حيث استشهد ايضا ثلاثة عناصر من قوات الردع العربية واصيب اثنان بجراح .

ازاء هذا الموقف قامت مدفعية قوات الردع العربية الثقيلة في الساعة ٣٠ر٦ من صباح ٢٢ كانون الاول ١٩٨٠ بقصف المنطقة التي انطلق منها الاعتداء الصهيوني في الجنوب (في منطقة العميل سعد حداد) حيث كان يوجد تجمع للقوات الاسرائيلية داخل الاراضي اللبنانية وألحقت بها خسائر في العتاد والرجال .

اما في مدينة زحلة فقد سارع وجهاؤها ووزراؤها لعقد اجتماع مع قائد القوات العربية السورية في لبنان بهدف معالجة موضوع الشهداء والجرحى الذين وقعوا في زحلة من القوات السورية دون اصابة اهل زحلة بالذعر ، من جراء انتقام محتمل من قبل قوات الردع العربية . الا ان القيادة طمأنت الوجهاء بانها لن تثير اعمالا عسكرية داخل المدينة، وطلبت منهم القيام بالتوسط مع من يلزم لتسليم الجناة الى قيادة الردع . ولكن كانت قيادة القوات مقتنعة مسبقا بان هؤلاء الوجهاء ليس لهم سلطة على الميليشيات وهم اضعف من ان يستطيعوا القبض على المجرمين .

غير ان هذا كان غير ما يخططه بشير الجميل واعوانه الاسرائيليون . ففي صباح ٢٢ كانون الاول بدأ التصعيد في الموقف من قبل عناصر الميليشيات الكتائبية حيث بدأت هذه العناصر بمحاصرة مراكز من قوات الردع داخل المدينة وبدأت تمطرها برمايات الاسلحة الخفيفة من الاسطحة والنوافذ المحيطة بهذه المراكز .

وهنا حركت قيادة القوات العربية السورية في لبنان وحدتي مغاوير طوقت بها مدينة زحلة من الشمال والجنوب والشرق ومنعت دخول الغرباء الى المدينة واخذت تفتيش الخارجين .

وفي ٢٤ كانون الاول ١٩٨٠ بدأت الحياة الطبيعية تعود شيئا فشيئا الى المدينة تحت ضغط اهالي المدينة على الميليشيات حيث كان سلوك الاخيرة يشكل تهديدا لسكان المدينة .

وبسبب انقطاع اتصال بشير الجميل مع عناصر ميليشياته التي نقلت الى المدينة وبسبب التطويق حاول تأمين الاتصال عن طريق ارسال مفارز ومجموعات ترسل سيرا على الاقدام عبر الوديان وقمم جبل صنين مع استغلال ظلام الليل .

وهكذا بقيت الحياة هادئة في المدينة حتى كان صباح ٣٠ اذار ١٩٨١ حيث صدر الامر للميليشيات للتحرش بعناصر القوات السورية في زحلة .

ففي هذا اليوم تعرضت سيارة نقل عسكرية تنقل التموين للقوات قرب تمثال السيدة العذراء جنوب زحلة لرماية رشاشات من منطقة حوش الامراء .

وفي ٣١ اذار اطلقت الميليشيات الموجودة على المرتفعات شمال مدينة زحلة النار على وحدات قوات الردع في المنطقة وتكرر هذا العمل في ١ نيسان ايضا وبكافة الاسلحة التي نصبتها الميليشيات هناك .

وفي ٢ نيسان فتحت عناصر الميليشيات النار من اسلحتها ايضا ضد مراكز وحدات الردع في داخل المدينة كما حاولت قوة منها التسلل عبر البيوت السكنية لتطويق واقتحام مركز قوات الردع الموجود في منطقة جسر زحلة . الا ان عناصر الحاجز ردوا الاعتداء والحقوا الخسائر بالمهاجمين .

وقد رافق هذا التصعيد في مدينة زحلة وجرودها تصعيد اخر للموقف في مدينة بيروت حيث فتحت الميليشيات نيران اسلحتها الثقيلة من الهاونات والمدفعية ضد مراكز قوات الردع في بيروت الغربية كلها وهنا سارعت المنظمات الفلسطينية والوطنية اللبنانية بفتح نيران مؤثرة على مصادر اطلاق النيران في المنطقة الشرقية من العاصمة . كما قامت قوات الردع بالرد على مصادر النيران وإسكات نيران الهاونات والمدفعية المناوئة .

وقد تدخل الرئيس الياس سركيس وامر بايقاف اطلاق النار بين الطرفين فاوقفت قوات الردع نيرانها في الساعة ١٢٫٣٠ ، في حين بقيت الميليشيات تطلق النيران العشوائية الى مابعد الساعة ٢٠٫٠٠ .

ولاتمام الخطة فان الميليشيات عاودت فتح نيران القنص ضد قوات الردع العربية في منطقة زحلة وفي مدينة بيروت في صباح ٣ نيسان ١٩٨١ . وبنفس الوقت قامت مدفعية العدو الصهيوني والعميل سعد حداد بقصف مدينة صيدا والحقت بها اضرارا مادية وبشرية كبيرة . كل ذلك لتشجيع اعمال بشير الجميل في بيروت وزحلة .

وبتاريخ ٤ نيسان استمر اطلاق النار في جرود زحلة ومدينة بيروت ، واستخدمت نيران المدفعية من قبل الميليشيات الكتائبية والعناصر الاسرائيلية المعززة لميليشيات بشير الجميل التي كانت موجودة في منطقة جبل صنين ضد قوات الردع الموجودة حول مدينة زحلة وداخلها ، وكذلك بقصف بلدة شتورة في محاولة لاصابة قيادة القوات السورية في لبنان . وكان الرمي ينفذ بمدفع او مدفعين ثقيلين منفردين .

وفي الوقت نفسه اخذت المعلومات تتوارد الى قيادة القوات السورية

في لبنان عن حشود اسرائيلية معادية فى منطقة الشريط الحدودي ، وان هذه الحشود تقوم بالرمي المستمر في منطقة الجنوب ، كل ذلك لتشجيع اعمال ميليشيات بشير الجميل . وقد احصي وجود ٦٠ دبابة اسرائيلية في قطاع الخائن سعد حداد . كذلك وردت معلومات عن حشد عدد من الدبابات الكتائبية ، القديمة الموردة من اسرائيل لتعزيز ميليشيات بشير الجميل ، في المناطق الجبلية القريبة من مدينة زحلة « فاريا ــ عيون السيمان » .

ازاء هذا الموقف ، كان على قوات الردع العربية ، ان تقف بحزم لتحول دون تنفيذ هذه الخطة وتقطع الطريق على الميليشيات وتنظفها من المناطق المشرفة على مدينة زحلة على الاقل .

وبتاريخ ٥ نيسان ١٩٨١ ، بدأت اعمال التطهير . فقامت الوحدات الخاصة المعززة بالدبابات ، بمهاجمة معاقل الميليشيات في جرود زحلة الشمالية ، حيث أبدت الميليشيات مقاومة اولية شديدة ، سرعان ماانهارت وانكفأت هاربة الى المدينة . وقد تم الاستيلاء في الخنادق والمستودعات على عدد كبير من الاسلحة بينها الهاونات الثقيلة « ١٢٠ مم » والاسلحة المضادة للدبابات « ر ب ج » والاسلحة الخفيفة الاخرى والذخائر ومعدات لاسلكية مصنعة في اسرائيل .

استمرت قوات الردع في مطاردة فلول ميليشيات بشير الجميل في المنطقة الواقعة الى الشمال الغربي من مدينة زحلة حتى اطبقت على شريان الحياة ، الذي كان يمد الميليشيات باسباب القوة ، وهو الطريق الجبلي الوعر . واستمرت هذه المطاردة حتى استولت قوات الردع على قمة جبل

صنين في ١١ نيسان ١٩٨١ مدمرة كافة الاسلحة الثقيلة التي وجدتها في منطقة القمة ، والمراصد[1] التي كان يستخدمها عناصر الميليشيات والخبراء الاسرائيليون المتعاونون معهم ، للرمي على منطقة زحلة وعلى بلدة شتورة ، وبهذا انتهت الاعمال القتالية المطلوبة حيث اشرفت قوات الردع العربية من قمة صنين على المنطقة الانعزالية كلها ، وفي المقدمة على فاريا وعيون السيمان إلخ .

وقد كان للقوى الوطنية اللبنانية المحلية دور كبير في توعية الجماهير اللبنانية الى اخطار وصول الميليشيات الى البقاع واتصالها بقوات العميل سعد حداد وبالتالي باسرائيل . لذا فقد وقف كافة المواطنين اللبنانيين في البقاع بكل وعي وحزم الى جانب قوات الردع العربية وقد امن هذا اجناب ومؤخرة القوات السورية طيلة القتال ضد الميليشيات .

لا بل اكثر من ذلك فقد اشتركت المفارز المسلحة من هذه القوى في القتال نفسه ووصلت بعض مفارزها الى قرب الغرفة الفرنسية نفسها ، بالرغم من الثلوج العميقة التي كانت تغطي طرق تحركاتها .

هنا تبدلت لهجة بشير الجميل ، واصبح يتكلم لغة السلام ويعرب عن استعداده للذهاب الى دمشق للتفاهم مع السوريين . وكان ذلك نتيجة انكساره في المعركة وخذلانه من قبل اصدقائه الصهاينة .

---

(١) ان اهم هذه المراصد هي الغرفة الفرنسية ، التي انشئت في عهد الاستعمار الفرنسي لمراقبة الحدود السورية — اللبنانية ، عندما كانت الحدود السورية تمر انذاك من غرب البقاع .
وكانت الغرفة الفرنسية المبنية على اعلى نقطة في قمة صنين ، تشكل مرصداً ذا امكانيات كبيرة للغاية . وعندما استولت القوات السورية عليها وجدت فيها اجهزة رصد معقدة تخدم كلا من اسرائيل والاسطول السادس الامريكي . لذا فقد اعتبر الامبرياليون سقوط هذه الغرفة حدثا كبيرا بالنسبة لهم .

- لقد عاد الهدوء الى مدينة زحلة. ولم تمس هذه المدينة باذى من قبل قوات الردع العربية التي حرصت قيادتها ، بتوجيه من القيادة العامة في دمشق ، على عدم توجيه اية طلقة نحو سكان المدينة . ولكن عددا من طلقات الهاون ، التي كانت تطلقها عناصر الميليشيات من وادي الساقية باتجاه مركز الردع في منطقة جسر زحلة سقطت يمينا ويسارا بحيث ادت الى ايقاع بعض التخريب في منطقة الجسر . كما ان النيران التي اطلقها عناصر مركز الردع في الجسر ، دفاعا عن النفس قد ادت الى تخريب مناطق مصادر النيران .

لقد كانت الحوامات السورية تقوم بطلعات اعتيادية لتموين وحدات قوات الردع الموجودة في منطقة البقاع . وبتاريخ ٢٨ نيسان ١٩٨١ وعند عودة احدى الحوامات من مهمتها التموينية هاجمتها الطائرات المقاتلة الاسرائيلية ، واطلقت عليها النار اثناء هبوطها قرب مطار رياق ، فاستطاع الركب الطائر ان يقفز من الحوامة في حين اشتعلت النار بها ، كما اطلقت طائرة معادية اخرى النار على حوامة اخرى فاسقطتها فاحترقت واستشهد الركب الطائر .

وكان هذا بداية لظهور ازمة الصواريخ السورية في البقاع .

سمات معركة زحلة :

ظهر من معارك زحلة ان الميليشيات كانت تتبع التنظيم والتكتيك الاسرائيلي الا ان قناعة افرادها بالقتال ضد القوات السورية كانت ضعيفة ، خاصة بعد ارتباط هذه الميليشيات عسكرياً بالقيادة العسكرية . لذلك :

ـــ ترك عناصر الميليشيات اماكنهم الدفاعية بسرعة غير منتظرة بالرغم من ان الاماكن الدفاعية كانت حصينة . كما تركوا خلفهم مستودعات تحوي اعدادا كبيرة من الاسلحة والاعتدة .

ـــ استخدمت الميليشيات من اجل تنقل القادة والخبراء الاسرائيليين ١ ـــ ٢ حوامة صغيرة كانت تتحرك ليلاً من المنطقة الانعزالية الى ظهور زحلة .

ـــ خوفا من متابعة القوات السورية لزحفها باتجاه الغرب ، انطلاقا من مرتفعات صنين دفعت الميليشيات الى المنطقة الموجودة بينها وبين القوات السورية مفارز من الجيش اللبناني تحمل اعلاما لبنانية كبيرة للغاية ، هدفها منع نيران القوات السورية من قصف عناصر الميليشيات وايقاف القوات السورية بالادعاء بان هذه المناطق كان يسيطر عليها الجيش اللبناني .

ـــ يبدو ان إسرائيل لم تكن مستعدة بعد دخول الصواريخ السورية الى البقاع لدعم اعمال الميليشيات . وكان على اسرائيل ان تنتظر مدة تزيد على السنة حتى ترتب مع الولايات المتحدة الاميركية اسلوب ووسائط تدمير الصواريخ السورية .

ـــ لولا تدخل اسرائيل بالطائرات لدعم ميليشيات بشير الجميل لكان الاخير جاهزا للدخول في عملية الوفاق اللبنانية ، بعد ان شعر ان الارض تهتز من تحته عندما لم يدعمه الاسرائيليون .

ـــ لقد اخطأ بشير الجميل بمد يده للاسرائيليين هذا الخطأ القاتل الذي ١
اودى باستقلال لبنان ، ولو مؤقتا ، واودى بحياته الشخصية .

ـــ لم تستطع الميليشيات من خلال التعزيزات الهزيلة التي ارسلت لها من الجانب الاسرائيلي ، ان تستعيد ولو قرية واحدة بالقوة ، من يد القوات السورية . وكان هذا يجب ان يقنع بشير الجميل بان الحل لايمكن ان يكون بالتعاون مع الاسرائيليين وانما مع الاشقاء العرب فقط .

ـــ لقد شنت حملات تجن وافتراءات ظالمة ضد سورية من قبل الاعلام الغربي ، باثارة من قبل اسرائيل والامبريالية الاميركية . لقد ضخمت وبالغت جدا في وصف تطويق مدينة زحلة من قبل قوات الردع العربية وتدميرها فوق سكانها ، في حين ان قافلة الصليب الأحمر التي دخلت المدينة بعد انتهاء القتال لم تستطع ان تجد الا عددا ضئيلا جدا من الجرحى كان معظمهم من جرحى الميليشيات الموجودة في زحلة ، في حين لم تتباك الصحافة الغربية عندما ذبح بشير الجميل ٨٣٢ مسيحيا من ميليشيات كميل شمعون وعندما قتلت ميليشياته طوني فرنجية ، نجل رئيس لبنان السابق وزوجته وطفلته و ٢١ اخرين من النساء والاطفال .

٥ ـــ تنامي القوة الفلسطينية في لبنان عسكريا وسياسيا

بعد الاجتياح الاسرائيلي للجنوب اللبناني عام ١٩٧٨ ، ظهر لقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ان الحرب الاهلية في لبنان قد اصبحت في غاية الخطورة بعد ان كشف التحالف الاسرائيلي ـــ الكتائبي عن نفسه وان اعدادا كبيرة من ميليشيات الكتائب الانعزالية التي كان يقودها بشير الجميل كانت تذهب بحرا الى الارض المحتلة لتتدرب على ايدي الضباط

والقادة الصهاينة . وان قوة هذه الميليشيات لم تبق في حدود البارودة والرشاش والـ ر ب ج ، وانما بدأ العدو الاسرائيلي يعززها بالمدفعية الثقيلة وباعداد تتزايد من الدبابات المتوسطة من طراز سوبر شيرمان الاسرائيلية القديمة ، حتى بلغت اعداد هذه الدبابات لدى الميليشيات ١٠٠ ـــ ١٥٠ دبابة . ومثل هذا العدد من الدبابات غير متوفر لدى الجيش اللبناني النظامي نفسه . كما ان اعداد الهاونات والمدافع الاسرائيلية التي قدمتها اسرائيل لميليشيات بشير الجميل فاقت الاعداد النظامية الموجودة في الجيش اللبناني . اضافة الى ان اعتدة الجيش اللبناني الثقيلة كانت موجودة بتآمر بعض الضباط في قيادة الجيش اللبناني ، في معسكرات الجيش في المنطقة الانعزالية ، الامر الذي جعلها دوما تحت تصرف بشير الجميل وميليشياته[1] .

وهكذا وجدت منظمة التحرير الفلسطينية نفسها في لبنان بين فكي كماشة ، حيث لم تعد قادرة على العمل في اتجاه فلسطين وفي ظهرها الميليشيات المسلحة المتعاونة مع اسرائيل . لذا كان عليها خوض القتال على جبهتين ، وهذا يتطلب زيادة القدرة القتالية لفصائلها كافة .

وقد استطاعت منظمة التحرير ، بفضل مساعدة الاقطار العربية المختلفة ماديا وعسكريا ، خاصة من سورية ان ترفع من قدرتها العسكرية ،

---

(١) التقطت اتصالات لاسلكية ، خلال معركة قنات ، التي جرت بين قوات الردع العربية وبين الميليشيات في شباط ١٩٨٠ ، يطلب فيها قائد انعزالي من معسكر صربا على الشاطىء اللبناني ان يأخذ من الجيش اللبناني قانصي دبابات يحضرها للاشتراك في المعركة وان لم يقبل القائد العسكري بذلك فتؤخذ عنوة . وقد قدم قانصي الدبابات (المدافع ذاتية الحركة) الى ميدان المعركة في قنات ، ودمرت بصواريخ قوات الردع العربية .

لدرجة اصبحت فيها قادرة على الدفاع عن نفسها ضد الميليشيات الانعزالية بما فيها قوات الخائن سعد حداد .

كذلك استطاعت زيادة مقدرتها القتالية بالتزود بالدبابات ، حيث حصلت على عدد يوازي على الاقل ماهو موجود لدى الميليشيات الانعزالية كما حصلت على اعداد كبيرة من مدفعية الميدان ، والمدفعية الصاروخية كانت تشكل قوة نارية لابأس بها . كما تزودت بالصواريخ الخفيفة المضادة للطائرات من نوع سام ــ ٧ قدمتها سورية مع اطقمها وحصلت من الدول الاشتراكية على انواع من الصواريخ المضادة للدبابات .

وبالاضافة الى ذلك ، فقد زادت من تعداد القوة البشرية المقاتلة الى ما يعادل ٣ ــ ٤ اضعاف ماكان لديها سابقا حيث قدر ماكان لديها من المقاتلين المجهزين باحدث الاسلحة بما فيها المدفعية البعيدة المدى قبل الغزو الاسرائيلي للبنان بحوالي ٢٥٠٠٠ الف مقاتل وبلغت ميزانيتها السنوية حوالي مليار دولار [١] وكان لاينقص مثل هذه القوة سوى الطيران والبحرية والانضباط العسكري الذي تتميز به القوات النظامية .

ونظرا لقيام العدو دوريا بقصف مخيمات ومناطق تدريب الفدائيين، فان المنظمة استطاعت خلق تحصينات ميدانية واسمنتية في كل مكان تواجدت فيه . فقد انشأت مستودعات ضخمة لذخائرها تحت الارض ، وكذلك لمواد التموين القتالية المختلفة ، كافية للقتال في ظروف الحصار مدة طويلة .

---

(١) مجلة الاسبوع العربي ــ العدد ١٢٢٠ ــ ١٩٨٣/٢/٢٨ .

كما انشأت الملاجىء الاسمنتية الثقيلة لقياداتها ولسكان المخيمات بشكل امكن التخفيف الى حد كبير من الخسائر البشرية لدى قيام طائرات العدو بقصف اية منطقة من مناطق تواجدها المدني او المسلح .

اما من حيث السمعة الدولية لمنظمة التحرير الفلسطينية فقد نمت عالميا واصبح لها ممثلون ومكاتب في مختلف دول العالم ، حيث كانت المنظمة تدير ١٠٨ بعثات دبلوماسية وهذا العدد يزيد عن ضعفي عدد البعثات الدبلوماسية الاسرائيلية (١) .

ولاشك في ان هذه السمعة الدولية الممتازة منحت الفلسطينيين شعورا بتعاطف اكثرية شعوب العالم مع حقهم في العودة الى وطنهم وتقرير مصيرهم .

وبالاضافة الى ذلك فقد كان للمنظمة وزن كممثل شرعي ووحيد ، متفق عليه من كافة فصائل المنظمة ومن قبل الشعب الفلسطيني الذي يرزح تحت نير الاحتلال الاسرائيلي في فلسطين المحتلة ، وكذلك الموجود خارج حدود وطنه كلاجىء ، لقد كادت المنظمة ان تكون دولة خارج حدود وطنها تمثل كافة الشعب الفلسطيني وقادرة على التكلم باسمه وتمثيله .

وقد استفادت منظمة التحرير الفلسطينية من اتصالاتها الدولية ومن دعم الاقطار العربية والدول الصديقة ان تصل الى هيئة الامم المتحدة وان تستطيع التحدث لممثلي العالم عن قضيتها . وقد كان كل ذلك يشكل

(١) مجلة الاسبوع العربي ــ العدد ١٢٢٠ ، تاريخ ٢/٢٨/ ، صفحة ٢٠

خطرا كبيرا على الكيان الصهيوني بهذا الظهور القوي للمنظمة .. لذا كان تدمير هذه المنظمة اساسا راسخا في السياسة الاسرائيلية تدعمها الامبريالية الاميركية .

كذلك فان وجود منظمة التحرير الفلسطينية كعضو في جبهة الصمود والتصدي في مواجهة اتفاقية كامب ديفيد ، اعطاها دفعا سياسيا تقدميا وتحرريا في الوطن العربي وفي دول العالم الثالث كافة ، وفي الدول الإشتراكية وحتى في بعض الدول الغربية المتحررة من السيطرة الامبريالية الاميركية .

فقد كانت دول الصمود والتصدي ومعها منظمة التحرير الفلسطينية تشكل قوة تقدمية في الوطن العربي ذات رأي وقرار يحسب له حساب في كل مكان وبالدرجة الاولى داخل الكيان الصهيوني .

كذلك فان التنسيق الاستراتيجي المستمر بين سورية ومنظمة التحرير الفلسطينية اعطى الأخيرة قوة اضافية لقوتها الذاتية . فقد كان هذا الارتباط المصيري بين المنظمة وسورية في الحقيقة هو اساس لقوتها تعزيز القوة الفلسطينية الذاتية نفسها . كما ان التغطية العسكرية والسياسية التي أمنها القطر العربي السوري للمنظمة تركت تأثيرا لا مثيل له ولا يمكن إن يمحى من اذهان كافة الفلسطينيين في الداخل والخارج . فقد قدم القطر تضحيات لا حدود لها في سبيل القضية الفلسطينية وحقوق الشعب العربي الفلسطيني .

اضافة لذلك فقد اكسب تعاون المنظمة الوثيق مع القوات العربية السورية في لبنان ، ومع القيادة السورية في دمشق مزيدا من القوة والخبرات

فقد غطت قوات الردع العربية ظهر الفلسطينيين في لبنان ، وأمدتهم بما يلزمهم من دعم وأعتدة . ولا شك ان مثل هذا التعاون في سبيل الهدف الواحد ، اساس راسخ في السياسة العربية السورية .

وبالاضافة الى تدريب بعض الاطر (الكوادر) الفلسطينية في كليات الجيش العربي السوري ومدارسه فان القادة الفلسطينيين — انفسهم — اكتسبوا خبرات سياسية وعسكرية من جراء الصراع اليومي بين اسرائيل ومنظمة التحرير ، حتى ان كافة تقديرات القادة الفلسطينيين بشأن كل عدوان اسرائيلي كانت صحيحة . ان هذا التماس القتالي الدائم خلق من القوة الفلسطينية في لبنان قوة ذات خبرات قتالية في الصراع ضد العدو الاسرائيلي الشرس تفوق خبرات بعض الجيوش العربية في هذا المجال . ولهذا استطاعت فصائل المنظمات الفلسطينية ان تكبد العدو خسائر جسيمة في كل معركة خاضتها معه ، بالرغم من عدم التكافؤ الواضح مع العدو .

واخيرا يمكننا القول إن قوة المنظمات الفلسطينية عشية حزيران ١٩٨٢ كانت في أوجها ولذا اضطر العدو الاسرائيلي الى وضع قواته المسلحة في وضع الجاهزية القتالية العالية للقتال ضد قوات منظمة التحرير الفلسطينية وضد قوات الردع العربية السورية في لبنان .

الفصل الثالث

الوضع العام عشية الغزو

١ ـ الوضع في لبنان .
٢ ـ الوضع العربي .
٣ ـ الوضع الدولي .
٤ ـ التحالف الاميركي ـ الاسرائيلي .

جاء غزو اسرائيل للبنان ، في حزيران/يونيو ١٩٨٢ ، وليد اوضاع لبنانية وعربية ودولية ، استثمرتها اسرائيل وانتهزتها من اجل القيام بعدوانها ، ووظفتها لصالح أهدافها التوسعية . ولهذا غدا من الضروري تلمس سمات هذه الاوضاع ، للتعرف على الركائز التي انطلق منها العدو في شن عدوانه .

١ ــ الوضع في لبنان

لقد أدى الانقسام السياسي والاجتماعي الذي عاشه لبنان سنوات حربه الاهلية والاضطرابات الدموية منذ ١٣ نيسان/ابريل ١٩٧٥ حتى الاجتياح الاسرائيلي في ٦ حزيران/يونيو ١٩٨٢ الى ظهور ثلاثة تيارات رئيسية توزعت القوى السياسية اللبنانية عليها ، وهي : التيار الانعزالي ، والتيار الوطني ، والتيار المحايد .

ترأست « الجبهة اللبنانية » التيار الاول ، واحتلت ، برموزها وممثليها

وكتائبها المسلحة ، صدارة المسرح السياسي الداعم للاتصال بالعدو والتعاون معه وتشجيعه الخفي على الغزو ، على اساس زعمها بأن وجود الثورة الفلسطينية في لبنان سيتسبب في اجتياح اسرائيل لارضه ، ويطيح بجنوبه ، ويؤدي الى الدمار والخراب . واذا ما حدث الغزو فان هدفه ـــ في نظر اصحاب هذا التيار ـــ هو اقتلاع الثورة الفلسطينية وحلفائها من القوى الوطنية اللبنانية والقوات السورية العاملة ضمن قوات الردع العربية ، وأنه حالما تنجز اسرائيل مهمتها هذه فستنسحب من لبنان ، اذ لا مطامع لها فيه . وكان اصحاب هذا التيار ، بموقفهم هذا ، يدفعون اللبنانيين دفعا الى الاقتناع بصواب التصريحات والتهديدات الاسرائيلية ، والتي انطلقت قبل الاجتياح ، هادفة الى التهديد بالقضاء على الثورة الفلسطينية في جنوبي لبنان لحماية الجليل الاعلى وسكانه ، دون هدف آخر . وتقتضي الموضوعية والدقة التاريخية القول ان هذا الموقف السياسي المرحب باطنيا بالغزو الاسرائيلي اذا حدث ، لم يكن منحصرا في اوساط اللبنانيين الموجودين في المنطقة الشرقية من بيروت ، حيث تسيطر قوات الجبهة اللبنانية وانما كانت هناك اوساط لبنانية اخرى ،على صغر حجمها او ضآلة قوتها السياسية ، من طوائف اخرى ، تتعاطف مع هذا التيار .

ولقد بدا واضحا ان بعض هذا التحريض والتعاطف لايصدر فقط عن رغبة في اخراج الثورة الفلسطينية والفلسطينيين من لبنان ، ولكنه ، في جزء منه ، يصب في معركة الانقسام الطائفي والسياسي القائم في لبنان ويدفع باتجاهه .

وفي مقابل هذا التيار الانعزالي الطائفي التحريضي ، نما التيار الثاني

الذي جمع طوائف وفئات لبنانية عديدة تشكل الاكثرية الساحقة من اللبنانيين . وقد تمسك اصحاب هذا التيار بوحدة لبنان واستقلاله وسلامة اراضيه وبالوحدة الوطنية في مواجهة المخاطر والازمات التي كانت تعصف بلبنان ، وكادت تطيح به كدولة ومجتمع . وقد جسدت القوى الوطنية هذا التيار ، وأنشأت لنفسها مجلسا قياديا يضم التنظيمات الحزبية والشعبية والشخصيات الوطنية الذين يستوعبهم التيار ومبادئه وأهدافه . وكان من ابرز ممارسات هذا التيار ، ان تعاون مع الثورة الفلسطينية واشترك معها في تنظيمات مسلحة كانت تقف في مواقع الدفاع في الجنوب وتسهم في رد الهجمات والغارات الاسرائيلية .

وقد رأى اصحاب هذا التيار في اسرائيل عدوا يهدد لبنان باستمرار ويهدف الى تفكيكه وتفتيته لاحتوائه وابتلاعه . وأدركوا ان الغزو اذا ما حدث ، فسيطيح بالصيغة اللبنانية لتعايش الطوائف ، بعدما قوضت الحرب الاهلية والصراعات التي رافقتها اسسها طوال سنوات ، لا سيما اذا رأت طائفة في هذا الاجتياح « انتصارا » لها على باقي الطوائف وعملت على هذا الاساس وتصرفت بوحي منه .

يستدعي الوصف الموضوعي القول ان الغالبية المؤيدة لهذا التيار تشكلت في اوساط الطوائف الاسلامية ، وفي فئات من المسيحيين المنتمين الى منظمات حزبية وطنية الانتماء او قومية التوجه .

اما التيار الثالث ، الذي يمكن وصفه بانه « محايد » او « مهادن » ، فقد تشكل في سياق تاريخي ولدته الحرب الاهلية

والصراعات التي تلتها واستند الى نزوع استسلامي مهادن عم بعض أرجاء الوطن العربي ، على الصعيد الرسمي ، وبرزت مظاهره في صورة العجز العربي عن مقاتلة اسرائيل والانتصار عليها ، والاقتناع بانها امر واقع قائم ، وقد كانت اخطر نتائج هذا التيار اتفاقيات كامب دفيد والمعاهدة المصرية الاسرائيلية . ومن الجدير بالذكر ان هذا التيار تنامى في لبنان في ظل الشكوى المستمرة مما أسمي « بالتجاوزات » و « الاخطاء » وقد كبر هذا التيار نتيجة عدم معالجة هذه التجاوزات والاخطاء والتصدي لها بحزم ، رغم استمرار النقد لها من فئات مناهضة للثورة الفلسطينية ومن فئات مؤيدة لها على السواء . وكان من نتيجة ذلك ان شعر اصحاب هذا التيار باليأس بعد ما انهار البرنامج الوطني الديمقراطي للاصلاح في لبنان ، وتعطلت جميع محاولات تحقيق الوفاق الوطني ، واشتدت الصراعات الداخلية وطغى العنف والقتل بلا حساب ، وغاب افق الخلاص والامل في النجاة . وفي مثل هذه الحالة من اليأس والقنوط تقوى النزعة الى الاستسلام الى اي عامل جديد يطرأ على الوضع فيوقف الاقتتال ويغير معالم خريطة الواقع .

ولقد استطاع الموقف الرسمي اللبناني ، او ما اصطلح على تسميته « بموقف الشرعية » ان يستفيد من هذا التيار وتناميه في بعض الاوساط الشعبية ، فغلّب السلبية على معظم سياساته ومواقفه ، مما أدى الى تعطل جميع محاولات الوفاق الوطني ، وانحسار سلطة الدولة عن قسم من المناطق والمواقع والمؤسسات والمرافق . وأخطر ما انتهت اليه هذه السلبية هو تعطيل دور الجيش اللبناني كمؤسسة وطنية ، تحفظ للدولة سلطانها وسيطرتها

وتحمي وجودها بقدر ما توفر للمجتمع اللبناني بكامل فئاته وطوائفه وشرائحه الحماية والامان .

كان الجيش اللبناني مؤلفا من نحو ٢٤ الف رجل ، بالاضافة الى اكثر من ١٠ آلاف دركي ، يشكلون قوى الامن الداخلي . لكن هذه القوات منذ بدء الحرب الاهلية ، مرت بحالات من التمزق وخيبة الامل والاحباط . وكانت القوى المتنازعة على الساحة اللبنانية تتجاذب هذه القوات المسلحة باتجاهات متعاكسة متضاربة ، مما ادى الى شلها وتعطيلها عن الحركة ، بهدف دفع قوات مسلحة خاصة ، مثل القوات اللبنانية المؤلفة من الكتائب وحراس الارز والوطنيين الاحرار وغيرها من التشكيلات الانعزالية الطائفية ، الى تجاوز الجيش والحلول محله في السيطرة على بعض اجزاء من الاراضي اللبنانية .

وهكذا طغت السلبية على الجيش كما طغت على الدولة واجهزتها فتعرضت المؤسسة العسكرية الى التشتت وتوزع الولاءات ، فانضمت تشكيلات منها الى القوات اللبنانية وشكل ضباط وجنود مسلمون « جيش لبنان العربي » لدعم الثورة الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية . وبايحاء من اسرائيل انشق الرائد سعد حداد عن الدولة ليقيم مع عدد من رجاله في الشريط الحدودي المحاذي للحدود اللبنانية ـــ الاسرائيلية ما يشبه « الدويلة الصغيرة » عمل خادما فيها مطيعا للعدو بشكل مباشر .

وفي الوقت ذاته حاول قسم اخر من الجيش اللبناني ان يحافظ على الحياد والولاء للدولة التي بقي في حوزتها جزء من الجيش يبلغ نحوا من ١٥ ألف رجل توزعوا على مناطق بيروت وجبل لبنان والبقاع والجنوب

والشمال . وكان لدى هذه القوات حوالى ١٤٠ دبابة ، و٨٠ مدفع ميدان ، و٦ طائرات ميراج و١٣ طائرة هنتر[١] .

غير ان سلبية السلطة الشرعية اللبنانية وغياب فعاليتها العسكرية ، أديا الى تجميد الجيش اللبناني وعدم الاستفادة منه . وانتهت هذه الاسباب كلها الى فسح المجال واسعا امام نشوء عدد كبير من المنظمات والتنظيمات والجماعات التي اخذت جميعها تسعى الى الحصول على الاموال والاسلحة من اي مصدر .

ومما ساعد على ازدياد عدد هذه التنظيمات وتوالدها انفتاح الساحة اللبنانية امام جميع القوى المحلية والعربية والاجنبية بحيث اخذت هذه القوى تتزاحم من أجل ان تقيم لنفسها ركائز ومؤسسات ، وتنظم حولها جماعات ترفدها بالمال والسلاح . واصبح الحوار بين هذه القوى ينطق بلغة السلاح والعنف ، كوسيلة لاثبات وجودها او فرض رأي سياسي معين ، أو لتأجيج نار التقاتل والصراع الداخلي .

هكذا كان في لبنان ، عشية العدوان الاسرائيلي ، الى جانب الجيش اللبناني الذي أشرنا الى تشكيله وتوزعه وانقسامه وسلبيته ، مجموعة كبيرة من التنظيمات والمنظمات والجماعات المسلحة ابرزها قوات الثورة الفلسطينية .

كانت قوات الثورة الفلسطينية تشكل وزنا سلاحيا ونضاليا ذا قيمة

---

(١) ميزان القوى ١٩٧٥ ــ ١٩٧٦ (بالانكليزية) المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية لندن ١٩٧٥

فعالة ومؤثرة في الساحة اللبنانية . وهي ، في أصلها مخصصة للنضال ضد العدو الاسرائيلي . ولكنها في مرحلة الحرب الاهلية ، اضطرت ـــ الى جانب مهمتها الرئيسية في مواجهة العدو الأسرائيلي ـــ الى ان تدافع عن نفسها تجاه اعتداءات القوى الانعزالية والقوى المعادية للثورة الفلسطينية .

كانت قوات الثورة الفلسطينية مؤلفة من قوات المنظمات المشكلة لمنظمة التحرير الفلسطينية والمنتشرة في شرقي لبنان وجنوبه ومنطقة بيروت ، وأبرزها :

١ ـــ حركة فتح : وتضم نحو ١٦ ألف مقاتل مسلحين بنحو ١٤٠ مدفعا من مختلف العيارات ، و١٦٠ دبابة من طراز ت٣٤ وت٥٤ و ت٥٥ ، ونحو ٥٠ راجمة صواريخ ، ونحو ١١٠ مدافع هاون من عيارات مختلفة .
٢ ـــ الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين : وفيها حوالي ١٥٠٠ مقاتل .
٣ ـــ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين : ويبلغ مقاتلوها نحو ١٢٠٠ .
٤ ـــ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـــ القيادة العامة : وفيها حوالى ١٠٠٠ مقاتل .
٥ ـــ جبهة التحرير العربية : وتضم حوالى ١٠٠٠ مقاتل .
٦ ـــ طلائع حرب التحرير الشعبية ـــ منظمة الصاعقة : وفيها حوالى ٢٠٠٠ مقاتل .
٧ ـــ جبهة النضال الشعبي : وفيها نحو ٨٠٠ مقاتل .
٨ ـــ جبهة التحرير الفلسطينية : ويبلغ مقاتلوها نحو ١٠٠٠ .

وبذلك كانت القوات الفلسطينية في الساحة اللبنانية تبلغ ، عشية العدوان ، نحو ٣٠,٠٠٠ مقاتل مسلحين بمختلف انواع الاسلحة الخفيفة كالبنادق والرشاشات ، والاسلحة المضادة للدبابات ، والاسلحة المضادة للطائرات ومدافع الهاون وبعض الاسلحة الثقيلة كالدبابات ومدافع الميدان والراجمات .

ويلي قوات الثورة الفلسطينية ، من حيث القوة العسكرية والتنظيم والتسليح قوات الجبهة اللبنانية التي كان حزب الكتائب وميليشياته المسلحة تشكل عمودها الفقري ، وتضم هذه القوات ، في مجموعها ، نحو ٢٥ ألف مقاتل كانوا ينتشرون في بيروت الشرقية ، وكسروان وجونيه وزحلة ويتسلحون بنحو ١٠٠ — ١٥٠ دبابة و١١٦ ناقلة جنود مدرعة ، و١١٤ مدفع هاون ، و٨٨ مدفع ميدان ، و١٠ طائرات حربية .

•

وكان حزب الكتائب ، في فترة ما قبل العدوان ، ينفذ برنامجا واسعا وشاملا في التدريب والتنظيم والتسليح ، حتى انه استطاع ان يضع نظاما للتجنيد الاجباري ، طبقه على طلاب المدارس في القطاعات التي كان يسيطر عليها . كما استطاع الحزب ، ان ينمي علاقته بالعدو الاسرائيلي ويوسع اطار تعاونه معه في مختلف المجالات ، خاصة في مجالات السياسة والتسليح والتدريب العسكري واستقدام الضباط والخبراء والمدربين الاسرائيليين ، وتبادل المعلومات ، خاصة تلك المتعلقة بقوات الثورة الفلسطينية ومؤسسات منظمة التحرير والفلسطينيين الموجودة في لبنان . ولهذا الغرض اقام الحزب مركز اتصال في منطقة كسروان مزودا بوسائط

اتصال لاسلكي ، ينقل بها الى العدو المعلومات التي تساعده على وضع خطة الهجوم على لبنان ويتلقى منه التعليمات .

والى جانب هؤلاء واولئك ، كان هناك حوالي خمسين تنظيما مسلحا آخر قامت على أسس قومية او حزبية او اقليمية او طائفية .

كانت هذه التنظيمات والمنظمات والجماعات تمارس انشطتها ، كل في قطاعه الخاص ، بحرية . وكان بعضها يحيط نفسه بمجموعة من التدابير التي تدل على انه يشكل كيانا ذاتيا مستقلا ، او شبه مستقل عن كيان الدولة . لقد كانت الجبهة اللبنانية وقواتها ، وقوات سعد حداد انموذجين كاملين لهذا الوضع .

كانت معظم هذه التنظيمات والمنظمات والجماعات عناصر تحرك في الساحة اللبنانية ، وتتسلح بمختلف انواع الاسلحة ، وتتقاتل فيما بينها حتى انه اصبح من الصعب تتبع وقائع الاقتتال نظرا لتعددها وانتشارها في بقاع كثيرة من لبنان ولكثرة التنظيمات والجماعات المشتركة فيها . ان مراجعة عاجلة للصحف اللبنانية خلال النصف الاول من عام ١٩٨٢ تقدم الدليل على ذلك .

وحتى عشية العدوان ، لم تكن القوى السياسية اللبنانية قد استطاعت الجلوس الى طاولة حوار ، ولا قدرت على بلورة الحد الأدنى من الوفاق فيما بينها بغية اغلاق الباب امام الخيارات المؤلمة التي كانت تهدد وحدة البلاد . فقد اصطدمت محاولات الحوار ودعوات الوفاق التي كانت تبذلها سورية بالتعاون مع السلطة الشرعية ومع بعض القوى العربية واللبنانية ، اصطدمت بعقبات محلية وخارجية جعلت القوى المتصادمة

تستمر في اتخاد مواقف متباعدة بالرغم من ان غالبية الشعب اللبناني الساحقة كانت راغبة في الخلاص من الدمار الذي حل بوطنها ومن لغة التحاور بالقنابل والرصاص ، خاصة ان تجارب أعوام الحرب الاهلية المستمرة أكدت ان حسم المشكلة اللبنانية عن طريق الحلول العسكرية متعذر ، بل انه مستحيل ، وان ما يترتب على مثل هذا الحسم سيكون اشد خطورة مما كان يعانيه لبنان . وقد كان من ابرز النتائج التي حققتها وجود قوات الردع العربية ، ان تعطلت الحلول العسكرية وتوقفت مساعي تقسيم لبنان على اساس طائفي ، فحافظ على وحدة اراضيه وسلامة كيانه ، بالرغم من ان الحوار والوفاق ، كما قلنا ، لم ينعقدا . وبقي الامر كذلك حتى شن العدو الاسرائيلي عدوانه .

بمثل هذا الوضع واجه لبنان الغزو الاسرائيلي في حزيران ١٩٨٢ . ولم يكن وضع الدول العربية عشية الاجتياح بأحسن حالا من الوضع في لبنان . فقد حل يوم الغزو ، ولم تكن الدول العربية اعدت للعدو ما تستطيع من قوة ، ولم ترهبه برباط خيل ، ولا اعتصمت بحبل من الوحدة متين .

٢ ــ الوضع العربي

لايمكن النظر الى الاجتياح الاسرائيلي للبنان ، في حزيران ١٩٨٢ ، الا على انه اعتداء وقع على جامعة الدول العربية ، ذاتها اي على جميع الدول العربية دون استثناء ، خاصة على ثلاثة اطراف اعضاء في الجامعة ، هي لبنان الذي انتهك جيش العدو حرمة اراضيه واستقلاله ، وسورية التي

توجد قواتها في الارض اللبنانية ضمن اطار قوات الردع العربية المشكلة بقرار من مؤتمر القمة العربي ، ومنظمة التحرير الفلسطينية .

ولقد ورد في المادة الثانية من معاهدة الدفاع المشترك « ان كل اعتداء مسلح يقع على اية دولة او اكثر منها (أي من جامعة الدول العربية) او على قواتها ، اعتداء عليها جميعا . ولذلك فانها ، عملا بحق الدفاع الشرعي ، الفردي والجماعي ، عن كيانها تلتزم بان تبادر الى معونة الدولة او الدول المعتدى عليها ، وبأن تتخذ على الفور ، منفردة ومجتمعة ، جميع التدابير وتستخدم جميع ما لديها من وسائل ، بما في ذلك استخدام القوة المسلحة ، لرد الاعتداء ولاعادة الامن والسلام الى نصابهما » .

ولقد وقعت ثلاثة اطراف اعضاء من الجامعة تحت العدوان ، هي لبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية وسورية (القوات المسلحة) ولم تنفذ اية دولة عربية هذا الالتزام الذي وقعت عليه ، بالرغم من ان الحرب قد طالت حتى بلغت حوالى شهرين ونصف وهي مدة طويلة بمقاييس الصراع العربي ـــ الاسرائيلي . وكانت هذه المدة كافية لكي تسرع الدول العربية الى نجدة لبنان والشعب الفلسطيني والقوات المسلحة السورية ، وتسهم في الدفاع ورد المعتدين .

لقد شغلت أزمة لبنان ، منذ نشوئها ، مؤسسات جامعة الدول العربية ، ودرس الملوك والرؤساء العرب هذه الازمة في المؤتمرات التي عقدوها منذ العام ١٩٧٦ حتى اليوم ، وكذلك فعل وزراء خارجية الدول العربية في مؤتمراتهم ولجانهم .

فحينما تطورت احداث لبنان لتصبح عاملا يعرض السلم والامن

العربيين للخطر ، اجتمع وزراء الخارجية في دورة طارئة لمجلس الجامعة في القاهرة يوم ٩ حزيران/يونيو ١٩٧٦ ، وقرروا « تشكيل قوات أمن عربية رمزية تحت اشراف الامين العام لجامعة الدول العربية للحفاظ على الامن والاستقرار في لبنان ، على ان يتم تحريك هذه القوات لمباشرة عملها ، وتنتهي مهمة قوات الامن العربية بناء على طلب رئيس الجمهورية اللبنانية » . وكان تشكيل هذه القوات يقوم على أساس قرار آخر اتخذه المجلس وهو « الطلب الى جميع الاطراف وقف القتال فورا وتثبيت هذا الوقف » .

لم يتم تثبيت وقف اطلاق النار ، بالرغم من الاتفاق بين الاطراف المتحاربة في الساحة اللبنانية على تثبيته مرات عديدة ، وقد أدى ذلك الى ان يعقد وزراء الخارجية العرب اجتماعا طارئا في القاهرة في اليوم الاول من تموز/يوليو ١٩٧٦ قرروا فيه : « ١ ــ تشكيل لجنة عربية خاصة وارسالها الى لبنان للسهر على تنفيذ قرار وقف اطلاق النار . ٢ ــ استعجال ارسال قوات السلام العربية الى لبنان » .

وبغية معالجة الوضع الذي كان يزداد تأزما في لبنان ، خاصة في اثر انهيار اتفاقات وقف اطلاق النار مرات كثيرة ، واثر تعرض قوات الامن العربية الى اطلاق النار عليها من القوات الانعزالية ، عقد في الرياض مؤتمر قمة سداسي في ١٦ تشرين الاول/اكتوبر ١٩٧٦ ، حضره ملوك ورؤساء الجمهورية العربية السورية والسعودية ومصر والكويت ولبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية ، وقرروا تحويل « قوات الامن العربية » الى « قوات الردع العربية » وجعلوا ملاكها في حدود ٣٠ الف جندي ، ووضعوها تحت

تصرف رئيس الجمهورية اللبنانية مباشرة . كما قرروا وقف القتال في جميع الاراضي اللبنانية بدءا من مساء يوم ٢١ تشرين الاول/اكتوبر ١٩٧٦ وعودة لبنان الى ما كان عليه قبل ١٣ نيسان/ابريل ١٩٧٥ . وألحق بالقرارات جدول زمني يرتب الاوضاع الامنية في لبنان .

واجه تشكيل قوات الردع صعوبات جمة ، حتى اذا انعقد مؤتمر القمة الثامن في القاهرة يوم ٢٥ تشرين الاول/اكتوبر ١٩٧٦ وافق على قرارات المؤتمر السداسي ، وقرر تعزيز قوات الردع ، وانشاء صندوق خاص للانفاق على متطلباتها ، ووضعه تحت تصرف الرئيس اللبناني وحدد له فترة ستة اشهر قابلة للتجديد بقرار من مجلس الجامعة وبطلب من رئيس الجمهورية اللبنانية .

وافق المؤتمر ايضا على مهام قوات الردع التي حددها المؤتمر السداسي بالشكل التالي : فرض الألتزام بوقف اطلاق النار والعزل بين القوات المتحاربة وتطبيق اتفاق القاهرة بين الحكومة اللبنانية ومنظمة التحرير الفلسطينية خلال ٤٥ يوما ، وحفظ الأمن الداخلي في مختلف المناطق اللبنانية ، وازالة المظاهر المسلحة وفق جدول زمني محدد ، والاشراف على انسحاب المسلحين الى الاماكن التي كانوا فيها قبل بدء الاحداث في ١٣ نيسان/ابريل ١٩٧٥ ، وجمع الاسلحة الثقيلة والعربات المدرعة ، ومساعدة السلطات اللبنانية على تسلم المؤسسات والمرافق العامة ، واعادة الحياة الطبيعية الى ربوع لبنان وفتح الطرق الدولية خلال خمسة ايام وتسيير الدوريات عليها .

عين الرئيس اللبناني قائدا لقوات الردع . وأخذ هذا ينشر

الوحدات ، وكانت يومذاك تتألف من : ٣٥٠٠ جندي سعودي وليبي وسوداني ، و٥٠٠ جندي من دولة الامارات العربية المتحدة ، و٥٠٠ جندي من اليمن ، و٦٠٠ جندي سوداني آخرين جاؤوا فيما بعد لدعم الوحدة السودانية ، و٢٠٠٠٠ جندي سوري (المجموع ٢٥١٠٠ جندي)[١] .

ولقد استندت جامعة الدول العربية في تشكليل قوات الردع وتخصيصها للبنان ، الى ميثاق الجامعة ، الذي تضمن في مادته الثانية أن « الغرض من الجامعة توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق الخطط السياسية تحقيقا للتعاون بينها وصيانة لاستقلالها وسيادتها » . كما استندت الى المادة الاولى من معاهدة الدفاع المشترك التي نصت على حرص الدول الاطراف في المعاهدة على « دوام الامن والسلام واستقرارهما » . فاذا ما اضطرب الامن والسلام في دولة عربية بشكل يدعوها الى طلب المساعدة من الجامعة ، فان من حق الجامعة وواجبها أن تلبي الطلب وتسهم في اعادة الامن والسلام الى نصابهما خاصة اذا كان ذلك الاضطراب يشكل خطرا على الامن القومي .

كانت المنطقة العربية ، عشية العدوان الاسرائيلي ، تمر بتطورات وظروف يمكن اعتبارها مناسبة كي تنطلق اسرائيل في حربها . فقد عكست احداث السنوات الخمس الاخيرة ، اي منذ زيارة الرئيس المصري أنور السادات الى القدس المحتلة العام ١٩٧٧ ، ملامح التفتت العربي ،

(١) مجلة « شؤون فلسطينية » العدد ٦٣/٦٤ ،شباط ـــ اذار ١٩٧٧ ، ص ٢١٩ ،مركز الابحاث الفلسطيني بيروت .

وغياب التضامن شيئا فشيئا . وفي مقابل هذا الوضع العربي المتمزق كانت اسرائيل والقوى الصهيونية والامبريالية تعمل ، بثبات وتخطيط ، على تطوير وسائلها والسعي الى بلوغ اغراضها . في حيز كانت بعض القوى العربية ـــ في المستوى الرسمي على الاقل ـــ تعيد النظر ، بقدر ما من عدم الثبات ، في الاهداف القومية الاستراتيجية التي حددتها مؤتمرات القمة العربية .

ولقد كانت الرغبة المعلنة لبعض الحكومات العربية في العودة عن بعض الاهداف القومية الاستراتيجية ، وفي التغاضي عن نهج اتفاقيات كامب ديفيد الذي انتهى اليه السادات ، هي السبب الاساسي الذي دفع التضامن العربي الى ساحة التمزق ، بمثل ما دفع بعض الحكومات العربية الى انتهاج سياسة بذر الشقاق والفتنة في صفوف دول عربية أخرى تقف في الطليعة صلابة وقوة ومتانة في وجه المطامع الصهيونية والامبريالية .

ولقد وجدت سياسة الشقاق والفتنة ارضا صالحة في لبنان ، حيث كانت فئات لبنانية متعددة تتحارب فيما بينها ، فالتجأ بعضها الى كنف الجناح الصهيوني ـــ الامبريالي ـــ الرجعي العربي الانهزامي لتتلقى منه المال والسلاح والدعم والتخطيط .

ان أي حديث عن الوضع العربي عشية العدوان الاسرائيلي على لبنان لابد من ان ترتبط خيوطه وخلفيته بحرب تشرين التحريرية ، التي كانت صورة متقدمة رفيعة من صور التضامن العربي العسكري والسياسي والاقتصادي . ففي اثر تلك الحرب المجيدة ، بدأت الخطط الامبريالية ـــ الصهيونية تظهر للوجود ، واحدة تلو الاخرى ، هادفة الى

تحطيم أسس التضامن العربي بالشكل الذي ظهر في حرب تشرين ، وتفريغ النصر العربي من مضمونه وامتصاص المكاسب العربية . وهكذا شهدنا مباحثات الكيلو ١٠١ في مصر ، واتفاقية سيناء الثانية في العام ١٩٧٥ . ومنذ ذلك الحين بدأت أزمة لبنان تبرز شيئا فشيئا ، حين فجرت القوى الانعزالية صراعا مسلحا طائفيا .

وفيما كان الصراع الدامي في لبنان مستقرا ، استمر النظام الساداتي في خروجه على إرادة الامة العربية ومناهضته لاغراضها القومية فعقد مع العدو الصهيوني اتفاقيات كامب ديفيد والمعاهدة المصرية ــ الاسرائيلية . وقد ادى ذلك الى انشقاق في الصف العربي ، وانفراد مصر بسياسة ضارة بالقضية العربية الاولى ، هي قضية فلسطين ومستقبل الشعب الفلسطيني وثورته . وكان من الطبيعي أن يؤدي ذلك الى تنشيط القوى الانعزالية في لبنان ، حيث التقت هذه القوى من حيث الاهداف مع المحور المصري ــ الاسرائيلي ــ الاميركي . وغدت الساحة اللبنانية ارض صراع بين هذه القوى وانصارها وبين القوى القومية والوطنية اللبنانية والفلسطينية وانصارها .

وفي الوقت ذاته ، أثارت الولايات المتحدة الاميركية عاصفة من الرعب المصطنع ، وجهتها نحو الخليج العربي ، زاعمة وجود اخطار تتعرض لها بلدان الخليج ، فشكلت من أجل ذلك قوة الانتشار السريع ونقلت بعض وحداتها الى المنطقة ، لتقوم بمناورات مشتركة ودفعت قطعها البحرية وحاملات طائراتها في المحيط الهندي الى التجمع بغية مواجهة اخطار وهمية مزعومة .

وساير ذلك كله شعور لدى الدول العربية في منطقة الخليج ، بانها تتعرض لاخطار خاصة في اثر نشوب الحرب العراقية ــ الايرانية ، فانساقت في طريق الانفراد عن بقية العرب ، وشكلت تنظيما اقليميا هو مجلس التعاون الخليجي ، واخذت من خلال هذا المجلس ، تخطط لتعاون اقتصادي وثقافي وسياسي ودفاعي اقليمي .

وكان انهيار مشروع الوحدة بين سورية والعراق قد رافق ذلك كله وفتح السبيل امام زيادة التناحر والتمزق والتفتيت في الصف العربي .

لقذ تركت اتفاقيتا كامب ديفيد ١٩٧٨ ، والمعاهدة المصرية ــ الاسرائيلية (١٩٧٩) آثارا عميقة وواضحة في مسيرة النزاع العربي ــ الصهيوني والعلاقات العربية ــ العربية ويمكن تلخيص هذه الآثار فيما يتعلق بالوضع في لبنان بالنقاط التالية :

١ ــ اختلال التوازن العسكري والسياسي في المنطقة لصالح اسرائيل ، بسبب تخلي الحكومة المصرية عن التزاماتها القومية تجاه الشعب الفلسطيني وقضيته . وقد سمح هذا الاختلال لاسرائيل بأن تتابع تنفيذ خططها في الاعتداء والتوسع . وكان لبنان الحلقة الضعيفة ، بسبب الصراع المسلح على ارضه مما شجع اسرائيل على شن عدوانها عليه في حزيران ١٩٨٢ .

٢ ــ تكاثر الاعتداءات الاسرائيلية على لبنان وضرب المدن والقرى اللبنانية والمخيمات الفلسطينية بقسوة ووحشية وقصف مدينة بيروت . وكان حصيلة هذه الاعتداءات قتل الالوف من المدنيين العزل ، وتهديم

مئات المساكن وتشريد مئات الالوف من المواطنين ، وتفريغ جنوبي لبنان من سكانه .

٣ ــ محاولة تشتيت قوى سورية وتجميد جزء من قواتها في لبنان من خلال تأجيج نار الحرب الاهلية كلما هدأت ، وإشاعة الاضطراب والارهاب في جميع أنحاء لبنان وضم الجولان وتطبيق القوانين الاسرائيلية عليه .

٤ ــ اشاعة نهج القعود عن النضال ضد اسرائيل ، بذريعة انها لا تقاوم وان جيشها لا يقهر وان تجربة ثلاثين عاما من الحروب والمعارك لم تنه النزاع العربي ــ الاسرائيلي ، ولم تورث سوى القتل والدمار والتخلف .

لقد كان من الطبيعي ان تنتقل مظاهر الوضع العربي المتفكك الى لبنان حيث تقيم على أرضه ، خاصة في الجنوب ، اكبر التجمعات الفلسطينية ومعظم قوات الثورة الفلسطينية . وبدلا من ان يكون لبنان ارض حوار وتفاعل بين الاراء ووجهات النظر العربية ، تحول الى أرض تقاتل مسلح بينها ، من خلال الازمة التي فجرتها القوى الانعزالية اللبنانية وقوى المحور المصري ــ الاسرائيلي ــ الاميركي . وبذلك خاض العرب صراعا مسلحا في لبنان ، بعضهم ضد بعض . وكان وراء الكثير من البنادق والخنادق عرب يصارعون عربا . وهكذا تحول لبنان من ساحة تقريب وتفاعل فكري وعملي بين العرب الى ساحة تأجيج للخلافات بينهم .

وكان من الممكن للثورة الفلسطينية ان تلعب دورا اكبر مما فعلت في شد العرب بعضهم الى بعض ، لولا ان انتقلت اليها بعض الصراعات

العربية ـــ العربية التي ادت الى محورة بعض فصائلها واضطرارها الى التسيج بالعصبية الفلسطينية تستقوي بها في وجه من يحاول اضعافها . وكان لذلك كله اثر في افقاد الثورة قدرتها على أن تكون عنصرا فاعلا في تنشيط العمل العربي المشترك . هذا مع العلم ان الثورة الفلسطينية انطلقت دائما في دبلوماسيتها العربية من منطلق الحرص على التضامن العربي ، خصوصا بعد عدوان اسرائيل في آذار/مارس ۱۹۷۸ ، اذ اثبت هذا العدوان ان التضامن العربي هو غطاء ضروري للثورة وانها حينما تكون محرومة منه فانها تتعرض لخطر قوي . فاستفراد الفلسطينيين هو الوضع الانسب لالحاق الهزيمة بهم من قبل اعداء الثورة الفلسطينية وهذا ما كان دائما في صلب استراتيجية القضاء على المقاومة الفلسطينية ، تلك الأستراتيجية التي التزمت بها الصهيونية وحلفاؤها المحليون والدوليون .

وفي الوقت ذاته ، كررت سورية ، بشكل دائم وبوضوح دعوتها من خلال التضامن العربي ، الى ضرورة معالجة الخلل الاستراتيجي الذي نشأ في ساحة الصراع العربي ـــ الصهيوني بسبب الدعم العسكري والاقتصادي الاميركي لاسرائيل . وطالبت في مختلف المحافل والمناسبات ، خاصة في اطار الاجتماعات العربية ، سواء في مؤتمرات القمة او مؤتمرات وزراء الخارجية العرب ، بضرورة وضع خطة عربية مشتركة لمعالجة الخلل الاستراتيجي وتعديل الميزان الاستراتيجي لصالح العرب ، نابذة بذلك جميع الخلافات العربية ـــ العربية ، على انها مشكلات جانبية هامشية لا يجوز ان ترقى الى مستوى القضية العربية الكبرى ، وهي قضية فلسطين

ومواجهة العدو الاسرائيلي واعوانه . غير ان الدعوة السورية لم تلق سوى الصمت والتجاهل .

وفي مواجهة هذا الوضع العربي المتفكك عشية العدوان ، كانت سورية تنادي دائما بانه لا بديل عن التضامن العربي وان الانفراد تحت وهم الشعور بالاستغناء عن الاخرين هو طريق مسدود . وقد عانت دول عربية كبيرة وغنية نتائج حرب مريرة على هذا الصعيد . فلا كامب ديفيد أغنى مصر عن العرب فهي تعيش مأساة خطئها وانفرادها وعزلتها ، ولا التعاون الخليجي حل مشكلات الخليج العربي الامنية والعسكرية والسياسية ، ولا دول المغرب استطاعت ان تحل مشكلة الصحراء الغربية ، ولا العراق استطاع ان يتخلص من الحرب التي بدأها والتي أدت حتى الان الى خروجه من اطار المواجهة مع العدو الرئيسي للامة العربية وهو اسرائيل وأعوانها . كما أدت الى تحطيم بنيته الاقتصادية والعسكرية وجمدت طاقات ايران التي كانت متحفزة للاسهام مع العرب في مواجهة العدو الصهيوني .

ونظرا لتفكك الوضع العربي وتمزقه فإن الحكومات العربية لم تستطع ان تتخذ أي تدبير دفاعي عن لبنان يسبق شن اسرائيل العدوان بالرغم من أن الحكومات العربية وقيادة منظمة التحرير الفلسطينية لم تفاجأ بالاجتياح الاسرائيلي للبنان فقد توافرت المعلومات قبل الاجتياح بعدة شهور على أن خطة الغزو قد وضعت وأن الاستعدادات لتنفيذها قد تمت في اطار اتفاقية التعاون الاستراتيجي الاميركي ــ الاسرائيلي . ولم يبق سوى توفير العوامل الكافية للبدء بالتنفيذ .

ويمكن القول إن القيادتين السورية والفلسطينية لم تكونا راغبتين في خوض حرب مواجهة شاملة مع اسرائيل في الزمان والمكان اللذين يختارهما العدو .

ولهذا اتبعت القيادتان والقوى الوطنية اللبنانية سلوكاً يستهدف الحيلولة دون توتير الموقف ويحرم العدو الاسرائيلي من اقتناص سبب أو ذريعة للشروع في الهجوم على لبنان . وفي هذا السياق تمسكت القيادة الفلسطينية ، بدقة ، بالتزامها وقف اطلاق النار عبر الارض اللبنانية طبقا للاتفاق الذي تم التوصل اليه بهذا الشأن في شهر تموز/يوليو ١٩٨١ . وحين توالت الاستفزازات العسكرية الاسرائيلية لاستدراج منظمة التحرير الى رد واسع ، تجنبت المنظمة الاستجابة للاستفزاز . اما في المرات القليلة التي تعذر فيها الامتناع عن الرد ، فكان الرد الفلسطيني يأتي محسوبا بدقة ، ولم يتجاوز في اي حال من الاحوال ، حدود الرد الانذاري الذي يؤكد أن الجانب الفلسطيني مضطر للمجابهة إن هي فرضت عليه .

لقد تحول الهروب العربي من مسؤولية معالجة الخلل الاستراتيجي وعدم وضع خطة استراتيجية شاملة ، وترك اللبنانيين والفلسطينيين والقوات السورية المتمركزة في لبنان ضمن اطار قوات الردع العربية يواجهون مصيرهم وحدهم تجاه هجمة صهيونية طاغية مسلحة بأحدث الاسلحة الاميركية — لقد تحول ذلك كله عشية الغزو الى صمت عربي شامل ، كاد يصل في بعض أشكاله الى التجاهل والتخلي عن المسؤولية القومية كما كاد ينحدر في بعض اشكاله الاخرى الى التواطؤ . ولم يكن تصريح الامين

العام لجامعة الدول العربية الذي قاله في بيروت في اليوم الرابع للغزو عبثا ، حين ندب العمل الجماعي العربي وضياع المسؤولية التاريخية :-

« كلنا ندرك صعوبة المرحلة التي يجتازها لبنان ، وكلنا ندرك مدى تعقيدات هذه المرحلة ، وكلنا ندرك انه لابد من عمل جماعي في مستوى المسؤولية التاريخية الملقاة على دولنا جميعا . ولئن كانت المآسي التي يسببها العدوان الاسرائيلي على لبنان تؤجج في نفوسنا جميعا مشاعر السخط ، فلا بد في الوقت نفسه من أن تصلب قوة الشعبين اللبناني والفلسطيني على مواصلة الصمود البطولي معا ، وأن تساهم في صحو الضمير القومي لتخطي كل المعوقات .. ان ما يعانيه لبنان اليوم لايجيز الاستمرار في العتاب مهما كان مشروعا بين الاخوة ، بقدر ما يفرض التعبئة الصادقة والقادرة » [1] .

ومثل هذا الموقف كان قد عبر عنه وزير الخارجية اللبنانية ولكن بصيغة أخرى ، حين قال في اليوم الثاني للعدوان في اجتماع مجلس الوزراء اللبناني : « ان العرب حملونا القضية الفلسطينية . ويعتبرون أن قضية لبنان تنحل بشوية مصاري . فبعد الدمار والخراب والقتلى والجرحى والاجتياح والاحتلال ، ماحدا مكلف خاطرو يحكي معنا » [2] . وكان الوزير اللبناني يتحدث عن بينة ومعرفة بالوضع السياسي العربي .

فلو اراد الوزير ان يتحدث الى اي سفير عربي معتمد في لبنان ، لما وجده في سفارته ، لان اكثر السفراء العرب غادروا لبنان عائدين الى

---

(١) جريدة النهار اللبنانية ١٠ حزيران ١٩٨٢

(٢) جريدة النهار اللبنانية ، ٨ حزيران ١٩٨٢

بلادهم ، بحجة اختلال الوضع الامني فظهر بذلك الفرق بين مواقف بعض الدول العربية ومواقف الدول الاجنبية . فقد قتل في بيروت سفراء لدول كبرى وتعرضت السفارة الفرنسية لحادث نسف كبير ، فلم يكن جواب فرنسا سحب سفيرها من بيروت ، بل قدوم رئيس وزرائها في زيارة مفاجئة خاطفة لبيروت ، ليؤاسي المصابين وليعلن استعداد فرنسا لمساعدة لبنان وليؤكد ان السفير الفرنسي باق وانه لن يقفل سفارته .

وبمثل ما ذهبت جهود سورية التي بذلتها منذ خروج السادات على الارادة العربية العام ١٩٧٧ ، وبمثل ما ذهبت الدعوات التي وجهتها سورية الى الحكومات العربية لاعادة اللحمة الى التضامن العربي من خلال الالتفاف حول هدف التحرير ومواجهة العدو الاسرائيلي وانصاره ، ذهبت دعوة الامين العام للجامعة نداء بلا صدى . وحينما حاول رئيس الجمهورية اللبنانية ان يجمع الملوك والرؤساء العرب في رسالة وجهها الى الامين العام للجامعة في اليوم الثاني للعدوان من اجل ان يشاركوا لبنان في مواجهة ما يتعرض له ، لم تلق تلك الدعوة سوى الاستماع والصمت ، وترك الشعبين اللبناني والفلسطيني ومعهما القوات السورية العاملة ضمن قوات الردع العربية يقاومون وحدهم الهجمة الاسرائيلية الضارية بما عرف عن العرب من بسالة وتضحية .

وكمثال على كيفية مواجهة الدول العربية للاعتداءات الاسرائيلية على لبنان في فترة ماقبل عدوان ١٩٨٢ ، نذكر واقعة واحدة ، فقد طلبت الحكومة اللبنانية في شهر تموز/يوليو عقد مؤتمر قمة عربي طارىء « لبحث

الوضع في لبنان وخاصة في الجنوب ، بعد الاعتداءات الاسرائيلية وآثارها الخطيرة على كل صعيد » [1] .

ونظرا لعدم توفر النصاب القانوني لعقد القمة ، لجأت الحكومة اللبنانية في شهر آب / اغسطس من العام نفسه ، الى طلب « دعوة الهيئة العسكرية المناسبة للنظر في التصور اللبناني للوضع العسكري في الجنوب تمهيدا لعرض مقترحات مفصلة على مؤتمر القمة » [2].

ارفقت الحكومة اللبنانية مذكرتها هذه بمذكرة توضيحية « حول الدفاع عن جنوب لبنان ومتطلبات تعزيز وسائل الدفاع في مواجهة العدوان الاسرائيلي في اطار استراتيجية عربية موحدة في سبيل الدفاع عن جنوبي لبنان » .

بنت الحكومة اللبنانية تصورها هذا على اساسين هما :

١ ــ السياسة الدفاعية التي اقرها مجلس الوزراء اللبناني بتاريخ ١٥ آذار/مارس ١٩٨٠ وهدفها « مقاومة الاحتلال الاسرائيلي في جنوب لبنان ، وازالة آثاره واستعادة جميع الاراضي والحفاظ على لبنان بجميع اجزائه لاسيما ضد اطماع اسرائيل التوسعية والعدوانية والتمسك باتفاقية الهدنة ، والتنسيق مع الدول العربية الشقيقة عملا بميثاق الدفاع المشترك في كل ما يتعلق بالصراع مع اسرائيل ، والتنسيق مع الشقيقة سورية نظرا للروابط الخاصة بين البلدين مع مراعاة مستلزمات كل دولة وسيادتها ونظامها » .

---

(١) مذكرة الحكومة اللبنانية الى الامانة العامة لجامعة الدول العربية بتاريخ ٢٦ تموز/يوليو ١٩٨١.

(٢) مذكرة الحكومة اللبنانية الى جامعة الدول العربية بتاريخ ٢٩ آب / اغسطس ١٩٨١

٢ ــ معاهدة الدفاع المشترك بين الدول العربية والقرارات الصادرة بموجبها على مستوى القمة ، وفي مجلس الدفاع المشترك التي تعتبر الدفاع عن جنوب لبنان ضد العدوان الاسرائيلي مسؤولية عربية مشتركة والتي كان آخرها القرار المتخذ بتاريخ ٢٣ تموز/يوليو ١٩٨١ والذي جاء فيه : « اتخاذ التدابير والاجراءات التي تفرضها معاهدة الدفاع العربي المشترك لمساعدة لبنان وتأييده في المحافظة على استقلاله وسيادته ووحدة اراضيه في مواجهة العدوان الاسرائيلي » .

وكان مؤتمر القمة العربي الحادي عشر (عمان ، ٢٥ ــ ٢٧ تشرين الثاني /نوفمبر ١٩٨٠) قد صدق على « برنامج العمل العربي المشترك لمواجهة العدو الصهيوني وتحقيق التوازن العسكري الاستراتيجي مع العدو الصهيوني وانشاء قيادة عسكرية عربية مشتركة » .

ومن أجل تنفيذ هذه القرارات عقدت الهيئة الاستشارية العسكرية المؤلفة من رؤساء أركان جيوش الدول العربية مؤتمرا في تونس من ٢٨ الى ٣٠ نيسان /أبريل ١٩٨١ ، حيث وضعت توصياتها بشأن « المواضيع العسكرية المحالة اليها من مؤتمرات القمة العربية » . ورفعت الهيئة هذه التوصيات الى مؤتمر القمة الثاني عشر .

وفي الوقت ذاته ، قدمت سورية مذكرة مفصلة عنوانها « الصراع العربي ــ الاسرائيلي وتطوره وبحث السبل الكفيلة بتحقيق التوازن الاستراتيجي بين الجمهورية العربية السورية والعدو الاسرائيلي » . وقد انطلقت سورية في دعوتها هذه من اعتبار الصراع العربي ــ الاسرائيلي وسبل مواجهته ومستلزمات هذه المواجهة العسكرية والاقتصادية

والسياسية والثقافية مسؤولية قومية مشتركة واتجهت الى وضع جميع الامكانات والطاقات السورية ، أرضا وقوات مسلحة وطاقات اقتصادية في اطار استراتيجية عربية موحدة شاملة لخدمة اهداف الامة العربية في صراعها مع العدو الاسرائيلي .

التأم مؤتمر القمة العربي الثاني عشر في مدينة فاس المغربية يوم ٢٥ تشرين الثاني /نوفمبر وعقد جلسة وحيدة لم يناقش فيها سوى الموضوع اللبناني واصدر قرارا وحيدا بهذا الشأن أشار فيه الى « الاخطار المتزايدة التي تحدق بجنوب لبنان والتي لاتهدد لبنان وحده فحسب بل تتعداه الى جميع الدول العربية والى القضية الفلسطينية بالذات والمنطقة بأسرها » .

وقرر « وضع استراتيجية عربية شاملة تهدف الى منع اسرائيل من العدوان ووضع تصور لمواجهة العدوان الاسرائيلي اذا ما وقع لاسيما على جنوب لبنان » وجعل الملوك والرؤساء « ممارسة الضغوط السياسية والدبلوماسية والاقتصادية على جميع الدول التي تساند اسرائيل أو تؤثر عليها خاصة الولايات المتحدة الاميركية » احدى وسائل تلك الاستراتيجية ، وكلف المؤتمر هيئة مصغرة مشكلة من سورية ، والجزائر ، والكويت ، والمملكة العربية السعودية ، ولبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية ، « تعكف فورا على وضع مشروع لهذه الاستراتيجية » وقد اجتمعت الهيئة أكثر من مرة ولم تستطع ان تتفق على اسس الاستراتيجية المطلوبة ومقوماتها . وبقي الحال على هذه الشاكلة حتى بدء الغزو في حزيران/يونيو ١٩٨٢ .

٣ ــ الوضع الدولي

كان لبنان ، ومازال مرتبطا باتفاقية الهدنة اللبنانية ــ الاسرائيلية وملتزما بها . وهي الاتفاقية التي وقع عليها لبنان في اثر الحرب العربية الاسرائيلية عام ١٩٤٨ . وما يزال لبنان ــ ومعه القانون الدولي ــ يعتبر هذه الاتفاقية اساس علاقته باسرائيل ، بالرغم من نقض اسرائيل لها من جانب واحد بعد عدوان حزيران / يونيو ١٩٦٧ . وقد انكر مجلس الامن في الامم المتحدة على اسرائيل نقضها الاتفاقية ، وايد الموقف اللبناني باعتبار اتفاقية الهدنة القاعدة الحقوقية للعلاقة اللبنانية ــ الاسرائيلية . ولم يصدر من لبنان منذ عقد الاتفاقية اية مخالفة لها . والمخالفات والانتهاكات كلها صدرت من اسرائيل وحدها . ومراعاة لحرمة هذه الاتفاقية ، اجمعت الدول العربية المجاورة لاسرائيل على اعتبار لبنان دولة مساندة لا دولة مواجهة في الصراع العربي ــ الصهيوني . وحرص لبنان في الوقت ذاته على أن يطبق هذا الاجماع تطبيقا أمينا فلم يشترك في أي حرب ضد اسرائيل بعد عام ١٩٤٨ ولم تطلب منه الدول العربية ان يفعل ذلك .

لقد سلمت اسرائيل دائما بأن لبنان لم يجابهها بقواته العسكرية مجابهة عدوانية ، ولهذا خلا سجل الشكاوى العربية ــ الاسرائيلية في الامم المتحدة من أية شكوى اسرائيلية ضد لبنان . واذا وقعت هجمات فلسطينية على اسرائيل من الارض اللبنانية ، فان اسرائيل وحدها هي المسؤولة عنها ، لانها هي التي تحول دون عودة الشعب الفلسطيني طبقا لقرارات الامم المتحدة الى وطنه فلسطين وهي التي تحول دون تنفيذ ارادة

المجتمع الدولي . وتتذرع اسرائيل بالعمليات الفلسطينية في الجليل الاعلى ، عبر الحدود اللبنانية الفلسطينية لتمارس ظلما وعدوانا العمليات التي عرفت في حرب فيتنام باسم « المطاردة الساخنة » فتتعقب افراد الثورة الفلسطينية في الاراضي اللبنانية . ولكن مجلس الامن في الامم المتحدة رفض هذا المنطق الاسرائيلي ، وأنكر على اسرائيل ذريعتها في كل مرة قامت فيها اسرائيل باجتياز الحدود اللبنانية بحجة تعقب افراد الثورة الفلسطينية . وتجلى ذلك في قرارات عدة أصدرها مجلس الامن .

كان الموقف الدولي بمجمله مناصرا للبنان ، متعاطفا معه في وجه الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة . وقد عبرت دول كثيرة ، خاصة الدول الكبرى ذات العضوية الدائمة في مجلس الامن الدولي — عدا الولايات المتحدة الاميركية — عن ادانتها اسرائيل على اعتداءاتها وعن تأييدها لسلامة لبنان واستقلاله ووحدة أراضيه داخل حدوده المعترف بها دوليا . وفي حين اكتفت بعض الدول بهذه المواقف راحت دول أخرى ، وفي مقدمتها الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية والدول الاسلامية والدول غير المنحازة ، راحت تفضح عدوانية اسرائيل وتكوينها الصهيوني التوسعي وتعريضها السلم والامن الدوليين للخطر وتشير الى احتمالات الانفجار في منطقة الشرق الاوسط ، بشكل يصعب معه حصر الانفجار اقليميا اذ قد يفلت زمام مراقبته واحاطته واستيعابه فيؤدي الى تصادم قوى كبرى قد ينتهي الى صدام دولي مسلح كبير .

وكان من نتيجة ذلك أن منيت اسرائيل بعزلة دولية واضحة حاولت الولايات المتحدة مرارا ان تخرقها بمواقفها السياسية ، خاصة في مجلس الامن

والجمعية العامة للامم المتحدة والمؤتمرات الدولية وبمواصلة مدها اسرائيل بالمساعدات العسكرية والمالية وتعاونها ، الاستراتيجي والسياسي معها .

ولقد اتخذ مجلس الامن ــ على سبيل المثال قبل عدوان حزيران / يونيو ١٩٨٢ ، عددا من القرارات التي تعبر عن موقف المجتمع الدولي حيال اعتداءات اسرائيل على لبنان . ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

١ ــ القرار ٤٢٥ بتاريخ ١٩ آذار / مارس ١٩٧٨ وفيه طالب المجلس « بالاحترام الصارم لسلامة أراضي لبنان وسيادته واستقلاله السياسي داخل حدوده المعترف بها دوليا » . وطلب من اسرائيل « الوقف الفوري لعملها العسكري ضد الاراضي اللبنانية وسحب قواتها دون ابطاء من جميع الاراضي اللبنانية » . وقرر تشكيل « قوة مؤقتة للامم المتحدة لجنوبي لبنان (يونيفيل)[1] تكون تحت إمرته مهمتها تثبيت انسحاب القوات الاسرائيلية واعادة السلام والامن الدوليين ومساعدة الحكومة اللبنانية على تأكيد عودة سلطتها الفعلية الى المنطقة » .

٢ ــ القرار ٤٥٠ بتاريخ ١٤ حزيران / يونيو ١٩٧٩ وفيه أعلن المجلس أسفه « لاعمال العنف في لبنان التي ادت الى تشريد المدنيين بما فيهم اللبنانيين والفلسطينيين وجلبت الدمار والموت لمئات الابرياء » . ودعا المجلس اسرائيل الى الامتناع عن القيام باعمال

---

(١) يونيفيل Unifil

« ضد سيادة لبنان ووحدته وسلامته الاقليمية واستقلاله السياسي وبالاخص غاراتها على لبنان ومساعدتها المستمرة للمجموعات المسلحة غير المسؤولة »[1] .

٣ ــ القرار ٤٦٧ بتاريخ ٢٤ نيسان / ابريل ١٩٨٠ وفيه دان المجلس اعتداءات اسرائيل وأعمال العنف التي تمارسها ، خاصة : « أي انتهاك للسيادة والسلامة الاقليمية اللبنانية ، والتدخل العسكري الاسرائيلي في لبنان وجميع أعمال العنف المرتكبة خرقا لاتفاقية الهدنة المشتركة بين اسرائيل ولبنان وتزويد ما يسمى بقوات الامر الواقع بالعون العسكري وكل اعاقة لقدرة قوة الامم المتحدة المؤقتة لجنوبي لبنان (يونيفيل) على تحقيق الانسحاب الكامل للقوات الاسرائيلية من لبنان وعلى مراقبة وقف اعمال العنف وعلى ضمان الطبيعة السلمية لمنطقة عملها ومراقبة الحركة واتخاذ الاجراءات الضرورية لضمان استعادة السيادة اللبنانية بشكل فعال ، والاعمال التي أدت الى الوفاة والاصابات بين افراد اليونيفيل وهيئة الرقابة على الهدنة والتحرش بهم وايذائهم وقطع المواصلات وتدمير ممتلكاتهم وتجهيزاتهم . »[2] ودان المجلس « القصف المتعمد لقيادة اليونيفيل وخاصة المستشفى الميداني الذي يتمتع بحماية خاصة وفق القانون الدولي » .

---

(١) يقصد المجلس بذلك قوات العميل المنشق سعد حداد ، والمسماة «قوات الامر الواقع »

(٢) كانت قوات العميل سعد حداد قد اعتدت على قوات الامم المتحدة ، وقصفت مراكز قياداتها ومواقعها ومستشفياتها بالمدفعية ، وقتلت بعض جنودها .

ولفت المجلس الانتباه الى ان اليونيفيل مكلفة « باستعمال القوة للدفاع عن النفس » والى أن من سلطتها « ان تستعمل القوة لمنع نشوب القتال ولضمان عدم استخدام منطقة عملها لنشاطات عدوانية من أي نوع » . وطلب المجلس من الامين العام للامم المتحدة ان يدعو لجنة الهدنة اللبنانية ــ الاسرائيلية المشتركة الى الاجتماع كما طلب منه « احياء اتفاقية الهدنة العامة بما يساعد على استعادة لبنان سيادته الكاملة على جميع اراضيه حتى الحدود المعترف بها دوليا » .

٤ ــ القرار ٤٨٨ بتاريخ ١٩ حزيران/يونيو ١٩٨١ وفيه دان المجلس جميع الاعمال (التي تقوم بها اسرائيل وقوات سعد حداد) التي منعت قوات الامم المتحدة من أداء مهمتها وتسببت في وقوع عدد من الضحايا والجرحى بين المدنيين وفي صفوف قوات الامم المتحدة .

٥ ــ القرار ٤٩٠ بتاريخ ٢١ تموز/يوليو ١٩٨١ وفيه طلب المجلس الوقف الفوري لجميع الهجمات المسلحة على لبنان وأكد مرة اخرى « التزامه بسيادة لبنان وسلامة أراضيه داخل حدوده المعترف بها دولياً » .

في إثر هذا القرار ، تم وقف اطلاق النار في جنوبي لبنان بدءاً من يوم ٢٤ تموز/يوليو ١٩٨١ واستمر الوضع بهذا الشكل حتى يوم ٤ حزيران/يونيو ١٩٨٢ حين خرقت اسرائيل وقف اطلاق النار بالعدوان على لبنان .

٤ ــ التحالف الاميركي ــ الاسرائيلي

يمكن القول ان التصور الاستراتيجي للولايات المتحدة ، في عهد الرئيس رونالد ريغان ، بشأن منطقة الوطن العربي والشرق الاوسط يقوم على أساس ايجاد ثلاث دوائر استراتيجية متداخلة ومتكاملة ، تتقاطع جميعها في مركز واحد وتسيطر عليها وعليه الادارة الاميركية . وهذه الدوائر الثلاث هي :

آ ــ دائرة الحلف الاستراتيجي الاميركي ــ الاسرائيلي

تكرس ايجاد هذه الدائرة بتشكيل حلف ثنائي بين الولايات المتحدة واسرائيل تم الاتفاق عليه في واشنطن بين الرئيس الاميركي ريغان ورئيس وزراء اسرائيل مناحيم بيغن حين زار هذا العاصمة الاميركية يوم ٦ ايلول/سبتمبر ١٩٨١ . وقد خاطب الرئيس ريغان ضيفه بعد الاتفاق فوصف اسرائيل بأنها « كنز استراتيجي » للولايات المتحدة وأن « الولايات المتحدة تنظر الى اسرائيل كحليف ... وأن أمن اسرائيل هو هدف أساسي لهذه الادارة ... واننا مصممون على العمل مع جميع اصدقائنا في الشرق الاوسط لمواجهة قوى الطغيان والعدوان والقوى الخارجة على القانون » . وكانت وزارة الخارجية الاميركية أصدرت قبل ذلك بيانا رسميا اعتبرت فيه اسرائيل للمرة الاولى انها « حليف استراتيجي للولايات المتحدة[1] » .

(١) جريدة هآرتس الاسرائيلية ، ٢٦ آب ١٩٨١

وفي ٣٠ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨١ ، تم التوقيع في واشنطن من قبل وزيري الدفاع الاميركي والاسرائيلي على الصيغة النهائية للاتفاق الاستراتيجي الذي حمل اسم « مذكرة التفاهم » وبعد يومين من ذلك حظي الاتفاق بتصديق الكنيست ، حيث أعلن وزير الدفاع الاسرائيلي ، في معرض رده على المعارضة عن وجود بنود سرية في الاتفاق ، اذ قال : « هذه الاتفاقية لم تصنع لتنشر في الصحف ... هل يستطيع احد ان يتصور امكان عرض تفاصيل مثل هذا الاتفاق بشكل علني ؟ . هل هناك مثل في العالم على اتفاقية مفتوحة تشير بوضوح الى عدد الدبابات والعتاد والتعاون الامني وغيرها لاي طرف[1] ؟ » .

وقد رأى بيغن في هذا الاتفاق سبيلا لكي يطلب من الجانب الاميركي رفع حجم المعونات الاميركية العسكرية والاقتصادية لاسرائيل الى ثلاثة مليارات دولار سنويا . كما رأى فيه « انجازا غير عادي » على اعتبار انه جاء تتويجا للعلاقات الاميركية ــ الاسرائيلية ، « ووضع الأسس لتحالف عسكري استراتيجي بين الدولتين[2] » . في حين اوضح وزير الدفاع الاسرائيلي ارييل شارون ان هذا التحالف يرتكز على دمج اسرائيل كحليفة للولايات المتحدة في تشكيل عسكري « لردع الاتحاد السوفييتي عن تهديد الشرق الاوسط وافريقيا » ويمنحها ــ اي اسرائيل ــ القوة القادرة على « الصمود بشكل أقوى في وجه التوسع السوفييتي واستراتيجيته العدوانية التي تشكل اكبر خطر يواجه اسرائيل » .

---

(١) جريدة السفير اللبنانية ، ٣ كانون الاول ١٩٨١

(٢) جريدة معاريف الاسرائيلية ، ١٠ ايلول ١٩٨١

وطالب بضرورة انتهاج اسرائيل سياسة تؤدي الى « نقل المشكلات الى الطرف الثاني . وهذا يعني انه لايجوز انتظار قيام الاتحاد السوفييتي باحتلال منطقة ليجيء الرد عليه بعد وقوع الحدث ، بل يقتضي الامر منع عدوانه قبل حدوثه عن طريق وضع القوات اللازمة بالقرب من المكان وايجاد الشروط والادوات الضرورية لنقل القوات بالسرعة والنجاعة المطلوبتين من مكان الى آخر[1] » .

لقد جاء اعلان التحالف الاستراتيجي بين الولايات المتحدة واسرائيل ثمرة طبيعية لتاريخ العلاقات بينهما وتطورها وتعبيرا جديدا عن الانتقاء في المصالح والاهداف في سياق تطورات وتبدلات خطيرة جرت في الوطن العربي في السبعينات ، تمثل أهمها في خروج مصر من الصف العربي على اثر اتفاقيات كامب ديفيد والمعاهدة مع الكيان الصهيوني وانتقالها الى خندق العدو تحت مظلة النفوذ الاميركي ــ الصهيوني . كما اتسعت وتعمقت الهيمنة الاميركية في منطقة الخليج العربي . ثم جاءت الحرب العراقية ــ الايرانية لتخرج بلدين اسلاميين اخراجا عمليا من دائرة الصراع العربي ــ الاسرائيلي ، واشغالهما في صراع مسلح مرير حرم الجانب العربي من طاقات وامكانيات عسكرية واستراتيجية واقتصادية كبيرة .

لقد واجه التحالف الاستراتيجي هذا قبل اعلانه ، خاصة من قبل الولايات المتحدة عقبة اساسية تكمن في كيفية اعلانه دون إحراج اصدقاء الولايات المتحدة من العرب . وقد وجد طرفا التحالف مخرجا من هذا

---

(١) جريدة يديعوت احرونوت الاسرائيلية ١٥ أيلول ١٩٨١

الحرج ، يتمثل في بناء التحالف واستناده الى ارضية العداء للاتحاد السوفييتي وحماية الشرق الاوسط (الوطن العربي) من « شر خطره » وبذلك تمكن الطرفان من الاعلان عن الاتفاق الذي يعزز قدرات اسرائيل العسكرية تعزيزا كبيرا ويجعلها ترسانة وقاعدة لصالح قواتها والقوات الأميركية معا ، معدة اساسا ضد اية انتفاضة وطنية عربية قد تحدث في سبيل رفع الهيمنة الاميركية عن الثروات والمقدرات السياسية العربية .

ان خطورة هذا الاتفاق لا تكمن فقط في رفع قدرات العدو الاسرائيلي عسكريا واقتصاديا بما يضمن استمرار تفوقه على العرب وتكريس احتلاله للاراضي العربية المحتلة ورفع وتيرة اعتداءاته وتوسعاته وانما تكمن ايضا في اقدام الولايات المتحدة على التحالف العسكري الاستراتيجي مع كيان هو في حالة حرب حقيقية مع بعض الدول العربية ونظرية مع جميع الدول العربية باستثناء مصر .

ب ـ دائرة الحلف الاستراتيجي الاميركي ـ الاسرائيلي ـ المصري

يعتبر هذا الحلف الوليد الطبيعي لاتفاقيات كامب ديفيد والمعاهدة المصرية ـ الاسرائيلية ، واذا كانت اسرائيل تؤدي الدور الاول في الحلف الاميركي ـ الاسرائيلي ، فان النظام المصري يقوم بهذا الدور في الحلف الثلاثي . وكان من نتائجه ان اصبح للولايات المتحدة قواعد عسكرية جوية وبحرية وبرية في مصر واصبح القطر المصري مرتبطا عسكريا بالمجهود الحربي

الاميركي . وقد انتسب الرئيس المصري السابق انور السادات الى هذا الحلف بذريعة الدفاع عن « أمن الخليج » في مواجهة ما أسماه « الخطر السوفييتي » على المنطقة .

تم رسم معالم هذا التحالف الثلاثي أثناء زيارة الرئيس السادات الى الولايات المتحدة في شهر آب/اغسطس ١٩٨١ ، كما تم تحديد وظائفه وهي : السماح للقوات العسكرية الاميركية بالوجود في كل من مصر واسرائيل وتسهيل القيام بعمليات أميركية أو مشتركة مع القوات المصرية والاسرائيلية وانطلاقا من اراضي مصر واسرائيل في الاماكن والظروف التي ترى الولايات المتحدة ضرورة للتدخل فيها ، والسماح للولايات المتحدة بتخزين الاسلحة في مصر واسرائيل .

جـ ــ دائرة الاجماع الاستراتيجي

يتسع اطار هذا الحلف ليصبح على شكل قوس عريض يضم الدول الموالية للولايات المتحدة وسياستها المعادية للاتحاد السوفييتي وبذلك تقف اسرائيل وبعض الانظمة العربية مع الولايات المتحدة في اطار حلف واحد يهدف ــ كما قال الرئيس الاميركي ريغان في حفل استقبال الرئيس السادات ــ الى تحقيق ما أسماه « الاستقرار الاقليمي في الشرق الاوسط بحيث يمكن التصدي الصارم للاخطار الاستراتيجية الخارجية وأخطار التدخل الاجنبي التي تهدد استقلال دول المنطقة » . ويعني بتعبير آخر ، توحيد كل القوى الموالية للنهج الاميركي في المنطقة من أجل مواجهة خطر مزعوم هو « الاتحاد السوفييتي » ومن أجل شل حركة التجرر العربية

وصيانة المصالح الامبريالية وحمايتها ، ويتم ربط حلقات هذا « الاجماع » عبر سلسلة من التحالفات المترابطة ثنائيا او ثلاثيا او اكثر ويكون هناك دائما قاسم مشترك موجود في جميع حلقات السلسلة المكونة « للاجماع » هو الولايات المتحدة .

لاشك في ان هذه الدوائر الثلاث ، المتداخلة والمتقاطعة ذات القاسم المشترك والقيادة الواحدة — وهي الولايات المتحدة — قد تركت اثرها وبصماتها على الارضية التي انطلقت منها اسرائيل في عدوانها على لبنان ١٩٨٢ . ذلك ان الدائرة الاولى زودت اسرائيل بالسلاح والمال والحماية والامان . في حين غيرت الدائرة الثانية ميزان القوى في المنطقة لصالح العدو ومزقت الصف العربي واشاعت عوامل الفرقة والخلاف فيه . أما الدائرة الثالثة فقد حرفت اهتمامات بعض الدول العربية عن التركيز على عدو الامة العربية وهو اسرائيل وحاولت ان تشد تلك الاهتمامات الى عدو مزعوم . وكان من نتيجة ذلك ان دب الشلل في الفكر العربي المقاوم الرسمي وسابت شؤون الدفاع العربي المشترك وضاعت معالمه ومفاهيمه وانحلت مؤسساته .

لعل هذه النتائج التي أشرنا اليها تشكل بعض الاسباب التي تفسر الموقف العربي ، المتصف بالأقوال دون الأفعال ، خلال المرحلة الزمنية التي سبقت غزو ١٩٨٢ ، والتي امتلأت بالاعتداءات الصغيرة والكبيرة والكثيرة ، كما تفسر ، في الوقت ذاته ، الموقف العربي ، المتصف بالصمت والغياب طوال مدة ذلك الغزو .

لقد استند تخطيط الغزو الاسرائيلي وتنفيذه في حزيران/يونيو ١٩٨٢

استنادا كاملا الى مرتكزات سياسة الادارة الاميركية حيال الصراع العربي ــ الاسرائيلي وقضية فلسطين . وأبرز هذه المرتكزات :

١ ــ الرفض التام للاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية وللتحاور والتفاوض معها ، اذ تعتبر ادارة الرئيس الاميركي رونالد ريغان المنظمة « منظمة ارهابية » .

٢ ــ الرفض التام لحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني ولاقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وحل مشكلة هذا الشعب عن طريق تجميع الفلسطينيين في الاردن .

٣ ــ اعتبار اسرائيل مرتكزا جغرافيا وسياسيا وعسكريا تعول الولايات المتحدة عليه في الشرق الاوسط ويشكل عنصر توازن عسكري ذا شأن في مواجهة ما يسمى « بالنفوذ السوفييتي » في المنطقة .

٤ ــ دعم السياسة العدوانية المغامرة المتطرفة التي تنتهجها حكومة الليكود في اسرائيل بقيادة مناحيم بيغن ، خاصة في مجال الاستيطان الصهيوني في الجولان والضفة الغربية وقطاع غزة والعمل على تصفية القضية الفلسطينية من خلال القضاء على منظمة التحرير الفلسطينية وتطبيق احكام اتفاقيتي كامب ديفيد بشأن الادارة الذاتية في الضفة والقطاع وشن الاعتداءات المتتالية على لبنان والفلسطينيين المقيمين فيه .

واذا كان العدو استند في بدئه الغزو على الاوضاع اللبنانية والعربية والدولية ، فانه استند في الاساس على السياسة الاميركية في منطقة الشرق الاوسط واتكل عليها اتكالا اساسيا . وتتمحور السياسة الاميركية في

المرحلة الراهنة في مدارها العربي الشامل حول مفاصل رئيسية ثلاثة وهي : استعادة السيطرة الامبريالية على الوطن العربي كله ، واعتماد اسرائيل وكيلا رئيسيا مضمونا لحراسة المصالح الاميركية في الشرق الاوسط مع الاحتفاظ بالدور التقليدي للرجعية العربية ، في هذا المجال ، وطمس معالم النزاع العربي ـــ الاسرائيلي بما يثبت واقع القهر القومي للامة العربية ، والقهر الوطني لشعوبها .

وليست هذه السياسة بنت الساعة الحاضرة بل هي خطة قديمة راهنة مستقبلية جرى ويجري تنفيذها في ظل رعاية اميركية دائمة لعواملها وعناصرها ومقوماتها .

وغني عن القول ان لبنان قد احتل وما يزال يحتل موقعا رئيسيا في هذه السياسة اذ تم تفجير الازمة اللبنانية العام ١٩٧٥ بقرار اميركي . وكان الحرص على استمرارها وتعقيدها وتصعيدها وتأجيج نارها منذ ذلك الحين وحتى الان قرارا اميركيا . ويأتي غزو اسرائيل للبنان في حزيران/يونيو ١٩٨٢ ضمن هذا السياق فقد كان بدء الغزو وتوقيته ـــ الى جانب انهما قرار اسرائيلي ـــ قرارا اميركيا ايضا قصدت الولايات المتحدة من ورائه ان تبقي الاراضي اللبنانية التي سيحتلها العدو في حربه رهينة اميركية ـــ اسرائيلية بانتظار انضاج العوامل اللازمة لتغيير الموقف العربي الرسمي لتقبل شروط الخطة الامبريالية ـــ الصهيونية ووضع المنطقة كلها تحت مظلة السيطرة الاميركية ـــ الاسرائيلية .

لقد كشف الجنرال الكسندر هيغ وزير الخارجية الاميركية السابق الجانب الاميركي من قرار غزو لبنان حين صرح بأن الولايات المتحدة

اعطت اسرائيل الضوء الأخضر لبدء الغزو . وقد دفع هيغ ثمن تصريحه هذا حين فقد منصبه الوزاري . واستنادا الى ذلك كله تركزت سياسة ادارة الرئيس ريغان على تحقيق الاهداف التالية :

١ ــ اقناع الدول العربية بأن « الخطر السوفييتي » يهدد أمنها اكثر بكثير من الخطر الاسرائيلي .
٢ ــ تشكيل حلف عسكري يضم بعض الدول العربية واسرائيل لمواجهة « الاخطار المشتركة » .
٣ ــ رسم خط فاصل بين حلفاء الولايات المتحدة واصدقاء الاتحاد السوفييتي لتطبيق اسلوب الثواب والعقاب .
٤ ــ تهميش النزاع العربي ــ الصهيوني واستيعابه وتجاوزه ثم تصفيته على مراحل بعد تصفية منظمة التحرير الفلسطينية .
٥ ــ تحجيم الانظمة العربية المدافعة عن القضية الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطيني ومحاصرة دورها وحصر تأثيراتها .
٦ ــ دعم اسرائيل عسكريا واقتصاديا حتى تصبح مركز الدائرة لهذه السياسة الاميركية الشرق اوسطية . بغية تحقيق هذه السياسة ، كان لابد من اجراء تغييرات رئيسية في خارطة الصراع العربي ــ الصهيوني . وأهم هذه التغييرات :

١ ــ إخراج قوات الثورة الفلسطينية من اطار القدرة على القيام بعمليات عسكرية مؤثرة ضد(اسرائيل) والتأثير داخل الارض المحتلة .
٢ ــ الاستفراد بالقوات المسلحة السورية العاملة ضمن إطار قوات الردع

العربية وإيقاع خسائر جسيمة فيها تشغلها فترة من الزمن من أجل تعويض الاسلحة والمعدات وتدريب القوى البشرية .

ولقد كان لبنان الساحة المؤهلة لاجراء هذه التغييرات في خارطة الصراع العربي ــ الصهيوني ، ولذلك جهزت الولايات المتحدة اسرائيل بكل مايلزم لشن الحرب التي تؤدي الى احداث هذه التغييرات . وهكذا غذت الولايات المتحدة الكيان الصهيوني بمعونة اقتصادية سنوية بلغت ثلاثة مليارات من الدولارات وزودتها بأحدث الاسلحة الهجومية والمعدات الالكترونية بعد أن وقعت معها مذكرة التعاون الاستراتيجي .

ولقد ترافق ذلك كله مع ارادة اسرائيل في تحقيق المطامع الصهيونية في لبنان بصورة عامة وفي جنوبه بصورة خاصة . فالاحداث المأساوية التي عاشها لبنان منذ العام ١٩٧٥ وحتى بدء الاجتياح الاسرائيلي في ٦ حزيران/يونيو ١٩٨٢ هي في جوهرها احداث مترتبة على المطامع الصهيونية وهي في سياقها المنطقي والعقلاني احداث ترجع الى سياسة اسرائيل التوسعية . فقد كان الحضور الصهيوني وما يزال قائما في سائر الاحداث اللبنانية . إنه حضور ظاهر في اعتداءات اسرائيل المتوالية على لبنان وفي احتلالها المباشر وغير المباشر لجزء من اراضيه كما هو ماثل في اعتداءاتها المتكررة التي تستبيح فيها مجالات السيادة اللبنانية ، معتبرة اياها مجالات نفوذ لها ومجالات مفتوحة امام حرية تحركات قواتها الجوية والبرية والبحرية . وهو باد ايضا في ادعاءاتها حماية فئات محددة من الشعب اللبناني وفي تغذيتها للنزعات الدينية التعصبية والانعزالية . فقد صرح رئيس الاركان الاسرائيلي الجنرال رفائيل ايتان يوم ١٥

شباط/فبراير ١٩٨١ : « ان العمليات الاستطلاعية التي تقوم بها الطائرات الاسرائيلية في الاجواء اللبنانية حيوية لأمننا ولا يعنينا رضى السوريين او عدم رضاهم هذا الامر[١] » وقال ايضا في محاضرة ألقاها يوم ٢٤ آذار/مارس ١٩٨١ : « سيواصل الجيش الإسرائيلي العمل في جنوبي لبنان وفي كل مكان يختاره وفي كل وقت يراه ملائما[٢] » .

وصرح الجنرال الاحتياطي مردخاي غور يوم ٣ نيسان/ابريل ١٩٨١ : « لقد كان بين البنود الاستراتيجية ــ السياسية التي وجهت السياسة الامنية لاسرائيل خلال هذه السنوات ، وبشكل اساسي في اثر حرب الغفران هو المحافظة على السيطرة الاسرائيلية الجوية الحرة والمطلقة على سماء لبنان[٣] » .

لقد إنطلقت اسرائيل في عدوانها على لبنان مستندة الى التخطيط المشترك بينها وبين الولايات المتحدة والى التسلح الحديث الغزير التي زودتها به هذه الدولة الحليفة ومن أجل تحقيق أهداف مشتركة بالاضافة الى الاهداف الاسرائيلية الخاصة وفي مقدمتها الاحتلال والتوسع . وفي اطار هذا التحالف تكفلت الولايات المتحدة بالتغطية والحماية السياسية لاسرائيل وغزوها في اطار الامم المتحدة . وكمثال على ذلك فقد استعملت الولايات المتحدة حق النقض ، في النصف الاول من عام ١٩٨٢ فقط ست مرات في مجلس الامن ، لاسقاط قرارات ايدها مجلس الأمن بأكثريته

(١) نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية كانون الثاني/اذار ١٩٨١ ص١٢ بيروت

(٢) نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية كانون الثاني/اذار ص١٩ بيروت

(٣) نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية أيار ١٩٨١ ص٢٨٥ بيروت

الساحقة ، وهذه القرارات تتعلق بالوضع في الاراضي الفلسطينية المحتلة (الضفة الغربية) وقطاع غزة والجولان والارض العربية السورية المحتلة ، ولبنان واعتداءات اسرائيل عليه .

لقد أدى سلوك الولايات المتحدة هذا ، السياسي والعسكري والاقتصادي الى النتائج التالية :

١ ــ تشجيع اسرائيل على التمادي في سياسات الضم (القدس والجولان) واستعمار الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة وطرد سكانها ومصادرة أراضيهم وأملاكهم .

٢ ــ تشجيع اسرائيل على الاستمرار في انتهاك ميثاق الامم المتحدة والقانون الدولي ، ونحو خمسمائة قرار اتخذتها الامم المتحدة بمختلف اجهزتها منذ نشوء النزاع العربي ــ الصهيوني حتى اليوم .

٣ ــ زيادة التوتر في منطقة الشرق الاوسط وتأجيج بؤر النزاع القائمة فيها ــ خاصة في لبنان ــ والتي يحتمل انفجارها .

٤ ــ تعريض جميع القيم والمبادىء التي تضمنها ميثاق الامم المتحدة وهي القيم التي ضحت الانسانية من أجل الدفاع عنها وتثبيتها بعشرات الملايين من أبنائها وتحملت مختلف ألوان الموت والعذاب والالم والاضطهاد ــ تعريض هذه القيم والمبادىء الى الانهيار والسقوط .

٥ ــ تعطيل فرص اقامة السلام العادل في الشرق الاوسط بعد ان قضت الولايات المتحدة على هذه الاحتمالات واحدا بعد اخر نتيجة فرضها اتفاقيات كامب ديفيد وتشجيعها اسرائيل على العدوان ــ ومن ذلك عدوانها على لبنان في حزيران/يونيو ١٩٨٢ ــ ومنع المجتمع

الدولي من ردع اسرائيل عن سياساتها وممارساتها الهادمة لما تبقى من معالم السلم والامن والاستقرار في الشرق الاسط .

٦ــ تخلي الولايات المتحدة عن أي دور في عملية اقامة السلام العادل في الشرق الاوسط لانها بانحيازها الكامل الى اسرائيل وسياساتها وممارساتها العدوانية الاستعمارية اصبحت طرفا مع اسرائيل ولم تعد حكما او وسيطا او قائما بالمساعي الحميدة .

وكان من النتائج المباشرة لهذا السلوك الاميركي ايضا في مرحلة ما قبل عدوان ١٩٨٢ ان اصبحت اسرائيل قادرة على الاستمرار في تطبيق خططها العدوانية وسياساتها الاستعمارية وتوفرت لديها الوسائل اللازمة للعمل مع الحماية الاميركية لتعطيل ارادة المجتمع الدولي . وهكذا انطلقت اسرائيل في أعمالها العدوانية المتتالية التي نشير الى آخرها وأبرزها فيما يلي :

١ ــ ضم الجولان بعد ضم القدس .

٢ ــ الضم الواقعي للضفة الغربية وقطاع غزة .

٣ ــ الاحتلال الواقعي لجنوبي لبنان . والتدخل المستمر في الشؤون الداخلية اللبنانية والاعتداءات المستمرة على لبنان .

٤ ــ تهديد الدول العربية ، وانتهاك حرمة الاجواء الاقليمية العربية . وما ضرب المفاعل النووي العراقي المنشأ للاغراض السلمية سوى أحد الأمثلة الواضحة على ذلك .

وهكذا برزت في مرحلة ما قبل عدوان ١٩٨٢ الحقائق التالية :

١ ــ ان اسرائيل ماضية في سياساتها العدوانية وفي توسيع حدود كيانها

انطلاقا من عقيدتها الصهيونية ومن غرضها في اقامة « اسرائيل الكبرى » .

٢ ــ ان دعوة اسرائيل الى اقامة السلام في منطقة الشرق الاوسط ليست سوى ادعاء خادع ومضلل وتكتيك مرحلي ترفع بواسطته شعار السلام وتمارس في ظله الاحتلال والتوسع والاستعمار واضطهاد السكان العرب في الاراضي المحتلة وطردهم من وطنهم .

٣ ــ لقد اصطدمت جميع الدعوات. الى السلام وجميع محاولات اقامة السلام العادل في المنطقة ــ سواء انطلقت هذه الدعوات والمحاولات من الامم المتحدة ذاتها او في اطارها ــ اصطدمت بالطبيعة الصهيونية العدوانية التوسعية وبطبيعة الاهداف التي حددتها اسرائيل لنفسها .

٤ ــ قامت اتفاقيات كامب ديفيد بدور رئيسي في توتير الظروف والعوامل لاسرائيل كي تتابع تنفيذ خطتها التوسعية وتعطل فرص السلام .

لقد ادى ذلك كله الى ان تصبح امكانية التوصل الى حل سلمي في المنطقة ليست بعيدة فقط وانما هي مشكوك فيها . وهكذا لم يعد في اسرائيل باب مفتوح سوى باب الاعتداء والاحتلال والتوسع . وقد وجدت اسرائيل هذا الباب مرة اخرى يوم شنت عدوانها على لبنان في حزيران/يونيو ١٩٨٢ .

الفصل الرّابع

الحرب في الجنوب
والعمليات خلف الخطوط

١ ــ التهديدات الاسرائيلية ومؤشرات العدوان ــ ذريعة بدء الحرب .
٢ ــ التحضير للعدوان وخطة اسرائيل لاجتياح الجنوب .
٣ ــ وضع القوات المشتركة وانتشارها عند اندلاع الحرب .
٤ ــ النشاط الجوي الاسرائيلي الذي سبق عملية الغزو الاسرائيلي .
٥ ــ معارك الجنوب «قلعة الشقيف ــ صور ــ صيدا ــ مخيم عين الحلوة» .
٦ ــ منطقة الشريط الحدودي في الجنوب اللبناني .
٧ ــ العمليات العسكرية خلف خطوط العدو .

١ ـــ التهديدات الاسرائيلية ومؤشرات العدوان

منذ الاتفاق على وقف اطلاق النار في عام ١٩٨١ الذي تم بين العدو الاسرائيلي والقوات الفلسطينية والمشتركة عبر اطراف أخرى ، في جنوبي لبنان بدأت اسرائيل حملة اعلامية مكثفة ، تتهم فيها الفلسطينيين بانتهاك هذا الاتفاق تمهيدا للعمليات العدوانية التي باتت مصدر دعم للوجود الصهيوني على الاراضي العربية المحتلة ، وهدف هذه الحملة إظهار الفلسطينيين « كارهابيين » يعملون ليس فقط على تدمير الكيان الصهيوني ، وانما على زعزعة السلام العالمي ، سعيا وراء ايجاد مسوغات يتذرع بها امام الرأي العام العالمي للقيام بأعمال عسكرية محتملة ورغبة منه في تهيئة الرأي العام الاسرائيلي لتقبل النتائج المحتملة لاعماله العدوانية .

كان من ظواهر هذه الحملة تكريس المقالات الرئيسية في الصحف الاسرائيلية وتخصيص الجزء الاوفى من تصريحات المسؤولين الاسرائيليين للنشاطات النضالية الفلسطينية ، وإبرازها على انها اعمال ارهابية تخريبية ، ولقد استغلت الى مدى بعيد حادثة اغتيال السكرتير الاول في السفارة الاسرائيلية بباريس في آذار ١٩٨٢ حيث القت اسرائيل مسؤولية هذه

الحادثة على منظمة التحرير الفلسطينية ، وعدتها خرقا لوقف اطلاق النار رغم ثبوت انتفاء علاقة المنظمة بها .

وكان الدافع الكامن وراء هذه الحملة ، هو ان اسرائيل شعرت بحاجة للقيام بعمل عسكري في المنطقة ، تحقق من ورائه اهدافها التوسعية وتفرض ارادتها ومصالحها على دول المنطقة ، والتي ما هي الا انعكاس للاهداف والمصالح الامريكية .

لقد شعرت كل من اميركا واسرائيل أن الوضع القائم في لبنان يتعارض مع مصالحهما فهناك اولا : القوات العربية السورية العاملة في اطار قوات الردع التي ترابط في لبنان وتستخدم وسائط دفاعها الجوي الصاروخية لاعاقة نشاط الطيران الاسرائيلي فوق البقاع وتعمل لمنع تنفيذ المخططات الامريكية الاسرائيلية الرامية الى تقسيم لبنان ، وتسليم السلطة فيه الى قوى موالية للسياسة المعادية للامة العربية .

ـــ وهناك ثانيا : تعاظم القوى الفلسطينية المسلحة ، التي باتت قادرة على التحرك على نطاق واسع ، والتأثير في الموقف العربي خاصة ، والدولي بشكل عام ، وذلك من خلال المكانة التي وصلت اليها على الصعيدين العسكري والسياسي ، خاصة على الساحة اللبنانية .

ـــ ثالثا : موقف القوى الوطنية اللبنانية التي ترفض باصرار فكرة تقسيم لبنان والمساومة على مناطق النفوذ ، والتي كانت من خلال موقفها النضالي تحد من التحركات الانعزالية في بيروت ، وفي الشريط الحدودي حيث يسيطر العميل سعد حداد تحت المظلة الاسرائيلية .

ـــ رابعا : الموقف العربي السوري تجاه القضية

اللبنانية ــ الفلسطينية ، وتجاه مخططات كامب ديفيد ويعمل دائما للحيلولة دون انضمام لبنان الى اية تحالفات من شأنها ان تفرض الوجود الاسرائيلي على التراب العربي كأمر واقع . أما داخل « اسرائيل » فقد كانت هناك امور كثيرة متشابكة في صلب الكيان الصهيوني تدعو الائتلاف الحكومي « الليكود » للقيام بأي عمل عسكري يسهم في انقاذ حكومة بيغن من هاوية السقوط التي وقفت على حافتها عدة مرات ، كان آخرها قبيل انتخابات عام ١٩٨١ حين هاجم سلاح الجو الاسرائيلي المفاعل النووي العراقي ليرفع اسهم هذا الائتلاف .

وترجع ضعضعة « الليكود » كائتلاف حاكم في اسرائيل الى عدة اسباب اهمها :

آ ــ اسباب سياسية :

وصلت اتفاقيات كامب ديفيد الى طريق مسدودة ، ولم تتمكن الولايات المتحدة واسرائيل من توسيع نطاقها ، او من تمرير مؤامرة الحكم الذاتي واخفقت سياسة القبضة الجديدية في النيل من صمود جماهير الاراضي العربية المحتلة ، وقواها الوطنية التي تصدت لجميع ممارسات الاحتلال وسياسته ، بتصعيد حركة النضال الوطني التي بلغت ذروتها في شهري آذار ونيسان عام ١٩٨٢ ، في الضفة الغربية ، وقطاع غزة ، وفي قرى الجولان المحتل .

ازاء ذلك وامام هذه الاوضاع ، كان لا بد من عمل ما لتحريك المنطقة وزعزعة المواقف الوطنية الصلبة في الساحة اللبنانية ، وتحويل انظار

المجتمع الاسرائيلي عن السياسة الداخلية المتردية ، ولا يستطيع حكام اسرائيل ذلك الا بالعمل العسكري الذي اعتادوا اللجوء اليه في كل مرة يضيق فيها نطاق العزلة حول رقابهم كما فعلوا في العامين ١٩٥٦ و ١٩٦٧ وفي اثناء الاعتداءات المتكررة على القرى العربية الحدودية .

وللقيام بمثل هذا العمل تعكف القيادة الاسرائيلية على درسه والتخطيط له ، واخراجه الى مستوى عال من التحضير يؤدي الى دقة في التنفيذ واحكام بالتوقيت ، وايهام الرأي العام العالمي بانها المعتدى عليها ، وان هدفها رد العدوان وايقافه ، وهذا ما حدث في عدوان اسرائيل على لبنان ، بعد ان عمدت الى حملة ، تضليل واسعة ، حول ما يسمى بأمن الجليل .

لم تكن اسرائيل لتشن هجومها العدواني لو لم تتلق الضوء الاخضر من الولايات المتحدة ، فبدأت حملة التهديدات الاسرائيلية تتوالى على ألسنة المسؤولين الاسرائيليين بالهجوم على لبنان ، فهذا « اسحق رابين » رئيس الوزراء السابق يصرح « بأن القيام بعملية عسكرية واسعة في لبنان اصبح امراً لا بد منه » . واوضح رفائيل ايتان رئيس الاركان الاسرائيلي « ان اسرائيل تستعد للهجوم على لبنان ، وان تصعيد العمل العسكري لم يعد الا مسألة وقت ».

ب ــ اسباب اقتصادية :

يعيش الكيان الصهيوني أزمة اقتصادية خانقة ، بدأت منذ الايام

الاولى لحرب تشرين التحريرية ١٩٧٣ ، وتفاقمت مع سياسات الليكود الاقتصادية ومن ابرز ملامح هذه الازمة :

ــ التضخم المالي : حيث احتل الكيان الصهيوني المرتبة الاولى في العالم فقد بلغت نسبة التضخم عنده ١٣٤ ٪ في العام ١٩٨٠ ، ووصلت في الحساب السنوي الى النسبة نفسها خلال شهر ايار ١٩٨٢ .

ــ السيولة النقدية : تجاوزت القيمة المقررة للسيولة النقدية بمقدار ٥٨٪ اي ما يعادل ٧ مليارات شيكل حتى غاية ١٩٨١ ، وزادت بمقدار ١٤ مليار شيكل عما هو مقرر حتى الشهرين الاولين من عام ١٩٨٢ .

ــ الاجور : تراجع متوسط الاجر الحقيقي بنسبة ١٠ ٪ خلال الربع الاخير من عام ١٩٨١ ، وبنسبة ٥ ٪ في الربع الاول من عام ١٩٨٢ .

ــ ميزان المدفوعات : بلغ العجز في ميزان المدفوعات حوالي ٥ر٤ مليار دولار ويعود الارتفاع المستمر لهذا العجز الى الاستمرار في تصعيد سياسة العدوان .

ــ الديون : وصلت ديون اسرائيل الى ٢٠ مليار دولار مما ادى الى تحفظ المؤسسات المالية العالمية في التعامل معها خوفا من عدم قدرة اسرائيل على سداد مستحقات الديون .

ــ البطالة : بلغت نسبة البطالة حوالي ٤ر٥ من اجمالي القوة

المدنيّة العاملة حتى الربع الاول من عام ١٩٨٢ ، وهي اعلى نسبة سجلت منذ العام ١٩٦٨ .

ج ــ اسباب اجتماعية :

انعكست الازمة الاقتصادية على الوضع الاجتماعي بشكل سلبي فازداد العبء الاقتصادي على الطبقات الدنيا ، وسادت المجتمع الاسرائيلي مظاهر الفساد كالسرقة والاغتصاب ، وتعاطي المخدرات وغيرها من مظاهر الانحراف وتأثرت حركة الهجرة الى الكيان الصهيوني وازداد النازحون عنه نتيجة للوضع الاقتصادي ، فقد تراجع عدد المهاجرين الى اسرائيل من ٤٠٦٠٠ شخص في العام ١٩٧٩ الى ١٥ الف شخص في العام ١٩٨١ في مقابل ازدياد عدد النازحين عن الكيان الصهيوني حيث وصل عددهم الى ٢٦ الف شخص في العام ١٩٨١ ، وبذلك إصبح ميزان الهجرة سلبيا وبمقدار ١١ الف شخص .

٢ ــ التحضير للعدوان وخطة اسرائيل لاجتياح الجنوب

قبل الغزو الاسرائيلي لجنوبي لبنان عمدت اسرائيل وبكل الوسائل الى الصاق تبعة الاحداث الجارية في المنطقة بمنظمة التحرير الفلسطينية ، وبأنها بؤرة للارهاب الدولي في العالم ، وتحميلها مسؤولية خرق وقف اطلاق النار وعدم التزامها به. ومسؤولية اغتيال السفير الاسرائيلي في لندن « شلومو آرغوف » لذلك قام وزير الحرب الصهيوني ارئيل شارون بزيارة الولايات المتحدة الامريكية قبيل العدوان وتسلم من البنتاغون اشارة الضوء الاخضر لتوقيت العدوان .

انشاء قوات الغزو وتحضيرها :

ـ بدأ تفكير القيادة الاسرائيلية بالاعداد لعملية الغزو على اثر ما سمي ازمة الصواريخ السورية في نيسان عام ١٩٨١ ، حيث وضعت خططا تدريبية ونفذت مشاريع قيادة واركان ومشاريع تكتيكية للقوات على مواضيع هجومية اشتركت فيها معظم صنوف القوات البرية بالاشتراك مع القوات البحرية والطيران وخصصت قسما وافيا من التدريب على القتال في المناطق المبنية .

ـ كما قامت بدعوات احتياطية مستمرة للقطعات الاسرائيلية منذ اوائل عام ١٩٨٢ للاستكمال والتدريب واعادت تجميع القوات العاملة وتمركزها وكدست الاحتياطات اللازمة وانشأت قاعدتي امداد :

الاولى : في منطقة نهاريا وتخدم اتجاه الساحل اللبناني والاوسط .

الثاني : في منطقة المطلة لصالح امداد القوات العاملة على اتجاه سهل البقاع .

ـ وضعت مسبقا خطة اعلامية ونفسية تخدم اهداف الغزو ظهرت آثارها منذ الايام الاولى للغزو حيث تضمنت النشرات والنداءات الاسرائيلية معلومات تاريخية وجغرافية واجتماعية عن لبنان عامة ، وعن الجنوب اللبناني خاصة .

ـ اتخاذ اجراءات عملية لتنظيم السيطرة على المناطق المحتلة ، بمعاونة حكام عسكريين مدربين ، تحت شعار الادارة المدنية لادارة الاراضي العربية المحتلة .

ــ استمرار الاستطلاع بكافة الوسائل جوا وبحرا ، بشكل كثيف وبالنيران ، كقيام الطيران الاسرائيلي في يوم ٩ /٥ / ١٩٨٢ بقصف مركز على ثلاثة مواقع للمقاومة في الدامور والزهراني وصيدا ، لتدقيق طبيعة دفاع المقاومة ، ونوعية اسلحتها ، وردود فعلها بمثابة الاستطلاع المسبق بالنيران .

ــ عمدت الى التقليل ما امكن من اخطار الاعمال الفدائية في الداخل . وحتى يتم تأمين المؤخرة بشكل جيد، لجأت الى عزل رؤساء بلديات الضفة وقطاع غزة واستبدلت بهم عناصر موالية ضمن خطة اضعاف الشعور القومي الفلسطيني الرافض للاحتلال .

ــ مدت جسور المساعدات المادية والمعنوية للمجموعات الانعزالية اللبنانية الموالية لاسرائيل (الكتائب ــ وعناصر سعد حداد) ، واتفقت مع بشير الجميل قائد ميليشيات الكتائب على خطة الغزو ، في الاجتماع الذي ضمه واريئيل شارون وزير الحرب الصهيوني بتاريخ ٨ /٢ /١٩٨٢ حيث قاما بتنسيق التعاون بين اسرائيل والكتائب بما يخدم عملية العدوان ، وهذا ما حدا ببشير الجميل لان يفصح صراحة عما جرى الاتفاق عليه بتصريحه في الصحافة اللبنانية بتاريخ ١٩٨٢/٣/٥ (ان الوضع في لبنان اصبح خطيرا اكثر من الماضي وان الشهرين المقبلين سيكونان اهم السنوات السبع الماضية) .

ولقد ترتب على هذا قيام اسرائيل بتدريب مجموعات كتائبية على فنون القتال لاستخدامها في اعمال التطهير ، وكأدلاء للقوات الاسرائيلية خلال سير عملية العدوان ، فضلا عن قوات العميل سعد حداد ودعم

الاستخبارات الامريكية . وخلاصة القول فقد توفر لهذه العملية ما لم يتوافر لاية عملية اخرى من التحضير والاستعداد في لبنان .

فقد حشدت فرقة مدرعة في منطقة الخالصة ـ المطلة ـ النخيلة ، وفرقة اخرى في منطقة علما ـ الصفصاف ـ صفد ، وفرقة ثالثة على الاتجاه الساحلي في منطقة عين يعقوب ـ البصه ، كما حشدت الانساق الثانية في عمق هضبة الجولان ومنطقة سهل الحولة « روشبينا ونجمة الصبح » .

وهكذا انهى العدو انشاء التجمعات الضاربة واصبحت قواته في جاهزية قتالية في يوم ١ /٦ / ١٩٨٢ .

كانت الخطة الاسرائيلية تقضي بتوجيه الضربة الرئيسية بالاتجاه العام :

أرنون ـ النبطية ـ صيدا ، ترافقها ضربة مساعدة على الاتجاه الساحلي الناقورة ـ صور ـ صيدا .

وبالتعاون مع الانزالات البحرية على الساحل للعمل في مؤخرات قوات المقاومة الفلسطينية وارباك عمليات السيطرة والمناورة والامداد تندفع القوات البرية بأقصى سرعة للوصول الى اهدافها مع الاخذ بعين الاعتبار تنفيذ اعمال مشاغلة وتثبيت على الاتجاه الشرقي في المرحلة الاولى بهدف التضليل بان العملية محدودة تستهدف فقط مواقع المقاومة الفلسطينية الرئيسية التي كانت تؤثر في مستعمرات شمالي فلسطين المحتلة دون التعرض للمواقع السورية الامامية في بداية الغزو .

ـ بدأ الطيران الاسرائيلي قصف أهداف فلسطينية مدنية وعسكرية في

الجنوب والدامور وبيروت منذ يوم ٦/٤ . واستمر القصف الجوي طيلة اليوم التالي .

ــ ابتداء من الساعة ٦٫٠٠ يوم ١٩٨٢/٦/٦ تابع طيران العدو قصفه لمواقع المقاومة لليوم الثالث على التوالي ، وتركز القصف على : ارنون ، الجرمق ، النبطية ، الدامور ، صيدا ، الزهراني ، صور ، الرشيدية ، ورافق القصف الجوي ، قصف مدفعي مركز على مواقع المقاومة في الحد الامامي ، خاصة في ارنون : الجرمق ، المحمودية ، وفي الوقت نفسه قصف مدفعي من القطع البحرية باتجاه مناطق : صيدا ، الزهراني ، الصرفند ، صور ، الرشيدية .

ــ وحوالي الساعة ١١٫٠٠ من يوم ١٩٨٢/٦/٦ قام العدو بتحريك قواته البرية عبر المنطقة التي يسيطر عليها العميل سعد حداد دون ان يلاقي اية مقاومة من قوات الامم المتحدة على اربعة محاور رئيسية :

ــ المحور الاول : المحور الساحلي ــ الناقورة ــ رأس البياضة ــ صور .

ــ المحور الثاني : بنت جبيل ــ ارنون ــ النبطية .

ــ المحور الثالث : المطلة ــ دير ميمس ــ جسر الخردلي .

ــ المحور الرابع : جبل الروس ــ شبعا ــ مرجعيون ــ كوكبا ، كأعمال مشاغلة وتثبيت . اتصفت الاعمال القتالية في مرحلتها الاولى بطابع حملة انتقامية واسعة النطاق ، وكان اسلوب الاعمال القتالية يهدف الى تقسيم مواقع المقاومة ، والمناطق الاهلة بالسكان وعزلها وتدميرها على اجزاء ، وحتى الساعة ٢٠٫٠٠ من يوم ٦ /٦ / ١٩٨٢ . كانت القوات

الاسرائيلية تطوق مواقع المقاومة في النبطية على الاتجاه الاوسط وتطوق مدينة صور ومخيماتها من الشرق .

وبلغ مجموع القوات المشتركة في القتال في هذا اليوم :

ـــ لوائين معززين على الاتجاه الساحلي .

ـــ فرقة معَززة شمالي الليطاني على محورين :

الأول : جسر الخردلي ، كفر تبنيت ، بقوة لواء دبابات مع انزال كتيبة مظليين في منطقة ارنون لاحتلال قلعة الشقيف .

والثاني : محور قعقعية الجسر ــ النبطية بقوة (٢) لواء على الاتجاه الشرقي . جبل الروس شبعا ومرجعيون حاصبيا بقوة لوائين من فرقة اخرى .

ــ في يوم ٧ /٦ / ١٩٨٢ تابعت قوات العدو تقدمها على الاتجاهات السابقة نفسها مركزة على اتجاه الضربة الرئيسية ــ صور صيدا ــ النبطية ــ صيدا .

واعتبارا من الساعة ..ر٦ يوم ١٩٨٢/٦/٧ زج العدو بطلائع فرقة جديدة باتجاه : عرب سليم ــ صربا ــ مغدوشة ، وعرب سليم ــ جباع .

كما قام بانزال بحري بقوة لواء في منطقة الرميلة شمالي صيدا بهدف عزل المدينة من جهة الشمال . وحتى نهاية اليوم ، وبعد قصف جوي مدفعي ، وبحري تمكن العدو من تطويق صيدا من الجنوب والشرق والشمال وتطهير بعض مواقع المقاومة في النبطية وارنون ، ومنطقة صور .

وكانت قواته التي تقدر بلوائين معززين ما تزال تعمل على الاتجاه

الشرقي ، وتحتل مواقع دفاعية على الخط : شويا ــ تقاطع الطرق شمالي الحاصباني ــ قلية .

ــ في يوم ٨ /٦ / ١٩٨٢ تابع العدو اعماله القتالية لاستكمال السيطرة على صيدا ــ الدامور ــ جزين ، ومرتفعات الشوف ، كما تابع طيران العدو قصف مواقع المقاومة ومخيمات الفلسطينيين في منطقة بيروت ، والدامور ، وصيدا وتعرض لمواقع القوات السورية في جزين وخلدة .

تجمع قوات العدو وطبيعة أعمالها :

ــ عملت فرقة على اتجاه : مرجعيون ــ كوكبا ، وقامت بتطهير المنطقة من رجال المقاومة ووصلت في نهاية يوم ١٩٨٢/٦/٨ الى خط : ميمس ــ مرتفعات قلية .

ــ عملت قوة تقدر بلواء معزز على اتجاه : جزين حيث احتلتها في الساعة ١٦٫٠٠ من يوم ٦/٨ وفي الوقت نفسه تقدمت قوة تقدر بلواء مدرع باتجاه الشوف عن طريق شحيم عريفه ــ بيت الدين ــ زحلتا ــ وتركزت اعمال العدو في اتجاه صيدا على توجيه الضربات النارية من الجو والبحر ، وفي حوالى الساعة ١٤٫٠٠ يوم ٦/٨ تم انزال بحري في منطقة الناعمة بهدف التخريب والاستطلاع .

وخلال ثلاثة ايام من القتال تقدم العدو مسافة ٦٠ كم ومسافة ٣٠ كم في الاتجاه الاوسط « قلعة شقيف ــ جزين » ومسافة ١٠ كم في الاتجاه الشرقي . وبلغ مجموع القوات المعادية التي عملت خلال هذه

المرحلة ما لا يقل عن أربع فرق معززة ، كما قام طيران العدو بما لا يقل عن /١٢٠٠/ طلعة جوية بغرض قصف مواقع قوات المقاومة وتأمين الانزالات .

ويعود نجاح العدو في المرحلة الاولى ، الى تفوقه المطلق الذي لايقارن ، من حيث الكم والنوع ، بتشكيلات الثورة الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية .

٣ ـــ وضع القوات المشتركة وانتشارها عند اندلاع الحرب

تمركزت معظم تنظيمات القوات المشتركة في جنوبي لبنان بفعل الواقع السياسي والامني والحالة التي كانت تسود ارض لبنان ، واصبح الجنوب اللبناني مسرحا للنزاعات المتبادلة بين هذه التنظيمات ، فكثيرا ما كان ينشب الاقتتال بين تنظيم وآخر ، او بين قرية واخرى مسببا الخسائر الفادحة في كل طرف تاركا اثره السلبي في نفوس ابناء الوطن الواحد باقامة الحواجز النفسية من البغضاء والكراهية ، ولقد غذى العدو الاسرائيلي هذا الاتجاه بكافة الوسائل لانه كان يستهدف شرذمة القوى الوطنية ، وابعادها عن هدفها المشترك بالوقوف جنبا الى جنب في خندق المواجهة مع العدو الصهيوني ، ومنعه من تحقيق اهدافه .

وضع القوات المشتركة في الجنوب اللبناني

اطلق اسم (القوات المشتركة) على جميع التنظيمات والقوى

الوطنية التي واجهت الاجتياح الاسرائيلي لجنوبي لبنان ، والتي كانت تضم :

منظمة التحرير الفلسطينية بفصائلها المتعددة :

ـ حركة فتح .
ـ منظمة الصاعقة (طلائع حرب التحرير الشعبية) .
ـ الجبهة الديمقراطية .
ـ جبهة النضال الشعبي .
ـ الجبهة الشعبية (القيادة العامة) .
ـ الجبهة الشعبية .
ـ جبهة التحرير العربية .

القوى الوطنية اللبنانية وأهمها في الجنوب اللبناني :

ـ الحزب التقدمي الاشتراكي .
ـ حزب البعث العربي الاشتراكي .
ـ التنظيم الناصري .
ـ الحزب السوري القومي الاجتماعي .
ـ الحزب الشيوعي اللبناني .
ـ حركة أمل .

لقد كانت منظمة التحرير الفلسطينية بفصائلها المسلحة العسكرية ، وشبه العسكرية هي المنظمة المؤثرة والفعالة في الجنوب اللبناني

على اختلاف آراء فصائلها ومواقفها ولقد تجمع تحت لوائها عشية العدوان الاسرائيلي فصائل المقاومة التالية :

١ ــ **حركة فتح** : التي تعد من أكبر فصائل المقاومة المتواجدة على الساحة اللبنانية في العدد والتسليح ، والتي كانت تتألف من :

آ ــ **قوات القسطل** : وتضم خمس كتائب مشاة ، في كل كتيبة (٢٠٠ ــ ٢٥٠) عنصرا بأسلحتهم الفردية (بنادق ــ اسلحة م/د خفيفة .) .

وكانت هذه الكتائب موزعة بالفصائل ضمن قطاع المسؤولية لكل كتيبة على النحو التالي :

ــ كتيبة في منطقة : عبرا ــ علمان .
ــ كتيبة في منطقة : الزهراني ــ زفتا ــ البابلية ..
ــ كتيبة في منطقة : النبطية ــ ارنون ــ انصار .
ــ كتيبة في منطقة : صور ــ الرشيدية ــ رأس العين .
ــ كتيبة في منطقة :البرج الشمالي ــ دير قانون ــ صدّيقين .

بالاضافة الى كتيبة مدفعية ميدان /١٢/ مدفعا موزعة بالمدافع والسرايا ، ويلحق بكل كتيبة بطارية هاون ١٢٠ مم ، او ٨٢ مم وسرية م/د ١٠٦ مم (٦ مدافع) وفصائل رشاشات م/ط من عيار ١٤٫٥ مم و ٢٣ مم و ٣٧ مم موزعة على السرايا للتعامل مع الطيران .

ب ــ قوات الكرمل :

تمركزت قيادتها في (ام دوخة) ، وكانت تضم ثلاث كتائب موزعة على النحو التالي :

ــ كتيبة الجليل في منطقة القاطع الشرقي (كفر الزيات ــ حاصبيا) .

ــ كتيبة الكرمل في منطقة البقاع الشرقي (ينطا ــ بكا ــ ام دوخة) .

ــ كتيبة النسور في منطقة راشيا ــ وكفردنيس .

ج ــ قوات جيش التحرير الفلسطيني التابع للمنظمة :

هي عبارة عن كتيبة دبابات موزعة بالسرايا من الزهراني ــ القاسمية وحتى شمال صور .

والفوج المدرع الاول الذي يضم اربع مجموعات في كل مجموعة ٣ دبابات و٣ رشاشات و٣ مدافع م/د ويتحشد في منطقة علمان ــ شرحبيل (شمال صيدا) .

د ــ قوات اليرموك :

قوامها ثلاث كتائب توضع منها في الجنوب :

ــ الكتيبة الاولى في منطقة المحمودية ــ الدمشقية .

ــ الكتيبة الثانية في منطقة القطراني ــ ميدون وهكذا فإن اجمالي عدد مقاتلي حركة فتح كان يتراوح بين ٣٠٠٠ ــ ٣٥٠٠ مقاتل .

وعدد الدبابات بين ٥٠ ــ ٦٠ دبابة ، وعدد المدافع بين ٥٠ ــ ٦٠ فوهة من مختلف العيارات .

بالاضافة الى عدد من الوسائط المضادة للدبابات والطائرات .

٢ ــ سائر التنظيمات الاخرى :

اما بقية التنظيمات الاخرى (الصاعقة ــ الجبهة الديمقراطية ــ الجبهة الشعبية ــ الجبهة الشعبية (القيادة العامة) ــ جبهة التحرير العربية ــ جبهة النضال الشعبي) . فقد كان كل تنظيم منها يضم من ٢٠٠ ــ ٥٠٠ عنصر مزودين بالاسلحة الخفيفة (بنادق ــ اسلحة م/د خفيفة) وموزعين بالفصائل على مواقع المقاومة في الجنوب اللبناني المختلفة في صور ، البص ، صيدا ، عين الحلوة ، الرشيدية والبرج الشمالي .

٣ ــ تنظيمات القوى الوطنية اللبنانية :

لم يكن لهذه التنظيمات دور مؤثر من الناحية العسكرية ، وان كانت قد أسهمت بدرجات متفاوتة في القتال من خلال تواجدها الى جانب فصائل المقاومة ولا سيما في المناطق الآهلة بالسكان ، وساعدت الى حد كبير في تفويت الفرص على العدو في محاولاته المتكررة للنيل من صمود السكان المدنيين عن طريق الحرب النفسية التي مارسها في اثناء عملية الغزو وبعدها .

وان المرء ليلاحظ بوضوح ان القوات الفلسطينية المدافعة عن

الجنوب اللبناني كانت في وضع غير متكافىء من حيث العدد والعتاد مع القوات المعادية التي ضمت في المرحلة الاولى للغزو القوى والوسائط التالية :

- قوات عسكرية من مختلف الصنوف ٦٠٫٠٠٠ جندي .
- دبابات (١٢٠٠) دبابة .
- مدفعية ميدان (٢٠٠) مدفع .
- جزء كبير من سلاح البحرية الاسرائيلي .

بالاضافة الى سلاح الطيران حيث بلغ متوسط طلعات الطيران المخصصة للقصف فقط /٣٠٠/ طلعة طائرة يوميا .

٤ ـ النشاط الجوي الاسرائيلي الذي سبق عملية الغزو الاسرائيلي

النشاط الجوي :

لقد ظهر جليا نشاط القوى الجوية الاسرائيلية في شهري نيسان وأيار ، فقد بلغ عدد الطلعات الجوية المكتشفة خلال شهر نيسان /١٣٥٠/ طلعة لاغراض التدريب والمظلات الجوية وتنفيذ الاستطلاع بكافة انواعه (تصويري ـ تلفزيوني ـ لاسلكي فني) .

وذلك بطائراته الاستطلاعية من نوع (فانتوم ـ ميراج) المجهزة والطائرات المسيرة بدون طيار وذلك فوق منطقة البقاع لكشف اماكن توضع الصواريخ السورية وتردداتها واستطلاع وقصف مواقع المقاومة الفلسطينية والمخيمات في لبنان وسقوط كثير من القتلى والجرحى يوم

٢١/٤ وتصريح بيغن يوم ١٩٨٢/٤/٢٥ بأن اسرائيل ستغزو جنوبي لبنان لتدمير قواعد المنظمات الفلسطينية ، كما انها ستدمر الصواريخ السورية اذا تعرضت للطائرات الاسرائيلية .

أما عن اهم النشاطات الجوية لشهر أيار فهي :

رفع الجاهزية القتالية الى اقصى درجات الاستعداد وتعبئة الاحتياط وزيادة النشاط الجوي ، فقد بلغ مجموع الطلعات المنفذة والمكتشفة في هذا الشهر (١٦٥٠) طلعة لاغراض الاستطلاع والاعتداء على مواقع المقاومة الفلسطينية في الجنوب اللبناني ، بغرض بلبلة قيادة المقاومة وتشتيت امكاناتها وخلق جو ارهابي وحرب نفسية في عملية تنفيذ الغارات الجوية المتكررة ، باستخدامه للطائرات الحديثة في عمليات القصف بالقنابل العنقودية وذات الاوزان الكبيرة المؤثرة . كما واصلت اسرائيل تصعيد سياستها العدوانية ضد لبنان بهدف توجيه مثل هذه الضربات القوية للثورة الفلسطينية ، واستخدام الطائرات المسيرة فوق مواقع القوات العربية السورية بغرض استطلاعها وكشف ترددات وسائط الدفاع الجوي السوري في لبنان لتوجيه ضربة لها عندما تتاح الفرصة لذلك .

وقد بلغ عدد الاختراقات الجوية /٣٣/ مرة وكان عدد الطائرات المخترقة تتراوح بين /٢ وحتى ٣٠ طائرة/ ، تخللتها بعض الاشتباكات الجوية مع الطيران العربي السوري .

اهم الاختراقات وتنفيذ القصف الجوي :

ــ يوم ١٩٨٢/٤/٢١ من الساعة ٢٠ر٩ وحتى الساعة ١٧ر١٣ قامت عدة تشكيلات بقصف جوي على منطقة : البترون ــ صور ــ المدينة الرياضية والمخيمات صبرا وشاتيلا في بيروت .

ــ يوم ١٩٨٢/٥/٩ من الساعة ٠٠ر١٤ وحتى الساعة ٠٠ر٢٠ قامت القوات الجوية بقوام /١١/ تشكيلا بقصف المناطق التالية : الدلهمية ــ مغدوشة ــ سهول صرفند ــ وادي تفحته ــ ابو الاسود .

ــ يوم ١٩٨٢/٥/٢٦ من الساعة ١٦ وحتى الساعة ١٦ر١٦ بقوام /٨/ طائرات كما استخدم العدو طائراته من نوع ف١٥ ، ف١٦ للدفاع الجوي وتغطية عمليات القصف من مناطق المناوبة بالجو والمحددة مسبقا ، ومن درجات الاستعداد الفورية وتنفيذ طلعات استطلاع جوي بطائرات الفانتوم والميراج فوق مواقع القوات الفلسطينية .

ايام ماقبل الحرب ١ ــ ٥ حزيران :

تابع العدو نشاطه التدريبي خلال الايام الاولى من شهر حزيران بمعدل وسطي حتى /١٣٠/ طلعة طائرة ، وفي اليوم الثالث ظهرا قام الطيران الاسرائيلي بتنفيذ عمليات القصف المركز على مناطق الثورة الفلسطينية بطائراته المقاتلة القاذفة وبتغطية من طائرات ف ١٥ ، ف ١٦ حيث وجه ضربة جوية كثيفة على كل من (برج

البراجنة ـــ المدينة الرياضية ـــ مخيم شاتيلا ـــ مدينة صيدا ـــ بيرحسن ـــ السريره) بقوام ٤ ـــ ٨ طائرات كما نفذ عمليات استطلاع الاهداف بالنظر والتحقيق من عمليات القصف مستخدما لذلك كافة انواع القنابل العنقودية والشديدة الانفجار ، كما استخدم اساليب المناورة والقاء الكرات الحرارية بقصد درء المقاومة وتضليلها ، وقد نفذ النشاط الجوي بعدة هجمات وبأوقات مختلفة في اليوم الواحد ، وفي اليوم الرابع من حزيران ازداد نشاط العدو الجوي ليلا بالاغارة على المنطقة الغربية من بيروت واستخدام القنابل المضيئة حتى منتصف الليل في مناطق منشآت المدينة الرياضية ـــ بئر حسن ـــ الرمل العالي ـــ برج البراجنة ـــ مخيم شاتيلا ـــ الزهراني ـــ الرشيدية ـــ القطراني ـــ الجرمق ـــ قلعة الشقيف بغرض أنهاك القوات الفلسطينية وتشتيتها وإرباك القوات ليلا وخفض الروح المعنوية لدى المقاتلين .

في اليوم الخامس من حزيران آستمر العدو بتنفيذ هجماته الجوية وبشكل مكثف طيلة النهار والليل حيث بدأ النشاط من الساعة ٠٠ر٩ صباحا وحتى الساعة ٠٠ر٢٤ وقد نفذ القصف الجوي على كل من قلعة شقيف ـــ الجرمق ـــ الوادي الاخضر ـــ الزهراني ـــ مغدوشة ـــ حاصبيا ـــ عين قينة ـــ النبي طاهر ـــ عين الحلوة .

كما استخدمت طائرات الهيلوكوبتر من نوع هيو كوبرا وهيوز ـــ ٥٠٠ في قصف مخيمي الرشيدية والبص في منطقة صور .

وشارك القصف الجوي قصف بحري من بعض القطع الحربية على منطقة صور ، وعلى مواقع الثورة جنوب صيدا .

اشترك في عمليات التمهيد الناري للهجوم في اليوم التالي ٦/٦ جزء كبير من الطيران القتالي ، لما تتمتع به الطائرات المعادية من القدرة على تنفيذ مهامها ومن مسافات بعيدة والتي تعتبر اليد الطويلة التي تتمكن من الوصول الى عمق الاراضي العربية حيث يعتبر المعدل الوسطي لحمولة الطائرة الواحدة (٤ ــ ٥/ طن قنابل) ، وكان معدل الطلعات في اليوم الخامس حوالي /٣٥/ طلعة طائرة .

رافقت عمليات القصف طلعات استطلاع جوي سواء بالطائرات القتالية المجهزة للاستطلاع او بواسطة الطائرات المسيرة بدون طيار طيلة فترة التمهيد للتحقق من صحة الرمايات .

استخدام كافة انواع التشويش المجهزة بها الطائرات المقاتلة وطائرات النقل من طراز بوينغ ٧٠٧ المعدة لهذا الغرض .

كانت طبيعة الطلعات الجوية المعادية نشيطة وفعالة لعدم توفر وسائط دفاع جوية مؤثرة لدى الثورة الفلسطينية ، حيث المتوفر الصواريخ الخفيفة الموجهة من نوع ستريلا والمدفعية م/ط ذات العيارات الخفيفة وبعض عربات صواريخ سام ٩ ، وهي عبارة عن صواريخ خفيفة محمولة على عربات وكانت الطائرات الاسرائيلية تقصف من ارتفاعات /٥ ــ ٧ كم / مستخدمة اجهزة التسديد المبرمجة والتلفزيونية اضافة الى القاء الكرات الحرارية لتشويش الصواريخ وتضليلها عن اهدافها .

٥ ـ معارك الجنوب

معركة قلعة الشقيف

وصف القلعة :

شيدت قلعة الشقيف في قمة هضبة ارنون التي يبلغ ارتفاعها ٧١٧ م ، على حافة نهر الليطاني من الغرب ، وتبعد حوالي ٧ كم عن كل من المدن الرئيسية الثلاث : مرجعيون من الشمال الشرقي ، والنبطية من الشمال الغربي ، والمطلة من الجنوب الشرقي ، وباعتبارها تشرف على المناطق المجاورة لها ، فقد استخدمت باستمرار كموقع جيد للرصد والنيران ، ومنذ العام ١٩٧٦ قام الفدائيون بترميم جزء منها وتعزيز تحصيناتها من الداخل كما قاموا بعد العام ١٩٧٨ باحاطة القلعة بحقول الغام مضادة للافراد مع اسلاك شائكة ، وقد صمدت هذه القلعة طوال ست سنوات من الاشتباكات المستمرة بين العناصر الفدائية المدافعة عنها من جهة والقوات الاسرائيلية وقوات العميل سعد حداد من جهة اخرى .

وقد شن الاسرائيليون عدة غارات ليلية ضد هذه القلعة بغية احتلالها الا انها فشلت جميعها ، كما فشل العدو الاسرائيلي في احتلالها عام ١٩٧٨ ابان غزوه لجنوب لبنان .

قوام القوات المدافعة عن القلعة يوم ٦/٦ :

كلفت فصيلة مشاة فدائية من قوات القسطل بالدفاع عن القلعة وقد عززت الفصيلة بجماعتين من قوات الحركة الوطنية ، وجماعة م/ط

« ستريلا » من قوات الصاعقة بالاضافة الى عدد من المراصد المتقدمة .

قوام القوات المعادية التي هاجمت القلعة :

١ ـــ كتيبة مشاة خاصة من لواء جولاني .
٢ ـــ كتيبة دبابات معززة بالمشاة الميكانيكية .

سير المعركة :

منذ اليوم الاول لشن الغارات الجوية الاسرائيلية ضد مواقع الثورة الفلسطينية في الجنوب اللبناني بتاريخ ٦/٤ أستهدف الطيران الاسرائيلي قصف هذه المواقع بقنابل زنة ٢٥٠ ـــ ١٠٠٠ كغ بالاضافة الى رمايات المدفعية والهاون المتقطعة نهارا وليلا .

ومنذ صباح يوم ٦/٦ ركز الطيران المعادي رماياته ضد هذه المواقع . ففي الساعة ٨٫٥٠ يوم ٦/٦ قصفت القلعة عدة طائرات سكاي هوك ، واصيبت احداها بصاروخ سام ٧ (ستريلا) وسقط طيارها الاسرائيلي النقيب اهارون احيعاز اسيرا بأيدي قوات الثورة ونقل الى بيروت حيث قابله الصحفيون على شاشة التلفزيون في نفس اليوم . وفي الساعة ١١٫٠٠ يوم ٦/٦ اعلم مرصد القلعة عن تقدم ارتال مدرعة اسرائيلية بقوام الكتائب المعززة على عدة محاور :

ـــ محور الطيبة ـــ الغندورية وباتجاه جسر القعقعية
ـــ محور شبعا ـــ مرجعيون .
ـــ محور شبعا ـــ كفر شوبا .

كما اعلم هذا الموقع عن تحرك قوات في منطقة الخيام ــ مرجعيون ــ القليعة عبر قوات الرقابة الدولية وباتجاه الشمال والغرب ، حيث شكلت قاعدة نارية في مواجهة قوات الثورة ، محاولة عبور الجسور المقامة على نهر الليطاني وحتى الساعة ١٧٫٠٠ يوم ٦/٦ تمكنت قوة العدو المدعومة من الطيران المقاتل والحوامات ، وتحت ستارة من رمايات المدفعية الكثيفة من احتلال رؤوس الجسور غربي وشمالي نهر الليطاني والتمسك بها . وفي الساعة ١٩٫٠٠ يوم ٦/٦ ومع حلول الظلام بدأت المعركة ضد قلعة الشقيف ، فقد اسند العدو الى كتيبة الدبابات التي نجحت بالعبور على جسر الخردلي والوصول الى شمالي ارنون بمهمة تطويق القلعة من الشمال والى كتيبة الدبابات التي نجحت في العبور على جسر القعقعية والوصول الى جنوبي ارنون بمهمة تطويق القلعة من الغرب . اما كتيبة المشاة الخاصة فقد كلفت العمل بمجموعتين الاولى تهاجم مداخل القلعة تحت حماية رمايات الدبابات . والثانية انزلت بالحوامات فوق القلعة مباشرة مستفيدة من رمايات الطيران المقاتل وحوامات الدعم الناري ، واعتبارا من الساعة ١٩٫٠٠ يوم ٦/٦ وحتى الساعة ٢٣٫٠٠ يوم ٦/٦ استمر الرمي الليلي بالدبابات على القلعة ، كما قام الطيران بقصف القلعة عدة مرات .

وفي الساعة ٢٤٫٠٠ من يوم ٦/٦ حاولت ثلاث حوامات تنفيذ الانزال الرأسي على القلعة الا ان المقاومة العنيدة ضد القوات المعادية احبطت عملية الانزال وادت الى اسقاط طائرة هيلوكوبتر ، وفي الساعة ٥٫٠٠ من يوم ٦/٧ كررت الدبابات المعادية والمشاة محاولات الاقتراب من

مداخل القلعة وادى صمود المقاتلين الى تدمير مالا يقل عن سرية دبابات وناقلات ونجح العدو في الوصول الى مداخل القلعة حيث زج بسريتي مشاة مغاوير الى داخل القلعة واستمر القتال داخل البناء واعترف العدو بخسارة ستة من جنوده معهم قائد السرية اثناء فترة القتال المتلاحم .

واستشهد جميع المقاتلين الابطال المدافعين عن هذا الموقع بعد ان كبدوا العدو الذي يتفوق عليهم بعدة اضعاف عددا وعدة خسائر كبيرة في الارواح والعتاد .

معركة مدينة صور والمخيمات المجاورة لها

الرشيدية ، البرج الشمالي ، البص

تقع مدينة صور على مسافة ٢٥ كم من حدود فلسطين الشمالية وقد اعطاها موقعها على الساحل اهمية كبيرة كرئة يتنفس من خلالها رجال المقاومة مع العالم الخارجي ومن الناحية العسكرية تشكل مع المخيمات الثلاثة المحيطة بها عقبة في وجه حملات الغزو القادمة من الجنوب للتقدم شمالا الى بيروت العاصمة اللبنانية عبر مدينة صيدا .

يبلغ عدد سكان مدينة صور حوالى /١٢/ الف نسمة وسكان المخيمات الثلاثة (الرشيدية ، البرج الشمالي ، البص) حوالى /٣٠/ ألف نسمة . وهذا العدد من السكان يقدم بدون شك دعما كبيرا للقوة العسكرية العاملة في المنطقة مما دفع العدو الى استخدام مختلف الاساليب المادية والمعنوية ضد السكان المدنيين في المدينة والمخيمات للتقليل من

دورهم في المعركة ، خاصة في المرحلة الاولى للغزو بحيث تكون معركته ضد القوة المسلحة للمقاومة معزولة عن السياج الشعبي الذي يدعمها ويحميها .

القوة العسكرية للمقاومة وخطة الدفاع :

أ ــ يبلغ مجموع رجال المقاومة المنظمين عسكريا حوالى/١٢٠٠/ رجل يرتبطون بثلاث قيادات بمستوى كتيبة وحسب نوع وعدد الاسلحة المتوافرة يمكن تقدير القوة القتالية للمقاومة بثلاث كتائب مشاة .

ب ــ فكرة الاعمال وخطة المقاومة الدفاعية :

١ ــ نظم الدفاع على شكل عقد مقاومة على المداخل المؤدية الى منطقة صور وبشكل مترابط مع المخيمات مما يساعد على اشتراك السكان المحليين في القتال .

٢ ــ توزعت وحدات المقاومة دفاعيا على الشكل التالي :

ــ كتيبة مشاة للدفاع عن مدينة صور من الاتجاهين الجنوبي والشرقي .

ــ كتيبة مشاة للدفاع عن مخيم الرشيدية والمداخل الجنوبية المؤدية الى مدينة صور ..

ــ كتيبة مشاة للدفاع عن مخيم البرج الشمالي عدا سرية ارسلت للدفاع عن عقدة البزورية شرق المخيم المذكور بـ/٣/ كم .

٣ ــ كما اقتضت خطة الدفاع المعتمدة توزع وحدات المقاومة للعمل في المنطقة على شكل مجموعات صغيرة بهدف مقاومة العدو عند

نجاحه في دخول المنطقة سواء من داخل المدينة والمخيمات بالتعاون مع المواطنين ام في المزارع المحيطة في المنطقة .

الاساليب التي نفذت عند مقاومة العدو :

كان واضحا للمقاومة منذ يوم ٦/٤ ان اعماله ما هي الا تحضير لبدء عملية الغزو خلال فترة قصيرة فعمدت الى الرد على اجراءاته بالوسائط المتاحة وبغض النظر عن نتائج الرد فان ذلك عمل ايجابي سجلته المقاومة قبل بدء الغزو .

- شاركت بعض الرشاشات م/ط من عيار ١٤،٥ مم (٤ ـ ٦ رشاشات) في الرماية على طائرات العدو المغيرة ، وبدهي ان تأثيرها ضعيف على الطائرات الحديثة من نوع فانتوم ، ف١٥ ، ف١٦ .
- استعدت وحدات المقاومة رغم ضعف تسليحها لمقاومة العدو الغازي يوم ٦/٦ واجبرته على التوقف رغم تفوقه الساحق بالقوى والوسائط وكان صمود رجال المقاومة ومعهم عدد من المواطنين وتمسكهم بمواقعهم من المواقف المشرفة وكان شعارهم جميعا الشهادة او النصر .
- احبط المدافعون اجراءات العدو الدعائية والعسكرية طوال يوم ٦/٦ ويوم ٦/٧ وقاتلوا من نقطة الى اخرى غير مبالين بما يملكه العدو من تفوق وكبدوا قواته خسائر جسيمة بالارواح والمعدات اذا ما قيس ذلك بما يملكون من اسلحة والظروف القاسية التي وضعوا فيها .
- استمرت مقاومة الغزاة من قبل رجال المقاومة وتوزعوا للعمل بمجموعات في المنطقة بعد ان تمكن العدو من احتلال مدينة صور

وسيطر على المخيمات واستمر نشاط المقاومة على شكل مجموعات للمقاومة متخفية بين المزارع المجاورة رغم حملات التفتيش الواسعة التي شنها العدو وعملاؤه من السكان المحليين .

القوة العسكرية المعادية واساليب عملها :

آ ـ مهد العدو لاحتلاله منطقة صور بقصف جوي للمدينة والمخيمات استمر ثلاثة ايام متتالية ٤،٥،٦/٦ ويمكن القول ان نصيب هذه المنطقة من الطلعات الجوية كان حوالى /٦٠/ طلعة طائرة من أصل أكثر من /٣٠٠/ طلعة يوميا وللوقوف على دور هذا التمهيد في نجاح معركة العدو لاحتلال هذه المنطقة نجري العمليات الحسابية التالية :
٦٠ طلعة طائرة يوميا×٥ طن حمولة = ٣٠٠ طن يوميا .

وبما ان معظم المخيمات من النوع الذي لا يحتاج الا للتدمير الخفيف فان التدمير الحاصل خلال الأيام الثلاثة التي سبقت العملية يمكن ان يشمل اكثر من ٥٠٪ من المساحة المبنية ، ومن هنا يمكن تصور الاثر المعنوي والنفسي على السكان وقدرتهم على المشاركة في المقاومة .

ب ـ قوة العدو العسكرية

ـ تقدر القوة العسكرية التي استخدمت في مرحلة السيطرة على منطقة صور بـ ٧ كتائب (٣ د + ٤ مش ومظ) معززة بمجموعة

مدفعية ميدان (٤ ــ ٥ كتائب) ، وبالاضافة الى الدعم الجوي والبحري كما كان يرفد هذه القوات مجموعات من ميليشيات سعد حداد .

ج ــ اسلوب قتال العدو في معركة صور :

ــ تقدمت قوة تقدر بلواء مختلط (٢ك مش ومظ + ك د) كطليعة على المحور الساحلي من اتجاه رأس الناقورة وحوالى الساعة ١٤٫٠٠ توقفت على مسافة من ٢ ــ ٣ كم من مخيم الرشيدية وبدأت تقصف المخيم ومواقع المقاومة بالمدفعية والدبابات وبنفس الوقت تقدمت قوة اخرى تقدر بلواء معزز (٢ ك مش ومظ+ك د) من الاتجاه الجنوبي الشرقي وعملت بمجموعتين احداها على محور صديقين ــ قانا ــ الرشيدية وتقدمت الثانية على محور البزورية ــ البرج الشمالي وحتى الساعة ١٦٫٠٠ تمكنت قوات العدو من عزل مدينة صور والمخيمات من الجنوب والشرق .

ــ في ساعات بعد الظهر وقبل غروب يوم ١٩٨٢/٦/٦ انزل العدو بحرا قوة تقدر بكتيبة دبابات جنوب صور وقوة اخرى شمال مدينة صور لقطع الطريق الساحلي قرب جسر القاسمية .

ــ تركزت اعمال العدو يوم ٦/٧ على تطويق المخيمات واحتلال مدينة صور ومما عمله العدو لضمان السيطرة على المدينة هو اخراج جميع السكان الى الشاطىء وبعد التفتيش والتدقيق في هوية المواطنين واعتقال المطلوبين من قبله اعاد بقية المواطنين الى منازلهم .

- كانت مهمة قوات العدو في الايام ٨ ،٩ ، ١٠/٦ القضاء على مجموعات المقاومة في المخيمات الثلاثة (الرشيدية ، البرج الشمالي ، البص) واعتقال المواطنين الذين كتب لهم أن يبقوا أحياء بعد التدمير الرهيب الذي لحق بالمخيمات . والجدير بالذكر أن مقاومة اشبال المقاومة لقوات العدو عن حملتها لتفتيش المخيمات كانت ملحوظة وتدل على التربية العقائدية الصحيحة التي نشأ عليها هؤلاء الفتيان .
- بعد سيطرة العدو على المدينة والمخيمات بدأ تطبيق نظام الحكم العسكري معتمدا على وحدات الاقليات وحرس الحدود وميليشيات سعد حداد في تنظيم الحياة اليومية وبدأ اعتبارا من يوم ١٩٨٢/٦/١١ حملة تفتيش شملت المنطقة حتى نهر الزهراني واستمرت حتى خروج الثورة الفلسطينية من بيروت في آب/اغسطس ١٩٨٢ .

خاتمة :

مما لاشك فيه ان تمسك رجال المقاومة بمواقعهم الدفاعية رغم معرفتهم الاكيدة بالتفوق الساحق لقوات العدو عددا ونوعا دون ان يرعبهم ما رأوه بأم أعينهم من دمار وقتل نتيجة التمهيد للعدوان خلال ثلاثة ايام سبقت الحملة العسكرية ، لاشك ان مجرد الاستمرار في الموقع هو قمة الشجاعة وهذا ليس بغريب على رجال فهموا معنى الفداء وساروا في دربه سنين طويلة . كما كان موقف المواطنين في المنطقة نموذجا لموقف الدفاع عن

الكرامة والشرف والذي سيبقى نبراسا تهتدي به الشعوب المكافحة من أجل الحرية، واسترداد الحقوق المسلوبة .

ـ لقد استهدف العدو الاسرائيلي خلال اعماله العدوانية ضد الجنوب اللبناني المدنيين والعسكريين على حد سواء ولم يميز بين شيخ وطفل وامرأة .

واتصفت أعماله العسكرية بالهمجية والنازية نظراً لما لاقاه من صعوبات في تحقيق اهدافه ولما خسره من قتلى وجرحى في كل اتجاه كان يتقدم اليه .

لقد تصدت له الثورة الفلسطينية بكل جرأة وبسالة واوقعت في صفوفه الكثير من الخسائر وكانت معارك صور والمنطقة المحيطة بها ملاحم بطولة ستبقى خالدة في تاريخنا المعاصر .

ـ معركة صيدا ومخيم عين الحلوة

كانت مدينة صيدا عبر تاريخها القديم والحديث من اهم مدن الساحل اللبناني وقد اكتسبت اهمية خاصة في الصراع العربي ـ الاسرائيلي لعدة اعتبارات اهمها :

- كونها تقع على ساحل البحر الابيض المتوسط وتستطيع عن طريق مينائها الهام الاتصال بالعالم الخارجي . كما ان بعدها المناسب عن الحدود اللبنانية ـ الفلسطينية حوالى (١٠٠ كم من رأس الناقورة) يجعلها

خارج مدى الاشتباكات المحدودة ، حيث تصلح لانتشار وتوضع المستودعات الادارية ومعسكرات التدريب ، ومقرات القيادة ، والمستشفيات والمدارس . ويشكل اللاجئون الفلسطينيون الذين يسكنون داخل المدينة وفي المخيمات المجاورة لها (مخيم عين الحلوة ـــ مخيم المية ومية) ما يعادل ثلث عدد سكانها البالغ عددهم عند بدء الغزو الاسرائيلي للبنان ٢٥٠ الف نسمة ، ونظرا لهذه الميزات فقد اعتبرت مدينة صيدا شريانا حيويا لقوات المقاومة المنتشرة في الجنوب اللبناني ، ولهذا وضعها العدو الصهيوني في اولويات اهدافه منذ اليوم الاول لغزوه الهمجي حتى ان احدى صحفه « هاآرتس » وصفت ما حل بهذه المدينة كما يلي « صيدا اكبر ميناء في الجنوب اللبناني ، لم تجر ازالتها من الكرة الارضية ، الا ان ماحدث بها يشبه ما حدث لمدينتي هيروشيما وناغازاكي ، اذ إن احياء كاملة ازيلت من الوجود ، وسكان صيدا ذاقوا المرارة والعلقم حتى النهاية ، وقد كان يقال ان لمدينة صيدا ساحات جميلة وخضراء وابنية ذات طوابق كثيرة ، كما كان فيها حوانيت فاخرة يمكن للمرء ان يشتري منها احدث الموديلات ، اما الان فلا احد يعلم حالتها وحالة سكانها ، كم منهم تحت الانقاض وكم منهم دفنوا جماعيا ، وكم منهم انطلقوا الى خارج المدينة هائمين على وجوههم . الساحة الرئيسية للمدينة والابنية المجاورة للشارع الرئيسي كلها انقاض ولم يبق سوى بناء حجري كبير استخدم كمستشفى للهلال الاحمر الفلسطيني » .

القوات المدافعة عن صيدا والمخيمات المجاورة لها :

ان الوحدات النظامية لقوات المقاومة التي كانت تدافع عن منطقة صيدا والمخيمات المجاورة لها هي :

١ ـ وحدة دبابات (ت ٣٤) من جيش التحرير الفلسطيني (٢٠) دبابة معززة بوحدة م/ط ٢٣ مم ـ ١٤٫٥ مم وبوحدة م/د ١٠٦ ـ ٧٥ مم .

٢ ـ كتيبة مشاة معززة «قوات القسطل» ومن فاصل المقاومة والميليشيات اللبنانية والفلسطينية .

٣ ـ سرية مشاة محمولة من قوات القسطل .

٤ ـ وحدات أمنية وادارية مع فصيلتي م/ط وفصيلة سام ٩ .

فكرة العدو لاحتلال مدينة صيدا :

وضع العدو فكرته على اساس الضغط على المدينة من اتجاهين الشمالي والجنوبي ومن ثم الدخول اليها بعد استكمال تطويقها وبعد تدمير عناصر المقاومة وفرض السيطرة الاسرائيلية عليها ، وعلى المخيمات المجاورة . وقد خطط العدو لتنفيذ هذه الفكرة استخدام القوات كما يلي :

- هجوم بري عبر المحور الساحلي والوصول في نهاية اليوم الاول الى المداخل الجنوبية لصيدا .
- انزال بحري ليلي شمال صيدا (مصب نهر الاولي) في نهاية اليوم الاول للاعمال القتالية ٦/٦ للضغط على صيدا من الشمال .

— هجوم بري عبر هضبة النبطية في صباح اليوم الثاني ٦/٧ لاستكمال تطويق صيدا من الشرق .
— انزال جوي بالحوامات في اليوم الثاني للمساعدة في دخول المدينة واحتلال الاماكن الهامة .
— زج قوات مشاة لاستكمال تطهير المدينة والمخيمات ، وتمرير القسم الاعظم من الوحدات المدرعة والميكانيكية التي ساهمت في احتلال المدينة كي تطور الهجوم باتجاه الدامور .

سير المعارك :

هاجم الطيران الاسرائيلي في الساعة ١٥ر١٥ يوم ٦/٤ عدة اهداف للمقاومة قرب مصب الزهراني ، وعرب سليم وشرق وشمال صيدا ، كما كرر طلعاته ضد نفس الاهداف ، واهداف اخرى في اليوم التالي وذلك اعتبارا من الساعة ٠٠ر١١ ، كما قامت زوارق البحرية المعادية بالقصف المدفعي الليلي على عدة اهداف في منطقة مصب الزهراني وشمال وشرق صيدا .

ومنذ الساعة ٠٠ر١١ في ٦/٦ عبرت رأس الناقورة ارتال العدو عبر الطريق الساحلي شمالا وباتجاه .هدفها الاول (الرشيدية — صور) ، وكانت الخطة الاسرائيلية تقضي بأن يكون التقدم سريعا على المحور الساحلي للوصول الى مشارف صيدا الجنوبية لذلك قام العدو بزج قوات مدرعة ومشاة آلية —(لواء مختلط) من شرق صور باتجاه جسر القاسمية — صيدا متجاوزا مدينة صور ومخيماتها وتاركا امر الاشتباك معها

لقواته المتقدمة من اتجاه رأس الناقورة . وفي الساعة ٣٠ر٢١ من اليوم نفسه وصلت هذه القوة الى منطقة الزهراني وتوقفت امام المقاومات العنيفة في مفرق مغدوشة ، في الوقت الذي بدأ فيه الانزال البحري في مصب نهر الاولي شمال صيدا . وقد خاضت القوات المدافعة عن صيدا معاركها الدفاعية ضد قوات الغزو على محاور الطرق وتخوم المدينة والمخيمات ، وفي داخل المدينة والمخيمات ، ويمكن تقسيم المعارك الهامة وفق اماكن حدوثها الى :

أ ـــ معركة الانزال البحري في مصب نهر الاولي شمال صيدا

اعتبارا من مساء يوم السبت ٦/٥ أعد العدو الاسرائيلي القوات التي ستقوم بالانزال البحري على الشاطىء والمكونة من وحدات مغاوير بحرية ووحدات مظليين على الناقلات المدرعة ووحدات دبابات بالاضافة الى وحدات تأمين المعركة . وقد تقرر ان تبحر وسائط الانزال قبل ظهر يوم ٦/٦ منذ عبور القوات البرية الاسرائيلية الحدود اللبنانية باتجاه الشمال . وقد خصصت بعض هذه الوسائط لصالح العملية جنوب صور ، بينما خصصت معظمها لصالح العملية الرئيسية شمال صيدا ، وقد وصلت سفن الانزال الى مصب نهر الاولي ليلا الساعة ٣٠ر٢١ من يوم ٦/٦ . وكان الطيران الاسرائيلي قد ركز طيلة فترة بعد الظهر على تدمير الاهداف العسكرية الموجودة في منطقة الانزال ، فقصف وحدة دبابات جيش التحرير في علمان ، ومواقع المقاومة في الرميلة وشرحبيل ، وكتيبة بيت المقدس في عبرة ، ومواقع فصائل المقاومة من مداخل صيدا وحتى مخيم الميه

وميه ، كما قامت زوارق البحرية بتركيز رمايات مدفعية ورمي مباشر على منطقة مصب نهر الاولي والبساتين المجاورة لها وأدت هذه الرمايات مع القصف الجوي الى تدمير معظم اسلحة الثورة الموجودة في المنطقة قبل تنفيذ عملية الانزال ، وهكذا تمكنت وحدة المغاوير البحرية من تأمين رأس جسر للقوات المنزلة ، بعد ان تصدت لها قوات الثورة بالاسلحة الفردية وقواذف « ر.ب.ج » كما قامت وحدات المظليين بتوسيع رأس الجسر ليلا بعمق ٣ ــ ٤ كم ، واحتلت الخط : الرميلة ــ علمان ــ شرحبيل ــ مؤمنة بذلك نزول باقي الوحدات المدرعة .

ب ــ المعركة داخل مدينة صيدا :

وفي صباح الاثنين ٦/٧ تابعت القوات الاسرائيلية المنزلة تقدمها باتجاه مدينة صيدا ومداخلها الشرقية ، بدعم متواصل من الطيران والمدفعية ، مع الانزالات الجوية بالحوامات ، تمكنت القوات المنزلة حتى ظهر اليوم نفسه من الوصول الى مداخل صيدا ، والى معسكر الجيش اللبناني في الصالحية شرقا والى مخيم الميه وميه .

وحققت الاتصال مع القوات المهاجمة من جنوب صيدا ، فدفع العدو ببعض هذه الوحدات شمالا باتجاه الدامور ، في الوقت الذي قام بتعزيز القوات التي دخلت صيدا بواسطة الانزال بالحوامات ، وانزالات بحرية اخرى . وتمكنت هذه القوات من الوصول الى الشارع الرئيسي بصيدا (شارع رياض الصلح) ، وقد عمد العدو الى اخلاء المدينة من السكان ، فألقى من الطائرات مناشير كتب فيها « لن نؤذي احدا يترك

المدينة ان لم يكن مسلحا ، نحن نريد منع حدوث خسائر بالارواح ، يجب ترك المدينة في غضون ساعتين » . وفي الوقت نفسه تابع الطيران تدميره المراكز الهامة في المدينة ، ولقد كتبت احدى صحف العدو تصف حالة النساء والاطفال المشردين :

« تظهر المشاهد الفظيعة للنساء والاولاد المشردين من ديارهم وهم يسيرون دون هدى تحت الشمس على شاطىء بحر صيدا ، ويستمعون الى اصوات الانفجارات والقذائف تتساقط على بيوتهم ، وفي الوقت الذي يقوم به المظليون بتطهير هذه البيوت ، يظهر فجأة من بين الركام احد الفدائيين ليقاتل حتى الرمق الاخير ، وعندها يقول احد افراد المظليين « انني مستعد لاجتياز عشرين دورة هبوط بالمظلات ولا أمضي ليلة اخرى كهذه » .

وطيلة يوم الثلاثاء ٦/٨ لم يستكمل العدو السيطرة على المدينة رغم كل وسائل الدمار . اذ توقفت القوات المهاجمة من الجنوب عند مداخل المدينة الصناعية ومداخل مخيم عين الحلوة ودمرت كمائن الفدائيين على هذا الاتجاه سرية دبابات معادية ، مما دعا العدو الى زج قسم من القوات التي هاجمت عبر هضبة النبطية للمساهمة في تطهير المدينة ، وقد وصلت هذه القوات مساء يوم الثلاثاء ٦/٨ عبر محور الجباع ــ صيدا ، واستمر القتال طوال الليل في جميع قطاعات المدينة وفي صباح يوم الاربعاء ٦/٩ واصلت القوات الاسرائيلية بالدعم المستمر للطيران تدمير المقاومات داخل المدينة متنقلة من حي الى آخر ، وشهدت المدينة معارك مواجهة مشرفة منها

معركة المصرف المركزي بالقرب من السرايا ، ومعركة البلدية وقد ظلت المجموعات الخاصة تقاتل داخل المدينة طيلة يوم ٦/١٠ .

ج ـــ معركة مخيم عين الحلوة :

منذ صباح يوم الاربعاء ٦/٩ بدأ العدو يضيق الحصار على مخيم عين الحلوة مركزا القصف الجوي والمدفعي على كافة احياء المخيم ومتقدما بأرتال الدبابات والمشاة الميكانيكية على المحاور التالية :

محور سيروب ـــ عين الحلوة

محور الميه وميه ـــ عين الحلوة

محور صيدا ـــ عين الحلوة .

وتمكنت وحدات العدو حتى مساء يوم ٦/٩ من الدخول الى الشارع الرئيسي في المخيم الا ان الاعمال الانتحارية التي واجهتها أدت الى تكبيدها خسائر كبيرة بالارواح والعتاد . كما استطاعت عدة مجموعات من الفدائيين اسر عناصر العدو والاحتفاظ بهم في قواعدهم داخل المخيم الى ان تم تدمير هذه القواعد خلال ثمانية ايام متواصلة من القتال ليلا ونهارا ، وقد امتازت العمليات داخل المخيم بالتضحيات النادرة التي قدمها اشبال الثورة . وقد نشر عن احد جنود العدو أنه كتب في مذكراته ما يلي :

« عندما خرجت للمشاركة في هذه العملية عرفت أنني سأخوض حربا مع فدائيين لهم نفس سني ، ولم يكن احدا منا يفكر بأنه سيحارب اولادا تتراوح اعمارهم بين ١٢ ـــ ١٦ سنة . لقد أبدى هؤلاء مقاومة شديدة جدا وكانوا مدربين لخوض حرب العصابات ، فاستخدموا الاسلحة

الصغيرة ، والهاونات وبصورة خاصة سلاح ر.ب.ج حتى اننا دعيناهم اولاد (ر.ب.ج) لقد قاتلوا تحت شعار « حتى آخر قطرة من الدم من اجل استعادة الوطن السليب ».

٦ ـ منطقة الشريط الحدودي في الجنوب اللبناني

اعلن الرائد سعد حداد بتاريخ ١٨/٤/١٩٧٩ عن استقلال القطاع الذي يسيطر عليه وذلك خلال مؤتمر صحفي عقده في المطلة . وأوضح بأن هذا القرار اتخذ في اجتماع عام في مرجعيون في اليوم نفسه ، حضره ممثلو الجنوب اللبناني ، وأطلق اسم « لبنان الحر والمستقل » على هذا القطاع معلنا اقامته دولة .

ـ لمحة جغرافية :

تطلق عبارة الجنوب اللبناني على المنطقة الممتدة بين نهر الليطاني شمالا والبحر الابيض المتوسط غربا ، والحدود الفلسطينية ـ اللبنانية جنوبا وشرقا مع لسان يمتد الى الشرق من نهر الليطاني ويوازي الحدود السورية ـ اللبنانية لتشمل منطقة مرجعيون شمالا وتبلغ مساحة هذه المنطقة حوالى/ ٨٠٠ كم ٢) وهي من الناحية الجغرافية ، امتداد طبيعي لمنطقة الجليل .

وشهدت هذه المنطقة هجرة سكانية واسعة ، وفي كلا الاتجاهين ، وكانت الاوضاع الامنية في لبنان بشكل عام ، وفي الجنوب اللبناني بشكل خاص هي التي تحدد اتجاه وقوة حركة الهجرة من هذه

المنطقة وإليها . مما أدى الى عدم ثبات مستوى عدد سكان المنطقة منذ مطلع عام ١٩٧٥ . وقد تراوح هذا العدد بين ١٠٠ ــ ١٥٠ الف نسمة .

لقد شكلت دويلة حداد من الشريط الحدودي المتاخم لاسرائيل وتمتد حدودها من قرية كفر شوبا شرقا حتى البحر غربا وبطول /٨٠/كم وعرض يتراوح بين ٤ ــ ١٢ كم ، وتبلغ مساحتها نحو /٧٠٠/ كم مربع. وحاول حداد توسيع حدود دويلته بالتعاون المباشر مع اسرائيل واستغل ظروف الاحتلال الاسرائيلي للاراضي اللبنانية ، فقام بضم /٦٠/ قرية من قرى الجنوب اللبناني ، تضم /٧٠/ ألف نسمة ، وذلك بعد عشرة ايام من بداية الاجتياح الاسرائيلي .

ــ نشأتها :

اعتمدت الحكومات اللبنانية المتعاقبة في حماية حدودها على الموقف الدولي اكثر من اعتمادها على جيش وطني قوي . ومنذ الاستقلال ، والطابع العام للوضع الداخلي هو عدم الاستقرار . اذ شهدت الساحة اللبنانية ، من حين الى آخر الفتن والصراعات الداخلية التي كانت تغلف بالطائفية ، من قبل مسببيها ، تكريسا للطائفية واخفاء لحقيقة الصراع .

وما ان بُدىء الحديث عن كامب ديفيد ، وقرر السادات المضي في طريق الاستسلام حتى تحرك اطراف التحالف الامبريالي ــ الصهيوني لاشعال نيران الحرب الاهلية وروجوا بكثافة مقولة اختلال التوازن الطائفي ، نتيجة التواجد الفلسطيني في لبنان ، واستغل العدو الاسرائيلي

تنامي حجم الثورة الفلسطينية ، وازدياد وزنها في الساحة اللبنانية ، وادعى بأن الوجود الفلسطيني يهدد أمنه وكيانه وهدد باستخدام القوة ، وأخذ يصعد الموقف العسكري .

وسارعت القوى الانعزالية الى التحرك ، فقامت هي الاخرى بتصعيد مواقفها المعادية للوجود الفلسطيني ، كما قام التحالف الامبريالي ـــ الصهيوني بتشجيع هذه الاتجاهات ودعمها بمختلف أشكال الدعم ، لدفع الاحداث نحو التأزم . وباتجاه كامب ديفيد ، الى ان تطورت الاحداث بسرعة الى حرب أهلية طاحنة أخذت طابعا طائفيا رغم أسبابها ودوافعها وغاياتها السياسية والاجتماعية .

لم تكن منطقة الجنوب اللبناني بمعزل عن الاحداث العامة وتطوراتها . قد شهدت الحرب الاهلية بكل أبعادها ومراحلها كجزء من لبنان سكانا وارضا . كما شهدت كشريط حدودي ، جميع العمليات العسكرية التي نفذها العدو في الاراضي اللبنانية . فكانت بذلك مسرحا للحرب الاهلية وللعدوان الخارجي .

ولم يأت ظهور الرائد سعد حداد في الجنوب اللبناني بشكل اعتباطي مفاجيء . فقد كان حداد ناشطا في الساحة اللبنانية ـــ منذ بداية الحرب الاهلية ، ممثلا لاكثر الاجنحة الانعزالية ، تطرفا في العداء للثورة الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية . ولجأ الى الجنوب في أعقاب الخلافات الحادة التي ثارت في صفوف التحالف الانعزالي . ليكون قريبا من الحدود ويضمن من خلالها الدعم المباشر من العدو الاسرائيلي . وأعلن تمرده على الحكومة اللبنانية ، وانشقاقه عن الجيش وبدأ التعامل مع العدو

علنا بعد أن تزعم مع الرائد سامي شدياق الجيوب الانعزالية في الجنوب . وكانت الميليشيات الانعزالية في الجنوب تتألف من ثلاث مجموعات منفصلة عن بعضها جغرافيا ، الجيب الشرقي في منطقة مرجعيون ـــ القليعة ، والجيب الاوسط في منطقة رميش ـــ عين ابل ، والجيب الغربي حول قرية علما الشعب . وكان الاتصال بين هذه الجيوب يتم تحت اشراف العدو عبر الممرات التي فتحها في الحدود .

واتحدت الجيوب الانعزالية في مجموعة واحدة تحت امرة حداد . وذلك بعد عملية الليطاني في آذار ١٩٧٨ وانفرد حداد بزعامة هذه الجيوب بعد انسحاب الرائد سامي شدياق . وهكذا كان التوحيد والانفراد من احدى نتائج عملية الليطاني ، كما كان تمهيدا لاقامة دويلة حداد .

وثق سعد حداد علاقاته مع العدو لتأخذ هذه العلاقات مع مرور الأيام طابعا شموليا الى ان اعلن بتاريخ ١٨/٤/١٩٧٩ عن اقامة دولة باسم (لبنان الحر والمستقل) وبارك العدو هذه الخطوة . ومنذ ذلك التاريخ وحداد ينفذ سياسة العدو في لبنان بكل أبعادها وسخر نفسه لان يكون رمزا آخر من رموز العمالة في المنطقة .

ـــ دورها :

يعتبر سعد حداد أحد البيادق الاسرائيلية على رقعة الشطرنج اللبنانية ، وهو بيدق مكشوف يتحرك علنا في اطار سياسة الاحتلال والعمالة . ولقد وقع اختيار العدو على هذا العميل ليقوم بدور هام في

الساحة اللبنانية . وعمل من أجل تثبيت اقدامه فكان المخطط هو التمرد والانشقاق ، ومن ثم تزعم ميليشيات الجنوب وتوحيدها ، وفي مرحلة لاحقة اعلان الدويلة المسخ على امتداد الشريط الحدودي .

قد لاتكون دويلة حداد كبيرة في المساحة وعدد السكان ولكنها ليست صغيرة في دورها المرسوم في مخطط التآمر الامبريالي ـــ الصهيوني ، فهي بحكم موقعها اي متاخمتها للحدود ، مجال عمل لقوات العدو ومنطقة عازلة . وهي بانتمائها اللبناني مصدر تشويش على أمن لبنان واستقراره . ويتحرك زعيمها منفذا مخططات وسياسات العدو ولكن بزي لبناني . وتقوم بحكم عمالتها بدور عسكري ضد لبنان بشكل عام ، وضد التحالف السوري ـــ الفلسطيني ـــ اللبناني الوطني بدءا من جمع المعلومات وانتهاء بالمشاركة مع العدو في العمليات العسكرية .

ويسعى العدو الى اشراك حداد في اية تسوية كطرف لبناني . كما يسعى الى ادخال حداد ودويلته في الترتيبات الامنية التي يطالب بها . ودمج ميليشيات حداد في الجيش اللبناني بعد التسوية .

وقام حداد خلال عملية الغزو والاحتلال الاسرائيلي للاراضي اللبنانية بما يلي :

ـــ شاركت قوات حداد في تطهير قرى الجنوب اللبناني . هاآرتس ١٩٨٢/٦/١١

ـــ اشتركت مع قوات العدو في الاتصال مع السكان بهدف استمالتهم وتحريضهم على الوقوف ضد القوات المشتركة .

دافار ١٩٨٢/٦/١٣

ـــ طلب من العدو تقديم المساعدة ، لتشكيل جيش نظامي وفق تشكيلات الجيش الاسرائيلي واشتركت قواته مع العدو في محاصرة بيروت الغربية .

معاريف /١٩٨٢/٨

ـــ ساهمت قوات حداد في اقامة الحواجز في منطقة بحيرة القرعون وقدمت عددا من المدافع لجيش العدو في هذه المنطقة .

عل هامشمار ١٩٨٢/٩/١٠

ـــ ساهم حداد في الاشراف على مجزرة صبرا وشاتيلا ، واشترك في هذه المجزرة حوالى /٣٠/ شخصا من قواته ، كما ارسل بعض وحداته للعمل مع ميليشيات الكتائب .

هاآرتس والتايمز اللندنية ١٩٨٢/٩/١٧

ـــ اجتمع حداد اكثر من مرة مع المسؤولين الاسرائيليين ، وكان من ابرز هذه الاجتماعات اجتماعه مع وزير الحرب الاسرائيلي ارئيل شارون وبحضور رئيس الاركان العامة رفائيل ايتان ، وقائد المنطقة الشمالية امير دروري ، وقائد منطقة جنوب لبنان العقيد افرايم سنيه . وتم بحث مستقبل الشريط الأمني بعمق /٤٠/ كم ومسألة دمج ميليشيات حداد في اية تسوية مقبلة حول الجنوب اللبناني .

هاآرتس ١٩٨٢/١٠/٨

٧ ـــ العمليات العسكرية خلف خطوط العدو

في اثناء وبعد عملية الغزو الصهيوني ، بدأت الاعمال القتالية

خلف الخطوط بمجموعات فدائية منذ الساعات الاولى لعملية الغزو بالرغم من التعتيم الأعلامي الصهيوني ، وحين طغى التقدم السريع لقوات العدو واصوات قنابل الطائرات العنقودية وازيز مدافع البر والبحر على كل صوت في ارض الجنوب اللبناني كانت تلك المجموعات الفدائية تعمل في الليل والنهار ضد الاهداف المعادية .

ويمكننا تقسيم عمل هذه المجموعات خلف الخطوط الى مرحلتين رئيسيتين :

آ : المرحلة الاولى : اثناء التصدي لعملية الغزو .

ب : المرحلة الثانية : استنزاف الغدو بعد الاحتلال .

آ : المرحلة الاولى :

برز في المرحلة الاولى تصدي عناصر الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية والقوات العربية السورية لارتال العدو وقوافل امداده وتموينه في صور والرشيدية والبص ، وفي صيدا وضواحيها مسببة له ارباكا وبلبلة لم يكن يتوقعهما ومنزلة الخسائر في قواته .

ونوجز فيما يلي اهم العمليات العسكرية خلف الخطوط :

(١) : بتاريخ ٦/٦ الساعة /١٤٫٣٠/ ، حاولت قوة اسرائيلية التقدم باتجاه البرج الشمالي ، فتصدت لها احدى مجموعات الثورة الفلسطينية ، ودمرت دبابة وعربة مدرعة بمن فيهما ، وتم اسر المقدم « اورى غيفر » وهو مصاب بجراح بليغة فارق الحياة بسببها .

(٢) :بتاريخ ٦/٧ تم اول اشتباك من قبل المجموعات الخاصة من

الجيش العربي السوري في منطقة عرب سليم ضد ارتال العدو المتقدم ، حيث دمرت للعدو دبابتان ، واستشهد قائد المجموعة وهو برتبة ملازم اول .

(٣) :عملية الدامور

بتاريخ ٦/٨ كان العدو قد اطمأن الى نظافة المنطقة وخلوها من افراد المقاومة عندما صعد نفر من رجاله الى سطح احد المباني المهجورة في الدامور يراقبون ساحة المعركة . ادركت احدى المجموعات العاملة في تلك المنطقة ، والتي كانت مؤلفة من « ثلاثة اشبال » ان هؤلاء النفر هم من قادة العدو ، فقررت مهاجمتهم ، حيث سقط نتيجة هذا الهجوم عدد من هؤلاء القادة

(٤) : صباح يوم ٦/١١ نفذت اكبر عملية خلف الخطوط بمجموعات كبيرة من الجيش العربي السوري بلغ عددها خمس مجموعات رئيسية ، كل مجموعة /٧٠/ عنصرا ، وقسمت كل مجموعة بدورها الى /٩/ مجموعات فرعية ، وتوغلت خلف خطوط العدو في منطقة راشيا الوادي والظهر الاحمر ومنطقة المحيدثة وفي الساعة /٢٫٣٠/ يوم ٦/١١ انقضت تلك المجموعات على اهدافها في مؤخرة العدو ودام الاشتباك /٣٠/ دقيقة ، حيث سببت للعدو الخسائر الفادحة ، فقد بلغ مجموع ماخسره العدو تدمير /٤٠/ دبابة واعطاب /١٠/ دبابات اخرى ، وفر العدو تاركا وراءه عتاده المدمر و /١٥٠/ اصابة بين قتيل وجريح .

ب : المرحلة الثانية :

لقد بذل العدو جهودا كبيرة في سبيل القضاء على كل اثر للمقاومة ، فاتخذ عددا من اجراءات الحيطة والوقاية لحماية افراد قواته وآلياته من هجمات الفدائيين .

ومع توالي ايام الاحتلال التي تجاوزت الايام الى اشهر ، اطمأن الى نجاح مخططه وتدابيره ، وظن ان كل شيء قد انتهى ، فانصرف ـــ كعادته ـــ الى تسيير الامور بغطرسة الحكم العسكري ، فاقام حاكمية عسكرية في مدينة صور ، واخرى في مدينة صيدا . ولقد كان كل ذلك تحت مراقبة الاعين التي لاتنام ، والتيماانفكت تتطلع الى عملية موجعة قاتلة تنزلها بالعدو المتغطرس ، ولم تجد المجموعات العاملة خلف خطوط العدو هدفا اثمن من هذين الهدفين وهما « تفجير مقر الحاكم العسكري » في كل من صور وصيدا . وفوجىء العالم بما اذاعته وكالات الانباء :

(١) : بتاريخ ١٩٨٢/٧/٢٣ نفذت مجموعات خلف الخطوط عملية فدائية ضد مقر القيادة العسكرية الاسرائيلية في صيدا ، بدأ الفدائيون هجومهم مساء في طريق رياض الصلح ، خلال حركة ازدحام عادية على باص عسكري اسرائيلي فدمروه بالقنابل وقتلوا وجرحوا من فيه ، ثم انتقلوا بعد ذلك الى هجوم على مقر القيادة العسكري بالصواريخ ونفذوا مهمتهم بشكل كامل دون ان يتمكن الجنود الاسرائيليون الذين اختبأوا خلف جدران المبنى من الرد على مصادر نيران المهاجمين . تمكن الفدائيون

من الانسحاب عبر بساتين البرتقال ، تاركين وراءهم الكثير من القتلى والجرحى الاسرائيليين تحت انقاض المبنى المدمر .

(٢) : تعرض موقع اسرائيلي متقدم شمالي بحمدون في منطقة رويسة البلوط لهجوم فدائي نفذته احدى المجموعات العاملة خلف الخطوط بتاريخ ٤/٩/ ١٩٨٢ تمكن الفدائيون من خلاله خطف ثمانية جنود اسرائيليين مع اسلحتهم .

(٣) بتاريخ ١١/١١/ ١٩٨٢ وقع انفجار كبير في مبنى من ثمانية طوابق في مدينة صور ، ادى الى انهيار المبنى كاملاً ، وفي الحقيقة كان هذا المبنى يضم مقر القيادة الرئيسي للجيش الاسرائيلي ومقر الشرطة العسكرية وحرس الحدود والحاكم العسكري في لبنان .

ولقد حاول العدو نسب الانفجار الى اسباب اخرى ، فحجم خسائره جعله في حيرة من امره ، اذ كيف سيغطي مقتل /٧٥/ شخصا مابين ضابط وجندي ، وجرح /٢٨/ شخصا آخرين ، ومن بين القتلى عدد كبير من الضباط (مقدم ورائدان وملازم اول) ، فضلا عن الحاكم العسكري لمدينة صور وقائد الوحدة المساعدة فيها .

بعض اجراءات العدو الوقائية :

في اعقاب نجاح القوات العاملة خلف خطوط العدو في تصعيد المقاومة اتخذ العدو عدة اجراءات تهدف الى حماية افراده والى التقليل من خسائره البشرية والمادية ومن هذه الاجراءات :

١ ــ الزام الجنود العاملين في لبنان الذين يحصلون منهم على اجازات بالسفر بالاليات المدرعة او بطائرات الهيلوكوبتر .
٢ ــ منع السيارات من التحرك افراديا ودون حراسة آليات مسلحة .
٣ ــ الحظر على الجنود والمدنيين الاسرائيليين التجول في الاحياء السكنية بشكل افرادي ، والزامهم بالتحرك ضمن مجموعات مسلحة .
٤ ــ زيادة عدد الحواجز على الطرق ، وتكثيف الدوريات الليلية والنهارية .
٥ ــ فرض نظام منع التجول من حين لاخر على القرى والمدن اللبنانية المحتلة .
٦ ــ هدم المخيمات الفلسطينية .
٧ ــ قطع الاشجار على جانبي طريق صيدا ــ صور .
٨ ــ تصعيد حملة الاعتقالات دون تمييز .

يبين الجدول التالي اهم العمليات العسكرية التي نفذتها المجموعات العاملة خلف خطوط العدو في الفترة من (٦/٦) الى (١٩٨٢/٨/٣١) .

ويشير استعراض المعطيات عن العمليات العسكرية التي نفذت خلف خطوط العدو الى حدوث /٢٦١/ عملية فدائية خلال هذه الفترة .

لائحة بأهم العمليات التي نفذتها مجموعات العمل خلف خطوط العدو الاسرائيلي في لبنان في الفترة الواقعة بين ٦/٦ ولغاية ٢٨/٨/ ١٩٨٢ :

مسلسل	اليوم والتاريخ	نوع العملية	مكان العملية	المرجع
١ ــ	٦/٦	ــ هجوم على قوة اسرائيلية ، ومقتل المقدم « أورى غيفر »	البرج الشمالي	ناطق عسكري اسرائيلي
٢ ــ	٦/٧	ــ الهجوم على موقع اسرائيلي .	منطقة الجرمق	ناطق عسكري اسرائيلي
٣ ــ	٦/٧	قصف صاروخي .	منطقة اصبع الجليل	جريدة النهار
٤ ــ	٦/٧	هجوم على رتل اسرائيلي معاد .	طريق النبطية ،	مراسل رويتر

٥ ــ	٦/٨	هجوم على منطقة تمركز قوات اسرائيلية .	منطقة ميمس	ناطق عسكري اسرائيلي
٦	٦/٨	ــ الهجوم على قلعة الشقيف بعد سقوطها	قلعة الشقيف .	ناطق عسكري اسرائيلي
٧ ــ	٦/٨	ــ قصف بالصواريخ	مستعمرة دان	
٨ ــ	٦/٨	ــ تعرض المستعمرات الاسرائيلية لقصف صاروخي .	مستعمرة دان كريات شمونه	السفير
٩ ــ	٦/٨	ــ هجوم على مبنى فيه ضباط اسرائيليون ، وقتل نائب رئيس الاركان الاسرائيلي « يكتوئيل آدام » .	الدامور	ناطق عسكري اسرائيلي

١٠ ــ	٦/٩	ــ قصف رتل معاد بالصواريخ .	مشارف قرية الحلوات	صحيفة يدعوت احرنوت
١١ ــ	٦/٩	ــ اغارة على مرابض المدفعية والصواريخ الاسرائيلية .	منطقة خلده	الاذاعة الاسرائيلية
١٢ ــ	٦/١٧	ــ اغارة على رتل مدرع اسرائيلي .	على محور مخيم الرشيدية	معاريف ٦/١٨
١٣ ــ	٦/١٧	ــ التعرض لرتل مدرع اسرائيلي .	شمالي صور	ناطق عسكري اسرائيلي
١٤ ــ	٦/٢٣	ــ اصطدام سيارة النقيب الاسرائيلي عيرن جدى بلغم ارضي .	الى الشرق من الرشيدية	هاآرتس ٧/١٠
١٥ ــ	٦/٢٥	ــ كمين ضد دورية اسرائيلية .	شمال صور	يديعوت احرنوت ٦/٢٨

١٦ ـــ	٦/٢٨	ـــ هجوم على منطقة تحشد للدبابات والدروع الاسرائيلية .	قرب جزين	الاذاعة الاسرائيلية والرأي العام ٦/٢٩/٦٦٦٩/
١٧ ـــ	٦/٢٨	ـــ اشتباك مع دورية اسرائيلية .	منطقة النبطية	= = =
١٨ ـــ	٦/٢٨	ـــ هجوم على موقع اسرائيلي .	منطقة حمانا	= = =
١٩ ـــ		ـــ هجوم مجموعة فدائية على موقع اسرائيلي .	جنوبي شرقي صيدا	= = =
٢٠ ـــ	٦/٢٨	– كمين لسيارة عسكرية اسرائيلية	شرقي الدامور	متحدث اسرائيلي يوم ٦/٢٩
٢١ ـــ	في الفترة من ٢٠ – ٦/٣٠	– هجوم على باص عسكري اسرائيلي يقل جنوداً	بالقرب من الدامور	= = = ٧/٣

٢٢ ـ	٧/٢	ـ هجوم على قلعة الشقيف .	قلعة الشقيف	ناطق عسكري اسرائيلي
٢٣ ـ	٧/٢	ـ هجوم على دورية اسرائيلية .	مدينة صور	الثورة ٧/٣/٥٩٤٤/ عن الناطق العسكري الاسرائيلي
٢٤ ـ	٧/٣	ـ انفجار لغم بعربة اسرائيلية .	قرب مدينة صور	الثورة ٧/٤/٥٩٤٥/ عن ناطق عسكري اسرائيلي
٢٥ ـ	٧/٣	ـ مهاجمة دورية اسرائيلية .	قرب بحمدون	دافار ٧/٤
٢٦ ـ	٧/٤	ـ انفجار لغم بسيارة عسكرية اسرائيلية .	منطقة صيدا	ناطق عسكري اسرائيلي
٢٧ ـ	٧/٤	ـ اصطدام سيارة عسكرية اسرائيلية بلغم ارضي زرعه الفدائيون	شمال شرق القرعون	عل همشمار ٧/٥
٢٨ ـ	٧/١٢	هجوم على سيارة عسكرية اسرائيلية	شمالي غرب عاليه	معاريف ٧/١٣

٢٩ ــ	مساء ٧/١٥	ــ كمين لسيارة لاندروفر قيادة .	على طريق الدامور	ناطق عسكري اسرائيلي
٣٠ ــ	٧/١٩	كمين لاليات اسرائيلية .	طريق بعلول ــ لالا	ناطق عسكري اسرائيلي
٣١ ــ	ليلة ٢٠ – ٧/٢١	ــ هجوم على دورية آلية اسرائيلية .	الطريق الرئيسي بين الباروك وكفريا	ناطق عسكري اسرائيلي
٣٢ــ		ــ قصف الصواريخ على مراكز تجمعات العدو .	منطقة الخالصة	= =
٣٣ ــ		ــ انفجار لغم نتج عنه تدمير آلية للعدو .	منطقة صيدا	
٣٤ ــ	ليلة ٢٠ – ٧/٢١	ــ كمين لدورية معادية	منطقة جسر القاضي في قضاء عاليه	ناطق عسكري اسرائيلي
٣٥ ــ		ــ كمين لدورية اسرائيلية .	قرب قرية المنصورة	دافار ٧/٢٢
٣٦ ــ		ــ اغارة على عربة دورية اسرائيلية .	شمالي مدينة صور	

٣٧ ــ	٧/٢١	ــ اغارة على دورية اسرائيلية .	منطقة شمالي مطار بيروت	ناطق عسكري اسرائيلي
٣٨ ــ	٧/٢١	ــ اقتحام موقع معاد .	قرية المنصورة في البقاع الغربي	ناطق عسكري اسرائيلي
٣٩ ــ	٧/٢٣	ــ هجوم على دورية اسرائيلية .	طريق مدينة صيدا	جريدة النهار ٧/٢٤
٤٠ ــ	ليلة ٧/٢٣	ــ هجوم على مقر قيادة العدو في صيدا .	صيدا	ناطق عسكري اسرائيلي
٤١ ــ	ليلة ٧/٢٣	اغارة على منطقة تجمع اليات العدو في الهاشمية ــ	بين بحمدون وعاليه	ناطق عسكري اسرائيلي ٧/٢٣
٤٢ ــ	٧/٢٣	ــ اغارة على موقع اسرائيلي .	بحمدون الضيعة	
٤٣ ــ	٧/٣٠	ــ اغارة على موقع اسرائيلي .	منطقة جزين	الاذاعة الاسرائيلية باللغة العبرية

٤٤ ــ	٧/٣٠	ــ كمين لدورية اسرائيلية .	شرقي صور	الاذاعة الاسرائيلية باللغة العبرية
٤٥ ــ	٧/٣١	ــ هجوم على دورية اسرائيلية	بالقرب من راشيا	
٤٦ ــ	٧/٣١	ــ هجوم على موقع عسكري اسرائيلي	على الطريق بين صيدا وصور	الاذاعة الاسرائيلية باللغة العبرية
٤٧ ــ	٧/٣١	ــ اصطدام دورية اسرائيلية بمجموعة فدائية	قرب جزين	
٤٨ ــ	٨/١	ــ انفجار لغم تحت مجنزرة اسرائيلية	شمالي بلدة حاصبيا	الناطق العسكري الاسرائيلي
٤٩ ــ	٨/١	ــ هجوم على موقع معاد	جنوب شرقي عميق	
٥٠ ــ	٨/١	ــ هجوم على دورية عسكرية اسرائيلية	جنوبي المنصورية	

٥١ ــ	٨/٢	ــ هجوم على آلية اسرائيلية وجرح من فيها	منطقة صور	هاآرتس ٨/٣
٥٢ ــ	٨/٨	ــ هجوم على سيارة عسكرية	جنوبي خلده	الاذاعة الاسرائيلية
٥٣ ــ	٨/٨	ــ هجوم على موقع اسرائيلي .	٥ كم جنوبي بيروت	
٥٤ ــ	٨/٨	ــ قصف تجمع لاليات العدو	تلة معروف	ناطق عسكري اسرائيلي
٥٥ ــ	٨/٩	ــ هجوم على موقع عسكري اسرائيلي في البقاع الغربي	البقاع	البعث /٥٩٥٣/ ٨/١٠ الاذاعة الاسرائيلية باللغة العبرية
٥٦ ــ	٨/٩	ــ انفجار لغم تحت سيارة عسكرية اسرائيلية	البقاع	
٥٧ ــ	٨/٩	ــ انفجار لغم في مجموعة عسكرية من سلاح الهندسة الاسرائيلية	احد محاور البقاع	

٥٨ ــ	٨/١١	ــ هجوم على موقع اسرائيلي معاد	حرش عانا بالبقاع الغربي	البعث /٥٩٥٦/١٣/٨
٥٩ ــ	٨/١١	ــ هجوم على موقع اسرائيلي في سفوح جبل الباروك	جبل الباروك	
٦٠ ــ	٨/١١	ــ مقتل جنديين وجرح آخر نتيجة اصطدام سيارتهم بلغم ارضي	عين زحلتا/ البقاع	هاآرتس ١١ ــ ٨/١٥
٦١ ــ	٨/١٤	ــ انفجار سيارة ملغومة ومقتل /٩/ اشخاص وجرح /٣٥/ آخرين	بحمدون	هاآرتس ٨/١٥
٦٢ ــ	٨/١٦	ــ هجوم خمس فدائيات على ثكنة للجيش الاسرائيلي	شمالي شرقي صور	البعث/٥٩٦٠ ٨/١٨
٦٣ ــ	٨/١٦	ــ هجوم على دورية اسرائيلية	غربي بلدة جب جنين	الوطن الكويتية
٦٤ ــ	٨/١٦	ــ هجوم على موقع اسرائيلي	منطقة المنصورة	

٦٥ ــ	٨/١٧	ــ اغارة على موقع اسرائيلي	منطقة المنصورة	
٦٦ ــ	٨/١٧	ــ اغارة على مواقع دفاعية اسرائيلية	منطقة البقاع	ناطق عسكري اسرائيلي
٦٧ ــ	٨/١٧	مقتل جنديين اسرائيليين وجرح اربعة نتيجة هجوم على دورية اسرائيلية	بلدة العبدية شرقي بيروت	هاآرتس ٨/١٩
٦٨ ــ	٨/١٨	ــ اغارة على مواقع عسكرية اسرائيلية	منطقة البقاع	الثورة /٥٩٨٣/ ٨/٢١ عن الناطق العسكري الاسرائيلي
٦٩ ــ	٨/١٨	ــ اغارة على مدرعة اسرائيلية واصابتها	منطقة جزين	عن الناطق العسكري الاسرائيلي
٧٠ ــ	٨/٢٢	ــ اغارة على باص عسكري اسرائيلي ، واصابة خمسة جنود	بالقرب من جسر القاسمية على الطريق الساحلي	هاآرتس ٨/٢٢
٧١ ــ	٨/٢٧	ــ انفجار لغم بباص اسرائيلي ، واصابة ستة جنود	منطقة صور	هاآرتس ٨/٢٩

الفصل الخامس

اجتياح جزين ومعارك الجبل

١ ــ الصدام في جزين .
٢ ــ احتلال الشوف .
٣ ــ القتال على محور عين زحلتا ــ المديرج .
٤ ــ الاعمال القتالية البارزة بعد وقف اطلاق النار :
(آ) القتال في عين زحلتا ــ وسوق الغرب .
(ب) حشد القوى المعادية في الجبل ، والقتال على الطريق الدولية بيروت ــ دمشق .
(ج) القتال للاستيلاء على قرى الجبل .
(د) القتال من أجل الاستيلاء على بحمدون .
٥ ــ ملامح المرحلة الثانية من الغزو الاسرائيلي للبنان .

١ ـ الصدام في جزين :

تقع جزين على مسافة ٢٠ كيلو مترا من ساحل البحر المتوسط ، الى الشرق من صيدا ، وعلى مسافة ٢٧ كيلو مترا من الحدود السورية ـ اللبنانية وتبعد ٢٨ كيلو مترا عن أقرب نقطة من الحدود اللبنانية ـ الفلسطينية ، وارتفاعها حوالى ١٢٠٠ متر عن سطح البحر ، تسيطر على ما حولها من مناطق . وهي بلدة جبلية تشكل عقدة طرق هامة ، تسيطر على معظم المحاور الجبلية المتجهة من الجنوب الى الشمال ومن الشرق (من وادي البقاع) الى الغرب . وأهم هذه المحاور :

أ ـ المحور المتجه من جنوبي جزين من قرية ميماس ، والذي يقطع وادي الليطاني في منطقة جسر الخردلي ، ثم ينعطف الى الغرب على سفوح جبال لبنان الغربية ، وعلى مسافة كيلو متر واحد شرقي بلدة كفر رمان ، مارا ببلدة عرب سليم ، والجباع ، وحيطورة . ثم يتابع شمالا مسافة اربعة كيلو مترات ، حيث ينعطف انعطافا حادا الى الشرق ليصل الى جزين . ثم يستمر الطريق صعودا نحو الشمال

مارا بمنطقة الشوف ، متماشيا مع السفح الغربي للسلسلة الجبلية مخترقا : باتر الشوف ، عماطورة ، المختارة ، عاصر الشوف ، الباروك ، القصر ، عين زحلتا ، عين داره ، المديرج ، حيث يلتقي مع طريق دمشق ــ بيروت الدولية .

وتبدو أهمية هذه الطريق الحيوية ، التي تصل بين الحدود الدولية الفلسطينية ــ اللبنانية وطريق دمشق ــ بيروت الدولية .

ب ــ المحور المتجه غربا ، اعتبار من البقاع الغربي : سد القرعون ، مشغرة ، جزين ، روم ، مجدليون ، مدينة صور على الساحل .

وهو طريق يسير صاعدا من سد القرعون حتى جزين ، ثم ينحدر هابطا من الارتفاعات العالية (١٢٠٠ م) حتى مستوى البحر المتوسط في مدينة صور .

وهذا المحور يربط البقاع بمدن الساحل اللبناني ، بعد طريق دمشق ــ بيروت .

وبالرغم من كون بلدة جزين مرتفعة ، فإنها محاطة ، هي ايضا ، بمرتفعات حادة ، وخاصة من جهتي الشرق والشمال . في حين تهبط الارض حول جزين من الغرب تدريجيا باتجاه البحر .

وتعتبر جزين ، بالنسبة لانتشار قوات الردع العربية ، النقطة الاكثر امتدادا نحو الجنوب . فهي تبعد عن القوة الرئيسية الموجودة في منطقة بحمدون ، أكثر من ٥٠ كيلو مترا من الطرق الجبلية شديدة الوعورة .

وقد اضطرت قيادة قوات الردع العربية في لبنان الى وضع قوة امنية في جزين بهدف المحافظة على الامن في تلك المنطقة ، التي توجد فيها فئات

مختلفة متنازعة ، ذات ميول سياسية ومذهبية متباينة ، تحدث بينها كثير من المشاكل الامنية . هذا عدا عن اطماع اسرائيل في تسليم هذه المنطقة الى عميلها الخائن الرائد سعد حداد ، وبالتالي الهيمنة على كامل المناطق المحيطة بجزين وقطع اتصال جنوبي البقاع بمدن الساحل اللبناني .

وقد تضمنت قوة الردع العربية السورية الموجودة في جزين وحدة من المشاة الميكانيكية المعززة بالدبابات ومدفعية الميدان ، والصواريخ المضادة للدبابات والاسلحة الخفيفة المضادة للطائرات .

وللسيطرة على المنطقة نشرت هذه القوة مخافر حراسة ومراكز رصد توزعت على امتداد القسم الجنوبي من اللسان الجبلي ، الممتد من سلسلة جبل الباروك نحو الجنوب في النقاط : العيشية ، القطرانة ، الريحان ، عرمتا ، كفر حونة ، حيطورة ، مفرق صيدا ، الامر الذي ادى الى تقليص حجم القوة الرئيسية وإضعافها بطبيعة الحال .

اما المنطقة الموجودة شمالي جزين ، والممتدة على طول ضهرة جبل الباروك وحتى المديرج (على طريق دمشق — بيروت) فهي منطقة خالية من قوات الردع العربية . فمنطقة الشوف هذه هي منطقة هادئة أمنيا ، تسيطر عليها ميليشيات الحزب التقدمي الاشتراكي .

من هذا يبدو واضحا ، ان توزيع قوة الردع العربية في منطقة جزين هو توزيع امني فقط . ولاغراض الامداد والتموين تستخدم هذه القوة طريقا جبليا وعرا وطويلا ومكشوفا للطيران ، وخاليا من القوات .

أما على محور المطلة — القليعة — الجرمق — عرب سليم ، فقد اخترق العدو الحدود الدولية دافعا على هذا المحور لواء ميكانيكيا .

وقد تم رفع جاهزية قوة الردع العربية في لبنان منذ صباح ٤ حزيران وتعزيز كافة النقاط الامامية ، التي يحتمل حصول تماس مباشر بينها وبين العدو الاسرائيلي . كما تم بشكل خاص تعزيز جزين بسبب كونها نقطة متقدمة بعيدة عن القوى الرئيسية لقوات الردع العربية .

وقد عززت قوة جزين بوحدات من المشاة الميكانيكية والقوات الخاصة والدبابات والاسلحة المضادة للدبابات والمدفعية ، وعينت لها قيادة متقدمة خاصة . ووصلت هذه القوى تباعا الى المنطقة ، اثناء حصول الاشتباك مع العدو بتاريخ ٦ حزيران ١٩٨٢ .

ففي الساعة ٧٫٠٠ من صباح ٦ حزيران ١٩٨٢ بدأ طيران العدو بقصف الجرمق والدمشقية وارنون وقلعة شقيف ، وكلها قرى تقع الى جنوب الخط الذي تحيطه المخافر المتقدمة لقوة الردع العربية في جزين .

وعندما اقترب العدو من مدى رمايات المدفعية السورية التابعة لقوة جزين فتحت نيرانها على ارتال العدو المتقدمة ، كما قامت الصواريخ المضادة للدبابات بالرمي على مدرعات العدو ودمرت له ثلاث دبابات وأصابت عددا من افراده وآلياته .

وقد قام العدو ، إثر ذلك ، بقصف كافة النقاط السورية الامامية حيث وقعت بعض الاصابات في صفوف الجنود السوريين .

وفي الساعة ١٣٫٣٥ رصدت تحركات العدو المدرعة في قطاع جزين على الشكل التالي :

— لواء مدرع يتقدم باتجاه القعقعية — النبطية .

— لواء مدرع يتقدم على جسر القاسمية .

ــ رتل مدرع يتقدم على جسر البرغوث .
ــ مجموعة دبابات تقدر بحوالي كتيبة احتلت جسر الخردلي .

وقام طيران العدو بدعم تقدم وحداته وتشكيلاته المدرعة فاشتبكت معه وحدات الدفاع الجوي السورية وتمكنت من اسقاط طائرتين ، حيث تم إلقاء القبض على طيار اسرائيلي وشوهدت جثتان لطيارين اسرائيليين آخرين ، ونقل حطام احدى الطائرتين الى بيروت .

وفي الساعة ١٨ر٣٠ من تاريخ ٦ حزيران تمكن العدو من الوصول الى خط : المحمودية ــ كفر تبنيت الذي يبعد عن جزين ، حوالي ١٩ ــ ٢٢ كيلو مترا ومن المخافر الامامية المنتشرة جنوبي جزين حوالى ٢ ــ ٣ كيلو مترات .

وهكذا لم يحصل ، خلال يوم ٦ حزيران صدام مباشر بنيران الاسلحة الخفيفة بين القوات العربية السورية والعدو .

خلال ليلة ٦ ــ ٧ حزيران تابعت الوحدات السورية ، على اتجاه جزين ، تحسين مواقعها الدفاعية وإستعدادها لصد هجوم العدو كما احتلت الوحدات التي وصلت حديثا لتعزيز قوة جزين مواقعها القتالية الجديدة .

في الساعة ٦ر٥ من صباح ٧ حزيران ، قصفت المدفعية ارتال العدو المدرعة التي كانت تتقدم على محور الجرمق ــ عرب سليم ، الذي تدافع عنه قوات الثورة الفلسطينية .

وفي الساعة ٨ر٢٥ شوهد رتل مدرع للعدو يتقدم من الدمشقية

باتجاه : المحمودية ، على المحور الشرقي المؤدي الى جزين فقصفته المدفعية السورية بنيرانها ، حيث توقف وانتشر في منطقة الدمشقية .

وفي الساعة ٩٫٠٠ وصلت طلائع العدو الى جنوبي بلدة عرب سليم ، ونيران المدفعية السورية تلاحقه وتكبده الخسائر . ونتيجة ذلك توقف العدو في الساعة ٩٫١٠ جنوبي ــ البلدة . وبعد تمهيد مدفعي حاول العدو دخول البلدة الا ان قوة نيران المدفعية السورية ومقاومة المقاتلين الفلسطينيين منعتاه من ذلك . فاضطر العدو للالتفاف حولها من الناحية الغربية واحتل المرتفع ٥٨٢ الواقع شمال غرب عرب سليم ، وبقوة حوالى ٢٠ دبابة .

وقد تم دفع وحدة سورية مضادة للدبابات امام بلدة حيطورة ، على محور عرب سليم بمهمة مسك محور جباع ــ اللويزة وفتحت نيرانها على دبابات العدو الموجودة على المرتفع ٥٨٢ .

وفي الساعة ١٣٫٣ تحركت سرية دبابات معادية من منطقة الدمشقية باتجاه المحمودية (على محور العيشية ــ جزين) ، فقصفت بالمدفعية ، فتوقفت على مسافة ٥٠٠ متر شمالي الدمشقية . ولم يستطع العدو التقدم على هذا المحور .

أما منطقة جباع ٤ ــ ٥ كم جنوب غرب حيطورة فقد هاجمها العدو بعنف شديد بقوام ٧٠ آلية مدرعة ، ودافعت القوة السورية الصغيرة المؤلفة من فصيلة بقوة وصلابة ضد العدو المتفوق وتمكنت من ابقائه مدة تزيد على ثلاث ساعات ودمرت له عددا من الدبابات والناقلات المدرعة . ولم يتمكن العدو من دخول جباع الا بعد تدخل طيرانه ومدفعيته ، اللذين

قاما بضربات مركزة وشديدة ، ضد هذه الفصيلة الباسلة ، واستشهد قائدها في المعركة . ونفذت المدفعية السورية ضربات نارية شديدة على ارتال العدو المتقدمة على محور جباع ــ حيطورة واستطاعت وحدة الدفاع الجوي في حيطورة ان تصيب وتسقط طائرة معادية شوهدت تهوي فوق بلدة جباع .

وفي الساعة ١٤٫٣٠ اصطدم العدو المتقدم على محور جباع ــ حيطورة بالقوة المدافعة في حيطورة ، وبدأت معركة ضارية اخرى وقد تم اصابة عدة دبابات وآليات للعدو بفعل الالغام التي تم زرعها في الليلة السابقة . وفي الساعة ١٥٫٣٠ تم تدمير دبابتين معاديتين بفعل صواريخ سرايا الصراع المضاد للدبابات ، ودبابتين اخريين دمرتا بأسلحة (ر.ب.ج) .

وفي الساعة ١٥٫٣٥ ، قام طيران العدو بقصف قرية حيطورة والقوة السورية المدافعة ، نتج عن ذلك انقطاع مؤقت في الاتصالات مع جزين .

وفي الساعة ١٦٫٥٠ ارسلت مفارز انتحارية واقتحام لتدمير الدبابات المعادية الموجودة جنوبي حيطورة . وقد قامت بتدمير عدد من دبابات العدو ومنعته من اقتحام حيطورة .

وفي الساعة ١٨٫٤٥ دفع العدو بوحدات جديدة من الدبابات باتجاه حيطورة ــ ضهرة الرملة ، حيث تم قصفها بنيران المدفعية . وفي الساعة ١٩٫١٥ تمكنت الوحدات السورية من ايقاف العدو المتقدم باتجاه حيطورة .

وفي الساعة ٢٠٫٠٠ من تاريخ ٧ حزيران عاود العدو قصف القوة المدافعة جنوبي حيطورة ، كما اضاء ارض المعركة بقنابل الطائرات وقذائف المدفعية ، وبدأ بدفع قواته من جديد وعزز ذلك بالتفاف قوات مدرعة وصلت من اتجاه (روم طريق صيدا ــ جزين) نحو جزين . كما انزل قوة انزال جوي شرقي بلدة حيطورة .

وقد قاتلت قوة حيطورة بشجاعة منقطعة النظير ، في ظروف تهديد العدو من الخلف وانقطاع الاتصال ونقص الذخيرة . وقد صمدت هذه القوة للهجوم المعادي المتفوق مدة تزيد على ست ساعات متواصلة ، تمكنت خلالها من تدمير عدد كبير من الدبابات والآليات المجنزرة وعدد من القتلى والجرحى .

واستمرت فيما بعد تقاتل بمفارز انتحارية .

وفي الساعة ٢٢٫٢٠ ليلا اخذ العدو ينزل قوات منقولة جوا بالحوامات على رؤوس التلال المحيطة بجزين ، وتتعاون مع القوات المتقدمة من روم والمتقدمة من اتجاه حيطورة .

وفي الساعة ٢٣٫٣ اجتازت الدبابات المعادية القادمة من اتجاه روم ، ضهرة الرملة ، باتجاه جزين . وقد قاتلت القوة السورية الموجودة في الضهرة قتالا ضاريا ودمرت خمس دبابات للعدو .

وبهذا استطاع العدو الاحاطة بمنطقة جزين من جهاتها الثلاث . ولم يبق امام القوة السورية المدافعة عن جزين سوى الاتجاه الشمالي . وحتى لا يطبق العدو على القوة المحصورة في جزين ، تم تنظيم الخط الدفاعي الجديد على المرتفعات الشمالية المشرفة على جزين والواقعة على مسافة كيلو مترين

منها ، بحيث تقف القوة من جديد في وجه تقدم قوات العدو نحو الشمال ، ولم يكشف العدو مناورة القوة السورية للانتقال الى خط دفاعي جديد ، فلجأ في الساعة الثالثة صباحا (٨ حزيران) الى اجراء قصف جوي شديد مع اضاءة المواقع المحيطة ببلدة جزين ، وكانت دبابات العدو قد تمكنت من الاحاطة بكامل المدينة دون ان تستطيع دخولها . وقد أدى القصف الجوي الشديد الى مقتل عدد كبير من اهالي البلدة وتدمير شديد للمباني السكنية .

ومن أجل دعم معركة قوات الردع العربية في جزين تم تحريك وحدة مدرعة من البقاع الى منطقة جزين . وقد وصلت طلائع هذه القوة في الساعة ٠٠ر٨ ، من صباح ٨ حزيران الى بلدة مشغرة (٤ كم جنوب غرب سد القرعون) وقد تحرك العدو لملاقاة هذه القوة الجديدة ، وحصل اشتباك في الجهة الشمالية الغربية تمكنت القوة المدرعة السورية على اثره من تدمير عدد من دبابات العدو وآلياته .

وبعد ذلك قام العدو بتدمير جسر يقع على تقاطع محاور جزين ومشغرة وكفر حونة (٥ر١ كم جنوبي جزين) وذلك لمنع القوة المدرعة السورية من الوصول الى جزين ، الا ان القوة تمكنت من الالتفاف حول منطقة الجسر ، وكانت جاهزة في مواضعها القتالية المحددة في الساعة ٠٠ر١٠ من صباح ٨ حزيران .

وفي هذه الساعة حصل اشتباك مدرع جديد مع دبابات العدو اسفر عن تدمير فصيلة دبابات اخرى معادية على مداخل جزين . فقام

طيران العدو اثر ذلك بقصف جوي شديد لهذه الدبابات حيث جرح قائدها واسعف وعاد لقيادة وحدته من جديد قبل الغروب .

وفي الساعة ١٣٫٣٠ من يوم ٨ حزيران . قام الطيران السوري بقصف وحدات العدو المدرعة حول جزين ، حيث شوهد عدد من دبابات العدو يحترق .

وفي الساعة ١٦٫٣٠ حاول العدو التقدم من ضهرة الرملة باتجاه جزين الا ان الوحدات السورية الموجودة على التخوم الشمالية المشرفة على جزين دمرت له خمس دبابات اخرى .

وفي الوقت نفسه ، قام العدو بانزال بحري في منطقة السعديات وتمكنت ارتاله التي تتقدم على المحور الساحلي صور ــ صيدا من التوصل في هذا الوقت الى بلدة بيت الدين وهي بلدة تقع على مسافة ١٧ ــ ١٨ كيلو مترا الى الشمال من جزين . وبذلك اصبحت الوحدات منعزلة في جزين ، ومع ذلك فقد اتخذ القائد تدابيره للقتال بمعزل عن القوى الرئيسية .

ومن الساعة ١٨٫٠٠ وحتى ٢١٫٠٠ كان العدو يتابع قصفه الجوي والمدفعي للوحدات المقاتلة في منطقة جزين ، بغية بعثرتها والتخفيف من حدة مقاومتها لتقدم أرتاله وتم الاشتباك مع العدو طيلة الليل .

وفي الساعة ٦٫٠٠ من صباح ٩ حزيران تابع العدو تصعيد اعماله القتالية فتحركت وحدات مدرعة من منطقة جزين نحو الجنوب لتمشيط منطقة عين مجدلية وكفر حونة ، في حين تحركت وحدات اخرى من

الجرمق الى العيشية والريحان . وقد اصطدمت وحدات العدو بالقوى السورية المدافعة عن هذه النقاط وقاتلت العدو بضراوة شديدة مكبدة اياه خسائر كبيرة .

وقد احتلت مفرزة سورية صغيرة صباح ٩ حزيران مفرق عين مجدلانية ودفعت منها كمينا مضادا للدبابات على مفرق عرمتا ــ كفر حونة . وعندما تقدم رتل معاد من جزين باتجاه كفر حونة في الساعة ١٤,٠٠ من يوم ٩ حزيران اشتبك معه الكمين ودمر منه فصيلة دبابات ، كما اشتبكت بقية القوة مع العدو واوقعت فيه اصابات اخرى .

وفي الساعة ٢٠,٣٠ تقدم العدو من الجنوب، على محور العيشية ــ الريحان ففجرت الملاغم الموجودة على الطريق وتم ايقاف الرتل المدرع ودمر منه ثلاث دبابات ، فحول العدو هجومه الى المحور الثاني الواقع الى الشرق منه . وقد استطاع العدو بذلك ان يصل الى مفرق مزرعة خلة خازن .

وقد نفذت مدفعية الميدان السورية قصفا شديدا على العدو المتقدم على محور العيشية ــ الريحان وعلى محور جزين ــ كفر حونة ، وكبدته خسائر كبيرة .

وبسبب انقطاع هذه الوحدات عن قوتها الرئيسية في جزين فقد صدر اليها الامر بالقتال التأخيري ضد العدو والانسحاب مع تدمير العدو وتكبيده أكبر ما يمكن من الخسائر ، والاتصال مع القوى الموجودة في البقاع .

وهكذا قاتلت قوة جزين عدوا متفوقا (حوالى فرقة ميكانيكية

معادية) ، واخرت تقدمه مدة أربعة ايام متواصلة ليلا ونهارا ، ونفذت الخطة التأخيرية وهي عرقلة تقدم العدو السريع باتجاه الطريق الدولية دمشق ــ بيروت .

٢ ــ احتلال الشوف :

منذ بعد ظهر يوم ٧ حزيران ١٩٨٢ ، اخذت زوارق العدو تقترب من الساحل اللبناني في المنطقة المحصورة بين الناعمة والسعديات ، وفي الوقت نفسه قام بانزال جوي بالحوامات لقطع الطريق الساحلية في منطقة السعديات ، بعد ان قصف طيرانه كافة الاهداف السكنية والعسكرية الساحلية الموجودة جنوبي مدينة بيروت .

ومنذ الساعات الاولى من يوم ٨ حزيران ، صعد العدو الاسرائيلي اعماله العدوانية بقصف جوي مركز ومدفعي كثيف للمناطق السكنية في صيدا والسعديات والدامور والناعمة ولمناطق وجود قوات الردع العربية في جنوبي لبنان . وقد تصدت الطائرات المقاتلة السورية لطيران العدو واشتبكت معه عدة مرات في معارك جوية ضارية .

وكانت محاولة العدو دفع قوات كبيرة نسبيا ، تقدر بحوالى فرقة ميكانيكية على اتجاه جزين الجبلي فقط أمرا لافتا للانتباه . حيث ان القوة كانت اكبر بكثير مما تحتاجه القوى السورية الموجودة على هذا الاتجاه . ليس بهدف الوصول بهذه القوى لجزين فقط وانما للطريق الدولية دمشق ــ بيروت ، واغلاق الطوق البعيد حول مدينة بيروت بما تحويه من

القوى الرئيسية للثورة الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية ، وقوات الردع العربية وفرض الحصار وشروطه عليها .

وفي الساعة ١٠٫٠٠ من صباح ٨ حزيران ، بدأ العدو بانزال بحري على قطاعين من الساحل اللبناني : رأس السعديات والدامور ، حيث أمنت تقدم قوات مدرعة وميكانيكية على المحور الساحلي اندفعت مع الادلاء من ميليشيات الكتائب وسعد حداد ، تقطع المسافات بسرعة بهدف القيام بقطع الطريق الدولية في المديرج . وقد وصلت طلائع هذه القوة الى بيت الدين في الساعة ١٥٫٠٠ من بعد ظهر ٨ حزيران .

كذلك تقدم العدو على محور شحيم — حصرون — غريفة ، حيث وصل الى النقطة الاخيرة حوالى الساعة ١٢٫٠٠ .

وفي الساعة ١٥٫٠٠ اشتبك حاجز قوات الردع العربية في بيت الدين مع العدو وبدأ يحافظ على تماسه مع العدو وينسحب ، حسب تعليمات قيادته ، باتجاه الباروك . ولم تكن قوة الحاجز الا وحدة صغيرة كانت تحافظ على الامن في منطقة بيت الدين وكانت بعيدة جدا عن قواها الرئيسية الموجودة في بحمدون ، وقد أرسلت وحدة خفيفة وسريعة لاستطلاع طريق المديرج — بيت الدين ، للتمسك بالنقاط الهامة ، وايقاف العدو حيث وصل ، كما قامت قوة أخرى بالتمسك بعقدة المديرج ومنع العدو من الاستيلاء عليها .

كذلك قامت الطائرات المقاتلة والمقاتلة القاذفة السورية بمهاجمة

ارتال العدو المتقدمة وتجمعاته في منطقة الشوف واوقعت بها خسائر جسيمة وعرقلت تقدمها .

وقد اشتبك الطيران السوري مع الطائرات المعادية في سماء الجبل مما أسفر عن اسقاط طائرتين معاديتين جنوبي بيروت ، كما اسقطت وسائط الدفاع الجوي طائرة ثالثة جنوبي بلدة مشغرة .

اما الوحدة السورية الخفيفة المرسلة لاستطلاع طريق المديرج ـــ عين زحلتا ـــ الباروك فقد اصطدمت بالعدو في منطقة عين زحلتا ، وحصلت معركة بينها وبين رتل العدو المتقدم أسفرت عن تدمير خمس دبابات معادية ومقتل أطقمها و ١٠ جنود اخرين من المشاة المرافقة وقد انكفأ العدو الى الخلف .

اتخذت هذه الوحدة الوضعية الدفاعية بعد ان عززت بالدبابات على المنعطف الحاد من الطريق الذي يشرف على بلدة عين زحلتا في الساعة ١٧٫٣٠ واستمر الاشتباك على أشده طيلة ليلة ٨ ـــ ٩ حزيران .

واستغل العدو هذا الاندفاع السريع لقواته في المنطقة الخالية من القوات في منطقة الشوف وانزل بالحوامات قوات في منطقة مقابر الباروك ، حيث قصفت هذه المنطقة بنيران المدفعية السورية .

وفي الساعة ٢٤٫٠٠ كرر العدو هجومه بعد ان عزز قواته الامامية . وقد صد العدو للمرة الثانية ، وقامت مجموعتان بملاحقة العدو المتراجع حتى منتصف قرية عين زحلتا وتمكنتا من تدمير دبابتين وآلية مدرعة .

وفي هذه الاثناء تم تعزيز وتقوية المواقع الدفاعية في المنطقة : عين زحلتا ، نبع الصفا ، المنصورة ، عين دارة ، المديرج . لمنع العدو من الوصول الى الطريق الدولية .

٣ ــ القتال على محور عين زحلتا ــ المديرج :

في الساعة ٤٠ر٠٠ من منتصف ليلة ٨ ــ ٩ حزيران ١٩٨٢ اشتبكت القوة المدافعة عن عين زحلتا مع العدو بالسلاح الابيض ومنعته من التقدم . وفي الساعة الواحدة إشتبكت القوة المدافعة عن نبع الصفا مع دبابات العدو ، وتمكنت من تدمير ثلاث منها .

وفي الساعة الثانية دفع العدو قوات مدرعة على محور جسر القاضي (٣ كيلو مترات شمال بلدة دير القمر) ــ قبر شمون (٥ر٢ كم شرق بلدة عرمون) فأرسلت قوة على عجل الى قبر شمون حيث احتلتها .

وعندما بزغ الفجر اشتبكت الدبابات السورية الموجودة في منطقة نبع الصفا مع العدو ودمرت له عدة دبابات ، الامر الذي جعله يتراجع في الساعة ١٠ر٧ من صباح ٩ حزيران الى الخلف ، مابين عين زحلتا والباروك .

وفي الساعة ٠٠ر٨ صباحا قام طيران العدو بقصف الوحدات السورية في منطقة نبع الصفا ، عين زحلتا ، الامر الذي أدى الى تدمير عدة آليات سورية .

وفي الساعة ٣٠ر٩ قامت الحوامات السورية المضادة للدبابات

بقصف الدبابات المعادية الموجودة على محور الباروك ــ عين زحلتا ، بالصواريخ وتمكنت من تدمير ست دبابات معادية .

وفي الساعة ١٢٫٣٠ من تاريخ ٩ حزيران رصد مقر لقيادة العدو في قرية السماقية ففتحت عليه نيران المدفعية ، وقامت ست طائرات سورية بقصفه أيضا ، وتبين فيما بعد ان هذا المقر كان مقر قيادة متقدمة للجيش الاسرائيلي ، وانه قتل من جراء هذا القصف نائب رئيس الاركان وعدد من ضباط اركانه . وقد اعترف العدو بذلك .

وكانت تغطية القوات المدافعة السورية تتم بواسطة الطيران المقاتل السوري ، ومن الارض بوحدات الدفاع الجوي التي استبسلت لتغطية المقاتلين . فكان لقيامها بواجبها وقع كبير في نفوس المقاتلين ورفع لمعنوياتهم وقدرتهم في صد هجمات العدو المتكررة .

وفي الساعة ١٣٫٥٠ من يوم ٩ حزيران ، وجه طيران العدو صواريخه البرية بتعاون مع طائرات الاستطلاع والقيادة الاميركية ضربة لوحدات الصواريخ الموجهة المضادة للطائرات ، الامر الذي منح الطيران فرصة عمل افضل ضد القوات البرية السورية التي كانت تقاتل في الجبل . بالرغم من كل هذا بقيت القوات السورية في أماكنها ، وقاتلت القوات الخاصة قتالا بطوليا مشرفا لم يستطع العدو أن يخترق مواقعها الدفاعية .

وقد حاول العدو الالتفاف حول القوات السورية المدافعة في منطقة عين زحلتا والوصول عن طريق التلال الشمالية الشرقية لجبل الباروك الى

منطقة ضهر البيدر ، ولكن الوحدة المدافعة على هذا الاتجاه منعته من تحقيق ذلك بكل شجاعة وأفشلت محاولة العدو .

وفي الساعة ١٫٣٠ من يوم ٦/١٠ ، قام العدو بقصف مركز بالمدفعية لمنطقة المديرج في محاولة منه لمنع ايصال الامدادات والتعزيزات لمنطقة نبع الصفا وعين زحلتا استعدادا لمعاودة مهاجمتها اعتبارا من اول ضوء . وفي الساعة ٧٫١٥ قام العدو بانزال حوامات في منطقة عين زحلتا والباروك ، وقد قصفت منطقة الانزال بالمدفعية .

ومن ثم استأنف العدو قصفه الجوي والمدفعي لمواقع القوات السورية في كل لبنان مركزا بشكل خاص على اتجاه عين زحلتا ـــ المديرج ، ثم اندفع الى الامام مستفيدا من نتائج التمهيد الجوي والمدفعي ، الا ان القوات السورية صدته بكل صلابة ، كما قامت الطائرات السورية المقاتلة القاذفة بقصف قمة الباروك ، والمرتفع ١٩٤٣ (في منطقة جبل الباروك) وأرتال العدو المتقدمة فأصابت العدو اصابات مباشرة . كما تمكنت القوات الخاصة من ايقاف تقدم العدو على محور عين زحلتا ـــ المديرج .

وفي الساعة ٩٫٠٠ من يوم ١٠ حزيران قام العدو بإنزال جوي في منطقة تل أغميد بهدف إحاطة القوات السورية المقاتلة في عين زحلتا ونبع الصفا وإسقاطها . وركز طلعاته الجوية ونيران مدفعيته على الوحدات الموجودة في عين زحلتا . وهكذا اصبحت القوة المدافعة في المنطقة في موقف حرج للغاية بسبب احتمال اغلاق الطوق حولها ، خاصة ان تل اغميد يشرف على الطريق المؤدي الى مكان توضع القوة السورية في عين

زحلتا ونبع الصفا ، وبذلك اصبح يؤثر على تحرك الامدادات والتعزيزات الى القوة السورية .

امام هذا الموقف صدر الامر بتنفيذ مناورة تملص لتفادي التطويق ، هكذا انسحبت القوة السورية الى التلال الواقعة جنوبي بلدة العزونية (١ر٥ كم شمالي تل أغميد ، المحتل من قبل العدو) وعادت من جديد تسد على العدو سبيل الوصول الى منطقة المديرج على الطريق الدولية دمشق — بيروت .

وعندما شاهد العدو المناورة السورية اندفع بقواته ليقضي على هذه القوة قبل ان تتمركز في مكانها . الا ان الحوامات السورية المضادة للدبابات اخذت تقصف دبابات العدو بصواريخها ودمرت عددا منها ، الامر الذي ساعد القوة السورية على الصمود في الموقع وايقاف تقدم العدو المتفوق من جديد .

وفي هذه الاثناء كان العدو يدفع أرتالا جديدة من الدبابات والعربات المدرعة باتجاه محاور الجبل ليوسع نطاق انتشاره فيها . وكانت المدفعية السورية تقصف كافة هذه الارتال وتؤخر وتعرقل وصولها وتكبدها خسائر كبيرة ، خاصة ان هذه الارتال لا تستطيع الانتشار في الطرق الجبلية الضيقة ، ولذا كانت خسائر العدو كبيرة جدا .

في الساعة ٩ر١٥ تقدم رتل باتجاه كفر متى — قبر شمون ، وقد قصف هذا الرتل بالمدفعية ، كما احتلت مجموعة من القوات المشتركة (الفلسطينية واللبنانية) قبر شمون وأخذت تصد العدو بالتعاون مع القوة السورية الموجودة في المنطقة .

وفي الساعة ٩٫٣٠ تقدم رتل معاد آخر من المنصورية باتجاه بحمدون وكان مؤلفا من حوالى ٣٠ ــ ٤٠ دبابة معادية . وقد قصف هذا الرتل بنيران مكثفة من المدفعية السورية وأجبر على التوقف .

وفي الساعة ١٠٫٥٥ تقدم رتل دبابات معاد باتجاه بتاتر ــ شانيه ــ رويسات صوفر فقصف ايضا بالمدفعية واتخذت الاجراءات اللازمة بالتصدي للعدو على هذا المحور ومنعه من التقدم .

وهكذا حصلت المعارك على كافة هذه المحاور ، وصد العدو المتقدم عليها بعد ان تكبد خسائر كبيرة ، وكان الطيران الاسرائيلي ونيران المدفعية تتقدمان كافة قواتهما في الجبل . ومع ذلك فلم يستطع العدو ان يحرز اي تقدم ، خاصة بعد ان احتلت القوات السورية مواضع دفاعية لها أمام هذه الارتال . وعندما كان العدو يحرز تقدما ما ، كان يتم ذلك بعد معركة طويلة ويدفع الكثير من الخسائر ، في حين كان اندفاعه في الايام السابقة على هذه المحاور سريعا للغاية بسبب عدم وجود المقاومة عليها .

وفي الساعة ١١٫٠٠ من يوم ١٠ حزيران عاود العدو تقدمه باتجاه قبر شمون ووصلت طلائع ارتاله الى منطقة عين كسور (على مسافة كيلو متر واحد الى الجنوب الغربي من قبر شمون) وقام بمهاجمة قبر شمون من اتجاهين :

محور جسر القاضي ــ دفون ــ قبر شمون من الاتجاه الجنوبي الشرقي ومحور عبّية ــ قبر شمون من الاتجاه الجنوبي الغربي .

وفي الوقت نفسه كان القتال ضاريا في الجبل ، وعلى اتجاه نبع

الصفا ـــ المذيرج حيث تمكنت القوات السورية من صد الهجوم المعادي . وفي الساعة ١٢ر٣٠ أخذ العدو يحاول الالتفاف حول عقدة المقاومة السورية بدفع قوات مدرعة وميكانيكية على المحور الترابي عين زحلتا ـــ بمهرية ـــ ضهر البيدر ، ولكن القوة السورية على هذا الاتجاه تمكنت من صده بكل شجاعة واوقفت العدو من جديد في الساعة ١٥ر٣٠ .

اما على اتجاه قبر شمون ، فكانت المعارك الضارية تشتد ، وقد أمكن حتى الساعة ١٣ر١٠ تدمير اربع دبابات للعدو في منطقة عين كسور حاولت التقرب من مواقع القوات السورية في قبر شمون . وفي الساعة ١٦ر٠٠ قام العدو بقصف جوي ومدفعي لمنطقة قبر شمون بهدف كسر حدة وصلابة الدفاع فيها ، وذلك مدة ساعة كاملة حيث تكبدت القوة السورية بعض الخسائر في الارواح والاعتدة واستشهد /٨/ عناصر وجرح ١٥ آخرون ومع ذلك لم يستطع العدو اقتحام قبر شمون .

وفي الساعة ١٩ر٣٠ عاود طيران العدو قصف قبر شمون والوحدات المقاتلة فيها وبدأ يدفع قواته من جديد باتجاهها ، ولكن القوات صدته وقصفته المدفعية السورية قصفا مركزا الامر الذي حدا بالعدو لزج طيرانه المقاتل ـــ القاذف لقصف المدفعية السورية .

وفي الساعة ٢١ر٠٠ بدل العدو محور الهجوم على قبر شمون فاتخذ المحور الاوسط وهو محور كفر متى ـــ البنيّة ـــ قبر شمون ، ولكن العدو لم يستطع التقدم ايضا وبقيت الوحدة السورية والقوات المشتركة في مكانها في قبر شمون .

وبذلك لم يستطع خلال هذا اليوم (١٠ حزيران ١٩٨٢) احراز اي انتصار في كافة محاور الجبل . فقد كانت المقاومة البطولية للقوات السورية التي قامت بصده (قوات خاصة ـــ دبابات ـــ مشاة ، تدعمها نيران المدفعية السورية) وحالت دون وصوله الى اهدافه ، ولكن مع ذلك نجد ان العدو قد دفع بقوى ضخمة الى الجبل زادت عما كانت عليه يوم ٩ حزيران وان ضغط هذه القوى الجديدة ، بالاضافة للقوى السابقة الموجودة اصبح يشكل خطرا على صمود القوات في الجبل . صحيح ان العدو لم يحرز انتصارا على اي اتجاه الا انه تمكن من حشد قوى متفوقة للغاية ، يدعمها طيران مسيطر في معظم اوقات النهار والليل .

وخلال ليلة ١٠ ـــ ١١ حزيران تم تعزيز اتجاه قبر شمون بارسال بعض الاعتدة المضادة للدبابات ، والعدو ما زال يضغط على كل الاتجاهات ، فقد كانت غايته الوصول الى الطريق الدولية دمشق ـــ بيروت بأي ثمن . فقد التقطت خلال الليل عدة اتصالات لاسلكية بين القيادة الاسرائيلية وقائد اللواء الاسرائيلي العامل على اتجاه عين زحلتا ، تحثه فيها على وجوب الوصول الى الطريق الدولية والاستيلاء على عقدة المديرج مهما بلغ الثمن . وكان الجواب في كل مرة ان الخسائر البشرية والمادية ضخمة جدا ، ومن غير الممكن الوصول الى هذا الهدف بسبب شدة المقاومة السورية .

قام طيران العدو بقصف طريق بيروت ـــ دمشق الدولية مرتين صباح يوم ١١ حزيران : الاولى في الساعة ٥ر٣٠ صباحا ، والاخرى في

الساعة ٦٫٠٠ في محاولة لازاحة القوى السورية في منطقة الجمهور واللويزة وتل الرياض وتل الكنيسة ولكن دون جدوى .

واعتبارا من الساعة السادسة وحتى الساعة الثامنة كان العدو ما يزال يضغط على القوات المقاومة في منطقة قبر شمون ، والقوات المدافعة مشتبكة معه تمنعه من التقدم تدعمها نيران المدفعية الدقيقة .

وفي الساعة ١٠٫١٥ عاود طيران العدو قصف المدفعية السورية ومرتفعات سوق الغرب وعاليه ووحدات المدفعية المضادة للطائرات . لقد كانت الخبرة القتالية السورية المكتسبة في الحروب السابقة عاملا في نجاح تنفيذ وخوض الاعمال القتالية الصعبة في السهول والجبال والوديان ، وفي كافة حالات المناخ .

ولما لم ينجح العدو في اعماله القتالية على كافة الاتجاهات (الا ان نجاحات ضعيفة كبدته خسائر في الارواح والاعتدة تفوق ما كان يتوقع) فانه طلب وقف اطلاق النار بين قواته والقوات السورية . فحوالى الساعة ١١٫٣٠ من قبل ظهر يوم الجمعة ١١ حزيران ١٩٨٢ ادلى ناطق رسمي سوري بأنه (لدى استقبال السيد الرئيس حافظ الاسد المبعوث الاميركي فيليب حبيب ، ليل امس الخميس ، لمناقشة الافكار التي طرحها والمتعلقة بوقف النار ، اوضح السيد الرئيس ان سورية توافق على وقف النار ، على أساس الانسحاب الاسرائيلي الشامل من كافة الاراضي اللبنانية ، وأعطيت التوجيهات لجميع التشكيلات السورية الموجودة في لبنان لتطبيقه اعتبارا من الساعة ١٢٫٠٠ من ظهر هذا اليوم الموافق لتاريخ ١١ حزيران ١٩٨٢) .

كذلك ابلغ رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية السيد ياسر عرفات الامين العام للامم المتحدة ان منظمة التحرير الفلسطينية تؤكد التزامها السابق بوقف اطلاق النار حسب مضمون قراري مجلس الامن رقم ٥٠٨ و ٥٠٩ .

وفي الساعة ١١٫٤٠ صدرت التعليمات للقوات لأخذ الحيطة والحذر من غدر العدو الذي اعتاد استغلال الدقائق الاخيرة قبل وقف اطلاق النار بانزالات جوية فوق اهداف لم يكن يستطيع الاستيلاء عليها اثناء القتال .

وفي الساعة ١٢٫٠٠ توقف اطلاق النار بالاسلحة الثقيلة . وصدرت تعليمات خاصة بالمحافظة على وقف النار .

٤ ــ الاعمال القتالية البارزة بعد وقف اطلاق النار

آ ــ القتال في عين زحلتا وسوق الغرب

حددت الساعة ١٢٫٠٠ من تاريخ ١١ حزيران ١٩٨٢ موعدا لكافة القوات لايقاف اطلاق النار شرط تقيد العدو به . ولكن العدو عودنا ، في الحروب السابقة ، استغلاله اللحظات الاخيرة من القتال ، قبل وقف اطلاق النار وبعده من أجل تنفيذ انجازات لم يستطع انجازها اثناء الاعمال القتالية الضارية . لذا فان الوحدات بقيت جاهزة في مكانها تراقب وتستعد لمتابعة تنفيذ أعمال القتال في حال استمرار العدو بذلك .

اوقف العدو قصفه الجوي والمدفعي ، وكذلك اوقفت قواتنا نيرانها وأصدرت التعليمات للبحث عن الشهداء والجرحى واخلائهم . ولكن العدو اخذ يتقدم ، دون قتال في الساعة ١٠ر١٥ على محوري قبر شمون ـــ شملان ، وقبر شمون ـــ بيصور ـــ كيفون ، ليحاول تحسين مواضعه والاستيلاء بهدوء على ما لم يستطع الاستيلاء عليه قبل ذلك بالقتال ، ففتحت نيران المدفعية على الرتلين واوقفا .

كذلك حاول العدو في الساعة ٣٠ر١٧ من يوم وقف اطلاق النار التقدم برتل دبابات قدر بأكثر من ٦٠ دبابة وآلية مجنزرة تسبقه عربة جيب ، باتجاه العزونية (٣ كم شمال عين زحلتا) ظنا منه ان المنطقة اصبحت خالية من المقاتلين او ان المقاتلين ، سوف لايفتحون عليه النيران بعد امر وقف اطلاق النار ، فصدر الأمر بصدهم ، ففاجأهم المقاتلون بقذائف الـ ر.ب.ج ، فقتل جميع العناصر الموجودون في السيارة كما اصيب عدد من دبابات العدو الاسرائيلي ، وأجبر على التوقف ومن ثم تراجع الى المواقع التي انطلق منها .

واعتبارا من صباح يوم ١٢ حزيران بدأ العدو الاسرائيلي منذ الساعة ٠٠ر٦ بقصف منطقة شملان وسوق الغرب بالمدفعية قصفا شديدا أتبعه بقصف جوي ايضا .

وفي الساعة ٠٠ر١١ عاود العدو دفع قواته باتجاه شملان من منطقة عين عنوب ، وقد تم ايقافه بنيران المدفعية والدبابات . وفي الساعة ٣٠ر١١ قصف الطيران المعادي الدبابات السورية في سوق الغرب ، كما شكل تغطية جوية لمنطقة القتال لتأمين الدعم المباشر . وفي الساعة

١٠ر١٢ اشتبكت الوحدات السورية مع العدو على التخوم الغربية لبلدة شملان . وقد تم دعم قتال الوحدات السورية بنيران المدفعية ، وبنتيجة ذلك تراجع العدو الى الخلف باتجاه عين عنوب ، في حين وصل تعزيز من الدبابات الى شملان لدعم الوحدة السورية المقاتلة فيها .

استمرت المعركة ضارية حول بلدة شملان . وقد استدعى العدو الطيران المقاتل القاذف لدعم قتال جنوده ودباباته . وعندما لم يستطع العدو اقتحام شملان من الجهة الجنوبية ، التف على محور اخر باتجاه مرتفعات كيفون ، الواقعة على مسافة ٢ كم شرق شملان . وقد نفذت رمايات المدفعية السورية على ارتال العدو المتقدمة باتجاه كيفون .

ونظرا لضعف القوة الموجودة فيها ، استطاع العدو في الساعة ١٥ر١٧ من احتلال مرتفعات كيفون واخذ يهاجم شملان من اتجاهين . وفي الساعة ٣٠ر١٨ تمكن من الاستيلاء على كيفون بعد قتال ضار مع قلة من الجنود السوريين الموجودين فيها .

وفي الساعة ٣٠ر١٩ وصل العدو الى شملان والمرتفعات المحيطة بكيفون بعد ان دمرت معظم الاعتدة القتالية التي كان يقاتل بها الجنود السوريون من جراء القصف الجوي المستمر . وقد حدد موعد جديد لوقف اطلاق النار في الساعة ٠٠ر٢١ من تاريخ ١٢ حزيران .

وهكذا إستغل العدو الوقت بين موعدين لايقاف إطلاق النار وتقدم مسافة تقدر بـ ٢ كم خلال مدة تزيد على ثلاثين ساعة من القتال الضاري ضد القوات السورية مع استخدام القصف الجوي والمدفعية بطاقة قصوى .

ب ـــ حشد القوى المعادية في الجبل
والقتال على الطريق الدولية ، بيروت ـــ دمشق

في صباح ١٣ حزيران ، خرق العدو وقف اطلاق النار وقام الطيران المعادي بقصف مناطق الشويفات وخلدة في محاولة للايهام بانه يشتبك فقط مع قوات المنظمات الفلسطينية ومع قوات الحركة اللبنانية .

وقد رصدت تحركات مختلفة في الجبل لأرتال ووحدات العدو ، كانت تهدف معظمها الى تحسين وضعه الدفاعي واعادة تنظيم قواته لمتابعة العدوان .

وفي الساعة ١٦٫٤٠ دفع العدو عملاءه من عناصر حزب الكتائب اللبناني للاستفادة من وقف اطلاق النار والعمل ضد القوات السورية ، فانتشرت عناصر الكتائب العميلة على اسطحة أبنية الكحالة (على الطريق الدولية دمشق ـــ بيروت وعلى مسافة ٢ ـــ ٣ كم جنوب شرق بيروت) واخذت تفتح النار ضد قواتنا الموجودة في المنطقة كي تساعد القوات الاسرائيلية على الاقتراب من منطقة اللويزة ـــ الجمهور ـــ الكحالة . ولكن الموضوع حل بالاتصالات مع قيادة الجيش اللبناني وبقيت الوحدات السورية مسيطرة في اماكنها .

وساد الهدوء منطقة الجبل في يوم ٦/١٤ . ولكن قوات العدو المتقدمة باتجاه بيروت تقدمت على محور خلدة الحازمية مطوقة بيروت من جهة الشرق ، واندفعت الى منطقة عين الرمانة في بيروت ، وهي منطقة يشرف على الامن فيها الجيش اللبناني ، بالاضافة الى ميليشيات الكتائب

والاحرار وهي تقع ايضا على خط الفصل بين بيروت الشرقية والغربية .

ورغم نجاح العدو في احكام الطوق حول مدينة بيروت ، اعتبارا من خلدة الى الشويفات الى كفر شيما الى الحدث الى عين الرمانة فالمرفأ ، فإن ظهره يبقى مكشوفا اذا لم يقم باغلاق الطريق الدولية دمشق ــ بيروت في منطقة هامة مسيطرة .

وكي يتابع العدو سيطرته على الجبل ويحشد القوات اللازمة له لاجتياح العاصمة بيروت ، دفع بقوى جديدة الى المعركة . فقد تقدم رتل طويل مختلط (اكثر من ٧٠ آلية) تتحرك على محور كفر متى ــ البنية باتجاه الشمال . وكان العدو قد دفعه الى هذه المنطقة من الطريق الساحلي .

ولوحظ كذلك انتشار العدو في منطقة المتن ، فقد دفع مجموعة كبيرة من القوات باتجاه المنصورية ــ بيت مري توزعت في المنطقة المشرفة على تمركز القوات السورية في منطقة العربانية وزندوقة في المتن الشمالي ، وكانت عناصر من ميليشيات حزب الكتائب تساعد القوات الاسرائيلية في الانتشار والتوضع ، كما دفع قوات اخرى شوهدت في الساعة ٢٢ر٥٠ من تاريخ ١٤ حزيران تتحرك من منطقة وادي شحرور الى شملان وقبر شمون .

قضى العدو يوم ١٥ حزيران وهو ينظم قواته ، خاصة في المنطقة الانعزالية وبالمساعدة الكتائبية . فقد شوهدت ارتال اخرى من الدبابات والعربات المجنزرة تجتاز الحد الفاصل الى المنطقة الانعزالية ، حيث شوهدت في الساعة ١٢ر٠٠ حوالى ٢٠ دبابة تتمركز باتجاه القوات السورية بجانب

هوائي تلفزيون قنال ٩ في بيت مري ، وحوالى ٢٠ دبابة اخرى في منطقة المنصورية تجاه قواتنا في اللويزة والجمهور وعاريا . كما شوهد في الساعة ١٧٫٠٠ تحرك معاد كبير من دوار المكلس (قرب الحازمية) نحو بيت مري ، مؤلف من دبابات وناقلات جنود مدرعة عليها عناصر دليلة من الميليشيات الكتائبية تتحشد في منطقة بيت مري تجاه قواتنا الموجودة في منطقة المتن .

وهكذا ، ولليوم الثاني ، كان العدو يستعد لعمليات حربية ضد جنود القوات السورية في الجبل والمتن .

وقد شوهدت ليلا تحركات معادية نحو المنطقة الانعزالية من المتن عن طريق محور دوار المكلس ــ بيت مري ، كما علم عن تحرك ارتال آليات من جونية (المرفأ الكتائبي) باتجاه عيون السيمان . وهذا يعني تعزيز تواجد العدو في منطقة صنين ، حيث جرت المعارك بين القوات السورية وميليشيات الكتائب في نيسان وايار من عام ١٩٨١ .

وبالاضافة الى ذلك فان كافة تحركات ارتال العدو كانت تأتي من الطريق الساحلي من الجنوب ، وتتوزع في مناطق الجبل والمنطقة الانعزالية من بيروت ، والمنطقة الانعزالية من المتن . وهكذا يمكن القول إن العدو دفع بقوى كبيرة جديدة الى ميدان القتال في لبنان من أجل إحكام سيطرته على كل لبنان ، وليس من أجل إبعاد رجال الثورة الفلسطينية الى مسافة ٤٠ ــ ٤٥ كيلو مترا كما كان يدعي .

خ ـ القتال للاستيلاء على قرى الجبل

في يوم الخميس ١٧ حزيران ركز العدو قصفه على مدينة بيروت واحيائها ، كما فتح نيران الهاون على بلدة سوق الغرب .

وفي يوم الجمعة ١٨ حزيران اخذ العدو يوسع انتشاره من محيط بيروت باتجاه الجبل فبدأ يقصف في الساعة ٢٠ر٨ من صباح اليوم محور القماطية ـ بداودن بالهاون ، كما كرر قصفه بالهاون لبلدة سوق الغرب وأنذر اهاليها بتدمير البلد فوق رؤوسهم ان هم لم يخلوها . وقد شوهد تحرك ٢٠ دبابة معادية من منطقة معاصر بيت الدين الى منطقة عين زحلتا على محور كفر نبرخ ـ الباروك ـ عين زحلتا ، وذلك في الساعة ٠٠ر٢١ من مساء ١٨ حزيران .

واعتبارا من الساعة السادسة من صباح ١٩ حزيران شوهد الجنود الاسرائيليون يحصنون ويحسنون مواقعهم القتالية في المنطقة المحيطة بعين زحلتا ، كما يجري حشد دبابات واسلحة مضادة للدبابات ومدفعية على هذا الاتجاه ايضا .

وفي الساعة ٠٠ر٢١ من مساء هذا اليوم قام العدو بانذار سكان عين غرب بأنه يجب اخلاء كافة المسلحين من البلدة حتى الساعة السادسة من صباح الغد والا قصفت البلدة بالكامل .

وبتاريخ ٢٠ حزيران تابع العدو حشد قواته بهدف الاستيلاء على الجبل ، واحتلت دباباته ومدفعيته ومجنزراته وقواعده الصاروخية قواعد الانطلاق لمعاودة العدوان بعد ان زج وحشد قوى جديدة جاءته عن الطريق الساحلي من فلسطين المحتلة .

وقامت مفرزة اسرائيلية بالتقدم الى بلدة دير الرمان ، على محور جسر القاضي ــ الغابون مستخدمة سيارات الامن اللبناني (لاندروفر) تتقدمهم سيارة فيها عناصر كتائبية حيث اقامت حاجزا في وسط البلدة .

كما تابع العدو في هذه الليلة حشد مزيد من الدبابات والعربات المدرعة في منطقة بيت مري والمنصورية .

د ــ القتال من اجل الاستيلاء على بحمدون

اعتبارا من صباح الاثنين ٢١ حزيران ١٩٨٢ بدأ العدو تحركه من جديد ، ففي الساعة ٧٫٣٥ تقدمت ثلاث دبابات باتجاه رويسة النعمان على محور جسر القاضي ــ الغابون ، فاطلقت الوحدات السورية المقابلة باتجاهها طلقات تحذيرية نظرا لوجود حالة وقف اطلاق النار فتوقف عن التقدم .

وفي الساعة ٨٫١٥ عاود العدو التقدم على نفس المحور باتجاه رويسة النعمان وقصف بنيران المدفعية ، اضافة الى المدفعية المعادية التي ردت على النار ، وفي الساعة ٩٫٢٥ طوق العدو رويسة النعمان ، حيث لايوجد سوى مرصد المدفعية السورية فاشتبك عناصر المرصد مع العدو بالاسلحة الخفيفة ، ودعم ذلك برمايات المدفعية ، الا أن طيران العدو قام في الساعة ١٠٫٠٠ بقصف مرابض المدفعية السورية بالقنابل العنقودية ، كما قصف وحدة الدعم المتقدمة باتجاه المرصد .

وهنا استخدم العدو الدخان ليغطي التفافه حول مرصد رويسة النعمان ، وفي الساعة ١١٫١٥ تمكن من الاستيلاء على رويسة النعمان .

وفي الساعة ١٢٫٠٠ شوهد رتلان من الدبابات تقدر قوتهما بلواء مدرع معززتان بوحدات المغاوير (الكوماندوس) يتقدمان على محورين : شرتون ـــ الغابون ، و رويسة النعمان ـــ المنصورية ـــ بطلون ، ورؤوس الارتال في حدود كفر عمية بالنسبة للاول ورويسة النعمان بالنسبة للثاني .

ونتيجة لاستخدام العدو القنابل العنقودية ، فان المدفعية بدلت مرابضها واصبحت جاهزة فيها ، وفتحت النار ضد العدو المتقدم الذي سارع الى سحب جرحاه بالعربات الصحية .

بالرغم من حالة وقف اطلاق النار الراهنة التي يخرقها العدو كلما سنحت له الفرصة ، فان العدو تابع تعزيز قواته في منطقة منصورية المتن والمتن الشمالي .

وفي الساعة السابعة من صباح ٢٢ حزيران حاول العدو التقدم من رويسة النعمان فتصدت له قواتنا ، وقصفت مدفعية العدو قرى المنصورية بحمدون وحمانا وعين السيدة وسوق الغرب ، كما قامت المدفعية السورية باسكات المدفعية المعادية وقصفت الارتال المتقدمة المعادية ، وحتى الساعة ٩٫٠٠ صباحا لم يستطع العدو التقدم من رويسة النعمان نتيجة رمايات المدفعية السورية الفعالة .

وفي الساعة ٩٫٢٠ حاول العدو التقدم من جديد باتجاه منصورية بحمدون ، واخترق مواقع الوحدات السورية على مشارف المنصورية ، فتصدت له القوات السورية واجبرته على التراجع باتجاه رويسة النعمان وقامت المدفعية بقصف العدو وتجمعاته قصفا مركزا .

وفي الساعة ٩٫٤٥ قامت مدفعية العدو بقصف الوحدات

السورية التي تتصدى لهجوم وحداته في كفر عمية ووادي الغابون ، وكذلك على عاليه ، فردت المدفعية السورية بالرمي على وحدات العدو التي كانت تتقدم تحت تغطية نيران المدفعية المعادية ، وفي الساعة ٢٠ر١٠ امكن ايقاف العدو المتقدم والسيطرة على الموقف .

وهنا قام طيران العدو في الساعة ٥٠ر١٠ بقصف شديد استهدف المدفعية السورية والوحدات الموجودة في الغابون مدة ٤٠ دقيقة وعاود دفع قواته نحو الامام ، وحوالى الساعة ٠٠ر١٣ كانت قوات العدو قد تقدمت باتجاه بتاتر يدعمها قصف طيرانه على المحورين :

١ ــ رويسة النعمان ــ منصورية بحمدون

٢ ــ رويسة النعمان ــ عين المرج ــ منصورية بحمدون

وحتى الساعة ٣٠ر١٣ كانت القوات السورية مازالت تتمسك بمنطقة المنصورية والغابون وفي الساعة ٤٠ر١٣ عاود العدو تقدمه يدعمه الطيران الكثيف الذي كان يلاحق الاليات بالرشاشات باتجاه المنصورية والشرفة ، وقد استطاعت المدفعية السورية في الساعة ٠٠ر١٤ ابطال مربضين للمدفعية المعادية في كل من كفر نبرخ والباروك

وحتى هذا الوقت كان الطيران المعادي مازال مسيطرا على الجو يقصف مدينة بحمدون والوحدات الامامية السورية والعدو يتابع تقدمه على نفس المحورين المذكويرين : المنصورية والشرفة .

وفي الساعة ٢٥ر١٤ اصبح العدو على مشارف منصورية بحمدون ، والوحدات السورية تقاتله بضراوة شمال البلدة ، وكذلك على

محور الغابون حيث كانت القوات السورية صامدة في مكانها تقاتل العدو وتمنعه من التقدم .

وقد قامت قوات بزرع عدد من سدادات الالغام على طرق تقدم العدو : محور الغابون ــ بخشيته ــ عاليه .

وفي الساعة ١٥ر١٧ قصف العدو بلدة مجدل يعنا (٢كم شرق المنصورية) وشانيه والشرفة واخذ طيرانه يقصف بكل شدة ووحشية كافة الوحدات السورية المتمركزة على هذا الاتجاه ، في محاولة يائسة للوصول الى الطريق الدولية دمشق ــ بيروت على اتجاه بحمدون بعد ان فشل في الوصول اليها في محاولات كثيرة سابقة من إتجاه عين زحلتا المديرج .

وبالرغم من كثافة القصف الجوي الوحشي فقد قاومت الوحدات الخاصة السورية هجوم العدو مكبدة اياه افدح الخسائر البشرية والاعتدة القتالية .

وقد عززت سرايا الصراع ضد الدبابات القوات وقامت بقنص دبابات وآليات العدو وعلى محاور تقدمه وقد تكبد العدو من جراء ذلك خسائر كبيرة .

وفي السباعة ٠٠ر٢٣ هدأت النيران واخذ يفتش عن ثغرة ينفذ فيها الى الطريق الدولية بعد ان سدت امامه كافة السبل .

بعد ليلة ٢٢ ــ ٢٣ حزيران بدأ العدو نشاطه من جديد تحت ضغط قيادته للوصول الى الهدف المعلن الذي أصبح معروفا للجميع وهو الوصول بأي ثمن الى الطريق الدولية : دمشق ــ بيروت في منطقة بحمدون .

ففي الساعة العاشرة صباحا من يوم ٢٣ حزيران فتح العدو النار باتجاه منصورية بحمدون حيث تقاتل القوات السورية ثم تابع قصف المنصورية والقماطية وبدأت دباباته بالتحرك من طريق سوق الغرب ــ القماطية ــ البسوس ، كذلك بدأت الدبابات التي نشرها العدو ومنذ يومين في منطقة منصورية المتن بقصف الوحدات السورية المتمركزة حول الطريق الدولية دمشق ــ بيروت في منطقة اللويزة والكحالة .

وفي الساعة ١٢٫٣٠ اخذ العدو يحاول التسلل باتجاه محور بطلون (١٫٥ جنوب غرب بحمدون) وباتجاه شانيه (٢كم جنوبي مدينة عاليه) فتصدت له القوات السورية في هاتين البلدتين بضراوة ، وفي الساعة ١٣٫٥٥ زج العدو طيرانه في المعركة واخذ بقصف بحمدون وبطلون وشانيه حيث تصدت له وحدات الدفاع الجوي الموجودة في المنطقة ، ثم تابع قصف القماطية والجمهور وراس الجبن وتلة الرياض واخذت حرائق الابنية السكنية ترتفع في كل مكان تعاونه مدفعيته ، وقد تصدت المدفعية السورية لمدفعية العدو وأسكتتها .

ثم عاود العدو قصف بحمدون بالطيران مرة اخرى في الساعة ١٤٫٠٠ وقصف بمدفعيته محور سوق الغرب ــ القماطية .

وفي الساعة ١٦٫٣٥ تقدم رتل دبابات للعدو من منطقة رويسة النعمان باتجاه منصورية بحمدون في حين اخذ طيرانه يقصف مدينة صوفر .

لم يستطع بقواه الذاتية أن يندفع للوصول الى الطريق الدولية

دمشق ــ بيروت فلجأ الى استخدام أسلوب تسلل عملائه من ميليشيات الكتائب خلف الوحدات السورية ، فتسللوا الى بطلون وبحمدون وصوفر بثيابهم المدنية وبسياراتهم المدنية متزيين احيانا بزي رجال الثورة الفلسطينية ، كما لجأ العدو ايضا من اجل الوصول بأي ثمن الى الطريق الدولية ، الى تحاشي القتال النهاري ومحاولة التسلل الليلي برفقة عملائه من ميليشيات الكتائب .

وفي الساعة ١٩٫٣٠ اخذ العدو يتقدم بدباباته على الطريق الدولية : الحازمية الفياضية (حيث يتمركز الجزء الاكبر من الجيش اللبناني) ــ الكحالة باتجاه الجمهور ، وكانت المدفعية السورية تدعم قتال الوحدات التي كانت تتصدى للعدو على هذا المحور .

وفي الساعة ٢١٫٣٠ ليلا قامت مدفعية العدو بقصف ليلي لطريق دمشق ــ بيروت ، خاصة بلدة الكحالة وكذلك اتجاه شانيه بحمدون ، وهنا استطاع المتسللون من العناصر المناوئة والذي بلغ تعدادهم اكثر من مئة يرافقهم عناصر من العدو الاسرائيلي تطويق بلدة منصورية بحمدون ، وكانت المعركة في منتصف الليل على أشدها في منطقة المنصورية وبطلون وشانيه هذه القرى التي تبعد عن بحمدون (طريق دمشق ــ بيروت) ١٫٥ ــ ٢ كم وكانت الوحدات المقاتلة من دبابات ومشاة وقوات خاصة وسرايا صراع ضد الدبابات تقاتل بكل شجاعة حتى آخر طاقة واخر رجل .

لم يتوقف العدو عن الرمي ومحاولة التقدم خلال الليل ، لكن ذلك كله ذهب سدى بسبب صلابة القتال السوري .

وفي الساعة السادسة والنصف من صباح ٢٤ حزيران دفع العدو قواه من جديد بعد تمهيد مدفعي باتجاه بطلون ، فاشتبك مع وحداتنا التي صدته صدا محكما ، فرجع الى المرتفع ١٢٤٢ (١ كم جنوبي بطلون) عندئذ اطلق العدو طيرانه ومدفعيته لتقصف الوحدات السورية المدافعة وتقصف بحمدون وضهر البيدر والجمهور واللويزة وضهر الوحش على الطريق دمشق ــ بيروت الدولية ، وذلك منذ الساعة ٧ر٣٠ وحتى ٩ر٣٠ ، ولكي يستطيع العدو معاودة التقدم على محور شانيه ــ رويسات صوفر دفع عددا كبيرا من الدبابات البلدوزرات ، وكذلك على محور بطلون ــ بحمدون ، الذي حشد عليه حوالي ٥٠ دبابة تتقدم باتجاه بحمدون وأخذ يهاجمها بشدة في الساعة ١٢ر٣٠ من تاريخ ٢٤ حزيران .

كما دفع العدو ٥٠ دبابة أخرى باتجاه الغابون تحت تغطية رمايات الطيران والمدفعية الكثيفة .

وعندما لم يتمكن العدو من دفع دباباته من بطلون باتجاه بحمدون ، حرك هذه الدبابات باتجاه شانيه في الساعة ١٤ر٠٥ واستطاع بمجموعتي الدبابات هذه أن يلتف حول شانيه .

وفي الساعة ١٥ر١٥ دخلت الدبابات المعادية القسم الجنوبي من بحمدون المحطة وأخذ يوسع انتشاره في هذه البلدة ويمشطها اعتبارا من الساعة ١٨ر٠٠ وقد تكبد العدو في قتال الشوارع خسائر كبيرة بالدبابات من جراء مقاومة القوات الخاصة ووحدات الصراع المضاد للدبابات ، ولم تستطع المدفعية السورية قصف العدو الذي دخل بلدة

بحمدون الضيعة بنيرانها كي لا تكبد اهاليها مزيدا من الخسائر بعد ان قصفها العدو بقذائف الطيران والمدفعية عدة مرات .

وقد فخخت القوات السورية كافة الطرقات والمحاور المؤدية الى الطريق الدولية وزرعتها بالالغام المضادة للدبابات وللاشخاص ، ولكن القصف المعادي الجوي والمدفعي كان جنونيا على بحمدون وعلى كافة المحاور المؤدية اليها .

ولم يتمكن العدو من دخول بحمدون والوصول الى الطريق الدولية الا بعد أن دفع الثمن الغالي والخسائر الضخمة .. ثم انتقل المخطط الدفاعي الجديد الى منطقة رويسات صوفر التي تقع على مسافة كيلو متر واحد من مدينة بحمدون .

ويمكن أن نلاحظ هنا ، بأن القتال الشرس والعنيد الذي خاضته الوحدات السورية في ظروف التفوق الجوي المعادي والتفوق البري ايضا طيلة ٧ ايام متواصلة أدت الى عدم السماح للعدو بالتقدم أكثر من مسافة ٣ ــ ٣٫٥ كيلو متر فقط ، اي بحدود ٤٠٠ ــ ٥٠٠ متر يوميا بقتال يجري في الليل والنهار مع استخدام العدو لكمية ضخمة من طلعاته الجوية وقصف المدفعية المتواصل ، إضافة الى مساندة العملاء من ميليشيات حزب الكتائب .

وقد اعلنت اسرائيل ان ٢٩ جنديا اسرائيليا قتلوا وأصيب ١٤١ في المعارك الاخيرة مع السوريين التي اشتركت فيها الدبابات والمدفعية والصواريخ والطائرات ، واضافت انه بات مجموع الاسرائيليون الذين قتلوا

في لبنان ، حسب الارقام الرسمية حتى الان هو/٢٥٢/ وهو رقم حمل بعض السياسيين في اسرائيل على التساؤل عن ثمن العملية .

وفي ٢٦ حزيران ، استمر العدو يخوض معارك الجبل بالرغم من اعلانه عن وقف اطلاق النار حتى ان أحد المعلقين العسكريين الاجانب قال « إن شارون احتل . متسلقا قرارات وقف اطلاق النار ، أكثر مما استطاعه أثناء القتال الضاري » .

وقد تقدمت قوات العدو تحت تغطية وقف النار من بحمدون ، واحتلت المنطقة الممتدة من الجمهور حتى بحمدون (على الطريق الدولية بيروت ـــ دمشق ، بعد ان اخلتها القوات السورية ، كما احتل العدو ، بالاضافة الى ذلك ، سوق الغرب والقماطية وعاليه ، محققا اتصالا كاملا بين قواته .

وفي ٢٧ حزيران ، تابع العدو أعماله بالتوسع في اتجاه القريّة في منطقة حمانا ، وهناك حصليت اشتباكات في قريتي القبيع والشبانية حيث اوقف العدو من قبل القوات السورية .

وهكذا ثبت خط التماس بين القوات السورية والقوات المعادية في الجبل ، ولم يستطع العدو بمزيد من الهجمات وقصف الطائرات أن يزحزح القوات السورية من مواقعها في الجبل .

٥ ـــ ملامح المرحلة الثانية من الغزو الاسرائيلي للبنان

هناك ملامح بارزة وواضحة في عمل القوات الاسرائيلية في لبنان في

هذه المرحلة . ولا شك في أن بعض هذه الملامح مشتركة مع المراحل الاخرى والتي يمكن أن تحدد وفق التالي :

ـ الاعتماد على القوى الجوية :

تعتمد القوات البرية المعادية اعتمادا كبيرا على التمهيد الجوي الذي يسبق اي عدوان ، وعلى الدعم الجوي المستمر للهجوم . وقد ثبت بأن القوات البرية الصهيونية تظل عاجزة عن التقدم عندما تغيب طائراتهم من الجو . والاستخدام الاساسي للطيران الصهيوني في القتال هو لاغراض رئيسية ثلاثة :

- الاستطلاع الجوي بطيار او دون طيار حسب درجة الدفاع الجوي .
- تحقيق السيطرة الجوية ، من أجل عدم السماح لطيران العدو باستطلاع او قصف القوات البرية الصهيونية .
- دعم القوات البرية بقصف الاهداف المعادية اثناء مهاجمتها .

ـ الاستفادة القصوى من منجزات التقنية العسكرية الحديثة ، خاصة لدى الاميركيين :

تعتمد القوات الصهيونية في استخدام التكنولوجيا الحديثة على منجزات جيش الولايات المتحدة في هذا المجال . فأسلحة ومعدات الجيش الاميركي موضوعة تحت التصرف الاسرائيلي الذي يتناول منها مايروق . ولا نستطيع أن نسرد مجالات التكنولوجيا العسكرية التي استغلها جيش العدوان الصهيوني في حروبه ، فهي في كل مجالات الاسلحة والمعدات ، واهمها :

الحرب الالكترونية والطيران واجهزة الرادار والذخيرة المتقدمة (الصواريخ الموجهة ذاتيا ضد الرادارات ، القنابل العنقودية ، القنابل الفراغية ، القنابل الكيميائية) والدبابات والمدرعات والجسور ومعدات الهندسة .. الخ

ــ تأمين التفوق العددي على القوى العربية اثناء الاعمال الهجومية:

كتب العقيد الاميركي دوبوي ، مدير مركز خاص للابحاث العسكرية في الولايات المتحدة في كتابه « الحروب العربية ــ الاسرائيلية » بان الجيش الاسرائيلي حشد دوما وفي كافة الحروب قوات متفوقة عدديا على كافة الجيوش العربية مجتمعة ، ويشيع دوما عن القوات العربية بانها متخلفة تقنيا ، في حين اثبت الجندي والضابط والطيار وعامل الرادار ورجال الصواريخ السوريون بأنهم يمتلكون كافة المعلومات التقنية لتشغيل معداتهم وأسلحتهم الى جانب الشجاعة وارتفاع المعنويات . ولكن يمكن أخذ موضوع الاسلحة المتطورة التي تضعها الولايات المتحدة تحت تصرف دولة العدوان ، بعين الاعتبار حيث استغلت الولايات المتحدة الحروب العربية ــ الاسرائيلية لتجربة ما استجد لها من اسلحة ومعدات وتقنيات مختلفة .

ــ ازدياد اعتماد العدو على نيران المدفعية :

استخدم الجيش الاسرائيلي كميات كبيرة من المدفعية ذاتية الحركة غطت نقص القوى الجوية أحياناً .

ويركز العدو الاسرائيلي على التمهيد الناري الجوي والمدفعي قبل اي اقدام على عملية هجومية مهما كانت صغيرة . فهذا ، كما يعتقد ، يمكن

أن يوفر فيها أرواح جنوده في حين يضعف خصمه ويكبده مزيدا من الخسائر بالارواح .

ـــ الاندفاع السريع في حال عدم وجود قوى نظامية تجاهه والتقدم الحذر جدا في الحالة المعاكسة :

وظهر ذلك ، بشكل خاص ، عندما تحركت أرتال العدو ، التي نزلت من الساحل في الدامور بسرعة كبيرة نحو الجبل ، حيث استغلت ادلاء ميليشيات الكتائب ، التي تعرف امكنة حواجز قوات الردع العربية والمحاور الخالية منها . فقد قطع العدو مسافة ٢٥ كيلو مترا تقريبا من الساحل وحتى الباروك ، دون ان يجد من يقف ضده وبسرعة كبيرة نسبيا (٦ ـــ ٧) ساعات ، في حين توقف أمام عين زحلتا ، تقدم ٣ كيلو مترات في خمسة ايام من القتال .

ـــ استخدام الانزالات الجوية :

لم يستخدم العدو الانزالات الجوية في الحروب السابقة الا نادرا ، ولكنه استخدمها على نطاق واسع في هذه الحرب .

ففي الحروب الماضية كان العدو يخشى استخدام القوات المنقولة جوا خوفا من تدميرها ، الا ان العدو وجد مسرحا مختلفا في لبنان ، حيث لاتوجد جبهات متواصلة بل بالعكس كانت توجد محاور ومناطق فارغة من قوات الردع ، ويوجد عملاء وأدلاء من الميليشيات الكتائبية التي سهلت على العدو استخدام الانزالات الجوية على نطاق واسع . ومن الطبيعي بان الانزالات الجوية غير ممكنة وغير مجدية في ظروف عدم التفوق الجوي .

ولكن نظرا لتفوق العدو في هذا المجال فقد كان بامكانه استخدام الانزالات الجوية بشكل واسع .

ـ استغلال العدو لليل :

نظرا لتوفر وسائط الرؤية الليلية بشكل واسع لدى العدو وكذلك وسائط من اجل انارة ارض المعركة ، ان كان عن طريق الطائرات أو عن طريق المدفعية ، وعدم توفر مثل هذه الوسائط لدى قوات الثورة الفلسطينية والقوات الوطنية اللبنانية ، فقد استغل العدو الليل على نطاق واسع ، ولكن وبشكل اساسي من اجل تحرك الارتال واعادة تجميع القوى .

ويمكن القول إن القوات السورية كانت ندا قويا للعدو في مجال القتال الليلي. فالقوات السورية جيدة التجهيز أيضا بوسائط الرؤية الليلية ، لذا لم ينجح العدو في القتال الليلي مع القوات السورية ولم يتفوق في هذا المجال .

ـ استخدام العدو للوسائط الهندسية على نطاق واسع (الثلاثي : جرافة ـ دبابة ـ طائرة) :

من الطبيعي أن يلجأ العدو الى استخدام الجرافات على نطاق واسع لان قواته كانت تعمل في مناطق جبلية صعبة المرور ، ويمكن سدها بسرعة باية عوائق محلية .

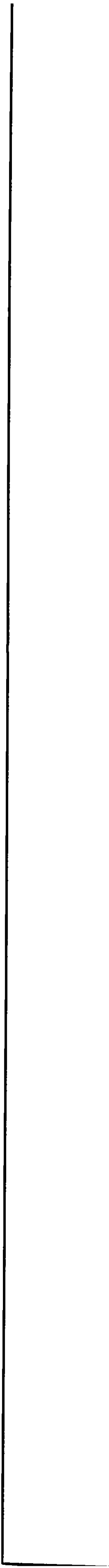
واذا لم تكن الجرافة متوفرة فإن اي حاجز سيكون معيقاً لتقدم الرتل ، الذي لايستطيع الخروج عن محور الطريق الجبلي . لذا فان استخدام الجرافة كان امرا طبيعيا لا بد منه .

وقد استخدم العدو ، الثلاثي المذكور « جرافة ، دبابة ،طائرة » طالما كان يستطيع ابطال العدو المقابل . فالجرافة سريعة التدمير، والطائرة لايمكن ايجادها في كل وقت ، خاصة في حالة الدفاع الجوي المعادي الجيد . لذا فقد سنحت الفرصة للعدو في النجاح باستخدام هذا الثلاثي للتقدم ، وقد لاينجح في حرب مقبلة تتبدل فيها بعض الشروط .

ـ ميزات القتال في الجبال :

لقد كان المسرح الجبلي اللبناني يساعد العدو على استخدام اسلحته بحرية بسبب :

- عدم وجود القوات السورية في كافة المناطق الجبلية .
- الطرق في الجبل اللبناني متوفرة بمعدل طريق طولاني وطريق عرضاني في كل ١ ـ ٢ كيلو متر تقريبا .
- توجد أعداد كبيرة من أفراد الميليشيات العميلة القادرة على إعلام العدو عن مكان وجود أي حاجز ، وقادرة أيضا على تقديم الادلاء والمقاتلين أيضا .
- كان العدو يستطيع تأمين الغطاء الجوي اللازم ، ولذلك نجح وفقط في الاراضي الخالية من القوات السورية ، في استخدام الثلاثي (جرافة ، دبابة ، طائرة أو حوامة)




الفصل السّادس

الحرب الجويّة فوق البقاع

١ــ مقدمة
٢ــ ظروف الاعمال القتالية للطيران في سماء لبنان .
٣ــ النشاط الجوي المعادي قبل غزو لبنان .
٤ــ التصدي للطيران الاسرائيلي والاشتباكات الجوية في سماء لبنان قبل الغزو .
٥ــ الحرب الجوية في سماء البقاع .

١ ــ مقدمة

اذا كان الارتباط الوثيق بين اسرائيل والامبريالية العالمية متمثلة بالولايات المتحدة الاميركية ، يتناول مجمل الاعمال العدائية الاسرائيلية ضد الشعب العربي ومجمل النشاط المحموم لاميركا في خلق ترسانة كثيفة من الاسلحة المتطورة في اسرائيل ، فان هذا الارتباط يتضح أكثر ما يتضح عندما يتعلق الامر بسلاح الجو الاسرائيلي ، وذلك نظراً للقرار الاستراتيجي الذي سبق واتخذه قادة اسرائيل لجعل سلاح الجو المنفذ الرئيسي للقرارات العدوانية على الشعب العربي اينما كان . وكما نعلم فان الطيران الاسرائيلي لم يتوقف عن تنفيذ اعماله العدوانية بين الفينة والاخرى ، وكان له باستمرار نشاط كبير وفعال في كل حرب عدوانية نفذتها اسرائيل ضد الامة العربية .

وليس من المستغرب من دولة بنيت على اساس ايديولوجية عدوانية ان تتخذ مثل هذا القرار نظراً لما تتمتع به الطائرة من مزايا لمثل هذه الغايات :

ــ فالطائرة هي العين القادرة على مراقبة اراضي الخصم حتى العمق .

— وهي ذات طاقة تدميرية عالية تستطيع نقلها الى ابعد هدف في الدول المحيطة باسرائيل .

— وهي كذلك آلة حرب متعددة المهام يمكنها التعامل مع انواع متنوعة من الاهداف الثابتة والمتحركة ، وقد بلغت في هذا المجال دقة في الاصابة متناهية بسبب التطوير الذي تناول اجهزة الكشف والتسديد والبرمجة الالكترونية .

— وبعد كل ذلك فالطائرة بالاضافة الى كونها اليد الطولى في الهجوم على الاهداف ، فهي ايضا اليد الطولى في الدفاع عن الاغراض التي يمكن ان تتعرض للهجوم الجوي.

— واخيرا فان للطائرة تأثيراً معنوياً كبيراً على القوات المتحاربة .

ومن الطبيعي ان القوات البرية وحدها هي التي تحسم أية معركة تجري على مسرح الاعمال القتالية ، الا ان حجم التأمين الذي اصبح سلاح الطيران يقدمه لهذه القوات سواء في الهجوم او الدفاع جعل من الطائرة والدبابة كلا متكاملا لا يجوز الفصل بينهما .

خطت اسرائيل منذ بداية الستينات خطوات هامة في تطوير سلاحها الجوي الذي خاضت به حرب /١٩٦٧/ متفوقة في هذا المجال على اسلحة الجو العربية ، وخلال الفترة بين ١٩٦٧ وحتى عام ١٩٧٣ وبالنظر الى النتائج التي حققها الطيران الاسرائيلي عام ١٩٦٧ تابعت اسرائيل القفز بامكانيات هذا السلاح باستمرار معتمدة على الانتاج الاميركي الحديث المتطور ، حيث اعتبرت الولايات المتحدة اسراب سلاح

الجو الاسرائيلي ذات افضلية في التزويد بالطائرات ، وذلك حتى لو على حساب الجاهزية القتالية للاسراب الاميركية .

تكبد سلاح الجو الاسرائيلي في حرب تشرين التحريرية ١٩٧٣ خسائر بالغة بسبب الاعمال القتالية الناجحة التي نفذتها القوى الجوية والدفاع الجوي وبشكل اساسي من استخدام صواريخ الدفاع الجوي السورية والمصرية ، الامر الذي دفع القادة الاسرائيليين الى الاستفادة من عبر هذه الحرب فعززت سلاح الجو بطائرات الجيل الثالث من ف ــ ١٥ و ف ــ ١٦ المتطورة تصميما وتسليحاً كما طورت نظام قيادة الطيران نحو الالية وباستخدام مقرات القيادة والانذار الجوية الطائرة « هوك آي ــ Hawkeye »[1] .

ولم تكتف ، بل اعتمدت اعتمادا كبيرا على منجزات الحرب الالكترونية الحديثة في صراعها المقبل مع الطيران العربي السوري . ومن نافلة القول ان العدو الاسرائيلي قام بتطوير سلاحه الجوي معتمدا على دراسة تفصيلية للامكانيات السورية التي عانى منها في حرب ١٩٧٣ ، وتم بذلك وضع الحلول المناسبة للمشاكل التي واجهته في تلك الحرب كان الهدف الاساسي للعدو في مجمل هذه الدراسات واجراءات التطوير تحقيق السيطرة الجوية في اجواء المعركة المقبلة .

---

(١) الطائرة هوك آي: طائرة كشف وانذار مبكر وقيادة جوية من انتاج شركة غرومان الاميركية . مزودة بمحركين مروحيين ، سرعتها ٤٠٠ ــ ٥٠٠ كم/سا ، ارتفاع طيرانها ٥ ــ ٦كم ، ركب في اعلى الجسم قرص كبير يحتوي ضمنه هوائي محطة الرادار .

وفي عشية الغزو الاسرائيلي للبنان /١٩٨٢/ كان لدى سلاح الجو الاسرائيلي (٧٠٥) طائرات قتالية من الطرازات التالية :

ـ ١٨٥ طائرة فانتوم ـ F-4e/Phantom-II[١]

ـ ١٩٠ طائرة سكاي هوك ـ A-4/ Skyhawk[٢]

ـ ٢٠٠ طائرة « كفير ـ KFIR »[٣]

ـ ٥٥ طائرة «ف ـ ١٥ ـ F-15 A/B-eagle »[٤]

---

(١) الطائرة فانتوم : مقاتلة ومقاتلة قاذفة تكتيكية عملياتية بمقعدين فوق صوتية . انتاج شركة ماكدونالد دوغلاس الاميركية . مزودة بمحركين حمولتها القصوى من القنابل ٧٢٥٠ كغ وتحمل ٤ صواريخ موجهة جو ـ جو رادارية من طراز سبارو و ٤ صواريخ موجهة جو ـ جو حرارية من طراز سايدويندر . كما تحمل صواريخ موجهة جو ـ ارض من طراز شرايك او ستاندارد آرم او مافريك .

(٢) الطائرة سكاي هوك : طائرة مقاتلة قاذفة تكتيكية خفيفة بمقعد واحد دون صوتية . انتاج شركة ماكدونالد دوغلاس الاميركية . مزودة بمحرك واحد حمولتها القصوى من القنابل ٤٤٠٠ كغ وتحمل صاروخين موجهين جو ـ جو حراري من طراز سايدويندر . كما تحمل صاروخين موجهين جو ـ ارض من طراز بولباب Bullpup.

(٣) الطائرة كفير : طائرة مقاتلة قاذفة تكتيكية خفيفة بمقعد واحد فوق صوتية . انتاج شركة صناعات الطائرات الاسرائيلية الجوية . مزودة بمحرك اميركي نفس محرك طائرة فانتوم . حمولتها القصوى من القنابل ٤٠٠٠ كغ/ وتحمل ٤صواريخ موجهة جو ـ جو حرارية من طراز شفرير الاسرائيلي الصنع او صاروخين شرايك او قنبلتين هوبو .

(٤) الطائرة ف ـ ١٥ (النسر) : طائرة مقاتلة ومقاتلة قاذفة تكتيكية عملياتية ثقيلة بمقعد واحد فوق صوتية . انتاج شركة ماكدونالد دوغلاس الاميركية ، مزودة بمحركين . حمولتها القصوى من القنابل ٧٢٥٠ كغ وتحمل ٤ صواريخ موجهة جو ـ جو رادارية من طراز سبارو ذات مدى قصير ومتوسط ، و ٤ صواريخ موجهة جو ـ جو حرارية من طراز سايد ويندر . كما تحمل ٤ صواريخ موجهة جو ـ ارض من طراز شرايك او ستاندارد آرم او مافريك . ومزودة بأجهزة تشويش الكتروني ايجابي عضوي .

ـــ ٧٥ طائرة ف ــ ١٦ F - 16 A/B - Falcon »[1] بالاضافة الى ١٠١ حوامة م/د من طراز : « هويكوبرا / بل ٢٠٩ ـــ Huey Cobra Bell »[2]
ـــ « هيوز ـــ ٥٠٠ Hughes »[3] .
ـــ ديفندر .

وهكذا يتبين لنا انه من حيث النوعية يمكن اعتبار سلاح الجو الاسرائيلي نسخة مصغرة عما تمتلكه الولايات المتحدة الاميركية في سلاحها التكتيكي ، وليس ادل على هذا من وجود الطائرة «ف ـــ ١٥ F-/15 » والطائرة « ف ـــ ١٦ F-16 » (وهما احدث طرازين زود بهما سلاح الجو الاميركي) ضمن قوام سلاح الجو الاسرائيلي . ومن الجدير بالذكر ان نسبة اعداد هذين الطرازين الى الاعداد الاجمالية للطائرات القتالية التكتيكية في كلتا الدولتين متقاربة حيث تبلغ في الولايات المتحدة ١٨٫٥ ٪ بينما نجدها في اسرائيل ١٧٪ وستتحول هذه النسبة لصالح سلاح الجو الاسرائيلي مع الزمن بعد تنفيذ التوريد الكامل للعقود المبرمة .

(١) الطائرة ف ـــ ١٦ : طائرة مقاتلة تكتيكية خفيفة بمقعد واحد فوق صوتية انتاج شركة جنرال داناميكس الاميركية مزودة بمحرك واحد . حمولتها القصوى من القنابل ٤٧٠٠ كغ وتحمل ٦ صواريخ موجهة جو ـــ جو حرارية من طراز سايدويندر ، كما تحمل صواريخ موجهة جو ـــ ارض من طراز مافريك .

(٢) الحوامة هوي كوبرا (بل ـــ ٢٠٩): حوامة خفيفة الوزن هجومية مخصصة للدعم الناري الجوي انتاج شركة بل الاميركية . مزودة بمحرك واحد وتحمل ٨ صواريخ م/د من طراز تاو ، كما تحمل ٤ حواضن صواريخ غير موجهة في كل منها ١٩ صاروخا عيار ٧٠ مم . وفيها رشاشان عيار ٧٫٦٢ مم .

(٣) الحوامة هيوز ـــ ٥٠٠ حوامة خفيفة الوزن هجومية مخصصة للدعم الناري الجوي . انتاج شركة هيوز الاميركية مزودة بمحرك واحد . تحمل ٤ صواريخ م/د نوع تاو .

فاذا انتقلنا بمقارنتنا باتجاه دول اوروبا الغربية تصبح الصورة اكثر وضوحا حول امكانات العدو الجوية ، ويتضح مدى حرص الولايات المتحدة الاميركية على ان يبقى العدو الصهيوني نظيرا في تسلحه لاقوى حلفاء اميركا ، ومتفوقا على الحلفاء الاخرين . فالنسبة بين بريطانيا واسرائيل في الطائرات القتالية التكتيكية هي (١٠٨ر١ ــ ١٠٠ر١) لصالح بريطانيا ، بينما نجدها بين اسرائيل وفرنسا وايطاليا (١٢٥ر١ ــ ١) (٢ ــ ١) ولصالح اسرائيل في الحالتين .

وفيما يتعلق بنسبة الطائرات القتالية الى اجمالي القوات البرية يلاحظ انها متفوقة في اسرائيل بشكل واضح بالمقارنة مع بعض الدول الاوروبية في حلف الاطلسي . فبينما نجد ان لكل فرقة في ايطاليا وفرنسا وبريطانيا واميركا يوجد ١٤ ، ٢٠ ، ٥٠ ، ٥٥ طائرة قتالية على التتالي فان في اسرائيل ٥٣ طائرة لكلا فرقة برية عاملة .

وعند المقارنة مع القوى الجوية للدول العربية المحيطة باسرائيل او القريبة منها عشية حرب لبنان /١٩٨٢/ نجد انه لا يجوز ادخال طيران تلك الدول في المقارنة نظراً الى خروج هذه الدول من ساحة الصراع وبقاء القطر العربي السوري وحده في التصدي للعدو الاسرائيلي . وعند اجراء هذه المقارنة بين سلاح الجو الاسرائيلي والقوى الجوية العربية السورية نجد تفوقاً ملحوظاً لصالح العدو ، ويعمل قطرنا بكل الامكانات لتغطيته وخلق توازن في القوى من حيث الكم او الكيف .

٢ ـ ظروف الاعمال القتالية للطيران في سماء لبنان

يتميز القطر اللبناني بسلسلتين جبليتين غربية وشرقية ، تمتدان من الشمال الى الجنوب بشكل عام ، يفصل بينهما سهل البقاع الذي يختلف عرضه من مكان لاخر . كما نجد ضمن هاتين السلسلتين الجبليتين بعض الوديان الضيقة العرضانية .

ان تشكل هاتين السلسلتين على هذا الشكل يعتبر سلبياً بالنسبة الى القوى الجوية السورية ، وايجابياً نوعا ما بالنسبة الى سلاح الجو الاسرائيلي . فهاتان السلسلتان تشكلان في الواقع سدين متتاليين في وجه الاشعاع الراداري السوري بحيث يستحيل كشف ما وراءهما من الطيران المعادي حتى ارتفاع معين .

وهكذا نجد ان فرص تحقيق المفاجأة المتاحة لطيران العدو اكبر بكثير من تلك المتاحة للطيران السوري ، وبذلك تشكل موقف جوي معقد بالنسبة الى الطيران السوري وفيه تفوق اولي للطيران الاسرائيلي فيما يتعلق بالكشف والانذار المبكر ، وبالتالي اتاحة الفرص للطائرات المعادية لمفاجأة طائراتنا ومهاجمتها دون كشفها من قبلنا في الوقت اللازم .

وبالمقابل فان توضع هاتين السلسلتين باتجاه شمال ـ جنوب تقريبا لا يشكل عائقا كبيراً امام وسائط الكشف الاسرائيلية عند استطلاعها للطيران السوري الذي يضطر في كل الأحوال للتسلق لاجتياز ذرا هاتين السلسلتين للوصول الى ارض المعركة حيث كثيراً ما يفاجأ بطائرات معادية متسللة فيما بين السلسلتين او من جهة البحر ، ومقادة بشكل

جيد سواء من قبل الوسائط الارضية وبفضل طائرات الانذار المبكر .

كان يمكن تغطية بعض هذه السلبيات لو اتيح للقوى الجوية السورية توضيع محطات كشف وانذار في مواقع معينة مناسبة في لبنان تحقق كشفاً رادارياً معقولا ، الا ان بعض الاعتبارات حالت دون تنفيذ مثل هذا الاجراء ، نظرا لكون الكثير من هذه المواقع الملائمة لتوضيع محطات الرادار تقع خارج مناطق وجود قوات الردع العربية . فمنها ما يستحيل توضيع محطات الرادار فيها لممانعة القوى المسيطرة عليها ، ومنها ما يجعل المحطات التي تتمركز فيها عرضة لجميع اشكال المخاطر بحيث تستحيل حمايتها ، وبالمقابل فان اسرائيل تمكنت من الحصول على التعاون التام مع العملاء المرتبطين بها لتوضيع اجهزة الانذار اللازمة .

ان هذا التفوق الذي حصل عليه العدو في مجال الكشف والانذار في سماء لبنان على امكانات القطر العربي السوري من خلال ما ذكرناه ، تم تعزيزه باستخدام طائرات الكشف والانذار المبكر الحديثة جداً من طراز « هوك آي ـــ Hawkeye ». والتي حرص العدو على توفيرها واستخدامها في مجمل نشاطه الجوي في لبنان لتحقيق التفوق الاكيد في مجال قيادة الاعمال القتالية للطيران في الحرب اللبنانية .

٣ ـــ النشاط الجوي المعادي قبل غزو لبنان

حتى نهاية حرب تشرين التحريرية /١٩٧٣/ لم تدخل الساحة اللبنانية مجال الصراع بين القوات السورية والاسرائيلية بشكل فعال . ومع بداية الحرب الاهلية في لبنان لجأت اسرائيل الى استخدام الطيران لضرب

القوى الوطنية والفلسطينية في كافة انحاء لبنان ، وكانت النتيجة سقوط العديد من الشهداء الابرياء من شعبنا العربي صرعى الهجمات الجوية الاسرائيلية . وكان القرار التاريخي الهام الذي اصدرته القيادة السياسية للقطر بالتصدي للطيران الاسرائيلي المعتدي اثناء تنفيذه اعتداءاته على المخيمات الفلسطينية والمدن والقرى اللبنانية ، ومنعه من تنفيذ القصف . وحازت القوى الجوية والدفاع الجوي بذلك شرف تنفيذ هذا القرار والتصدي للطيران الاسرائيلي .

كانت طائرات الاستطلاع الاسرائيلية من طراز « فانتوم — Phantom-F-4R » بشكل اساسي واحياناً من طراز « ف — ١٥ — F-15 » تقوم باجراء الاستطلاع الجوي وتصوير مناطق وجود وتحشد قوات الردع العربية وقوات الثورة الفلسطينية وكشف تجمعاتها وعتادها ، وذلك بشكل دوري وبوتيرة عالية تبلغ ٢ — ٣ طلعات اسبوعياً وتصل احيانا حتى ٢ — ٣ طلعات يومياً . وينفذ هذا الاستطلاع عادة بقوام زوج من الطائرات على الارتفاعات العالية جداً وفي « الستراتو سفير — Stratosphere » (١) . وبسرعات فوق صوتية حيث تقوم طائرات الاستطلاع بعد الاقلاع بالتسلق وكسب الارتفاع فوق الاراضي المحتلة حتى ارتفاع ١٠ كم فوق منطقة بيسان ثم تتجه شمالا مع متابعة التسلق

(١) الستراتور سفير : هو الطبقة العلوية من الغلاف الغازي المحيط بالكرة الارضية (اعلى من ١١ — ١٢ كم) وتتميز هذه الطبقة بقلة الكثافة والضغط والحرارة ، وبانخفاض شديد بوتائر تناقصها .

والتسارع لتخرق المجال الجوي اللبناني من الجنوب على ارتفاع يتراوح بين ١٢ ــ ١٧ كم وبسرعة ١٦٠٠ ــ ٢٠٠٠ كم/سا متبعة في طيرانها محوراً مستقيما ماراً من مرجعيون وشرق بيروت حتى طرابلس . وحسب المهمة المحددة تدور باتجاه العودة من المنطقة الموازية لبيروت او البترون او طرابلس واحيانا تنفذ دورانا كاملا فوق المنطقة التي تريد تدقيق الاستطلاع فيها ، وتعود الى الجنوب متبعة المحور الموازي للساحل اللبناني مع فقدان ارتفاعها تدريجيا حتى ٥ ــ ٦ كم .

وفي الحالات التي كانت القيادة الاسرائيلية تكشف وجود المقاتلات السورية متجهة نحو الطائرات الاسرائيلية كانت تقطع المهمة وتعطي الامر بالدوران والابتعاد عن الاراضي اللبنانية والساحل اللبناني باتجاه الجنوب .

اما طائرات الاستطلاع الالكتروني فقد كانت تنفذ مهامها من اجل كشف النشاط الالكتروني الصديق وتحديد اماكن تمركز الوسائط الرادارية واللاسلكية وشبكات الاتصال بالطيران فوق المناطق الشمالية من الأرض المحتلة وفوق المناطق التي يسيطر عليها العميل سعد حداد وميليشيات الكتائب اللبنانية بينما كانت طائرات الاستطلاع الالكتروني الكبيرة من طراز « بوينغ ٧٠٧ Boeing 707 » تنفذ مهامها فوق المياه الدولية للبحر المتوسط على امتداد المحور المستقيم من حيفا وحتى النقطة ١٠٠ كم غرب طرابلس .

وقد استخدمت أيضا الطائرات المسيرة بدون طيار من طرازات

« فايـــــــــــــــــــــــربي Fir Bee »[1] « تشاكار ـــ Chukar »[2]. « ماستيف ـــ Mactiff » [3].« سكاوت ـــ Scout » [4] من اجل تنفيذ مهام الاستطلاع التصويري والتلفزيوني فوق الاراضي اللبنانية خاصة فوق

---

(١) الطائرة المسيرة (فايربي).
طائرة مسيرة (بدون طيار) عملياتية تستخدم للاستطلاع الجوي ولمهام اخرى . مزودة بأجهزة تصوير خاصة . انتاج شركة تيليدان رامان الأميركية مجهزة بمحرك واحد. السرعة القصوى ١١٣٨ كم/سا الارتفاع الاقصى ١٨٣٠٠ م الوزن الاعظمي ١٥٤٢ كغ يوجد منها نوعان : دون صوتي وفوق صوتي .

(٢) الطائرة المسيرة « تشاكار » :
طائرة او هدف مسير (بدون طيار) تكتيكية . تستخدم للاستطلاع الجوي ولمهام اخرى . مزودة بأجهزة تصوير خاصة . انتاج شركة نورثروب الاميركية . مزودة بمحرك . السرعة القصوى ٨١٥ كم/سا الارتفاع ١٢٢٠٠م الوزن ١٤٤ كغ.

(٣) الطائرة المسيرة « ماستيف » :
طائرة مسيرة (بدون طيار) خفيفة . تستخدم الاستطلاع الجوي لصالح القوات البرية . مزودة بكاميرا عادية او تلفزيونية لنقل معلومات الاستطلاع مباشرة الى مقر القيادة الارضي . انتاج شركة الصناعات الجوية الاسرائيلية . مزودة بمحرك . السرعة ١٥٠ كم ارتفاع التصوير ٩٠٠ ـــ ١٢٠٠ م . زمن الطيران ٤ ـــ ٦ ساعات بسرعة ٧٠ ـــ ٩٠ كم/سا .

(٤) الطائرة المسيرة « سكاوت » :
طائرة مسيرة (بدون طيار) خفيفة . تستخدم للاستطلاع الجوي لصالح القوات البرية والجوية . مزودة بكاميرا عادية او تلفزيونية لنقل المعلومات مباشرة الى منطقة الاعمال القتالية ومقرات القيادة . انتاج شركة الصناعات الجوية الاسرائيلية . مزودة بمحرك . السرعة ١٥٠ كم/سا ارتفاع التحليق ١٢٠٠ م زمن الطيران ٦ ساعات بسرعة ٧٠ ـــ ٩٠ كم/سا .

البقاع على الارتفاعات المختلفة . وقد اخترقت المجال الجوي السوري ثلاث طائرات مسيرة من طراز فايربي فدمرتها المقاتلات ووسائط الدفاع الجوي السورية .

اما الطيران المقاتل القاذف المعادي فقد قام باجراء الغارات الجوية وقصف المخيمات الفلسطينية عل نطاق واسع وبأشكال مختلفة ، بقوام مجموعات صغيرة احياناً وبقوام مجموعات متوسطة وكبيرة احيانا اخرى . وبموجة واحدة او عدة موجات . وقد استهدفت هذه الغارات المخيمات الفلسطينية في مناطق صور وصيدا والنبطية والناعمة والدامور وكذلك المدن والقرى اللبنانية وحتى مدينة بيروت نفسها لم تسلم من هذا القصف . كانت الطائرات المعادية بقوام الرف الواحد او الرفوف المتلاحقة (٣ ــ ٥ رفوف) تقترب الى اهدافها في معظم الاحيان على ارتفاع منخفض من اتجاه الساحل خلف سلسلة الجبال الغربية ثم تتسلق الى ارتفاع ٥ ــ ٦ كم قبل الهدف بمسافة ٧ ــ ١٠ كم خارج مناطق تأثير وسائط الدفاع الجوي الصديقة (في هذه الحالة يكون زمن الانذار المتوفر عن الطيران المعادي لا يتجاوز ٣٠ ــ ٤٠ ثانية) ، ثم تنفذ القصف من الانقضاض بعد تدقيق مكان وتوضع الهدف . واثناء الانقضاض وعند الخروج من الهجوم كانت تطلق كرات التشويش الحرارية من اجل تضليل الصواريخ ارض ــ جو ذات التوجيه الحراري ، وتتسلق ثانية من اجل اعادة الانقضاض لتنفيذ الهجوم المكرر . كانت الغارات المحدودة تنفذ بقوام ٢ ــ ٤ طائرات وتستغرق ٤ ــ ٦ دقائق اما الغارات المركزة الهادفة

الى تنفيذ ضربة جوية كثيفة على الهدف فكانت تنفذ بقوام ١٢ ـــ ٢٠ طائرة بالرفوف المتلاحقة وتستغرق ٢٠ ـــ ٤٠ دقيقة .

خلال تنفيذ مختلف مهام الاستطلاع الجوي او الضربات الجوية ، كان الطيران المقاتل يقوم بتغطية وتأمين صنوف الطيران الاخرى من مناطق المناوبة ومناطق الكمين في الجو بقوام من ١٢ ـــ ٢٤ طائرة (٣ ـــ ٦ رفوف) حيث توجد هذه المقاتلات في مختلف المناطق القريبة والمحيطة بمنطقة اعمال صنوف الطيران الاخرى ، وتقوم بعزل هذه المنطقة من تقرب المقاتلات السورية اليها وغالبا ما كانت المقاتلات المعادية تناوب في المنطقة الشمالية من الارض المحتلة وفوق مرجعيون وغرب صور وصيدا وبيروت والبترون على مسافة تتراوح من ١٠ وحتى ٥٠ كم عن الساحل اللبناني ، وعلى ارتفاعات منسقة فيما بينها من ٥ وحتى ٨ كم .

اما المقاتلات التي توضع في مناطق الكمين فقد كانت تطير على ارتفاعات منخفضة خارج مجال كشف محطات الرادار السورية فوق البحر وغرب البترون وغرب منطقة صيدا ـــ بيروت .

عند ظهور المقاتلات السورية في الجو ، وتوجهها للتصدي لطائرات الاستطلاع او الطائرات التي تنفذ القصف على الاهداف والمخيمات ، كانت هذه الطائرات تقطع تنفيذ المهمة وتعود او تنسحب الى الغرب في عمق البحر من اجل زج المقاتلات الاسرائيلية لملاقاة المقاتلات السورية .

بعد دخول صواريخ الدفاع الجوي السورية الى البقاع حصل تغيير في عمل وسلوك الطيران الاسرائيلي ، وحددت حرية عمله فوق الاراضي

اللبنانية وصارت طائرات الاستطلاع والطائرات المقاتلة القاذفة تعمل ضد الاهداف التي تقع خارج مناطق عمل هذه الصواريخ ، بينما ازدادت وتيرة استخدام الطائرات المسيرة بدون طيار في منطقة البقاع .

في معظم الاعمال التي نفذها الطيران الاسرائيلي فوق لبنان ، كانت تتم قيادة هذا الطيران من قبل طائرة مقر القيادة الجوي هوك آي التي كانت تطير في عمق البحر ، بشكل مواز للساحل اللبناني تقريباً من رأس الناقورة وحتى شمال غرب بيروت على مسافة ٦٠ كم منها . اما عند تنفيذ العمليات الجوية الكبيرة فقد كانت تستخدم طائرة مقر قيادة جوي ثانية ، تطير فوق منطقة صفد . ان استخدام مقر القيادة الجوي الطائر يؤمن للعدو الانذار المبكر وكشف المقاتلات السورية من المسافات الابعد ، كما يؤمن استمرارية القيادة والمحافظة على مبدأ الهجومية والفعالية القتالية في المعركة ، ودقة تنسيق العمل بين مختلف مجموعات طيرانه في الجو وذلك بالتعاون مع مقر القيادة الرئيسي في منطقة صفد .

كان العدو في كافة طلعاته فوق لبنان يستخدم التشويش بمختلف انواعه وبدرجات متفاوتة حسب نوع وحجم المهمة ، وبصورة خاصة كان يستخدم وسائط التشويش العضوية المخصصة لحمايتها . وعند توقع حدوث الاشتباك الجوي مع المقاتلات السورية كان يستخدم التشويش الايجابي على وسائط القيادة ، والتشويش اللاسلكي على وسائط الاتصال باستطاعة محدودة ، ولم يكشف عن كامل امكانياته واستطاعته في التشويش التي استخدمها في الحرب اللبنانية .

٤ ــ التصدي للطيران الاسرائيلي والاشتباكات الجوية في سماء لبنان قبل الغزو

كانت القوى الجوية والدفاع الجوي ، هي الغطاء الوحيد للقوات العربية السورية العاملة ضمن قوات الردع العربية وللشعبين العربيين الفلسطيني واللبناني ضد الاعتداءات الجوية الاسرائيلية ، حيث كانت باستمرار جاهزة للتدخل الفوري والوصول خلال دقائق الى سماء لبنان .

ان قرار التصدي كان تاريخيا وهاما ، فالعدو حاز على اسباب التفوق الجوي في منطقة الاعمال ، وهو ينفذ الاعتداءات الوحشية التي تؤدي الى قتل وتشريد العديد من المواطنين العرب في الساحة اللبنانية . فهل يجوز ان تترك له حرية العمل بينما الطائرات على الارض ، والطيارون البواسل يتلهفون شوقاً للقاء العدو وتدميره . ومهما كان حجم التضحيات التي هي في الواقع الضريبة الدائمة التي يدفعها القطر العربي السوري الصامد في نضاله ضد اسرائيل .

لقد تصدت القوى الجوية والدفاع الجوي للطيران الاسرائيلي في سماء لبنان ونفذ مقاتلوها مهام التصدي بكل شجاعة وبسالة بالرغم من الظروف والمواقف التكتيكية المعقدة التي نفذت فيها هذه المهام ، والصعوبات الناجمة عن الطبيعة والطقس والوقت من اليوم وعدم توافر الكشف الراداري اللازم واستمرارية القيادة والسيطرة على المقاتلات . لقد كان زمن عمل العدو اقل من الزمن اللازم لعمل المقاتلات السورية ، كان العدو يعمل في مناطق اقرب الى مطارات اقلاعه وكان يختار الزمن والوقت

من اليوم واستطاعت طائراته ان تتستر خلف الجبال وتتسرب من خلال الوديان خارج مجال الكشف الراداري الصديق . انها ظروف صعبة جدا للمقاتلات السورية ، وبالرغم من ذلك فقد نفذت مئات المهام لملاقاة العدو الجوي والتصدي له ، وحصلت العشرات من الاشتباكات الجوية ، واستطاعت من منعه في التمادي في تنفيذ عدوانه ، وخففت من وطأة القصف الوحشي على المواطنين ، وكبدت العدو الجوي خسائر كبيرة .

ان باكورة هذه الاشتباكات الجوية جرت في يوم ١٩٧٩/٦/٢٧ . في الساعة ١١ر٠٧ من ذلك اليوم كشفت الرادارات السورية مجموعة من الطائرات الاسرائيلية فوق لبنان تقوم بضرب معسكرات الفدائيين الفلسطينيين في منطقة الدامور وجنوب صيدا . من اجل التصدي للطيران المعادي اقلعت ثلاث مجموعات من المقاتلات السورية وتوجهت باتجاه العدو . عند دخول المجموعة الاولى منها في المجال الجوي اللبناني ، انسحبت المقاتلات القاذفة الاسرائيلية من طراز « فانتوم ــ Phantom »باتجاه البحر وعادت المقاتلات السورية الى المجال الجوي الصديق .

في الساعة ١١ر٢٠ كشفت الرادارات السورية ثلاث مجموعات اخرى من الطائرات المعادية فوق جنوب لبنان على ارتفاعات ١٥٠٠ ــ ٥٠٠٠ ــ ٦٠٠٠ متر . تم توجيه المقاتلات السورية لملاقاة هذه الاهداف . في الساعة ١١ر٢١ استخدم العدو التشويش اللاسلكي وعرقل قيادة المقاتلات السورية من الارض . في هذه اللحظة نفذت الطائرات الاسرائيلية من طراز « فانتوم ــ Phantom » الدوران السريع

وبدأت بالانسحاب باتجاه البحر ، واستمرت المقاتلات السورية بمطاردتها .

وفي الساعة ٢٢ر١١ ظهرت على شاشات محطات رادار مركز التوجيه مجموعتان من المقاتلات المعادية « ف ــ ١٥ ــ F-15 » تتسلق من ارتفاع منخفض ، وتتوجه باتجاه مقاتلاتنا واصبحت المسافة بينهما ٤٠ كم ، واستطاع مركز التوجيه انذار المقاتلات السورية التي بدورها نفذت المناورة لمقابلة المقاتلات المعادية واحباط هجومها ثم اشتبكت جميع المقاتلات من الطرفين بمعركة جوية جماعية قريبة المناورة . وقد أسفرت هذه المعركة عن اسقاط طائرتين معاديتين واصيبت اربع طائرات سورية وعادت باقي الطائرات سالمة .

وتولى تنفيذ مهام التصدي للطيران المعادي كما حدث عدد من الاشتباكات الجوية . ومن ابرز هذه المهام ما يلي :

بتاريخ ١٩٧٩/٧/١٠ اخترق زوج من طائرات الاستطلاع المعادية من طراز « فانتوم ــ Phantom » المجال الجوي اللبناني من الجنوب باتجاه الشمال على طول وادي البقاع ، وكان يطير خلفه على مسافة ٢٠ ــ ٢٥ كم رف من المقاتلات لحمايته .

اقلعت مجموعة من المقاتلات السورية وتوجهت لملاقاته ، وفور ظهورها قطعت الطائرات المعادية مهمتها وعادت بأقصى سرعة الى الجنوب .

في الساعة ١٥ر١٨ من يوم ١٩٧٩/٧/٢٢ اخترقت المجال الجوي اللبناني مجموعة من الطائرات الضاربة الاسرائيلية بقوام رف

« فانتوم ــ Phantom » على ارتفاع منخفض وقامت بقصف مخيمات الفلسطينيين في منطقة صور .توجهت مجموعة من المقاتلات السورية باتجاه المنطقة فور ظهور الطيران المعادي في منطقة القصف ، واشتبكت مع الطائرات المعادية واجبرتها على وقف اعمالها العدوانية على شعبنا العربي وغادرت سماء لبنان بأقصى سرعة للعودة باتجاه الاراضي المحتلة . وعادت جميع الطائرات السورية سالمة .

في الساعة ١٥ر٣٠ من يوم ١٩٧٩/٩/١٩ اخترق زوج من طائرات الاستطلاع المعادية من طراز « فانتوم ــ Phantom » المجال الجوي اللبناني من الجنوب الى الشمال على امتداد الساحل اللبناني على ارتفاع ١٣ كم وبسرعة ١٥٠٠ كم/سا . اقلع زوج من المقاتلات السورية لملاقاة العدو ، وعند دخوله المجال الجوي اللبناني ، قطعت الطائرات الاسرائيلية تنفيذ مهمتها حيث كانت قد وصلت حتى جنوب بيروت ، ودارت باتجاه البحر . تابعت المقاتلات السورية مطاردتها والاشتباك معها واطلقت عليها النيران واجبرتها على الفرار باتجاه الارض المحتلة ، وعادت المقاتلات السورية الى قواعدها سالمة .

في الساعة ١٤ر٢٨ من يوم ١٩٧٩/٩/٢٤ كشفت الرادارات السورية هدفا جماعيا بقوام ٤ طائرات اخترق الحدود الجنوبية اللبنانية على ارتفاع ١١ كم . اقلعت مجموعة من المقاتلات السورية لملاقاة الهدف . انفصلت الطائرات الاسرائيلية الاربع الى زوجين وانسحبا باتجاه البحر ، وعادت المقاتلات السورية الى المجال الجوي الصديق .

وفي الساعة ١٤ر٣٧ عاد الزوجان الاسرائيليان لاختراق الاجواء

اللبنانية في منطقة بيروت ، فتوجهت المقاتلات السورية ثانية باتجاه العدو ، وعند اقترابها منه دار العدو وباتجاه الجنوب بأقصى سرعة . وفي الساعة ١٤٫٤٣ ظهر من اتجاه البحر وعلى ارتفاع ٩كم اربعة طائرات (ميراج ـــ Mirage) شاهدها الطيارون السوريون بالنظر وأطلقت صواريخها من الامام بشكل عشوائي . وفي الساعة ١٤٫٤٥ زج العدو مجموعة من المقاتلات (ف ـــ ١٥ F - 15) كانت موجودة في منطقة الكمين في الجو . في لحظة خروج الطائرات(ف ـــ ١٥ F - 15) من منطقة الكمين استخدم العدو التشويش اللاسلكي على قنال قيادة المقاتلات السورية وتنبه طيارونا وبدأوا بالبحث عن الطائرات المعادية المقتربة منهم حتى شاهدوها ونفذوا المناورات الحادة معها ، وحصلت معركة جوية اتسمت بالمناورة العنيفة وقد اسفرت المعركة عن اصابة طائرتين للعدو ولاذت باقي الطائرات بالفرار ، واصيبت اربع طائرات سورية ، وعادت باقي الطائرات سالمة . وقد اعترفت القيادة الاسرائيلية عن طريق الصحافة بأنها (تكبدت في ذلك اليوم خسارة مقدارها ٢٥ مليون دولار) .

في الساعة ١٤٫٥٠ من يوم ١٩٧٩/١٠/٧ اخترقت المجال الجوي للقطر العربي السوري من اتجاه الاراضي اللبنانية طائرة استطلاع مسيرة معادية فتصدت لها مقاتلاتنا واسقطتها في منطقة النبك ـــ وكانت الطائرة من طراز (فايربي ـــ Fire - Be) الأميركية الصنع مخصصة لأجراء الاستطلاع الجوي والتصوير .

في الساعة ١٥٫٤٠ من يوم ١٩٨٠/٨/٢٤ اخترقت الاجواء اللبنانية من الجنوب مجموعتان من المقاتلات القاذفة المعادية وعلى ارتفاعات

منخفضة وتقربت الى أهدافها متسترة خلف سلسلة الجبال الغربية وقامت بقصف مخيمات الفلسطينيين في لبنان . وفور وصول هاتين المجموعتين الى اهدافها ظهرت قرب الشاطيء اللبناني ثلاث مجموعات اخرى من الطائرات المقاتلة وكان واضحا من سلوكها انها تقوم بتغطية وحماية المقاتلات القاذفة ، كما ظهرت طائرة مقر القيادة الجوي (هوك آي ــ Hawk - Eye) غرب صور بمسافة ٣٠ كم متجهة باتجاه الشمال ــ اقلعت المقاتلات السورية للتصدي للطائرات المغيرة وعند اجتيازها سلسلة الجبال الغربية توقفت المقاتلات القاذفة عن تنفيذ مهمتها وانسحبت باتجاه البحر لتعود الى مطاراتها بينما تقدمت المقاتلات الاسرائيلية لتغطية انسحاب المجموعة الضاربة ، فاشتبكت معها المقاتلات السورية بمعركة جوية مناورة ، استخدم فيها العدو التشويش اللاسلكي والراداري ، واسفرت عن اصابة طائرة معادية وطائرة سورية .

في الساعة ١٩ر١٣ من يوم ١٩٨١/٢/١٣ اخترق الاجواء اللبنانية الجنوبية في منطقة مرجعيون زوج من طائرات الاستطلاع الاسرائيلية من طراز (فانتوم ــ Phantom) وتابع طيرانه باتجاه الشمال على ارتفاع ١٣ كم وبسرعة ١٢٠٠ كم/سا . وقامت طائرات الاعتراض السورية بالتصدي للطائرات المعادية . في الساعة ٢٤ر١٣ وصلت الطائرات الاسرائيلية الى محاذاة مدينة بيروت ، بينما خرجت المقاتلات السورية على الاتجاه المقابل للهدف على ارتفاع ١٠ كم وعلى مسافة ١٠٠ كم منه ، بدأت طائرات الاستطلاع فورا بالدوران الى اليسار باتجاه العودة ، وتركت مكان دورانها سحابة كثيفة من عواكس التشويش السلبي . في الساعة ٢٥ر١٣

خرجت من سحابة التشويش مقاتلة اسرائيلية من طراز(ف ـــ ١٥ F - 15) كانت متسترة في منطقة الكمين بين سلسلتي جبال لبنان على ارتفاع منخفض ، ظهرت المقاتلة بوضعية التسلق الحاد السريع باتجاه المقاتلات السورية التي كانت تلاحق طائرات الاستطلاع ـــ في هذه اللحظة بث العدو التشويش على وسائط الاتصال الصديقة ـــ وكانت المقاتلة المعادية قد وصلت الى مسافة ٤٠ كم من المقاتلات السورية وعلى ارتفاع اقل منها بـ ٣ كم ونفذت الهجوم من نصف الفراغ الأمامي . في هذا الاشتباك تم تنفيذ المعركة الجوية والصاروخية البعيدة المدى لاول مرة ـــ وقد اسفرت عن اصابة طائرة صديقة .

في يوم ١٩٨١/٤/٢٦ حاول الطيران المعادي قصف المخيمات الفلسطينية في منطقتي صيدا والدامور ، فتصدت لها على الفور المقاتلات السورية التي استطاعت ان تحقق المفاجأة وتصل الى منطقة القصف ، واشتبكت معها في معركة جوية ، حيث لاذت بالفرار معظم المجموعات الضاربة المعادية فور احساسها بوجود المقاتلات السورية في المنطقة ، بينما اضطر القسم الباقي منها للدخول في معركة جوية واتصفت بالمناورة العنيفة ، واسفرت عن اسقاط طائرتين معاديتين شوهدت اهداهما تهوي في البحر غربي صيدا واصيبت طائرة سورية واحدة .

في يوم ١٩٨١/٤/٢٨ قامت المقاتلات المعادية بعدوان آثم على حوامات النقل السورية التي تنقل المؤن الى القوات السورية العاملة ضمن قوات الردع العربية في لبنان . وادى هذا العدوان الى اصابة حوامتين قرب مطار رياق .

على اثر هذا العدوان الخسيس قررت القيادة السورية ادخال صواريخ الدفاع الجوي الى البقاع من اجل تغطية وحماية قواتنا في لبنان من همجية الطيران الاسرائيلي . وفي مساء ٤/٢٨ تحركت الصواريخ الى المواقع المحددة لها وكانت جاهزة في فجر يوم ٤/٢٩ لتنفيذ مهامها .

وأثارت اسرائيل ضجة كبيرة حولها وهددت وتوعدت بضربها .

ادى دخول الصواريخ السورية الى البقاع الى تحديد عمل الطيران الاسرائيلي بكافة صنوفه ، حيث اقتصر عمله بعد ذلك خارج حدود مناطق تأثير الصواريخ ، بينما اعتمد على الطائرات المسيرة بدون طيار لتنفيذ مهام الاستطلاع في وادي البقاع ، وتصدت لها الصواريخ واسقطت عددا كبيرا منها .

ففي الساعة ٥٠ر٤ من صباح ١٩٨١/٥/١٢ دخلت طائرة مسيرة منطقة البقاع لتستطلع تراتيب قتال الصواريخ التي تصدت لها واسقطتها .

وفي الساعة ١٥ر٩ من يوم ٥/١٥ حلقت طائرة استطلاع مسيرة في منطقة البقاع ايضا وتصدت لها وسائط الدفاع الجوي وأسقطتها قرب قرية السلطان يعقوب .

وفي الساعة ٢٣ر١٥ من يوم ٥/١٩ حلقت طائرة استطلاع معادية فوق منطقة اللاذقية فتصدت لها وسائط الدفاع الجوي واسقطتها وشوهدت وهي تهوي في البحر جنوب غرب اللاذقية .

وفي الساعة ١٩ر١٢ من يوم ٥/٢٢ حلقت طائرتا استطلاع دون طيار فوق مراكز القوات السورية في البقاع ، وتصدت لها وسائط الدفاع

الجوي وتمكنت من اسقاط الطائرتين . سقطت الاولى في منطقة عين العرب شرق البيرة ، وسقطت الثانية شمال بحيرة القرعون قرب المنصورة .

في الساعة ١٣٫٤٢ من يوم ٥/٢٥ اخترق المجال السوري من اتجاه الاجواء اللبنانية طائرة استطلاع مسيرة من طراز (فايربي — Fire - Be) تصدت لها وسائط الدفاع الجوي واسقطتها في منطقة الزبداني .

في الساعة ٩٫٣٦ من يوم ١٩٨١/٦/١٣ اخترقت المجال الجوي السوري طائرة استطلاع مسيرة من طراز فايربي وتصدت لها مقاتلاتنا واسقطتها شمال شرق دمشق .

في الساعة ١١ من يوم ١٩٨١/٧/٧ حلقت طائرة استطلاع معادية بدون طيار فوق مواقع قواتنا العاملة في لبنان فتصدت لها وسائط الدفاع الجوي وأسقطتها .

في الساعة ١٦٫١٠ من يوم ١٩٨١/٧/١٤ قامت مجموعة من الطائرات المعادية بقصف المخيمات الفلسطينية في مناطق صيدا ، الناعمة ، الدامور ، النبطية بقوام ٤ — ٨ طائرات في كل منطقة ، تغطيها مجموعات كبيرة من المقاتلات فتصدت لها المقاتلات السورية واشتبكت معها ومنعتها من اكمال تنفيذ مهمتها واجبرتها على الفرار . وبنتيجة الاشتباك اصيبت لنا طائرة .

في الساعة ١١٫١٥ من يوم ١٩٨١/٧/١٧ قامت مجموعات من الطيران المعادي بقوام ٢٠ طائرة بقصف المخيمات الفلسطينية في بيروت ، فتصدت لها وسائط دفاعنا الجوي وأصابت احداها ، وشوهدت تشتعل النيران فيها وسقطت في البحر .

وفي الساعة ١٥٫٠٠ من نفس اليوم تابع الطيران الاسرائيلي قصف مواقع الثورة الفلسطينية شرقي صيدا والنبطية في جنوب لبنان فتصدت لها المقاومات الارضية وتمكنت من اصابة طائرة للعدو شوهدت تسقط في منطقة مرجعيون .

في الساعة ١٠٫٢٥ من يوم ١٩٨١/٧/٢٩ ظهرت غرب البترون مباشرة تشكيلات من الطيران المعادي ، حيث تسللت الى المنطقة على ارتفاع منخفض ثم تسلقت الى ارتفاع متوسط ، وقامت بتنفيذ الاستطلاع فوق منطقة طرابلس والبقاع الشمالي . تصدت لها المقاتلات السورية واشتبكت معها في معركة جوية ومنعتها من تحقيق اهدافها . وكانت نتيجة المعركة اسقاط طائرة معادية واصيبت طائرة سورية ، وفي اليوم الثاني من الاشتباكات عثرت زوارق الصيد البحرية في عرض البحر على سترة النجاة للطيار المعادي .

٥ ـ الحرب الجوية في سماء البقاع

بعد السلسلة الطويلة من المقدمات التي أعدها العدو الصهيوني بعناية فائقة تحضيراً لعدوانه المبيت على لبنان ، عمل منذ بداية عام ١٩٨٠ على تصعيد الأزمة اللبنانية مستغلا كل فرصة سانحة لابداء التذمرات من نشاطات المقاومة الفلسطينية تارة ، ومن وجود الصواريخ السورية في البقاع تارة أخرى .

وفي اثناء هذا التصعيد المستمر كانت القيادة الاسرائيلية تعد خطتها لغزو لبنان ، وترسل مندوبها الى الولايات المتحدة الاميركية للحصول على

موافقتها على الخطط انتظارا ليوم التنفيذ . وفي نفس الوقت كان المسؤولون الاسرائيليون يزورون المستعمرات اليهودية في شمال الارض المحتلة ويعدونهم بقرب التخلص من صواريخ كاتيوشا الفدائية الى الابد .

وفي الاسبوع الاول من شهر حزيران يبدو ان اسرائيل حصلت على الضوء الاخضر من اميركا لتنفيذ هذه الخطط العدوانية بعد اطلاع وزير خارجيتها هيغ عليها ، وهكذا تم تنفيذ محاولة اغتيال السفير الاسرائيلي في لندن التي قدمت مبرراً عاطفياً كاذباً ، ولليهود في هذه الأساليب تاريخ طويل .

في الساعة ١٥،٠٠ من يوم ١٩٨٢/٦/٤ وبعد محاولة اغتيال السفير الاسرائيلي بيوم واحد فقط باشر العدو الاسرائيلي عدوانه المبيت على لبنان ، بادئاً بالعملية الجوية التي مهدت للغزو البري .

آ ــ العملية الجوية الاسرائيلية تمهيداً للغزو البري

في الساعة ١٥،٠٠ من يوم ١٩٨٢/٦/٤ اخترقت الاجواء اللبنانية تشكيلات من المقاتلات القاذفة المعادية بقوام الرفوف على ارتفاعات متوسطة ترافقها مجموعات التأمين من المقاتلات ومقرات القيادة الجوية (هوك آي ــ Howk - Eye) ومع استخدام التشويش السلبي قامت هذه التشكيلات بقصف مواقع الثوار الفلسطينيين والمخيمات وخاصة (قلعة شقيف ــ عرنون ــ النبطية شرق صيدا ــ صور) .

واستمر القصف حتى الساعة ١٨،٤٥ بموجات متتالية .

تابع العدو بعد الساعة ١٩،٠٠ اعماله العدوانية ليلا فقام بقصف

مناطق متعددة (صيدا ــ صور ــ النبطية) بقوام مختصر مع استخدام القنابل المضيئة وقد استمر هذا القصف حتى الساعة ٣،٠٠ من صباح ٦/٥ .

في صباح ٦/٥ الساعة ٦/٤٥ . كشفت راداراتنا ١٣ تشكيلا معادياً على ارتفاعات متفاوتة اخترقت الاجواء اللبنانية ونفذت قصف أهداف متعددة منها : (صور ــ صيدا ــ الناعمة ــ النبطية ــ قلعة شقيف ــ منطقة بيروت .. الخ) .

واستمرت موجات الطيران المتلاحقة تقصف الاهداف في لبنان طيلة الوقت المضيء من يوم ٦/٥ ، وانخفضت وتيرة القصف نسبيا في الليل حتى الصباح .

وفي صباح ٦/٦ تابع العدو القصف الجوي الكثيف مركزا على الاهداف البرية وخاصة في (عرنون ــ الجرمق ــ النبي طاهر ــ النبطية ــ الدوير ــ صيدا ــ الزهراني ــ صور ــ الرشيدية) وذلك بمجموعات مختلفة القوام وعلى ارتفاعات متعددة حتى بدء الاجتياح البري في الساعة ١١،٠٠ ، رافق هذا القصف قصف مدفعي بري وبحري للاهداف الساحلية والقريبة .

لقد لوحظ في هذه الفترة لجوء العدو الى الاستخدام المحدود للتشويش السلبي ، وعدم استخدام التشويش الايجابي او اللاسلكي ، وكان الارتفاع الاساسي لاعمال طيرانه هو الارتفاع المتوسط بغية تفادي وسائط الدفاع الجوي للثورة الفلسطينية .

وقد تفادت الطائرات الاسرائيلية طيلة هذه المرحلة الدخول في

مناطق تأثير الصواريخ السورية وتفادت أي اشتباك جوي مع الطائرات السورية المعترضة في جنوب بيروت ، فكانت تنسحب مؤقتاً باتجاه الغرب ، ثم تعود لتنفيذ أعمالها بعد مغادرة المقاتلات السورية للمنطقة .

استخدم العدو في هذه المرحلة طائرات الدعم من طراز سكاي هوك وكفير وفانتوم أساسا ، والمقاتلات ف ــ ١٥ و ف ــ ١٦ ، وطائرات القيادة الجوية (هوك آي ــ Howk - -Eye) واستخدم في قصفه للاهداف القنابل ذات الاوزان الكبيرة ٧٥٠ ــ ٢٠٠٠ ليبرة والصواريخ جو ــ ارض ، وكانت نسبة القنابل المضادة للاشخاص كبيرة . وخاصة القنابل العنقودية والفوسفورية .

كانت القوى الجوية والدفاع الجوي السوري قد وضعت في حالة الجاهزية القتالية العالية قبل الحرب بفترة طويلة نظراً لما اتضح من مؤشرات توحي باستعدادات العدو لتنفيذ عدوان واسع ، وبعد حادث محاولة اغتيال السفير الاسرائيلي تم تعزيز الجاهزية القتالية ، كما تم تدقيق كافة الخطط العملياتية للعمل على الاتجاهين :

آ ــ الاتجاه اللبناني للتصدي للطيران الاسرائيلي الذي قد ينفذ اعمالا عدوانية على القطر اللبناني .

ب ــ الرد على العدو عند قيامه بقصف أهداف داخل القطر ، وذلك بقصف اهداف هامة متنوعة في الجولان وداخل الارض المحتلة ، وقد تم تذخير المقاتلات القاذفة وبعض المقاتلات بالصواريخ والقنابل الثقيلة المناسبة لهذه المهمة ، وكانت بانتظار الامر بالاقلاع لتنفيذ مهامها .

منذ بدء العدو الجوي اعماله بعد ظهيرة يوم ٦/٤ قام طيراننا المقاتل بتنفيذ مهمة التصدي للعدو ، وتم تعزيز المناوبة في الجو لتغطية القوات داخل القطر ، وزجت المقاتلات الى مواقع القصف الجوي المعادي فعرقلت اعمال العدو وتمكنت من اسقاط طائرة استطلاع من طراز فايربي في منطقة النبك .

وقد نفذت الطائرات السورية مهام الاستطلاع الجوي بالتصوير والوسائط اللاسلكية الفنية في جنوب لبنان وفي الارض المحتلة .

استمرت اعمال التصدي الذي نفذها طيراننا طيلة الفترة ، دون ان يتحقق اي اشتباك جوي مع العدو فيما عدا طائرة الاستطلاع ، الا انه كان لهذا النشاط اثر هام في تخفيف عبء القصف الجوي المعادي على مخيمات ومواقع الثورة الفلسطينية . وقد تم في هذه الفترة رفع الجاهزية القتالية لقوات الدفاع الجوي الى اقصى درجة ، وعززت اطقم مناوبتها للتصدي الفوري للطيران المخترق لمناطق عملها .

ومن الطبيعي انه في نهاية كل يوم عملياتي كانت تتم دراسة سلوك العدو الجوي وتوضع الاساليب الملائمة للعمل في اليوم التالي .

ب ــ مرحلة الاجتياح البري وحتى الاصطدام بالقوات السورية

بدأ الغزو البري للبنان حوالى الساعة ١١٫٠٠ من يوم ٦/٦ ، حيث تقدمت ارتال العدو على اربعة محاور بقوام خمسة ألوية معززة ، وقد رافق بدء الغزو تصريحات متعددة من المسؤولين الاسرائيليين تدعي محدودية

اهداف العملية (٤٠ كم) والتي اطلقوا عليها اسم السلام للجليل ، وحول عدم رغبتهم بالاشتباك مع القوات السورية .

رافق بدء الغزو البري تصعيد كبير في النشاط الجوي حيث تابع العدو خلال هذه الفترة القصف الجوي ، مركزاً الجهود على الاهداف التي يمكن ان تعيق تقدم قواته على محاورها الاربعة .

وقد ركز العدو ، بعد ظهر يوم ٦/٦ القصف الجوي والمدفعي والبحري على مناطق قرب الساحل في منطقة الصرفند ، والرميلة تمهيداً للقيام بإنزال بحري ليلة ٧/٦ ، والذي تم تنفيذه خلال الليل في منطقة الرميلة بقوام لواء بهدف عزل مدينة صيدا .

ومع توسع وزيادة محاور تقدم القوات الاسرائيلية في الاراضي اللبنانية بعد زج قوات اضافية وانزالات جوية وبحرية زاد من نشاطه الجوي ، خاصة المقاتلات القاذفة التي قامت بدعم القوات في مختلف المحاور ، مع تأمين ذلك بالمقاتلات وكافة وسائط التأمين ، واشتبك مع طيراننا فوق بيروت .

استخدم العدو في هذه المرحلة التشويش السلبي والايجابي ، والتشويش اللاسلكي لمعاكسة اعمال المقاتلات السورية ، ورغم الحجم الكبير للطيران المستخدم فقد لوحظ ان العدو يقوم بقيادته بشكل جيد من مقرات القيادة الارضية والجوية .

تابعت القوى الجوية والدفاع الجوي تنفيذ المهام المسندة بالتصدي للطيران المعادي فوق لبنان وعرقلة أعماله العدوانية حيث زجت الطائرات المقاتلة في مناطق متعددة ، خاصة في منطقة جنوب بيروت واشتبكت مع طائراته وأسقطت له طائرتين .

كما تم تنفيذ مهام تغطية القوات والاستطلاع الجوي ، حتى نهاية هذه المرحلة ، في ظروف تصاعد اعمال المعاكسة الالكترونية المعادية .

وكان لظهور الطيران السوري المتواتر فوق القوات البرية تأثيره المعنوي الكبير على المقاتلين في لبنان .

ج ــ مرحلة توسيع الغزو الاسرائيلي والاشتباك مع القوات المسلحة العربية السورية

في يوم ٦/٨ زاد العدو من حجم طلعات طيرانه بعد ان دعم قواته البرية التي دفع بها شمالا على المحاور التي يتم تحقيق أكبر نجاح فيها وبدأ منذ الساعة ٤٫٠٠ صباحاً قصف مواقع الثورة الفلسطينية والمخيمات ، خاصة في منطقة بيروت والدامور وصيدا والسعديات ، كما نفذ اول قصف جوي للقوات العربية السورية في جزين وخلدة مبتدئاً بذلك اول احتكاك له مع قواتنا البرية .

قام طيران العدو ومدفعيته البحرية بقصف مركز الرادار في منطقة خلدة باستخدام المقاتلات القاذفة والحوامات م/د ، وكرر الضربة اكثر من مرة .

وقد تصدى طيران العدو للمقاتلات القاذفة والحوامات م/د السورية التي كلفت بتسديد الضربات على أرتال العدو وتحشدات قواته .

واستخدم العدو التشويش بكافة انواعه لعرقلة عمل مقرات قيادتنا .

ان ابرز أعمال الطيران المعادي في هذه المرحلة هي العملية الجوية

لتدمير كتائب الصواريخ م/ط السورية في منطقة البقاع والتي نفذها يوم ٦/٩ .

كان العدو في يوم ٦/٩ قد وصل بقواته البرية قرب بيروت على الشريط الساحلي ، كما تقدم على محور البقاع وفي الشوف مشتبكاً في الكثير من المناطق مع القوات البرية السورية التي كانت تدافع بثبات عن مواقعها وتكبد العدو الخسائر الفادحة التي كانت ترغمة باستمرار على التوقف وإعادة اعماله القتالية وتعزيز قواه وطلب الدعم الجوي غير المنقطع والذي نشط في تنفيذ الضربات على القوات السورية منذ يوم ٦/٨ .

ورغم التصريحات العديدة التي سبق لقادة اسرائيل ان اغرقوا الصحافة العالمية بها من أنهم لايرغبون بالاشتباك مع سورية فان يوم ٦/٨ شكل الدليل الساطع على كذب هذه التصريحات ، وهكذا سار العدو الصهيوني في طريق خوض حرب على مجال واسع في لبنان مع القوات العربية السورية هناك . ومن الطبيعي والامر كذلك ان تكون مهمة تدمير كتائب الصواريخ م/ط السورية في البقاع احدى اهم المهام لهذه المرحلة .

تم تنفيذ العملية الجوية لهذه الغاية بدءاً من الساعة ١٤،٠٠ من يوم ٦/٩ .

كشفت وسائط الرادار السورية في الساعة ١٣،٥٠ ــ ١٤،٠٠ تشكيلات جوية معادية كثيفة تتجمع في المناطق من صور حتى بيروت وجنوب طرابلس وبعض التشكيلات بقيت فوق البحر في الغرب . وفي الوقت نفسه بث العدو التشويش بأنواعه على مجموع وسائط الكشف والانذار والقيادة المتوفرة في أنظمة الدفاع الجوي السوري .

اشترك في اعمال المعاكسة الالكترونية الهامة هذه طائرات « البوينغ ٧٠٧ ــ Boeing - 707 » التي بثت التشويش اللاسلكي والراداري الايجابي بالتعاون مع محطات ارضية من مواقع متعددة خاصة من جبل الشيخ ، وقامت طائرات الانذار المبكر « هوك اي ــ Hawk - Eye » بمهام الكشف والانذار وقيادة الطيران ، وبثت طائرات « سكاي هوك Sky Hawk » التشويش الايجابي والسلبي .

وقد ساهمت الطائرات بجهد التضليل والتشويش ونقل المعلومات الى مقرات القيادة ، وامتصاص الرشقة الاولى من الصواريخ م/ط .

ومع تكامل مجمل هذا النشاط المحموم واقتراب عقارب الساعة من ١٤٫٠٠ قامت طائرات « الفانتوم ــ Phantom » بقوام ٢٠ ــ ٢٤ طائرة ومن مسافات بعيدة (اكثر من ٣٥ كم) باطلاق الصواريخ جو ــ ارض من طرازات مختلفة اهمها (مافريك ، ستنادرد آرم ، شرايك) وفي الوقت نفسه اشتركت المدفعية بعيدة المدى والصواريخ ارض ــ ارض من طرازات زئيف بالقصف المركز على كتائب الصواريخ في البقاع مستهدفة بشكل اساسي محطات رادار الكشف وقيادة نيران هذه الكتائب .

كانت الطائرات المسيرة الموجودة في منطقة هذه الضربة تنقل بشكل آني نتائج القصف بعيد المدى بالاضافة الى الخدمة الكبيرة التي قدمتها بإمتصاص رشقة الصواريخ م/ط الاولى .

بنتيجة مجمل هذا القصف والتشويش المعادي المركز والمستمر ، شلت امكانيات كتائب الصواريخ بشكل مؤقت ، وبعد حوالى ١٥ دقيقة

دخلت القوة الضاربة الرئيسية بقوام ٤٠ طائرة تقريبا والمؤلفة من المقاتلات القاذفة من طرازات « فانتوم — Phantom » و « سكاي هوك — Sky Hawk » و « كفير — Kfir » الى منطقة الصواريخ في البقاع ونفذت الضربات على قواعد الاطلاق ومقرات القيادة والقوى الحية ، مستخدمة القنابل التلفزيونية والقنابل شديدة الانفجار من عيارات مختلفة ، والقنابل العنقودية . استمرت هذه الغارة حتى الساعة ١٤٫٣٥ .

وقد عادت بعض الطائرات الاسرائيلية الى قواعدها بكامل حمولاتها من القنابل دون ان تتمكن من تنفيذ الضربة على قواعد الصواريخ بسبب وجود عدد كبير من المقاتلات السورية في منطقة الاعمال القتالية منعتها من تنفيذ مهامها .

مع انتهاء الغارة الكثيفة الاولى نشط طيران الاستطلاع لمعرفة نتائج هذه الغارة واكتشاف واقع امكانيات الكتائب المتبقية بغية استدعاء المقاتلات القاذفة الموجودة في الجو للتعامل معها ريثما يتم تجهيز قوى الضربة الكثيفة الثانية .

في الساعة ١٥٫٤٥ وبعد أن تم تأكد العدو من نتائج الغارة الجوية الكثيفة الاولى وعدم امكانية كتائب الصواريخ في تنفيذ رمي منظم ضد طيرانه نفذ ضربة جوية كثيفة ثانية استهدفت هذه المرة بشكل اساسي مرابض الصواريخ وتراتيب قتال القوات البرية ، ومجمل القوى الحية في المنطقة مستخدما القنابل الثقيلة شديدة الانفجار والقنابل العنقودية المضادة للاشخاص والآليات مع الاصرار المستمر على بث التشويش الشديد بكافة انواعه . استمرت هذه الغارة حوالى نصف ساعة .

بعد الغارة الثانية وحتى المساء ، تابع العدو طيرانه بنشاط وحرية بعد ان تخلص من تأثير الصواريخ منفذاً أعمال الاستطلاع في المنطقة نفسها للبحث عن الاهداف التي لم تدمر بعد ومهاجمتها ، كما قام بقصف طريق دمشق ــ بيروت في منطقة المصنع وشتورة واحدث حفرا كبيرة لاعاقة الامداد والاخلاء الطبي ليلا .

قامت المقاتلات الاسرائيلية من طراز « ف ــ ١٥ F - 15 » و « ف ــ ١٦ F - 16 » بقوام ٢٠ ــ ٣٠ طائرة ، بنشاط واسع لتأمين اعمال المقاتلات القاذفة ، بالدخول في معارك عديدة مع المقاتلات السورية التي زجت للدفاع عن كتائب الصواريخ ، مستهدفة اسقاط اكبر عدد منها في الجو .

في ليل ٩ ــ ٦/١٠ خفف العدو وتيرة طيرانه وعاد منذ صباح ٦/١٠ الى الاعمال النشيطة جداً حيث اصبح متمتعاً بحرية عمل كبيرة في منطقة البقاع بعد خروج الصواريخ م/ط من المعركة . استهدفت هذه الاعمال يومي ١٠و١١ حزيران ، دعم القوات في محاور التقدم التي اقتربت من طريق دمشق ــ بيروت عبر عدد من المحاور المنتشرة في الجبل ، مركزاً جهوده على سهل البقاع حيث اشتركت المقاتلاتّ القاذفة والحوامات م/د المعادية بالتأثير على القوى البرية من صباح يوم ٦/١٠ وحتى وقف اطلاق النار يوم ٦/١١ كما استهدف العدو الارتال الصديقة اثناء تحركها في البقاع الشمالي ، ومركز الرادار في رياق ، ومقر القيادة في شتورة .

وقد نفذ العدو يوم ٦/١٠ انزالا تكيتيكاً على المرتفع ١٩٤٢ في

الباروك واقام عليه مقر قيادة متقدماً ، يتميز بإمكانيات كبيرة بسبب الموقع الجغرافي الممتاز .

تميز يوما ١٠ و ٦/١١ بنشاط كبير بذلته المقاتلات الاسرائيلية في التصدي للطيران السوري الذي ينفذ مختلف المهام في سماء لبنان واشتبكت معه في معارك عنيفة خسر بنتيجتها عددا كبيرا من الطائرات كما اسقط لنا فيها بعض الطائرات السورية .

وفي مجمل النشاط الجوي الاسرائيلي المنفذ خلال هذه المرحلة من مراحل الحرب لوحظ المستوى العالي في تأمين الاعمال القتالية سواء بالوسائط العضوية في الطائرات القتالية ، او الوسائط العامة للتشويش بكافة انواعه ، الامر الذي أدى الى الاقلال من خسائره في المعارك بشكل ملحوظ ، كما عرقل اعمالنا ضد قواته البرية والجوية .

وبعد ان تكبد العدو خسائر بالغة بأرتاله المدرعة يوم ٦/٩ بنتيجة قصف المقاتلات القاذفة ، ورمايات الحوامات م/د السورية ، قام بتعزيز قدرات م/ط القوات منذ صباح ٦/١٠ والتي كان لها اثر ملحوظ على الطيران السوري في هذا اليوم وفي اليوم التالي ، وعلى الأخص بالنسبة للحوامات م/د .

لقد بذل الطيران السوري في هذه المرحلة من الحرب جهودا بطولية جبارة في الصراع مع العدو الجوي والبري ، منفذا مختلف المهام ، في ظروف بالغة التعقيد ، ملائمة للعدو أكثر مما هي ملائمة له ، ورغم ذلك اندفع الطيارون البواسل بحماس منقطع النظير للمساهمة بأوفر قسط في صد العدو الغاشم عن القوات الصديقة في لبنان .

فمنذ يوم ٦/٨ ومع بدء الاحتكاك بين قوات العدو وقواتنا أسندت المهام للطيران المقاتل القاذف بتنفيذ ضربات مركزة على أرتال العدو في منطقة جزين ، كما أسندت المهام للحوامات م/د لضرب أرتاله المتقدمة على المحاور المختلفة في الشوف والبقاع الجنوبي . ونفذت المقاتلات السورية مهامها بوتائر عالية وأسقطت للعدو بعض طائراته ، خاصة في منطقة بيروت والدامور ، كما تم تنفيذ الاستطلاع المستمر بكافة أنواعه .

ونظراً لأعمال المعاكسة الالكترونية النشيطة التي قام بها العدو على وسائط الدفاع الجوي الصديق ونظرا الى عدم دخول الطائرات المعادية الى مناطق تأثير كتائب الصواريخ بشكل محدود ، فإن اعمال قوى الدفاع الجوي السورية لم تتميز بالنشاط الكبير وتم فتح النار على بعض الاهداف المكتشفة ضمن مناطق التأثير وأسقطت واحدة من الطائرات المسيّرة يوم ٦/٨ .

في صباح يوم ٦/٩ تابعت القوى الجوية تنفيذ المهام المسندة حيث نفذت المقاتلات التصدي للطيران المعادي الذي يقوم بقصف قواتنا البرية واشتبكت معه في عدة معارك وأسقطت له طائرة من طراز ف ـــ ١٦ في منطقة القرعون كما تتالى زج الحوامات م/د لتسديد الضربات على أرتال العدو المتقدمة على المحاور المختلفة .

لقد تميز يوم ٦/٩ بالعمل البطولي للطيران السوري في صد الضربة الجوية الكثيفة التي نفذها العدو ضد كتائب الصواريخ م/ط في البقاع .

عند بدء ظهور التشكيلات الجوية المعادية الكثيفة وهي تتجمع في الساحة اللبنانية ، أسندت المهة لكتائب الصواريخ للعمل بشكل حر دون

تدخل المقاتلات لاعطاء هذه الكتائب اكبر حرية في التصدي للطيران المعتدي ، فاشتبكت مع بعض الطائرات ، وأسقطت خمسا منها .

وبعد أن أبلغت كتائب الصواريخ عن صعوبة قيامها بالتعامل مع العدو الجوي نظراً لتلقيها الضربة على وسائط القيادة وكثافة التشويش ، ثم فورا زج الطيران المقاتل بأعلى وتيرة من مناطق المناوبة في الجو ، وعلى الارض ، حيث تتالت الاقلاعات الفورية من المطارات المختلفة ، واندفعت المقاتلات من كافة الاتجاهات نحو منطقة البقاع ، حيث جرت اكبر معركة جوية بين المقاتلات الحديثة ، تم عبرها اسقاط عدد كبير من طائرات العدو ، ولم تترك للعدو حرية العمل فوق قواتنا ، رغم التفوق الواضح الذي استطاع حيازته ، من خلال ضرب كتائب الصواريخ وأعمال المعاكسة الالكترونية الفعالة ، وغير ذلك من العوامل .

لقد تم خلال فترة أقل من ساعة زج ٧٠ طائرة مقاتلة سورية للتصدي للضربة الكثيفة في منطقة عمل الصواريخ م/ط المحدودة في البقاع ، لمواجهة اكثر من ٩٠ طائرة من طائرات العدو المقاتلة والمقاتلة القاذفة حتى اصبحت سماء البقاع غاصة بالطائرات الصديقة والمعادية وتشتبك في معركة خالدة سطر فيها الطيارون السوريون الابطال أمجد الصفحات للذود عن أمتهم وردع العدو الغاشم .

وخلال تلك الفترة ، وحتى مساء ٦/٩ لم تتوقف حوامات م/د غازيل السورية عن ضرب أرتال العدو المتقدمة بالرغم من الظروف الجوية المعقدة وتمكنت من تدمير عدد كبير من آلياته ولم نخسر اية حوامة .

في نهاية يوم ٦/٩ وضعت الخطط الملائمة للعمل في اليوم التالي على ضوء الموقف الجديد .

شكل خروج كتائب الصواريخ م/ط من المعركة في البقاع عبئاً اضافياً في أعمال تغطية القوات والتصدي للطيران المعادي في لبنان ؛ وهكذا فمنذ الصباح الباكر ليوم ٦/١٠ تتالى زج المقاتلات القاذفة والمقاتلات والحوامات م/د نحو ساحة المعركة لتنفيذ مهام تدمير العدو البري والجوي حيثما وجد .

نفذت المقاتلات القاذفة السورية يومي ١٠ و ٦/١١ ضرباتها على أرتال وتجمعات العدو وأنزلت بها خسائر فادحة ، وكان من أهم ما نفذه طيراننا المقاتل القاذف الضربة المركزه يوم ٦/١١ على مقر قيادة العدو المحدث في جبل الباروك حيث أصيبت إصابات مباشرة تكبد العدو بسببها خسائر بالغة بالعتاد والافراد أكثرهم من الضباط .

تميز عمل الطيران المقاتل بالحماس الكبير الذي ملأ نفوس الطيارين البواسل حيث تدافعوا نحو الطائرات للاقلاع بها لملاقاة العدو الجوي ، وحصلت عدة اشتباكات مع الطيران المعادي اسقط بها عدد كبير من الطائرات .

لقد قام الطيران المقاتل بتغطية القوى البرية في سهل البقاع اثناء أعمالها الدفاعية ، وتغطية القوى القائمة بالضربة المعاكسة .

اما الحوامات م/د فقد نفذت يومي ١٠و٦/١١ مهام التصدي لارتال العدو المتقدمة الى الشمال والشرق في محاور الباروك ـــ عين

زحلتا ــ راشيا ــ جرف المنطار ــ مشغرة ــ عين التينة ــ كفريا ــ لبابة ــ كفرمشكي ــ جب جنين ــ قرعون .

ورغم تعرضها يومي ١٠و١١/٦ لنيران الدفاعات الارضية بشكل كثيف فإنها قامت بمهامها بكفاءة عالية وكبدت العدو خسائر كبيرة وتمكنت من ايقافه في عدد من محاور تقدمه .

قامت حوامات النقل الجوي يوم ١٠/٦ بتنفيذ انزال تكتيكي للقوات في منطقة غزة في سهل البقاع بهدف تدمير وصد القوات البرية المعادية المتقدمة باتجاه الباروك ــ كفريا ، وعادت كافة الحوامات بعد تنفيذ المهمة بنجاح الى مطاراتها دون أية خسائر .

بالاضافة الى الظروف غير المناسبة التي واكبت اعمال مختلف صنوف الطيران العربي السوري بسبب الموقع الجغرافي لساحة المعركة وطبيعة الارض ، وكثافة أعمال المعاكسة الالكترونية المعادية ، وظروف الرؤية السيئة باتجاه الغرب في ساعات بعد الظهر . فقد اضطر طيراننا للعمل بكثافة كبيرة بعد ان فقد قسما هاماً من العون الذي كان يلقاه من كتائب الصواريخ م/ط في البقاع في صد الطيران المعادي . ورغم ذلك فان قوى الدفاع الجوي م/ط صواريخ ومدفعية تابعت العمل وجرى تعويض بعض خسائرها حيث اشتبكت مع الطيران المعادي وأسقطت له عددا من الطائرات .

لقد تضافرت جهود الصنوف المختلفة من الطيران مع جهود القوات البرية يومي ١٠و١١/٦ ، وتحقق بذلك صد قوات العدو ومنعها من تحقيق مآربها في الوصول الى طريق دمشق ــ بيروت واحتلال البقاع وذلك

بفضل الاعمال البطولية والمآثر الخالدة التي سطرها رجال القوى الجوية البواسل بالتعاون مع القوات البرية .

بعد اقرار وقف اطلاق النار يوم ١١ /٦ الساعة ١٢٫٠٠ ، استمر الطيران العربي السوري في تنفيذ مهام تغطية القوات والمجال الجوي للبلاد والتصدي للعدو اذا خرق وقف اطلاق النار .

ومن خلال الاعمال القتالية المنفذة طيلة فترة الحرب وبالرغم من التفوق الجوي الواضح للعدو فقد حققت القوى الجوية انتصارات عظيمة ، وكبدت العدو خسائر بالغة لم يكن يتوقعها كما ورد في العديد من تصريحات مسؤولة ورغم التناقض الواضح فان العدو ـــ كعادته ـــ لم يعترف على الصعيد الرسمي الا بجزء من خسائره الفعلية .

لقد بلغت خسائر العدو المبلغ عنها والتي كبدته اياها القوى الجوية والدفاع الجوي السوري خلال فترة الحرب/٤٩/ طائرة من مختلف الطرازات وتدمير /٩٥/ هدفاً برياً بالحوامات م/د ، (٧١ دبابة ، ٥ عربات مصفحة ، ٣ شاحنات ، ٢ مدفعين ، ٩ آليات مختلفة ، ٥ صهاريج وتجمع أفراد) مع اصابة طواقم هذه الاهداف ، كما تم تدمير عدد كبير من عتاد العدو وأفراده نتيجة قصف الطيران المقاتل القاذف لتحشدات قواته وأرتاله في ساحة المعركة وعلى محاور التقدم ، كما تم اصابة مقر قيادة العدو في الباروك . وفي التقرير الذي رفع الى لجنة الامن في الكنيست اعترف العدو بفقدان ٢٣ طائرة مقاتلة وحوامة .

ان النتائج المشرفة التي حققتها القوى الجوية السورية لم تتم دون بذل ضريبة الدم .

الفصل السّابع

القتال في البقاع

١ ــ مقدمة .
٢ ــ سهل البقاع .
٣ ــ المبادىء التي اعتمدتها القيادة العسكرية الاسرائيلية في عملياتها ضد القوات السورية في البقاع .
٤ ــ موقعة البقاع .
٥ ــ حجم القوات السورية والاسرائيلية التي عملت على اتجاه البقاع ، وسير الاعمال القتالية .
٦ ــ معارك الدبابات .
٧ ــ قتال الاسلحة المضادة للدبابات .
٨ ــ ابرز سمات موقعة البقاع .

١ ــ مقدمة :

لم تشكل المعارك في البقاع حربا كاملة ، بل كانت جزءا يؤثر ويَتأثر بمعارك أخرى جرت على الساحة اللبنانية ، فرضتها سياسة اسرائيل العدوانية عن طريق فرض الامر الواقع ، بهدف تغييب القوة العسكرية السورية الفاعلة ، حتى اذا ما حدث ذلك أمكن تدجين الجبهات العسكرية الاخرى بسهولة ودونما مقاومة .

ومهما يكن من أمر فإننا لا نستطيع أن ننكر ان عمليات البقاع كانت نوعاً متطوراً في العمل العسكري ، بفضل الاسلحة والذخائر الحديثة المستخدمة ، ولا ننكر ايضا ان النتائج التي أسفرت عن هذه المعارك قد أثرت ولا شك على القدرة الاستراتيجية السورية الموجهة الى تحقيق التوازن الاستراتيجي مع اسرائيل ، وعلى ترشيد جاهزية القوات السورية لصالح تحقيق هذا التوازن .

وبغض النظر عن بعض النتائج التقنية للصدام العسكري المسلح في البقاع ، فقد برز عنصر « عدم التكافؤ » في أكثر مراحل موقعة البقاع ،

وهو يتبع بالضرورة غياب عنصر التوازن في نسبة القوى والوسائط المشتركة .

لقط خططت اسرائيل لقتالها مع القوات السورية ، في البقاع بحيث تكون هذه الحرب « غير معلنة وتقليدية وقصيرة ومحدودة ، لخفض احتمالات الحرب الواسعة » وبصورة عامة يمكن القول ان غزو اسرائيل للبقاع كان اصرارا اسرائيليا داخليا على المزج بين السيطرة العسكرية واللاأخلاقية السياسية ، هدفه تذكير سورية بأن اسرائيل قوة لاتهزم عسكريا ، وانه لا جدوى من الصراع المسلح او المجابهة العسكرية في سبيل تحقيق ما تسعى اليه سورية من أجل القضية الفلسطينية . كما يمكن القول ايضا ان القيادة السورية لم تفاجأ بالاجتياح الاسرائيلي للبنان ، وكانت تدرك ان اسرائيل اذا ما خرقت الجنوب اللبناني فان القوات الاسرائيلية ستهاجم القوات السورية في البقاع ، لان دوافع اسرائيل لاتتصل بالوجود الفلسطيني وحده على الساحة اللبنانية ، وإنما تنطلق من اعتبارات تتعلق بالرغبة في :

- اسقاط امكانات سورية في مواجهة الخيار العسكري الاسرائيلي لشل فاعلية دورها الوطني والقومي واشاعة مناخ الاستسلام في المنطقة .
- اخراج القوات السورية من لبنان بعد إلقاء أثقال كل التبعات والتجاوزات على كاهل سورية ضمن حملة تشهير منظمة ومنسقة لتهيئة مناخ الغزو . كتب المراسل ــ دور ميدلتون ــ في النيويورك تايمز بتاريخ ١٩٨٢/١٠/٢٨ « ان اسرائيل تشعر بقلق من تزايد القوة العسكرية السورية ــ وان سورية تشكل خطراً مباشراً على

اسرائيل ، وان سلاح المدرعات السوري خاض حربا دفاعية فعالة في لبنان ، وان القوات السورية ظلت متشبثة بمواقعها رغم القصف الجوي والمدفعي الاسرائيلي الكثيف » وقال أيضا : « ان الطيارين السوريين جريئون ومثابرون وشجعان » .

○ استكمال الهيمنة الامبريالية والصهيونية ، من خلال ضرب أسس الصمود العربي ، تمهيداً لعقد اتفاقيات مشابهة لاتفاقية كامب ديفيد في غياب الموقف العربي الرادع .

وهنا يبدو واضحا ان جميع أهداف اسرائيل تمس بشكل مباشر او غير مباشر المصالح القومية العربية العليا ، لذلك رأت القيادة السورية إرفاق التوجهات الديبلوماسية بالحد المطلوب من العمل العسكري ، ليس بالضرورة من أجل احراز التفوق العسكري على القوات الاسرائيلية الغازية ، ولكن من اجل ردم بعض جوانب الثغرة الاستراتيجية مع العدو الصهيوني ومنعه من تحقيق اهدافه العدوانية .

لقد افرز ثبات القوات المسلحة السورية وصمودها نتيجة لعلها من بين النتائج الاخرى الاكثر رسوخاً وأهمية ، اذ اتضحت على نحو لا يثير أي التباس مصداقية القطر العربي السوري كطرف هام من أطراف الصراع العربي ـــ الصهيوني ، قادر على تحمل المسؤولية القومية واتخاذ القرارات السياسية والعسكرية على اي مستوى .

وقد تحدث عدد من القادة والمراسلين عن معارك البقاع ، ووصفوها بالضراوة والعنف الشديدين ، وأكدوا ان القوات السورية استطاعت

الصمود في وجه الغزو ، والتصدي للقوات الاسرائيلية المعتدية بكل جرأة وبسالة ..

فقد جاء على لسان اللواء « امير دروري » قائد المنطقة الشمالية[1] :

« يجب عدم الاستهانة بالسوريين .. فالجنود السوريون قاتلوا بشكل جيد ، وهم مسلحون بأفضل أنواع الأسلحة » .

وتجدر الاشارة الى ان اللواء امير دروري هو من الذين حاولوا تبرير عملية غزو لبنان « بأنها ضربة استباقية ضد هجوم سوري مستقبلي على اسرائيل »[2] « وان القوات السورية في لبنان قد تحولت من قوة أمن الى تهديد استراتيجي »[3] وهذا يكشف أهمية العامل العسكري السوري بالنسبة الى اسرائيل ، ويعكس واقع التخطيط الاسرائيلي العسكري قبل الحرب اللبنانية وخلالها على واقع الصراع العربي ـــ الصهيوني برمته .

ان تضحية القوات السورية وبسالتها برهنت على ان هذه القوات آمنت بشرعية اعمالها ، وحولت هذا الايمان الى واقع ملموس في ميدان المعركة . وهذا يعود الى تركيبة تلك القوات ، التي تعتمد اساسا على وجود نسبة كبيرة من المتعلمين والمثقفين في صفوفها ، وعلى الوعي السياسي والنضوج الفكري ، والايمان المطلق بعقيدة حزب البعث العربي الاشتراكي .

---

(١) النشرة الإستراتيجية العدد ١٦ تاريخ ١٩٨٢/٩/٩

(٢) النشرة الاستراتيجية العدد ١٦ تاريخ ١٩٨٢/٩/٩

(٣) جريدة هاآرتس بتاريخ ١٩٨٢/٥/١٥ .

٢ ـــ سهل البقاع

يتألف سهل البقاع من القسم الاول من حوض العاصي في الشمال ، ومن القسم الاول من حوض الليطاني في الجنوب . وتشرف على سهل البقاع من الغرب سلسلة جبال لبنان الغربية ، وهي سلسلة توازي البحر من الغرب وتنحدر الى وادي البقاع الالتوائي ، والممر الاسهل للوصول الى البقاع هو ظهر البيدر الذي يناهز ارتفاعه ١٥٤٣ متراً وجبل الباروك ١٩٤٨ متراً وجبل صنين ٢٥٤٨ مترا . وتطل على سهل البقاع من الشرق السفوح الغربية من جبال لبنان الشرقية ، التي يبلغ ارتفاعها في جبل موسى ٢٦٢٩ مترا والسفوح الغربية من جبل الشيخ الذي ترتفع قمته الجوراسية الجرداء الى ٢٨١٤ متراً .. كما يتخلل هذا السهل الكثير من القرى والوديان والممرات الاجبارية موزعة على كامل مساحته ، وعدد لا بأس به من الطرقات والمحاور الطولانية والعرضانية ، وبعض المرتفعات الاخرى التي يتراوح ارتفاعها بين ١٠٠٠ ـــ ١٢٠٠ متر .

ويمتد اتجاه البقاع الشرقي عبر سهل البقاع الذي يتراوح عرضه بين ١٢ ـــ ٣٠ كم ، ويحده من الغرب نهر الليطاني وسلسلة جبل الباروك ، من الشرق سلسلة جبال الشيخ وجبال لبنان الشرقية .

تعتبر اسرائيل سهل البقاع امتدادا شماليا لعمق « اسرائيل » الاستراتيجي ، الذي يحقق أمن المستعمرات الاسرائيلية ، والدفاع عن الاراضي العربية التي احتلتها في عدوان حزيران ١٩٦٧ فهو :

- يؤمن عزل جبهة الجولان ، على اكثر من اتجاه ، ويسهل نقل الجهود العسكرية الى جبهات اخرى ، كما ويمنع القوات السورية من تحقيق مناورة ضرب القوات الاسرائيلية المتمركزة في الجولان من الاتجاه اللبناني .

- يؤمن سهولة نقل الحرب الى عمق الاراضي العربية السورية ـــ اللبنانية ، دون ان تشكل الحرب تهديداً فعلياً للعمق الاقتصادي والعسكري لاسرائيل .

- يؤمن الانتقال بالخيارات العسكرية الإسرائيلية من موقع الضيق على كافة جبهاتها في محاولة شاملة للانتقال الى مواقع جديدة توفر لها الانفراج في توفير ضمانات دفاعية جيدة وفي تشكيل قوة رادعة كافية ضد اية محاولة عربية لخوض حرب مفاجئة من جانب العرب كما حدث في تشرين الاول عام ١٩٧٣ .

- تأمين الرصد المباشر للتحركات العربية براً وجواً وبحراً ، وذلك بتشكيل ترابط في الرصد والمراقبة والتنصت ، اطرافه مرصد جبل الشيخ وجبل الباروك وجبل صنين .

وهذا ما أكده مناحيم بيغن في الخطاب الذي ألقاه امام الكنيست يوم ١١ أيار ١٩٨١ عندما قال « ان من يسيطر على جبل الشيخ وجبل صنين والاجواء اللبنانية سيطر على لبنان كله ».

٣ ـ المبادىء التي اعتمدتها القيادة العسكرية الاسرائيلية في عملياتها ضد القوات السورية في البقاع

- تكثيف حجم القوات المشتركة من مختلف الصنوف ، مع تقديم الدعم الناري لها الى أكبر حد ممكن خاصة الدعم الجوي .
- تحقيق المفاجأة والمناورة والالتفاف والتطويق لتجنب المواجهة العسكرية المباشرة مع القوات العربية السورية من أجل الاندفاع السريع باتجاه الشمال بأقل خسائر ممكنة .
- استخدام الطلائع والمقدمات والانزالات الجوية .
- تأمين كثافة نارية كبيرة وصلت الى حد الاسراف ، بغية تخفيض الروح المعنوية للقوات السورية ، وايقاع اكبر الخسائر الممكنة فيها .
- الاستفادة من طبيعة الارض في تحقيق التسرب الى اجناب القوات السورية ومؤخراتها ، وفي تأمين التقرب السريع لانساقها الثانية واحتياطاتها ، والضرب بقوة لتحقيق الحسم السريع .
- تثبيت القوات السورية على جبهة الجولان من خلال دفع قوات مدرعة جديدة الى بعض مناطق الهضبة السورية المحتلة قدرت بحدود فرقتي دبابات .

الاسلوب الذي نفذته القوات الاسرائيلية على اتجاه البقاع

- استخدمت المستجدات التكنولوجية والتكتيكية الطارئة على مسرح العمليات .

- قامت بتكثيف القوى براً وجواً على اتجاه الهجمات المعاكسة للقوات السورية ، لمنع تلك الهجمات من تحقيق اهدافها .
- عزلت ميدان المعركة ، ومنعت تعزيز المواقع الدفاعية للقوات السورية بالاحتياطات والانساق الثانية ، عن طريق الاستفادة حتى اقصى حد ممكن من نواحي التفوق التي تمتعت بها القوات الجوية الاسرائيلية .
- اعتمدت العمليات الالكترونية ووسائل الرصد والانذار والاستطلاع والتحكم والتشويش وبصورة خاصة على الاجيال الجديدة من الذخائر الموجهة .
- اعتمدت على الكثافة النارية والقصف الكثيف لمناطق تمركز القوات وللمناطق الآهلة بالسكان .

٤ ـ موقعة البقاع

دارت فوق ارض البقاع وفي سمائه اشد المعارك البرية والجوية واقساها ، بالقياس الى حجوم الاسلحة التي استخدمت فيها وانواعها . وبالرغم من نشوب حروب عديدة واحتدام عشرات الازمات والاحداث الدولية ، فقد شدت موقعة البقاع الانتباه المحلي والعربي والدولي بشكل كبير . .

لقد خاضت القوات السورية القتال وحدها تقريبا ضد قوات ضخمة حشدتها اسرائيل براً وجواً ، واستطاعت منع العدو من تحقيق اهدافه النهائية ، ولم يتم ذلك نتيجة لضغوط عربية او دولية ، بل بسبب

المقاومة الصلبة التي ابدتها القوات السورية والهجمات المعاكسة التي نفذتها بنجاح .

فقد ذكر العديد من المصادر الاجنبية ان القوات السورية منعت القوات الاسرائيلية من تحقيق كامل اهدافها في الوصول الى بعض مناطق البقاع الشمالي .

قالت التايمز :

« ان الروح المعنوية القتالية العالية للقوات السورية التي تصدت للغزو الاسرائيلي في البقاع كانت موضع اعجاب » .

واعترف شارون في مؤتمره الصحفي يوم ١٩٨٢/٦/١١ ان « الجيش السوري فتح منذ اليوم الاول للقتال نيران المدفعية على وحداتنا المتقدمة وزج بطائراته ضد طائراتنا وذلك ماعرقل تقدم قواتنا » .

واعترف الجنرال ايتان لصحيفة هاآرتس بتاريخ ١٩٨٢/٦/٢٠ بكفاءة المقاتل السوري وعناده فقال « إن تصلب وعناد السوريين أمران معروفان دوماً وأبداً »[1] .

ونشرت جريدة النجم الاحمر السوفييتية في عددها الصادر بتاريخ ١٩٨٢/٧/٢٩ مقالا مطولا اشادت فيه بمهارة القوات السورية في البقاع ، ومما جاء فيه :

« ان القوات السورية اظهرت مهارة عالية في استخدام الاسلحة والمعدات الحربية التي تمتلكها ، وتصدت بنجاح لهجمات القوات

---

(١) صحيفة دافار بتاريخ ١٩٨٢/٦/٢١

الاسرائيلية المعتدية وكبدتها خسائر كبيرة بلغت أكثر من ١٢٠ دبابة ومدرعة » .

بالرغم من التفوق الاسرائيلي ، فقد جوبهت قوات الغزو على اتجاه البقاع بمقاومة ضارية وواسعة عرقلت تقدمها ومنعتها من تحقيق اهدافها ، واوقعت بها خسائر كبيرة ، فاقت باعتراف الاسرائيليين انفسهم تلك التي كانت من نصيبهم خلال حروبهم السابقة . ففي مقابل مخطط « النزهة العسكرية » الاسرائيلي ، اتبعت القوات السورية تكتيكاً خاصاً ومتميزاً ، وانسحبت القوات السورية من الاماكن التي لم يكن بالامكان الاحتفاظ بها لتظهر من جديد على اتجاهات اخرى اكثر قوة ومنعة وصموداً .

وقد اكد هذه الحقائق اللواء باركو خفا قائد سلاح الدبابات الاسرائيلي عندما قال :

« ان الحرب في البقاع جرت في جبهة واحدة .. وخلاصة ما اراه هنا هو انني اؤيد الجهات التي تقول ان القوات السورية لم تصب بزعزعة أو ضربة قاصمة . وان ثقتها بنفسها ماتزال قائمة وقوية »[1] .

وباقتضاب يمكن القول إن القوات الاسرائيلية فشلت في تحقيق اهدافها العسكرية النهائية التي سعت اليها من حيث محاولتها ابعاد القوات السورية الى ما وراء الحدود السورية مع لبنان ، وايقاع الخسائر الكبيرة فيها بحيث لا تستطيع بعد ذلك ان توجه اي تهديد مباشر للقوات الاسرائيلية على الاقل في المدى المنظور .

---

(١) صحيفة يديعوت احرونوت بعدديها الصادرين بتاريخ ٩/١٧ و ٩/٢٦

فقد جاء على لسان الجنرال الفرنسي « جورج بوي » ـــ وهو محلل عسكري استراتيجي ـــ في دراسته النقدية للمعارك التي خاضتها القوات السورية ضد القوات الاسرائيلية الغازية ما يلي :

« في البقاع الحقت القوات الاسرائيلية جراحاً مؤلمة بالقوات السورية ، وبالمقابل الحقت القوات السورية جراحاً مؤلمة ايضاً بالاسرائيليين » .

○ منذ اللحظات الاولى للغزو ، وبالضبط حين بدا انه سيتتابع في صور اجتياح كامل وعلى مراحل وموجات ضاغطة دافعة ، أعلنت سورية عن التزامها القومي تجاه لبنان الشقيق ، واستنفرت قواتها المسلحة العاملة ضمن قوات الردع العربية ، وأكدت القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة ان الأوامر اعطيت للقوات هناك بالتصدي للغزو الاسرائيلي بالوسائل كافة .

○ في ضوء الاعتقاد الذي كان سائداً انه ما من دولة عربية تستطيع بقواها الذاتية منفردة مواجهة اسرائيل عسكرياً ، كان التوقع ان الحرب في لبنان ستحسم خلال أيام قليلة . وعلى هذا الاساس أرادت سورية بقرارها خوض القتال منفردة ضد القوات الاسرائيلية الغازية أطول مدة ممكنة تحقيق عدد من الاهداف أهمها :

ـــ توفير موقف عربي جماعي تجاه الغزو ، ودفع الامكانات العسكرية العربية كلها أو جزء منها باتجاه ساحة الصراع المسلح في لبنان .

ـــ الاتجاه الى ابقاء معارك البقاع مفتوحة ، تمهيداً لدخول عدد من دول المواجهة والمساندة في المعركة .

ـــ التأكيد ان غزو لبنان هو ردع متسلسل على الطريقة الاسرائيلية ، يتم عبر ضرب قوى الثورة الفلسطينية لردع القوات السورية ، ومن ثم الانفراد بالقوات السورية في البقاع لتأكيد هذا المفهوم ولردع الدول العربية الاخرى .

ـــ اعطاء الفرصة المناسبة للدول العربية التي لاتستطيع تقديم جهود عسكرية في حرب لبنان لاسباب تتعلق بها ، او بسبب العوائق الجغرافية ، لزج طاقاتها الاقتصادية واستخدامها مع الضغوط السياسية المناسبة لتحقيق اهداف الصراع القائم ، والتي خلفت رغم انتصارات تشرين الاول ١٩٧٣ اثراً لا يمحى ، بعد ان طمست خيانة العميل انور السادات هذه الاهداف .

ولما كانت ظروف الاختلال في ميزان القوى الاستراتيجي قد شكلت الفرصة الاستراتيجية المؤاتية لتنفيذ الغزو الاسرائيلي ، فان نتائج المواجهة العسكرية السورية ـــ الاسرائيلية في البقاع قد عكست الى حد بعيد الحقائق التالية :

ـــ المعارك البرية والجوية لم تتم في مكان او زمان اختارتهما القيادة العسكرية السورية ، والغزو كان بمبادرة اسرائيلية وبدعم امريكي كامل ، بعد تحضير مسبق وطويل ومدروس .

ـــ جرت المواجهة العسكرية بين القوات السورية والقوات الاسرائيلية بشكل مباشر وسريع وحاسم . رغم ان اسرائيل حاولت في مراحل الحرب الاولى تمويه نواياها العدوانية حيال القوات السورية في البقاع .

لقد نفذت اسرائيل خطة كاملة ، ادخلت فيها عاملين هامين لصالحها :

الاول : عامل التموية واخفاء النيات .

الثاني : عامل المفاجأة بالقوى والمكان والزمان .

وذلك من اجل :

○ الوصول الى تحقيق اهداف عسكرية اقليمية محددة ، ليس في جنوبي او غربي لبنان فحسب ، بل على محاور حيوية اخرى مثل طريق بيروت ــ دمشق ، مع الاستفادة القصوى من التفوق الجوي الذي حققته ، قبل ان تسارع القيادة العسكرية السورية الى اتخاذ تراتيب القتال الملائمة لطبيعة الاعمال القتالية المنفذة ، والى تحريك قواتها من العمق الى مناطق العمليات الحربية .

فقد سعت اسرائيل وبأقل خسائر ممكنة وبأقصر وقت للوصول الى طريق بيروت ــ دمشق عن طريق البقاع بهدف فرض الامر الواقع وقد أكد هذه الحقيقة العديد من المصادر :

ومما جاء في جريدة النجم الاحمر السوفييتية في عددها الصادر بتاريخ ١٩٨٢/٩/١ مايلي :

« صرحت المصادر الاسرائيلية بان المواقع السورية ستتحطم ، وان الطريق سيصبح مفتوحاً امام القوات الاسرائيلية .. ولكن النتائج كانت مغايرة كلياً .. فقد صمد السوريون ببسالة فائقة امام هجمات القوات الاسرائيلية . واذا حقق الاسرائيليون بعض النجاحات فذلك كان عبر

خسائر كبيرة حتى ان الاسرائيليين ارغموا في اكثر من موقع على التراجع والهرب تاركين وراءهم اسلحتهم وعتادهم » .

- تأمين الظروف الملائمة (معارك محدودة ـــ استقرار مؤقت وهدوء نسبي في البقاع) ، وذلك لتنفيذ ضربة جوية مباغتة ضد القواعد الصاروخية ارض ـــ جو السورية المتمركزة في البقاع واخراجها من المعركة ، تمهيدا لتسريع هجوم القوات البرية الاسرائيلية العاملة على اتجاه البقاع .
- ايجاد انطباع بان الغزو عملية محدودة ، وعلى مراحل ، على غرار عملية عام ١٩٧٨ ،وذلك من اجل التقليل من ردود الفعل العربية والعالمية .
- الاساءة الى سمعة سورية والتشكيك بدورها في خدمة الامن القومي العربي .
- التخفيف من احتمالات الصدام العسكري الشامل مع القوات السورية على جبهتي المواجهة في البقاع والجولان .

وفي الوقت الذي كانت فيه كل الدلائل تشير الى ان المؤسسة العسكرية الاسرائيلية تخطط لجعل اجتياحها للبقاع مدخلا لحرب شاملة مع سورية ، على اساس ان الحرب واقعة لامحالة قبل ان تستكمل سورية استعداداتها لمثل هذه الحرب ، حاول الاعلام الاسرائيلي بالتنسيق الكامل مع وسائل الاعلام الامريكية والغربية التعتيم في الايام الاولى للغزو على مشاركة القوات السورية في التصدي له ، وذلك لتحقيق عدة اهداف اهمها :

○ تغذية حملة التشكيك التي تشنها بعض الانظمة العربية ضد سورية ؛ وقد كشفت صحيفة عل همشمار الصهيونية في عددها الصادر بتاريخ ١٩٨٢/٦/٢١ ان الهدف من الادعاء الاسرائيلي بان اسرائيل لاتريد الحرب مع سورية هو وضع سورية امام مشكلة خطيرة . فقد قالت الصحيفة : « ان عدم تدخل سورية في الحرب الدائرة في لبنان هام لنا ليس فقط بسبب ميزان الدماء الخطير جداً والمرتقب في مثل هذه الحالة ، بل هام ايضاً من اجل وضع السوريين امام مشكلة خطيرة وهي فقدان مكانة سورية في الوطن العربي » .

كما كشفت الصحيفة ذاتها ان في الحكومة الاسرائيلية اتجاهاً قوياً يرى انه يجب استغلال الفرصة الحالية لتصفية الحساب مع سورية مرة والى الابد .

٥ ـ حجم القوات السورية والاسرائيلية التي عملت على اتجاه البقاع وسير الأعمال القتالية

كانت موقعة البقاع صداماً مسلحا ضد قوات اسرائيلية عسكرية كاملة التجهيز التقني بكل انواع الاعتدة القتالية الحديثة المعروفة في الغرب ، وبدعم تقني وامدادي كبير ، ويمكن القول ان اهداف اسرائيل من وراء تحريك قوات ضخمة برية تدعمها تشكيلات جوية كبيرة ، هو الاعلان عن طاقاتها العسكرية ، وحرص القادة العسكريين الاسرائيليين على ان يظهر غزوهم للبقاع في شكل نموذج لما يمكن ان تقوم به قوة تدخل سريع تشترك فيها مختلف الأسلحة البرية والجوية المتطورة .

اولا : القوات الإسرائيلية على اتجاه البقاع :

آ : القوات البرية :

استخدمت اسرائيل على الاتجاهات الرئيسية للهجوم في البقاع تشكيلات مدرعة وميكانيكية من القوات النظامية والتي تمتلك في قوامها عدداً كبيراً من الدبابات والمدفعية فبلغت فرقتي دبابات ولواء مظلات :

- فرقة اولى مدرعة مؤلفة من ثلاثة الوية معززة بلواء مستقل عملت على اتجاه : حاصبيا ـــ جب فرح ـــ سفوح جبل الشيخ .
- فرقة ثانية مدرعة مؤلفة من ثلاثة الوية ايضا عملت على ثلاث محاور :
  - ـــ لواء دبابات معزز على محور : يحمر ـــ سحمر .
  - ـــ لواء دبابات معزز على محور : عين التينة ـــ مشغرة ـــ جنوب القرعون .
  - ـــ لواء دبابات معزز يتحرك خلف تراتيب القتال كنسق ثان .
- قوة انزال جوي تقدر بحوالى لواء .

وبذلك استطاع العدو ان يحقق تفوقاً في نسبة القوى والوسائط بلغ اثنين الى واحد لصالحه ، بالاضافة الى ما حققه من مبادأة في اختيار زمان الضربة واتجاهها .

ب :القوات الجوية :

ـــ الطيران المقاتل : حقق سيطرة شبه كاملة ، خاصة بعد ان قصف مواقع الصواريخ السورية في البقاع في ١٩٨٢/٦/٩ .

ــ الحوامات القتالية المضادة للدروع : اشتركت على اتجاه البقاع اكثر من ١٠٠ حوامة من طرازات مختلفة ، وبذلك استطاع سلاح الجو الاسرائيلي تحقيق التفوق الجوي المطلوب .

بهذا الحجم من القوات وجهت اسرائيل ضربتها الى القوات السورية في البقاع وفق محاوره الرئيسية وتمركز القوات السورية فيه وتقدمت ضمن ثلاثة قطاعات :

- حاصبيا ــ راشيا ــ البيرة .
- مرجعيون ــ القرعون .
- جزين ــ مشغرة ــ عميق .

ثانياً : القوات السورية في البقاع :

مقابل هذه القوات كان يتمركز في البقاع يوم بدء الغزو قوات سورية تقدر بلواء معزز مكلف بمهام امنية يعمل ضمن اطار قوات الردع العربية ، وينتشر عى الحواجز على مساحة تزيد عن ٤٠٠ كم٢ لتنفيذ قرارات رئيس الجمهورية اللبنانية باعتبار هذه القوات خاضعة لتعليماته حسب التفويض الممنوح له من قبل مؤتمر القمة العربي .

ومنذ بدء الغزو الاسرائيلي للبنان في صباح يوم ١٩٨٢/٦/٦ ، بدأت سورية تعزيز قوات الردع هذه لمواجهة الموقف الطارىء ، آخذة في الاعتبار متطلبات المعركة المحتملة في البقاع ، وضرورات نشوب اعمال قتالية اخرى على باقي الاتجاهات . الامر الذي رفع نسبة القوى والوسائط بين الطرفين من اربعة الى واحد في بداية الغزو ، ليصبح بعد ذلك اثنين الى واحد لصالح العدو بكافة القوى والوسائط المشتركة .

ثالثاً ـ سير الأعمال القتالية

بعد تخطيط طويل ومسبق لغزو لبنان استمر اكثر من ثلاث سنوات ، اندفعت القوات الاسرائيلية في الايام الاولى للغزو داخل الاراضي اللبنانية تدعمها جهود جوية كبيرة ، وتجاوزت هذه القوات معظم مواقع القوات الدولية وبعض مراكز قوى الثورة الفلسطينية . وقد اكد هذه الحقيقة الجنرال ايتان رئيس الاركان الاسرائيلي السابق عندما تحدث في اجتماع عقدته هيئة الاركان الاسرائيلية لدراسة وقائع الحرب في لبنان نقلته صحيفة يديعوت احرونوت بعدديها الصادرين بتاريخ ١٧/٩/ و٢٦/٩/١٩٨٢ جاء فيه :

« لقد لعبنا دوراً هاماً للمبادرة في هذه الحرب ، حيث اننا حددنا الخطة والمواعيد والقوات المناسبة بشكل مسبق ، وكان علينا ان نستغل الفرص . لذا فقد فاجأنا العدو . والحقيقة ان هذه هي الحرب الاولى التي يجري فيها تحديد الاهداف منذ البداية وحتى النهاية في الخطط الاسرائيلية لهيئة الاركان استناداً الى مقررات الحكومة الاسرائيلية . اما بالنسبة لتعاملنا مع السوريين فاننا قد استخدمنا ضدهم قوات كبيرة نسبيا لتأمين التفوق عليهم » .

لقد خصصت القيادة الاسرائيلية من اجل غزو البقاع من ١ ـ ٢ لواء (على كل محور) . مدرع او ميكانيكي معزز . تدعمه الحوامات المقاتلة م/د ، بالاضافة الى عدة اسراب من الطيران المقاتل والقاذف ،وذلك على المحاور الاربعة التالية :

— كوكبا — زلايا — يحمر البقاع — سحمر — القرعون .
— مرجعيون — حوش دنيبة — كفر مشكي .
— حاصبيا — كفر الزيات — عين عطا .
— شبعا — وادي الفقه — راشيا الوادي .

العمليات الحربية

يوم ١٩٨٢/٦/٦ :

بدأت القوات الاسرائيلية اجتياحاً واسعاً لجنوبي لبنان على اتجاه البقاع في اعقاب يومين من القصف المركز براً وجواً وبحراً ، حيث تقدمت في القطاع الشرقي من منطقة مرجعيون باتجاه كوكبا .

وفي المساء لجأت القوات الاسرائيلية الى احتلال كوكبا ، ودفعت بجزء من قواتها باتجاه قلية .

اما القوات التي كانت تتقدم على المحور الشرقي — كوكبا — حاصبيا — ميمس ، فقد تعثر تقدمها عند حاصبيا ، مما اضطرها الى تطويقها دون ان تستطيع احتلالها ، والتفت بجزء من القوات حول تل العقبة للوصول الى ميمس .

بدأت الاشتباكات السورية — الاسرائيلية بالمدفعية والطيران بعد ظهر يوم ٦/٦ ، كما تم تعزيز القوات السورية الموجودة في بلدة العيشية (٦كم شمال غرب مرجعيون) ،واحتلت وحدات اخرى منطقة لباية — يحمر البقاع — كفر مشكي ، وعززتها بالوحدات المضادة للدروع .

وقد صدر في هذا اليوم العديد من التصريحات السياسية كان اهمها :

- اكد الرئيس حافظ الاسد تضامن سورية الثورة مع لبنان ، وان الدفاع عن الاراضي اللبنانية واجب وطني وقومي وان سورية تقف بكل امكاناتها الى جانب لبنان للدفاع عن أرضه ، وسوف تقوم بكل ما يستلزمه الموقف .
- اعلنت القيادة السورية ان القوات العربية في لبنان قد وضعت في حالة تأهب قصوى ، وأنه قد صدرت اليها الاوامر بالتصدي للقوات الاسرائيلية الغازية .
- كما صرح ناطق عسكري سوري « بأن القوات الاسرائيلية التي اخترقت الحدود اللبنانية تتابع التقدم على محاور الطرق باتجاه القوات السورية الموجودة في البقاع ، واصبحت على تماس معها في مواقع الجرمق وبرغوت ومفرق حاصبيا . وقد صدرت الاوامر للقوات السورية بالتصدي للقوات الاسرائيلية الغازية . »

يوم ١٩٨٢/٦/٧ :

اتسعت رقعة العمليات العسكرية الاسرائيلية البرية والجوية عى اتجاه البقاع وتابعت القوات الاسرائيلية تقدمها باتجاه :

ــ حاصبيا ــ كفر الزيات
ــ كوكبا ــ ذنيبة
ــ كوكبا ــ قلية

فتصدت لها القوات السورية الامامية المتمركزة في المناطق : ميمس ــ قلية ــ برغوت ــ عيشية ، بالتعاون مع المدفعية السورية والكمائن م/د . توقفت القوات الاسرائيلية على الخطوط التي وصلت اليها ، وقامت بزج قوات جديدة لمتابعة التقدم .

كما جرت اشتباكات جوية بين الطائرات السورية والاسرائيلية ، وتعرضت مراكز القوات السورية في مشغره ــ كفر مشكي ــ قليه ــ جوش الذنيبه ــ راشيا ــ البيرة ــ جب جنين ــ عين عطا ــ القرعون ، لقصف مدفعي اسرائيلي كثيف ، وقد ردت المدفعية السورية على مصادر نيران المدفعية الاسرائيلية وقصف تحشداته في المناطق : عين قنية ــ حاصبيا ــ كوكبا ــ برغوت ، وارتاله المتقدمة على المحاور :

ــ حاصبيا ــ بطحانية ــ كفر الزيات ــ عين عطا.

ــ مرجعيون ــ كوكبا ــ ذنيبة ــ قنعبة

ــ كوكبا ــ قليه ــ زلايا .

واشتبكت وسائط الدفاع الجوي السورية مع الطائرات الاسرائيلية التي كانت تحاول قصف القوات السورية في مواقعها .

وبعد ظهر يوم ٦/٧ ، وتحت ستارة نارية كثيفة ، تقدم لواء مدرع اسرائيلي معزز باتجاه شبعا واحتلها مساء ، ودفع بوحدات مدرعة الى الشويا التي تعتبر من المواقع العسكرية الهامة والمسيطرة في المنطقة ، واستطاعت هذه الوحدات ان تصل اليها بعد مناورات معقدة نفذتها بصعوبة لتفادي

القصف المدفعي السوري حول جبل صبرون وجبل بيري ، وقد رافق هذا التقدم قصف مدفعي وجوي كثيف لمواقع القوات السورية في عين قنية التي كان يدافع عنها وحدات من القوات السورية المعززة بالاسلحة م/د ، وحاصبيا وميمس والخلوات ومنطقة كفر الزيات .

وفي ليلة ٧ ــ ٦/٨ اعادت القوات الاسرائيلية تجميع قواتها ، وزجت بوحدات مدرعة جديدة على اتجاه كوكبا ــ قليه بهدف احتلالها ، وقطع طريق امداد القوات السورية التي كانت لاتزال تقاتل في منطقة برغوت .

عززت القيادة السورية المناطق التي توجد فيها وحداتها في المواقع الامامية ، بتشكيل معزز اخذ مواقع دفاعية محضرة على عجل على جبهة عريضة تمتد من منطقة القرعون وحتى السفوح الغربية لجبل الشيخ ، مركزة الدفاعات عن المناطق :

راشيا الوادي ــ العقبة ــ كفر مشكي ــ سحمر ــ مشغرة ــ وهكذا اصبحت القوات الاسرائيلية على مسافة ٨ ــ ١٢ كم من مواقع القوات السورية .

في هذا اليوم اعترف الجنرال رافائيل ايتان رئيس الاركان الاسرائيلي السابق بضراوة القتال ، وحاول تبرير عجز القوات الاسرائيلية عن التقدم قائلا : « ان القوات الاسرائيلية تعمل في مناطق جبلية ووعرة . » .

كما اكدت التقارير الصحفية ان الكيان الصهيوني يعيش حالة حرب تامة ، وان قوات الاحتياط تم استدعاؤها بشكل كامل تمشياً مع هذه الحالة .

يوم ١٩٨٢/٦/٨ :

اعتباراً من صباح هذا اليوم قصف العدو بالمدفعية عدداً من المواقع السورية في المناطق : راشيا الوادي ــ كفر مشكي ــ مشغرة ــ عين التينة ــ البيرة ــ القرعون ــ جب جنين ، وتابعت القوات الاسرائيلية تقدمها شمالاً فاصطدمت بوحدات الحراسة السورية المتقدمة التي قاتلت ببسالة عظيمة وصمدت في مواقعها خاصة في المناطق : جبل كركر ــ مزرعة سفينه ــ زلايا ، واوقعت في صفوف الوحدات الاسرائيلية الكثير من الخسائر في الدبابات والقوى البشرية . ونتيجة لرمايات المدفعية الكثيفة ولمساهمة الحوامات م/د السورية ، توقف العدو على الخط : عين عطا ــ كفر الزيات ــ زلايا .

واعتباراً من الساعة ١٤٫٠٠ حاولت بعض الوحدات المدرعة الاسرائيلية تنفيذ مناورة تكتيكية لاحتلال عدد من المواقع والمناطق الهامة في عين حرشه ــ قلعة عبد الرحمن كما سلك رتل مدرع اسرائيلي المنعطفات القريبة من جبل حرمون على محور شبعا ــ الشارة ١٧٩٤ ــ وادي فقعه ــ راشيا الوادي . وعندما وصلت الوحدات الاسرائيلية الى وادي الفقعه نفذت تحركاً جانبياً باتجاه عين عطا ــ عين حرشه ــ ذنيبه ، بهدف الوصول الى بيت لهيه ــ العقبة ، والالتقاء مع الوحدات التي كانت تتابع تقدمها باتجاه راشيا الوادي .

وفي هذه المرحلة تعرضت الارتال الاسرائيلية الى قصف مدفعي سوري كثيف بالاضافة الى رمايات كمائن ال م/د ومساهمة الحوامات

السورية م/د بقصف الارتال المدرعة الاسرائيلية المتقدمة مما أوقع بها خسائر كبيرة ، وجعل تحرك هذه الارتال بطيئاً وتداخلت في اكثر من مكان ، واجبرت بعد ذلك على التوقف واحتلال الخط الدفاعي : وادي فقعة ــ عين حرشه ــ حوش الذنيبه ــ لبايه ــ قلعة عبد الرحمن . بعد ذلك زجت القيادة الاسرائيلية بقوات جديدة على اتجاه كفر الزيات ــ عين عطا ، وعلى اتجاه وادي فقعه ــ في المنطقة شمالي عين عطالتطويق المواقع السورية في المنطقة ومنع وصول الامدادات اليها وللاندفاع باتجاه عين حرشه لاحتلالها .

وحتى ساعة متأخرة من الليل كانت القوات الاسرائيلية التي تتحرك على المحور الغربي في منطقة الشوف والتي حققت نجاحاً على هذا الاتجاه قد وصلت الى منطقة معاصر الشوف للعبور منها الى البقاع في محاولة لضرب مجنبة القوات السورية وتطويقها في مناطق السفوح الشرقية لجبل الباروك .

وخلال ليلة ٨ ــ ٩/٦/١٩٨٢ نفذت وحدات من القوات الخاصة السورية اغارات ليلية على عدد من مناطق تحشد الدبابات الاسرائيلية في مناطق حاصبيا ــ كفر الزيات ــ قليه ــ برغوت ، ودمرت للعدو عددا من الدبابات والاليات واوقعت في صفوفه الكثير من الخسائر البشرية .

وقد اكد عدد من القادة الاسرائيليين في مقابلات اجرتها معهم بعض الصحف الإسرائيلية «ان القتال في البقاع كان ضارياً للغاية ، وأنها أشد وأعنف من معارك تشرين الأول عام ١٩٧٣ »[١] .

---

(١) النشرة الاستراتيجية البريطانية العدد /١٦/تاريخ ٩/٩/١٩٨٢

وقالت مجلة لونوفيل اوبسرفاتور التي صدرت بتاريخ ١٩٨٢/١٠/١٥ في مقال لها بعنوان الدوافع من اجل الحرب في لبنان :

« السوريون قاتلوا بضراوة وبشكل رائع اكثر مما كان يتوقعه البعض ، فقد استطاع السوريون ايقاف تقدم الارتال الثلاثة الاسرائيلية ، خاصة الرتل الذي كان في الوسط . لقد طلب قائد هذا الرتل المحاصر الدعم الجوي والمدفعي ليتاح له فتح ممر للعبور » .

وفي هذا اليوم اكد الرئيس حافظ الاسد ان سورية ستقف بكل امكاناتها للدفاع عن لبنان ضد هذا الاجتياح التوسعي ، وانه لن تستطيع قوة مهما طغت ان تمنع الشعب العربي السوري من اداء واجبه القومي والدفاع عن قضايا امته .

يوم ١٩٨٢/٦/٩ :

تحت ستارة كثيفة من نيران المدفعية والطيران ، تابعت القوات الاسرائيلية تقدمها شمالا على محور زلايا — يحمر البقاع — سحمر ، للوصول الى القرعون والتي تعتبر بوابة العبور الى البقاع الاوسط ، وللالتقاء مع القوات التي نجحت في الوصول الى الباروك ، فاصطدمت بالوحدات السورية المتمركزة في المواقع : عين الكبيرة — يحمر — مشغرة واشتبكت معها ، كما خاضت على هذا الاتجاه وحدات الصراع السورية المضادة للدروع معارك طاحنة مع الدبابات الاسرائيلية المتقدمة ، واوقعت فيها خسائر كبيرة . وشكلت الوحدات المدرعة الاسرائيلية خطوط رمي من

الثبات في مناطق البحصيص والسفوح الجنوبية ـــ الشرقية لجبل عبرة لتسهل مهمة اندفاع الوحدات المدرعة الاخرى باتجاه عين الكبيرة وسحمر . وتحت تغطية جوية كبيرة اندفع رتل مدرع اسرائيلي آخر باتجاه : بيت لهيه ـــ راشيا الوادي ـــ ايحه ، وباتجاه راشيا ـــ العقبة ، فتصدت له الوحدات السورية التي كانت متمركزة في منطقة كفر قوق ـــ ضهر الاحمر ـــ جب فرح ، واجبرته على التوقف ، بعد ان اوقعت به خسائر كبيرة . وعلى هذا الاتجاه نفذ عدد من الوحدات المدرعة السورية الهجمات المعاكسة على الاتجاهات :

ـــ كفر قوق ـــ ايحه

ـــ كفر قوق ـــ ضهر الاحمر ـــ العقبة

ـــ كوكبا ـــ بو عرب ـــ جب فرح ـــ العقبة .

ونجحت هذه الهجمات في اجبار القوات الاسرائيلية على التوقف في الخطوط التي وصلت اليها .

عززت القوات الاسرائيلية هذه الخطوط بوحدات جديدة ، ودفعت بتشكيلات مدرعة لتعزيز الجهود الرئيسية لمتابعة التقدم شمالا ، وذلك على المحاور التالية :

- بقوى لواء مدرع على محور : قلية ـــ زلايا ـــ يحمر ـــ البقاع ـــ سحمر ـــ سد القرعون ، وبجزء من وحدات هذا اللواء باتجاه يحمر البقاع ـــ لبابة ـــ نبي صفا .
- بقوى لواء مدرع معزز على محور ـــ حوش ذنيبة ـــ جب فرح .

○ بقوى لواء مدرع على محور : عين عطا ــ بيت لهية ــ العقبة ــ ضهر الاحمر .

وفي هذه الاثناء كان لواء مدرع اسرائيلي اخر يتقدم باتجاه : الباروك عين زحلتا بمهمة تهديد مؤخرة القوات السورية العاملة في البقاع « انظر الفصل الخاص باجتياح جزين ومعارك الجبل » .

وفي هذا اليوم تصدت القوات السورية للقوات الاسرائيلية ، ونفذت العديد من الضربات النارية الصاروخية على ارتاله المدرعة والالية ، خاصة على اتجاه بيت الدين ــ نبع الصفا ، وعلى المواقع الاسرائيلية في وادي فقعة ــ قنعبة ــ لباية ــ يحمر البقاع اشتركت فيها المدفعية الصاروخية والحوامات م/د ، كما خاضت الوحدات السورية معارك تصادمية وصلت الى حد الاشتباك بالسلاح الابيض في العديد من المواقع اهمها : ضهر الاحمر ــ جب فرح ــ كفر مشكي ــ سد القرعون .

- وخاضت وسائط الدفاع الجوي السورية المتمركزة في البقاع معارك ضارية ضد الطيران الاسرائيلي في سماء البقاع ، مما دفع العدو الى ان يوجه جهوده الرئيسية للدخول في المعركة المبيتة ضدها ، وذلك بهدف تدميرها وحرمان القوات البرية السورية من التغطية الجوية الداعمة ، وتسهيل اندفاع الوحدات المدرعة الاسرائيلية بسرعة باتجاه الشمال للوصول الى اهدافها بأقل خسائر ممكنة . واشترك من الجانبين على اثرها حوالى ١٦٠ طائرة حربية في اكبر معركة جوية جرت خلال غزو اسرائيلي للبنان.

يوم ١٩٨٢/٦/١٠

في هذا اليوم خاضت القوات السورية معارك ضارية في ظروف التفوق الجوي الاسرائيلي ضد القوات المدرعة الاسرائيلية المتقدمة « على العديد من الاتجاهات :

ــ كفر قوق ــ بركة الكنيسة .
ــ ضهر الاحمر ــ البيرة ــ مزرعة غزة .
ــ كفر مشكي ــ بركة حفوفه ــ ومجدل بلهيص .
ــ القرعون ــ بعلول .
ــ عيتنيت ــ عين زبدة .

وقد اتسمت هذه المعارك بخاصتين اساسيتين :

الخاصة الاولى :

كانت معارك الصباح دفاعية متحركة تصدت خلالها القوات السورية المتمركزة في المناطق : بركة الكنيسة ــ البيرة ــ بعلول ــ جب جنين ــ كامد اللوز ــ غزه ــ كفريا ، للقوات الاسرائيلية على محاور تقدمها واستطاعت بالتعاون مع المدفعية والوسائط م/د التي احتلت العديد من الخطوط النارية القوية من امتصاص الهجمات الاسرائيلية المدرعة وتدمير الانزال الجوي الاسرائيلي شمالي الرفيد بعد معارك استمرت اكثر من عشر ساعات متواصلة واجبرتها على التوقف على الخط :

جبل البياضة ــ مزرعة غزة ــ كامد اللوز ــ جب

جنين ــ كفريا وبعد اعادة تجميع سريعة نفذتها القوات الاسرائيلية دفعت بانسياقها الثانية لتغذية وتيرة الهجوم على بعض الاتجاهات :

ــ السفوح الشمالية لجبل البياضة ــ بكا

ــ الرفيد ــ البيرة ــ مزرعة غزة .

ــ كامد اللوز ــ السلطان يعقوب .

ــ مدوخا ــ عيتا الفخار .

ــ جب جنين ــ مزرعة غزة .

ــ كفريا ــ الصعلوك .

فتصدت لهذه المحاولات الوحدات السورية المنقولة بالحوامات ووحدات الـ م/د بالاضافة الى الحوامات م/د واوقعت خسائر كبيرة في القوى البشرية والاعتدة القتالية المختلفة .

الخاصة الثانية :

كانت معارك بعد الظهر هجومية نفذتها القوات السورية على شكل هجمات معاكسة استطاعت بواسطتها ايقاف تقدم القوات الاسرائيلية وايقاع الخسائر الكبيرة بها واجبارها على التراجع في اكثر من موقع وعلى اكثر من اتجاه .

فقد قام تشكيل مدرع سوري تحت ستارة كثيفة من نيران المدفعية والصواريخ بهجوم معاكس على وحدات العدو المتقدمة من اتجاه : كفريا ــ الصعلوك ــ قب الياس .

ومن اتجاه ــ غزه ــ الخيارة ــ بر الياس ــ . ومنعها من تنفيذ

مهامها واجبرها على التوقف . كما ساهم الطيران السوري بطلعات عديدة قصف خلالها مناطق وجود القوات الاسرائيلية في الباروك والقرعون وجب جنين والبيرة والرفيد وراشيا الوادي . ورغم السيطرة الجوية الاسرائيلية في بعض مراحل الاعمال القتالية واستخدامه للحوامات م/د انستطاع التشكيل تنفيذ مهمته بنجاح وزج بوحداته في المعركة بشكل منظم والاتجاهات المحددة مما اجبر العدو على زج قوات جديدة باتجاه :

تل ذنوبة ــ تل الدير وباتجاه البيرة ــ مزرعة غزة ، ولكن القوات السورية تصدت لهذه المحاولات واحبطتها وكانت نتيجة هذا اليوم ان توقف العدو على الخط : بركة الكنيسة ــ كامد اللوز ــ جب جنين ــ عميق . وقد نشرت صحيفة يديعوت احرونوت الصادرة صباح يوم ١٩٨٢/٦/١١ اعترافات للرائد ميشيل بوخنيل قائد كتيبة دبابات اسرائيلية كانت تعمل في سهل البقاع في اليوم الخامس من الغزو قال فيها .

« انه فقد من كتيبته في اليوم الخامس للحرب ٢٢ دبابة وقتل من وحدته ١٨ عسكرياً من مختلف الرتب والوظائف واصيب ٨٧ اخرون بجروح مختلفة وانه اصيب في المعركة وفقد ساقه » وتابع الرائد ميشيل اعترافاته قائلا « لقد اصبت بالذهول عندما شاهدت قائد اللواء العقيد الركن افيغدور شرايبر جثة هامدة بجانب دبابته التي دمرها السوريون » .

وكتب زئيف شيف المراسل العسكري الاسرائيلي في جريدة هاآرتس يوم ٨٢/٦/١١ مايلي :

« لقد اتسعت المعارك يوم ٩٨٢/٦/١٠ بين الجيش السوري

والقوات الاسرائيلية واندلعت معارك عنيفة بالدبابات والمدفعية حول بحيرة القرعون » .

ونظراً لصمود القوات السورية في مواقعها وللخسائر الكبيرة التي منيت بها القوات الاسرائيلية فقد لجأت الطائرات الاسرائيلية في هذا اليوم الى قصف عدد من المناطق الاهلة بالسكان خاصة في منطقة جوسية بالقرب من الحدود السورية ـــ اللبنانية فأوقعت خسائر بالارواح والممتلكات المدنية .

في هذا اليوم وجه الرئيس حافظ الاسد كلمة الى القوات السورية العاملة في لبنان قال فيها :

« لقد رفعت مواقفكم رأس وطننا وامتنا عالياً ، وان شعبنا العربي الذي رفعتم معنوياته بنضالكم وتصديكم البطولي هو معكم والى جانبكم ينظر اليكم باعتزاز .

« انني اذ احيي فيكم هذا الفداء وهذه الرجولة اعتز وافتخر بكم واني معكم دائما ، اطلب اليكم البقاء في هذا المستوى من الصمود لتحقيق النصر ودحر العدو متمسكين بشعارنا الشهادة او النصر » .

يوم ١٩٨٢/٦/١١

ليلة ١٠ ـــ ٦/١١ خاضت القوات السورية معارك قاسية ضد القوات الاسرائيلية التي كانت تحاول تعزيز مواقعها الدفاعية والخطوط التي وصلت اليها ، وقامت وحدات من سرايا الدفاع بتنفيذ اغارات مكثفة وجريئة على عدد من مناطق تحشد الدبابات الاسرائيلية ومقرات القيادة على

محور حاصبيا ـــ الرفيد وعلى راشيا الوادي وضربتها من المجنبة واوقعت بها خسائر كبيرة بلغت اكثر من ٤٠ دبابة و١٥٠ اصابة .

وفي يوم ١١/٦ قصفت المدفعية السورية الأرتال المدرعة الاسرائيلية التي كانت تحاول التقدم ببطء على المحاور :

ـــ الرفيد ـــ مزرعة غزة ـــ السلطان يعقوب .

ـــ جب جنين ـــ غزو ـــ الخيارة .

ـــ كفريا ـــ عميق ـــ تلة الكردان .

كما تصدت الوحدات السورية للعدو المتقدم على كافة الاتجاهات ونشبت معارك قوية على كامل الجبهة خاصة في المناطق : كفر قوق ـــ بركة الكنيسة ـــ السلطان يعقوب ـــ المنصورة ـــ الصعلوك .

كما نفذت القوات السورية العديد من الهجمات المدرعة القوية على الوحدات الاسرائيلية في مواقع تمركزها وعلى اتجاهات اعمالها ، ورغم السيطرة الجوية الاسرائيلية والقصف المدفعي الاسرائيلي الكثيف فقد قام احد التشكيلات المدرعة السورية الذي يمتلك دبابات حديثة من نوع ت ٧٢ بهجوم معاكس جريء على قوات العدو المتقدمة على اتجاه :

ـــ القرعون ـــ كفريا ـــ قب الياس ـــ باتجاه شتورا .

ـــ جب جنين ـــ المرج باتجاه بر الياس . واستطاع دحر القوات الاسرائيلية واعادتها الى الخلف مسافة ٦ ـــ ١٠ كم تاركة وراءها الدبابات الحديثة من نوع م ٦٠ المدمرة والجاهزة في منطقة حوش الصيادي . لقد استطاعت وحدات التشكيل السوري التحرك على عدد من المحاور بسرعة كبيرة لتفادي الاصابات نظراً للقصف الجوي والمدفعي الاسرائيلي الكثيف

ونفذت معارك تصادمية جريئة مع الدبابات الاسرائيلية المتسربة من السفوح الشرقية لجبل الباروك ومع الوحدات العاملة على اتجاه عميق ــ تل الدير واجبرتها على التراجع باتجاه قانا ــ تل ذنوبة .

وساهمت في هذا اليوم الطائرات السورية في دعم القوات البرية ؛ فقد نفذت العديد من المهمات وقصفت القوات الاسرائيلية المتقدمة على المحاور ومناطق تمركز الوحدات الاسرائيلية المدرعة ومقر قيادة اسرائيلي في منطقة الباروك ، كما اشتبكت الطائرات السورية مع الطيران الاسرائيلي في منطقة المصنع والبقاع الشمالي عندما حاول التعرض للقوات السورية القائمة بالهجوم المعاكس ، واستطاعت وسائط الدفاع الجوي السورية التي زجت في المعركة اسقاط عدد من الطائرات الاسرائيلية .

كما وجهت المدفعية السورية ضرباتها النارية الكثيفة على الارتال المدرعة الاسرائيلية المتقدمة وعلى مناطق تحشد الدبابات ومقرات القيادة في : البيرة ، كامد اللوز ــ تل ذنوبة ــ كفريا ــ عميق ــ تل الدير ــ الصعلوك ــ الباروك .

ونتيجة لمعارك هذا اليوم خسرت القوات الاسرائيلية عدداً كبيراً من الدبابات والآليات المدرعة مما ادى الى توقفها نهائيا عن التقدم وعدم قدرتها على متابعة الغزو شمالا ، ومما اضطرها لطلب وقف اطلاق النار .

وبناء على اقتراح تقدم به المبعوث الامريكي فيليب حبيب بايقاف النار بين الجانبين السوري والاسرائيلي اعتبارا من الساعة ١٢٫٠٠ من يوم ١٩٨٢/٦/١١ وافقت القيادة السورية على اساس انسحاب القوات

الاسرائيلية من جميع الاراضي اللبنانية التي احتلتها خلال عدوان السادس من حزيران ١٩٨٢ .

لقد كانت معارك البقاع قاسية ومريرة ، ويكفي ان نستعرض ما قاله المراسل العسكري الاسرائيلي اليكس فيشمان لصحيفة عل همشمار يوم ١٩٨٢/٦/١٤ حين قال : « لقد تعرض الجيش الاسرائيلي في اليومين الاخيرين من القتال أي يومي ١٠ و ٦/١١ الى عدد كبير من الاصابات بالمقارنة مع الايام الاولى من المعركة ، وخاض الجيش الاسرائيلي معارك ضخمة ومريرة مع القوات السورية المدرعة » .

٦ ــ معارك الدبابات

يمكن القول ان معارك الدبابات في البقاع قد تميزت ب :

- تعدد انواع العمليات الحربية « هجوم ــ دفاع ــ هجمات معاكسة ــ معارك تصادمية » .
- الاستخدام الكثيف للقوى والوسائط . فالقوات المدرعة الاسرائيلية التي اشتبكت في البقاع مع القوات السورية كانت تضم حوالى ١٠٠٠ دبابة ، وهذا الرقم يمثل نسبة تصل الى حوالى ٢٥٪ من مجموع القوة المدرعة الاسرائيلية .
- اشتراك اسلحة ومعدات وذخائر حديثة ومتطورة ما زالت حتى الان في مجال الاختبار ، كما تمت تعبئة اربع فرق مدرعة احتياطية وعدد اخر من الالوية الميكانيكية والمشاة المحمولة لصالح العملية ،

خصص منها فرقتان مدرعتان حشدتا على اتجاه الجولان لتعزيز القوات الموجودة فيها .

اسلوب استخدام المدرعات في منطقة البقاع :

— بقدر ما كان اندفاع التشكيلات المدرعة الاسرائيلية سريعا على الشريط الساحلي كان تقدم القوات المدرعة الاسرائيلية بطيئاً الى حد ما على اتجاه البقاع ، حيث لم يكن يتم الا بعد ان تكون المدفعية قد نفذت نيراناً كثيفة على المواقع السورية ، وقام الطيران بعزل هذه المواقع نهائياً تمهيداً لتقدم الدبابات الاسرائيلية .

— اتبعت الوحدات المدرعة اسلوب التوغل السريع مع تنفيذ المناورة الجانبية والانزالات الجوية بالحوامات .

بسبب الطبيعة الجغرافية لمسرح العمليات ، ولتحرك الدبابات بالارتال .. فقد تكبدت الدبابات الاسرائيلية خسائر كبيرة على بعض الاتجاهات بسبب الضربات المدرعة السورية التي توزعت في الجبهة والعمق ، مستفيدة الى اقصى حد ممكن من طبيعة الارض في المنطقة .

— كان التنسيق واضحا بين هجمات الوحدات المدرعة والضربات النارية التي نفذتها الحوامات المضادة للدبابات لكلا الجانبين .

— حصلت بعض المعارك بين الدبابات السورية والدبابات الاسرائيلية بمناورات صدامية ومن مسافات قصيرة جداً .

يقول الرقيب الاسرائيلي يغرام :

« ليتك رأيت كيف حاربنا السوريون .. لقد تمركزوا في بساتين

البقاع ، ثم فتحوا علينا فجأة نيران الاسلحة م/د ومن مسافات قصيرة .. لقد فقدنا دباباتنا والعشرات من القتلى والجرحى » .

ــ برزت وبشكل واضح الفعالية العالية للوسائط م/د وللاسلحة المتطورة التي تمتلكها الدبابات الحديثة (الدبابة ت ٧٢ والدبابة باتون م ٦٠) .

لقد اظهرت معارك البقاع ان الدبابة بالرغم من كثرة تعرضها للاصابة ، نظرا لتنوع الوسائط المضادة لها ، مازالت السلاح الاول للمناورة والحركة في القوى البرية ، وانها بتعاونها مع الصنوف الاخرى البرية والجوية يمكنها ان تنفذ جميع مهام القتال الحديث ، وان استخدامها لايزال يعتمد على تكثيف مجموعات كبيرة منها من أجل خرق الدفاع ومن اجل توجيه الهجمات والضربات المعاكسة القوية .

ونتيجة لتطور الاسلحة المضادة للدبابات ، فقد طرح البعض العديد من التساؤلات حول مستقبل الدبابة والقوات المدرعة ، كان أهم هذه التساؤلات : هل يوجد سلاح اخر يستطيع ان يحل محل الدبابة ؟

لقد كانت الإجابة بعد حرب تشريه التحريرية ١٩٧٣ عن مثل هذا صعبة ومعقدة . اما الان وبعد موقعة البقاع ، اصبح الجواب في متناول اليد ويتلخص : ان الدبابات ستبقى سلاحا هاما واساسيا وفعالا في المعركة ، مهمته تنفيذ الخرق بالدرجة الاولى ، والمطاردة ، وتطوير النجاح بالعمق بالتنسيق مع صنوف الاسلحة الاخرى .

ومن المرجح ان القوات المدرعة في الحروب المقبلة ستكلف بمهام

كثيرة التنوع هجومية ودفاعية بالتعاون مع صنوف اختصاصية اخرى يكمل بعضها بعضا في انسجام تام .

لقد خاضت الدبابات السورية معارك برية مشرفة وأثبتت كفاءة وقدرة قتالية عالية تجلت فيها شجاعة المقاتل العربي السوري وجولاته التي جسدت الحقيقة القائلة ان السلاح بحد ذاته ليس هو الاساس في المعركة ، بل الانسان الذي يستخدم هذا السلاح ويصنع الانتصار .

وللحقيقة نقول ان وسائط الاعلام الغربي قد حققت دعاية كبيرة لسلاح المدرعات في الجيش الاسرائيلي ، ولكن مجريات المعارك في البقاع جسدت حقيقة جديدة وهي ان القوات المدرعة السورية وباقي صنوف القوات وضعت حدا لهذه الدعاية ، واستطاعت اعادة القوات المدرعة الاسرائيلية الى حجمها الطبيعي من حيث النوعية وامور التنفيذ . فبالرغم من الدعم الناري الكبير الذي قدمه لها الطيران ، لم تتمكن من تحقيق انجازات تذكر في مواجهة الدبابات السورية وتكبدت خسائر كبيرة ، مما عزز ثقة مقاتلينا بأنفسهم وبالاسلحة والاعتدة التي يستخدمونها . وقد اعترفت المصادر الاسرائيلية ببطولة قواتنا المدرعة .. ومما جاء في صحيفة هاآرتس على لسان زئيف شيف التي صدرت يوم ١٩٨٢/٦/١٥ ما يلي : جرت معارك ضارية بين الدبابات السورية والدبابات الاسرائيلية ومن مسافات قصيرة جداً ، وأصيبت الدبابات الاسرائيلية خلال هذه المعارك باصابات كثيرة .

ويمكننا القول ان العدو فوجىء في المعارك التي خاضتها القوات السورية ضده بظهور عدد من المؤشرات منها :

/

ـــ المعنويات العالية والارادة والتصميم على القتال ،لمنعه من تحقيق أهدافه .

ـــ الاداء القتالي المتميز لكافة صنوف القوات .

ـــ كفاءة الاسلحة والاعتدة التي استخدمتها القوات السورية .

هذه العوامل ساهمت وبشكل اساسي في التصدي لقوات الغزو الاسرائيلي ومنعتها من تحقيق أهدافها ، وكبدتها الخسائر الفادحة والتي تتفاعل ــ قصص اخفائها والتستر عليها ــ داخل المجتمع الاسرائيلي حسب ما تشير التقارير الصحفية الاسرائيلية والدولية يوما بعد يوم .

٧ ــ قتال الاسلحة المضادة للدبابات

أولا : الحوامات المضادة للدبابات م/د :

ــ لقد أثبتت معارك البقاع ان الحوامة م/د اداة قتال كاملة وطيعة قادرة على ان تنقض على اهدافها ثم تدمرها كما برهنت على قدرتها في تنفيذ العديد من المهام التكتيكية كالاستطلاع ، وتوفير الدعم الناري للقوات البرية .

دور الحوامة م/د

ــ بات من المؤكد ان للحوامة م/د دوراً هاماً في العمليات البرية ، فقد اصبحت الحوامات المجهزة بالصواريخ م/د قادرة على تنفيذ مهامها بشكل جيد نظراً لما تتصف به من ميزات فنية وتكتيكية عالية . كما اكدت الحوامة م/د حقيقة هامة وهي انها ذراع قادرة لأية قوة عسكرية برية فعالة

من خلال تنفيذها للعديد من المهام التكتيكية كالدعم الناري والتعرض للدبابات والعربات المدرعة وفي البحث عن الاهداف التي لا تستطيع الطائرات النفاثة المقاتلة العثور عليها وتدميرها ، او الاسلحة م/د ان تطالها ، وفي تنفيذ الاعمال القتالية بنجاح في المناطق الجبلية والمناطق المشجرة .

الحوامات م/د التي استخدمت في معارك البقاع :

استخدمت القوات السورية الحوامة غازيل والتي تميزت بحسن ادائها رغم الظروف القتالية الصعبة فقد نفذت الطلعات الجوية الصعبة التي عملت بها من جراء سيطرة الطيران الاسرائيلي على سماء المعركة في اكثر مراحل الاعمال القتالية وعلى العديد من اتجاهات الاعمال القتالية ورغم ظروف التشويش اللاسلكي والتبدل الحاد والسريع في المواقف القتالية ، فقد نفذت هذه الحوامات اكثر من ١٠٠ هجوم على دبابات العدو في منطقة البقاع فقط ، وقد تحدث عدد من القادة الاسرائيليين عن قتال الحوامات السورية المضادة للدبابات وعن الاصابات الكثيرة التي حققتها في الدبابات ، والعربات المدرعة الاسرائيلية في معركة البقاع خاصة على الاتجاهات التالية :

— بتاريخ ١٩٨٢/٦/٨ على اتجاه عين دارة — الباروك وعلى اتجاه راشيا — شبعا .

— بتاريخ
١٩٨٢/٦/٩ على نفس الاتجاهين السابقين على اتجاه عين زحلتا — الباروك .

— بتاريخ
١٩٨٢/٦/١٠ على الاتجاهات : راشيا الوادي — عين عطا وشبعا — الرقم ١٧٩٤ وشبعا — عين التينة . وعلى اتجاه عين زحلتا — الباروك .

كما حققت الحوامات م/د السورية اصابات بلغ مجموعها اكثر من (٨٥) هدفاً معادياً بين دبابة وعربة مجنزرة وعربة قيادة .

وأثبتت في جميع معاركها العديد من الحقائق التي لابد من ذكرها :

- دقة الاصابة .
- مفاجأة في المكان والزمان وفي التعامل مع الاهداف .
- مناورة عالية .
- عدم قدرة الطائرات النفاثة المقاتلة على التأثير الناري المباشر عليها .
- قدرة الطيارين السوريين وبطولاتهم في تنفيذ مهامهم .

استخدمت اسرائيل نوعين من الحوامات م/د هيوكوبرا وهيوز ٥٠٠ وديفندر المسلحة بصواريخ (تاو) وفي مقابلة صحفية اجرتها مجلة (فلايت البريطانية) في عددها الصادر بتاريخ ١٩٨٢/١/١٦ مع مسؤول عسكري اسرائيلي قال فيها :

« لقد استخدمنا نوعين من الحوامات القتالية م/د كوبرا ، والحوامة

ديفندر ، بأعداد صغيرة وبحذر كبير .. يمكن القول تلخيصا ان الكوبرا قد تكون سلاحا فعالا ، ولكن قدرتها على البقاء ليست جيدة لانها تطير منخفضة وليست محمية . » .

وذكرت بعض المصادر إن اسرائيل استخدمت الحوامات الهجومية م/د في معارك البقاع بكثافة كبيرة بلغت اكثر من (١٠٠) حوامة من مختلف الطرازات وقدمت جهوداً كبيرة لدعم الاعمال القتالية للقوات المدرعة الاسرائيلية .

ورغم ان اسرائيل حققت السيطرة الجوية وهذا شرط هام واساسي من شروط استخدام الحوامات م/د في اعمال الدعم الناري والرصد والاتصال فان الحوامات هذه لم تستطع ان تقوم بدور هام وفعال في معارك البقاع نظراً للعديد من الظروف التي خلقتها القوات السورية :

- استخدام كافة الوسائط المضادة بدءاً من الاسلحة الخفيفة وحتى الاسلحة الفردية المضادة والاسلحة الاخرى المضادة للطائرات .
- استخدام الارض بشكل جيد وتنفيذ اعمال الاخفاء والتمويه واعمال المناورة في ارض القتال .
- استخدام الدخان في بعض المواقف القتالية .
- نشاط اعمال الاستطلاع والرصد الجوي والانذار المبكر .

لقد أثبتت المعارك التي خاضتها الحوامات القتالية م/د بصورة عامة فعالية وقدرة كبيرتين ، وتركت أثراً هاماً في مستقبل استخدامها على صعيد التصدي للدبابات وأكدت تأثيرها على طبيعة العمليات المدرعة مستقبلا ، كما أكدت النتائج التي برزت من خلال المعارك التي خاضتها

الحوامات م/د ضد المدرعات في موقعة البقاع ان هذه الحوامات ما هي الا دبابات طائرة تقدم الدعم الناري للقوات العاملة في الانساق الاولى وعلى مسافات قصيرة منها ، وذلك بالهجوم المتعدد المحاور وباستخدام الذخائر م/د كاحتياطي محمول ولتقدم جهداً نارياً في عمليات قنص لاهداف مدرعة معلومة او بحث عن اهداف عابرة او مفاجئة .

وبصورة عامة نستطيع القول ان الحوامات م/د تعمل كقوة طوارىء ، ذات رد مرن وفعل سريع لمواجهة خرق جبهي مدرع او مناورة تنفذها وحدات مدرعة على الجبهات ، وتسند اليها في هذه الحالة مهمة مواجهة دبابات العدو في حال عدم تمكن الاحتياطات م/د الاخرى من التنفيذ وتكبيدها الخسائر الكبيرة وتشتيتها ريثما تتمكن القوات المواجهة من تنظيم أمورها للاشتباك الفعال ولاعطاء الظروف الملائمة لقوات النسق الثاني والاحتياطات لتنفذ الهجمات المعاكسة الناجحة .

ثانيا : الاسلحة الصاروخية المضادة للدبابات م/د

ساهمت الوحدات السورية المزودة بالاسلحة الصاروخية م/د في معارك البقاع بشكل فعال وأثبتت جدارة وقدرة في التصدي للدبابات الاسرائيلية ومجنزراته واوقعت بها الخسائر الكبيرة ومنعتها من التقدم على اكثر من اتجاه . فقد استطاعت الاسلحة الصاروخية م/د ان تتعامل مع الدبابات الاسرائيلية على مختلف الاتجاهات والمسافات ، وساهمت مع بقية الاسلحة الاخرى في التصدي للقوات الاسرائيلية واجبارها على التوقف او التراجع رغم القصف الاسرائيلي الكثيف بالطيران والمدفعية على اتجاهات

مختلفة ومن خطوط دفاعية محضرة على عجل وذلك على المحاور التالية :

ـــ سحمر ـــ يحمر البقاع .
ـــ جب فرح ـــ حوش الذنيبة .
ـــ عين عطا ـــ حوش الذنيبة .
ـــ شبعا ـــ راشيا .
ـــ يحمر البقاع ـــ لباية . .
ـــ وادي الدلب ـــ بيت لهية .

وبلغ مجموع الدبابات والمجنزرات التي دمرتها الوسائط الصاروخية م/د السورية أكثر من ١٢٠ هدفاً اسرائيلياً بين دبابة وناقلة جنود وكاسحة ألغام .

لقد برزت وبشكل فعال نتائج عديدة وهامة في مجال استخدام الوسائط م/د في مجال استخدام الوسائط خاصة الفردية منها ، نظرا الى قدرتها على التعامل مع الاهداف المدرعة من اي مكان وعلى اي اتجاه وحسب الامدية المجدية لها .

قدرة الاسلحة م/د على امتصاص ضربات الانساق الاولى المدرعة ، وإعطاء الظروف المناسبة للقوات لخوض الاعمال القتالية بنجاح قبل زج الانساق الثانية او اعادة تنظيم تراتيب القتال .

قدرة الاسلحة م/د على العمل منفردة او بالتعاون مع الصنوف الاخرى في الدفاع والهجوم وذلك من خطوط محضرة مسبقاً او خطوط دفاعية جديدة وفي الكمائن على محاور التقرب المحتملة .

عملت مفارز قنص الدبابات (المؤلفة من ٤ ــ ٦ أشخاص والمسلحة بـ ٢ ــ ٣ قاذف م/د وقنابل يدوية وبنادق آلية ووسائط مدخنة) بشكل مستقل خلف خطوط القوات الاسرائيلية في عدد من المناطق التي كانت تتمركز بها الدبابات الاسرائيلية وأوقعت فيها الخسائر الكبيرة .

أكدت معارك البقاع امكانية التأثير الفعال في وحدات كاملة من الدبابات وتدمير معظمها عن طريق أفراد يحملون اسلحة فردية مضادة للدروع. يتوزع هؤلاء على شكل كمائن يتميز أفرادها بالجرأة والشجاعة والتدريب الممتاز . ومن خلال المصادر الاجنبية والاسرائيلية المختلفة فان المعلومات التي أوردتها تعطي صورة صحيحة للقدرات التكتيكية العالية في العديد من الاشتباكات والمعارك التي تصدت فيها الوسائط م/د للدبابات مما ساعد على تقييم فعالية الأسلحة المضادة للدروع في هذه المعارك .

ويبدو من الوصف الحي لبعض العسكريين الاسرائيليين من مختلف الرتب الذين اشتركوا في القتال في البقاع ان كمائن الـ م/د السورية كانت ناجحة في الكثير من الاشتباكات وان وحدات الصراع المختصة بهذا النوع من السلاح قد أثبتت كفاءة عالية في هذا المجال ، خاصة فيما يتعلق باختيار موقع الكمين والتعامل مع الارتال المتقدمة من خطوط معدة لهذه الغاية مما أدى الى وقوع خسائر كبيرة في المدرعات الاسرائيلية كما حصل في معركة منطقة ميمس وفي مواقع اخرى في سهل البقاع . والجدير بالذكر ان المصادر الاسرائيلية نفسها اشارت الى ان الكمائن م/د السورية قد أدت الى تراجع القوات الاسرائيلية او انسحابها غير المنظم في أكثر من معركة وذلك بعد صدمة الوقوع امام النيران م/د الكثيفة .

تحدث قائد احدى وحدات الدبابات الاسرائيلية الى صحيفة معاريف الاسرائيلية عن احداث ١٤ ساعة بين الموت والحياة قال : « وحدتنا هي كتيبة دبابات ، حاربنا ضد السوريين في القطاع الاوسط من سهل البقاع . واصلنا التقدم في منطقة هادئة تقريباً ، لكن بعد تحرك استمر بضعة كيلو مترات ، وجدنا انفسنا محاصرين من جميع الجهات من قبل السوريين ، وكان الوقت متأخرا في الليل ، عندما بدأت أصعب اللحظات في حياتنا .. فجأة ، تعرضنا لعشرات الصواريخ ، وبدأنا ندرك أننا في ضائقة كبرى . انها فوضى عارمة ولم يكن بمقدورنا ان نتحرك ، كان السوريون يطلقون النار علينا وكأنهم في ميدان رماية . لقد كانوا من المشاة المزودين بأسلحة صاروخية مضادة للدبابات . وبعد جهود كبيرة تم الاتصال بقواتنا ومباشرة فتحت دبابتي فشاهدت كومة من القتلى فوق بعضهم البعض ، ولكن الحقيقة واحدة وهي ان الكتيبة التي كانت بالامس وحدة متكاملة لم تعد كتيبة ، فقد نقص جنودها ونقصت دباباتها وانهارت معنوياتها واصبحت بحاجة الى اعادة تنظيم لان الحرب قد تنتهي وقد لاتنتهي ، مثلما كنا تماما نفكر الليلة الماضية بأن هذه الليلة قد تنتهي وقد لاتنتهي »[1] .

٨ ــ ابرز سمات موقعة البقاع

ان الغوص في تناول هذا الجانب بالذات من سمات موقعة البقاع

(١) النشرة الاستراتيجية العدد ١٦ تاريخ ١٩٨٢/٩/٩

من شانه ان يقود الى محاذير اساسية لعل أهمها عدم توافر المعلومات الموضوعية والموثوقة الكفيلة بإيصال البحث الى استنتاجات دقيقة يمكن الاعتماد عليها . ومع ذلك فقد اتسمت المعارك التي جرت بين القوات العربية السورية والقوات الاسرائيلية في منطقة البقاع بعدد من السمات اهمها :

ظهرت بشكل بارز من خلال العمليات الحربية جهود واضحة للتصدي للغزو تراوحت من حيث تعددها وكثافتها بين مرحلة قتالية واخرى ، وبين منطقة واخرى ، وقد أخذت أوجها متنوعة كان ابرزها : « الكمائن المسلحة والدوريات خلف الخطوط وعمليات الخطف والاغارة وزرع الالغام وتخريب الممرات الاجبارية والجسور » مما فرض على القوات الاسرائيلية مواجهة اعباء عسكرية اضافية مختلفة الطابع ، الى جانب كونها عاملا مساهماً في زيادة تعرض القوات الاسرائيلية للخسائر المادية ولاستنزاف دائم ومستمر في قواها البشرية .

وعلى الرغم من النتائج والانعكاسات البعيدة الاثر التي اسفرت عنها معارك البقاع على الصعيدين السياسي والعسكري ، فانه من الصعب النظرَ الى تلك المعارك كمواجهة عسكرية شاملة بين سورية واسرائيل فقد تميزت العمليات العسكرية في البقاع ليس بكثافتها النارية العالية براً وجواً فحسب بل بضخامة عدد القوات التي دفعت بها اسرائيل الى ساحة القتال من اجل تكثيف الضغط على المواقع السورية والحد من حرية عمل القوات ومنعها من زج قوات جديدة في المعركة .

وكانت معارك الدبابات في البقاع على الرغم من شراستها معارك

تكتيكية ، علما ان تحرك التشكيلات المدرعة الى مواقع الصدام كان عملياتياً لتأمين الحشد المناسب من أجل تحقيق اسناد فعال عند اتساع رقعة الاعمال القتالية .

ولم تظهر تكتيكات قتالية برية جديدة ، بل ان المستجد هنا يكمن في تزايد أهمية الدور الملقى على عاتق التطورات الحاصلة على صعيد تكنولوجيا الاسلحة الحديثة والمتطورة التي استخدمتها القوات السورية والقوات الاسرائيلية في هذه الموقعة والتي تحولت بفضلها الى امر واقع وبالغ التأثير عسكرياً .

ومن اهم الاسلحة والذخائر التي استخدمها الطرفان :

آ ــ القوات السورية :

الدبابة الحديثة ت٧٢ .
الحوامات القتالية المضادة للدروع من نوع غازيل .
الطائرات النفاثة الحديثة من طراز ميغ ٢٣ .

ب ــ القوات الاسرائيلية :

الدبابة الحديثة الاميركية الصنع من نوع باتون م٦٠ المزودة بوسائل التدريع المستخدمة لزيادة كمية الحماية المتوافرة لها بشكل يؤدي الى تقليل خطر تعرضها للاصابة والتدمير ويزيد من قدرتها على استغلال عامل المناورة التكتيكية دون خوف من خطر انواع معينة من الاسلحة م/د والمذخرة بقذائف جديدة معروفة باسم هتزاوارو (السهم) .

استخدام طائرات الرصد والأنذار المبكر ، الرادارات الطائرة من نوع (إي٢ هوك إى) .

اعتماد انظمة تشويش وتضليل وتعمية الكترونية ورادارية وحرارية واستخدام متكامل لوسائل التوجيه الالكتروني والحاسبات البلاستيكية المصغرة للتحكم بنيران مدفعية الميدان .

استثمار ايجابيات عمليات الاستطلاع الآني فوق ميدان المعركة وذلك باستخدام رادارات المراقبة الميدانية وحوامات الاستطلاع والطائرات الموجهة عن بعد دون طيار .

الطائرات القتالية المضادة للدروع م/د من انواع مختلفة .

الطائرات النفاثة الحربية من طراز ف ١٥ و ف ١٦ المزودة بصواريخ سايد وايندر ـــ ٩ل .

قذائف عنقودية موجهة مضادة للدروع وذخائر موجهة من طرازي مافريك وشرايك وذخائر محرمة دولياً .

كما ذكرت بعض المعلومات الصادرة من داخل اسرائيل (النشرة الاستراتيجية العدد ١٢ ـــ ١٣ تاريخ ١٩٨٢/٧/٢٩) ان الاسرائيليين قد جهزوا دباباتهم بخزانات دخان اضافية ورشاش متوسط وهاون صغير من عيار ٢٥مم او ٦٠ مم .

كانت معدلات استهلاك الاسلحة والمعدات والذخائر مرتفعة نتيجة لتسارع وتيرة الأعمال القتالية ، وللانعكاسات التي فرضها الطابع الجغرافي لمسرح العمليات ، فقد بلغت في اول ايام الغزو بحدود (٨ ـــ ١٠٪) من كلا الطرفين .

دخلت القوات السورية الحرب ضد القوات الاسرائيلية الغازية من الحركة ، وقد استطاعت التشكيلات السورية نشر تراتيب قتالها في الوقت المناسب وعلى الاتجاهات الملائمة بما يتوافق وظروف الاعمال القتالية الناشبة ، وخاضت معارك عنيفة ضد القوات الاسرائيلية الغازية رغم عدم توافر ظروف التكافؤ في القوى والوسائط براً وجواً . فقد ذكر ايتان ـــ رئيس اركان الجيش الاسرائيلي سابقاً ـــ بعد عشرة ايام من القتال : « ان القوات السورية قد كشفت عن شجاعة ومثابرة ، وهي صفات القوات السورية التقليدية »[1] .

واعترف ايتان لصحيفة هاآرتس الاسرائيلية بكفاءة المقاتل السوري وعناده قائلاً : « ان تصلب وعناد السوريين امران معروفان دوماً وابداً » . وقال : « ان الجيش السوري كما هو معروف جيش صعب المراس وشجاع ، وقد جهز منذ حرب تشرين الاول ١٩٧٣ بأجهزة وأعتدة متطورة من دبابات ومدافع واسلحة أخرى » .

الموقف العسكري الذي نشأ ، فرض على القوات السورية وبظروف صعبة ومعقدة وبتوقيتات قصيرة جدا ان تتحول من مهمة أمن وردع الى قوات تتصدى بقوة وحزم لتعطيل الغزو وتخريب اهدافه وتأمين الضغط العسكري المناسب لمنع التقدم الاسرائيلي نحو الشمال . ومع ذلك فقد استطاعت القوات العربية السورية الاحتفاظ بالمبادأة والمفاجأة في بعض مراحل الاعمال القتالية ، عندما نفذت الضربات النارية القوية ضد القوات

---

(١) النشرة الاستراتيجية العدد ٩/١٦ ايلول ١٩٨٢ .

الاسرائيلية في البر والجو ، وحققت استنزافاً متراكما في القوى البشرية الاسرائيلية طيلة مدة الغزو ، وفي فترة ما قبل وقف اطلاق النار .

ومن هنا يمكن القول ان الظروف الناجمة عن عدم التكافؤ الجوهري قد افرز وضعاً صعبا امام القوات السورية دفعها لقبول اصعب الخيارات وأعقدها ، لكنه في حد ذاته كان خيارا استراتيجيا صعبا ومكلفا لانه فرض على اسرائيل ، بالمقابل خيارات صعبة ومكلفة ايضا ووضعها امام مأزق يدعو للقلق في تقدير ميزان الربح والخسارة .

الفصل الثامن

معركة بيروت

ــ توطئة .
١ ــ الوضع العسكري قبل الحرب .
٢ ــ تبدلات الوضع عشية معركة بيروت .
٣ ــ الخطوط العامة للمعركة .
٤ ــ المرحلة الاولى « ٩ ــ ٦/١٣ »
آ ــ معركة خلدة .
ب ــ معركة مثلث خلدة .
٥ ــ المرحلة الثانية : تحقيق التطويق القريب .
٦ ــ المرحلة الثالثة : الوصول الى تخوم المناطق المبنية ومدرجي المطار .
٧ - المرحلة الرابعة : الاستنزاف المتبادل على طول خط المواجهة :
آ - انتشار القوات المدافعة .
ب- الاستنزاف في قطاع لواء حطين .
ج - الاستنزاف في قطاع لواء القادسية .

د – الاستنزاف في قطاع الوحدات الخاصة .

هـ – الاستنزاف في محيط المطار «جزء من اللواء ٨٥» .

و – الاستنزاف على المحور الاوزاعي «قطاع سرايا الدفاع وجزء من اللواء ٨٥ »

ز – الاستنزاف من جهة البحر «قطاع سرايا الدفاع وجزء من اللوائين ٨٥ وحطين .

٨ – المرحلة الخامسة التورط في المناطق المبنية :

آ – فكرة الاقتحام الاسرائيلي للمناطق المبنية :

ب – الفشل في اقتحام محور الأوزاعي (١/٨) .

ج – الخرق على محور الليلكي – الكوكودي – المطار (١/٨)

د – معركة المتحف (٤ – ٨/١٢)

هـ – محاولة خرق محور المرفأ (٨/٤)

و – سقوط ثكنة هنري شهاب واخلاء الأوزاعي (٨/٤)

٩ – ملاحظات من قلب المعركة :

آ – حول وتيرة التقدم المعادي .

ب – حول القصف الاسرائيلي .

ج – غياب الحوامات المعادية عن اجواء المعركة .

د – التخريب في قلب المنطقة المحاصرة .

هـ – المدفعية في المعركة .

و – الصراع ضد الدروع .

ز – تدابير الدفاع الجوي .

توطئة

عاشت بيروت الغربية قبل بدء الغزو الصهيوني مرحلة مفعمة بالتوتر السياسي والاضطراب الامني . ففي ظل غياب السلطة الشرعية المركزية ، وعجز القوى الوطنية عن خلق سلطة شعبية بديلة فاعلة ، وانتشار السلاح على نطاق واسع لايحكمه اي ضابط ، وبروز عدد من التناقضات داخل الصف الوطني ، كان من الطبيعي ان يؤدي اي حادث فردي الى صدام مسلح يشمل تنظيمين او اكثر ، ويدفع المواطنون ثمنه دما ودماراً وقلقا ، ويفرض على قوات الردع العربية واجهزة الامن الفلسطينية واللبنانية الوطنية أعباء اضافية ، ويستنزف جهود الهيئات السياسية واللجان الامنية . كما كان من الطبيعي ان تجد اسرائيل والقوى المحلية المتحالفة معها السبيل الى تحقيق اختراقات امنية في قلب بيروت الغربية ، وان يجد المجرمون المحترفون والمنحرفون الهواة الذين افرزتهم الحرب الاهلية ، المناخ المناسب لنشاطاتهم المخلة بالامن .

ولسنا هنا في مجال تحليل الواقع السياسي ـــ الاجتماعي الذي ساد

الاراضي اللبنانية ابان الحرب الاهلية (١٩٧٥ ــ ١٩٧٦) والسنوات التي تلتها ، وطبيعة الصراعات المحلية والاقليمية التي انتجت هذا الواقع ؟ وكل ما هدفنا اليه هو رسم الخطوط العريضة لملامح ذلك الواقع ، كمدخل لفهم انعكاساته على انتشار القوات في بيروت قبيل الغزو ، وكوسيلة لاظهار بطولة الجماهير « اللبنانية والفلسطينية » في بيروت الغربية والضاحية الجنوبية ومدى التصاقها بالبندقية المقاتلة ضد العدو الاسرائيلي ، من خلال ابراز التناقض بين حالة القلق والتفتت وانعدام الامن التي عاشتها تلك الجماهير قبل بدء القتال ، والتضحيات التي قدمتها ابان المعركة .

١ ــ الوضع العسكري قبل الحرب

كانت القوى العسكرية الموجودة في بيروت الغربية والضاحية الجنوبية قبل الغزو تتمثل في لواء المشاة السوري ٨٥ المعزز ووحدات من سرايا الدفاع ، ولوائين من جيش التحرير الفلسطيني (حطين والقادسية) وجزء من قوات الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية وحركة أمل .

ولقد اخذ اللواء ٨٥ منذ وصوله الى بيروت مهمة امنية في اطار قوات الردع العربية ، تتمثل في : مساعدة السلطة اللبنانية الشرعية على فرض الامن وتحقيق الاستقرار ، واستعادة سيطرتها على العاصمة اللبنانية وما حولها ، وتأمين سير المؤسسات العامة وحمايتها . وانعكست هذه المهمة الامنية على انتشار اللواء ، فمنعت وحداته من أخذ مواضع قتالية ضمن ترتيب دفاعي ، وفرضت عليها التوزع الى مجموعات متباعدة ، تقوم بمهام الدوريات والحراسات الثابتة وحواجز الطرق ، مع الاحتفاظ

باحتياط متحرك للتدخل في مناطق الاشتباكات المحلية بين التنظيمات ، والتعامل مع السيارات المفخخة ، ومساعدة قوى الامن الداخلي .

وفي الشهور التي سبقت الغزو ازدادت اعباء اللواء ٨٥ الامنية تحت تأثير عوامل ثلاثة :

١ ــ تصاعد الصدامات بين التنظيمات الوطنية ، بشكل جعل قيادة اللواء تتجاوب مع الحاح اللجان الأمنية ، وتنشر مزيدا من الوحدات في الاحياء السكنية على شكل مراكز ثابتة للفصل بين المتقاتلين .

٢ ــ تزايد حوادث التخريب والتفخيخ والاعتداء على المؤسسات والشخصيات السياسية والسفارات ، الامر الذي فرض تكثيف الدوريات ، وتكليف عدد اكبر من الجنود لتأمين الحراسات الثابتة .

٣ ــ الحاح السلطة الشرعية اللبنانية على إبعاد جيش التحرير الفلسطيني عن بوابات العبور الواقعة على خطوط التماس (المتحف مارمخايل ، بنك الاعتماد السوري ،الحدث ــ الشويفات) واضطرار اللواء ٨٥ الى مسك تلك البوابات بوحداته .

ولقد كان من المفروض تخفيف اعباء اللواء بالقاء جزء منها على كاهل قوات الشرعية (قوى الامن الداخلي والجيش) الا ان تباطؤ بناء الامن الداخلي جعلها غير قادرة على تقديم مشاركة أمنية فاعلة ، كما تعطل دور الجيش اللبناني ، من جراء رفض القوى الوطنية لفكرة انتشاره في مناطقها ، ومن بينها بيروت الغربية وضاحيتها الجنوبية ، بسبب اعتراضها

على مواقف قياداته وارتباطاتها ، ولانها وجدت ان أبسط قواعد المنطق والتوازن والعدل تتعارض مع انتشار الجيش أمنيا في المناطق الوطنية وحدها ، بعد أن فرضت « الجبهة اللبنانية » الامن الذاتي في مناطقها ، ورفضت وجود الجيش في تلك المناطق ، واحتلت عددا من ثكناته واخرجته بالقوة من بعض المواقع التي كان يشغلها .

اما لواءا القادسية وحطين ، اللذان دخلا لبنان في اطار قوات الردع العربية ، فكانا قبل اندلاع القتال منتشرين أمنيا على خطوط التماس التي خلفتها الحرب الاهلية ، والممتدة من المرفأ شمالا حتى منتصف الحدث جنوبا « عدا بوابات العبور » وكانت مهمتها حماية خط الفصل بين بيروت الغربية وبيروت الشرقية ، لمنع الصدام بين مقاتلي القوى الوطنية و «الجبهة اللبنانية » واقامة الحواجز الامنية بعمق كيلو متر واحد تقريبا غربي خط التماس .

وبالمقابل نجد أن عوامل التوتر السياسي ، والاضطراب الامني ، والصدامات المسلحة في المناطق الوطنية ، ومحاولات « الجبهة اللبنانية » لقضم خطوط التماس والتسلل الى بيروت الغربية ، قد انعكست على الثورة الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية بشكلين : أحدهما سلبي والاخر ايجابي . واذا كان النزيف المستمر والتبشتت وشرخ الثقة وانعدام السيطرة المركزية تمثل عناوين الانعكاس السلبي ، فان الانعكاس الايجابي بالنسبة الى معركة بيروت (السلبي بالنسبة الى مواجهة الغزو ككل) يتمثل في ان التنظيمات الفلسطينية واللبنانية الوطنية كثفت قبل الغزو وجودها العسكري في مناطق التوتر والصدام ، وعززت الحراسات والدوريات ،

واحتفظت في العاصمة بقوات متحركة تسمح لها بايقاف الصراعات ، الامر الذي جعل القوات المشتركة ، التي ساهمت بعد ذلك في معركة بيروت ، كبيرة نسبيا وتمتلك وسائط نارية وقتالية تتجاوز ماكان عليها الاحتفاظ به في موقع كبيروت ،بعيد عن خط التماس مع الجيب الحدودي .

٢ ــ تبدلات الوضع عشية معركة بيروت

لم تكن نوايا اسرائيل المتعلقة بالعدوان على لبنان خافية على احد . ولقد تزايد الاقتناع باقتراب موعد الغزو منذ أن بدأت القوات الصهيونية تحشدها في الجبهة الشمالية وتغلغلها داخل الشريط الحدودي . وكانت التهديدات الاسرائيلية المتكررة ، وطبيعة انتشار المراصد ومقرات القيادة في المناطق الحدودية ، وعدد من المعطيات الاستخبارية والاستطلاعية ، تؤكد اقتراب موعد العملية الاسرائيلية وضخامة القوات المحتشدة للمشاركة فيها . من هنا يمكن القول ان العدوان في حد ذاته لم يحمل اي قسط من المفاجأة ، الا ان سعة هذا العدوان لم تتضح الا في صباح ٩/٦ ، عندما وسع العدو نطاق عمله جغرافيا ، ودفع ارتاله المدرعة نحو خلدة : البوابة الجنوبية للعاصمة اللبنانية ، بغية استثمار نجاحات الايام الثلاثة الاولى (بعد الحصول على ضوء اخضر امريكي ونجاح الضربة الجوية ضد الصواريخ الجوية السورية في البقاع) ومتابعة التقدم لاحتلال بيروت الغربية ، التي لم تكن في الاصل محصنة للدفاع ضد هجوم تشكيلات برية كبيرة .

والجدير بالذكر هنا ان الغارات الجوية التي شنها الطيران المعادي

على بيروت الغربية وضاحيتها الجنوبية قبل بدء الاجتياح (٤ و ٥ حزيران) لم تؤد الى التفكير باحتمال امتداد الغزاة شمالا حتى العاصمة ، بل اعتبرت استمرارا للغارات السابقة ، ووسيلة لتدمير القوى والوسائط الاحتياطية ومنعها من دعم المدافعين عن الجنوب اللبناني بالقوات والامدادات .

بيد أن استبعاد امتداد الغزو الى بيروت لم يكن يعني استبعاد وقوع كافة انواع الاعمال القتالية فيها . فلقد كان من المتوقع ان يقوم العدو الاسرائيلي بانزالات جوية او بحرية تشتيتية على تخوم العاصمة او عند مداخلها الجنوبية ، بغية عزل بيروت عما حولها ومشاغلة القوات الموجودة فيها ومنعها من تعزيز المدافعين عن الجنوب . كما ان الاستعدادات المرصودة في مناطق « الجبهة اللبنانية » ، وتصاعد التنسيق بين الكتائبيين والاسرائيليين « زيارات متبادلة ، تدريبات ، خبراء ، صفقات اسلحة .. الخ » كانت تدفع الى الاعتقاد بان تلك الجبهة ستعمد الى استغلال الوضع النفسي الناجم عن الغزو الاسرائيلي ، والافادة من انشغال القيادات والقوات السورية ـــ الفلسطينية ـــ اللبنانية بالمهام الرامية الى صده ، بغية تكثيف اعمال التسلل والتخريب في بيروت الوطنية ، والقيام بعمليات تستهدف اختراق خطوط التماس او قصمها .

في ضوء هذين التقويمين لاحتمالات امتداد الغزو وطبيعة القتال المتوقع في بيروت ، قامت القوات الموجودة في العاصمة قبل ٦/٨ باتخاذ التدابير التالية :

١ ـــ البدء منذ يوم ٦/٦ بتجميع وحدات اللواء ٨٥ المنتشرة على معظم

الحواجز ومراكز الحراسة الثابتة (عدا الوحدات الموجودة على بوابات العبور والأهداف الحيوية) واعدادها داخل بيروت الغربية على شكل وحدات مستعدة للحركة باتجاه محاور القتال المحتملة ، أو لتطبيق الخطة المعدة مسبقاً لمكافحة الانزالات الجوية والبحرية ، مع الاحتفاظ بدبابات اللواء ومدفعيته في اماكن انتشارها السابقة المناسبة للتدخل ضد الاخطار المتوقعة .

٢ ــ اجراء الاستطلاع في ٦/٦ على بعض المحاور ، ومن بينها منطقة خلدة ، تمهيدا لارسال وحدات من القوات الخاصة السورية الى لبنان لدعم الثورة الفلسطينية ، بناء على طلب قيادة منظمة التحرير الفلسطينية .

٣ ــ قيام اللواء ٨٥ في الساعة ١٨٫٠٠ من يوم ٦/٦ بدفع وحدة الى جزين للمشاركة في صد العدو المتقدم على ذلك المحور .

٤ ــ توضع كتيبة المشاة الثانية من اللواء ٨٥ منذ يوم ٦/٧ ، في الكوكودي ومحيط المطار ، لدعم القوات المشتركة المنتشرة في الضاحية الجنوبية مقابل خط الشويفات ــ الحدث .

٥ ــ تكثيف الرصد والدوريات على طول الشاطىء ، من شمالي خلدة حتى السمرلند .

٦ ــ استنفار القوات المتحركة والميليشيات التابعة للثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية وحركة أمل ، ونشر مجموعات منها على خط التماس ووراءها مع تعزيز القوى والوسائط المخصصة لمكافحة الانزالات ، في المنطقة الممتدة من خلدة جنوبا حتى المرفأ شمالا .

٧ ــ قيام القوات المشتركة بدفع مجموعات راجلة ومحمولة ، بما في ذلك مجموعات قنص الدبابات ، الى محور الناعمة ــ الدامور منذ ٦/٧ . وتكثيف التحشد في خلدة وكلية العلوم والشويفات والاوزاعي ومحيط المطار ، ودعم هذه المواقع بالراجمات والهاونات . علما أن المواقع كانت مدعومة أساسا بمدفعية اللواء ٨٥ .

٨ ــ نشر مدفعية القوات المشتركة ومدرعاتها في مواقع تمكنها من الصراع ضد الانزالات ، ومواجهة الأخطار الكامنة في بيروت الشرقية .

في هذه الفترة ، قررت القيادة السورية دغم القوات الموجودة في بيروت الغربية ، عن طريق نشر قوة في منطقة خلدة ، فدفعت في الساعة ١٤٫٠٠ من يوم ٦/٧ كتيبة قوات خاصة من الفوج ٣٦ معززة بسريتي راجمات صواريخ ووحدة صواريخ م/د [1] ، كما دفعت الى بيروت في الفترة ذاتها وحدات من سرايا الدفاع ، انضمت الى مجموعات السرايا الموجودة في العاصمة مسبقاً، وشكلت معها قوة بقوام كتيبة معززة بالراجمات والهاونات ، كلفت بالانتشار من خلدة حتى مثلث خلدة ، ولقد وصلت هاتان القوتان الى المواقع المحددة لهما ، وانهتا انتشارهما في ليلة ٧ ــ ٦/٨ ، وألحقتا بقيادة اللواء ٨٥ .

وفي ٦/٨ ، وبفضل التحركات السورية وتحركات القوات المشتركة ، تحشدت في المنطقة الساحلية الممتدة من جنوبي مطار بيروت حتى جنوبي

---

(١) م/د تعبير يقصد به مضاد للدبابات .

خلدة « بعرض ٢ كم وعمق ٣٫٥ كم » قوات سورية نظامية ومجموعات من مقاتلي منظمات الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية وحركة أمل. وكانت هذه القوات مدعومة بمدفعية اللواء ٨٥ وراجمات الوحدات الخاصة وسرايا الدفاع (المنتشرة كلها في المنطقة ذاتها) ومدفعية القوات المشتركة المنتشرة في الضاحية الجنوبية ومنطقة المطار وتلال عرمون ، أضافة الى جزء من مدفعية القوات السورية المتمركزة في منطقة الجبل ، والقادرة بفضل مداها البعيد على التدخل من مواقعها ضد اي هدف يتجاوز الدامور باتجاه بيروت .

وخلف هذا التحشد ، انتشرت قوات مشتركة ووحدات سورية في منطقة مفتوحة تمتد من الطريق الساحلي غربا حتى طريق الشويفات ــ الحدث شرقا « بعرض ٣ ــ ٤ كم وعمق ٢٫٥ ــ ٥ كم » وتضم المطار وبساتين صحراء الشويفات والاراضي الرملية الواقعة بين الطريق الساحلي غربا واوتستراد المطار شرقا .

اما المنطقة الثالثة فكانت تشمل المناطق المبنية في بيروت الغربية وضاحيتها الجنوبية والاوزاعي ، حيث تتمركز غالبية قطعات اللواء ٨٥ ولواءا القادسية وحطين بكامل قوتيهما ، ومجموعات من مقاتلي وميليشيات التنظيمات الفلسطينية واللبنانية الوطنية .

ومع ظهور المؤشرات الدالة على احتمال تقدم العدو شمالا باتجاه بيروت ، كانت القوات المنتشرة في المنطقتين الاولى والثانية في وضع يسمح لها بالتصدي لذلك التقدم ، كما لاءمت القوات الفلسطينية ــ اللبنانية

المشتركة الموجودة في المنطقة الثالثة انتشارها مع الوضع الجديد ، بان كثفت وجودها في الضاحية الجنوبية وشمالي المطار والاوزاعي . ولم يكن على لوائي القادسية وحطين اجراء أي تبديل في ترتيب توضعهما القتالي داخل المنطقة الثالثة ، لان مهمتهما الجديدة كانت مطابقة لمهمتهما السابقة على خطوط التماس ، في حين كان على اللواء ٨٥ أن يقلب ترتيبه الدفاعي استعدادا للقتال على الاتجاه المعاكس . لذا أعدت قيادة اللواء خطة تتضمن دفع المشاة وجزء من الدبابات الى أمام (مع الاحتفاظ باحتياط متحرك) واعادة المدفعية الى وسط الترتيب ، ونشر سرية الدفاع ضد الدبابات على شكل عقدة م/د في عمق الترتيب ، وسحب المؤخرات من مواقعها المتقدمة الى موضعها الطبيعي وراء القوات . ولقد اخذت هذه الخطة في الحسبان النقاط الخمس التالية :

١ ــ الافادة من التغطية التي تشكلها المنطقة الاولى لاجراء عملية قلب الترتيب القتالي بشكل آمن .

٢ ــ اعتماد مبدأ الدفاع المتحرك المبني على الاحتفاظ بقوى اللواء الاساسية مجمعة وراء المنطقة الاولى ، وانتظار جلاء الموقف وتقدير نوايا ارتال العدو المتقدمة في الشوف والجبل ومعرفة محاور جهدها الرئيسية ، لتحديد طبيعة الانتشار الجديد ، وهل سيكون باتجاه الجنوب فقط ام باتجاه الجنوب مع سد منافذ بيروت من جهة الشرق ايضا .

٣ ــ تنفيذ عملية قلب الترتيب ليلا ، للتخلص من ضربات الطيران ، والاختفاء عن الرصد الجوي الذي قد يكشف وحدات اللواء اثناء

تحركها الى مواقعها الجديدة ويسمح لمدفعية العدو البرية والبحرية بقصفها .

٤ ــ اعتبار خط انتشار القوات الخاصة وسرايا الدفاع الحد الامامي للقوات السورية المكلفة بالدفاع عن بيروت الغربية ، والتصميم على التصدي للهجوم المعادي بعيدا عن العاصمة ، بدلا من انتظاره على تخوم المناطق المبنية .

٥ ــ تأمين ثبات الدفاع وتماسكه وتعزيز طابعه المضاد للدبابات ، عبر تحسين مساتر رمي الوسائط المدرعة في عقد خلدة والاوزاعي وقصر مشنوق والكوكودي ، وتجهيز حقول الالغام على الطريق الساحلي من عقدة خلدة حتى الرملة البيضاء ، وتحصين مواقع سرية م/د اللواء المنتشرة شمالي المطار .

٣ ــ الخطوط العامة للمعركة

في هذا الوضع ، ووفق هذا المفهوم ، دخلت القوات المدافعة عن بيروت القتال الذي امتد من ٦/٩ حتى ٨/١٢ ، وكان سلسلة من المعارك المتعاقبة ، تفصل بينها فترات جمود في التحركات مع استمرار القصف المعادي الثلاثي (من البر والجو والبحر) .
وقبل الخوض في تفاصيل المعارك ، والتبدلات التي طرأت على مواقف القوات المتحاربة ، لابد لنا من تبيان الفكرة العامة التي حكمت خطة الهجوم المعادي ، وتحديد المراحل المتتالية لتنفيذ تلك الخطة ، والعقبات

التي اعترضت التنفيذ في كل مرحلة وادت الى عرقلة جهود العدو أو احباطها .

لقد رسمت القوات الاسرائيلية خطتها للاندفاع نحو بيروت الغربية استنادا الى الاسس التالية :

١ ــ استثمار النجاحات السريعة المحققة في الايام الثلاثة الاولى للغزو ، واستغلال الوضع العسكري والمعنوي الناجم عنها ، والمبادرة الى الهجوم من الحركة ، قبل ان تتوصل القوات الموجودة في بيروت وجنوبها الى استعادة التوازن وتنظيم خطوط دفاعية قوية في العاصمة وعلى مشارفها .

٢ ــ التقدم نحو بيروت على ثلاثة محاور : الدامور ــ خلدة ، وجسر القاضي ــ عرمون ــ خلدة ، وقبر شمول ــ وادي شحرور ــ الحدث .

٣ ــ تركيز الجهد الرئيسي على محور التقدم الجنوبي (الساحلي) في المناطق المفتوحة الإمر الذي يسمح للتشكيلات المدرعة باستغلال حركيتها وقدرتها على المناورة ، والافادة من الدعم الناري الثلاثي (البري ــ البحري ــ الجوي) الى الحد الاقصى ، بغية القيام بوثبة سريعة عمقها ١٠ كيلو مترات (من الناعمة حتى تخوم المناطق المبنية في الاوزاعي والضاحية الجنوبية) في خلال ٢٤ ساعة .

٤ ــ اغلاق الطوق القريب حول بيروت من جهة الشرق بجزء من القوات المتدفقة على المحور الجنوبي ، وبالقوات القادمة من جهة الشرق .

٥ ــ تحقيق التطويق البعيد للعاصمة اللبنانية ، عبر الوصول الى طريق بيروت ــ دمشق ، وسد كافة المنافذ التي تصل بيروت بما يجاورها ، وقطع اي امل بوصول الامدادات او فك التطويق بضربة تأتي من خارج الطوق .

٦ ــ تجنب اختراق المناطق المبنية (الاحياء السكنية والمخيمات) حتى لاتخوض القوات المدرعة حرب الشوارع القاسية والمكلفة ، وتضطر الى القتال في ظروف تحرمها من الدعم الناري ومن ميزتي الحركية والمناورة ، وتمنح المدافعين القدرة على تحقيق الاستثمار الاقصى لإمكاناتهم في الصراع ضد الدروع .

٧ ــ اللجوء بعد التطويق الى القصف العنيف والحصار التمويني وقطع المياه وتدابير الحرب النفسية ، بغية شرخ التلاحم بين المقاتلين والسكان المدنيين ، وقهر ارادة المدافعين عن المدينة واقناعهم بعبثية المقاومة واجبارهم على الاستسلام بعد بضعة ايام . وليس من المبالغة في شيء القول ان الخطة الاسرائيلية كانت سليمة من الناحية النظرية ، فهي تضمن تلاؤم استخدام القوات مع طبيعة الارض لتحقيق المردود الاقصى ، وتؤمن الاقتصاد بالقوى والتعاون بين مختلف صنوف الاسلحة ، وتحقق التزامن والتناوب بين العمل العسكري البحت والحرب النفسية ، وتشكل تجسيدا حيا لنظريات الهجوم الحديثة .

بيد ان سلامة الخطة الاسرائيلية لم تنعكس عمليا على ارض المعركة .

فلقد اصطدمت القوات المعادية جنوبي بيروت بدفاع من نوع لم تصادفه في ايام الغزو الأولى ، ويعتمد على تمسك القوات السورية بالارض والدفاع عنها بصلابة ، بالتعاون مع الميليشيات والقوى شبه النظامية التي تشتبك مع العدو وتناوشه وتنهكه بأساليبها القتالية الخاصة . لذلك تعذر على المهاجمين تحقيق الاندفاع السريع غير المكلف بين خلدة وتخوم بيروت ، وتكبدوا إبان تقدمهم حتى حدود المناطق المبنية خسائر كبيرة ، واضاعوا وقتا ثمينا استثمره المدافعون في تحصين مواقعهم وتأمين تماسكها .

وبسبب التصاق المواطنين (اللبنانيين والفلسطينيين) بفكرة الصراع ضد الغزاة ، ووعيهم حجم الاخطار السياسية والمادية التي ستنجم عن تمكن العدو من احتلال بيروت ، ونجاح الاجهزة الادارية التابعة للثورة الفلسطينية في تأمين حد معقول من متطلبات الصمود المادية (ماء ، غذاء ، طاقة ، علاج طبي ، ذخائر) ، واستمرار التوعية التحريضية طوال ايام الحصار ، فان تطويق العاصمة القريب والبعيد ، وما رافقه من قصف عنيف ، ونشاطات العملاء التخريبية ، ومحاولات تفتيت المعنويات ، وحرمان السكان من الغذاء والماء والدواء والطاقة ، لم تؤد الى خلق الشرخ المنتظر بين المواطن والمقاتل ، او انهيار ارادة القتال وسقوط المدينة المحاصرة تحت تأثير الاعياء .

ونتج عن ذلك كله امتداد أمد الصراع وتبدل طبيعته . واذا كان طول مدة القتال قد حرم اسرائيل من قطف ثمار الغزو بالمفاجأة وقبل ان تتحرك عجلة الضغط السياسي الدولية ، فان التوقف على ابواب بيروت دون التمكن من اخضاعها ، اسفر عن تحول الغزو من الحرب الخاطفة

والعمليات الحاسمة الى معركة استنزاف طويلة نسبيا ، ولا تتناسب مع مفاهيم القوات الاسرائيلية واساليبها القتالية وقدرتها على تحمل الخسائر البشرية . الامر الذي قلص مجالات الاختيار أمام تلك القوات ، وذلك بان اجبرها على محاولة تحقيق الحسم في ظروف صعبة عبر اختراق المناطق المبنية ، ومواجهة المدافعين على مسرح القتال الذي يلائمهم ويتناسب مع ما بقي لديهم من أسلحة ، ويسمح لهم بادارة المعركة بنجاح على الرغم من اختلال موازين القوى لصالح العدو .

ويمكن تقسيم الصراع الذي استمر من ٦/٩ حتى ٨/١٢ الى المراحل التالية :

ــ التقدم من جنوبي خلدة حتى مثلث خلدة (٩ ــ ٦/١٣) .
ــ تحقيق التطويق القريب (١٣ ــ ٦/١٥) .
ــ التقدم حتى تخوم المناطق المبنية ومدرجي المطار (٦/١٤ ــ ٦/١٧) .
ــ الاستنزاف المتبادل على طول خط المواجهة (٦/١٨ ــ ٧/٣١)
ــ التورط في المناطق المبنية (٨/١ ــ ٨/١٢) .

٤ ــ المرحلة الأولى (٩ ــ ٦/١٣)

جرى القتال في هذه المرحلة على المحور الساحلي ، وفي منطقة

مفتوحة نسبيا ، وتنتشر فيها مبان وبساتين متفرقة لاتعتبر مانعا طبيعيا جديا امام التقدم المدرع ، ولا تمثل غطاء كافيا ضد الرصد الجوي . ويخترق الحافة الغربية للمنطقة من الجنوب الى الشمال ، طريق بيروت ـــ صيدا ، الذي لايشكل ممرا اجباريا ، بل يمكن للدروع ـــ بل وللسيارات احيانا ـــ الخروج عنه في الجزء الاكبر من اقسوماته ، ومتابعة التقدم عبر الاراضي المجاورة له .

ويبلغ عرض المنطقة المفتوحة جنوبي خلدة حوالى ٢٠٠٠ متر ، ثم تضيق تدريجيا كلما تقدمنا باتجاه الشمال ، حتى يصل عرضها عند مثلث خلدة الى حوالى ٥٠٠ متر . وتستند المنطقة من جهة الغرب الى البحر ، بينما تستند من جهة الشرق الى مرتفعات خلدة المكسوة باشجار كثيفة نسبيا . ولقد دارت على هذا المحور معركتان رئيسيتان هما : معركة خلدة ، ومعركة مثلث خلدة .

١ ـــ معركة خلدة :

اثر نجاح العدو في احتلال الشارع الرئيسي لبلدة الدامور(٦/٨)، وعندما كانت قواته مشتبكة مع القوات الفلسطينية ـــ اللبنانية المشتركة وتعمل على تطهير مباني البلدة ومرتفعاتها وبساتينها ، اندفع لواء مدرع معاد باتجاه جسر القاضي للالتفاف حول مرتفعات عرمون ، والانحدار بعد ذلك باتجاه بيروت من الجهة الجنوبية الشرقية ، بينما تقدم لواء مدرع اخر باتجاه الشمال واصطدم بمقاتلي القوات المشتركة المنتشرين على طريق الدامور ـــ الناعمة .

وكان اندفاع الغزاة حتى ذلك الحين محكوما بهاجس التقدم السريع والى ابعد نقطة ممكنة في عمق الاراضي اللبنانية ، ويتم باسلوب تجاوز المقاومات وتثبيتها والتعامل معها بجزء من القوات المهاجمة ، ودفع الجزء الاخر من تلك القوات الى امام ، بشكل يضمن استمرار التقدم وكسب الارض بوتيرة عالية .

وتحت تأثير الهاجس نفسه ، كان العدو ينزل المشاة وبعض الدبابات على الشاطىء وراء نقاط المقاومة الممتدة على الطريق الساحلي ، كما يقوم بانزال مجموعات محمولة بالحوامات على المرتفعات المشرفة على ذلك الطريق . وكانت غايته من ذلك تهديد مؤخرات المدافعين ، وقطع طرق امدادهم وانسحابهم ، لاجبارهم على التخلي عن الطريق الرئيسي والتشتت في المرتفعات ، مما يسمح له بالتقدم السريع والحفاظ على المبادرة واعطاء تحركاته طابع الحرب الخاطفة التي لايمكن التصدي لها .

وكما طبق العدو هذا الاسلوب في ايام الغزو الثلاثة الاولى ، فقد طبقه في النصف الثاني من نهار ٦/٨ والنصف الاول من نهار ٦/٩ ، ابان تقدمه من الدامور الى خلدة . مما دفع القوات المشتركة الى اخلاء مواقعها على الطريق ، والالتجاء الى المرتفعات لمتابعة الصراع باساليب حرب العصابات . وفي هذه الفترة من الحرب ، دخلت مدفعية اللواء ٨٥ المعركة منذ الساعة ١٤٫٠٠ من يوم ٦/٨ ، وتعاملت مع العدو من مرابضها الواقعة شمال شرقي خلدة ، وساهمت في ضرب قوات الانزال البحري على شواطىء الناعمة والسعديات ، كما قصفت في يوم ٦/٩ تجمعات العدو في الدامور وارتاله المتقدمة على طريق الدامور ـــ الناعمة .

وفي حوالى الساعة ١٢٫٠٠ من يوم ٦/٩ ، نجح العدو في السيطرة على الشارع الرئيسي لبلدة الناعمة ، وانفتح امامه الطريق الى خلدة .

وخلدة بلدة ساحلية تحيط بها البساتين ، وتتألف من ابنية حديثة عالية ممتدة على جانبي طريق بيروت ـــ صيدا ، بالاضافة الى بعض الابنية المتناثرة شرقي الطريق . بيد أن استناد خلدة من جهة الغرب على حافة البحر مباشرة ، ووجود ارض صعبة نسبيا بين الابنية الشرقية والمرتفعات الجبلية ، كان يعني تعذر الالتفاف حول البلدة من جهة الغرب ، وضرورة اقتحامها بشكل جبهي تقريبا .

ولقد تجمعت في خلدة وحولها قوات تضم مجموعات تنظيمات الثورة الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية [١] ، الامر الذي حول البلدة الى نقطة مقاومة قوية معززة بمختلف انواع الاسلحة المضادة للدروع .

ولم تكن نقطة خلدة الدفاعية معزولة عن القوات السورية المنتشرة الى جوارها . فلقد كانت قوة من سرايا الدفاع (بقوام سرية معززة) متمركزة على التخوم الشمالية للبلدة للقيام بمهمة مسك طريق خلدة ـــ بيروت ، كما كانت كتيبة القوات الخاصة المعززة متمركزة في تلة الرادار والمرتفعات المشرفة على خلدة ومحاور الاقتراب منها .

اما الوسائط النارية المتوافرة لدعم المدافعين عن خلدة فكانت تضم : مدفعية اللواء ٨٥ وهاوناته الثقيلة ووسائط دعم كتيبة القوات الخاصة (راجمات وهاونات) ، وسرية راجمات وهاونات ثقيلة من سرايا

(١) كانت غالبية المجموعات هنا من تنظيمات فتح ، وحركة امل ، والصاعقة ، والجبهة الشعبية .

الدفاع وبعض مدفعية القوات المشتركة . بالاضافة الى امكانية طلب الرمايات من مدفعية القوات السورية المتمركزة في الجبل .

ولاقتحام نقطة خلدة والاندفاع باتجاه بيروت ، حشد العدو شمالي الناعمة لواء مدرعا ، كما حشد في منطقة الجية ــ الدامور لواء ميكانيكيا (وكلاهما من فرقة اموس يارين) . ويبدو من الترتيب القتالي الذي اخذته القوات المهاجمة التي قدمت الدبابات على المشاة واتخاذ القرار بمهاجمة خلدة من الحركة ، أن الاسرائيليين لم يتوقعوا مواجهة مقاومة عنيفة في تلك النقطة ، وتصوروا ان بامكانهم تطبيق الاسلوب الذي مارسوه من قبل ضد القوات المشتركة وتحقيق خرق سريع وعميق دون التعرض الى خسائر كبيرة . ويرجع هذا الخطأ في تقدير الموقف الى العوامل التالية :

١ ــ المبالغة في تقدير نتائج القصف الثلاثي الذي تعرضت اليه خلدة والمناطق المحيطة بها منذ بداية الحرب ، والاعتقاد بانه كاف لتليين الموقع الدفاعي .

٢ ــ عدم اكتشاف القوات السورية النظامية (من القوات الخاصة وسرايا الدفاع وعربات الصواريخ م/د) ، التي انتشرت في مواقعها القتالية ليلا ونجحت في الاختفاء طيلة يوم ٦/٨ .

٣ ــ الفشل في تقدير الوسائط النارية الثقيلة القادرة على الاشتراك في المعركة .

٤ ــ تجاهل العامل الجديد في الموقف المتمثل ببدء الصدام مع قوات سورية نظامية ، مسلحة جيدا بالصواريخ المضادة للدبابات ،

ومدربة على القتال باسلوب تعتمد على التمسك بالارض والمناورة بالوسائط والنيران .

بدأ العدو تمهيده للهجوم على خلدة بقصف ثلاثي منذ الساعة ١٤,٠٠ من يوم ٦/٩ . وشمل هذا القصف البلدة والطريق الساحلي ومرتفعات عرمون ، وامتد حتى مثلث خلدة واول طريق عرمون . وكانت هذه المناطق قد تعرضت منذ صباح ٦/٩ لقصف تركز على تجمعات القوات المشتركة ومرابض المدفعية والهاونات والاسلحة م/ط .

وقبل البدء بالهجوم على نقطة خلدة ، حاول الاسرائيليون تطبيق اسلوبهم الذي نجحوا من قبل في تنفيذه ، فدفعوا قوة محمولة بالحوامات لانزالها في منطقة الدوحة المشرفة على خلدة ، كما دفعوا قوة برمائية (مشاة ودبابات) لانزالها عند مسبح فاميلي بيتش في خلدة . الا ان القوات المدافعة عن خلدة نجحت في التصدي للعمليتين ، وتمكنت من احباطهما . وكان لمدفعية القوات السورية دور فعال في تدمير القوة البرمائية قرب الفاميلي بيتش ، ومنع الحوامات من تنفيذ الانزال .

وفي حوالى الساعة ١٦,٠٠ ، وتحت ستار كثيف من القصف ، بدأ الهجوم المعادي على نقطة خلدة . وتقدمت كتيبة من اللواء المدرع المهاجم باتجاه التخوم الجنوبية للبلدة وهي ترمي من الحركة . وعندما وصلت الى مدى الاسلحة م/د المنتشرة في البيوت والبساتين ، فتحت القوات المشتركة النيران واوقفتها . وهنا عمد العدو الى تطبيق اسلوبه في اقتحام المواقع الدفاعية المنتشرة على الطرق ، والمتمثل في ايقاف القوة المدرعة خارج مدى رمايات الاسلحة م/د ، والتمهيد للاقتحام بقصف

يستهدف تدمير الوسائط م/د او اجبارها على الالتجاء ، ودفع سرية دبابات على اقسومة من الطريق بالسرعة القصوى مع الرمي من الحركة حتى لو لم تظهر امامها اية اهداف ، واستغلال الوضع النفسي الذي ينجم عن نجاح هذه السرية ، لدفع بقية سرايا كتيبة المقدمة الى الخط المحتل ، وتشكيل قاعدة نارية امامية تسمح للكتيبة الثانية بتنفيذ الوثبة التالية بالاسلوب ذاته .

انطلاقا من هذا المفهوم القتالي ، دفع اللواء المهاجم سرية من كتيبة الطليعة بالسرعة القصوى . وتعرضت هذه السرية لرمايات الاسلحة م/د المنتشرة داخل المباني والبساتين ، التي لم ينجح القصف المركز او العشوائي في ابطالها ، كما تعرضت لرمايات مدفعية كثيفة (سورية ـــ فلسطينية) ولنيران الصواريخ م/د التابعة للقوات الخاصة .

ولقد فوجئت السرية المعادية بكثافة النيران الثقيلة التي انصبت عليها وبضخامة عدد الكمائن المضادة للدبابات ، ووجدت نفسها في منطقة قتل تتشابك فيها النيران . ولم تمض عدة دقائق حتى كان معظم دبابات السرية قد دمر في حين ترك اطقم الدبابات السليمة دباباتهم ليقعوا تحت نيران الرشاشات والبنادق .

وتابعت كتيبة الطليعة بعد ذلك محاولات اقتحام البلدة ، وشنت عدة هجمات على تخومها . ولكن قانصي الدبابات تصدوا لها واحبطوا محاولاتها . ومع حلول الظلام ، اوقف العدو تحركاته ، وتحولت المعركة الى تراشق بنيران الاسلحة الثقيلة . وأضاء الطيران المعادي المنطقة الممتدة من خلدة حتى مثلث خلدة وقصفها من البر والبحر ، كما تعرضت تشكيلات

اللواء المدرع المعادي ـــ. على الخط الامامي وفي العمق ـــ لرمايات مدفعية القوات السورية والقوات المشتركة .

وبينما كانت معركة خلدة دائرة، فكرت قيادة اللواء ٨٥ في دفع كتيبة الدبابات الى جنوبي مطار بيروت استعدادا لشن الهجمات المعاكسة لاعطاء الموضع الدفاعي الاول عمقا كافيا وطابعا ديناميكيا . ولكن تقدم قوات العدو في الجبل دفعها الى التريث في اختيار الاتجاه المناسب لاستخدام قوة اللواء الضاربة ، ريثما يتوضح الموقف وتحدد الأفضليات . لهذا اكتفت قيادة اللواء بان حركت سرية دبابات من الكوكودي الى مثلث خلدة ، في الساعة ١٧٫٣٠ من يوم ٦/٩ . ولقد وصلت هذه السرية (مع قائد كتيبة الدبابات) الى الموقع الجديد ، وانتشرت في مثلث خلدة والتلال الواقعة غربي طريق عرمون ، واشتركت في التصدي للقوات المهاجمة باسلوب رمي التركيز بالفصائل على المدى الاقصى ضد التجمعات المدرعة المرصودة .

قضى العدو ليلة ٩ ـــ ٦/١٠ في الاعداد لمهاجمة خلدة باسلوب جديد ، فلقد وضع قتال النهار السابق حدا لاسلوب الحرب الخاطفة ، وبدد اوهام الاسرائيليين حول امكانية الاندفاع العميق والسريع عبر الاراضي المفتوحة ، وكان ضربة الايقاف الحقيقية الاولى للآلة العسكرية المهاجمة . وفي الليلة ذاتها عزز المدافعون عن خلدة مواقعهم ، وبدلت الاسلحة الثقيلة مواقعها التي كشفها العدو نهار ٦/٩ وضربها بنيران مدفعيته البرية والبحرية ، كما انتقلت مدفعية اللواء ٨٥ الى مرابض جديدة (حاجز

التيرو ، غرب الكوكودي ، شمال المدّرج الغربي للمطار) حتى لاتكون قريبة من الحد الامامي .

وفي الساعة ٠٠ر٦ من يوم ٦/١٠ بدأ العدو التمهيد للهجوم بقصف ثلاثي شمل خلدة وجوارها ، وأماكن انتشار القوات السورية والقوات المشتركة في تلال عرمون ومثلث خلدة والمطار والاوزاعي وبيروت الغربية والضاحية الجنوبية . وكانت حدة القصف دليلا على أن العدو قد تعلم الكثير من معركة اليوم السابق ، ولم يعد واثقا من القدرة على الهجوم من الحركة بعد تمهيد مدفعي قصير[1] . كما كانت شمولية القصف تعني أن قيادة القوات المهاجمة تسعى الى عزل نقطة خلدة ، ومنع تدفق النجدات الى منطقة خلدة ــ مثلث خلدة ، بشكل يسمح بالاندفاع السريع فور خرق الخط الدفاعي الاول ، ويضمن الوصول الى مطار بيروت في مساء ٦/١٠ .

تحت ستار القصف ، بدأ اللواء المدرع المعادي هجومه على جبهة عرضها ١٠٠٠ ــ ١٢٠٠ متر . ولم يلجأ المهاجمون في هذه المرة الى الاسلوب الذي استخدموه في اليوم السابق (الضربة المباغتة برتل مدرع على الطريق الساحلي) ، بل فتحوا قواتهم ووزعوها الى ارتال قتالية تضم المشاة والدبابات ، وتقدموا على عدة محاور متجانبة . وتصدت راجمات القوات الخاصة وسرايا الدفاع ومدفعية القوات المشتركة للارتال المتقدمة منذ انطلاقها ، كما تعاملت مدفعية اللواء ٨٥ مع مدفعية العدو في الناعمة

(١) بقي هذا الدرس ماثلا امام الاسرائيليين ومحددا لتصرفاتهم طوال الايام التالية من الغزو .

والدامور وقصفت انساقه الثانية ومؤخراته ، ودخلت المعركة ايضا سرية دبابات من اللواء ٨٥ والصواريخ م/د التابعة للقوات الخاصة . وبينما كانت سرايا الدفاع والقوات المشتركة مشتبكة مع قوات المحور الساحلي في قتال تلاحمي ، اندفع رتل معاد عبر السفوح الواقعة شرقي خلدة متقدما باتجاه تلة الرادار ، حيث اوقفته نيران السرية الثالثة من كتيبة القوات الخاصة وسرية الدبابات الثانية . وعندما حاول الانحراف نحو الشرق لتجاوز السرية الثالثة اوقفته نيران السرية الثانية من كتيبة القوات الخاصة ، وسرية دبابات اخرى كانت قيادة اللواء قد دفعتها في الساعة ١٠٫٠٠ من كلية العلوم الى طريق عرمون ، فانتشرت في موقع مشرف سمح لها بالمشاركة في ضرب الجناح الايمن للقوات المعادية .

واستمرت المعركة داخل خلدة وفي المرتفعات الواقعة شرقها طيلة النصف الثاني من نهار ٦/١٠ ، وزج العدو وحدات من اللواء الميكانيكي للحفاظ على زخم هجومه ، وشن عدة هجمات متعاقبة ، ولكنه جوبه في كل مرة برمايات المدفعية والراجمات التي لم يتمكن الطيران من اسكاتها ، واصطدم في خلدة بقانصي الدبابات الذين ابدوا كفاءة عالية في القتال القريب ضد الدروع ، كما اصطدم في المرتفعات بمقاومة القوات الخاصة وصواريخها المضادة للدبابات . وفي حوالى الساعة ١٩٫٠٠ ، نجحت قوات العدو المهاجمة على المحور الساحلي في بلوغ الحد الشمالي للبلدة ، بينما تراجع المهاجمون من المرتفعات الى خط يوازي حد البلدة الامامي ، بعد ان خسروا عددا من دباباتهم وعرباتهم المدرعة .

ولقد اظهر قتال هذا اليوم فاعلية القوات المدافعة عن خلدة وارتفاع

روحها المعنوية ، الا ان الوضع الدفاعي بمجمله كان متأثرا بعدة سلبيات ناجمة عن انتشار القوات للدفاع على خطوط محضرة على عجل ، وضعف التنسيق الميداني بين القوات السورية والقوات المشتركة . ومما لاشك فيه ان تلك السلبيات لم تؤثر على ادارة معركة خلدة وفاعلية الوسائط النارية الداعمة فحسب ، بل اثرت ايضا على المعركة التالية عند مثلث خلدة . لان مجموعات من القوات المشتركة التي انسحبت من خلدة في مساء ٦/١٠ لم تأخذ مواقع دفاعية جديدة جنوبي المطار ، بل آثرت اختيار خطوطها الدفاعية الجديدة في لضاحية الجنوبية وطريق الاوزاعي وبساتين صحراء الشويفات ، وفي حين بقيت القوات السورية (القوات الخاصة وسرايا الدفاع وسريتا دبابات من اللواء ٨٥) في مواقعها للدفاع عن المثلث ، حيث انضمت اليها مجموعات من مقاتلي القوات المشتركة .

ب ــ معركة مثلث خلدة :

بدأت قيادة اللواء ٨٥ تنفيذ التدابير الخاصة بالدفاع عن مثلث خلدة منذ يوم ٦/٩ . وكانت فكرتها تتمحور حول : دعم القوات الموجودة اصلا في مواجهة المحور الجنوبي وتعطيل تقدم القوات المعادية القادمة من جهة الشرق ، والتي سيؤدي وصولها الى طريق صيدا القديمة (من مفرق عرمون حتى الحدث) الى تهديد مؤخرة المدافعين وجناحهم الايسر .

ومنذ مساء ٦/٩ بدأت قيادة اللواء المناورة بالدبابات المتوافرة ، فدفعت سرية منها الى مثلث خلدة ، ثم عززت القوى المدافعة عن خلدة

بسرية دبابات اخرى في صباح ٦/١٠ وكان لهاتين السريتين « كما رأينا » دور في معركة خلدة . وفي الساعة ١٨٫٠٠ من يوم ٦/١٠ حركت قيادة اللواء سرية دبابات ثالثة من تلة سبنايل باتجاه طريق عرمون ، ولكنها اضطرت الى اعادتها من جديد الى التلة بعد أن لاحظت ان قوات « الجبهة اللبنانية » تحاول ــ بالاتفاق مع عناصر من الجيش اللبناني ــ احتلال هذا الموقع الهام المشرف على محوري بشامون ــ الحدث ، وكفر شيما ــ الحدث ، الصالحين لتقدم العدو من جهة الشرق . في الساعة ١٨٫٣٠ دفعت قيادة اللواء كتيبة المشاة الثانية من الكوكودي ، وامرتها بالانتشار على طريق عرمون في منتصف المسافة بين عرمون ومثلث خلدة ، بحيث تتمكن من التصدي للعدو اذا ماتقدم من جهة عرمون ، ودعم القوات الخاصة (المتمسكة بمواقعها مقابل القوات المعادية الموجودة في خلدة وجوارها) وتغطية مجنبتها اليسرى . وفي الوقت نفسه تم نقل نقاط الشؤون الادارية التابعة للواء من اول طريق بشامون حتى شمالي قصر مشنوق (على اوتوستراد المطار) . وبذلك أعيد ترتيب قتال اللواء بشكل يسمح له بمواجهة الموقف المستجد .

ولقد فكرت قيادة القوات المشتركة بالشكل ذاته ، فابقت مدفعيتها في محيط المطار للعمل ضد العدو المتقدم على المحور الساحلي والتهديدات المحتملة من المحاور الشرقية ، كما دفعت مجموعات مقاتلة الى طريق صيدا القديمة (أقسومة الحدث ــ مثلث خلدة) ومحور بشامون وعرمون منذ يوم ٦/١٠ ، وعززت في ليلة ١٠ ــ ٦/١١ المجموعات التي نفذت بعد

سقوط خلدة انسحابا قصيرا ، وبقيت مع القوات السورية شمالي خلدة وفي محيط مثلث خلدة .

وفي ليلة ١٠ ــ ٦/١١ اضاء العدو منطقة انتشار القوات المتمركزة جنوبي مثلث خلدة وسفوح عرمون وطريق عرمون ، وشن عدة غارات جوية ليلية استهدفت مرابض المدفعية والهاونات والراجمات ووسائط الدفاع الجوي واماكن تمركز الدبابات . ومنذ اول ضوء من يوم ٦/١١ تعرضت المواقع الدفاعية بمجملها لقصف متقطع استمر طوال ساعات الصباح ، كما قام العدو بانزالات بحرية على شاطىء خلدة .

وفي الساعة ١٢,٠٠ أعلن عن اول اتفاق لوقف القتال . بيد ان اسرائيل ابطلت عملياً مفعول هذا الاتفاق ، عندما اعتبرت انه لايشمل الفلسطينيين . الامر الذي يعني ان على القوات السورية ايقاف القتال والاكتفاء بمراقبة العدو وهو يهاجم القوات المشتركة . لهذا رفض السوريون التفسير الاسرائيلي وصمموا على متابعة القتال . وفي الساعة ١٥,٠٠ قامت قوة معادية من الدبابات والمشاة الميكانيكية بالتقدم من سفوح عرمون ، فتصدت لها مجموعات من القوات المشتركة ووحدات من كتيبة المشاة الثانية المنتشرة على بعد حوالي ٢٥٠٠ متر عن اول طريق عرمون . كما انصبت عليها نيران المدفعية السورية ومدفعية القوات المشتركة ، مما اجبر المشاة الميكانيكية المعادية على الترجل من عرباتها المدرعة والتقدم راجلة عبر السفوح المشجرة تحت تغطية الدبابات التي تحولت الى قواعد نارية ثابتة لتأمين الدعم المباشر .

وبينما كان القتال محتدما على سفوح عرمون ، قام العدو بتظاهرة

هجومية على المحور الساحلي ، فجابهته القوات المدافعة عن مثلث خلدة بنيران المدفعية والصواريخ م/د . واخذ القتال في اتجاه الجنوب شكل تراشق بالاسلحة الثقيلة . وفي الساعة ١٧٫٣٠ ، وبشكل متزامن مع تهديد مجنبة مثلث خلدة من جهة الشرق ، حاول العدو القيام بانزال بحري في الأوزاعي والسمرلند ، بغية الوصول الى مؤخرة المثلث من جهة الشمال . فتصدت له كتيبة المشاة الثالثة وسرية دبابات ومجموعات من القوات المشتركة ، ومنعته من تحقيق اغراضه . وفي مساء ٦/١١ كانت محاولات الانزال البحري على المؤخرة ومحاولات التقدم على المحور الساحلي قد احبطت ، بينما تمكنت قوات العدو المهاجمة عبر سفوح عرمون من التقدم مسافة ٧٠٠ متر ، تحت ستار من القصف المدفعي والجوي ، واقتربت بذلك من الجناح الايسر للقوات الخاصة .

وتوضحت نية اسرائيل في تجاهل اتفاق وقف اطلاق النار ومتابعة التقدم نحو بيروت ، عندما اعلن العدو ان الاتفاق يشمل مدينة بيروت فقط ، اي انه يمنح الاسرائيليين الحق في احتلال الشويفات ومثلث خلدة والاوزاعي ومطار بيروت والضاحية الجنوبية والمخيمات الفلسطينية ، نظرا الى وجود هذه الاهداف خارج حدود بيروت . ومن هنا ترسخ الاقتناع بان القتال سيستمر بعنف على جميع المحاور المؤدية الى العاصمة .

وفي ليلة ٦/١٢/١١ اجرى الطرفان سلسلة من الاستعدادات التي تصب في هذا الاطار . فقامت القوات الاسرائيلية بالتحضير للهجوم على المحور الجنوبي ، واضاءت الارض من خلدة الى مثلث خلدة وضربتها بالمدفعية والهاونات ومدافع الزوارق المسلحة طوال الليل . بينما قامت القوات

المدافعة عن المثلث (قوات خاصة ، سرايا الدفاع ، سريتا دبابات ، مجموعات من القوات المشتركة) بتعزيز مواقعها وتبديل مرابض مدفعيتها وراجماتها . وفي هذه الليلة ايضا ، إنتشرت كتيبة المشاة الاولى على الشاطىء من الرملة البيضاء إلى السمرلند (جنوبي كتيبة المشاة الثالثة المنتشرة على الشاطىء من الروشة حتى الرملة البيضاء) ، كما جرى تحسين مواقع كتيبة المشاة الثانية في منطقة الكوكودي وشرقي المطار . وبذلك استكمل الاستعداد لصد الهجمات البرية والانزالات البحرية .

وفي الساعة ١٠ر٥ من صباح ٦/١٢ قصف العدو القوات المنتشرة على طول الشاطىء ومرتفعات عرمون . وشمل القصف مرابض المدفعية والراجمات في العمق واستمر زهاء ساعتين . ثم تقدمت القوات المعادية (لواء دبابات ولواء ميكانيكي) من اتجاهات ثلاثة : الطريق الساحلي ، وسفوح عرمون ، ومحور الاحراش ، الواقع بين هذين المحورين . وظهرت الزوارق مقابل الشاطىء على سبيل المشاغلة والتشتيت . وتصدت المدفعية الصديقة للقوات المتقدمة ودعمت نقاط المقاومة التي تعاملت مع المهاجمين بنيران الدبابات ومختلف الوسائط م/د واوقفت تقدمهم . واشتركت مدفعية القوات السورية المتمركزة في الجبل بالرمي على تجمعات العدو وارتاله ، وقدمت الى المدافعين دعما فعالا . وعندما وجدت القوات البرية الاسرائيلية نفسها عاجزة عن التقدم ، ظهر الطيران الاسرائيلي لدعمها ، وركز ضرباته على مرابض الاسلحة الثقيلة والدبابات ، وألحق بها خسائر ملحوظة .

وكرر العدو تقدمه بعد القصف الجوي ، فجوبه جنوبي مثلث خلدة بمقاومة عنيفة واشتبكت معه الكمائن المضادة للدبابات المسلحة بالقواذف (ر ب ج ـــ ٧) وخاضت ضده قتالا تلاحميا . وحتى ساعات بعد الظهر ، لم تتمكن دروع الاسرائيليين من التقدم سوى مسافة محدودة لاتزيد عن ٥٠٠ ـــ ٦٠٠ متر (على محوري الساحل والاحراش) وحوالى ١٠٠٠ متر (على سفوح عرمون) .

وهنا نفذ العدو قصفا ثلاثيا شمل منطقة المثلث وطريق الشويفات والطريق الساحلي ومحيط المطار ، مغطيا ارضا مساحتها ٤ كيلو مترات مربعة . وبعد قصف دام زهاء ثلاث ساعات ، وعندما اعتقد العدو ان القصف قد دمر المقاومات كلها ، عاد الى الهجوم في الساعة ١٧ر٠٠ ليفاجأ بنيران القوات المدافعة . ولكن كثافة القصف وتفوق المهاجمين بنسبة تعادل خمسة الى واحد ، سمحا للقوات المهاجمة من سفوح عرمون بتسريع وتيرة تقدمها ، وتهديد مجنبة الدبابات وكتيبة القوات الخاصة ، والضغط بشدة على السرية الاولى من هذه الكتيبة . الامر الذي اجبر مجمل القوات المدافعة عن المثلث على الانتقال الى القتال التراجعي والتوجه بوثبات قصيرة نحو مواقع دفاعية جديدة حول مثلث خلدة .

امام هذا الوضع ، ولإعادة التوازن الى الخط الدفاعي المحضر على عجل ، دفع اللواء ٨٥ سرية دبابات من تلة سبنايل الى طريق عرمون بغية دعم القوات الخاصة ، ثم قام في الساعة ١٨ر٣٠ بزج احتياطه المتحرك (سرية دبابات + سرية مشاة + صواريخ م/د) على الطريق الساحلي لأخذ موقع دفاعي عند مكب النفايات شمالي مثلث خلدة ، وامر

مدفعيته بتكثيف رماياتها على كافة المحاور . وساهمت هذه التدابير كلها في ابطاء تقدم العدو ، والسماح للمدافعين عن مثلث خلدة بتنفيذ قتال تراجعي منظم ، واخذ مواقع قتالية جديدة حول المثلث نفسه .

ومع الاعلان عن وقف اطلاق النار الثاني في حوالي الساعة ١٠ر٢١ ، كان بعض القوات الصديقة مايزال على مثلث خلدة نفسه . وكانت القوات الخاصة وسرية دبابات + سرية مشاة من فوج الدبابات التابع لجيش التحرير الفلسطيني ، ومجموعات كثيفة من القوات المشتركة ، منتشرة في مواقع قتالية متعاقبة على طريق صيدا القديمة جنوبي الشويفات ، كما كانت سرايا الدفاع وسرية مشاة من اللواء ٨٥ ومجموعات من القوات المشتركة تمسك مواقع دفاعية جديدة على الطريق الساحلي (من الاوزاعي حتى مكب النفايات) ، بينما كانت مجموعات من القوات المشتركة منتشرة في بساتين صحراء الشويفات ومحيط المطار . اما القوات المعادية فكانت واقفة على قوس يحيط بالمثلث من الجنوب والشرق . ويبعد عنه زهاء ٤٠٠ ــ ٨٠٠ متر (حسب الاتجاهات) .

واستغل العدو وقف اطلاق النار لتحسين مواقعه والتقدم نحو خط افضل [١] . وفي الساعة ٣٠ر٤ من فجر يوم ٦/١٣ ، اندفعت القوات الاسرائيلية من مواقعها الجديدة جنوبي المثلث واحتلته في ساعات الصباح الاولى ، ثم تقدمت باتجاه المطار ، واحتمت وراء الساتر الترابي على مسافة ٢٠٠ ــ ٥٠٠ متر من أطراف مدرجيه الشرقي والغربي . بينما تقدمت

(١) دأب العدو على التصرف بهذا الشكل ، واستغلال وقف اطلاق النار طيلة الأيام التالية من الغزو .

القوات المعادية القادمة من سفوح عرمون ، وبلغت مثلث عرمون (الذي يبعد ٣٠٠ متر عن مثلث خلدة) ، وتابعت اندفاعها على طريق صيدا القديمة متجهة نحو الشويفات .

ولم يكن في يد قيادة اللواء ٨٥ قوة ضاربة كبيرة تسمح بشن هجوم معاكس واسع النطاق ، يدمر القوات المعادية التي انهكتها المشاة والمدفعية والاسلحة المضادة للدبابات ، ويطردها من مثلث خلدة . ذلك لان كتيبة دبابات اللواء ، التي استهدفها الطيران طوال ايام المعركة ، وخاضت القتال ضد قوات مدرعة متفوقة بشكل ساحق ، وخسرت جزءا كبيرا من عتادها ، لم تعد كافية للقيام بتلك المهمة . سيما وانها دفعت بعض دباباتها الى منطقة الريجي ـــ تلة سبنايل لمسك طريق بشامون ـــ كفرشيما ـــ الحدث ، بالتعاون مع سرية صواريخ مضادة للدبابات .

وهكذا بقيت القوة المدرعة الموجودة في يد قيادة اللواء عبارة عن سرية دبابات تجمعت في منطقة الرملة البيضاء ، لتشكل (مع سرية مشاة ومجموعات م/د من كتيبة المشاة الثالثة) الاحتياط المتحرك للواء .

بيد ان محدودية الاحتياط المتحرك المتوافر عمليا لم تدفع قيادة اللواء الى التخلي عن مفهوم الدفاع الديناميكي والاكتفاء بالدفاع الثابت . ففي الساعة ١٥ر٧ من صباح ٦/١٣ ، زجت قيادة اللواء احتياطها المتحرك على المحور الساحلي للقيام بهجوم معاكس يستهدف استرداد مثلث خلدة وتهديد مؤخرة القوات المعادية التي تقدمت نحو الشويفات .

ولقد بدأ الهجوم المعاكس برمي تمهيدي نفذته مدفعية اللواء ٨٥ ، ثم اندفع الاحتياط المتحرك لتنفيذ مهمته . وكانت سرية الدبابات في المقدمة (ومعها قائد كتيبة الدبابات) ، وخلفها المشاة والصواريخ م/د . وفتحت الدبابات تشكيلتها بعد اجتياز منطقة الاوزاعي وتابعت التقدم بالسرعة القصوى ، وبدأت الرمي من الحركة على القوات المعادية الموجودة على الطريق عند اول المدرج الشرقي للمطار . وفي الساعة ٨ر٢٠ ، بلغت دبابات القوة المهاجمة نقطة تقع على بعد ١٠٠٠ متر عن مثلث خلدة ، حيث تعرضت الى رمايات كثيفة ، شاركت فيها الدبابات والصواريخ م/د المعادية . وبعد اشتباك قصير خسر فيه العدو عدة دبابات ، قام الاحتياط المتحرك بحركة تملص وراء ستار دخاني ، بعد ان فقد ٦٠٪ من دباباته . وعادت بقية سرية الدبابات الى نقطة انطلاقها ، في حين انتشرت المشاة والصواريخ م/د على التخوم الجنوبية لبلدة الاوزاعي سادة محور التقدم امام العدو ، وعُززت بسرية مشاة وقواعد م/د من كتيبة المشاة الاولى .

٥ ـــ المرحلة الثانية : تحقيق التطويق القريب

بدأ العدو عملية التطويق القريب منذ صباح ٦/١٣ ، عندما دفع قواته على طريق صيدا القديمة . وكان من المفروض ان يخوض قتالا قاسيا ومكلفا ضد القوات السورية ومجموعات القوات المشتركة ، قبل ان ينجح في تحقيق التطويق من جهة الشرق . ذلك لان اغلاق الطوق كان يفرض عليه اجتياز الطريق بين مثلث عرمون ومشارف بلدة الحدث ، للوصول الى مستديرة الصياد . وهو طريق ضيق يمر عبر منطقة مغطاة

نسبيا بالاشجار ويخترق بلدة الشويفات وتحف بجوانبه بيوت متناثرة ، الامر الذي يسهّل مهمة المدافعين ويساعدهم على الصراع ضد الدبابات ، ولا سيما ان القوات الموجودة عى أقسومة الطريق من شمال مثلث عرمون حتى الحدث (سبعة كيلو مترات) كانت تضم دبابات وصواريخ م/د ونسبة عالية من قانصي الدبابات . اضافة الى ذلك ، فقد كانت أرتال العدو عاجزة عن تجاوز الطريق من جهة الشرق بسبب وعورة الارض الجبلية ، ولا تأمن تجاوزه بحرية من جهة الغرب ، حيث تنتشر القوات المشتركة بين البساتين في منطقة تمتد من الحدث شرقا حتى المطار غربا ، بعرض ٢ كيلومتر وعمق ١ ــ ٢ كيلومتر .

ولكن النجاح الذي حققه العدو في الجبل وتقدمه السريع على محوري : بشامون ــ الشويفات ، وكفر شيما ــ الحدث بقوة تقدر بلوائين (احدهما مدرع والاخر ميكانيكي) جعل مؤخرة القوات المنتشرة على طريق صيدا القديمة معرضة لتهديد مباشر ، وزاد من حدة الاخطار المحدقة بالضاحية الجنوبية من جهة الشرق . لذا قررت قيادة اللواء ٨٥ تقصير الخطوط الدفاعية بحيث تغدو متناسبة مع القوى المتوافرة . فثبّتت القوة المدافعة عن تلة سبنايل (وحدة دبابات + سرية صوريخ م/د) في مكانها ، وأمرت القوات الخاصة بترك الطريق والتجمع في منطقة كلية العلوم ، كما امرت سرية الدبابات وسرية المشاة التابعتين لفوج دبابات جيش التحرير بالانسحاب الى ضاحية بيروت الجنوبية والالتحاق بلواء القادسية . وللسبب نفسه قررت قيادة القوات المشتركة سحب معظم

مجموعاتها من الطريق ، ونشرها في بساتين صحراء الشويفات ومحيط المطار وتخوم الضاحية الجنوبية .

وبدأت القوات الموجودة على طريق صيدا القديمة اخلاء الطريق في حوالى الساعة ١٧٫٠٠ وانتشرت في مواقعها الجديدة ، مماادى الى تقصير الخطوط الدفاعية وتأمين الأنتشار بشكل يتناسب مع معطيات الوضع المستجد . وفي الوقت ذاته تابع العدو تقدمه باتجاه الحدث ، فجوبه ابان التقدم ببعض المقاومات عند مفرق دير قوبل وجنوبي الشويفات . كما تعرضت مجنبته اليسرى الى رمايات القوات المشتركة المتمركزة في بساتين صحراء الشويفات . وفي الساعة ١٩٫٠٠ وصلت طلائع الاسرائيليين الى التخوم الجنوبية لبلدة الحدث ، حيث اوقفتها رمايات الدبابات والصواريخ م/د السورية المتمركزة في منطقة تلة سبنايل ــ الريجي .

كان الخط الذي قررت قيادة اللواء ٨٥ التمسك به من تلة سبنايل حتى البحر بعرض ٥٫٥ كيلو مترات ، ويمر في النقاط التالية : تلة سبنايل ــ الريجي ــ كلية العلوم ــ الغدير ــ الليلكي ــ الكوكودي ــ الطريق الساحلي . وكانت سرايا الدفاع وكتيبتا المشاة الاولى والثانية تشغلان الجزء الغربي من هذا الخط (من الكوكودي حتى الساحل) كما كانت سرية الصواريخ م/د وبعض الدبابات تشغل الجزء الشرقي (تلة سبنايل والريجي) . في حين لم يكن في الجزء الاوسط من الخط (كلية العلوم ــ الغدير ــ الليلكي) اية قوات سورية . لذا أصدرت قيادة اللواء ٨٥ الى القوات الخاصة في مساء ٦/١٣ امرا يقضي بمسك كلية العلوم بسرية واحدة ، ودفع سرية الى الليلكي في

(الضاحية الجنوبية) وسرية اخرى الى تلة سبنايل لتعزيز القوة المدافعة عنها . ولقد تم انتشار القوات الخاصة في المواقع المحددة لها على الفور ، ووصلت سرية منها الى تلة سبنايل في الساعة ٠٠ر٢٢ .

وكانت تلة سبنايل على طريق صيدا القديمة تشكل عقبة تمنع العدو من التقدم نحو الشمال ، كما انها تسد طريق كفر شيما ــ الحدث . لذلك ركز العدو قصفه عليها من الشرق والجنوب طوال ليلة ١٣ ــ ٦/١٤ وهاجمتها في الساعة ٠٠ر٤ من يوم ٦/١٤ كتيبة مدرعة تقدمت على طريق كفر شيما ــ الحدث . وتصدي المدافعون عن التلة للمهاجمين ، وتعاملوا معهم بنيران الدبابات والصواريخ م/د وتمكنوا من ايقافهم . واستمر التراشق بالنيران بعد ذلك طوال ساعات الصباح ، الا ان قيادة اللواء ٨٥ وجدت أن الاحتفاظ بهذا الموقع لم يعد مجديا ، نظرا الى أن القوات المعادية المتقدمة عبر الطرق الجبلية كانت قد وصلت بعيدا في مساء ٦/١٣ ، وتقدمت في صباح ٦/١٤ على طريق بعبدا ــ الحدث مهددة تلة سبنايل بالتطويق لذا امرت القوات المدافعة عن هذا الموقع بقطع التماس والانسحاب نحو الغرب . فانتقلت سرية الوحدات الخاصة الى حي السلم ، وانتشرت وحدة الدبابات في محيط كلية العلوم ، في حين انتقلت سرية الصواريخ م/د الى الكوكودي وشمالي المطار . وبذلك انفتح الطريق امام الرتل المتقدم من جهة كفر شيما ، فاحتل تلة سبنايل ودخل الحدث من ناحية الشرق ، بينما تقدم الرتل القادم من الجنوب واجتاز الحدث باتجاه مستديرة الصياد ، حيث التقى القادمين من بعبدا والفياضية . ولم تجد القوات المعادية في هذه المرحلة من اكمال الطوق القريب اية مقاومة ، نظرا

الى تقدمها عبر المناطق الخاضعة لسيطرة قوات « الجبهة اللبنانية » والجيش اللبناني . واذا كان الجيش اللبناني قد بقي سلبيا ازاء الغزاة ، فان عناصر « الجبهة اللبنانية » عملوا بنشاط لمساعدة الاسرائيليين ، وكانوا بمثابة الادلاء لارتالهم المتقدمة .

والحقيقة ان وصول ارتال العدو الى مستديرة الصياد كان كافياً لاحكام الحصار حول بيروت والضاحية الجنوبية من جهة الشرق . لان مسلحي « الجبهة اللبنانية » كانوا منتشرين على طول خطوط التماس من غاليري سمعان حتى البحر ، مقابل مواقع القوات المشتركة ولواءي حطين والقادسية . بيد ان ضعف ثقة الاسرائيليين بقدرات حلفائهم القتالية ، ورغبتهم في الاشراف المباشر على خطوط التماس كانا وراء اندفاع قواتهم داخل احياء بيروت الشرقية في ٦/١٥ ، وانتشارها وراء قوات « الجبهة اللبنانية » بحيث تبعد عن خطوط التماس مسافة تتراوح بين ٢٠٠ و ٥٠٠ متر ، وبذلك سد العدو كافة المنافذ المؤدية الى بيروت الغربية من جهتي الشرق والجنوب ، وبدأت دورياته الالية وحواجزه ، بالتعاون مع دوريات وحواجز « الجبهة اللبنانية » مراقبة الطريق من مثلث خلدة حتى مستديرة الصياد .

٦ ــ المرحلة الثالثة : الوصول الى المناطق المبنية ومدرجي المطار

على الرغم من سيطرة الاسرائيليين وعناصر « الجبهة اللبنانية » على طريق صيدا القديمة ، فان تحركهم على هذه الطريق لم يكن آمناً ، بسبب

وجود القوات الخاصة ومقاتلي حركة أمل في كلية العلوم ، وانتشار مجموعات القوات المشتركة في بساتين صحراء الشويفات ، وقيام هاتين القوتين بالرمي على كل هدف يظهر على الطريق نهاراً ، ونصب الكمائن لاليات العدو ليلاً . واضافة الى ذلك ، فان كثافة العدو في جزء من الطوق « من تلة سبنايل حتى شمال مفرق خلدة » لم تكن كافية لمنع تسلل المقاتلين والامدادات من الجبل الى صحراء الشويفات عبر الاودية والاحراش . لذا قرر العدو تطهير شريط من صحراء الشويفات « بعرض ٥٠٠ ــ ١٠٠٠ متر » يقع بين طريق صيدا القديمة وسكة حديد بيروت ــ صور . الامر الذي يضمن أمن الطريق ، ويزيد صعوبة التسلل عبر الطوق ، ويؤمن الوصول الى سكة الحديد التي تمثل ساتراً جيداً يمكن التمركز خلفه للسيطرة على المطار ومدرجه الشرقي بالنيران ، وقاعدة انطلاق مخفية تسمح بالتحشد لمهاجمة المطار من جهتي الشرق والجنوب الشرقي فيما بعد ..

ولتحقيق هذا الغرض ، حشد العدو في الشويفات وجنوبي الحدث قوة مدرعة انضمت اليها مجموعات من عناصر « الجبهة اللبنانية » . وكان على القوة الاسرائيلية ان تتقدم باتجاه المطار على محور التيرو ، بينما كان على عناصر « الجبهة اللبنانية » احتلال كلية العلوم .

ومنذ الساعة ١٠ر٢٠ من يوم ٦/١٥ قامت الطائرات والمدفعية الاسرائيلية بقصف منطقة كلية العلوم ومحيط المطار والضاحية الجنوبية وبساتين صحراء الشويفات ، واشتركت الدبابات في التمهيد للهجوم بتنفيذ الرمي المباشر . اثر ذلك انطلقت كتيبة اسرائيلية مدرعة من الشويفات

باتجاه المطار على محور التيرو ، فتصدت لها القوات المشتركة المنتشرة في البساتين واوقفت تقدمها ولعبت المدفعية السورية ومدفعية القوات المشتركة دوراً فعالاً في ضرب القوة المهاجمة وقواعدها النارية الداعمة ، كما ساهمت الصواريخ م/د « التابعة لكتيبة المشاة الثانية » بالرمي على مدرعات العدو من تلة الكوكودي . واستمرت الاشتباكات والتراشق بنيران المدفعية والهاونات بعد ذلك طوال ساعات النهار ، ولم تتوقف الا في الساعة ٢٠٫٠٠ .

وبدأ العدو قصفه في اليوم التالي منذ الساعة ٦٫٠٠ وكررت الكتيبة المدرعة الاسرائيلية الهجوم على محور التيرو ، في حين قامت مجموعات من القوات اللبنانية (حوالي ٤٠٠ عنصر) بالهجوم على كلية العلوم . واستمر القتال على هذين المحورين حتى الساعة ١٨٫٠٠ ، وفي مساء هذا اليوم « ٦/١٦ » نجح العدو الاسرائيلي في الوصول الى السكة الحديدية ، كما تمكنت القوات اللبنانية من دخول كلية العلوم ، بعد ان اخلتها سرية القوات الخاصة ومجموعات حركة أمل تحت ضغط القصف الجوي والمدفعي ورمايات الدبابات الاسرائيلية من تلة سبنايل ، وانسحبت الى خط يبعد ٥٠٠ متر شمالي الكلية .

وخاضت القوات الاسرائيلية في يوم ٦/١٧ عدة اشتباكات ابان تطهير بساتين صحراء الشويفات شرقي سكة الحديد . وعندما حاولت التقدم الى المطار من جهة الشرق تصدت لها القوات المشتركة المدافعة عن المدرج الشرقي والصواريخ م/د السورية من تلة الكوكودي ومدفعية القوات المشتركة وتمكنت من ايقافها . الا ان عدة دبابات معادية بلغت اطراف

المدرج ، والتجأت في حفر اعدتها لها الجرافات على عجل . وفي مساء هذا اليوم ، سحبت قيادة اللواء ٨٥ سرية القوات الخاصة من شمالي كلية العلوم بعد ان تعرضت لقصف عنيف ، واعادتها الى الليلكي وحي السلم .

واذا كانت مرحلة التقدم حتى تخوم المناطق المبنية ومدرجي المطار قد بدأت من جهة الشرق منذ ٦/١٥ ، فان المرحلة نفسها بدأت على المحور الساحلي منذ يوم ٦/١٤ . ففي هذا اليوم اندفعت وحدة دبابات اسرائيلية باتجاه الاوزاعي ، فتصدت لها القوات المشتركة والسرية الثانية من كتيبة المشاة الاولى « معززة بصواريخ م/د » واوقفتها عند مِكبّ النفايات . وقام العدو في يومي ١٥ و ١٦ بهجمات متكررة على هذا المحور ولكن القوات المنتشرة جنوبي الاوزاعي احبطت هجماته كلها . ولعبت الارض هنا دوراً ايجابياً لصالح المدافعين . فلقد كان على الدبابات الاسرائيلية اجتياز منطقة مكشوفة تماماً ومحصورة بين البحر غرباً وحافة ردميات مدرج المطار شرقاً ، ولا يزيد عرضها عن ١٥٠ متراً . الامر الذي جعلها اشبه بممر اجباري . ولم يكن بوسع القوات المعاذية عبور منطقة القتال هذه بالسرعة القصوى ، لا سيما بعد ان اقام فيها مهندسو اللواء ٨٥ بالتعاون مع القوات المشتركة سلسلة من الحواجز الترابية المتعاقبة وسدادات الالغام وانتشرت خلف كل حاجز ترابي كمائن تضم مجموعة من قانصي الدبابات .

وفي يوم ٦/١٧ كرر العدو محاولاته فقصف مواقع المدافعين على طول محور الاوزاعي ، كما قصف المسالك والطرق المؤدية الى تلك المواقع ،

ثم دفع قوة مدرعة لاقتحام المحور من جهة الجنوب ، في الوقت الذي حاول الانزال من البحر على شاطىء الاوزاعي ، بغية تهديد مؤخرات المواقع الدفاعية . وتحاشي التقدم الجبهي عبر منطقة القتال وتصدت سرايا الدفاع وسرية من كتيبة المشاة الاولى ومجموعات من القوات المشتركة ، ومختلف الوسائط النارية لقوة الانزال البحري ومنعتها من تحقيق اهدافها . كما نجحت القوات المنتشرة على المحور في احباط الهجوم البري . وفي نهاية هذا اليوم كانت قوات الطرفين ما تزال في مواقعها السابقة .

٧ ــ المرحلة الرابعة : الاستنزاف المتبادل على طول المواجهة

مع انتهاء المرحلة الثالثة ، اصبحت قوات العدو منتشرة شرقي بيروت على محاذاة خطوط التماس من المرفأ حتى شمالي الحدث ، ولا يفصلها عن تلك الخطوط سوى شريط حيطة ضيق ، تشغل بعض اجزائه عناصر « الجبهة اللبنانية » الموالية للاسرائيليين ، بينما يشغل الجيش اللبناني الاجزاء الاخرى . اما من جهة الجنوب ، فكان الحد الامامي اكثر تعرجاً ، ويمر على موازاة برج البراجنة والليلكي وحي السلم ، ثم يتجه جنوباً على موازاة السكة الحديدية ، لينحرف بعد ذلك نحو الغرب ويجتاز القسم الجنوبي من المطار ، وصولاً الى المحور الساحلي عند مكب النفايات .

وكان مجمل القوات الاسرائيلية المحيطة ببيروت الغربية ، من الجنوب

والشرق ، عبارة عن فرقتين مدرعتين ولواء مظليين ، تنتشر اربعة الوية منها في النسق الاول ، وخلفها ثلاثة الوية اخرى ووسائط الدعم الناري « ١٤ كتيبة مدفعية » المنتشرة في الدامور والناعمة وخلدة والدوحة والمرتفعات المشرفة على بيروت من جهة الشرق .

وفي المقابل كانت القوات المدافعة منتشرة في بيروت الغربية والضاحية الجنوبية ومحيط المطار ، داخل منطقة يمتد حدها الامامي على خطوط التماس « من المرفأ حتى الجدث » والتخوم الشرقية والجنوبية للضاحية الجنوبية ، والجزء الغربي من بساتين صحراء الشويفات والحدود الشمالية للمطار ، كما يمتد على طول الشاطىء من نقطة تقع على بعد ٢٠٠٠ متر جنوبي الاوزاعي حتى المرفأ . في حين بقي جزء من بساتين صحراء الشويفات والقسم الشمالي من مدرجي المطار بمثابة منطقة محرمة يسيطر عليها الطرفان المتحاربان بالنيران . وفي هذه المنطقة المحرمة وعلى طول خطوط المواجهة اخذ القتال شكل استنزاف متبادل ، استمر من ٦/١٨ حتى ٧/٣١ واتصف بعدة سمات اهمها :

١ ـــ متابعة الصراع بشكله العسكري في ظل المفاوضات السياسية ، التي تمت عبر المبعوث الاميركي فيليب حبيب ، وعدد من الشخصيات العربية والعالمية وشاركت فيها هيئة الانقاذ الوطني اللبنانية .

٢ ـــ لجوء العدو الى مختلف اساليب الحرب النفسية ، واسهام وسائل اعلام « الجبهة اللبنانية » وبعض وسائل الاعلام العربية والعالمية في محاولات تفتيت القوة المعنوية للمدافعين .

٣ ــ استمرار الصمود داخل بيروت المحاصرة ، وسط عطالة عربية لم يشهدها الصراع العربي ــ الاسرائيلي من قبل ٠

٤ ــ اكتفاء معظم السلطة الشرعية اللبنانية « السياسية والعسكرية » بدور المتفرج المحايد الذي يحصي النقاط ويسجل عدد الضحايا وحجم الدمار ٠

٥ ــ قتال العدو من خطوط ثابتة غالباً ، وعدم تورطه في مهاجمة المناطق المبنية .واعتماده على الرباعي « حصار ــ قصف ــ مفاوضات ــ حرب نفسية » لتليين ارادة القوات المحاصرة ٠

٦ ــ قيام العدو بعدة محاولات انزال على الشاطىء بغية مشاغلة المدافعين وتشتيت قواتهم ٠

٧ ــ اشتراك مقاتلي « الجبهة اللبنانية » في المعركة الى جانب الغزاة بعدة اشكال : رصد ، قنص ، استطلاع ، تخريب وراء الخطوط ، قصف مدفعي ، ادلاء ، دوريات ، حواجز ٠٠٠ الخ ٠

٨ ــ اضطرار المدافعين الى مسك جبهة عريضة لا تتناسب مع عددهم او حجم الوسائط المتوفرة لديهم ٠

٩ ــ تعاون السكان المدنيين في المناطق الوطنية مع القوات المدافعة واسهامهم في جمع المعلومات واعمال الاسعاف والاخلاء والتحصين والدفاع المدني ٠

١٠ ــ خوض المعركة الدفاعية بقوتين متحالفتين استراتيجياً ، ولكنهما لا تخضعان عملياً لقيادة مركزية واحدة ٠

١١ ــ ندرة مظاهر الانهيار النفسي بين المدافعين على الرغم من الضغط الناجم عن القصف المتكرر وظروف الحصار .

١٢ ــ التصميم على متابعة المواجهة حتى بعد تبدد احتمالات التبدل في ميزان القوى العام او المحلي ، والتأكد من استحالة فك الحصار بضربة تأتي من داخل العاصمة المطوقة او من خارجها ، لا سيما بعد ان نجح العدو في الاستيلاء على بحمدون « ٢٤/٦ » لا وقطع طريق بيروت ــ دمشق وتحقيق التطويق البعيد (انظر الفصل الخاص بالحرب في الجبل) .

ولن نتطرق في هذا البحث الى السمات الثلاث الاولى الواردة بشكل مفصل في فصول اخرى من الكتاب ، ولكننا سنحاول استجلاء بقية السمات ابان الحديث عن القتال الذي دار في مرحلة الاستنزاف المتبادل ، علماً بأن معظمها بقي سائداً في معارك المرحلة اللاحقة .

أ ــ انتشار القوات المدافعة :

عندما توقف العدو على تخوم المناطق المبنية ، كانت القوات المدافعة منتشرة على خط متعرج طوله اكثر من ٣٢ كيلو متر ، وكان الطرفان الشرقي والجنوبي من ذلك الخط ، « حوالي ١٧ كم » يواجهان القوات المعادية البرية بينما كان طرفاه الشمالي والغربي « حوالي ١٥ كم » في مواجهة البحر استعداداً لصد الانزالات المحتملة على الشاطىء . وخلف الخط الدفاعي الطويل ، وضمن مساحة لا تزيد عن ٣٥ كيلو متراً

مربعاً ، انتشرت الانساق الثانية والقوات الاحتياطية المتحركة ، ومرابض الوسائط النارية الثقيلة ، ومجموعات قانصي الدبابات ، وقوات الميليشيا الشعبية ، ونقاط الشؤون الادارية . ولقد ادى ضيق الأرض المحاصرة ، وقلة المناطق غير المبنية فيها ، ورغبة المدافعين في ابعاد المرابض والمستودعات الخطرة عن الاحياء السكنية ضمن حدود الممكن ، الى تشابك كبير بين نقاط القتال الخلفية ومقرات الشؤون الادارية ، وارتفاع كثافة الوجود العسكري في المناطق المحدودة الصالحة لانتشار القوات والمستودعات ، وازدادت بالتالي احتمالات التعرض للاصابة بنيران القصف المعادي .

وكان مجمل ترتيب الدفاع عن العاصمة المحاصرة مقسماً الى قطاعات (قواطع حسب تسمية القوات المشتركة) ولكن مسؤولية الدفاع عن هذا القطاع او ذاك لم تكن موزعة بين القوتين النظامية وشبه النظامية بل كان هناك تطابق في المسؤوليات ، نظراً الى انتشار القوتين معاً في كل نقطة تقريباً على الحد الامامي وفي العمق . واضافة الى ذلك ، فان حدود القطاعات لم تكن متماثلة ، الامر الذي جعل كل قطاع غير نظامي متطابقاً مع اكثر من قطاع نظامي ـــ والعكس صحيح ايضاً .

وبسبب هذه الازدواجية في تقسيم الترتيب الدفاعي والتطابق في انتشار القوتين على الارض ذاتها ، فان من الضروري توضيح انتشار كل قوة على حدة .

(١) ـ انتشار القوات النظامية :

○ لواء المشاة ٨٥ :

ـ كتيبة المشاة الاولى : من جنوبي الاوزاعي حتى السمرلند « باتجاه البحر » وسرية في بوابة المتحف .

ـ كتيبة المشاة الثانية : في منطقة الكوكودي ومحيط المدرج الشرقي للمطار .

ـ كتيبة المشاة الثالثة : من السمرلند خارجاً حتى الروشة « باتجاه البحر » وسرية لحماية المرافق الحيوية .

ـ مدفعية اللواء واحتياطاته وشؤونه الادارية : في عمق المنطقة المحاصرة .

ـ هندسة اللواء : في الاوزاعي .

○ القوات الخاصة : في الليلكي وحي السلم والمريجة وبير ألضيعة وتحويطة النهر .

○ سرايا الدفاع : في منطقة الاوزاعي ـ سان ميشيل ، وفي محيط المنارة .

○ لواء حطين : من شرقي عين المريسة حتى المرفأ (باتجاه البحر) ومن المرفأ حتى دوار الطيونة خارجاً (باتجاه الشرق) .

○ لواء القادسية : من دوار الطيونة داخلاً حتى بلدة الحدث وراديو او ريان داخلاً (باتجاه الشرق) .

(٢) انتشار القوات شبه النظامية :

قامت قيادة القوات المشتركة بتقسيم المنطقة المحاصرة الى قطاعات ، يغطي كل واحد منها جزءاً من المنطقة ويمتد على جبهتها ومحاورها الداخلية . وكان توزيع القطاعات كما يلي :

- القطاع الأول : ويمتد في مواجهة البحر من البوريفاج داخلاً حتى الحدود الشمالية لبلدة الاوزاعي ، ويصل في العمق حتى طريق المدينة الرياضية .
- القطاع الثاني : ويمتد في مواجهة البحر من شمالي الاوزاعي حتى الحد الامامي على طريق الاوزاعي ــ خلدة .
- القطاع الثالث : ويمتد على جانبي محور اوتوستراد المطار .
- القطاع الرابع : ويمتد على جانبي محور اوتوستراد المطار .
- القطاع الخامس : ويواجه العدو على خط يأخذ شكل زاوية ، يمتد ضلعها الجنوبي من المدرج الشرقي للمطار حتى تخوم الحدث ، حيث يبدأ ضلعها الشرقي الممتد حتى الطيونة ويشمل هذا القطاع الضاحية الجنوبية ومحيط المطار .
- القطاع الغربي : ويمتد في مواجهة البحر من الحمام العسكري حتى المرفأ ، كما يمتد في مواجهة الشرق من المرفأ حتى ميدان سباق الخيل .
- القطاع المركزي وهو على شكل مستطيل مساحته زهاء ٢ كيلو متر مربع ، ويحده من الشمال كورنيش المزرعة ، ومن الشرق طريق

الحرش ، ومن الجنوب طريق الشياح ، ومن الغرب طريق المدينة الرياضية .

- مدفعية القوات المشتركة : منتشرة في مختلف أنحاء المنطقة المحاصرة بالفصائل وأحياناً بالسلاح الواحد ، ومتحركة غالباً .
- الشؤون الادارية : منتشرة في مختلف أرجاء المنطقة المحاصرة ، بخاصة في القطاع المركزي .

ولا بد هنا من الاشارة الى ثلاث نقاط تتعلق بانتشار القوات المشتركة . وتتمثل النقطة الاولى في ان حجوم القوى شبه النظامية العاملة في القطاعات لم تكن متماثلة نظراً الى تباين مساحة القطاعات وطبيعة مهامها وكثافة القوات النظامية الموجودة فيها . والنقطة الثانية هي تبدل عدد المقاتلين في القطاع الواحد حسب تبدل الاوضاع . اما النقطة الثالثة فهي ان التنظيمات الفلسطينية واللبنانية الوطنية لم تكن موجودة بالضرورة في كل قطاع او حي او محور ، كما ان كثافة وجودها في القطاعات والاحياء والمحاور لم تكن واحدة بل كانت مرتبطة بحجم التنظيمات وقوتها واعدادها العسكري وطبيعة علاقاتها التنظيمية ومدى انتشارها المسبق في هذا الموقع او ذاك .

انطلاقاً من هذه النقاط الثلاث يمكن تشكيل تصور اوضح لتعبير « القوات المشتركة » الوارد في هذا الفصل . ولكن تصور مضمون التعبير بشكل كامل لا يمكن ان يتحقق الا اذا حُدّد بالضبط عدد المقاتلين الذين وضعتهم التنظيمات الفلسطينية واللبنانية الوطنية تحت امرة كل قطاع ، ونسبة مشاركة التنظيمات في الدفاع عن كل حي ومحور وتبدل هذه

النسب في المعارك والاشتباكات حسب تبدل الاوضاع . وبما ان تحديداً كهذا يتجاوز متطلبات الفصل وطبيعته ، فلقد اكتفينا بالاشارة عند الضرورة الى هوية التنظيمات الاكثر وجوداً في بعض المواقع .

ب ــ الاستنزاف في قطاع لواء حطين :

دخل لواء حطين الحرب وهو منتشر على الخط الذي يشغله وبدا تحصينه منذ وصوله الى بيروت .. وكان طول ذلك الخط زهاء ٦ كم وعمقه ٧٠٠ ــ ١٠٠٠ متر ، ويمر عبر مناطق مبنية كثيفة تندر فيها الساحات الواسعة والحدائق ، الا في منطقتي ميدان السباق وحرش بيروت . وبسبب طبيعة الارض والمهمة وعرض الجبهة ، فقد اضطر اللواء الى نشر كتائبه الثلاث (وهي كتائب صاعقة) على نسق واحد ، ولم يحتفظ الا بسرية احتياطية . وكان ترتيبه القتالي كما يلي :

- الكتيبة الاولى ، منتشرة في مواجهة البحر ، من شرقي عين المريسة حتى المرفأ .
- الكتيبة الثانية ، منتشرة باتجاه الشرق ، من المرفأ حتى رأس النبع خارجاً .
- الكتيبة الثالثة ، منتشرة باتجاه الشرق من ميدان السباق حتى مستديرة الطيونة خارجاً .
- سرية الاستطلاع ، منتشرة في المراصد وتقوم باعمال الدورية .
- السرية الاحتياطية في منطقة فينيسيا .

○ وحدة الهندسة ، موزعة على الكتائب .

○ اما الاقسومة بين الكتيبتين الثانية والثالثة وعرضها حوالي ٥٠٠ متر ، فكانت مشغولة بسرية من اللواء ٨٥ على طريق المتحف ، ومجموعات من القوات المشتركة في رأس النبع .

وكانت المدفعيتان السورية والمشتركة وهاونات لواء القادسية مكلفة بتقديم الدعم الناري للواء حطين ومجموعات القوات المشتركة المنتشرة معه في مواجهة البحر وعلى خطوط التماس وفي العمق[1] .

وباستثناء بعض الثكنات والمواقع التي يشغلها الجيش اللبناني ، فقد كان على الجهة المقابلة لقطاع اللواء مجموعات من « القوات اللبنانية » المتحصنة في الابنية ولا يفصلها عن القوات الصديقة سوى شارع او ساحة او مجموعة من الابنية المدمرة في الحرب الاهلية . الا ان الشريط العازل بين الطرفين كان مغطى بالحواجز والالغام ومضروباً بنيران القوتين المتجابهتين والمستنفرتين بشكل دائم .

والحقيقة ان إحجام العدو عن إلتورط في حرب الشوارع قد جمد الجبهة في قطاع اللواء ، حتى بعد انتشار القوات الاسرائيلية في بيروت الشرقية واقترابها من خطوط التماس واعطى الصدامات في هذا القطاع طوال مرحلة الاستنزاف طابع المبارزة بالنيران .

---

(١) كانت مجموعات القوات المشتركة العاملة في قطاع هذا اللواء كبيرة نسبياً مع وجود متميز لتنظيمات : فتح ، وجبهة النضال الشعبي ، والحزب الشيوعي ، وحركة أمل ، وانصار الثورة ، والمرابطون ، والحزب القومي الاشتراكي ، واللجان والروابط الشعبية ، ومنظمة العمل الشيوعي .

ويمكن تلخيص النشاطات القتالية في الفترة الممتدة من ٦/٦ حتى ٧/٣١ ضمن الفئات التالية :

١ ــ القنص المتبادل على طول خطوط التماس ، ولا سيما ان للطرفين المتجابهين خبرة طويلة في هذا المضمار .

٢ ــ التراشق بنيران الاسلحة الثقيلة ومختلف الوسائط المضادة للدبابات .

٣ ــ قصف جوي معاد على كامل ترتيب اللواء عدا حده الامامي الملاصق لبيروت الشرقية .

٤ ــ قيام مجموعات راجلة من قوات الجبهة اللبنانية بمحاولات التسلل ليلاً عبر خطوط التماس ، لا سيما في الاسواق التجارية والمرفأ وشارع محمد الحوت ، والتصدي لها بالنيران وتدميرها او اجبارها على الانسحاب .

في هذه المرحلة من القتال كثف اللواء اعمال الرصد ودوريات الاستطلاع وعزز الحواجز وسدادات الالغام امام الحد الامامي ، وعلى المحاور المحتملة لتقدم العدو في العمق ، وزاد قدراته النارية عبر الحصول على هاونات ثقيلة وصواريخ م/د « مالوتكا » من الثورة الفلسطينية وافاد من خبرات اللواء ٨٥ لتدريب طواقم صواريخ م/د المستلمة . ولقد لاحظت قيادة اللواء ان عدم وجود قوات نظامية كافية في منطقة رأس النبع يهدد خط الفصل بين الكتيبتين الثانية والثالثة ، فقربت السرية الاحتياطية لتكون مستعدة لاشغال تلك المنطقة والدفاع عنها عند اللزوم ، كما شكلت احتياطاً متحركاً لقنص الدبابات (١٥ عنصراً مسلحين بتسعة قواذف م/د) وكلفته بالتصدي لاي تقدم على طريق المتحف او على رأس

النبع . ولقد لعب هذا الاحتياط المتحرك ـــ كما سنرى ـــ دوراً فعالاً في المرحلة التالية إبان معركة المتحف .

ويمكن القول ان القوات الاسرائيلية قامت بالأستنزاف في هذا القطاع بقوة حلفائها من « الجبهة اللبنانية » . فلقد اكتفت بالبقاء خلفهم واخذ بعض مواقعهم ودعمهم بالنيران البعيدة ومكبرات الصوت ، دون ان تدفع جنودها الى الموت بمعهم على الحد الامامي . وفي نهاية المرحلة « ٧/٣١ » ، كانت وحدات لواء حطين المعززة بمقاتلي القوات المشتركة ، ما تزال متمسكة بمواقعها ومحتفظة بجاهزيتها القتالية ، الامر الذي ساعدها على التصدي فيما بعد لمحاولات العدو الرامية الى اختراق بيروت الغربية .

ج ـــ الاستنزاف في قطاع لواء القادسية :

كان لواء القادسية عند اندلاع الحرب منتشراً على الخط الذي شغله وبدأ تحصينه منذ وصوله الى بيروت . ونظراً الى ان اللواء لم يكن يضم سوى كتيبتي صاعقة ، فان طول خط انتشاره كان حوالي ٤٫٥ كيلو مترات وبعمق ٧٠٠ ـــ ١٠٠٠ متر . ويمر قُطَّيع الكتيبة الاولى عبر مناطق مبنية كثيفة ، بينما يمر قُطّيع الكتيبة الثانية عبر مناطق مكشوفة نسبياً ، وتتناثر فيها الاحياء السكنية والبساتين التي تفصل بينها اراضٍ منبسطة صالحة لتقدم الدبابات . وكان ترتيب اللواء كما يلي :

- الكتيبة الاولى ، منتشرة باتجاه الشرق ، من منستديرة الطيونة داخلاً حتى كنيسة مار مخايل داخلاً .
- الكتيبة الثانية + سرية دبابات وسرية مشاة من فوج دبابات جيش التحرير ، منتشرة باتجاه الشرق والجنوب الشرقي ، من طريق غاليري سمعان حتى راديو اوريان داخلاً .
- كتيبة المدفعية « هاونات ثقيلة » موزعة كما يلي : سرية مع الكتيبة الأولى وسرية مع الكتيبة الثانية ، وسرية + قواعد صواريخ بيد قائد اللواء .
- وحدة الهندسة موزعة على الكتائب .

وعلى الرغم من ان لواء القادسية يشبه لواء حطين ، من حيث كونه تشكيل وحدات صاعقة ، فان قوته النارية كانت اكبر من قوة حطين النارية ، بسبب وجود كتيبة مدفعية عضوية فيه ، وتعزيزه بسرية دبابات . وكانت مدفعية القوات السورية ومدفعية القوات المشتركة مستعدة لدعمه ودعم القوات المشتركة في قطاعه [1] .

وعند ابدلاع الحرب ، كان الجيش اللبناني منتشراً على خطوط التماس بين لواء القادسية وقوات « الجبهة اللبنانية » . لذلك لم يشهد قطاع اللواء في الايام الاولى أية اعمال قتالية . وفي يومي ١٢ و ٦/١٣

(١) كانت كثافة القوات المشتركة العاملة في قطاع هذا اللواء واضحة في قطيع الكتيبة الثانية ، مع وجود متميز لتنظيمات : فتح والجبهة الشعبية ، والجبهة الديمقراطية ، والجبهة الشعبية القيادة العامة ، والصاعقة ، وجبهة التحرير ، وحركة امل ، والحزب الشيوعي ، ومنظمة العمل الشيوعي ، والاتحاد الاشتراكي ، والحزب السوري القومي .

انسحب الجيش اللبناني من مواقعه فاحتلتها مجموعات من قوات الجبهة اللبنانية في يوم ٦/١٤ وتحصنت فيها . وبذلك اصبح اللواء في مواجهة قوات معادية تبعد عنه مسافة تتراوح بين ٥٠ و ٥٠٠ متر (حسب المناطق وكثافة الابنية)

الا ان الجزء الاكبر من الشريط العازل بين الطرفين كان مغطى بالحواجز والالغام ، ومضروباً بالنيران من كلا الجانبين .

ومنذ يوم ٦/١٤ ، ومع وصول الاسرائيليين الى مستديرة الصياد ، اخذت مجموعات « الجبهة اللبنانية » التي انتشرت على خطوط التماس باعمال القنص والقصف . وبدأت بذلك مرحلة الاستنزاف على قطاع اللواء ، واستمرت حتى وقف اطلاق النار الاخير في ٨/١٢ . ومع ان إحجام العدو عن التورط في حرب الشوارع قد جمد الجبهة في هذا القطاع ، فان صلاحية الارض لتقدم الدبابات في قُطّيع الكتيبة الثانية ، وسعة المنطقة العازلة امام جزء كبير من ذلك القُطّيع ورغبة العدو في الوصول الى غاليري سمعان ، كانت وراء تشجيع القوات المعادية « الاسرائيلية والكتائبية » على اعطاء الاستنزاف طابعاً متحركاً يتضمن مختلف النشاطات القتالية التي شهدتها جبهة لواء حطين (القنص ، القصف ، محاولات التسلل الراجلة) بالاضافة الى الاغارات ومحاولات القضم التي جرت في مناطق غاليري سمعان وغاليري كرم ومعمل رفول ومدرسة الصخرة .

ونلاحظ في هذا القطاع ايضاً ، ان الاسرائيليين قاموا بالاستنزاف بقوة حلفائهم من الجبهة اللبنانية ، واكتفوا بلعب دور القاعدة النارية

الخلفية لتغطية هجماتهم المتكررة التي انتهت كلها الى الفشل . وعند وقف القتال « ٨/١٢ » كان لواء القادسية والقوات المشتركة العاملة في قطاعه ما تزال متمسكة في مواقعها الاصلية ومستعدة لمتابعة الصراع .

د ـ الاستنزاف في قطاع القوات الخاصة :

في مساء ٦/١٧ انهت القوات الخاصة انتشارها على حدود المناطق المبنية في الضاحية الجنوبية ، وتمركزت في الفرجة الواقعة بين ميمنة لواء القادسية وميسرة كتيبة المشاة الثانية ، في خمسة مواقع اخذت شكل عقدة نجمية . وكان ترتيبها القتالي كما يلي :

ـ القوة الاولى في منطقة المريجة .
ـ القوة الثانية في منطقة بير الضيعة .
ـ القوة الثالثة في منطقة تحويطة النهر .
ـ القوة الرابعة في منطقة الليلكي .
ـ القوة الخامسة في منطقة حي السلم .

ولقد وجدت القوات الخاصة نفسها منذ ذلك الحين في وضع جديد يختلف كلياً عن الوضع الذي كانت فيه ابان الايام العشرة الاولى من القتال . ففي معارك خلدة ومثلث خلدة وكلية العلوم ، كانت القوات الخاصة منتشرة في مواقع بعيدة عن السكان ، وتدافع بوسائطها الذاتية عن اقسومة محددة من الارض ، ولا تتخلل ترتيبها مجموعات من القوات الخاصة شبه النظامية . في حين كان انتشارها في الوضع الجديد داخل منطقة

سكنية لم يهجرها اهلها كلهم رغم مخاطر القصف واحتمالات هجوم العدو ، كما كان ترتيبها القتالي متطابقاً مع نصف الحد الجنوبي لترتيب القطاع الخامس للقوات المشتركة[1] . الامر الذي جعل مجموعات مقاتلي القوات المشتركة موجودة حول نقاط استناد سرايا القوات الخاصة وفي داخلها وفي الفُرج الواقعة بينها . وبسبب هذا التشابك الكامل على الارض ، والوجود المشترك في كل حي وشارع ومبنى ، نشأت بين القوات الخاصة والقوات المشتركة والمواطنين علاقة وثيقة ساهمت في تسريع تآلف القوات الخاصة مع مواقعها الجديدة ، وتسهيل التعرف على مسالك التحرك المخفية فيها والمحاور الصالحة لتقدم العدو نحوها . وبالمقابل فان القوات شبه النظامية افادت من وجود القوات الخاصة بينها نظراً لما تمتلكه هذه القوة النظامية من خبرات قتالية ، وكفاءة تنظيمية ، وروح تعرضية عالية ، وحضور دائم وبحجم ثابت في مختلف مراحل المعركة .

وكان بين الحد الامامي لمواقع القوات الخاصة وخطوط انتشار القوات المعادية منطقة محرمة يتراوح عمقها بين ١٠٠ و ٥٠٠ متر . وهي عبارة عن ارض مكشوفة تقريباً ، وتنتشر فيها بعض البيوت المنعزلة والبساتين والمزارع . ومن الواضح ان العدو قد احجم عن اجتياح هذه المنطقة دفعة واحدة حتى لا يضطر بعد ذلك الى خوض القتال المكلف في الشوارع ، وآثر البقاء بعيداً عن المناطق المبنية وخارج الامدية الفعالة لأسلحة المدافعين عنها ، والاكتفاء بقصف مواقع القوات الخاصة والقوات

---

(١) كان في هذا القطاع وجود متميز لتنظيمات : فتح ، وحركة امل ، وجبهة التحرير ، والجبهة الشعبية ، والحزب الشيوعي ، وجيش لبنان العربي .

المشتركة بالمدفعية والدبابات والطائرات بغية تدميرها او اجبارها على الانسحاب . لهذا اخذت نشاطاته القتالية في الفترة الاولى من مرحلة الاستنزاف طابع الضربات النارية (قصف جوي مدفعي ، ورمايات دبابات من مرابض ثابتة) اضافة الى اعمال القنص التي قام بها عناصر « الجبهة اللبنانية » . واخذ رد المدافعين شكلين اساسيين .

١ ــ التعامل مع مصادر النيران بالمدفعية واسلحة المشاة الثقيلة .
٢ ــ التسلل ليلاً نحو المواقع المعادية الامامية ، خاصة مرابض الدبابات والاغارات عليها بمجموعات قتالية تضم مقاتلين من القوات الخاصة والقوات المشتركة . لذا كان العدو يضيء المنطقة المحرمة طوال الليل ، ويكثف الاضاءة بعد حدوث الاغارة بغية كشف المغيرين ، ويتعامل معهم بالنيران دون ان يعمد الى مطاردتهم خوفاً من الوقوع في الكمائن .

وفي هذه المرحلة حصنت القوات الخاصة خطوطها وسترتها بالالغام المضادة للدبابات ، وانضمت اليها دوريتان جاءتا من خارج الطوق ، ووصلتا الى الموقع المحاصر في ٢٢ و ٢٤/٦ . وكانت الدوريتان مشكلتين من عناصر الفوج ٣٦ وكل واحدة منهما بقيادة ضابط . ولقد نظمتهما قيادة الفوج في بحمدون وزودتهما بما قد يحتاجه المحاصرون في بيروت الغربية ودفعتهما الى داخل الطوق عبر خطوط العدو مؤكدة بذلك حتمية الصمود ومتابعة القتال .

وحتى اواخر حزيران « يونيو » كان العدو يعطي عناصر « الجبهة اللبنانية » دوراً اساسياً في الاستنزاف على هذا القطاع . وعندما لاحظ

فشل حلفائه في تنفيذ مهامهم ، وان القنص والضربات النارية وحدها غير قادرة على تحقيق الاستنزاف بالسرعة المرجوة ، قرر تقليص دور « الجبهة اللبنانية » والتوسع في استخدام قواته عبر تطبيق اسلوب الاستنزاف بالنار والصدمة . وشن باتجاه الليلكي وحي السلم عدة هجمات اخذت شكل اغارات مدرعة « على مستوى سرية دبابات ومشاة ميكانيكية غالباً » مدعومة بنيران المدفعية ورمايات الدبابات المنتشرة في المرابض . وهنا اغارات اشتركت الطائرات في التمهيد لها بقصف شمل المواقع الامامية ومرابض المدفعية والراجمات ومحاور الحركة في العمق . ولكن القوات الخاصة والقوات المشتركة تصدت لتلك الهجمات وتمكنت من دحرها بمساعدة المدفعية السورية والمشتركة .

وعندما تأكد العدو من صلابة الدفاع وعدم جدوى الاغارات المدرعة عبر الارض المحرمة المكشوفة ، لجأ الى قضم تلك الارض باسلوب الثنائي « جرافة ـــ دبابة » المتمثل في دفع الجرافات ليلاً الى مسافة ٢٠ ـــ ٥٠ متراً لحفر مساتر تنتقل اليها الدبابات قبل فجر اليوم التالي ، مكتسبة بذلك عشرات الامتار في كل ليلة . هنا لجأ المدافعون الى الرد باسلوب مزدوج ، يتضمن قصف الجرارات والبلدوزرات في خلال تحركها او عملها ، والاغارة على مواقع العمل ليلاً ، وتدمير المعدات والمشاة التي تقوم بحراستها . الامر الذي جعل قضم الارض عملاً بطيئاً ومكلفاً .

وهناك عاملان مهمان ساعدا على ثبات هذا القطاع طوال مرحلة الاستنزاف واحبطا كل محاولات العدو لقضم الارض ، وهما :

١ ـــ الدعم الذي قدمه السكان ومقاتلو القوات المشتركة الى القوات

الخاصة ، على صعيد الاستطلاع والمساهمة الفعالة في الاعمال القتالية وتأمين الدعم الناري والاخلاء الطبي .

٢ ـــ ديناميكية القوات الخاصة وروحها الهجومية اللتان انتشرتا بالعدوى بين المقاتلين العاملين في القطاع كله ، واصبحتا من سمات عمليات الرد على الاستنزاف المعادي .

هـ ـــ الإستنزاف في محيط المطار « جزء من قطاع اللواء ٨٥ » :

كان الجزء الشمالي من المدرج الشرقي للمطار ، والمناطق المحيطة به من الشرق والغرب ، وابنية المطار والمستودعات القريبة منها ، مسرحاً ساخناً ابان مرحلة الاستنزاف ويرجع ذلك الى اقتناع العدو بأن نجاحه في الإستيلاء على هذا الجزء من الجبهة ، سيفتح امامه امكانية الاندفاع عبر الارض المكشوفة المتبقية داخل الطوق ، الواقعة بين مخيم برج البراجنة وحارة حريك شرقاً والبحر غرباً . وكانت القوات المدافعة عن محيط المطار تضم :

- كتيبة المشاة الثانية : وتنتشر على المجنبة الغربية للقوات الخاصة في منطقة الكوكودي واوتوستراد المطار حتى قصر مشنوق . ولقد جرى تبديل هذه الكتيبة في ٢٦/٦ وحلت مكانها الكتيبة الاولى من اللواء ٨٥ ناقص سرية بقيت جنوبي الاوزاعي .
- مجموعات من القوات المشتركة « من القطاع الخامس » وتنتشر

جنوب غربي منطقة الغدير وعند الحافة الشرقية لمدرج المطار الشرقي ٠

○ مجموعات من القوات المشتركة « من القطاع الرابع » وتنتشر على جانبي اوتوستراد المطار ، من مستديرة الكوكودي حتى مبنى المطار ٠

ونظراً الى اهمية هذا الجزء من الجبهة ، حشدت المنظمات[1] فيه نسبة عالية من الاسلحة المضادة للدبابات ، واعدت لدعمه بالمدفعية والصواريخ ٠ وفي الوقت ذاته اعدت المدفعية السورية رماياتها على المنطقة والمحاور المؤدية اليها ٠ وكان في مبنى المطار انذاك وحدة من الجيش اللبناني ، تقوم بمهام الحراسة ولا تتدخل في القتال الدائر حولها بأي شكل ٠ وكان عمق المنطقة العازلة بين الحدين الاماميين للقوات المتجابهة يتراوح بين ٧٠٠ و ١٠٠٠ متر ٠ وهي منطقة رملية مكشوفة ، تماماً وتصلح بالتالي لتقدم الدبابات المعادية ٠ الا انها كانت مضروبة بنيران المدفعية والاسلحة الثقيلة ووسائط الصراع ضد الدروع ، ومغطاة بشبكة كثيفة من حقول الالغام المبعثرة ومليئة بالحفر التي يكمن فيها قانصو الدبابات المسلحون بالقواذف « ر ب ج ـــ ٧ » ٠ لهذا توقف العدو امامها ، وانتشر في البساتين المحاذية لها من جهة الشرق ، وبدا الاستنزاف من مواقع ثابتة بواسطة نيران المدفعية والهاونات ومدافع الدبابات ، اضافة الى القصفين الجوي والبحري ٠

---

(١) مع وجود متميز لتنظيمات : فتح ، وحركة امل ، والجبهة الشعبية ، والصاعقة ، والحزب السوري القومي ، وجبهة التحرير والحزب الشيوعي ٠

ولقد حمل الاستنزاف في قطاع المطار ومحيطه طابعاً عنيفاً منذ البداية ، وانتقل بسرعة من الاستنزاف الثابت بالنيران الى الاغارات المدرعة الاسرائيلية (على مستوى سرية دبابات ومشاة ميكانيكية او على مستوى كتيبة احيانا) . وتصدى المدافعون لتلك الاغارات بصلابة ، وتمكنوا من صدها في كل مرة ، بفضل الجيب الناري الذي تشكل من تقاطع رمايات كتيبة المشاة الثانية لـ « ٨٥ » المنتشرة شمالي الجيب ، ورمايات القوات المشتركة على جانبه الغربي ونيران المدفعية السورية ومدفعية القوات المشتركة التي كانت تضرب ارتال المهاجمين وتجمعاتهم ومصادر نيران الدعم في العمق ، وتنشىء امام المتقدمين سدوداً نارية . وفي الحالات التي اقترب فيها المغيرون من خطوط الدفاع ، تصدى لهم قانصو الدبابات المختفون في الحفر الرملية وتمكنوا من تدمير الدبابات والعربات المدرعة بالقواذف م/د.

ومما لا شك فيه ان صلاحية الارض المكشوفة في هذا القطاع لتقدم آليات العدو كان يقابلها امكانية التعامل مع تلك الاليات بالصواريخ المضادة للدبابات من امدية بعيدة ، وسهولة اختفاء قانصي الدبابات في حفرهم الرملية ، ولا سيما ان هؤلاء كانوا يكتفون بحفر صغيرة مموهة يصعب تمييزها في ارض مليئة بالحفر الناجمة عن انفجار القنابل ، ولا يتحركون ــ لاغراض الامداد والاخلاء والتبديل ــ الا بعد هبوط الظلام .

وبعد فشل الهجمات المتعاقبة لجأ العدو الى قضم الارض ، مستخدماً في ذلك اسلوب الثنائي « جرافة ــ دبابة » الذي جاء ذكره من قبل . وكان رد المدافعين على ذلك ، قصف الجرافات في مواقع العمل ، والاغارات الليلية لتدمير المعدات والمشاة المرافقة لها . ولكن

وثبات العدو القصيرة بعشرات الامتار ، ادت في نهاية مرحلة الاستنزاف الى اقتراب الدبابات والعربات المعادية من القوات السورية المتمركزة في منطقة الكوكودي ووصولها الى الطرف الشرقي للمدرج الشرقي . في حين انسحبت القوات المشتركة الى الطرفين الشمالي والغربي للمدرج . وبذلك تقلص عمق المنطقة العازلة بين القوتين المتجابهتين الى حوالي ٣٠٠ متر .

والجدير بالذكر هنا ان العدو الاسرائيلي حمل بنفسه عبء الاستنزاف في هذا القطاع ، ولم يستخدم حلفاءه من « الجبهة اللبنانية » الا في الاعمال الثانوية نظراً لنقص الوسائط المدرعة لديهم ، وضعف كفاءتهم في القتال في الاراضي المكشوفة .

ومن الامور التي تسترعي الانتباه على جانب القوات المدافعة : النجاح في تأمين الامداد والاخلاء والتبديل على مسرح منبسط ومضروب بالنيران المباشرة وغير المباشرة ، وصمود المقاتلين الملتجئين في الحفر المتناثرة والخنادق الضيقة رغم كثافة القصف المعادي ، والسرعة التي تم فيها تبديل كتيبة المشاة الثانية من اللواء ٨٥ بكتيبة المشاة الاولى من اللواء ذاته في ليلة ٦/٢٦ .

و ــ الاستنزاف على محور الاوزاعي « قطاع سرايا الدفاع وجزء من اللواء ٨٥ » :

منذ ايقاف التقدم المعادي على طريق خلدة ــ الاوزاعي « ١٧ ــ ٦ » ، وحتى نهاية مرحلة الاستنزاف على هذا المحور

« ٧/٣١ » كان في مواجهة قوة المشاة الميكانيكية الاسرائيلية المعززة بالدبابات والمنتشرة من مكب النفايات حتى محيط مثلث خلدة ، القوات الصديقة التالية :

- سرايا الدفاع بقوام كتيبة معززة على الطريق الساحلي .
- مجموعات من القوات المشتركة[1] منتشرة على الطريق الساحلي وفي الاوزاعي وعلى الحافتين الغربية والشمالية لجزء من المدرج الغربي للمطار .
- سرية من كتيبة المشاة الاولى جنوبي الاوزاعي .
- سرية من كتيبة المشاة الثانية شمالي الاوزاعي .
- سرية هندسة اللواء ٨٥ في الاوزاعي .

وكان دعم تلك القوات مؤمناً بمدفعيتي اللواء ٨٥ والقوات المشتركة ، والوسائط النارية التابعة للقطاعين الثالث والرابع ، وراجمات سرايا الدفاع .

ولم يلجأ العدو على هذا المحور الى اسلوب الاغارات المدرعة ، سوى مرة واحدة « ٧/١١ » انتهت الى الفشل ، بسبب ضيق مجال المناورة وكثافة الحواجز الترابية والسدود النارية . لذلك اكتفى الاسرائيليون بالاستنزاف عن طريق القصف الجوي والبري ، اضافة الى القصف البحري المباشر . ثم عمدوا الى اسلوب الثنائي « جرافة ـــ دبابة » دون نجاح ، لان منطقة عملهم تحولت الى جيب ناري مضروب بالمدفعية

---

(١) مع وجود متميز لتنظيمات : فتح ، حركة امل ، الصاعقة .

والصواريخ ، م/د ولان سرايا الدفاع عمدت الى اسلوب الاغارات الليلية بمجموعات قنص الدبابات ونفذت في هذا الاطار عدداً كبيراً من العمليات الناجحة ، كما قامت القوات المشتركة باغارات ليلية رغم اضاءة ارض المعركة باستمرار من قبل العدو . وهكذا بقيت القوات الاسرائيلية مجمدة في محيط مكب النفايات اكثر من ٤٠ يوماً . ولم تتمكن من تجاوزه الا في يوم ٨/١ .

ز ـ الاستنزاف من جهة البحر : « قطاع سرايا الدفاع وجزء من اللوائين ٨٥ وحطين »

لعبت البحرية الاسرائيلية في مرحلة الاستنزاف ثلاثة ادوار : ولقد تمثل الدور الاول في قيام الزوارق المسلحة بدوريات خارج مدى المدفعية المتوافرة لدى المدافعين ، بهدف اكمال الطوق من جهة الغرب ، ومنع وصول الامدادات الى العاصمة المحاصرة عن طريق البحر . وكان الدور الثاني يتمثل في قصف الشاطىء وعمق المنطقة المحاصرة بمدفعية الزوارق المسلحة . اما الدور الثالث فهو القيام بمحاولات انزال تشتيتية ، تحت دعم الطيران ومدفعية الزوارق الحربية .

وكانت القوات المدافعة عن الشاطىء في مرحلة الاستنزاف تضم :

- سرايا الدفاع وكتيبة الاسد .
- ثلاث سرايا مشاة وسرية دبابات من اللواء ٨٥ .
- كتيبة من لواء حطين باتجاه الشاطىء الشمالي .

○ مجموعات من مختلف تنظيمات القوات المشتركة[1] .

وكان دعم هذه القوات مؤمناً بمدفعية اللواء ٨٥ وراجمات سرايا الدفاع ومدفعية القوات المشتركة ، اضافة الى الوسائط النارية الثقيلة التابعة لكتيبة مشاة من اللواء ٨٥ ومدفعية القطاعات : الاول والثاني والثالث والغربي .

ولقد نجحت بحرية العدو في تنفيذ المهمتين الاولى والثانية ، لان القوات المدافعة لم تكن تمتلك مدفعية ساحلية أو صواريخ ارض ـــ بحر او حوامات مسلحة بصواريخ جو ـــ بحر لمواجهة الزوارق الحربية عندما تتجول على طول الشاطىء وعلى مسافة تزيد عن ١٢ كم ، او عندما تقترب من الشاطىء تحت حماية الطيران ، وتقف على مسافة ٨ ـــ ١٢ كم لتنفيذ القصف . لذا فان عمل المدافعين في مواجهة هاتين الحالتين اقتصر على استخدام المدفعية والراجمات في مهام ابعاد الزوارق الحربية عن الشاطىء ، ومنعها من الاقتراب الى مسافة الرمي الفعال .

وقابل النجاح في تنفيذ المهمتين الاولى والثانية ، فشل البحرية في تنفيذ المهمة الثالثة . لان القوات المنتشرة على طول الشاطىء كانت تتصدى لقوات الانزال عند وصولها الى المدى المناسب ، وتتعامل معها بالرشاشات والاسلحة م/د والمدافع الالية المضادة للطائرات ومدافع الدبابات . وكان للمدفعية والهاونات والراجمات دور في مهام التصدي للانزالات البحرية المعادية . فبالاضافة الى انارة الشاطىء والمياه القريبة منه

(١) مع وجود متميز لتنظيمات : فتح ، والمرابطون ، والحزب التقدمي الاشتراكي ، والاتحاد الاشتراكي ، وحركة امل .

بالقذائف المضيئة ، كانت الوسائط النارية الثقيلة تقصف موجات الانزال برمايات التركيز ، وتنشىء امامها سدوداً نارية ٠

وكما حاول العدو تنفيذ الانزالات البحرية التشتيتية قبل بدء مرحلة الأستنزاف وبعدها ، فانه قام في ٧/٢٨ بمحاولة انزال كبيرة في السمرلند ٠ فلقد اندفعت زوارق الانزال في هذا اليوم نحو الشاطىء بعد قصف بحري وجوي عنيف ٠ ولكنها جوبهت بنيران القوات المدافعة عن الشاطىء والقوى الاحتياطية المتحركة التي اتجهت نحو العمق نحو منطقة الانزال ، فاضطرت الزوارق الى التراجع بعد التعرض لخسائر كبيرة ٠

بيد ان فشل العدو في مهمة الانزال البحري لم يكن مطلقاً ٠ صحيح انه لم يتمكن من انزال القوات على الشاطىء لضرب مؤخرة المدافعين على المحور الساحلي ، وايجاد حالة من الارتباك بين صفوف المدافعين او تشكيل رأس جسر تستخدمه قوات انزال تالية كبيرة لمهاجمة قلب المنطقة المحاصرة من اتجاه غير محصن ، الا ان مجرد القيام بمحاولات الانزال اوجد لدى المدافعين انطباعاً باحتمال تكرارها ، وفرض عليهم تجميد قوى ووسائط هامة في مواجهة الشاطىء ، بدلاً من حشدها على خطوط المواجهة ، كما اجبرهم على أستهلاك كميات كبيرة من ذخائر المدفعية والراجمات والهاونات ٠

٨ ــ المرحلة الخامسة : التورط في المناطق المبنية

لم يقدر الاسرائيليون في البداية مدى تصميم المدافعين على القتال ،

وحجم مخزونهم من الذخائر والمؤن ، وشدة تلاحم الشارع الوطني مع قضية الصراع ضد الغزو الصهيوني . ولكن الصلابة التي اصطدم بها العدو على ارض الواقع (سواء على خطوط القتال ام في خلال المباحثات غير المباشرة) بددت الكثير من اوهامه واطالت مرحلة الاستنزاف بشكل فاق كل التقديرات .

وكانت الايام والاسابيع تمضي ببطء شديد . ومع طالع كل شمس يضاف الى لائحة القتلى والجرحى من الغزاة اسماء جديدة وتخسر الدولة الصهيونية سمعتها في الخارج ، وتفقد حكومة الغزاة اعداداً كبيرة ممن ايدوها عندما اعلمتهم انها مقدمة على نزهة عسكرية تبعد فيها المدافع الفلسطينية عن الحدود الشمالية ، ثم انقلبوا عليها منذ ان طال الاستنزاف الى حد لا يحتمل ، وتحولت تلك النزهة الى حرب طاحنة باهظة التكاليف على مختلف الصعد : البشرية والمعنوية والسياسية .

وفي الوقت نفسه كان المدافعون يتعرضون للاستنزاف ويخسرون في كل يوم المزيد من الشهداء والجرحى والمعدات ويصرفون من مخزونهم ذخائر لا أمل لهم في تعويضها ويتعرضون الى ضغوط نفسية شديدة بسبب ما يعانيه السكان من مصاعب الحصار بكل اشكاله ، وما يقدمونه من ضحايا بريئة ابان القصف . بالاضافة الى ذلك كله كان طوق الحصار العسكري المضروب حولهم قد ازداد تماسكاً منذ يوم ٦/٢٤ ولم يعد وارداً لديهم امكان وصول نجدات كبيرة الى القلعة المحاصرة .

ولمزيد من الدقة في التعبير يمكن القول ان الاستنزاف كان متبادلاً ، بل ان وزن العناصر الضاغطة على ارادة المدافعين كان اثقل من وزن

العوامل الضاغطة على ارادة المهاجمين ، في لعبة عض الاصابع . لذا كانت التوقعات تتجه نحو احتمال نفاد صبر المدافعين عن العاصمة قبل نفاد صبر محاصريها، ولا سيما ان الغزاة وجدوا لدى بعض اللبنانيين المخدوعين بدعاية «الجبهة اللبنانية» الكثير من الأمن والراحة والتعاون، وكل ما يخفف عنهم مشقات الحياة في ظروف القتال.

بيد ان تباين طبيعة الحرب بالنسبة الى الطرفين المتحاربين ، ادى الى تباين في تأثير العوامل الضاغطة عليهما . فلقد كانت القوات المطوقة تخوض حرباً دفاعية عادلة تصد فيها عدواناً خارجياً يهدد امن الامة العربية وارضها وكرامتها ، في حين كانت القوات الاسرائيلية تخوض حرباً عدوانيه غير عادلة تستهدف قهر الاخرين واغتصاب ارضهم والتعدي على كرامتهم . لذا كان من الطبيعي ايضاً ان يعتبر المدافعون القتال الدائر معركة حياة او موت وان يرتفع بين صفوفهم مستوى الاستعداد للتضحية والتحمل حتى النهاية وان يقل تأثرهم بعبء العوامل الضاغطة رغم شدته . كما كان من الطبيعي ايضاً ان يرى الغزاة القتال ذاته معركة يمكن تحاشيها ، وان ينخفض في صفوفهم مستوى الرغبة في التضحية والقدرة على التحمل وان يزداد بالتالي احساسهم باثار العوامل الضاغطة .

وكانت المحصلة النهائية لاوزان الضغوط والعناصر المعدلة لها : صمود ارادة القتال لدى المدافعين ، وعدم انهيارهم طوال مرحلة الاستنزاف المتبادل وارتفاع التوتر على الجانب الاخر من الخندق ، ووقوع الاسرائيليين امام معضلة مزدوجة : المغامرة في اقتحام المناطق المبنية بكل ما يعنيه ذلك من مخاطر وخسائر يصعب تقديرها ، او متابعة الحصار والقصف

والتجويع الى اجل غير محدود وتحمل تبعات هذه الاعمال التي لن تحقق اغراضها الا من خلال الابادة المنهجية ، طالما ان سكان بيروت الوطنية والمدافعين عنها قد آثروا الشهادة على عار الاستسلام .

ومع استمرار الاستنزاف المتبادل وتزايد الاصوات المعارضة لحرب الابادة المبرمجة داخل اسرائيل وخارجها تحولت المعضلة المزدوجة الى مأزق ، اذ ان متابعة التصعيد في معركة « الحصار ــ الابادة » مدانة وغير عملية ، وفك الطوق والابتعاد عن العاصمة يعنيان فشل المشروع الاسرائيلي ــ الامريكي كله ، والحسم عن طريق الاقتحام مسألة محاطة بالعقبات ... واخيراً وجد الغزاة ان افضل الحلول السيئة الثلاثة المطروحة امامهم ، هو الهروب من المأزق الى الامام . ومن هنا جاء قرار اقتحام المناطق المبنية .

ومن المؤكد ان العوامل الموضوعية التي اتينا على ذكرها لم تكن وحدها وراء هذا القرار ، بل ساعدتها عوامل ذاتية متعددة ، اهمها عنجهية القادة العسكريين الاسرائيليين وثقة القوات الصهيونية المفرطة بالنفس ، والمعلومات الخاطئة التي استقاها الاسرائيليون من عملائهم حول تدهور اوضاع المدافعين ووقوفهم على حافة الانهيار بانتظار طلقة الخلاص .

والحقيقة ان القوات المدافعة كانت ابعد ما تكون عن الانهيار . فالذخائر (باستثناء بعض انواع القذائف) متوافرة لديها بكميات كافية للقتال طويلاً ، ووسائط الدعم الناري الثقيلة التي اعلن العدو عن تدميرها اكثر من مرة ما تزال رابضة في مواقعها ومستعدة لفتح النار .

ومتطوعو الدفاع المدني ومعظمهم من الفتيان يخوضون على الجبهة الداخلية معركة دائمة ضد اثار القصف المعادي (حرائق ، انهيار ابنية ، قنابل غير متفجرة ٠٠٠الخ) ٠ وفي بيروت « مستودع الشرق الاوسط » مؤن وادوية تكفي السكان والمحاربين عدة شهور ، اضافة الى ما يتسرب من بيروت الشرقية عبر حواجز الكتائبيين والاسرائيليين مقابل رشوات مادية معقولة ٠ والوقود اللازم للعربات العسكرية قابل للتسرب ايضاً عبر الحواجز في ظل الرشوة ٠ ومسألة المياه في طريقها الى الحل بواسطة الابار والمضخات ، والمشافي الميدانية المقامة في الاقبية تعمل بكفاءة جيدة ٠ وفي خزانات محروقات التدفئة المركزية للابنية مخزون يقدر بالاف الاطنان من المازوت اللازم للافران وادارة المحركات ٠ وحتى مسألة الخبز التي تفاقمت في البداية ، فقد وجدت الحل بواسطة الصاج وتشغيل الافران بعناصر ملتزمة من الميليشيات الشعبية المسلحة ٠ ويرجع الفضل في ذلك كله الى ان اللجان اللبنانية والفلسطينية الصحية والاجتماعية والاعلامية والتموينية التي تشكلت مع بداية الحصار ، وتفرعت على مستوى المناطق والاحياء ، وضمت ممثلين من مختلف التنظيمات المقاتلة والهيئات الاجتماعية والانسانية والشخصيات الوطنية ، كانت تتعامل مع الاحداث بفاعلية لا تقل عن فاعلية المجموعات المقاتلة المنتشرة على الحد الامامي ، وتقدم الخدمات الى السكان والمحاربين على حد سواء ٠

اضافة الى ذلك ، فان روح المقاومة حافظت على تأجحها ، لان المقارنة بين المصاعب الانية الناجمة عن الصمود ، والمصير المتوقع في حال الانهيار والوقوع تحت رحمة الفاشية الصهيونية ، كانت تنتهي دائماً لصالح

متابعة القتال مهما تصاعدت الصعاب وتزايدت المخاطر ، طالما ان الخضوع للفاشيين الجدد سيؤدي الى التصفية الجسدية والابادة المعنوية . وفي هذا المجال لعبت « الجبهة اللبنانية » وقوات الشريط الحدودي دوراً ساهم في تعزيز روح المقاومة وابعاد شبح الانهيار . ذلك لان ممارسات قوات سعد حداد الحاقدة ضد سكان الجنوب اللبناني بعد احتلاله ، واعمالهم الانتقامية الموجهة الى الفلسطينيين واللبنانيين الوطنيين ، واندفاع الكتائبيين الى الجبل لفرض سيطرتهم على اهله في ظل الحراب الاسرائيلية وتصريحات مسؤولي الجبهة اللبنانية المفعمة بالتشفي والوعيد ، ومساهمة الحواجز الكتائبية في الحصار التمويني بشكل سادي ، وروح التعالي والتهديد التي صبغت خطاب بشير الجميل اثر عودته من جدة « ٧/٣ » ، كانت كلها وراء تصليب خطط المقاومة وابقاء الاصبع على الزناد ، لانه السبيل الوحيد للحفاظ على البقاء وحرمان « الجبهة اللبنانية » ومجموعاتِ الشريط الحدودي من توظيف الغزو الاسرائيلي لصالح الهيمنة المطلقة ومنعها من تفجير احقادها على شكل مجازر جماعية .

أ ـــ فكرة الاقتحام الاسرائيلي للمناطق المبنية

بنى العدو فكرة اقتحام المناطق المبنية على اساس تقسيمها الى اقسومات « مربعات » معزولة ، والقيام بعد ذلك بتطهير كلّ مربع على حدة ، بعد تجزئته الى جيوب صغيرة . ولتنفيذ هذه الفكرة كانَ على القوات الاسرائيلية القيام بضربات من الجنوب والشرق ، مع المشاغلة من جهة البحر بالانزالات ،وتسخين خطوط التماس بقوات «الجبهة اللبنانية»

لتشتيت القوات المدافعة المنتشرة على هذين الاتجاهين ومنعها من المناورة والتحشد باتجاه الضربات الرئيسية . وكان تقسيم العاصمة الى مربعات يتطلب في المرحلة الاولى اقتحام اربعة محاور تتجه من الشرق الى الغرب وهي :

ــ محور الحدث ــ الليلكي ــ مستديرة الكوكودي .

ــ محور مستديرة الصياد ــ غاليري سمعان ــ دوار المطار ــ سان ميشيل .

ــ محور قصر العدل ــ المتحف ــ البربير ــ كورنيش المزرعة ــ البحر .

ــ محور المرفأ ــ عين المريسة ــ الروشة .

بالاضافة الى ثلاثة محاور تتجه من الجنوب الى الشمال وهي :

ــ محور مستديرة الكوكودي ــ مستديرة المطار .

ــ محور مستديرة السفارة الكويتية ــ مستديرة الكولا .

ــ محور الاوزاعي ــ السمرلند ــ الروشة .

بيد ان التغلغل في العمق كان يتطلب في البداية اقتحام عقد المقاومة في الليلكي ، والكوكودي ، والاوزاعي ، وغاليري سمعان ، والمتحف ، والمرفأ . والانتقال بعد ذلك الى تدمير المقاومات المنتشرة على طول المحاور ذاتها قبل البدء بتجزئة الجيوب المعزولة وتصفيتها . ويبدو ان الاسرائيليين قرروا بدء مرحلة القتال في المناطق المبنية باقتحام عقد الليلكي ، والكوكودي والاوزاعي والمتحف ، واجلوا اقتحام غاليري سمعان والمرفأ الى وقت لاحق ، على اعتبار ان بلوغ مستديرة المطار يسمح لهم

بمهاجمة عقدة غاليري سمعان من جهتين ، كما ان الوصول الى الروشة يهدد مؤخرة عقدة المرفأ ويفرض عليها القتال على جبهتين .

والحقيقة انه منذ تعثر المخطط الرامي الى اركاع المدافعين عن بيروت عبر الحصار والقصف والمفاوضات والتفتيت النفسي ، وعندما كان الجدل يدور داخل القيادة الاسرائيلية حول حتمية اقتحام المناطق المبنية ، بدأت وسائل الاعلام الصهيونية والكتائبية حملة واسعة تتمحور حول التهديد باجتياح العاصمة والضاحية والمخيمات حتى لو ادى ذلك الى تدمير بيروت وابادة عشرات الالاف من سكانها (انظر الفصل الخامس بالحرب النفسية) . وفي الوقت ذاته لجأت القوات المدافعة الى تعزيز خطوط انتشارها على الجبهة وفي العمق ، كما عملت على تكثيف التحصينات والحواجز الهندسية (حفر م/د وستائر ترابية والغام م/د) في مختلف الشوارع ، مستخدمة في ذلك الجرافات والسيارات القلابة العسكرية والمدنية ، بغية احباط الاسلوب المعادي في الهجوم المدرع الخاطف ، واعطاء قانصي الدبابات فرصة افضل لمواجهة العدو والمناورة على مجنباته . الامر الذي حول المنطقة المبنية الى مجموعة من الابنية الحصينة والمساتر الصالحة للقتال القريب ضد الدروع ، وزاد حجم المفاجآت التي تنتظر الغزاة . ولقد ظهرت نتائج ذلك في معارك الايام التالية ، حيث حققت القوات المهاجمة نجاحات باهظة التكاليف على بعض الاتجاهات او اصيبت بالفشل الكامل على الاتجاهات الاخرى .

ب ــ الفشل في اقتحام محور الاوزاعي (٨/١)

شهد خط المواجهة على هذا المحور هدوءاً نسبياً منذ وقف اطلاق النار (٧/٣٠) على الرغم من استمرار القصف والرمايات المتبادلة بالرشاشات طوال ليلة ٣٠ ــ ٧/٣١ ونهار اليوم التالي ٠ وفي الساعة ٣٫٢٠ من يوم ٨/١ بدأ العدو قصفاً برياً وبحرياً على مواقع المدافعين في جنوبي الاوزاعي والحد الشمالي للمدرج الغربي للمطار وبلدة الاوزاعي نفسها ٠ واشترك الطيران في قصف هذه المواقع منذ الساعة ٦٫٠٠ ٠ اثر ذلك قامت الدبابات والمشاة الميكانيكية الاسرائيلية بالهجوم على الطريق الساحلي ، فتصدت لها سرايا الدفاع وسرية معززة بالصواريخ م/د من كتيبة المشاة الاولى (٨٥) ومجموعات من القوات المشتركة بالاضافة الى المدفعية السورية ومدفعية القوات المشتركة وتمكنت من ايقافها بعد ان كبدتها خسائر مرئية بالدبابات والعربات المدرعة ٠ وكرر العدو هجومه بعد ذلك ثلاث مرات ، ولكنه جوبه بمقاومة عنيفة من المواقع المتعاقبة وتكبد في كل هجمة المزيد من الخسائر ، ثم توقف في الساعة ١٤٫٠٠ على بعد ٥٠٠ م جنوبي الاوزاعي ٠ وكان مجمل ما كسبه في الهجمات الاربع لا يتجاوز بضع مئات من الامتار ٠

وبينما كان المدافعون على محور الاوزاعي يتصدون للهجمات البرية حاول العدو القيام بانزال بحري خلفهم على شاطىء السمرلند ٠ فبعد قصف من البحر والجو دام ساعتين قامت اربعة زوارق انزال معادية محملة بالمشاة والدبابات بالاقتراب الى الشاطىء فتصدت لها سرايا الدفاع وسرية

مشاة + سرية دبابات من اللواء ٨٥ ، وكتيبة الاسد ومجموعات من القوات المشتركة . وساهمت في التصدي الوسائط النارية المكلفة بدعم الدفاع عن الشاطىء . ولقد حاول الطيران المعادي دعم عملية الانزال المتعثرة فقصف مواقع المدافعين عدة مرات دون ان يتمكن من ابطالها او زحزحتها عن مواقعها ، كما فشلت مدافع الزوارق الحربية في اسكات نيران المدافعين ، مما ادى الى انسحاب الزوارق وفشل الانزال .

وفي الساعة ١٧٫٠٠ اعلن وقف اطلاق النار التاسع وتوقفت الاعمال القتالية على هذا المحور باستثناء القصف المتقطع والقنص المتبادل . ومع حلول الظلام تجمع المدافعون عند المحور في بلدة الاوزاعي. ثم انتقلوا الى القسم الشمالي من البلدة لاسباب تتعلق بنجاحات العدو على محور المطار — كما سنرى — وانتشروا بين الابنية على جانبي الطريق استعداداً لصدام لاحق . وبذلك بقيت عقدة الاوزاعي صامدة تسد الطريق الساحلي وتمنع اي تقدم باتجاه بيروت .

ج — الخرق على محور الليلكي — الكوكودي — المطار (٨/١)

في يوم ١ — ٨ وبشكل متزامن مع قصف مواقع المحور الساحلي ، بدأ العدو قصف الضاحية الجنوبية من البر والبحر . وشمل القصف برج البراجنة والليلكي وحي السلم والكوكودي والمريجة والغدير والحافة الشمالية للمدرج الشرقي للمطار واوتوستراد المطار . ومع اول ضوء ، إشترك

الطيران في قصف المواقع ذاتها . ثم بدأ العدو هجومه بقوتين مدرعتين ، تقدمت اولاهما من الحدث باتجاه حي السلم ، في حين انطلقت الثانية من صحراء الشويفات باتجاه المدرج الشرقي للمطار .

واشتبكت القوات المشتركة الموجودة في حي السلم مع القوات المعادية الاولى ، والحقت بها بعض الخسائر ، ثم انسحبت باتجاه الشمال والغرب . عندها تابعت القوات اندفاعها باتجاه تلة الكوكودي ، حيث تنتشر السرية الثالثة المعززة من كتيبة المشاة الاولى « ل ٨٥ » . ودار بين الطرفين معركة اخذت طابع الصراع بين الدبابات والاسلحة م/د ، واشتركت فيها المدفعية الصاروخية المتمركزة في الرمل العالي ، واسفرت عن توقف العدو امام تلة الكوكودي بعد ان خسر عدداً من دباباته .

ووقع عبء التصدي للقوة الثانية على عاتق القوات المشتركة المنتشرة عند الزاوية الشمالية للمدرج الشرقي ، بالاضافة الى الصواريخ م/د التابعة لكتيبة المشاة الاولى « ل ٨٥ » والمدفعيتين السورية والمشتركة . الا ان القوات المهاجمة افادت من صلاحية الارض لمناورة الدبابات والعربات المدرعة ، واجتازت مدرج المطار ، ثم انحرفت باتجاه الشمال ملتفة حول مستودعات شركة (T.M.A) ومتجاوزة وحدة الجيش اللبناني الموجودة في مبنى المطار دون ان تتعامل معها وبالمقابل فان الوحدة اللبنانية بقيت في موقف المتفرج . وفي الساعة ١٢٫٠٠ ، وصل العدو الى موقع يهدد منه مؤخرة القوات المشتركة ومجنبة كتيبة المشاة الاولى « ل ٨٥ » فانسحبت القوات المشتركة باتجاه الرمل العالي والتخوم الغربية لمخيم برج البراجنة ، واخذت مواقع دفاعية مقابل اوتوستراد المطار ، في حين توزعت السرية

الثالثة من الكتيبة الاولى « ل ٨٥ » الى مفارز قنص دبابات ، وبقيت في تلة الكوكودي وحولها . اما السرية الاولى (النسق الثاني لتلك الكتيبة) فقد انتشرت في الرمل العالي ، وتعاملت مع العدو من الجانب . وحتى وقف اطلاق النار في الساعة ١٧٫٠٠ ، كان العدو قد تقدم على اوتوستراد المطار مسافة ١٠٠٠ م « من مستديرة الكوكودي حتى مفرق الاوزاعي ومدرسة تعليم السواقة » ونشر دباباته على الخط الجديد داخل حفر اعدتها الجرافات .

ولقد ادى نجاح العدو على هذا المحور الى عدة نتائج اهمها :

١ ــ سقوط حي السلم بيد العدو وتهديد الليلكي والمريجة والغدير ، حيث تنتشر القوات الخاصة والقوات المشتركة .

٢ ــ وصول العدو الى طريق المطار ، وتقدمه الى نقطة تسمح له بتهديد مجنبة برج البراجنة ، كما تفتح امامه مجال التقدم شمالاً باتجاه مستديرة المطار او غرباً باتجاه منتصف الاوزاعي (الامر الذي اجبر المدافعين عن محور الاوزاعي ، كما رأينا ، على اخلاء القسم الجنوبي من بلدة الاوزاعي والانتقال الى قسمها الشمالي ، خوفاً من خروج العدو على مؤخرتهم اذا ما تقدم من اوتوستراد المطار نحو الغرب) .

٣ ــ انفصال معظم القوات المدافعة في حي السلم (مجموعات من القوات المشتركة ووحدة من القوات الخاصة) عن قوات القطاع الخامس . ولقد تمكن بعض هذه القوات من التسلل شمالاً عبر خطوط العدو والالتحاق بالقطاع الخامس ، في حين توجه البعض الآخر شرقاً عبر

خطوط العدو ، واجتاز صحراء الشويفات وطريق صيدا القديمة ، ووصل الى المناطق الوطنية في الجبل بمساعدة السكان .

د ــ معركة المتحف (٤ ــ ٨/١٢)

بدأ العدو الانتشار على محور المتحف منذ ١٧ ــ ٦ . ولكنه بقي بعيداً عن خطوط التماس مسافة ٢٠٠ ــ ٥٠٠ متر . وفي ٧/٣ ، رصدت على مقربة من المتحف قوة اسرائيلية قدرت بسرية ميكانيكية . وبعد يومين « ٧/٥ » رصد تمركز قوات اسرائيلية في الطيونة وشارع بدارو وبناء الامن العام . ومع تزايد التهديدات باقتحام العاصمة المحاصرة ، كثف العدو وجوده مقابل المتحف وفي الشوارع الجانبية ، من الضبية حتى مستديرة الطيونة ، وغدا لديه في هذه المنطقة زهاء كتيبة دبابات وكتيبة مشاة ميكانيكية ، كما زادت قوات « الجبهة اللبنانية » نشاطها في مجالات القنص والقصف والرصد . ومع بدء الهجوم على محوري الاوزاعي والمطار « ٨/١ » ، ركز العدو قصفه على المواقع الدفاعية المقابلة لمحور المتحف ، مستهدفاً مرابض الاسلحة الثقيلة وتجمعات القوات .

وكانت القوات المدافعة عن هذا المحور تضم :

ــ السرية الاولى من كتيبة المشاة الثانية من اللواء ٨٥ « فصيلة في مبنى المتحف ، فصيلة في الحد الشمالي لميدان السباق ، في رأس النبع » .
ــ وحدة صواريخ م/د تابعة للكتيبة ذاتها ، على طريق المتحف .

ــ الكتيبة الثالثة « لواء حطين » وتنتشر من طريق المتحف خارجاً حتى دوار الطيونة ؛

ــ الاحتياط المتحرك المضاد للدبابات « لواء حطين » في رأس النبع .

ــ مجموعات من القوات المشتركة ، في رأس النبع وطريق المتحف وحرش بيروت[1] .

اما الدعم الناري للمحور فكان مؤمناً من قبل مدفعية وهاونات اللواء ٨٥ ولواء القادسية والقوات المشتركة ودبابتين تابعتين لتنظيم « المرابطون » متمركزتين عند جسر فؤاد شهاب .

ولم يكن تحصين منطقة رأس النبع يتطلب جهداً كبيراً ، نظراً لكثافة الابنية فيها . ولقد تم تحصين هذه المنطقة بشكل مقبول . في حين كان من الصعب تحصين اقسومة الطريق من المتحف حتى مستشفى البربير « طولها ٧٠٠ متر » ، لان التحصين المتكامل كان يعني قطع الطريق الذي يشكل بوابة عبور رئيسية بين بيروت الشرقية والغربية . لذلك اكتفي بانشاء مرابض الأسلحة على جانبي الطريق ، واعداد الحواجز على شكل سواتر زملية متعاقبة مع ترك ثغرات لمرور الاليات ، بشكل افقد الحواجز جزءاً من فاعليتها ، وجعل مناورة قانصي الدبابات اكثر صعوبة ، ولا سيما ان منطقة انتشار العدو شرقي المتحف كانت اعلى من الطريق ومسيطرة عليه . اما في قطيع الكتيبة الثالثة «لواء حطين» ،

(١) مع وجود متميز لتنظيمات : فتح والحزب الشيوعي والمرابطون والصاعقة والجبهة الشعبية والحزب التقدمي الاشتراكي والجبهة الديمقراطية ومنظمة العمل الشيوعي .

الذي يتضمن ميدان سباق الخيل وحرش بيروت ، فكانت عملية التحصين واعداد الحواجز متاحة بسبب خلو القطّيع من السكان ، كما كانت العملية ضرورية بسبب صلاحية الارض لتقدم الدبابات . لذا عمدت الكتيبة إلى حفر الخنادق ومساند رمي الاسلحة ، وزرعت في الحرش حقول الغام (م/د و م/أ) واستكملت اعداد الاعمال الهندسية الموجودة منذ الحرب الاهلية اللبنانية ، والمتمثلة في : خندق مضاد للدبابات ، وساتر ترابي ، وخندق مواصلات يمتد على طول السور الشمالي لميدان سباق الخيل ويسمح بالوصول الى مبنى المتحف بشكل مستور .

ونظراً الى تعدد القوات النظامية وشبه النظامية المنتشرة على طريق المتحف وحوله ، دفع قائد لواء حطين رئيس اركانه الى هذا الطريق في ٨/١ ، وكلفه بتنظيم التعاون بين القوات الصديقة ، وادارة المعركة الدفاعية على الطريق نفسه وفي منطقة رأس النبع . الامر الذي ساهم في نجاح المعركة التي دارت فيما بعد .

وفي الساعة ٣٠ر٠ من يوم ٨/٤ ، خرق العدو وقف اطلاق النار الثامن ، وبدأ قصفاً مدفعياً وبحرياً شمل معظم ارجاء المنطقة المحاصرة ، بما في ذلك محور المتحف والمناطق المجاورة له . وتحت ستار هذا القصف ، دخلت القوات المعادية المدرسة المرسلية وخرقت سورها المطل على ميدان سباق الخيل ، ودفعت من خلال الثغرة عربة مدرعة اخذت ترمي عشوائياً باتجاه السرية الثانية المنتشرة جنوبي ميدان السباق وعلى مؤخرة مبنى المتحف . ولم يتابع العدو دفع عربات اخرى عبر الثغرة خلال الليل ، ولا

سيما بعد ان نجح رماة القواذف في الاقتراب من العربة الاولى تحت جنح الظلام وتدميرها . وهكذا فشلت العملية الليلية التي اراد منها العدو احتلال ميدان السباق بالمباغتة .

وفي الساعة ٦٫٠٠ ، اندفعت القوات المعادية باتجاه طريق المتحف . وكانت الدبابات والعربات المدرعة تتقدم بالسرعة القصوى وترمي عشوائياً من الحركة . وتصدت القوات المدافعة عن الطريق للمهاجمين ، ودمرت الدبابات والعربات التي خرقت الحد الامامي قبل ان تقطع ١٠٠ متر ، وفتحت المدفعية والهاونات النار على الرتل المتقدم ، وشكلت الراجمات امامه سداً كثيفاً من القذائف . الامر الذي دفع العدو الى ايقاف عملية الاختراق ، والانتشار في الشوارع الجانبية في مأمن من الانظار ، وبذلك فشلت الهجمة الاولى في تحقيق هدفها . وعاد العدو الى قصف طريق المتحف وجواره لتليين الموقع قبل اقتحامه من جديد . وردت الوسائط النارية على القصف ، وتحول القتال الى مبارزة بالنيران الثقيلة .

وفي ظل التراشق المدفعي ، تحركت مجموعات قنص الدبابات « الالية والراجلة » التابعة لمختلف تنظيمات القوات المشتركة الى منطقة المتحف ، وانتشرت وراء السواتر الرملية وفي الابنية المطلة على الطريق : من المحكمة العسكرية حتى مستشفى البربير . ووجد الاحتياط المتحرك التابع للواء حطين الفرصة المنتظرة للتدخل ، فانتقل الى موقع يشرف على الطريق ومستديرة المتحف . واختلط مقاتلو التنظيمات شبه النظامية مع القوة النظامية شمالي الطريق بشكل كبير . وكانت كثافة القواذف م/د عالية

وتدفع الى الاعتقاد بان القاذف م/د سلاحاً فردياً لكل مقاتل . وظهرت نتائج هذا التحشد عندما حاول العدو تكرار هجماته على الطريق ، اذ كان الهدف الذي يظهر ضمن مدى الرمي يتعرض لعدة قذائف . ولقد استمر القتال على طريق المتحف في ساعات بعد الظهر ، ولم يتوقف الا في الساعة ١٧٫٠٠ مع اعلان وقف اطلاق النار التاسع .

ولم يهاجم العدو في هذا اليوم الطريق فحسب ، بل هاجم ايضا قطاع الحرش وميدان السباق . ففي الساعة ١١٫٠٠ وبينما كان القتال محتدماً على الطريق ، خرق العدو جدار ثكنة المصالح واندفع عبر الثغرة نحو الحرش وميدان السباق ، فتصدت له السريتان الثانية والثالثة من الكتيبة الثالثة « لواء حطين » . وقام قائد الكتيبة بحشد كافة القواذف المضادة للدبابات في السريتين ودفعها الى الامام للتعامل مع دروع العدو من مسافة قريبة ، كما امر السرية الاولى التي لم يكن الهجوم في اتجاهها ، والفصيلة الاحتياطية الموجودة في مستديرة شاتيلا « على بعد ١٠٠٠ م من مكان الخرق » بحشد معظم قواذفها ودفعها الى خط المواجهة ، واشتركت السرية الاولى من اللواء ٨٥ في الرمي على المهاجمين من موقعها القريب من مدخل ميدان السباق . وهكذا اصطدم المهاجمون بجدار من القذائف المضادة للدبابات ، واجبروا على الانسحاب الى ثكنة المصالح في الساعة ١٣٫٠٠.

وكرر العدو هجومه عبر ثغرتي ثكنة المصالح والمدرسة المرسلية في الساعة ١٥٫٠٠ ولكنه اضطر الى التوقف والانسحاب . وفي الساعة

١٧٫٠٠ توقف القتال، في هذا القطاع مع اعلان وقف اطلاق النار التاسع ، دون ان يتمكن العدو من تحقيق اي نجاح ٠

والجدير بالذكر ان الكتيبة الاولى « من لواء القادسية » قد ساهمت في معركة الصد ، حيث قامت بالرمي على شارعي بدارو وسامي الصلح ، اللذين سلكتهما ارتال العدو كطريقين عرضانيين ، ابان الهجوم من ثغرتي ثكنة المصالح والمدرسة المرسلية ، كما قدمت كتيبة مدفعية لواء القادسية الى القوات المدافعة عن المتحف دعماً ملحوظاً ساهم في كسر حدة الهجوم ٠

واستمرت معركة المتحف بعد ذلك حتى وقف اطلاق النار الاخير ١٢/٨ ٠ ولجأ العدو الى الثنائي « دبابة ــ جرافة » فكان يتقدم وراء جدار ترابي متحرك بمعدل عشرات الامتار يومياً ، فتتصدى له وسائط الدفاع م/د وتدمره او تجبره على الانسحاب وراء ستار دخاني ٠ وفي هذا الاطار تم التصدي للعدو في ثكنة الطرابلسي « ليلة ٤ ــ ٥/٨ » وفي شارعي سامي الصلح وبدارو « ٥/٨ » وطريق المتحف « ٦/٨ » وطريق المتحف وميدان سباق الخيل ورأس النبع « ٩/٨ » ٠

وكرر العدو هجماته في ليلة ٩ ــ ١٠/٨ ويوم ١٠ ــ ٨ دون جدوى ٠ وكانت الهجمة الاخيرة في يوم ١٢/٨ واسعة النطاق وشملت طريق المتحف وميدان سباق الخيل ورأس النبع ، واستمرت من الساعة ١٣٫٣٠ حتى الساعة ١٥٫٥٠ ، وخسر العدو في خلالها العديد من الدبابات والعربات والجرافات ٠ ولقد اشتركت مدفعية الطرفين في القتال ، ولعبت القواذف م/د دوراً اساسياً ٠ ووصلت طليعة القوة المهاجمة الى

المحكمة العسكرية ثم اضطرت الى التراجع . وكان عنف المقاومة قوياً الى درجة دفعت العدو الى اشراك طيرانه في القتال منذ ١٦٫٠٠ . وفي الساعة ١٧٫٠٠ اي عند اعلان وقف اطلاق النار الاخير ، كان مجمل ما تقدمه العدو على طريق المتحف طوال ٩ ايام « من ٤ حتى ٨/١٢ » لا يتجاوز ١٥٠ متراً ، بينما لم تحقق قواته اي تقدم في رأس النبع وسباق الخيل والحرش ودوار الطيونة .

هـ ــ محاولة خرق محور المرفأ (٨/٤)

تمت هذه المحاولة ضد مجنبة لواء حطين اليسرى ، عندما كان هذا اللواء مشدوداً الى معركة المتحف الرئيسية الدائرة في قطاعه . وكانت قيادة اللواء قد توقعت منذ بدء الغزو قيام الاسرائيليين بانزال قواتهم ومجموعات من ميليشيات الشريط الحدودي في المرفأ ، لمساعدة الكتائب على مهاجمة خطوط التماس واحتلال الاسواق التجارية . لذلك تم تعزيز هذا الجزء من جبهة اللواء ، واعدت رمايات الاسلحة الثقيلة ومدفعية القوات المشتركة على نقاط الانزال المحتملة . ولقد ازداد الاقتناع بامكانية لجوء العدو الى تدبير كهذا ابان معركتي خلدة ومثلث خلدة عندما تعثر تقدم العدو نحو بيروت من جهة الجنوب ، وغدت احتمالات لجوئه الى الالتفاف عن طريق البحر اكثر قوة . ولكن نجاح القوات المعادية في الوصول الى بيروت الشرقية في ٦/١٥ ابعد احتمالات الانزال في المرفأ وقوي في الوقت ذاته احتمالات قيام الاسرائيليين انفسهم بمهاجمة المحاور المؤدية الى خطوط

التماس ، ومن بينها محور المرفأ . وفي ٧/٦ ، كشف العدو وجوده في منطقة المرفأ في اطار تشديد الحصار التمويني والدوائي والغذائي . الا ان هذا الوجود لم يأخذ حجماً مقلقاً الا في ٨/٣ ورافقت التحشد المعادي في منطقة الحوض الخامس ظواهر عدة دلت على قرب قيامه بالهجوم ، ومن بينها جلب كاسحات الالغام ، وتزايد نشاطات الاستطلاع والرصد .

وفي الساعة ١٫٠٠ من بعد منتصف ليلة ٣ ـــ ٨/٤ بدأ العدو قصف كامل ترتيب لواء حطين ، مركزاً على اتجاهات بنك الاعتماد الوطني والبورصة وبناية الفتال المواجهة للمرفأ ، اضافة الى العمق في وادي ابو جميل فندق هوليدي إن والقنطاري . ومع اول ضوء من يوم ٨/٤ تحركت قوة معادية باتجاه خطوط التماس بقوام كتيبة دبابات ومشاة ميكانيكية ، وقبل الوصول الى شوارع الاسواق الضيقة المزروعة بالالغام والمسدودة بالسواتر الترابية ، كان عليها ان تجتاز شوارع تشكل في حد ذاتها ممرات اجبارية . ولقد تصدت لها المدفعية والراجمات وهي في هذه الممرات ، وانشأت امامها سدوداً نارية كثيفة ودمرت عدداً من الدبابات والعربات ، واجبرت القوة على الالتجاء الى الطرق الفرعية الجانبية وايقاف التقدم قبل الوصول الى الحد الامامي الصديق . واعقب ذلك تراشق مدفعي وصاروخي ، ولكن القوة المدرعة لم تعد بعد ذلك الى الهجوم ، ولم تحقق على هذا المحور اي تقدم .

و ـــ سقوط ثكنة هنري شهاب واخلاء الاوزاعي (٨/٤) :

بشكل متزامن مع بدء الهجوم على محور المتحف قام العدو بهجوم

من جهة الجنوب ، عبر المنطقة الرملية الواقعة شمالي المطار ، وعمقها حوالي ١٥٠٠ م . واذا كان هجومه على محور المتحف قد تعرض للفشل الكامل ، فان هجومه على المحور الجنوبي تكلل بالنجاح ، واوصله الى مقربة من الطريق العرضاني « مستديرة المطار ـــ مستديرة السفارة الكويتية ـــ سان ميشيل » .

وكان العدو قد حشد في الفترة الممتدة من ١ الى ٨/٤ على اوتوستراد المطار وشمالي المدرج الغربي قوة من الدبابات والمشاة الميكانيكية بقوام كتيبتين ، وحسن مواقعه بالستائر الرملية ، وبدأ يتعامل بالنيران من الثبات مع القوات المشتركة ووحدات كتيبة المشاة الثانية (ل ٨٥) المنتشرة امامه وعلى مجنبته اليمنى ، بينما كانت القوة العاملة على الطريق الساحلي مشتبكة باستمرار مع القوات السورية والمشتركة المتمركزة في الجزء الشمالي من بلدة الاوزاعي وعلى تخوم الرمال شمالي المطار . ويدل سير الاعمال القتالية اللاحقة على ان فكرة العدو كانت تتضمن الخطوط العامة التالية :

- الضغط على محور اوتوستراد المطار لتثبيت القوات المنتشرة عند قصر مشنوق ومستديرة المطار وحرش القتيل (وحدات من اللواء ٨٥ ، ومجموعات من القوات المشتركة) .

- الضغط على المحور الساحلي لتثبيت المدافعين عن الاوزاعي وسان ميشيل (وحدات من اللواء ٨٥ وسرايا الدفاع ومجموعات من القوات المشتركة) .

○ تنفيذ الضربة الرئيسية في منتصف الفرجة الواقعة بين المحورين السابقين . حيث تتمركز وحدات من اللواء ٨٥ ومجموعات من القوات المشتركة للوصول الى ثكنة هنري شهاب (على مسافة ٦٠٠ م جنوبي مستديرة السفارة الكويتية) والاندفاع بعد ذلك عبر طريقين منفرجين على شكل رقم ٧ طول الواحد منهما ٨٠٠ متر ، بحيث يتم الوصول الى المحور العرضاني عند نقطتي سان ميشيل والزاوية الجنوبية الغربية لحرش ثابت ، الواقعتين على مؤخرتي عقدة الاوزاعي وعقدة قصر مشنوق ـــ حرش القتيل .

ولقد بدأ العدو قصفه التمهيدي « البري والبحري » في الساعة ٣٠ر٠ من يوم ٤/٨ وشمل القصف المواقع الامامية للقوات المدافعة وعمق ترتيب اللواء ٨٥ والقوات المشتركة في حرش ثابت ومحيط السفارة الكويتية والجناح والرملة البيضاء والجامعة العربية . ومع اول ضوء ظهرت الطائرات في اجواء العاصمة ، وبدأت قصف المواقع ذاتها في الساعة ٠٠ر٦ . واندفعت انذاك قوة مدرعة « دبابات ومشاة ميكانيكية » من الطريق الفرعي الذي يصلّ اوتوستراد المطار مع الاوزاعي ، متجهة شمالاً نحو ثكنة هنري شهاب ، حيث كانت توجد وحدة من الجيش اللبناني في موقف المتفرج . ولم تكن المسافة بين قاعدة الانطلاق والهدف تزيد عن ١٠٠٠ متر ، لذلك اخذ الهجوم شكل اغارة مدرعة سريعة اجتاز فيها المهاجمون مسافة الانقضاض القصيرة نسبياً بشكل خاطف ، دون ان تتمكن نيران المدفعية والراجمات وبعض الصواريخ م/د من ايقافها .

بيد ان تجمع القوة المهاجمة في ثكنة هنري شهاب وحولها ، جعلها

هدفاً محدداً لصواريخ القوات السورية والمشتركة الموجودة في محيط السفارة الكويتية ومدفعية اللواء ٨٥ والقوات المشتركة وراجمات سرايا الدفاع التي ركزت عليها رمايات كثيفة اوقعت فيها عدة اصابات ومنعتها من متابعة التقدم على الطريقين المنفرجين نحو الطريق العرضاني ، بل ودمرت مفارز الاستطلاع التي دفعها العدو على هذين الطريقين . ونظراً إلى اقتراب القوات المعادية من مرابض مدفعية اللواء ٨٥ في الجناح ، فان بعض مدافع هذه الكتيبة تعاملت مع مفارز الاستطلاع المتجهة نحو سان ميشيل بالرمي المباشر وتمكنت من تدمير عدة عربات مدرعة معادية .

وعندما كانت المعركة دائرة ضد قوة الاغارة المدرعة المنتشرة في ثكنة هنري شهاب ، تقدمت قوتان معاديتان على محوري اوتوستراد المطار والاوزاعي فتصدت لهما على المحور الاول : القوات المشتركة وسرية من كتيبة المشاة الاولى « اللواء ٨٥ » ومجموعات الصواريخ م/د وقانصو الدبابات المنتشرون في الحفر الرملية شرقي الاوتوستراد ، وشاركت في التصدي صواريخ م/د « مالوتكا » متمركزة غربي سقي الحدث ، على مؤخرة لواء القادسية .

اما عبء التصدي على المحور الثاني ، فكان على عاتق سرية معززة بالصواريخ م/د من الكتيبة الاولى « اللواء ٨٥ » وسرية من الكتيبة الثانية وهندسة اللواء ٨٥ ، ومجموعات القوات المشتركة وقانصي الدبابات المتمركزين في بيوت البلدة وشوارعها الضيقة الفرعية .

والحقيقة ان المقاومة على هذين المحورين كانت كافية لايقاف العدو

او تعطيله وتكبيده خسائر كبيرة ومنعه من التقدم بوتيرة سريعة ، ولا سيما ان طريقي تقدمه كانا مقطوعين بسلسلة من الحواجز م/د .

بيد ان وصول قوة المحور الاوسط الى ثكنة هنري شهاب ، واحتمالات اندفاعها الى الطريق العرضاني ، اجبر المدافعين على الانسحاب . فتراجعت القوات المدافعة عن اوتوستراد المطار الى حرش القتيل ومدرسة القتال ومستديرة المطار ، وانتشرت على خطوط دفاعية جديدة ، بينما انسحبت القوات المدافعة عن الاوزاعي الى شيخ الضهرة وسان ميشيل ومحيط السفارة الكويتية حيث تمركزت دفاعياً على خطوط جديدة . الامر الذي سمح للعدو بالتقدم على اوتوستراد المطار مسافة ٧٠٠ متر والوصول الى مفرق برج البراجنة ، كما سمح لقوات المحور الساحلي باجتياز الاوزاعي والاتصال مع ثكنة هنري شهاب ودفع مفارز الاستطلاع حتى الريفيرا جنوبي سان ميشيل . وفي ليلة ٤ ـــ ٨/٥ انسحبت بقية عناصر الكتيبة الاولى « اللواء ٨٥ » من تلة الكوكودي الى حسنية برج البراجنة ومحيط قصر مشنوق . ولم يعد في الضاحية الجنوبية المهددة من الشرق والغرب سوى القوات الخاصة ، والكتيبة الثانية من لواء القادسية ومجموعات القوات المشتركة التابعة للقطاع الخامس . وغدا اتصال هذه القوات مع مدينة بيروت متعذراً الا من جهة الشمال بعرض ٢ كم .

ولم يتوقف القتال بعد ذلك على المحاور الثلاثة اذ كان العدو يضغط باتجاه مستديرة المطار وحرش القتيل ومحيط السفارة الكويتية وسان ميشيل مطبقاً اسلوب الثنائي « جرافة ـــ دبابة » وينفذ القصف الثلاثي على الحد

الامامي وفي العمق . في حين كانت القوات المدافعة تعزز مواقعها وتكثف الحواجز المضادة للدبابات ، وتتصدى لمحاولات التقدم بمختلف الوسائط النارية . ومع وقف اطلاق النار الاخير « ٨/١٢ » كانت قوات العدو منتشرة جنوبي الطريق العرضاني على خط متعرج ، يمتد من شمال الريفييرا على الشاطىء حتى مفرق برج البراجنة على اوتوستراد المطار ، مروراً بنقطة تقع على بعد ٢٠٠ م جنوبي مستديرة السفارة الكويتية ، وتخوم حرش القتيل . وبذلك كان عمق التقدم الذي حققه العدو على المحاور الثلاثة في خلال تسعة ايام « من ٤ الى ٨/١٢ » يتراوح بين ٨٠٠ م على المحور الشرقي و ١٢٠٠ م على المحورين الاوسط والغربي ولم يكن مخطط اقتحام المناطق السكنية قد تجاوز المرحلة الاولية .

وكان على القوات الاسرائيلية الرامية الى انجاز هذا « المخطط المغامرة » طريق طويل مزروع بالمجموعات الانتحارية وقانصي الدبابات .

٩ ــ ملاحظات من قلب المعركة

أ ــ حول وتيرة التقدم المعادي

اتسم تقدم العدو ابان معركة بيروت ببطء وتيرته . فمنذ مساء ٦/٩ ، توقف الاندفاع السريع على المحور الساحلي ، واضطرت التشكيلات المدرعة الاسرائيلية الى خوض معارك قاسية ، والمراوحة امام المواقع الدفاعية رغم كثافة الدعم الناري الذي تمتعت به . الامر الذي

جعل عمق الخرق المحقق في خلال ٦٥ يوماً لا يتجاوز في منطقة المطار والطريق الساحلي سبعة كيلو مترات . ولم يتجاوز في الضاحية الجنوبية ٥٠٠ متر وفي منطقة المتحف ١٥٠ متراً . صحيح ان الايام الـ ٦٥ لم تكن كلها ايام قتال ، بل تخللتها توقفات تعبوية من اجل اعادة التنظيم واستعواض الخسائر واعداد خطة المعارك التالية : بالاضافة الى توقفات ذات طابع سياسي « مباحثات ، ضغوط .. الخ » ولكن التوقفات التعبوية ما كانت لتتم لولا اصطدام المهاجمين بمقاومة عنيفة ، وتعرضهم الى ضربات تفرض عليهم اعادة التنظيم واستعواض الخسائر واعداد المعارك التالية . كما ان التوقفات ذات الطابع السياسي لم تحصل الا بعد ان تمكن المدافعون من تنفيذ « الطحن طويل الامد » ومنحوا عجلة السياسة الدولية المهلة اللازمة للتحرك .

ويعتقد بعضهم ان احجام الغزاة عن الاندفاع السريع في المناطق المبنية كان السبب الوحيد لتعثر التقدم المدرع . بيد ان سير القتال يبرهن على ان تباطؤ التقدم ظهر منذ يوم ٦/٩ ، حتى عندما كان العدو يهاجم في ارض مكشوفة تقع خارج المناطق المبنية (من خلدة حتى الاوزاعي وتخوم حي السلم) .

وهناك من يرجع بطء وتيرة التقدم الى عنف المقاومة الناجم عن حالة التطويق التي فرضت على المدافعين الثبات في مواقعهم والقتال حتى الطلقة الاخيرة . ولكن هذا القول يتجاهل ان تعثر الاندفاع المدرع المعادي لم يظهر بعد اغلاق الطوق فحسب ، بل كان واضحاً في الفترة التي سبقت التطويق من (٩ حتى ٦/١٣) وبقي مستمراً في الفترة (من

١٣ حتى ٦/٢٤) التي كان الطوق فيها ضعيفاً وامكانات التسلل من داخل الطوق الى خارجه متاحة .

ويذهب بعضهم الى القول ان التقدم البطيء كان نتيجة قرار اسرائيلي بعدم دخول بيروت الغربية وضاحيتها الجنوبية ومخيمات الفلسطينيين حتى لا تقع خسائر كبيرة بين صفوف المدنيين . والحقيقة ان الغزاة لم يأبهوا في اي مرحلة من مراحل القتال بالخسائر التي تصيب المدنيين ، بل استخدموا القصف العشوائي ضد الاحياء السكنية ، والحقوا بالمدنيين خسائر اخذت حجم الابادة المنهجية .

ب ــ حول القصف الاسرائيلي

كان التفوق الناري الاسرائيلي واحدة من اهم السمات المميزة لمعركة بيروت . ولا يرجع ذلك الى تفوق القوات المهاجمة على المدافعين بعدد الفوهات النارية فحسب ، بل يرجع ايضا الى امتلاك السيطرة الجوية المطلقة ، وعدم قدرة وسائط الدفاع الجوي المتوافرة على طرد الطيران من اجواء المعركة وامكانية تنفيذ القصف البحري بحرية تامة في غياب وسائط الصراع ضد القطع البحرية . ولقد افاد العدو من تفوقه الناري الساحق في مختلف مراحل الملحمة . بدءاً من معركة خلدة حتى وقف اطلاق النار الاخير ، واستخدم في ذلك مدفعية الالوية والفرق وهاونات الالوية والكتائب ، ومدافع الدبابات ومدافع الزوارق المسلحة ، اضافة الى الطيران . ويلاحظ ان استخدام العدو لتفوقه الناري اخذ شكلين متباينين ، احدهما قتالي والاخر سياسي .

ففي المعارك الاساسية (خلدة ، مثلث خلدة ، المطار ، كلية العلوم ، الاوزاعي ، المتحف ، هنري شهاب ، الكوكودي) والاشتباكات المتفرقة التي لم تنقطع تقريباً طوال ايام القتال ، كان القصف المعادي يستهدف مواقع القوات ومستودعاتها وخطوط امدادها ومقرات قيادتها ومرابض مدفعيتها ، ويأخذ شكل رمايات تمهيد ودعم ومرافقة ومعاكس بطاريات . وكان العدو يلجأ في رماياته كلها الى القصف المساحي بوتيرة عالية ، بغية اشباع منطقة القتال وحرثها بالقذائف ، سواء قبل البدء بالهجوم ام في خلاله . وكان القصف التمهيدي يستمر عدة ساعات ، ولا تبدأ القوات بالتقدم بعده الا عندما يتشكل لديها اقتناع بان الارض غدت امامها خالية تماماً من المدافعين .

ان هذا الاستخدام الكثيف للنيران يضع العسكرية الاسرائيلية امام المعضلة التالية : اذا كان من الضروري تكريس هذه الكمية الضخمة من الوسائط النارية لتأمين تقدم القوات البرية على جبهة يتراوح عرضها بين ١ و ٢ كيلو متر ، فان تأمين تقدم القوات بعمق كبير ، وعلى جبهة عرضها عشرات الكيلو مترات وفي مواجهة قوات نظامية متمركزة على خطوط محصنة ومزودة بوسائط نارية قوية ، سيتطلب تبديد كميات اكبر بكثير من الذخائر وما ينجم عن ذلك من تعقيد لمسألة الامداد والتموين ابان المعركة . من هذا المنظور يمكن القول ان الترف الناري المعادي في معركة بيروت يمثل حالة خاصة لا يمكن للعدو تعميمها او الافادة من دروسها في حروبه المستقبلية ضد الجيوش العربية .

واضافة الى القصف القتالي ، فقد لجأ الاسرائيليون الى القصف

السياسي في مرحلة الاستنزاف (٦/١٨ ــ ٧/٣١) التي نشطت فيها الاتصالات والمباحثات على الصعيدين المحلي والخارجي . واذا كان القصف القتالي قد ركز على تدمير قوة المدافعين العسكرية او ابطالها او حرمانها من حرية العمل والمناورة ، فان القصف السياسي استهدف السكان الامنين والمؤسسات المدنية ــ بما في ذلك المشافي ودور العبادة ومراكز التجارة والسياحة ــ بغية الحاق اكبر خسارة ممكنة بالارواح والممتلكات وتخريب البنية الاقتصادية التحتية وخلق ضغط معنوي متصاعد على ارادة المدافعين القتالية .

ولكي يحقق هذا القصف غرضه ، ويكون وسيلة فاعلة في حوار الارادات ، استخدم الاسرائيليون فيه وسائطهم البرية والبحرية والجوية بشكل مكثف كمياً ، وطويل زمنياً وشامل لمختلف المناطق السكنية دون تمييز[1] .

وكانت حدته تتزايد عند تعثر المباحثات واصطدام شروط اسرائيل التعجيزية برفض حاسم ، ولا يتوقف الا بعد ان تصل اثاره المدمرة الى مستوى الابادة المبرمجة للشعبين اللبناني والفلسطيني ، وتتصاعد الضغوط الدولية لايقاف تلك الابادة .

---

(١) لم يتوقف القصف الاسرائيلي عملياً الا في ايام محدودة من فترة الحصار ولكنه وصل الى حدوده القصوى في ايام ٧/٥، ٧/٩، ٧/١١، ٨/١، ٨/٤، ٨/١٠، ٨/١٢ اذ كانت مدته في تلك الايام على التوالي : ٦، ٩، ١٦، ١٥، ٢٠، ٢٠، ١١ ساعة . وفي يوم ٨/١ سقط على المدينة المحاصرة ١٨٠ الف قذيفة ، كما سقط عليها يوم ٨/١٢ زهاء ٤٤ الف قذيفة .

ج ـ غياب الحوامات المعادية عن اجواء المعركة

من الظواهر اللافتة للنظر في معركة بيروت احجام العدو عن استخدام الحوامات في القتال ، والتخلي عن الحركية الجوية او الافادة من البعد الثالث « الرأسي » مع كل ما يقدمه هذان العاملان الى القوات المهاجمة من مزايا في مجالات المرونة والمناورة والمباغتة . وتتناقض هذه الظاهرة بشكل حدي مع عقيدة العدو العسكرية ، وتطبيقات تلك العقيدة في غزو لبنان ، وحجم الوسائط المتوافرة ومجالات استخدامها .

فمن المعروف ان عقيدة العدو العسكرية تعتمد على الحركية والصدمة والمباغتة التي يمكن تأمينها بعدة وسائل ، من بينها الحوامات المسلحة والقوات المحمولة بالحوامات . وكانت العمليات التي نفذها الاسرائيليون ضد قواعد الثورة الفلسطينية في جنوبي لبنان (١٩٧٣ ـ ١٩٨٢) تؤكد اهمية الدور الذي ستلعبه القوات المحمولة جواً والحوامات المسلحة وحوامات الاستطلاع في اية حرب تخوضها العسكرية الصهيونية .

ثم جاء استخدام العدو الكثيف للحوامات في المرحلة الاولى من الغزو ليبرهن على صحة التوقعات في هذا المجال . ففي معارك الجنوب وعند التقدم عبر الشوف والبقاع ظهرت الحوامات كاداة فعالة في مهام الرصد والاستطلاع والهجوم والصراع ضد الدروع ونقل القوات والمطاردة . وكان التفوق الجوي المعادي من العوامل التي ساعدت الحوامات على لعب ادوارها المختلفة بحرية شبه كاملة .

وكان لدى الاسرائيليين الامكانات المادية اللازمة لاستخدام الحوامات في بيروت على نطاق لم تعرفه الصراعات العربية ــ الاسرائيلية من قبل . فهم يمتلكون خمسة الوية محمولة جواً ، من بينها لواءان في الخدمة الفعلية وثلاثة الوية احتياطية ولديهم ــ باستثناء حوامات سلاح البحرية ــ اكثر من ١٥٠ حوامة من مختلف الطرازات الامر الذي يسمح لهم بتنفيذ المهام التي تخدم عقيدتهم العسكرية .

وعلى الرغم من هذه الحقائق الثلاث فان القيادة الاسرائيلية لم تزج حواماتها في معركة بيروت حتى بعد فشل الهجمات البرية والقصف الثلاثي في تحقيق الحسم السريع ، وتورط القوات المهاجمة في حرب استنزاف طويلة الامد ووصولها بعد فترة من بدء الحصار الى وضع حرج يسوده الجمود ، ويصعب الخروج منه دون استخدام قوى ووسائط جديدة تختلف نوعياً عن القوى والوسائط المستخدمة من قبل .

والتفسير الوحيد لاحجام الاسرائيليين عن استخدام حواماتهم في المهام القتالية واكتفائهم باستخدام عدد محدود منها لتنفيذ بعض المهام الادارية في الاجواء البعيدة من منطقة القتال ، هو انهم قدروا جيداً ضخامة الخسائر التي ستصاب بها حواماتهم وقواتهم المحمولة جواً ، اذا ما تورطت في القتال ضد شعب مسلح ، منتشر في كل مكان ، ولا يمكن رصد تجمعاته القتالية مسبقاً ، ولا سيما ان هذا الشعب المسلح كان يمتلك اعداداً كافية من الوسائط المضادة للحوامات ، خاصة الصواريخ الموجهة الخفيفة ارض ــ جو .

د ـــ التخريب في قلب المنطقة المحاصرة

جابهت القوات المدافعة عن بيروت العدو وظهرها غير آمن تماماً . ذلك لان القوى المحلية العاملة في خدمة اسرائيل (تحت تأثير الحقد على كل ما هو عربي او تقدمي ، او تحت اغراء المادة) بقيت موجودة في العاصمة والضاحية الجنوبية او تسللت اليهما لمتابعة اعمال التخريب التي بدأتها قبل الغزو بزمن بعيد . ومع بدء الغزو ، نفذ عملاء اسرائيل في ٦/٦ اول عملية تخريبية عندما نسفوا مستودعاً للذخيرة يقع قرب بيت السفير الجزائري . ولقد سهل وصول القوات الاسرائيلية الى بيروت تنظيم عمليات التخريب . ولكن حالة الحصار والتشدد في مراقبة بوابات العبور ، وارتفاع مستوى اليقظة الامنية ادت الى احباط العديد من المحاولات التخريبية قبل تنفيذها .

ففي ٦/٢٣ نظمت المخابرات الاسرائيلية واجهزة الامن الكتائبية عملية تخريب واسعة ، تتمثل في زرع ثلاث سيارات مملوءة بالمتفجرات قرب مراكز عسكرية وتفجيرها . ولقد تمكنت اجهزة امن الثورة من كشف سيارتين وتعطيل حشوتيهما قبل حدوث الانفجار ، في حين انفجرت السيارة الثالثة على مقربة من فندق هوليدي إن « قطاع لواء حطين » ، مما ادى الى استشهاد وجرح عشرات المقاتلين والمدنيين .

ووصل التنسيق بين الاعمال العدوانية الاسرائيلية وعمليات التخريب الداخلي الى ذروته في يوم ٨/٦ . فلقد قصفت الطائرات المعادية في هذا اليوم بناية عكر بقنبلة فراغية اسفرت عن انهيارها ووقوع اعداد

كبيرة من القتلى والجرحى . وبعد عدة ساعات ، وعندما كانت سيارات الاسعاف متجمعة في المنطقة لنقل الجرحى ، وجماعات الدفاع المدني ترفع الانقاض بالتعاون مع المواطنين المدنيين ، انفجرت سيارة ملغومة اوقفها العملاء في منطقة قريبة من البناية المنهارة. الأمر الذي أدى إلى وقوع اصابات عديدة في صفوف المنقذين ورجال الاسعاف والمواطنين المتجمهرين لتقديم العون . وحتى بعد وقف اطلاق النار ، وفي فترة اعداد الجدول الزمني لخروج المقاتلين من العاصمة ، استغل العملاء حالة الاسترخاء الامني ، وكثافة الحركة بين المنطقتين الشرقية والغربية ، وادخلوا الى مرآب مبنى وزارتي الاعلام والسياحة سيارة ملغومة تحمل ٢٠٠ كغ من الت . ن . ت ، الا ان عناصر اللواء ٨٥ المكلفين بحراسة المبنى تمكنوا من كشف السيارة وابطال مفعولها قبل انفجارها .

هـ المدفعية في المعركة

كان استخدام المدفعية على نطاق واسع سمة مميزة لمعركة بيروت ، التي اخذ التراشق المدفعي فيها طابعاً عنيفاً ومستمراً في معظم الايام ، بشكل حوّل القتال في كثير من الاحيان الى نوع من المبارزة بالنيران ، وجعل المعلقين يطلقون على المعركة كلها اسم « حرب القذائف » . وعلى الرغم من تفوق العدو بعدد المدافع بنسبة لا تقل عن اربعة الى واحد والجهود التي بذلها لتدمير مدافع القوات المحاصرة واسكاتها ، وتحويل المبارزة بالنيران الى ضربات من جانب واحد ، فان التراشق المدفعي بقي متبادلاً

طوال المعركة مع رجحان ملحوظ لصالح العدو في كثافة الرمايات وسعتها وحجم الوسائط المشاركة فيها . وكانت مدافع العدو ذاتية الحركة ومتعددة العيارات والامدية ، كما كانت هاوناته الثقيلة محمولة على عربات مدرعة . واذا كان تعدد الامدية والعيارات قد منح المدفعية المعادية قدرة كبيرة على المناورة بالنيران واستخدام الوسائط المناسبة لطبيعة الاهداف ومداها ، فان الحركة الذاتية سهلت عملية تبديل المرابض ، وخففت بالتالي تأثير رمايات المدافعين المعاكسة للبطاريات . ونظراً الى كثرة عدد القوى والوسائط المتوافرة فقد كان العدو ينفذ الرمي بالكتائب ، بل وبعدة كتائب في آن معاً ، ولا ينفذ الرمي بالسرايا الا في حالات نادرة . وكانت كتائب المدفعية تتناوب العمل قبل بدء الهجوم وفي فتراته الحرجة ، بحيث تبقى المنطقة المقصوفة تحت النار المتواصلة عدة ساعات .

ولقد نفذت المدفعية الاسرائيلية مهامها في ظروف استثنائية تتمثل في :

١ ــ اختفاء هاجس الاخطار الجوية .

٢ ــ سهولة حركة قوافل الامداد بالقذائف .

٣ ــ امكانية الافادة من معلومات العملاء المحليين الموجودين في المنطقة المحاصرة « اضافة الى الرصد البري والبحري والجوي » من اجل تصحيح الرمايات وتحديد نتائجها .

وفي المقابل نجد ان القوات المدافعة عن بيروت قد دخلت المعركة وليس لديها سوى عدد محدود من وسائط الدعم الناري .

وكان على تلك الوسائط ان تعمل في ظروف بالغة التعقيد ، بسبب

سيطرة العدو على اجواء المعركة ، وضيق مساحة المنطقة المحاصرة « حوالي ٣٢ كم مربعاً » وقلة المساحات البعيدة عن الاحياء السكنية والصالحة لتربيض المدافع ، والاضطرار الى الاكتفاء بالرصد البري الذي لم يكن فعالاً دائماً ، خاصة عند الرمي على الاهداف البعيدة . وعلى الرغم من ذلك كله فإن الوسائط النارية المتوفرة « مدافع ، راجمات ، هاونات » نفذت المهام الملقاة على عاتقها ، في المعارك البرية ومقاومة الانزالات البحرية والتصدي للمدفعية المعادية إبان مرحلة الاستنزاف .

وكانت مدافع الميدان مزودة باربعة انواع من القذائف : متفجرة وخارقة م/د ومضيئة ودخانية ، ولكنها كانت تفتقر الى القذائف المنشارية . ولو كان هذا النوع من القذائف متوافراً لارتفعت بالتأكيد خسائر العدو البشرية ، لان تأثيرها على جنوده المكشوفين في نقاط التجمع او الراكبين داخل عربة مدرعة « م ــ ١١٣ » مفتوحة من الاعلى ، اكبر بكثير من تأثير القذائف المتفجرة ، وبالاضافة الى ذلك فان المدافع الموجودة كانت من طرازات لا ترمي « قذائف ــ حواضن » معبأة بالغام م/د . لذا تعذر على المدفعية المساهمة في زرع حقول الالغام السريعة على محاور تقدم العدو ابان القتال ، وخسر المدافعون بذلك وسيلة فعالة لاحباط الهجمات المعادية او تعطيلها ، ولا سيما ان العدو كان يتقدم غالباً عبر ممرات اجبارية او على جبهة ضيقة يسهل اغلاقها ، ويحاول الاندفاع بسرعة تفرض على المدافعين المناورة السريعة بالحواجز م/د .

ولم يكن هاجس نقص الذخيرة وارداً في الفترة الاولى من المعركة ، لان التكديس الاداري الذي قامت به القوات السورية ومنظمات الثورة

الفلسطينية كان كافياً للقتال فترة طويلة نسبياً دون الحصول على امداد اضافي . لذا نفذت المدفعية رماياتها في تلك الفترة بالانصباب العادي او السريع حسب مقتضيات الموقف ومنذ بدء الحصار « ٦/١٤ » وانقطاع خطوط الامداد ، تابعت المدفعية تنفيذ مهامها في ظل تقنين الاستهلاك .

ولقد عملت مدفعية القوات النظامية ومدفعية القوات المشتركة في البداية بشكل مستقل دون ان يكون بينهما اي اتصال مباشر او غير مباشر . وكانتا ترميان احياناً على الاهداف ذاتها دون تنسيق ، الامر الذى ادى الى تبديد الذخائر وغياب الظروف المناسبة لتناوب العمل . وفي ٦/٢٥ بدأ تنظيم التعاون بين قيادتي المدفعيتين ، واخذ تبادل المعلومات والاحداثيات وطلب الرمايات شكلاً منهجياً عبر شبكة الاتصال بين قيادة القوات السورية وغرفة العمليات المشتركة ، ونجم عن ذلك تحسن فاعلية الرمايات ، وتأمين الاقتصاد بالقوى والوسائط ، وارتفاع مستوى القدرة على تأمين التناوب والمناورة بالنيران وتحقيق الحشد الناري في الزمان والمكان وعلى محاور العمل الاكثر خطورة .

و ـ الصراع ضد الدروع

اخذت معركة بيروت بالنسبة الى القوات الغازية شكل هجوم مدرع مدعوم بالطائرات والمدفعية ذاتية الحركة والقطع البحرية ، بينما اخذت بالنسبة الى المدافعين طابع الصراع ضد الدروع على مشارف المدينة وفي داخلها مع استخدام الوسائط م/د البرية التقليدية ، المتمثلة في : الدبابات ، والصواريخ الموجهة م/د والمدفعية والقواذف المضادة

للدبابات « ر ٠ ب ٠ ج ــ٧ » والحواجز الهندسية على انواعها ٠
ونظراً الى تباين امدية هذه الوسائط وتأثيراتها فقد تمكن المدافعون من التعامل مع دروع العدو منذ تجمعها في مناطق التحشد او عند انتشارها على خطوط الانطلاق ، ومتابعة التصدي لها ابان الهجوم ، عبر ادخال الاسلحة م/د في المعركة تباعاً ، حسب امديتها وميزاتها الفنية والتعبوية حتى يتم الالتحام المباشر بوسائط قنص الدروع ٠

وكان دور المدفعية في الصراع ضد الدروع يتمثل في قصف تجمعات العدو وارتاله المدرعة ، وانشاء سدود نارية امام تشكيلاته المهاجمة ، في حين كان دور الدبابات التصدي لدروع العدو بالرمايات المباشرة من مرابض ثابتة في اغلب الاحيان ٠ ولقد ساهمت الدبابات ، ولا شك ، في كسر حدة الهجمات المعادية ، ولكن قلة عددها وتعذر زجها على شكل كتلة مجمعة ضاربة في ظل التفوق الجوي المعادي ، كان وراء عدم الافادة من قدرتها على الصدمة رغم ما لهذه القدرة من اهمية في الصراع ضد الدروع ٠

وشكلت وحدات الصواريخ م/د التابعة للقوات السورية جزءاً اساسياً من خطة الدفاع م/د داخل الترتيب الدفاعي كله ٠ وكانت في صلب نقاط وعقد م/د والقوة الاكثر فاعلية في الاحتياط م/د الذي ناور به قائد اللواء ٨٥ على اربعة خطوط انتشار متعاقبة تقع على محور الجهد الرئيسي المعادي ٠ واذا كانت القوات المشتركة قد استخدمت صواريخها المضادة للدبابات بشكل موزع « افرادياً او بالازواج » فان القوات النظامية استخدمت صواريخها في البداية داخل وحدات مجمعة ، ثم لجأت

الى الاستخدام الموزع في المراحل التالية من القتال . ولقد اثبتت الصواريخ م/د كفاءتها وقدرتها على البقاء . كما برهنت المعركة على اهمية القواعد الصاروخية م/د الارضية في قتال الشوارع ، وسهولة المناورة بالعربات المدرعة المسلحة بالصواريخ م/د . مما يجعلها ملائمة للعمل في الاحتياط م/د . وعلى الرغم من قدم المدافع عديمة الارتداد ، وتخلي معظم الجيوش عنها ، فان المدافع عديمة الارتداد المتوافرة في تسليح القوات المشتركة[1] لعبت دوراً جيداً في الصراع ضد الدروع ، خاصة في معارك خلدة ومحيط المطار والضاحية الجنوبية وخطوط التماس . وكانت القوات المشتركة تستخدمها افرادياً من المرابض الثابتة او تحملها على العربات بغية المناورة بالوسائط م/د .

اما في مجال القتال التلاحمي ضد الدروع فقد لعبت القواذف م/د دوراً لم تشهده الحروب العربية ــ الاسرائيلية من قبل بل يمكن القول ان نسبة القواذف م/د الى عدد المقاتلين كانت اكبر نسبة شهدتها الصراعات المسلحة منذ ظهور القاذف م/د حتى الان . كما كانت قذائفها متوافرة بكميات كافية بفضل التكديس الاداري المسبق . لذا لم يضطر المدافعون ، حتى في معارك الصد داخل المناطق المبنية ، الى استخدام كوكتيل مولوتوف اورزم المتفجرات او القنابل البندقية في الصراع ضد الدروع ، طالما انه كان بوسعهم الحصول على العدد اللازم من القواذف .

(١) كانت المدافع عديمة الارتداد في القوات المشتركة من الطرازات « ب ــ ١٠ » و « ب ــ ١١ » و « ١٠٦ ملم » .

ولقد استخدمت القواذف م/د في عدة اشكال . فكانت تنشر على الحد الامامي وفي العمق وتدخل في تسليح الكمائن م/د والاغارات الليلية على مواقع العدو ومجموعات قنص الدبابات ، كما لجأت القوات المشتركة الى تشكيل مجموعات متحركة « راكبة على عربات او راجلة » وتسليحها بعدة قواذف ، بغية دعم المناطق المهددة وتعزيز الدفاع م/د على المحاور الخطرة . وكان في كل حي او شارع مجموعة م/د او اكثر ، كما كان تحت تصرف كل قائد قطاع من القوات المشتركة مجموعة م/د متحركة محمولة .

ولم يكن في بيروت الغربية او على مداخلها من الجنوب والشرق اي حواجز عند بدء الاجتياح الاسرائيلي ،باستثناء الحواجز الموجودة على خطوط التماس بين شطري بيروت الشرقي والغربي منذ الحرب الاهلية . ولقد بدأ مهندسو اللواء ٨٥ زرع حقول الالغام السريعة على المحاور الخطرة منذ ٦/٩ وشكلت قيادة اللواء احتياطياً هندسياً استخدمته بعد ذلك في زرع حقول الالغام امام العدو حسب تطورات الموقف القتالي .

ومع تصاعد ضغط العدو في اتجاه المناطق المبنية ، قامت قيادة القوات المشتركة باعداد شبكة من الحواجز الترابية وحقول الالغام في مختلف انحاء المنطقة المحاصرة وعلى مداخلها . ولقد ادى اتساع شبكة الحواجز ، وتطابق مخططها مع مخطط النيران ، الى ابطاء تقدم العدو وتسهيل عمل الوسائد م/د ومنحها فرصة افضل ابان التصدي للدروع .

ز ـــ تدابير الدفاع الجوي

كان الطيران الاسرائيلي في معركة بيروت يمتلك السيطرة المطلقة على الاجواء ، ويعمل بحرية شبه تامة ، نظراً الى غياب الطيران العربي عن سماء مسرح القتال ، وضعف وسائط الدفاع الجوي المتوافرة للقوات المدافعة عن العاصمة ، والتي كانت تتضمن كتيبة الدفاع الجوي العضوية في اللواء ٨٥ ، والاسلحة م/د الملحقة على اللواء[1] والاسلحة م/ط التابعة لسرايا الدفاع والقوات المشتركة والرشاشات م/ط في كتيبة الدبابات .

وكانت نقاط الضعف الاساسية في الدفاع الجوي متمثلة في :

١ ـــ انعدام الوسائط التي تؤمن الكشف والانذار على مسافة بعيدة ، ولا سيما بعد نجاح العدو في تدمير موقع الرادار شمالي خلدة « ٦/٩ » .

٢ ـــ عدم تكاملية الدفاع م/ط على الارتفاعات المختلفة ، نظراً الى ان الاسلحة المتوافرة . « مدافع ٢٣ر٣٧ر٧٥ ملم ، ورشاشات ٧ر١٢ و ٥ر١٤ ، وصواريخ موجهة خفيفة ارض ـــ جو » كانت معدة للتعامل مع الاهداف المحلقة على الارتفاعات القصيرة وليس بينها سلاح للرمي على الارتفاعات المتوسطة او العالية .

٣ ـــ عدم توافر اعداد كافية من المدافع م/ط المقادة رادارياً ، وعدم تلاؤم الوسائط المتاحة القديمة نسبياً مع مهام الدفاع ضد طائرات مقاتلة حديثة ، تمتلك ميزات فنية عالية وقدرة كبيرة على خداع الصواريخ ارض ـــ جو والتشويش الالكتروني على الرادارات .

(١) م/ط : تعبير يقصد به مضادة للطائرات .

وسط هذه الظروف غير المناسبة ، دخلت وسائط الدفاع الجوي الصراع ضد طائرات العدو . فربطت مرابض الاسلحة م/ط التابعة للقوات السورية بشبكة مركزية (سلكية ولاسلكية) للانذار المحلي ، كما ربطت الشبكة مع قيادة القوات المشتركة واعدت المرابض بشكل يضمن تغطية مجمل ترتيب القوات المدافعة مع تكثيف الوسائط للدفاع عن مواقع المدفعية ومقرات القيادة والسيطرة . واعطيت الاوامر الى الاسلحة م/ط بالرمي الكيفي عند ظهور الهدف على مدى الرمي الفعال .

ولقد كانت المناوبة القتالية دقيقة طوال ساعات النهار ، الامر الذي جعل المدافع والرشاشات تفتح النار على الطائرات المعادية منذ ظهورها في سماء العاصمة ، وتتابع التعامل مع الاهداف رغم تعرضها للاخطار الناجمة عن قيام العدو بتركيز قصفه عليها بغية تدميرها او ابطالها قبل البدء بقصف الاهداف الاخرى . ومع ان رمايات المدافع والرشاشات لم تنجح في الحد من حرية عمل الطيران وطرده من الاجواء ، فان غزارتها ودقتها كانت كافية بالقصف من الارتفاعات المتوسطة والعالية ، الامر الذي قلص دقة القصف بشكل ملحوظ . وهناك حالات لجأ فيها الطيران المعادي الى القصف الليلي بعد اضاءة الهدف دون ان تتمكن المدافع والرشاشات من التعامل معه . اما الصواريخ ارض ـــ جو المتاحة للمدافعين ، فكانت قصيرة المدى ، وموجهة بالاشعة تحت ـــ الحمراء لذا لجأت الطائرات المعادية الى القاء الكرات الحرارية ، ونجحت في تشويشها ، وجعلت استخدامها غير مجد عملياً .

وبالاضافة الى التدابير الايجابية التي نفذتها وسائط الدفاع الجوي

طوال ايام المعركة ، فان ضخامة الاخطار الجوية دفعت القوات المدافعة عن العاصمة الى تطبيق عدد من التدابير السلبية كالتمويه وتبديل المواقع باستمرار ، والافادة من الليل عند اجراء التحركات ، واستخدام الستائر الدخانية والالتجاء في الاقبية والملاجىء وبين الانقاض ، مما ادى الى تخفيض الخسائر الناجمة عن القصف الجوي الى حد تجاوز توقعات العدو وحساباته .

الفصل التاسع

المبادرات السياسية وخروج القوات من بيروت

١ ــ الغزو الاسرائيلي في مجلس الامن .
٢ ــ وقف اطلاق النار على أساس الانسحاب الاسرائيلي الشامل .
٣ ــ تحركات المبعوث الاميركي الخاص والشروط الاسرائيلية .
٤ ــ مشروعا منظمة التحرير الفلسطينية والعدو الصهيوني والتطورات المرافقة لهما .
٥ ــ اللجنة السداسية العربية .
٦ ــ في مجلس الامن .
٧ ــ رسالة الرئيس حافظ الاسد
٨ ــ المشروع الاميركي وخروج القوات من بيروت .

اثر الاشتباكات التي حدثت في تموز يوليو ١٩٨١ ، تم وقف اطلاق النار بين قيادة قوات الثورة الفلسطينية وقيادة القوات الاسرائيلية ، يوم ٢٤ تموز/ يوليو ١٩٨١ ، بواسطة فيلبيب حبيب ، المبعوث الخاص للرئيس الاميركي الى الشرق الاوسط . وبدا الاتفاق مذ ذاك ، هشاً ، ضعيفاً . ذلك ان الاقتناع كان متوفراً بان اسرائيل هدفت من وراء قبولها بوقف اطلاق النار الى التراجع عن حرب استنزاف فلسطينية — اسرائيلية بدأت تجرها خطوة وراء خطوة ، وتضعها في مواجهة قوات الثورة الفلسطينية . وبذلك فضلت اسرائيل الانكفاء المؤقت ، منتظرة توفر الظروف والعوامل الكافية لشن حرب ابادة واسعة تقضي فيها على الثورة الفلسطينية وتحقق ، في الوقت ذاته ، اهدافها في لبنان .

١ — الغزو الاسرائيلي في مجلس الامن

وبينما كان المبعوث الاميركي الخاص فيليب حبيب في طريقه الى منطقة الشرق الاوسط ، من أجل معالجة الازمة اللبنانية ، بدأت اسرائيل

حربها يوم ٦ حزيران / يونيو ١٩٨٢ . فاشتكى لبنان اسرائيل الى مجلس الامن « لخرقها اتفاقية الهدنة المشتركة وقرار مجلس الامن ٤٢٥ والقرارات اللاحقة » .

وبينما كانت اسرائيل تقصف بيروت وجنوبي لبنان ، بغاراتها يومي ٤ و ٥ حزيران/ يونيو وتقتل وتجرح المئات من السكان الامنين ، اللبنانيين والفلسطينيين ابرق الرئيس الاميركي رونالد ريغن الى رئيس وزراء اسرائيل معبراً عن « سخطه » على محاولة اغتيال السفير الاسرائيلي في لندن ، وقال ان فكره كله هو مع اسرة السفير والشعب الاسرائيلي « في هذا الوقت العصيب » . أما وزير الخارجية الاميركية الكسندر هيغ فقد ندد « بالعمل الجبان » وحرص على الربط بين محاولة الاغتيال والغارات الاسرائيلية يومي ٤ و ٥ حزيران / يونيو . وهكذا اعتبرت الولايات المتحدة ان السفير الاسرائيلي هو ضحية النزاع العربي ــ الصهيوني ، وحملت المسؤولية ، بشكل غير مباشر ، الجانب العربي او بالاصح الجانب الفلسطيني في حين أنه ثبت ان محاولة الاغتيال لم تجيء من الجانب العربي ، ولا من الجانب الفلسطيني بالتالي .

وقبل أن تبدأ اسرائيل الاجتياح ، لبى مجلس الامن دعوة الحكومة اللبنانية الى الاجتماع ، واصدر يوم ٥ حزيران / يونيو ١٩٨٢ ، قراره ذا الرقم ٥٠٨ ، الذي دعا فيه كافة اطراف النزاع الى « أن توقف حالاً وفي نفس الوقت ، كافة النشاطات العسكرية داخل لبنان وعبر الحدود اللبنانية ــ الاسرائيلية وفي وقت لا يتعدى الساعة السادسة حسب التوقيت المحلي من يوم الاحد الواقع في ٦ حزيران/ يونيو ١٩٨٢ » .

غير أن اسرائيل لم تنفذ القرار وأصرت على تنفيذ خطة الاجتياح يوم ٦ حزيران/ يونيو في حين كان عليها ان تمتنع عن ذلك تنفيذاً لقرار مجلس الامن . ولهذا عاد المجلس الى الاجتماع يوم ٧ حزيران / وأصدر قراره ذا الرقم ٥٠٩ أكد فيه « ضرورة الاحترام الدقيق لوحدة اراضي لبنان وسيادته واستقلاله السياسي ، وطلب « أن تسحب اسرائيل كافة قواتها العسكرية فوراً وبدون شرط الى حدود لبنان المعترف بها دولياً » . كما أكد ضرورة أن توقف كافة الاطراف « فوراً في آن واحد كافة النشاطات العسكرية داخل لبنان وعبر الحدود اللبنانية ـــ الاسرائيلية » .

ولما لم تنصاع اسرائيل للقرار ٥٠٩ عاد مجلس الامن الى الاجتماع ، وأيد يوم ٨ حزيران/ يونيو ، بأكثرية مشروع قرار كرر فيه مضمون قراريه ٥٠٨ و ٥٠٩ وطلب « أن تتوقف خلال ست ساعات جميع العمليات الحربية امتثالاً للقرارين ٥٠٨ و ٥٠٩ ويقرر المجلس في حال عدم الامتثال الاجتماع من جديد للنظر في الطرق والوسائل العملية وفق ميثاق الامم المتحدة » . وبعد أن نجح مشروع القرار بالتصويت اسقطته الولايات المتحدة بحق النقض ، على اعتبار انه يتضمن اشارة الى « الطرق والوسائل وفق ميثاق الامم المتحدة » وبذلك حمت الولايات المتحدة اسرائيل من أن يتخذ المجلس ازاءها أي تدبير رادع ، وأعطتها الضوء الاخضر للتتابع عملياتها العدوانية واحتلالها وتوسعها .

٢ ـ وقف اطلاق النار على اساس الانسحاب الاسرائيلي الشامل

وصل المبعوث الاميركي فيليب حبيب فرساي في فرنسا يوم ٦ حزيران / يونيو ، حيث اجتمع بالرئيس الاميركي رونالد ريغان الموجود في فرساي لحضور مؤتمر رؤساء الدول الصناعية السبع ، وكلفه ريغان مهمة السفر الى المنطقة .

وفي اليوم نفسه ، دعا لبنان الى عقد مؤتمر قمة عربي عاجل لمعالجة الوضع الناجم عن العدوان غير أن الاستجابة لم توفر النصاب اللازم لعقد الاجتماع ، وبقيت قوات الثورة الفلسطينية والقوات السورية العاملة ضمن قوات الردع العربية والقوى الوطنية اللبنانية وحدها تواجه ثقل العدوان وكثافته .

وفيما كان فيليب حبيب في طريقه الى المنطقة وسع العدو رقعة غزوه ودفع مزيداً من قواته الى ساحة المعركة . واكدت الحركة الوطنية اللبنانية انها « لن تمكن اسرائيل من جني الثمار السياسية لاجتياحها العسكري وستمنعها من فرض الاستسلام على شعبنا مهما كانت الظروف »[١] . وتحدث شفيق الوزان رئيس الوزراء اللبناني بالمعنى ذاته حين قال : « ان لبنان يرفض المنطق الاسرائيلي الذي يريد ان يفرض علينا سلوكاً أو موقفاً أو ترتيبات او سلاماً ذليلاً . وسنتابع الدفاع عن حقنا

---

(١) جريدة السفير اللبنانية ٩ حزيران ١٩٨٢ .

ووطننا بكل ما نملك من وسائل مهما طال الزمن ومهما غلت التضحيات »[1] .

بلغ صمود القوات السورية العاملة ضمن قوات الردع العربية ومجابهتها للعدو والحاقها خسائر كبيرة به ذروة عالية ، مما اضطر اسرائيل الى طلب وقف اطلاق النار بواسطة المبعوث الاميركي . وهكذا وصل فيليب حبيب الى دمشق يوم ٩ حزيران/ يونيو . واستقبله الرئيس حافظ الاسد وتسلم منه رسالة من الرئيس الامريكي رونالد ريغان . وقد اكد الرئيس الاسد في هذه المقابلة « الموقف السوري في الدفاع عن قضية الامة العربية والمحافظة على سلامة أراضي لبنان »[2] .

وفي يوم الجمعة ١١ حزيران/ يونيو ، صدر في دمشق تصريح رسمي هذا نصه :

« لدى استقبال الرئيس حافظ الاسد المبعوث الاميركي ليل امس (الخميس) لمناقشة الافكار التي طرحها ، والمتعلقة بوقف النار أوضح الرئيس أن سورية توافق على وقف النار على أساس الانسحاب الاسرائيلي الشامل من الاراضي اللبنانية . وأعطيت التوجيهات لجميع التشكيلات السورية الموجودة في لبنان لتطبيقه اعتباراً من الساعة الثانية عشرة ظهر هذا اليوم الموافق ١١ حزيران ١٩٨٢ »[3] .

تابعت قوات العدو تقدمها ودخلت بعبدا يوم ١٣ حزيران / يونيو

---

(١) المرجع ذاته .

(٢) جريدة النهار اللبنانية ١٠ حزيران ١٩٨٢ .

(٣) جريدة النهار اللبنانية ١٢ حزيران ١٩٨٢ .

وحاصرت بيروت الغربية وضاحيتها الجنوبية وأنذر الجنرال أمير درووري قائد القوات الاسرائيلية المحاصرة لبيروت العميد سامي الخطيب قائد قوات الردع العربية بوجوب اخلاء بيروت من القوات السورية . وقد ردت سورية يوم ١٥ حزيران / يونيو على هذا الانذار بأن القوات السورية « دخلت الى لبنان بقرار عربي وطلب من الشرعية اللبنانية وستبقى في لبنان تذود عن الشعبين اللبناني والفلسطيني والامن القومي العربي . ولقد انكشفت خدعة العدو ، كما انكشف التواطؤ الاميركي ــ الصهيوني ــ الرجعي العربي الذي تحول الى حلف لابادة شعبنا الفلسطيني وانهاء لبنان دولة وشعباً »[١] .

٣ ــ تحركات المبعوث الاميركي الخاص والشروط الاسرائيلية

وفي هذه الاثناء كان المبعوث الاميركي فيليب حبيب الذي وصل الى بيروت يوم ١٤ حزيران/ يونيو ، يقوم باتصالات وتحركات نشيطة في بيروت ، مركزاً في انشطته هذه على إحياء وتنشيط هيئة الأنقاذ الوطني ــ التي شكلتها الحكومة اللبنانية يوم ١٤ حزيران/ يونيو ، من شخصيات ممثلة للقوى السياسية اللبنانية لمواجهة الاجتياح باتفاق وطني[٢] وضرورة

تصريح ناطق رسمي ، جريدة تشرين السورية ١٦ حزيران ١٩٨٢ .

(٢) تشكلت هيئة الانقاذ برئاسة رئيس الجمهورية وعضوية رئيس الوزراء شفيق الوزان ، فؤاد بطرس وزير الخارجية ، نصري المعلوف ، نبيه بري ، بشير الجميل ، وليد جنبلاط . وعقدت اول اجتماع لها يوم ٢٠ حزيران/يونيو ١٩٨٢ .

اجراء انتخابات رئاسة الجمهورية ضمن المهلة الدستورية[1] والى جانب ذلك تناولت انشطة فيليب حبيب الموضوعات التالية :

١ - الوضع السياسي والشعبي الفلسطيني . وتم بحث هذا الموضوع مع قيادة منظمة التحرير الفلسطينية عبر بعض الشخصيات السياسية اللبنانية ، وكذلك الحكم ممثلاً برئيس الوزراء وكان الهدف في هذا المجال تجنيب بيروت الغربية مزيداً من الدمار والقتلى وآلام الحصار والمعاناة .

٢ - الوضع السوري في لبنان ، المتمثل بقوات الردع العربية . وهو وجود له شرعيته اللبنانية وقانونيته العربية ، والبحث فيه ذو قنوات عربية بحت ، تمتد بين دمشق وبيروت وجامعة الدول العربية .

٣ - الاعتراف بالمصالح الأمنية الاسرائيلية في لبنان . ويتم بحث هذا الأمر في مرحلة لاحقة بعد وقف اطلاق النار وقفاً جدياً شاملاً .

وفيما كانت التحركات السياسية تنشط في بيروت وخارج لبنان ، كانت اسرائيل تكرر شروطها لوقف اطلاق النار وتزيد عليها بمرور الزمن .

وقد حددت جوهر هذه الشروط بخروج جميع القوات السورية وقوات الفلسطينيين من لبنان كله ، واقامة حكومة لبنانية قوية تعقد معاهدة سلام بين لبنان واسرائيل .

ولم يكن بوسع الحكومة اللبنانية ان تستجيب لتلك المطالب فبدت تلك الشروط تعجيزية تبريرية من اجل استمرار اسرائيل في غزوها واحتلالها

(١) جريدة النهار اللبنانية ١٦ حزيران ١٩٨٢ .

وتوسعها وبقاء قواتها في لبنان لتقتنص من وراء ذلك كله أكبر كمية من المكاسب الممكنة محاولة ابقاء ما تحتله رهينة من أجل ان تخرج لبنان من اطار النزاع العربي ــ الاسرائيلي ، وأن تسقط البندقية من يد الفلسطيني الثائر ، وأن تهدد أمن سورية . فالمسألة ليست ابعاد المدافع الفلسطينية عن المدى المؤثر على حدود اسرائيل الشمالية ولا احلال قوة متعددة الجنسيات في منطقة منزوعة السلاح في جنوبي لبنان ، اذ لو كان الامر كذلك لكانت اسرائيل اكتفت باجتياح الجنوب وحده . لكن اسرائيل دفعت العملية الهجومية الى امام ، وأوصلت دباباتها الى مشارف مراكز القرار الفلسطيني والقرار اللبناني محاولة بمحاصرة بيروت ، احكام الطوق على القرارين ، واخضاعهما للارادة الاسرائيلية .

ولقد ظهرت أفكار المبعوث الاميركي يومذاك وفي هذه المرحلة من حصار بيروت ، على أنها بالفعل صياغة ملطفة للشروط والمطالب الاسرائيلية ، خاصة بعد أن تابعت القوات الاسرائيلية هجومها وزادت مساحات احتلالها معطية بذلك فيليب حبيب مظهر « المنقذ » وقد باشر حبيب صفته الجديدة هذه في ظرف بدا الهجوم الاسرائيلي جد ثقيل وضاغط على ما احتله من أراضٍ وعلى بيروت المحاصَرة وفيها مراكز القيادات اللبنانية والفلسطينية وحتى يتمكن حبيب من ايجاد الصيغة التي تحقق لاسرائيل مطالبها وتخفف في الوقت ذاته ، ضغط الاحتلال وثقله ، سعى لدى اسرائيل الى ان توقف القتال مدة ٤٨ ساعة لعله يجد حلاً خلال هذه الفترة .

وحين كانت هذه المساعي تبذل ، كانت القوات الفلسطينية

والقوات السورية العاملة ضمن قوات الردع العربية ، والقوى الوطنية اللبنانية تقاتل ببسالة وصمود ، وتؤكد تصميمها يوماً بعد يوم وساعة أثر أخرى على أنها ستظل تقاتل حتى الموت دون أهدافها ومبادئها .

وفيما هدأت حدة الهجوم الاسرائيلي على بيروت يومي ١٨ و ١٩ حزيران / يونيو كانت القيادات السورية والفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية تعلن تصميمها على متابعة القتال . وفي أثناء ذلك ، كان المبعوث الاميركي يحاول استثمار ظروف محاصرة بيروت وثقل الاحتلال وضغط الهجمة الاسرائيلية واستمرار معاناة اللبنانيين والفلسطينيين سواء المحاصرين في بيروت او الواقعين تحت الاحتلال وضخامة الخسائر في الارواح والممتلكات التي انزلها الغزو الاسرائيلي في لبنان وسكانه ـــ كان يحاول استثمار ذلك كله لتوفير العوامل الكافية لاقناع السلطة وبعض القوى السياسية في لبنان بأنه لا بد ، على الاقل ، من انقاذ بيروت من براثن الحصار الاسرائيلي ، ومن مخاطر اجتياحها قبل ان تتم القوات الاسرائيلية تهديم ما بقي منها على رؤوس سكانها . ولن يتم الانقاذ الا بالخضوع للشرط الاسرائيلي ـــ وهو اخراج القوات العربية المقاتلة منها ـــ الفلسطينية والسورية والوطنية اللبنانية ـــ ونزع السلاح منها .

وفي اطار هذا المسعى الاميركي طلبت بعض القيادات الوطنية اللبنانية مهلة يومين من أجل دراسة الامر ، مع الحصول على « تطمينات أميركية » بأن اسرائيل لن تقدم على اجتياح العاصمة ، والتشاور ، في المقابل مع منظمة التحرير الفلسطينية من اجل موافقتها على تجميع السلاح في مرحلة اولى وعلى نزول الجيش اللبناني الى العاصمة والضواحي .

وفي اطار هذا المسعى ايضاً قال قيادي فلسطيني التقى رئيس الوزراء اللبناني : ان الشروط المفروضة على المقاومة الفلسطينية ككل ، لا يمكن القبول بها . واشار الى أن تسليم السلاح ثم رفع الرايات البيض والخروج بقوافل من بيروت وربما من لبنان، أمر مرفوض ولا يمكن ان يقبله فلسطيني على الاطلاق مهما كان الثمن « واذا كانت اسطورة مسادا مقدسة لدى الاسرائيليين واليهود عموماً فاننا قادرون على صنع مساداً فلسطينية فنجمع النساء والاطفال والشيوخ والرجال في المخيمات ونقاتلهم (اي الاسرائيليين) ، ونقتل منهم قدر ما نستطيع الى ان يبيدونا »[1] .

استطاع الضغط والتأثير الاميركيان من خلال المبعوث فيليب حبيب كما استطاع الحصار الاسرائيلي لبيروت ، وضغط ثقل الاحتلال وضرب بيروت وضواحيها بشكل كثيف ومستمر ــ بالرغم من ثلاثة اتفاقات لوقف اطلاق النار (١١ و ١٢ و ٦/٢٢) خرقتها اسرائيل جميعها وتابعت اعمالها العدوانية ــ ان تولد لدى القوى والقيادات الوطنية اللبنانية شعوراً بأن أمامها خيارين لا ثالث لهما وهما : تدمير بيروت والمقاومة الفلسطينية والقوات السورية أو انقاذ بيروت باخراج القوات الفلسطينية والسورية منها[2] .

ومن خلال هذا الوضع الذي اسهم الضغط الاميركي والقنبلة الاسرائيلية في خلقه راحت قيادة الثورة الفلسطينية تطالب بانسحاب القوات الاسرائيلية من حول بيروت من أجل فتح السبيل أمام حل تتفق

(١) جريدة النهار اللبنانية ١٩ حزيران ١٩٨٢ .

(٢) جريدة النهار اللبنانية ٢١ حزيران ١٩٨٢ .

عليه الحكومة اللبنانية وقيادة الثورة والقيادات الوطنية اللبنانية . ونبهت الثورة الفلسطينية الانظار الى أن اسرائيل والولايات المتحدة تريدان من الجيش اللبناني أن يكون الاداة وحصان طروادة لتنفيذ الشروط الاميركية — الاسرائيلية فيدخل الجيش اللبناني بيروت ليجرد قوات الثورة والقوى الوطنية من سلاحها[1] .

وقد اعلن رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات « اننا اتخذنا قرار الصمود والقتال والانتصار »[2] .

وفي الوقت ذاته ، قال بيان صدر في دمشق ، اثر اجتماع عقده مجلس الوزراء يوم ٢١ /حزيران/ يونيو : « أن مجلس الوزراء يؤكد ان التدخل الاميركي — الاسرائيلي بالقوة العسكرية المباشرة في لبنان ، كان ولا يزال تدخلاً خطيراً متعدد الغايات ويضع المنطقة على فوهة حرب يمكن ان تنشب وتتسع بين لحظة واخرى » . وقال البيان ان سورية « تقف بكل امكاناتها مع منظمة التحرير الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية موقف مصير واحد ضد مخطط الاخضاع وسياسة فرض الامر الواقع »[3] .

---

(١) جريدة النهار اللبنانية ٢١ حزيران ١٩٨٢ .

(٢) جريدة النهار اللبنانية ٢٢ حزيران ١٩٨٢ .

(٣) جريدة النهار اللبنانية ٢٢ حزيران ١٩٨٢ .

٤ ــ مشروعا منظمة التحرير الفلسطينية والعدو الصهيوني والتطورات المرافقة لهما

قدمت منظمة التحرير الفلسطينية مشروعاً سلمته الى هيئة الانقاذ الوطني تضمن النقاط التالية :

(١) ــ اجراء فصل بين القوات الموجودة حول العاصمة وضواحيها. وهذا يعني تراجع القوات الاسرائيلية المحاصرة لبيروت وضواحيها مسافة تتراوح بين خمسة وعشرة كيلو مترات وتراجع القوات الفلسطينية الى المخيمات ووضع قوة دولية ، بين الفريقين وذلك بعد أن يتم وقف شامل لاطلاق النار .

(٢)ــ اجراء مفاوضات بين الحكومة اللبنانية ومنظمة التحرير الفلسطينية في شأن الوجود الفلسطيني من كل نواحيه . وهذا يعني التفاوض على تنظيم الوجود السياسي وعلى تنظيم الوجود الشعبي غير المسلح بحيث يصبح الفلسطينيون مقيمين في لبنان وكذلك حق قيادة المقاومة في القيام بالعملين السياسي والاعلامي بكل حرية . اما مسؤولية الامن في المخيمات فتتولاها قوى الامن الداخلي اللبنانية .

(٣) ــ تحويل قوات المقاومة الفلسطينية الى قوات نظامية تعتبر

جزءاً من جيش التحرير الفلسطيني على غرار وجود قوات نظامية من هذا الجيش في بعض البلدان العربية (سورية والاردن والعراق)[1] .

تم تسليم هذا المشروع الى المبعوث الاميركي الذي كان قد توصل الى اتفاق مع اسرائيل على وقف اطلاق النار (هو الثالث من نوعه) بدءاً من الساعة ٢٠٫٠٠ من يوم ٢٢ حزيران ولم يصمد هذا الوقف سوى ساعات اذ عادت اسرائيل بعدها الى تنفيذ عمليتها الهجومية . رفضت اسرائيل المقترحات الفلسطينية . وابلغ فيليب حبيب هيئة الانقاذ الوطني هذا الرفض . ونقل الى الهيئة ما أسماه « افكاراً اسرائيلية » .

أبرزها :

(١) ــ لا سلاح فلسطينياً في لبنان بعد الآن وتحديداً لا سلاح لمنظمة التحرير الفلسطينية وقواتها .

(٢) ــ لا سيادة فلسطينية على أية قطعة من أراضي لبنان وبأي شكل من الاشكال .

(٣) ــ ممارسة السلطة اللبنانية الشرعية سيادتها على كل شيء في لبنان وعدم عرقلة الفلسطينيين ذلك .

(٤) ــ معاملة الفلسطينيين المقيمين في لبنان ، من الناحية المدنية معاملة مساوية للمواطنين اللبنانيين[2] .

---

(١) جريدة النهار اللبتانية ٢٣ حزيران ١٩٨٢ .

(٢) جريدة النهار اللبنانية ٢٤ حزيران ١٩٨٢ .

وفي الاجتماع الذي عقدته هيئة الانقاذ الوطني يوم ٢٣ حزيران/ يونيو وحضره فيليب حبيب لينقل الرفض والافكار الاسرائيلية تلقى أيضاً وجهة النظر الفلسطينية التي تتلخص بوجوب العمل لفك الارتباط بين القوات الفلسطينية وقوات الغزو الاسرائيلي وتثبيت وقف النار لفسح المجال أمام بدء المفاوضات .

وفي الوقت ذاته طلب حبيب « جواباً محدداً وواضحاً عما بعد مرحلة فك الارتباط » كي يتمكن « من تحديد العناصر » التي سيركز عليها والتي سيجري التفاوض حولها[١] .

بعد ثلاثة اسابيع من القتال المستمر الضاري وبعد مقاومة بطولية فدائية ابدتها القوات الفلسطينية والقوات المسلحة السورية العاملة ضمن قوات الردع العربية والقوى الوطنية اللبنانية في وجه الغزاة ، وبعد انكشاف التآمر الاميركي ــ الاسرائيلي الذي فاق حدود التحالف ، وفي ظل صمت معظم الحكومات العربية وصممها تجاه النداءات الفلسطينية والسورية ، تبين لقيادة الثورة الفلسطينية بتأكيد ووضوح ، أن اسرائيل بغزوها لبنان عسكرياً ، وبضربها الوجودين العسكريين الفلسطيني والسوري فيه تنفذ قراراً اميركياً بمثل ما هو قرار اسرائيلي يحظى الى حد كبير بموافقة معظم حلفاء اميركا الغربيين . ذلك ان تحرك اسرائيل في لبنان بهذا الشكل التوسعي الضخم والعنيف يبقى محكوماً باعتبارات الاستراتيجية الاميركية ــ الاسرائيلية المشتركة ومشدوداً الى المصالح الغربية بصورة عامة .

---

(١) المرجع ذاته .

واذا كان للغزو الاسرائيلي أهدافه الخاصة به ، من حيث مطامع اسرائيل في لبنان فان له ايضاً اهدافه الاميركية ـ الاسرائيلية وفي مقدمتها القضاء على القدرة العسكرية العربية فلسطينياً وسورياً ودفع منظمة التحرير الفلسطينية الى التعامل بليونة وانفتاح وتقبل مع المساعي المبذولة لحل قضية فلسطين ومن ثم حل ازمة الشرق الاوسط بما يتفق مع الخطط الاميركية ـ الاسرائيلية . واذا ما تم ذلك فان صعوبات كبيرة ستزول من امام معظم الدول العربية كي تتعامل مع الحلول ذاتها بليونة وانفتاح وتقبل ايضاً .

وقبل ان يشهد لبنان وقف اطلاق النار الرابع يوم ٢٥ حزيران/ يونيو توقع الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتيران يوم ٢٤ حزيران/ يونيو ان تشهد بيروت « معارك مفجعة » وحث مجلس الامن على الانعقاد لتشكيل قوة دولية تفصل بين القوات المتحاربة . وفي أثر هذا البيان قدم المندوب الفرنسي لدى الامم المتحدة الى مجلس الامن يوم ٢٦ حزيران/ يونيو جميع أعضاء مجلس الامن باستثناء الولايات المتحدة التي اسقطت المشروع بحق النقض (نال المشروع تأييد ١٤ دولة من ١٥ دولة هي أعضاء المجلس) وقد تضمن المشروع طلب مجلس الامن من الاطراف كافة أن توقف فوراً القتال في جميع أنحاء لبنان ، وطلب من اسرائيل أن تسحب قواتها المشتبكة حول بيروت الى مسافة عشرة كيلو مترات من محيط هذه المدينة ، كخطوة أولى باتجاه الانسحاب الكامل للقوات الاسرائيلية من لبنان والانسحاب المتزامن للقوات المسلحة الفلسطينية الى المخيمات الموجودة » .

ودعا المجلس جميع العناصر المسلحة في منطقة بيروت الى احترام

السلطة المطلقة للحكومة اللبنانية ٠ وأيد رغبة الحكومة اللبنانية في السيطرة الكاملة على عاصمتها وفي نشر قواتها التي ستحتل مراكز في بيروت وتأخذ مواقع فصل على محيطها ٠

وكان المبعوث الاميركي يتابع جهوده ويؤكد ان مشروع الحل الاميركي هو المنفذ للخروج من الازمة ٠ وينص المشروع الذي سلم الى منظمة التحرير الفلسطينية لدرسه ، على ان لا انسحابات اسرائيلية من لبنان قبل ان يتم نزع سلاح الفلسطينيين وتسليمه الى الجيش اللبناني ، وعندها تتخذ الاجراءات التي تضمن خروج القيادات والقوات الفلسطينية سالمة من بيروت الى البلد الذي تريد الانتقال اليه والحؤول دون تعرض اسرائيل لهذه القيادات والقوات اثناء خروجها ٠ أما اذا لم توافق المنظمة على هذا المشروع ، فان الولايات المتحدة لا تستطيع أن تضمن عدم اقدام اسرائيل على اعتماد حل عسكري لتحقيق هدفها ، وعلى انزال خسائر مادية وبشرية فادحة للقضاء نهائياً على الثورة الفلسطينية عدا ما يصيب بيروت وأهلها من خسائر تبلغ حد الكارثة ٠

وقد اكدت وزارة الخارجية الاميركية يوم ٢٨ حزيران/ يونيو ، هذا المشروع بصيغة اخرى ، حين حدد الناطق الرسمي باسمها اهداف الادارة الاميركية فيما يتعلق بالوضع في بيروت بالنقاط التالية[١] ٠

١ ــ نشر الجيش اللبناني في العاصمة ٠

٢ ــ انهاء الوجود العسكري الفلسطيني داخل بيروت وحولها ٠

---

(١) جريدة النهار اللبنانية ٢٩ حزيران ١٩٨٢ ٠

٣ ـ انسحاب جميع القوات الاجنبية اي القوات الاسرائيلية والسورية ٠
٤ ـ اقامة حكومة لبنانية قوية ٠

وصدف في هذه المرحلة من معركة بيروت ، ان كان رؤساء دول السوق الاوروبية المشتركة مجتمعين في بروكسيل ، وبحثوا في عدوان اسرائيل على لبنان واصدروا يوم ٢٩ حزيران/ يونيو ، بياناً خاصاً بذلك نددوا فيه باسرائيل وطالبوا بان يتوقف القتال فوراً وان تنسحب القوات الاسرائيلية انسحاباً رمزياً من مواقعها حول العاصمة ، كخطوة اولى نحو انسحابها الكامل ، وانسحاب القوات الفلسطينية في الوقت نفسه من بيروت الغربية ، وبغية تسهيل هذا الانسحاب ، رأى رؤساء هذه الدول ان الفصل بين القوات يجب أن يكون في هذه الفترة الانتقالية تحت اشراف الجيش اللبناني وقوات من الامم المتحدة وقال رؤساء دول السوق ان اقامة سلام نهائي في لبنان يتطلب الانسحاب الكامل والفوري للقوات الاسرائيلية وكذلك مغادرة جميع القوات الاجنبية سوى تلك التي قد تخولها البقاء حكومة لبنانية شرعية ذات تمثيل عريض ، وتكون سلطتها شاملة على جميع الاراضي اللبنانية[1] ٠

ومن أجل اتاحة الفرصة امام التفاوض لحل مشكلة بيروت ، تم كما ذكرنا اعلان وقف اطلاق النار يوم ٢٥ حزيران/ يونيو وفي اثر ذلك نشطت التحركات السياسية في بيروت ٠ وكان ابرز ما في في هذا المجال ، الطلب الذي قدمه فيليب حبيب الى رئيس الحكومة اللبنانية شفيق الوزان ، بشأن رغبته في الحصول على « كتاب رسمي موقع من رئيس

(١) جريدة السفير اللبنانية ٣٠ حزيران ١٩٨٢ ٠

اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية » يتصمن اجوبة واضحة عن الاسئلة الآتية :

١ ــ كيف ترى منظمة التحرير الفلسطينية وقف العمل الفلسطيني المسلح في لبنان .

٢ ــ كيف ترى المنظمة الغاء الدور العسكري لها ونزع السلاح .

٣ ــ ما هو الشكل والطريق اللذان يراهما الفلسطينيون للخروج من لبنان والى اين يريدون الذهاب .

٤ ــ كيف ترى المنظمة ممارسة العمل السياسي ؟(١) .

وفي الوقت ذاته ، اعلنت اسرائيل شروطها لحل المشكلة في لبنان . وهذه الشروط هي :

١ ــ خروج المنظمات الفلسطينية دون استثناء من لبنان ، وتسليم اسلحتها الى الجيش اللبناني .

٢ ــ دخول الجيش اللبناني الى بيروت الغربية .

٣ ــ المحافظة على وقف اطلاق النار ، وفي حالة خرقه فإن الجيش الاسرائيلي سيرد بشدة بالغة .

٤ ــ يتم خروج المنظمات في قافلة تحت رعاية الصليب الاحمر الدولي ، عبر طريق بيروت ــ دمشق حتى وصولها الى ما وراء الحدود اللبنانية ــ السورية .

٥ ــ يفسح الجيش الاسرائيلي لهذه القافلة مجال العبور عبر الجزء الذي يسيطر عليه من هذا الطريق ومن دون ان يلحق بها اذى .

---

(١) جريدة النهار اللبنانية ٢٩ حزيران ١٩٨٢ .

٦ ــ اذا فضلت المنظمات سلوك طريق اخر فإن الجيش الاسرائيلي يسهل لها ذلك .

٧ ــ بعد تحرير الجزء الغربي من بيروت واعادة توحيد العاصمة اللبنانية تبدأ المفاوضات السياسية بين الاطراف المعنيين جميعهم ، من اجل الوصول الى اتفاق يضمن سلامة لبنان الاقليمية ، ومغادرة القوات الاجنبية جميعها الاراضي اللبنانية ، كما يضمن استقلاله وسلامة مواطنيه .

٨ ــ يجب ان يوفر هذا الاتفاق الامن التام والسلام للجليل وسكانه ولاسرائيل ومواطنيها .

٩ ــ يسر الحكومة الاسرائيلية ان تبذل الولايات المتحدة مساعيها الحميدة لدى المتفاوضين من اجل الوصول الى هذا الاتفاق[1] .

وفيما كانت منظمة التحرير الفلسطينية تدرس اسئلة المبعوث الاميركي وتعد الاجابة عنها ، كانت القوات الاسرائيلية تنتهك اتفاق وقف اطلاق النار ، وتصعد اعتداءاتها وتكثف غاراتها ووسائل الضغط والاكراه ، من اجل التأثير في القرار الفلسطيني ودفع قيادة الثورة الى قبول شروطها .

قدمت منظمة التحرير الفلسطينية مذكرة الى رئيس الحكومة اللبنانية يوم ٣ تموز/ يوليو ، في وقت اشتد فيه الحصار الاسرائيلي على بيروت ، بعد ان انهار وقف اطلاق النار ، وضاقت بيروت بقطع الماء

(١) مجلة النهار العربي والدولي اللبنانية ، العدد ٢٧٠ ، ٥ تموز ١٩٨٢ .

والغذاء والكهرباء عنها . وقد لمست القيادة الفلسطينية ، في اثر اتصالاتها بقيادات القوى الوطنية اللبنانية المؤيدة للمنظمة ، ان هذه القيادات اوضحت « ان الوضع في المنطقة الغربية عاد لا يحتمل مزيداً من المماطلة والتسويف . ويجب التوصل الى حل سياسي لانقاذ العاصمة »[1] .

تضمنت المذكرة الفلسطينية ، في الاجابة عن إسئلة المبعوث الاميركي ، عدة نقاط ، منها :

١ ـ تمسك المقاومة الفلسطينية بالوجود العسكري الرمزي في بيروت ، وبانشاء ثكنتين ، الاولى في شمالي لبنان ، والثانية في بعلبك ، وتضمان الف فلسطيني .

٢ ـ بقاء القيادات الفلسطينية في لبنان ، على ان تبقى القضايا الاخرى موضع تشاور بين الجانب الفلسطيني والحكومة اللبنانية بعد فك الارتباط بين الاسرائيليين والقوات الفلسطينية[2] .

وبعد ان عادت قيادات القوى الوطنية الى الاجتماع بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ، جرى تعديل وتوضيح للمذكرة المشار اليها ، شملها محضر وضع بعد هذا الاجتماع ، وألحق بالمذكرة . وقد تضمن المحضر اشارة الى ان « منظمة التحرير الفلسطينية غير راغبة في البقاء في لبنان ، وان قياداتها ستغادر لبنان ، لكن بعضها سيبقى فيه بعض الوقت كي يشرف على خروج المقاتلين » .

---

(١) جريدة النهار اللبنانية ٥ تموز ١٩٨٢ .

(٢) جريدة النهار اللبنانية ، ٥ تموز ١٩٨٢ .

واشار المحضر ايضاً الى موضوع القوات الدولية او القوات متعددة الجنسيات كحل ممكن لوضع بيروت[1] .

ويتلاقى هذا الموقف الفلسطيني مع ما سمي « الموقف الاسلامي والوطني الموحد » وخلاصته في نقطتين :

(١) ـــ ضرورة استقدام قوات دولية الى بيروت قبل انسحاب قوات الثورة الفلسطينية ، لان مهمتها تأمين هذا الانسحاب .

(٢) ـــ تأمين السلامة الشخصية للكثير من المواطنين اللبنانيين الذين حضنوا الثورة الفلسطينية وقاتلوا معها ، او ساعدوها . ولا يمكن تأمين هذه السلامة الا في ظل وجود قوات دولية قبل انسحاب المقاتلين الفلسطينيين[2] .

لم يطل الامر بوقف اطلاق النار ، حتى انهار تحت ضربات الهجمة الاسرائيلية الكثيفة والعنيفة على بيروت وضواحيها . وفي خلال ذلك ، عرضت الولايات المتحدة ارسال قوات من لدنها الى لبنان للاشراف على خروج الفلسطينيين منه . وقد ذكرت الانباء ان سورية ستكون احد البلدان التي سينتقل اليها الفلسطينيون .

وبهذا الصدد ، صرح ناطق رسمي بدمشق يوم ٩ تموز/ يوليو « في

---

(١) جريدة النهار اللبنانية ، ٧ تموز ١٩٨٢ .

(٢) جريدة النهار اللبنانية ، ٩ تموز ١٩٨٢ .

شأن ما تناقلته وكالات الانباء عن انتقال المقاتلين الفلسطينيين من بيروت الى سورية » فقال : « ان منظمة التحرير الفلسطينية لم تقترح على سورية شيئاً في هذا الخصوص . ان ما نفهمه ان النقاش يدور مع الحكومة اللبنانية حول مقر المنظمة واجهزتها وليس حول المقاتلين . وعلى كل حال ، فان سورية في الظروف العادية وطن للفلسطينيين وللعرب عموماً . اما في هذه الظروف فلا مجال لانتقال المقاتلين الفلسطينيين من بيروت الى سورية ، لان مكانهم الطبيعي حيث هم الان في انتظار استعادة حقوقهم المشروعة »[1] . واعرب وزير الاعلام السوري احمد اسكندر احمد عن اسف الحكومة السورية لعدم استشارتها في الاقتراحات المتعلقة بانسحاب القوات الفلسطينية من لبنان . وقال : « ان احداً لم يعرض علينا خطة ويطلب منا قبولها او رفضها . لقد سمعنا بها عبر وكالات الانباء » . وانتقد الوزير السوري الاطراف المعنية بالمفاوضات « الذين يعالجون القضايا بشكل معكوس ، فبدل النظر في طريقة اجلاء الصهيونيين ، ينظمون عملية تهجير ثالثة للفلسطينيين بعد ١٩٤٨ و ١٩٦٧ »[2] .

وفيما كانت التحركات السياسية ناشطة في بيروت وبعض العواصم العربية وفي واشنطن وبعض العواصم الاوروبية ، حدثت الوقائع الهامة التالية :

١ ــ شهدت بيروت الغربية وضواحيها يوم ١١ تموز / يوليو ، اعنف

(١) جريدة النهار اللبنانية ، ١٠ تموز ١٩٨٢ .

(٢) المرجع ذاته .

هجوم شنه العدو عليها ، انتقاماً من صمود المدافعين عنها ، اذ القت القوات الاسرائيلية عليها نحو ٨ الاف قنبلة من مختلف الانواع والعيارات[١] ، بالاضافة الى الحصار التمويني وقطع الماء والكهرباء والتهديد باقتحام العاصمة وضواحيها[٢] .

٢ ــ تم وقف اطلاق النار ، وهو السادس من نوعه ، مساء يوم ١١ تموز/ يوليو .

٣ ــ لا تزال اسرائيل ترفض تولي قوات دولية مهمة فك الاشتباك بين قواتها والقوات المدافعة عن بيروت وضواحيها[٣] .

٤ ــ تتالت وكثرت اجتماعات المسؤولين اللبنانيين ، مع المبعوث الاميركي فيليب حبيب بغية ايجاد حل سياسي[٤] .

وقرر مجلس الوزراء اللبناني اتخاذ الترتيبات اللازمة « لتأمين خروج القوات غير اللبنانية من الاراضي اللبنانية »[٥] .

٥ ــ اكد رئيس الوزراء اللبناني شفيق الوزان انه يرفض « المساواة بين احتلال اسرائيلي وبين وجود آخر ، كنا نسعى الى تنظيم شأنه

---

(١) جريدة السفير اللبنانية ، ١٢ تموز ١٩٨٢ .

(٢) المرجع ذاته .

(٣) جريدة السفير اللبنانية ، ١٣ تموز ١٩٨٢ .

(٤) جريدة السفير اللبنانية ، ١٤ تموز ١٩٨٢ .

(٥) جريدة النهار اللبنانية ، ٥ تموز ١٩٨٢ .

والبحث فيه أو وضع حد له . أما الوجود الاسرائيلي فاننا لا نقبله في بلدنا ، فهو عار علينا .. هذا عِدو وذاك شقيق »[1] .

٦ ـــ اقترحت منظمة التحرير الفلسطينية في ١٦ تموز (يوليو) ، ان تخرج قواتها من بيروت الى شمالي لبنان او البقاع . غير ان اسرائيل رفضت هذا الاقتراح .

٧ ـــ رشح الشيخ بشير الجميل قائد القوات اللبنانية نفسه لرئاسة الجمهورية اللبنانية ، وذلك يوم ٢٤ تموز/ يوليو .

٨ ـــ وقع رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات يوم ٢٥ تموز/ يوليو على وثيقة هذا نصها « ان الرئيس عرفات يوافق على كل قرارات الامم المتحدة المتعلقة بالمسألة الفلسطينية » . وقد سلم عرفات هذه الوثيقة الى وفد اميركي كان يزوره[2] .

٩ ـــ اكد الرئيس حافظ الاسد ان سورية تريد السلام ، الا ان ذلك يعني ضرورة انهاء العدوان « لان احداً لا يستطيع ان ينشد السلام تحت وابل من القذائف »[3] .

---

(١) جريدة السفير اللبنانية ، ١٥ تموز ١٩٨٢ .

(٢) جريدة الاهرام المصرية ، ٢٧ تموز ١٩٨٢ .

(٣) جريدة السفير اللبنانية ، ٢٦ تموز ١٩٨٢ .

٥ ـ اللجنة السداسية العربية

اصدرت اللجنة السداسية المنبثقة عن مجلس جامعة الدول العربية ، اثر اجتماعها في جدة يومي ٢٨ و ٢٩ تموز/ يوليو ، حيث مثل لبنان وزير خارجيته فؤاد بطرس ، ومثل منظمة التحرير الفلسطينية رئيس الدائرة السياسية فاروق القدومي . وقد ناقشت اللجنة الوضع في لبنان من كل جوانبه ، ووصلت الى اتفاق كامل على ضرورة العمل في المرحلة الحاضرة على ما يأتي :

(١)ـ عرضت اللجنة العمل الحثيث على التقيد بوقف اطلاق النار .

(٢)ـ تعلن منظمة التحرير الفلسطينية قرارها بانتقال قواتها المسلحة من بيروت ، وتحديد ضمانات هذا الانتقال أمن المخيمات بالاتفاق بين الحكومة اللبنانية ومنظمة التحرير الفلسطينية في بيروت .

(٣)ـ العمل على رفع الحصار عن مدينة بيروت وضواحيها بانسحاب القوات الاسرائيلية .

(٤)ـ تتخذ الحكومة اللبنانية الاجراءات الايلة الى ضمان سكان بيروت وضواحيها بما فيها المخيمات الفلسطينية وسلامتهم .

(٥)ـ مشاركة القوات الدولية في عملية ضمان الامن والسلامة في بيروت وضواحيها .

(٦)ـــ تقوم الدول العربية بالعمل السياسي الضروري لمساعدة لبنان على تنفيذ قراري مجلس الامن ٥٠٨ و ٥٠٩ كاملاً .

ـــ « واكدت اللجنة عزم الدول العربية على مواصلة العمل من اجل وقف العدوان الصهيوني على الاراضي اللبنانية ووضع حد للمأساة التي يعيشها الشعبان اللبناني والفلسطيني ، وذلك بالعمل المباشر على المستوى الدولي وكل الصعد »[1] .

٦ ـــ في مجلس الامن

واذ اشتد الحصار والهجمة الاسرائيلية على بيروت ، ناقش مجلس الامن الدولي الامر ، واصدر قرارين ، اولهما يوم ٢٩ تموز/يوليو ، برقم ٥١٥ ، طلب فيه المجلس من اسرائيل ان ترفع « فوراً الحصار المضروب على مدينة بيروت لكي يتاح ارسال المؤن الضرورية لتلبية حاجات السكان المدنيين الملحة وتوزيع المساعدات المقدمة من قبل وكالات الامم المتحدة والمنظمات غير الحكومية ، ولا سيما اللجنة الدولية للصليب الاحمر » . وثاني القرارين صدر في اليوم الاول من شهر آب/ اغسطس برقم ٥١٦ ، وفيه اكد المجلس قراراته السابقة بشأن « وقف فوري لاطلاق النار » .

---

(١) جريدة النهار اللبنانية ، ٣٠ تموز ١٩٨٢ .

وطلب من الامين العام ان يقوم فوراً بنشر مراقبي الامم المتحدة « لمراقبة الوضع في بيروت والمنطقة المحيطة بها » ، غير ان اسرائيل لم تنفذ اياً من هذين القرارين .

٧ ـــ رسالة الرئيس حافظ الاسد

وفيما كانت الهجمة على بيروت تشتد بكثافة واستمرار كبيرين ، وفيما كان رجال القوات المسلحة السورية يقاتلون في بيروت ، في خندق واحد مع المقاتلين الفلسطينيين واللبنانيين ، وجه الرئيس حافظ الاسد رسالة الى هؤلاء المقاتلين ، يوم ١ آب/ اغسطس ، حياهم واشاد بنضالهم وبطولاتهم ، وقال لهم : « ان عروبة بيروت امانة بين ايديكم ، فاحفظوا هذه الامانة ، ودافعوا عن نسائها وشيوخها واطفالها همجية اعداء الانسانية ، واجعلوا معركة بيروت ملحمة مجد ، دفاعاً عن كرامة الامة العربية ودرساً للمتخاذلين الجبناء . وليس هناك اعز واشرف واروع خلوداً من نهاية أبية للحياة تتم في ميدان القتال دفاعاً عن الوطن . احييكم واشد على ايديكم واقبلكم فرداً فرداً ، واطلب اليكم الصمود ودحر العدو والتمسك بشعارنا الخالد الشهادة او النصر ، لتكملوا طريقنا ، طريق البطولة ، طريق الفداء ، طريق الشهادة ، طريق النصر » .

٨ ـــ المشروع الاميركي وخروج القوات من بيروت

طالت فترة المفاوضات بين الحكومة اللبنانية وقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ، وبين هذين الطرفين من جهة واسرائيل من جهة اخرى بواسطة المبعوث الاميركي وقد تمكن فيليب حبيب ، في ختام هذه المفاوضات ، من وضع مشروع خطة وافقت عليه الاطراف المعنية ، يوم ١٢ آب/اغسطس ، واقره مجلس الوزراء اللبناني يوم ١٨ آب اغسطس ١٩٨٢ . وتتضمن الخطة :

١ ـــ وقف اطلاق النار وقفاً شاملاً .

٢ ـــ مغادرة بيروت بطريقة سلمية وفق برنامج زمني .

٣ ـــ ترافق القوات متعددة الجنسيات سير العملية .

٤ ـــ يخضع الفلسطينيون غير المقاتلين والذين سيبقون في لبنان للقوانين والانظمة اللبنانية .

٥ ـــ تنتشر القوات متعددة الجنسيات يوم المغادرة ، لتأمين سلامة الفلسطينيين واللبنانيين في المنطقة الغربية من بيروت ، ولمساندة الدولة في بسط سلطتها . وستتألف هذه القوات من ٨٠٠ جندي اميركي ، و ٨٠٠ جندي فرنسي ، و ٤٠٠ جندي ايطالي و ٣٠٠٠ جندي من الجيش اللبناني او اكثر وفقاً لمتطلبات المحافظة على الامن .

٦ ـــ اذا تعذر تنفيذ احد البنود تعتبر مهمة القوات متعددة الجنسيات منتهية .

٧ ــ مدة عمل القوات متعددة الجنسيات شهر واحد . ويحق للدولة اللبنانية تمديد مهمتها اذا رأت ضرورة لذلك ؛

٨ ــ يشارك الصليب الاحمر في المساعدة على المغادرة .

٩ ــ تكون المغادرة بحراً من مرفأ بيروت ، وجوّاً الى قبرص ، وبراً عن طريق بيروت دمشق ، على ان يبتعد الجيش الاسرائيلي عن الطريق الدولية لتأمين سلامة الانسحاب ، فيما يتولى الجيش اللبناني التنسيق مع منظمة التحرير الفلسطينية .

١٠ ــ المدة المحددة لاتمام الانسحاب هي ١٥ يوماً ، ويتم في وضح النهار . وينقل المقاتلون معهم اسلحتهم الخفيفة (مسدس او بندقية) .

١١ ــ تسلم الاسلحة الثقيلة الى الجيش اللبناني .

١٢ ــ تغادر قيادة المقاومة لبنان علناً . ويتم اعلان ذلك على نحو واضح ومكشوف .

١٣ ــ تغادر الوية جيش التحرير الفلسطيني براً . اما القوات السورية الموجودة في بيروت فتخرج الى البقاع او الشمال حيث توجد القوات السورية[١] .

وفي هذه الاثناء كانت القوات متعددة الجنسيات ، وهي من الولايات المتحدة وفرنسا وايطاليا ، تستعد للسفر بحراً الى بيروت ، بعد ان قدمت الحكومة اللبنانية الى الحكومات الثلاث طلبات بشأن استقدام هذه القوات الى لبنان .

---

(١) جريدة النهار اللبنانية ، ١٩ آب ١٩٨٢ .

سارت خطة انتقال قوات المقاومة الفلسطينية من بيروت وفق جدول زمني ، بدأ يوم ٢١ آب/اغسطس ١٩٨٢ ، حيث وصلت طليعة القوات متعددة الجنسيات الى مرفأ بيروت ، ثم تلا ذلك بدء المغادرة . وقد توجهت القوات الفلسطينية وقياداتها الى سورية والعراق والاردن وتونس واليمن الديمقراطي والجمهورية العربية اليمنية والجزائر والسودان . وانتهت عملية المغادرة يوم ٣١ آب/اغسطس . وعملت القوات متعددة الجنسيات لمساعدة الجيش اللبناني في اتخاذ ترتيبات لضمان أمن دائم في منطقة العمليات .

وفي اثناء تطبيق برنامج المغادرة ، اجتمع المجلس النيابي اللبناني في المدرسة الحربية ، يوم ٢٣ آب/اغسطس . واكتمل النصاب باكثرية نائب واحد . وانتخب النواب الحاضرون الشيخ بشير الجميل ، رئيساً للجمهورية اللبنانية ، في ظل الاحتلال وتحت حراب الجنود الاسرائيليين الذين كانوا يحاصرون بيروت ويحيطون بالمدرسة الحربية . جرى الانتخاب في المدرسة الحربية (الفياضية) وليس بضاحية بعبدا . وقد قاطع معظم النواب الوطنيين جلسة المجلس النيابي للظروف التي ذكرناها ، بالاضافة الى ان المرشح هو زعيم الاتجاه الانعزالي والتقسيم الطائفي ، وقائد القوات اللبنانية التي اثارت الفتنة ، واشاعت القتل والارهاب ، ودفعت لبنان الى حرب اهلية لم تبق ولم تذر . وقد تعاون المرشح مع اسرائيل ضد شعبه ووطنه . وادت هذه الاسباب كلها الى بدء ظهور الانشقاق والتمرد في بعض المناطق اللبنانية وفي صفوف الشعب اللبناني ، وبالرغم من ظروف الاحتلال ، وقساوة المعركة مع العدو ، وبدء مغادرة القوات الفلسطينية

والقوات المسلحة السورية العاملة ضمن قوات الردع العربية مدينة بيروت

انتهت المغادرة وفق البرنامج الزمني المقرر . وقد خرج من بيروت الى البقاع في لبنان ٣٦٠٠ جندي سوري . وغادر بيروت الى الاقطار العربية التي ذكرناها ٨٣٠٠ مقاتل من المقاومة الفلسطينية ، و ٢٦٠٠ جندي من جيش التحرير الفلسطيني (قوات القادسية وقوات حطين) وكتيبة بدر من الجيش ذاته .

تم التوصل الى اتفاق بيروت وتنفيذه في اثر توفر عدة عوامل منها :

١ ـــ استيعاب قيادة منظمة التحرير الفلسطينية للتطور الذي طرأ على الظروف المحلية والعربية والدولية بعد الغزو الإسرائيلي الذي اتصف بالقسوة والشدة والهمجية واستخدام اسلوب الابادة . ذلك ان عناصر القوى الانعزالية المضادة لحركة التحرر العربية وللثورة الفلسطينية اشتد عزمها وقويت شوكتها بالعدو المحتل الذي ناصرها وناصرته . وفي الاطار العربي استمر صمت الحكومات العربية بالرغم من شدة الغزوة على بيروت وقيام احتمال ذبح الثورة الفلسطينية والقوات السورية والقوى الوطنية اللبنانية ، وابادتها ابادة جماعية بهجوم اسرائيلي كاسح يأتي بيروت وضواحيها من البر والبحر والجو . وفي الوقت ذاته لم يكن الموقف الدولي اكثر من عامل معنوي يطالب بتجنيب بيروت الاحتلال ، وتجنيب المقاومة الابادة .

٢ ـــ شعور قيادة المنظمة بأن مواطني بيروت العزل من السلاح تحملوا فوق ما يتحمله انسان مناضل صاحب قضية ، وضحوا بحياتهم

ومستقبلهم ومدينتهم ، اذ صمدوا مع المقاتلين الفلسطينيين واللبنانيين والسوريين صموداً شجع المقاتلين على التصدي للغزو ، وعلى اشاعة روح الاقدام والفداء ، ومقارعة العدو بكل قواته الكبيرة واسلحته الاميركية الحديثة المتفوقة ، مدة تقرب من تسعين يوماً . وقد شعرت المنظمة بأن تضحية اخرى يتحمّلها هؤلاء المواطنون ، سواء بارواحهم او املاكهم او بمدينتهم ، ستكون مدعاة للحزن والاسى ، طالما ان الظروف المحلية والعربية والدولية تشجع على وقف القتال والانسحاب من لبنان اكثر مما تشجع على استمرار القتال والمقاومة حتى النفس الاخير .

٣ ـ ادراك قيادة المنظمة ان صمود قواتها في بيروت لا بد ان يقابله كسب سياسي توظفه في مصلحة عملها السياسي والمسلح اللاحق والرامي الى الحصول على الاعتراف بها وبالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني ، وكان في امكان هذه القيادة ان تؤخر قرار انهاء مشكلة بيروت بعض الوقت للحصول على مزيد من المكاسب ، لكن شراسة الهجمة الاسرائيلية وعنفها في ضرب بيروت اقنعا القيادة الفلسطينية بأن الخسائر التي ستحل بالمدينة وسكانها العزل ستكون جد كبيرة .

٤ ـ اقتناع قيادة المنظمة بأنها لن تستطيع ان تحصل من معركة بيروت وصمودها فيها على اكثر مما حصلت عليه . واقتناعها ايضاً بأن

الكسب السياسي الذي سعت اليه من خلال المعركة لا يمكن الحصبول عليه الا بعد انهاء مشكلة بيروت .

ولقد قيل انذاك ان المنظمة حصلت على وعود غير مباشرة بأن الولايات المتحدة ستعترف بها بعد الخروج من بيروت ، وتباشر معها حواراً حول كل القضايا .

وقد اكدت مصادر سياسية مطلعة[1] ان هذه الوعود صحيحة ، وان المباحثات التي اجريت عبر قنوات عربية مع واشنطن لم تقتصر على الاعتراف او الحوار فقط ، وانما تناولت ايضاً عمق القضية الفلسطينية التي تسعى المنظمة الى حلها ، عن طريق الاعتراف بالحقوق والتعبير عن ذلك عملياً باقامة الدولة الفلسطينية .

غير ان التاريخ علمنا ان الولايات المتحدة لم تكن ابداً صادقة مع العرب ، وانها تنفذ في المنطقة سياسة اسرائيل والصهيونية والامبريالية .

---

(١) جريدة النهار اللبنانية ، ٢٥ آب ١٩٨٢ .

[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

الفصل العاشر

مذبحة صبرا وشاتيلا

١ ـ الظروف التمهيدية للمذبحة ٠
٢ ـ الجريمة الكاملة ٠
٣ ـ المذبحة
٤ ـ ادانة الجريمة ٠

١ ـ الظروف التمهيدية للمذبحة :

توقفت قوات الغزو الصهيوني امام مداخل بيروت الغربية وهي في مأزق حرج . فلا هي قادرة على اقتحام المواقع المنيعة للقوات العربية السورية والقوات الفسطينية اللبنانية المشتركة وجيش التحرير الفلسطيني ، في بيروت والمخيمات الفلسطينية ، ولا هي قادرة على الانسحاب والتخلي عن تحقيق اهدافها . وقد ادت المقاومة البطولية لهذه القوات في بيروت الى زيادة حقد القيادة الصهيونية ، على ما تمتلكه من الحقد ، فطورت اعمال الابادة والتدمير ، على النحو الذي شهدناه في معركة بيروت .

غير ان أعمال الابادة والتدمير لم تتمكن من اضعاف صلابة المدافعين عن العاصمة . فجاء العمل السياسي الذي اضطلعت به الولايات المتحدة الامريكية (عن طريق مبعوثها فيليب حبيب) ليقنع قيادة منظمة التحرير الفلسطينية بالانسحاب من بيروت . ولما كانت قيادة منظمة التحرير على معرفة ثابتة بنهج العدو وطرائقه واساليبه ، بحكم صراعها المستمر معه ، فقد صممت على عدم الخروج من بيروت الغربية والمخيمات ، الا بعد الحصول على ضمانات من الحكومتين الامريكية

واللبنانية توفر الحماية لبيروت الغربية والمخيمات . وحصلت قيادة منظمة التحرير على الضمانات الخطية المطلوبة ، وتم الاتفاق معها على دخول القوات متعددة الجنسيات الى بيروت مع خروج قوات الثورة منها ، وهذا ما تم تنفيذه فعلاً اذ خرجت الدفعة الاولى من قوات الثورة يوم ١٩٨٢/٨/٢١ فيما دخلت طليعة القوات متعددة الجنسيات (القوة الفرنسية) الى بيروت في اليوم ذاته ، وكان من المتفق عليه ان تبقى هذه القوات لمدة شهر قابل للتمديد ، وان تعمل باشراف الحكومة اللبنانية ، وان يترك امر انسحابها لاتفاق مع الحكومة اللبنانية ، وباستشارة قيادة منظمة التحرير والاتفاق معها .

بدأت قوات الجيش اللبناني تجرد القوى الوطنية والمخيمات من اسلحتها الخفيفة والثقيلة ، ثم عملت بالتعاون مع إلقوات المتعددة الجنسيات على نزع حقول الالغام وابطال عمل العبوات المتفجرة . وباتت المخيمات محرومة من المقاومة ، ومجردة من اسلحتها ، باعتبار ان قوات الجيش اللبناني والقوات متعددة الجنسيات هي المسؤولة عن ضمان امن المخيمات وتأمين حمايتها . وما ان انتهت القوات متعددة الجنسيات من تنفيذ هذه المهمة ، حتى بدأت القوات الامريكية بالانسحاب بعد ثلاثة اسابيع فقط من وصولها (وتم ذلك في الفترة الممتدة من ١٠١ حتى ١٩٨٢/٩/١٣) .

وكان ذلك ايذاناً بتسارع الاحداث ، فقد عملت القوات الايطالية والفرنسية على الانسحاب من بيروت في اعقاب انسحاب القوات الامريكية ، وبات الموقف في قبضة قوات الغزو الصهيوني .

كان الصراع السياسي على الساحة اللبنانية قد اخذ منحاه الخاص به . ففي يوم ٢٣ آب (اغسطس) ١٩٨٢ تم انتخاب بشير الجميل رئيساً للجمهورية اللبنانية في مناخ من التمزق والارهاب وعدم الاجماع الكامل وكان انتخابه حدثاً سعيداً بالنسبة الى اسرائيل وحكامها ، اذ وجدوا فيه صديقاً ومنفذاً لسياستهم ومطامعهم . اجتمع الرئيس المنتخب الجميل مع رئيس وزراء اسرائيل مناحيم بيغن ووزير الدفاع ارييل شارون في مدينة نهاريا الاسرائيلية « حيث طلب كلاهما منه التوقيع على معاهدة سلام مع اسرائيل »[١] . وذكر ان الجميل اسر الى اصدقائه والمقربين اليه[٢] انه « لقي التحقير من قبل رئيس وزراء اسرائيل بيغن الذي عامله كفتى مراهق »[٣] .

وكان من المقرر ان يبدأ يوم ١٥ ايلول (سبتمر) ١٩٨٢ تنفيذ الخطة الامنية في بيروت الشرقية ، وتوحيد شطريها ، وذلك بنشر قوى الامن الداخلي على نحو ما كان قد حدث في بيروت الغربية قبل عشرة ايام . وفي مساء ١٤/٩ حدث اغتيال بشير الجميل في بيت الكتائب بالاشرفية ، وذلك اثناء اجتماع الجميل بقادة حزب الكتائب ومسؤوليه الذين بلغ عددهم نحو مائة وخمسين . وجدير بالذكر ان هذا المقر حيث وقع الانفجار محاط بحراسة قوات الكتائب ، وفي منطقة احتلال القوات

---

(١) يديعوت احرونوت ١٩٨٢/١٠/٧ .

(٢) المكتب السياسي لحزب الكتائب والسيد صائب سلام رئيس وزراء لبنان الاسبق .

(٣) علي همشمار ، ١٩٨٢/٩/٢٤ .

الاسرائيلية . فكيف وقع الحادث ؟ كان مكتب الامن التابع لحزب الكتائب ، والذي تولى التحقيق في العملية ، قد اعلن ان الانفجار نجم عن عبوة ناسفة ، وزنها ٣٠٠ كغ ، زرعت على سطح المبنى المؤلف من ثلاثة طوابق ، وربطت بجهاز توقيت ، ولم يتمكن مكتب امن الكتائب من اكتشاف كيفية ادخال العبوة الناسفة الى المبنى الخاضع لاجراءات امن مشددة للغاية .

وكان بشير الجميل قد حضر الى بيت الاشرفية لابلاغ قادة كتائب المنطقة بضرورة الانصياع الى الخطة الامنية التي كان من المفترض تنفيذها في اليوم التالي في المنطقة الشرقية من العاصمة ، وضرورة الامتناع عن اي ظهور مسلح، وتسهيل مهمة الجيش وقوى الأمن. وماان شرع بشير الجميل في إلقاء كلمته حتى دوى انفجار هائل أسفر عن قتل ٢٧ كتائبياً وجرح ٣٧ .

٢ ــ الجريمة الكاملة :

ما ان اعلنت الحكومة اللبنانية عن مصرع بشير الجميل حتى أستعدت القوات الاسرائيلية لاجتياح بيروت . وفي صبيحة اليوم التالي (٩/١٥) اندفعت تلك القوات بسرعة لاحكام قبضتها على لبنان ، خاصة بيروت الغربية . ودفعت قوات الغزو الصهيوني قوة تزيد على لواء مدرع اسرائيلي دخل بيروت الغربية الخالية من القوات السورية والفدائيين الفلسطينيين .

رفضت الحكومة اللبنانية الذرائع الاسرائيلية لاقتحام بيروت الغربية ، وأعلنت ان التقدم الاسرائيلي يعتبر انتهاكاً لوقف اطلاق النار في بيروت بموجب الاتفاق الذي تم مع المبعوث الامريكي فيليب حبيب . واما الولايات المتحدة فقد اعلنت من جانبها انها حثت اسرائيل على الامتناع عن القيام بأعمال عسكرية في لبنان ، من شأنها زيادة حدة التوتر الناشئة عن مصرع الرئيس اللبناني المنتخب بشير الجميل .

جاء تقدم القوات الاسرائيلية في وسط تسارع الاحداث ومباغتاتها المتتالية ، غير ان المقاومة لم تلبث ان بدأت في الانتظام والظهور . وقالت القيادة العسكرية الاسرائيلية ، ان قواتها تواجه مقاومة متعاظمة ، وان القتال بقي مستمراً ، وان قواتها تتقدم حسب الخطة المرسومة . وذكر البيان ان القوات الاسرائيلية قد دخلت بيروت الغربية من اجل منع اي اعادة لتنظيم القوات بين الفدائيين الفلسطينيين والقوى الوطنية اللبنانية ، وان هناك الفين من الفدائيين مازالوا داخل المدينة .

تابعت القوات الاسرائيلية تقدمها على الجبهتين الاولى على الطريق الساحلي حتى الرملة البيضاء ، والثانية من امام المدينة الرياضية والجامعة العربية ، وهي منطقة كانت تضم مكاتب هامة لمنظمة التحرير الفلسطينية . ومازالت تلك المنطقة ذات كثافة سكانية عالية .

وقد حاصرت القوات الاسرائيلية التي لوحظ انها تتقدم ببطء شديد مخيمي صبرا وشاتيلا من ثلاثة اتجاهات . وفيما كانت قوات الغزو تزحف على بيروت الغربية في اربعة ارتال مدرعة وراجلة ، كانت الزوارق الحربية الاسرائيلية تقصف المناطق المحيطة بالطريق الساحلي في عملية

تمشيط بالنار ، بينما حلقت الطائرات الحربية فوق العاصمة دون ان تغير عليها . وكانت القوات الاسرائيلية تتحرك بارتال من الدبابات وناقلات الجند المدرعة ، وهي تسير بحذر شديد بمحاذاة ساحة جمال عبد الناصر على الطرف الشرقي لمخيمي صبرا وشاتيلا . كما اطلقت النيران بشكل متقطع من الدبابات باتجاه المخيمين والمباني المحيطة حيث يرابط مئات المسلحين اللبنانيين المتحالفين مع قوات الثورة الفلسطينية . وفي بعض النقاط لم يكن يفصل الاسرائيليين والمسلحين اللبنانيين اكثر من مائة متر . وبالاضافة الى التقدم المدرع فان الاسرائيليين اطلقوا دوريات صغيرة ، تضم كل واحدة منها ٨ ــ ١٠ جنود في شوارع بيروت ، لتأمين السيطرة على البنايات العالية التي تطل على صبرا وشاتيلا . وكانت اعداد من المارة تقف جانباً وهي تراقب الجنود الاسرائيليين وهم يدخلون من بيت الى بيت في الشوارع الضيقة من بيروت الغربية . وتعرض الاسرائيليون لرصاص القنص ، كما سقطت قذائف الهاون قرب تجمع لسيارات مدرعة للقوات الغازية قرب صبرا . كما اخذ الوطنيون اللبنانيون وخاصة « أمل » و « المرابطون » يطلقون القنابل الصاروخية على الدبابات الاسرائيلية في المنطقة المحيطة بساحة جمال عبد الناصر . فيما استمرت الاشتباكات الضارية مع القوات الاسرائيلية اثناء تقدمها من منطقة ميناء بيروت الى القطاع الغربي من العاصمة .

وفي مساء ٩/١٥ اصبحت القوات الاسرائيلية مسيطرة على الموقف ، وباتت المخيمات الفلسطينية في صبرا وشاتيلا مطوقة ومعزولة ، في وقت لم تعد فيه قوى الامن اللبنانية ولا قوات الحركة الوطنية قادرة على

العمل بشكل مؤثر وفعال • وبذلك توافرت الظروف الكافية لتنفيذ خطة المذبحة في مخيمي صبرا وشاتيلا •

٣ ـ المذبحة :

دخلت قوات الكتائب الى مخيمي صبرا وشاتيلا في الساعة ١٨ر٠٠ من يوم الخميس ١٦ ايلول سبتمبر ١٩٨٢ ، وغادرتهما في حوالي الساعة ٨ر٠٠ من يوم السبت ١٨ ايلول/سبتمبر • وخلال الساعات الثماني والثلاثين ، اعملت قوات الكتائب سلاحها وحقدها في اللاجئين الفلسطينيين العزل المقيمين في المخيمين ، وقتلت المئات منهم ، ولم تترك امرأة او شيخاً او طفلاً او مريضاً او معاقاً شاهدته في المخيمين الا قتلته • ولم ينج من الموت الا من استطاع الهرب من المذبحة ، وهم قلة •

خططت قيادة الكتائب واسرائيل معاً للمذبحة ، وتعاونتا في التنفيذ ، فأخذت الكتائب على عاتقها عملية دخول المخيمين وقتل من فيهما ، وتولت القوات الإسرائيلية اعداد الظروف والعوامل اللازمة لتنفيذ الخطة ، كما تولت الاشراف على العملية ، وحماية قوات الكتائب طوال مدة العملية وتغطية انسحابها ، وتوفير الأضاءة للمخيمين في الليل • وتقديم وسائل الاتصال ومراكز القيادة والتوجيه ، وغير ذلك من التسهيلات والمساعدات •

ويأتي تعاون الكتائب (القوات اللبنانية) واسرائيل في عملية مخيمي صبرا وشاتيلا استمراراً وتوكيداً لتعاونهما الذي يمتد الى عدة سنوات

خلت ، وبخاصة منذ نشوب الاضطرابات في لبنان ، حين توثقت العلاقات بينهما على المستويين السياسي والعسكري . فلقد قدمت اسرائيل وعداً الى الكتائب بأنها ستأتي لمساعدتها في حال « تعرضها للخطر » . كما قدمت اليها مساعدات عسكرية هامة ، ومنها الاسلحة والمعدات ووسائل الاتصال وغيرها . حتى ان المساعدة بلغت حد تقديم الالبسة العسكرية لافراد القوات اللبنانية . ولقد دخل الكتائبيون الى المخيمين وهم يرتدون تلك الالبسة الاسرائيلية . ويضعون فوق جيب القميص شارة كتب عليها « القوات اللبنانية » .

وكانت الموساد (مؤسسة الاستخبارات والمهام الخاصة) تتولى ، باسم « اسرائيل » تنظيم العلاقات مع قيادة الكتائب . وبالاضافة الى ذلك ، شاركت شعبة الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية في الاتصال مع الكتائب .

وخلال الاجتماعات التي عقدها مسؤولو الموساد مع قائد القوات اللبنانية الشيخ بشير الجميل ، اقتنع هؤلاء بأن هذه القيادة عازمة ، بشكل لا يدع مجالاً للشك ، على طي قضية فلسطين من اهتمامات لبنان ، وعلى اخراج الفلسطينيين من لبنان ، وبخاصة قياداتهم ومؤسساتهم . وقد استثمرت اسرائيل هذه النية وهذا العزم فخططت قيادة القوات اللبنانية لعملية ابادة الفلسطينيين في مخيمي صبرا وشاتيلا .

وعندما دخلت القوات الاسرائيلية بيروت الغربية في الساعات الاولى من صباح الاربعاء ١٥ ايلول/ سبتمبر . كان احد الاوامر العملياتية التي اصدرتها القيادة الاسرائيلية في الاجتياح (وهو الامر رقم ٦ الصادر صباح

يوم الخميس ٩/١٦) ينص على ما يلي « يجب عدم دخول المخيمات ٠ تفتيش وتطهير المخيمات سيقوم بهما الكتائبيون والجيش اللبناني » ٠

وفي ليلة الثلاثاء ــ الاربعاء (٩/١٥/١٤) طار رئيس الاركان الاسرائيلي الجنرال رفائيل ايتان الى بيروت والتقى مع قائد الجبهة الشمالية الجنرال امير درووري وقائد الفرقة الجنرال اموس يارون ٠ ثم توجه الجميع الى المركز الرئيسي لحزب الكتائب ، حيث أمر ايتان قيادة الكتائب باعلان التعبئة العامة لجميع قواتها ، وحظر التجول في المناطق التي تسيطر عليها كافة ، استعداداً لعملية اجتياح مخيمي صبرا وشاتيلا ، وطلب من ضابط الاتصال الكتائبي بأن يلتحق بالمركز الامامي لقيادة الفرقة ، وان يكون تحت امرة الجنرال يارون ٠ وفي خلال الاجتماع ابلغ ايتان قياديي الكتائب بأن القوات الاسرائيلية ستطوق مخيمي صبرا وشاتيلا ٠ اما القتال في المخيمين ذاتهما فيقع على عاتق القوات اللبنانية ٠ كما ابلغهم ايتان ايضاً ان وزير الدفاع الاسرائيلي ارييل شارون موافق على هذه الخطة ٠ وبعد ان انتهى الاجتماع ذهب ايتان الى مركز القيادة المتقدم ، الذي يقع على سطح مبنى مؤلف من خمسة طوابق ، يبعد نحو مائتي متر جنوبي غربي مخيم شاتيلا ٠ ويمكن للواقف على سطح المبنى ان يشاهد بسهولة ما يجري في مخيمي صبرا وشاتيلا ٠

يقع مخيم شاتيلا على ارض مربعة تقريباً طول ضلعها ٥٠٠ متر ٠ اما مخيم صبرا فطولة ٣٠٠ متر ، وعرضه ٢٠٠ متر ٠ ويبلغ عدد السكان المدنيين في مخيمات اللاجئين في بيروت الغربية (برج البراجنة ، الفاكهاني ، صبرا وشاتيلا) حوالي ٨٥ الف نسمة ٠

وقد ادى الغزو الاسرائيلي الى هجرة معظم هؤلاء السكان . وعندما توقف القتال بدأت حركة العودة الى المخيمات . وكان يوجد في مخيم صبرا في اواسط ايلول/ سبتمبر ١٩٨٢ حوالي ٥٦ الف نسمة .

وفي صباح يوم الاربعاء ٩/١٥ وصل شارون الى مركز القيادة المتقدم، حيث التقى برئيس الأركان الذي ابلغه ما اتفق عليه مع قادة الكتائب ، وبخاصة خطة دخول القوات اللبنانية الى المخيمين . وقد كرر شارون موافقته على ذلك ، واتصل برئيس الوزراء مناحيم بيغن ليطلعه على الموقف في بيروت والعمليات المنتظرة ، واتفق معه على اصدار بيان باسم قيادة الجيش هذا نصه .

« عقب مقتل الرئيس المنتخب بشير الجميل دخلت قوات جيش الدفاع الاسرائيلي الى بيروت الغربية الليلة ، لتجنب حصول احتمالات خطيرة ولحفظ الهدوء » .

بعد ذلك ، انتقل شارون الى المركز الرئيسي لحزب الكتائب ، حيث اتفق الجانبان ، شارون وقادة الكتائب ، على تنفيذ الخطة حسب التفصيلات التي تم وضعها مع ايتان .

وقبل ان تأزف ساعة تنفيذ الخطة ، التقى قادة القوات اللبنانية ، حوالي قبل ظهر الخميس ٩/١٦ ، بالجنرالين دروري ويارون في احد مقرات القيادات العسكرية الاسرائيلية . واتفق الجانبان على ان تدخل مجموعة من القوات اللبنانية ، مؤلفة من ١٥٠ مقاتلاً ، الى المخيمين من الجنوب الى الشمال ، ومن الغرب الى الشرق . وقدم يارون الى قادة القوات اللبنانية أخر المعلومات عن الوضع داخل المخيمين .

اقام يارون عدة مراكز مراقبة على سطح مركز القيادة المتقدم وعلى سطح مبنى اخر قريب . وتم تخصيص ضابط اتصال كتائبي لكل مركز مراقبة . وكان ضباط الاتصال هؤلاء مرتبطين بالياس حبيقة الذي اقام مركز قيادته في المركز الرئيسي للمزاقبة .

كانت التعليمات الاخيرة التي تلقاها دروري من شارون تشير الى ان قيادة جميع العمليات المشتركة بين القوات الاسرائيلية والقوات اللبنانية يجب ان تكون منوطة ، حصراً ، بالقيادة الاسرائيلية ، وان القوات اللبنانية هي المكلفة بالدخول الى المخيمين ضمن اطار المساعدات والتسهيلات والحماية التي يتوجب على القوات الاسرائيلية ان توفرها وتقدمها الى القوات اللبنانية .

دخلت القوات اللبنانية الى المخيمين في الساعة ١٨ر٠٠ من يوم الخميس ٩/١٦ ، مستعينة بالاضاءة التي قدمتها ، في بادىء الامر ، الطائرات ومدافع الهاون التي اطلقت بصورة متتالية ، قنابل الاضاءة . ثم توقفت الطائرات عن تزويد العملية بالاضاءة ، واقتصر الامر على مدافع الهاون . وكان الجنرال دروري ، خلال مرحلة اجتياح المخيمين ، يراقب العملية من سطح مركز القيادة المتقدم .

وفي اثناء تنفيذ العملية ، حيث كانت القوات اللبنانية تبيد اللاجئين الفلسطينيين في المخيمين ، بكل ما في الوحشية والبربرية والحقد من معان ، تلقى ضابط الاتصال الكتائبي مخابرة لاسلكية من احد قادة القوات اللبنانية في المخيمين ، يقول له فيها انه امسك بخمسة واربعين

شخصاً ، ويسأل ماذا يفعل بهم . فأجابه ضابط الاتصال « اعمل بمشيئة الله » . وتلقى ايضاً الياس حبيقة مخابرة ثانية من قائد اخر ، يخبره فيها ان لديه خمسين امرأة وطفلاً ، فماذا يفعل بهم . فأجابه حبيقة « أنها المرة الاخيرة التي تسألني فيها سؤالاً كهذا . انك تعلم تماماً ماذا عليك ان تفعل » .

ومن بين الوقائع التي تثبت وحشية المجرمين القتلة وبربريتهم وحقدهم ، هجومهم على مستشفى غزة في مخيم صبرا . فقد اجتاحوه في الساعة الخامسة من صباح السبت ٩/١٨ ، واقتادوا جميع من فيه من اطباء وممرضات وعاملين ومرضى الى خارجه ، ثم قتلوهم جميعاً باستثناء من ليسوا فلسطينيين منهم . اما المرضى الذين لم يستطيعوا المشي فقد قتلهم الغزاة وهم في اسرتهم .

لقد اوضح وزير الاقتصاد الاسرائيلي الهدف من تخريب مخيمات اللاجئين الفلسطينيين وتدميرها في لبنان ، فقال : « ان اسرائيل لا تريد اعادة بناء المخيمات حتى لا تعود مجدداً مراكز للارهاب .. وان اسرائيل رفضت اقتراحاً لبنانياً لبناء مخيم دائم لاقامة اللاجئين الفلسطينيين بين صيدا والدامور يضم اللاجئين الموجودين في لبنان جميعهم ، وكان سبب رفض اسرائيل لهذا الاقتراح هو رغبتها في ان يغادر اللاجئون جميعهم ارض لبنان . ان اسرائيل تريد ان ينتقل الفلسطينيون الى الدول العربية الاخرى ، حيث يذوبون في المجتمعات العربية ، ولا يسمح لهم مجدداً بان يكونوا قضية سياسية تستخدم ضد اسرائيل . ان مشكلة اللاجئين ليست

كبيرة ، اذ يكفي ٢٥ بالالف من دخل النفط العربي لحلها »[١] .

لقد اثارت جريمة اسرائيل في صبرا وشاتيلا غضب العالم كله ، من طوكيو حتى واشنطن ، مروراً بالارض المحتلة ذاتها ، وارتفعت صرخات الاستنكار على ما حدث في لبنان من قبل زعماء العالم وقادته ، واجتاحت التظاهرات الاحتجاجية عواصم العالم ومدنه . ملايين البشر هزت ضمائرهم الجريمة المروعة ، فانطلقوا بحماسة يعبرون عن شجبهم لاساليب الكيان الصهيوني البربرية . فلماذا حظيت جريمة اسرائيل في صبرا وشاتيلا بهذا الاهتمام في حين صمت العالم عن جرائم اسرائيل الاخرى طوال فترة اجتياح الكيان الصهيوني للبنان ؟ وهل هناك ثمة فارق بين اعمال الابادة بالاسلحة الفردية ، واعمال الابادة بالقصف المنظم باسلحة الدمار الأمريكية الجماعية؟ ألم يكن الضحايا في الحالين هم الاطفال والنساء والشيوخ ؟ ام ان صبر العالم وتحمله قد وصلا الى الحد الذي تجاوز قدرته في الصبر والاحتمال ، فجاءت مذبحة صبرا وشاتيلا لتفجر الغضب كله ؟ وعلى كل حال فان انصار اسرائيل لم يجدوا وسيلة لمجابهة الغضبة العالمية ، فتظاهروا بالغضب ، واخذوا في الصراخ والعويل على الضحايا ، غير ان ذلك لم يمنع الولايات المتحدة واسرائيل من الوقوف ضد قرار الادانة الذي اتخذته الجمعية العامة للامم المتحدة في جلستها يوم ١٩٨٢/٩/٢٤ ، وهو القرار الذي جاء تأكيداً لقراري مجلس الامن ٥٠٨ و ٥٠٩ للعام ١٩٨٢ ، اللذين طالبا اسرائيل بالانسحاب فوراً من لبنان ، واكدا مجدداً المبدأ الاساسي بعدم جواز الاستيلاء على الاراضي

(١) جريدة السفير البيروتية ، ١٩٨٢/٨/٣ .

بالقوة . وكان من النتائج المباشرة للمذبحة ان عادت القوات متعددة الجنسيات الى بيروت يوم ٢٤ ايلول « سبتمبر » ١٩٨٢ ، واخذت على عاتقها حماية الامن فيها .

هذا وقد ادلى وزير الدفاع الاسرائيلي ارييل شارون بخطاب القاه في الكنيست يوم ١٩٨٢/٩/٢٢ م ، تضمن تقريراً حول ما جرى في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في بيروت[1] جاء فيه :

(١) لقد دخلت قوات حزب الكتائب الى منطقة مخيم شاتيلا من ١٦ الى ايلول سبتمبر عام ١٩٨٢ ، وقامت قوات جيش الدفاع الاسرائيلي بوقف اعمال قوات الكتائب يوم الجمعة الواقع في ١٧ ايلول في ساعات الظهر ، اثر ورود شائعات حول ما وقع في المخيم . وقد انسحبت قوات الكتائب من المنطقة بشكل تام يوم السبت ١٨ ايلول سبتمبر في ساعات ما قبل الظهر .

(٢) اتخذ قرار بعد مقتل بشير الجميل بأن تقوم قوات جيش الدفاع الاسرائيلي بالسيطرة على الاماكن الرئيسية في بيروت الغربية . وكان الامر يقضي بأن تسيطر قوات القيادة الشمالية على الاماكن الرئيسية في غربي بيروت . وقد اتخذ هذا الامر في الساعة (٣٠ر٠٠) من يوم ١٥ ايلول سبتمبر .

(٣) بدأ تنفيذ هذه العملية في الساعة (٠٠ر٥) من يوم الاربعاء ١٥ ايلول سبتمبر . وانتهت يوم الخميس ١٦ ايلول في ساعات

(١) معاريف ، ١٩٨٢/٩/٢٣ .

الظهر . وجرى التأكيد خلال ذلك على الامتناع عن الحاق الاصابات بالاهالي والممتلكات . وبالفعل لم تقع تقريباً اصابات بالاهالي والممتلكات .

(٤) تضمن الامر الذي صدر الى القيادة الشمالية بخصوص السيطرة على بيروت الغربية ما يلي : يحظر الدخول الى مخيمات اللاجئين . اما عمليات التمشيط والتطهير فيجب ان تجري على ايدي قوات حزب الكتائب ، او قوات الجيش اللبناني .

(٥) في يوم الاربعاء ١٥ ايلول سبتمبر ١٩٨٢ ، وبعد مقتل بشير الجميل وفي الساعة (٠٣٫٣٠) عقد لقاء مع قيادة حزب الكتائب اشترك فيه رئيس الاركان العامة لجيش الدفاع الاسرائيلي وقائد المنطقة الشمالية ، وقد جرى التداول خلال ذلك حول النشاطات التي قامت بها هذه القيادة بخصوص الاحداث ودخول قوات جيش الدفاع الاسرائيلي الى بيروت الغربية ، كما جرى الحديث بشكل مبدئي حول دخول قواتها (قوات الكتائب) الى المخيمات .

(٦) وصلنا بعد ظهر الاربعاء ١٥ ايلول سبتمبر الرد السلبي المطلق من الجيش اللبناني ، بخصوص طلبنا القاضي بدخول قوات هذا الجيش الى مخيم اللاجئين .

(٧) حدث في مساء الاربعاء ان التقى قائد المنطقة الشمالية ، مع قائد قوات الكتائب ، ومع العقيد ميشال عون قائد القوة اللبنانية العاملة في بيروت (تابعة للجيش اللبناني) حيث الح قائد

المنطقة الشمالية على وجوب اقناع القيادات السياسية اللبنانية بالموافقة على قرار دخول القوات اللبنانية الى المخيمات الفلسطينية .

(٨) بعد دراسة الموضوع ، قال العقيد ميشال عون بأن الامر غير ممكن كما قال ان رئيس الحكومة اللبنانية ، شفيق الوزان قد قال له خلال لقائه به بآن عليه ان يفتح النار على القوات الاسرائيلية التي دخلت بيروت الغربية ، وانه هدده بتقديمه الى المحكمة امام محكمة عسكرية .

(٩) وفي يوم الخميس ١٦ ايلول سبتمبر رد الجيش اللبناني رداً سلبياً على امكانية دخول قواته الى المخيمات الفلسطينية .

(١٠) وفي ساعات الظهر من يوم الخميس ١٦ ايلول سبتمبر عقد لقاء بين قائد المنطقة الشمالية وقائد قوات الكتائب ، وتركز الحديث والبحث خلاله على مواضيع مختلفة . وفي ساعات ما بعد الظهر من اليوم ذاته ، عقد لقاء بين قائد الفرقة العاملة في المنطقة ، وبين ممثل القوات الكتائبية بهدف التنسيق لدخول قوات الكتائب الى مخيم شاتيلا .

(١١) وكان الاتفاق العام ينص على ان تقوم قوة عسكرية بالدخول الى مخيم شاتيلا من ناحيتي الجنوب والغرب بهدف تمشيطه من الفدائيين وتطهيره . وقد جرى التأكيد خلال اللقاءات التنسيقية على ان العملية هنا هي ضد الفدائيين ، وانه يتوجب الامتناع عن

المس بالاهالي المدنيين وبصورة خاصة النساء والاطفال والشيوخ .

(١٢) دخلت قوة كتائبية الى مخيم شاتيلا في ليل ١٦ — ١٧ ايلول سبتمبر وطلبت من قواتنا تقديم الانارة لها من مدافع الهاون عيار ٨١ ومن الطائرات ، وفي مرحلة معينة ، وقد اعطيت لها هذه الانارة ، ثم اوقفت عنها .

(١٣) قامت الكتائب في يوم ١٧ ايلول بحشد قوة عسكرية شملت قوات من المشاة والدروع بهدف الاستمرار في عملية التطهير داخل المخيمات .

(١٤) قامت قوات جيش الدفاع الاسرائيلي بمنع دخول هذه القوة لتنفيذ مآربها .

(١٥) في الساعة ١١،٠٠ من ظهر يوم الجمعة ١٧ ايلول سبتمبر ، التقى قائد المنطقة الشمالية مع قائد الفرقة ، حيث اعرب قائد الفرقة عن مخاوفه من الطابع الذي كانت تحمله عملية قوة الكتائب . وفي ذلك الحين لم يكن يعرف شيء بشأن ما كان يجري في مخيم شاتيلا . وقد امر قائد المنطقة الشمالية بوقف عملية الكتائب فوراً وذلك عن طريق توجيه الامربوساطة ضابط الارتباط التابع لقوات الكتائب والذي كان موجوداً في مجموعة القيادة .

(١٦) في الساعة ١٦،٣٠ من يوم الجمعة ١٧ سبتمبر ، عقد لقاء مع قيادة الكتائب ورئيس الاركان العامة وقائد المنطقة الشمالية حيث

تم الاتفاق فيه على ان تقوم القوة الكتائبية بكاملها بمغادرة مخيم اللاجئين في صباح اليوم التالي ، كما جرى الاتفاق على عدم ادخال اية قوة اضافية الى المخيمات . وخلال هذا اللقاء لم يكن يعرف ماذا وقع من احداث داخل مخيم شاتيلا .

(١٧) في ساعات الصباح من يوم الجمعة ١٨ ايلول سبتمبر خرجت قوات الكتائب من منطقة المخيمات الفلسطينية ، وعند ذلك بدآت الانباء تتوارد عن الاحداث التي وقعت داخل مخيم شاتيلا ، وعندها امر قائد المنطقة الشمالية بدخول القوات الاسرائيلية الى مخيم الفاكهاني ، ثم دخلت قوات اسرائيلية الى مخيم صبرا قبل الظهر من يوم الاحد ١٩ ايلول سبتمبر بهدف الدفاع عن الاهالي وتهدئة خواطرهم . وقد استقبل هؤلاء الاهالي القوات الاسرائيلية بالترحاب ، كما اصدر قائد المنطقة امراً لقواته بعدم الدخول الى مخيم شاتيلا حتى لا يرتبط اسمها بالاحداث التي وقعت هناك ، مع العلم انه كان قد ورد بلاغ رسمي من الجيش اللبناني في مساء يوم الجمعة ١٧ ايلول سبتمبر بعد جلسة عقدتها القيادة السياسية اللبنانية وتضمن البلاغ : بأن قوات الجيش اللبناني لن تدخل المخيمات الفلسطينية .

قد يكون من غير المتوقع لتقرير يكتبه وزير دفاع اسرائيل في محاولة لتبرئة نفسه من الجريمة ان يتضمن اكثر مما تضمنه ، وهو تقرير مفيد في

كل الاحوال من حيث ما ورد فيه من معلومات بشأن مراحل التنفيذ .

٤ ـــ ادانة الجريمة :

قال الرئيس حافظ الاسد في معرض تعليقه على جرائم اسرائيل :
« ان المجازر الاسرائيلية في لبنان لن تمر ، طال الوقت ام قصر ، دون عقاب عادل ، ولن يعزي الجماهير العربية والبشرية جمعاء الا ان ينال الاسرائيليون جزاءهم العادل .. ان اسرائيل مسؤولة مسؤولية تامة عن حلقات المجازر التي حدثت في لبنان ... تريد ان تدفع اللبنانيين والفلسطينيين في بيروت الغربية وفي غير بيروت الى الاقتتال لتحقق مزيداً من سفك الدماء . ان اعمال اسرائيل هذه لن تزيدنا الا احتقاراً لها وتمسكاً وتصميماً وثقة بالنصر لا حدود لها . اننا نسير على طريق طويل ، ولا نشعر بالتعب . سنسير حتى نهاية الطريق حيث سننتصر في نهايته على الغزاة الصهيونيين وحوش هذا العصر . انها فترة حرجة يبرز فيها العدوان بأجلى مظاهره ، وترتكب اسرائيل ابشع الأعمال التي عرفها تاريخ الانسان : تقوم بالاعتداء على القرى والمدن والمخيمات ، ترتكب المجازر ضد الشيوخ والنساء والاطفال ، وهي تظن وتعتقد ، بصلفها ، ان هذا كله سيمر دون ثمن ، وهي تبغي من ورائه ان تلقي الرعب في نفوس الجماهير الفلسطينية والعربية . وقادة اسرائيل الذين ليسوا الا عصابة ارهابية ، لم يحسنوا قراءة الماضي ، ولم يحسنوا قراءة الحاضر ، وبالتالي لن يحسنوا قراءة المستقبل ، والا لادركوا ان الجماهير العربية والفلسطينية من

ضمنها ، لا تخاف ولا تخوف ، ولادركوا انهم عاجلاً امَ أجلاً ، سيدفعون ثمن وحشيتهم هذه ، وسيندمون حيث لا ينفع الندم »[1] . واعلن الملك فهد ملك المملكة العربية السعودية غضبه على المذبحة بقوله :« سيتم الانتقام للمذبحة التي وقعت في مخيمات اللاجئين ، بشكل من الاشكال . اننا نطلب السلام باعتبارنا مسلمين ، ولكن عندما يمتهن الشرف وتداس الكرامة ، يصبح لزاماً الانتقام لذلك . لا اقول كيف او متى ، غير ان الانتقام آت ، وسيكون هناك ثأر[2] » .

وفي تعليق رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، جاء ما يلي :

« لقد ارتكبت اسرائيل هذه المجزرة التي ذهب ضحيتها ٣٢٩٧ شهيداً من النساء والاطفال والشيوخ ، منهم ١٠٩٧ شهيداً في مستشفى غزة و ٤٠٠ شهيد في مستشفى عكا ، و ١٨٠٠ شهيد في شوارع وازقة المخيمين . وكان شارون وبيغن يتمنيان اقتحام هذين المخيمين بالذات ، صبرا وشاتيلا ، لانهما كانا مخيمي القيادة الفلسطينية عندما كنا هناك ، لكن شارون اثبت بهذه المجزرة أنه جبان . لقد حاول وجرب مراراً ان يقتحم بيروت الغربية ونحن فيها ، ولكن قواته كانت ترد على اعقابها بفضل صمود ابطالنا .. لقد حاول شارون وقواته سبع عشرة مرة ان يقتحم

(١) جريدة الانوار البيروتية ، العدد ٧٨٠٢ تاريخ ١٩٨٢/٩/٢٣ ، وقد القى الرئيس حافظ الاسد كلمته هذه بمناسبة استقباله للسفير البرازيلي في دمشق .

(٢) مجلة تايم الاميركية ، العدد ٤٠ ــ ٤ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٨٢ ، ص ١٠ ./

بيروت الغربية ، خلال الايام الاخيرة من معارك بيروت ، ولكن ابطال المقاومة تصدوا له وجعلوه يدفع الخسائر الفادحة بامكاناتهم المحدودة بينما هو لم يترك اي نوع من انواع الاسلحة الحديثة التكنولوجية وغيرها ، والتي اعطيت له من الولايات المتحدة الا وجربه على ارض لبنان .. كان الاتفاق الخطي مع القوات متعددة الجنسية وفيليب حبيب ينص على ان يجري التشاور بيننا وبين الحكومة اللبنانية اذا ما تقرر انهاء عمل هذه القوات ، لكنها فاجأتنا بالانسحاب قبل اسبوعين من الموعد المحدد ، وتركت بيروت للجيش الاسرائيلي لكي يرتكب المجزرة . لقد انسحبت هذه القوات ، بعد ان قالت ان الجيش اللبناني قد انتشر في بيروت الغربية ، وانه دخلها حتى ينزع السلاح من ايدي القوات الوطنية اللبنانية ، ولكي يقف متفرجاً امام اقتحام القوات الاسرائيلية لعاصمته . لقد كان كل شيء معداً مدبراً بشكل اكثر حقداً ، ولكني اريد ان اقول لهم ولشارون وبيغن ان ابناء شعبنا سيبقون صامدين ما دام هناك شبل فلسطيني وما دامت هناك امرأة فلسطينية تلد اشبالاً وابطالاً . اني اؤكد هنا ان دماء الشهداء في صبرا وشاتيلا لن تذهب هدراً ، واحب ان اقول لشارون : نحن وانت والزمن طويل »[1] . ان هذه الاقوال تؤكد انه لا بد من الثأر ، ومن الانتقام وقد صدرت مثلها مقولات كثيرة لبقية الزعماء العرب ولزعماء العالم . وقد طالبت هيئات دولية كثيرة باجراء محاكمات ، مثل محاكمات نور مبرغ ، لانزال العقاب العادل بمرتكبي المجزرة والمسؤولين عنها .

(١) مجلة المستقبل ، العدد ٢٩٢ — ٢٥ ايلول/ سبتمبر/١٩٨٢ ، ص ٣٠ — ٣١ .

لقد وقعت اخطاء ، وليست جرائم ، في عدد من دول العالم ادت الى استقالة حكامها او حتى تغيير في انظمتها . وهنا تقع جريمة ابادة شعب بطريقة منظمة ويبقى الكيان الصهيوني غير مبال بادانة المجتمع الدولي له ، ولا مكترث بغضب الرآي العام العالمي ، بفضل ما يتوافر له من الدعم الامريكي ، فهل يعني ذلك ضياع الجريمة ؟ ان العقاب العادل لا بد وان يصل الى المجرمين ، وقد يكون ذلك هو العامل الاساسي الذي دفع الكيان الصهيوني الى اظهار غضبته على الجريمة . انه الخوف من العقاب العادل . وقد يكون هذا السبب ذاته هو الذي دفع المسؤولين في الغرب والولايات المتحدة الى الصراخ مع الصارخين ضد الجريمة ، وليس ضد مرتكبيها . ولقد برهنت التجربة التاريخية في مرات اكثر من ان تحصى ، بأن العقاب العادل لا بد وان يطال المجرمين ضد الانسانية وسيبقى دم الشهداء مناراً يستصرخ الضمائر للانتقام والثأر ، ولن تكون هناك حاجة عندها لمعرفة المسؤول عن الجريمة ، اذ سيطال العقاب الحق اياً من اولئك الذين اوغلوا في دماء الابرياء .

الفصل الحادي عشر

استمرار الحرب بأشكال اخرى

ـ المقدمة .

١ ـ الغزاة ومخطط صراع الطوائف .
٢ ـ بوادر الوحدة الوطنية ومشروع بيروت الكبرى .
٣ ـ حول الانسحاب من لبنان .

أ ـ الموقف الاسرائيلي من الانسحاب .
ب ـ الموقف الامريكي الداعم لاسرائيل .
ج ـ الموقف السوري والتوتر في البقاع .
د ـ الموقف اللبناني .
هـ ـ الموقف الفلسطيني .
و ـ الموقف العربي .

مقدمة

شكلت عملية الغزو الاسرائيلي للبنان نقطة تحول اساسية في مسار الصراع العربي ـــ الصهيوني ومستقبل السلام في المنطقة العربية وفي العالم . وتحت تأثير وقائع الغزو ونتائجه ظهرت مستجدات ومتحولات هامة ذات طابع ايديولوجي او سياسي او عسكري . ولكي توضع نتائج الغزو في اطارها الموضوعي الصحيح ، لا بد من ربطها بمنطلقاتها واهدافها وما اراد المعتدون الاسرائيليون وحلفاؤهم تحقيقه من خلال العمل العسكري .

لقد اعلن رئيس وزراء اسرائيل بيغن قبل ساعات من مغادرته الى الولايات المتحدة في ١٩٨٢/٦/١٦ « ان اسرائيل والولايات المتحدة متفقتان على انه لا عودة الى الوضع الذي كان سائداً في لبنان قبل عملية السلام للجليل »[1] ومع اكتمال عملية التطويق العسكري الاسرائيلي لبيروت اعلن بيغن في واشنطن : « ان اسرائيل التي اعلنت اعتزامها تحقيق

(١) فاينتشال تايمز ، ١٩٨٢/٦/٨ .

كامل اهدافها في لبنان ستمنح ـــ في اطار زيادة التعاون الاستراتيجي مع الولايات المتحدة ـــ الرئيس ريغان ، الفرصة لتحقيق الاهداف الامريكية ايضاً ، وفي مقدمة هذه الاهداف ، التكريس الواقعي للدور الامريكي المنفرد ، ليس في معالجة الازمة اللبنانية فحسب ، وانما في معالجة ازمة المنطقة ايضاً »[1] . وذكرت صحيفة فايننشال تايمز البريطانية : « ان هدف الغزو يتعدى الهدف المعلن بابعاد الفدائيين مسافة اربعين كيلو متراً عن الحدود ، وان الهدف الاساسي تحقيق فكرة شارون بإقامة دولة فلسطينية في شرقي الاردن يمكن ان تستوعب الفلسطينيين الذين يتم طردهم من الضفة الغربية مستقبلاً » .

على اية حال ، فان اهداف الغزو اخذت « بتطور » ليس فقط عن طريق استغلال ما تعتبره اسرائيل امراً متصلاً بأمنها مثل « إخراج القوات السورية والفلسطينية من لبنان » بل باعلان اعتزامها التدخل في الشؤون اللبنانية المنبثقة من صميم مفاهيم السيادة والاستقلال مثل « إقامة حكومة قوية مستقرة في لبنان » .. ويبدو واضحاً ان تطور اهداف الغزو وتعددها يهدفان الى « ترتيب » اوضاع لبنان والمنطقة على اساس ما نص عليه اتفاق التعاون الاستراتيجي بين الولايات المتحدة واسرائيل . وفي تقرير دبلوماسي ورد الى احد المسؤولين اللبنانيين بعد ايام قليلة من محاصرة القوات الاسرائيلية لبيروت صورة جلية لمجريات الاحداث على الساحة اللبنانية . فقد جاء في ذلك التقرير « ان اسرائيل قامت بعمل عسكري

---

(١) مجلة الاسبوع العربي ، ١٩٨٢/٦/٢١ .

ضخم يهدف تنفيذ سياسة امريكية في المنطقة لانه بعد استكمال الانسحاب الاسرائيلي من سيناء في ٢٥ نيسان (ابريل) ١٩٨٢ وبعد ما كان لاتفاقيات كامب ديفيد .من انعكاسات في المنطقة كان لا بد من حصول صدمة كهربائية تحدث زلزالاً وتخلط الاوراق . وعندها تتمكن الولايات المتحدة من الولوج الى المنطقة بطرح سياسي جديد تعززه العمليات العسكرية المفترض حصولها بعد هذه الصدمة »[١] .

ولئن كان غزو لبنان هو اول تطبيقات اتفاقية التعاون الاستراتيجي بين الولايات المتحدة واسرائيل ، التي تم التوصل اليها في اواسط ايلول (سبتمبر) ١٩٨١ ، والتي سهلت ، بعد عملية الغزو اقامة وجود عسكري امريكي في لبنان ، الا انه لا يمكن الافتراض بان اقامة ذلك الوجود العسكري الامريكي هو نهاية الاهداف الاستراتيجية الامريكية . فلقد اشار ارييل شارون وزير الحرب الاسرائيلي ، في حديث ادلى به الى التلفزيون الاسرائيلي يوم ١٩٨٢/٦/١٧ ، انه بحث خلال الزيارة التي قام بها لواشنطن في شهر ايار (مايو) ١٩٨٢ « القيام بعملية عسكرية اسرائيلية واسعة النطاق في لبنان » وقال : « ان ما اعلن في حينه هو ان البحث كان حول الحرب العراقية الايرانية ، لكن الحقيقة هي ان القضية كانت جانبية واثيرت من قبل الولايات المتحدة بشكل هامشي ، وان البحث الاساسي كان « عملية السلام للجليل » .. ان هذه العملية تهدف الى القضاء على (المخربين) الفلسطينيين والى فرض تسوية امريكية

(١) الاسبوع العربي ١٩٨٢/٦/٢١ .

اسرائيلية على منطقة الشرق الاوسط .. لقد بحثت مع المسؤولين الامريكيين ، السلام المطلوب بعد تنفيذ هذه العملية »[1] .

ولقد أكد الاسرائيليون اكثر من مرة ان تصفية الثورة الفلسطينية كان في مقدمة اهداف غزوهم للبنأن ، على اعتبار ان تحقيق ذلك يضمن امن مستعمراتهم في شمالي فلسطين . والحقيقة ان رغبتهم في ضرب منظمة التحرير الفلسطينية عسكرياً وسياسياً ، كانت تنبع من مخطط واسع لابتلاع الاراضي المحتلة من فلسطين في العام ١٩٦٧ . ويرى احد التقارير في « فورين بوليسي » ان حرب لبنان كانت من اجل الضفة الغربية ، ذلك انه ما ان اجتاح الاسرائيليون لبنان حتى باتوا ولو لوهلة واحدة ، وكأنهم اغلقوا العالم السياسي دون الضفة الغربية وما يمت اليها بصلة ، فافهم العالم بأنه بالقوات الاسرائيلية والاسلحة الامريكية قام شرق اوسط جديد[2] تماماً مثلما كان يأمل رئيس الادارة المدنية السابق في الضفة مناحيم ميلسون ، الذي قال « ان هزيمة تنزل بمنظمة التحرير في لبنان لقمينة بان تقسر الفلسطينيين في الضفة الغربية على القبول بالحدود الدنيا »[3] .

ويبدو ان ضم الضفة الغربية وقطاع غزة لا يشكل هدفاً توسعياً مرحلياً وانما يراهن على مخطط استراتيجي كبير يأمل الصهيونيون تنفيذه من خلال غزو لبنان وهو بلقنة المنطقة ولئن لم يعرف بعد ما اذا كانت

---

(١) جريدة تشرين ١٩٨٢/٦/١٨ .

(٢) دراسات فتح عدد ١٩٨٢/١١/٢ .

(٣) دراسات فتح عدد ١٩٨٢/١١/٢

الولايات المتحدة شريكة في هذا المخطط ، الا انه من المعروف ان مدير مكتب الامن القومي الامريكي السابق زبغنيو بريجنسكي ، قد كشف في كتابه « العالم بين عصرين » عما يفيد وجود خطط استراتيجية امريكية لبلقنة العالم كله .

١ ـ الغزاة ومخطط صراع الطوائف

لم يكن من المستغرب ان يستغل الصهيونيون ، منذ اليوم الاول لاجتياح لبنان ، الوضع الطائفي فيه لاطالة امد احتلالهم وغزوهم وتثبيت الواقع الحالي ، ولتبرير وجودهم العنصري في فلسطين ، باعتبار ان المنطقة هي «منطقة طوائف دينية .. ذلك ان المشروع الصهيوني في لبنان يتوسل في جوهره بأهواء الطائفية وانقساماتها »(١) بل ويختزل المنطقة « الى مجموعة من الطوائف والديانات والجماعات الاثنية »(٢) من اجل تبرير وجوده العنصري في فلسطين .

كان اول ما سعت اليه اسرائيل على هذا الصعيد هو البحث عن منطقة لم يتفجر فيها « صراع الطوائف » ابان الحرب الاهلية اللبنانية وذلك من اجل ان تكون نقطة اشتعال تحرق جميع الطوائف . وكان الشرط الاسرائيلي المطلوب في تلك المنطقة شحنة كبيرة من تراكمات الاحقاد ونقاط تماس متداخلة تجعل الصراع شاملاً في المنطقة كلها . لذلك عمدت الى

(١) ظلال الجحيم : عن « فورين بوليسي » ذكرتها دراسات فتح عدد ١٩٨٢/١١/٢ .

(٢) المصدر السابق .

منطقة الشوف واخذت تثير الخلافات وتبذر الشكوك وتؤجج الصراعات .

وبدأت الاحداث الدامية عندما اخرجت قوات الغزو الاسرائيلي قوة من الجيش اللبناني من ثكنة بيت الدين في اواسط ايلول (سبتمبر) ١٩٨٢ ، وقد حذر عدد من المسؤولين ورجال السياسة اللبنانيين من النتائج التي يمكن ان تترتب على التأخير في اعادة القوة اللبنانية الى الثكنة[1] .

وكانت هناك اتهامات بأن عدداً من افراد حزب الكتائب قد حل محل قوة الجيش ، وبتدبير من قوات الغزو نفسها[2] . ولم تمض ايام قليلة حتى اشتعلت الفتنة وتأججت الصراعات الدامية وسقط عدد من القتلى والجرحى في عدد من القرى وعلى محاور مختلفة .

ويبدو ان قوات الغزو شجعت افراد حزب الكتائب وقياداته على اعادة فتح مكاتبه في منطقتي الشوف وعاليه ، كي يصبح بامكانها اثارة الفتن والنعرات الطائفية واشغال اللبنانيين بصراعات تلهيهم عن الالتفات الى معالجة الاحتلال الاسرائيلي . في ذلك الوقت حذر رئيس الوزراء اللبناني شفيق الوزان من مخططات العدو ، ونبه الى الاسباب التي منعت هذا العدو من السماح لوحدات الجيش اللبناني بدخول مناطق الاشتباكات . وقال الوزان « ان العدو يعرف اين يضرب ، فمنطقة الشوف كانت هادئة في كل ظروف الاحداث عندما كان الخصام على

(١) النهار العربي والدولي ١٩٨٢/١١/١٥ .

(٢) مجلة الافكار ، ١٩٨٢/١٠/٢٥ .

اشنده بين زعمائها ، اما اليوم فهي مشتعلة في ظل وفاق زعمائها ، وقد اعد الجيش اللبناني نفسه لدخول المنطقة لكن دخول الجيش أو سواه غير ممكن في ظل احتلال آخر . فالقوة المتعددة الجنسيات دخلت بيروت بعد تحقيق الانسحاب الاسرائيلي ، وكذلك الامر بالنسبة الى المنطقة الشرقية .. والآن ليس في الشوف امن لبناني على وجه الاطلاق ، هناك تدخلات ويد غريبة تعمل على اثارة الفتنة »[1] .

وكان واضحاً ان الاصابع الاسرائيلية لم تكن تعمل فقط على اثارة الصراع في منطقتي الشوف وعاليه بين الحزب التقدمي الاشتراكي وحزب الكتائب بل بين الطائفتين المارونية والدرزية . فقد اعلن وليد جنبلاط زعيم الحركة الوطنية والحزب التقدمي الاشتراكي : « ان اسرائيل تتحمل مسؤولية الفتنة في منطقة الشوف » مشيراً الى ان هناك فريقاً ثالثاً يعمل على تأجيج الفتنة دون علم القيادة المسؤولة وانه لا يمكن معالجة الامر ، الا اذا سيطرت السلطة الشرعية على المنطقة . واضاف : « نحن كقيادات ، نحاول تهدئة الوضع مع تأييدنا للشرعية ولكن هناك بعض الامور المشبوهة على ارض الواقع تتخطى القيادات » وطالب جنبلاط بادخال الجيش اللبناني الى منطقتي الشوف وعاليه « كي يأخذ دوره »[2] .

كانت خطة الغزاة الاسرائيليين للايقاع بين الطائفتين الدرزية والمارونية مدروسة باتقان . فبعد ان ساهمت ميليشيات حزب الكتائب في

---

(١) جريدة النهار ، ١٩٨٢/١١/١٩ .

(٢) جريدة تشرين ١٩٨٢/١١/١٠ .

محاصرة بيروت ، انزلت قواتها في منطقتي الجبل والشوف بحماية قوات الغزو . وقتها اعلن قادة الغزو عن اعتزامهم تجريد بيروت الغربية من السلاح بعد اجلاء المقاتلين الفلسطينيين ولكن دون ان يعلنوا اعتزامهم تجريد منطقة الشوف . بالرغم من وجود مسلحي الحزب التقدمي الاشتراكي في المنطقتين . وهنا ثارت الشكوك وطرحت التساؤلات حول مخطط الفتنة الاسرائيلي في الشوف . واعلنت الحركة الوطنية رفضها القاطع لتجريدها من السلاح وقال جنبلاط : «ان الحركة الوطنية لن تقبل سياسة الابتزاز والسيطرة والهيمنة الكتائبية على مناطق الجبل ، حتى في ظل الاحتلال .. ان الممارسات الكتائبية لن تترك مجالاً للحوار خاصة بعد المشاركة الرخيصة في اقامة الحواجز الامنية والعسكرية في منطقة الجنوب ، ومحاولتها الاستفادة من الاحتلال الاسرائيلي الى اقصى حد بل وتحريض قوات الاحتلال للقضاء على بيروت »[1] .

ولاحظت الحركة الوطنية ان المبعوث الامريكي فيليب حبيب كان يركز مداولاته السياسية الخاصة بـ « ترتيب الاوضاع اللبنانية » على نزع سلاح الحركة الوطنية بنفس تركيزه على اخراج المقاتلين الفلسطينيين من بيروت . وقد ردت الحركة على طلب حبيب بتسليم اسلحتها الى الحكومة اللبنانية وعلى موقفه المتمثل باستثناء الكتائبيين من ذلك : « ان هذا الطلب يستهدف تحقيق هيمنة الكتائبيين واننا سنقاتل من اجل تثبيت السلاح الوطني[2] » وقد اكد جنبلاط «ان سياسة الابتزاز والسيطرة التي

(١) جريدة تشرين ، ١٩٨٢/٧/٨ .

(٢) المصدر السابق .

تمارسها عصابات الكتائب في مناطق الجبل ، هي سياسة مرفوضة وسنقاومها بشدة » وحذر « بعض الاوساط » التي تحاول التعامل مع العدو الصهيوني بحجة طلب الحماية من الاستفزازات الكتائبية وقال : « ان ماضي وحاضر ومستقبل ابناء الجبل في لبنان هو مع امتهم العربية ، وان مصير الحركة الوطنية ومصير لبنان الموحد والمستقل هو من مصير الامة العربية »[1] .

ويبدو ان ترشيح قائد « القوات اللبنانية » بشير الجميل لمنصب رئاسة الجمهورية الذي كان معروفاً بتشدده ومواقفه الدموية المتطرفة ، قد زاد مخاوف الشارع الاسلامي والوطني بشكل عام ، والطائفة الدرزية بشكل خاص من ان يقوم بشير الجميل وحزبه بالاستيلاء على لبنان باعتباره « الوارث الاكبر » لقوات الاحتلال ، بعد ان تقوم هذه القوات بتدمير الفلسطينيين . وقد تضاعفت تلك المخاوف بعد انتخاب بشير الجميل رئيساً ، وكان لابد للشارع الاسلامي « من الإعداد للمواجهة الوطنية للعهد الجديد » حسب ماورد في البيان الذي اذيع في اعقاب اجتماع القوى الاسلامية والوطنية في اواخر آب (اغسطس) ١٩٨٢ . وقد عزت هذه القوى ذلك « الاعداد » الى « ان ممارسات حزب الكتائب في غضون الحرب التي مرت بها البلاد منذ عام ١٩٧٥ حتى اليوم وامتداداً الى الخلل الذي احدثه الاجتياح الاسرائيلي للبنان ، ان على صعيد العلاقات الداخلية ، او على صعيد صيغة التوازن التي تحكم

---

(١) المصدر السابق .

العلاقات بين الطوائف وترعاها منعاً لقيام اية طائفة او حزب بالاستئثار بمقاليد البلاد الاساسية ، هذه الممارسات لا يمكن تحت أي تبرير ان توجد حالة من الاطمئنان لدى المسلمين على المستويين الطائفي والسياسي »[1] .

ولقد سارت خطة اسرائيل في الشوف والجبل وفق خطين يتمثل اولهما في تشجيع الكتائب على فرض هيمنتهم في المنطقتين في حين يتمثل الثاني في تخويف الطائفة الدرزية من الطائفة المارونية والعمل على اقناع الزعماء الدروز باقامة كيان لهم « يزيل عنهم تلك المخاوف ويوحد ابناء الطائفة في كيان سياسي مستقل » .

والحقيقة ان فكرة إقامة هذا الكيان ليست جديدة . فقد نادى حزب العمل الاسرائيلي سراً باقامة هذا الكيان في هضبة الجولان كنواة تمتد ـــ فيما بعد ـــ الى بلدة حاصبيا في جنوبي لبنان . وتبنى هذه الدعوة اسرائيل غاليلي وييغال الون وقد عقد الاخير بين عامي ١٩٦٧ و ١٩٧٧ اي في السنوات العشر الاخيرة التي حكم فيها حزب العمل ، واعتباراً من الاحتلال الاسرائيلي لهضبة الجولان سلسلة لقاءات مع سكان الهضبة ، غير انه جوبه برفض قاطع من قبل وجهاء الطائفة ومشايخها .

بعد غزو لبنان بدأت اسرائيل باطلاق بالونات الاختبار وكان عضو الكنيست السابق جبر داهش معدي ، من اول الذين دعوا بيغن الى اقامة كيان درزي ، ولم يكن بعيداً عن الافهام ، الاستنتاج بان اسرائيل هي التي

---

(١) مجلة الكفاح العربي ، عدد ١٩٨٢/٨/٣٠ .

حثت معدي على اطلاق هذه الدعوة ، وذلك في نطاق الرهان على انها ستجد اذاناً صاغية ضمن ابناء الطائفة الدرزية في اسرائيل . غير ان مخطط التخويف والترغيب لم يحقق اغراضه ، بل اصطدم برفض درزي حازم . واذا كان وليد جنبلاط قد اعتبر من يسعى في اتجاه اقامة الكيان الدرزي بانه « حقير »[1] فان فيصل نجل الامير مجيد ارسلان اعلن ان الدروز يقفون ضد انشاء الدويلات الطائفية وضد طائفية التقسيم ، وانه قال للاسرائيليين : « ان هذا مشروع فاشل مثل الذي طرحه والذي يريد اقامة دولة درزية فليقمها في اسرائيل وليس هنا »[2] .

كما قام الشيخ محمد ابو شقرا بكشف الاسلوب الذي اتبعه ويتبعه الغزاة في تأجيج الفتنة بين الطائفتين الدرزية والمارونية بما يمكن — في نظرهم — ان يدفع الاولى الى طلب اقامة دولة فقال :

« الاسرائيليون يقولون لدروز المختارة وبعقلين وبيت الدين انهم جاؤوا لحمايتهم من المسيحيين . ويقولون لمسيحي دير القمر وعين زحلتا انهم جاؤوا لحمايتهم من الدروز »[3] .

بمثل هذه الاساليب اراد الاسرائيليون تفكيك الوطن اللبناني ومحاربة اللبنانيين باللبنانيين سواء ابان عملية الغزو ام بعد توقف القتال .

وتحت تأثير الأساليب ذاتها اندفع حزب الكتائب في مغامرته العسكرية لفرض الهيمنة في الجبل والشوف ، ونجمت عن ذلك موجة من

---

(١) مجلة المستقبل ، عدد ١٩٨٢/٧/١٧ .

(٢) مجلة الافكار عدد ١٩٨٢/١٠/٢٥ .

(٣) مجلة الافكار عدد ١٩٨٢/١١/١ .

العنف المتبادل تخللتها صدامات مسلحة وعمليات خطف وخطف مضاد ، استغلتها القوات الاسرائيلية للظهور بمظهر الطرف المنقذ وتبرير بقائها في لبنان لمنع ابنائه من الاقتتال فيما بينهم ، رغم تأكيد السلطة الشرعية في لبنان على ان السبيل الوحيد الى الاستقرار يمر عبر الانسحاب الاسرائيلي من المنطقتين المتوترتين والقاء مهام حفظ الامن فيهما على عاتق الجيش اللبناني وحده .

٢ ــ بوادر الوحدة الوطنية ومشروع بيروت الكبرى

اثر اغتيال الرئيس المنتخب بشير الجميل في ١٩٨٢/٩/١٤ ، والاحداث المأساوية التي اعقبت ذلك الاغتيال ، وفي مقدمتها : اجتياح الاسرائيليين لبيروت الغربية والضاحية الجنوبية ، ووقوع مذبحة صبرا وشاتيلا ، برزت الحاجة الماسة الى وحدة اللبنانيين لمواجهة مصيرهم ومصير بلادهم عبر مواجهة النتائج المذكورة . ولأن انتخاب رئيس الجمهورية يجري وفق ميثاق ١٩٤٣ غير المكتوب والذي يقضي بأن يكون الرئيس من الطائفة المارونية ، فقد تزايد الالحاح على ان يتمتع الرئيس الجديد بثقة المسلمين . وقد تقدم للترشيح لهذا المنصب ، امين الجميل نائب المتن الاعلى عن حزب الكتائب وكميل شمعون رئيس الجمهورية الاسبق ورئيس حزب الوطنيين الاحرار وريمون اده نائب جبيل المقيم منذ مدة طويلة في العاصمة الفرنسية باريس .

وبالرغم من ان امين الجميل هو شقيق بشير الجميل ويجمعهما

حزب واحد ، الا انهما كانا متباينين في نقاط ومواقف كثيرة . فالمعروف عن امين انه كان يتحلى بصفات كثيرة منها التعقل والمرونة والاعتدال ، ويؤمن دائماً بالحوار مع جميع القوى ، حتى ولو كانت ممن يخالفه الرأي[1] .

وقد اندفعت القوى السياسية والبرلمانية الاسلامية والوطنية نحو الاعلان عن تأييد ترشيح امين الجميل ، وعقدت مؤتمراً اتفق فيه على قيام ما يشبه الاجماع الوطني على انتخاب هذا المرشح . الامر الذي جعل امين الجميل مرشح الوفاق والوحدة الوطنية . مما دعا منافسه كميل شمعون الى الانسحاب من المعركة الانتخابية . وفي ١٩٨٢/٩/٢١ ، تم انتخاب امين الجميل رئيساً للجمهورية بما يشبه التزكية لان القوى السياسية والبرلمانية الاسلامية لم تعتبر ريمون اده مرشحاً لها .

كان انتخاب امين الجميل بهذا الاجماع الوطني الذي توافر له ، والذي قلما توافر لسواه من رؤساء الجمهورية اللبنانيين مقترناً بالسؤال المنطقي الملح وهو اي لبنان يجب إقامته- وعلى اية اسس يرتكز ؟ .

وجاءت الأجابة عن ذلك السؤال ، في الخطاب الذي ادى فيه الجميل اليمين الدستورية والذي اعلن فيه « ان لبنان سيكون ـــ ابداً ـــ فوق شخص الرئيس . وان الرئيس فوق صراعات الاحزاب والطوائف ، امين على وحدة الوطن ومصالحه وعلى استقلال الدولة وسيادتها وعلى المواطن وكرامة الانسان »[2] .

---

(١) مجلة الكفاح العربي ، عدد ١٩٨٢/١٠/٤ .

(٢) جريدة السفير عدد ١٩٨٢/٩/٢٤ .

وتعهد الرئيس امين الجميل بأن يكون همه الاول هو « وقف دورة العنف والنزف وضمان امن الوطن وسلامة الوطن .. ولن يتحقق ذلك إلا من خلال دولة مستقلة ، سيدة ، تصون الحريات ويكون جيشها من كل لبنان ولكل لبنان كي يتواجد على ارض كل لبنان » .

وشدد الرئيس الجميل على ان « الوحدة الوطنية اساس الوطن والاولوية للبنان ولن نقبل بأية ازدواجية في الولاء » ، هذا مع تأكيد اعتزامه « توطيد علاقات الصداقة مع العالم بأسره بدءاً بالاقربين » لان « انتماء لبنان الى محيطه العربي ليس شرطاً علينا ، بل هو خيار يحدده واقعه ومصالحه ، ودوره الطليعي وعضويته في جامعة الدول العربية » .

والحقيقة ان امين الجميل هو الزعيم الوحيد ، مما كان يسمى « المنطقة الشرقية » الذي لم يقطع اتصالاته مع زعماء المنطقة الغربية ومع قيادات منظمة التحرير الفلسطينية ومع سورية طيلة السنوات الثمان من الحرب اللبنانية . ومنذ اليوم الاول للغزو الاسرائيلي للبنان شدد الجميل على ضرورة تحقيق الوفاق كاشارة تحذيرية الى المخاطر الجمة الناجمة عن الغزو ، خاصة على صعيد الوفاق . فقد قال الجميل « ان الوفاق لا يمكن لاحد ان يلغيه او يخفيه ، ولا يمكن لاي كان ان يفرضه او يرفضه لانه هو حقيقة لبنان ولان « لا ارادة فوق ارادة المسلمين والمسيحيين » ودعا الجميل الى انتفاضة لبنانية عارمة « انتفاضة الحق على الباطل ، انتفاضة لبنان على مغتصبيه » وقال « اما الانقاذ وهو ، ما يجب أن يكون واما

سقوط الهيكل وخراب المنطقة كلها »[1] .

ومما لا شك فيه ان هذه المواقف الوفاقية والانفتاحية على جميع القوى التي اخذها في خضم الحرب اللبنانية ووحشيتها وقسوتها ، قد ساهمت في تخفيف العقبات التي واجهت امين الجميل بعد انتخابه . واكبر مثال على ذلك ما صدر من مواقف من كافة القيادات السياسية على مختلف انتماءاتها وبالاخص من الرئيس الاسبق سليمان فرنجية الذي اكد دعمه للشرعية « طالما انها تسعى الى اجلاء المحتلين الاسرائيليين » .. هذا بالرغم من ان فرنجية كان على خلاف حاد مع حزب الكتائب ، بسبب مواقف الحزب المعادية لطموحات الامة العربية وتحالفه مع العدو الصهيوني اضافة الى ان فرنجية كان يكن عداء شديداً لآل الجميل ، خاصة بشير الجميل ، الذي دبر مقتل النائب طوني فرنجية نجل الرئيس الاسبق في ١٩٧٨/٦/١٣.

غير ان مواقف الرئيس امين الجميل الوفاقية لم تخفف كثيراً من مخاوف القوى الاسلامية والوطنية من ممارسات حزب الكتائب ، الذي تسلل عدد كبير من اعضائه الى الجيش اللبناني ، سيّما ان هذا الجيش سيكون الاداة التوحيدية الوحيدة للبلاد في يد الرئيس الجديد .

لهذا لم يكن غريباً ان يتوجس المسلمون خوفاً من تطبيق « اول عملية وفاقية ميدانية » في عهد الرئيس امين الجميل أي « توحيد العاصمة » الذي اطلق عليه بعضهم اسم « مشروع بيروت الكبرى »

---

(١) جريدة النهار عدد ١٩٨٢/٦/٧ .

والحقيقة ان فكرة المشروع لم تكن جديدة . فقد طرحت في صيف ١٩٧٦ ثم أعيد طرحها في العام ١٩٧٨ . ولم يقدر لها الخروج الى حيز التنفيذ ، لاسباب تتعلق بالصراعات وبوجود اعداد هائلة من المسلحين في شقي العاصمة . ولقد بعثت الفكرة من جديد بعد انتخاب بشير الجميل وظهرت في « الخطة الامنية » الخاصة بتوحيد العاصمة . وقد كان مقرراً ان يبدأ تطبيق هذه الخطة من بيروت الشرقية وذلك بسبب حاجة بشير الجميل الى اكتساب جانب من ثقة الزعماء المسلمين والتنظيمات السياسية الوطنية في بيروت الغربية قبل ان يتسلم مقاليد الرئاسة . غير ان مصرعه ادى الى تأجيل التنفيذ .

اما شقيقه امين فيبدو انه رأى في الثقة التي منحه اياها الشارع الاسلامي والوطني فرصة لتطبيق الخطة في بيروت الغربية . غير ان ذلك جدد المخاوف من ممارسات الجيش والقوة متعددة الجنسيات . ففي الخامس من تشرين الاول (اكتوبر) بدأ الجيش والقوة المتعددة الجنسيات حملة « تمشيط » في بيروت الغربية بحثاً عن الاجانب المقيمين في البلاد بصورة غير مشروعة وعن الاسلحة والذخائر . واخذت الحملة شكل مداهمات اسفرت عن اعتقال مئات الفلسطينيين وعدد كبير من افراد الحركة الوطنية وقيادييها ، الامر الذي اثار الشكوك حول دوافع الحملة واهدافها وزاد من حدة هذه الشكوك التركيز على نزع السلاح من بيروت الغربية قبل نزعه من بيروت الشرقية اضافة الى قيام ميليشيات الكتائب المسلحة بالتسلل الى بيروت الغربية المنزوعة السلاح ، واعتقال اعداد كبيرة من المواطنين بحجة انتمائهم الى الخط الوطني وتعاونهم مع الثورة الفلسطينية

وقوات الردع العربية ابان صد العدوان الاسرائيلي على العاطمة اللبنانية .

ولقد بقي توحيد بيروت شكلياً حتى بعد فتح ممرات العبور وبدء انتقال المواطنين بين شطري المدينة لان السلطة في بيروت الشرقية بقيت بيد حزب الكتائب ، بينما كانت بيروت الغربية تحت سلطة الدولة . ولم يتحقق التوحيد عملياً الا في ١٩٨٣/٢/١٥ ، عندما انسحبت ميليشيات الجبهة اللبنانية من بيروت الشرقية وامتدت سلطة الدولة لتشمل العاصمة كلها .

٣ ـ حول الانسحاب من لبنان :

اسفر الغزو الاسرائيلي عن احتلال جزء كبير من الاراضي اللبنانية ، شمل الجنوب والشوف وجزين والجبل وبعض البقاع والمنطقة الساحلية حتى بيروت ضمناً مع امتداد باتجاه الكورة . ثم انسحبت القوات الاسرائيلية من العاصمة في ١٩٨٢/١٠/٤ ، وانتشرت على تخومها الجنوبية والشرقية مقابل القوات متعددة الجنسيات ، التي كلفت بمساعدة قوات الشرعية اللبنانية (الجيش وقوى الامن الداخلي) في الحفاظ على الامن داخل بيروت والضاحية الجنوبية ومخيمات الفلسطينيين .

الا ان الانسحاب من العاصمة لم يكن يعني نهاية العدوان ، لان القوات الاسرائيلية بقيت مسيطرة على اراضي دولة ذات سيادة واخذت صفة الدولة المحتلة الرافضة لقرارات مجلس الامن الخاصة بالانسحاب الى ما وراء الحدود الدولية . ولقد تباينت مواقف الاطراف المعنية من مسألة

الانسحاب التي تحولت الى عنصر اساسي من عناصر الوضع القائم في لبنان ، وحولت هذا الوضع الى بؤرة توتر تهدد السلام في المنطقة .

أ ــ الموقف الاسرائيلي من الانسحاب :

يدل تطور الاحداث والمواقف على ان الاسرائيليين ينوون تحقيق ما هو ابعد بكثير من اهدافهم المعلنة ، بدليل ان العملية المسماة « السلام للجليل » لم تنته بابعاد الفدائيين الفلسطينيين الى بعد اربعين كيلو متراً الى الشمال من خط الهدنة اللبناني ــ الاسرائيلي ، بل تطورت الى اهداف اخرى مثل اخراج القوات السورية والقوات الفلسطينية من كافة الاراضي اللبنانية ، واقامة « حكم قوي » في لبنان والتوقيع على « معاهدة سلام » معه ، وبعد ذلك اخذت اسرائيل تتحدث عن اقامة « ترتيبات امنية » في الجنوب اللبناني ، توطئة لتحقيق هدف تال يتلخص في نهب ما يمكن نهبه من ارض لبنان لضمه الى الكيان الاسرائيلي .

ويرجع ذلك الى ان الصهيونيين يعتبرون وجودهم فوق اي ارض عربية يستولون عليها حديثاً « انبعاثاً لشعب اسرائيل على ارض اسرائيل » فيتصرفون طبقاً لهذا المفهوم وقد اعلن رئيس الاركان الاسرائيلي رفائيل ايتان للصحيفة المركزية للجيش الاسرائيلي « ان حرب لبنان تندرج في اطار المعركة الدائرة منذ مائة عام لامتلاك ارض اسرائيل »[1] . وليست الاطماع

---

(١) جريدة تشرين عدد ١٠/٧/١٩٨٢ .

الصهيونية في لبنان ، وليدة عملية الغزو ، او النتائج التي تمخضت عنه ، بل هي وليدة الفكر الصهيوني القديم المستند الى تفسيرات شوهاء للتوراة .

والباحث في التاريخ اليهودي التوراتي لا يجد صعوبة كبيرة في قراءة خريطة « ارض اسرائيل » فتلك الارض تمتد من النيل الى الفرات ومنقوش على خريطة عبرية مثبتة على مبنى الكنيست الاسرائيلي « الجديد » الذي شيد في القدس الغربية عام ١٩٦٥ وكذلك على العلم الاسرائيلي نفسه حيث ان الخطين الازرقين اللذين تقع بينهما نجمة داوود يمثل إحدهما نهر النيل ، والآخر نهر الفرات[١] .

ويبدو ان قوات العدو بدأت منذ الأيام الاولى للغزو باتخاذ جميع الاستعدادات لإقامة طويلة في الاراضي اللبنانية . وقد شرعت وقتذاك — بالقيام باعمال التمركز ، ومنها اقامة معسكرات « دائمة » في مناطق بعيدة عن الاماكن الاهلة بالسكان[٢] .

الامر الذي دفع الدكتور ماخوفر ، احد البارزين في بريطانيا لان يكتب في جريدة « صندي تايمز » رداً على ما يدعيه قادة اسرآئيل بأنهم « لا يطمعون في شبر واحد من الاراضي اللبنانية » فقال « أعرف تماماً ان هناك خططاً سرية وضعت في الخمسينات ، من قبل رئيس وزراء اسرائيل ، بن غوريون ورئيس اركانه موشي دايان لغزو لبنان . وقد كتب بن

(١) مجلة الاسبوع العربي عدد ١٩٨٢/١٢/٢٨ .

(٢) جريدة تشرين عدد ١٩٨٢/٧/٣ .

غوريون في العام ١٩٤٨ « ان الدولة اللبنانية — ولم تكن وقتذاك تشكل اي خطر على اسرائيل — يجب ان تزال من الوجود وان تقام مكانها دولة مسيحية تقف حدودها الجنوبية عند الليطاني »[١] .

هذا بالنسبة الى حزب العمل الاسرائيلي . اما بالنسبة الى حزب حيروت الذي يتزعمه رئيس الوزراء بيغن فيعرف « ارض اسرائيل » بانها موغلة الى حد كبير في لبنان .

كان اول مؤشر رسمي على نية اسرائيل في استمرار احتلالها لبنان ، عندما عقد مجلس الامن الدولي اجتماعاً قصيراً في ٨ حزيران (يونيو) ١٩٨٢ بناء على طلب مندوب لبنان الدائم في الامم المتحدة ، وخلال الاجتماع احاط الامين العام للامم المتحدة ، دي كويلار ، المجلس علماً بأن اسرائيل ابلغته ان الانسحاب امر لا يمكن التفكير فيه « مالم توضع ترتيبات ملموسة لحماية الاهداف الاسرائيلية من الهجمات من داخل الاراضي اللبنانية »[٢] . ولكن ما ان اعلن بيغن شروطه لسحب قواته من لبنان المتضمنة اخراج القوات السورية والفلسطينية منه والتوقيع على معاهدة « سلام » واقامة الترتيبات الامنية حتى بدا واضحاً ان اسرائيل لن تسحب قواتها . وقد اوضح الجنرال الاسرائيلي الاحتياط متتياهو بيليد الذي يرئس « مجلس السلام الاسرائيلي — الفلسطيني « في حديث له » « ان الشروط التي وضعها بيغن للانسحاب من لبنان تعكس نيته البقاء

---

(١) نقلاً عن جريدة تشرين عدد ١٩٨٢/٧/١٥ .

(٢) يوميات الحرب العربية الاسرائيلية ٩ حزيران ١٩٨٢ .

عدة سنوات » اما شارون فأوضح « ان اسرائيل باقية الى حين التوصل الى ترتيب يضمن متطلباتها الامنية »[1] .

ومع بداية شهر تموز (يوليو) بدأت قوات الغزو عمليات المسح الطبوغرافي وتسوية الارض بوادي السريان ، جنوب غربي دير ميماس القريبة من بلدتي مرجعيون والقليعة في الجنوب . وكانت هذه العمليات اجراءات تمهيدية لتحويل مجرى الليطاني باتجاه الاراضي المحتلة .

ويبدو ان عملية غزو لبنان كانت تحظى بتأييد جميع الاحزاب الاسرائيلية — ما عدا الحزب الشيوعي « راكاح » — الذي طلب طرح الثقة بالحكومة فنالت ٩٤ صوتاً ضد ثلاثة اصوات هي اصوات الحزب المذكور[2] بل ان حزب العمل طالب ببقاء القوات الاسرائيلية في الاماكن التي تحتلها في لبنان « طالما ان هناك مفاوضات لايجاد حل للازمة » وطالب رئيس الحزب شمعون بيريز ، الحكومة « بدعوة الاردن الى المشاركة في المفاوضات » . وهذه اشارة واضحة من جانب التوجه الاسرائيلي العام لربط الموضوع اللبناني بموضوع ازمة الشرق الاوسط ، وذلك بما يفسح امام الغزاة مجالاً رحباً للمناورة لتأجيل الانسحاب او تعطيله .

ولقد كشفت صحيفة « جيروزاليم بوست » الاسرائيلية في عددها الصادر بتاريخ ١٩٨٢/٦/٢٤ ، التفكير الاسرائيلي في اعتماد الغزو هدفاً ووسيلة في آن معاً . وترى الصحيفة ان من الاهداف التي تسعى اسرائيل

---

(١) جريدة تشرين ١٩٨٢/٦/١٧ .

(٢) جريدة النهار عدد ١٩٨٢/٦/٩ .

وراءها « تحقيق انسحاب سوري ، جزئي من لبنان مقابل بقاء اسرائيل فيه حتى نهر الاولي ، ساحلياً وطريق بيروت ـــ دمشق في منطقة عاليه ، جبلياً ، على ان تكون هذه المنطقة من طريق الشام حتى الحدود مع اسرائيل خاضعة لسلطة سعد حداد »[1] وهذا ما يفسر الاجراء الاسرائيلي المتمثل في توسيع حدود المنطقة التي تسيطر عليها قوات سعد حداد على ضفته الجنوبية وهناك من الدلائل ما يؤكد ان امتناع اسرائيل عن السماح للجيش اللبناني بالانتشار في منطقتي عاليه والشوف ، يدل على مضيها في تنفيذ المخطط الذي كشفته الصحيفة الاسرائيلية .

وتذكر المصادر الاميركية المطلعة ان زيارة وزير الخارجية الاسرائيلي اسحق شامير لواشنطن في اواخر تشرين الاول (اكتوبر) كانت تستهدف الحصول على موافقة امريكية على الشروط الخاصة بـ « الترتيبات الامنية » في الجنوب اللبناني ، وهي ترتيبات لا تبتعد كثيراً عما كشفته الـ « جيروزاليم بوست » اذ تنطوي على اقامة « شريط امني » بعمق يتراوح بين ٤٠ و ٥٥ كيلو متراً الى الشمال من خط الهدنة الاسرائيلي ـــ اللبناني واقامة مراكز للانذار المبكر فيه تديرها قوات اسرائيلية ، والسماح للمدنيين اللبنانيين والاسرائيليين بالتنقل على جانبي الحدود بما يؤدي الى تطبيع العلاقات .

ومن الواضح ان هذه الترتيبات تهدف الى الغاء مرحلة والبدء بمرحلة اخرى على صعيد الكيان اللبناني نفسه وبالرغم من ان المزاعم الاسرائيلية

---

(١) مجلة الاسبوع العربي عدد ١٩٨٢/٨/٢٣

تطرقت مراراً الى « الحفاظ على وحدة لبنان واستقلاله » الا ان اسرائيل هي وحدها التي تهدد وحدة لبنان واستقلاله ، لمجرد الحديث عن تلك الترتيبات . وهناك ما يشير الى ان اسرائيل ترمي الى الاحتفاظ بشريط من الاراضي اللبنانية في منطقة الجنوب بعمق يتراوح بين ٤٥ و ٥٥ كيلو متراً وبعرض ٦٠ كيلو متراً تقريباً على الا يسمح للجيش اللبناني بالتمركز فيه . واكثر من هذا فان قوات الجيش التي يسمح لها بالتمركز شمالي هذا الشريط لن تكون قادرة على الاحتفاظ لنفسها بالاسلحة الثقيلة بحجة ان هذه الاسلحة قد تهدد في المستقبل امن المستوطنات الاسرائيلية في شمالي فلسطين »[1] .

ولقد ذكرت نشرة الكونغرس الفلسطيني في امريكا الشمالية (عدد تشرين الاول ١٩٨٢) ان اسرائيل قامت بمحاولة تثبيت حكمها المباشر ، بالفعل في الجنوب اللبناني ، فبعد اسبوعين من بدء الغزو تم جلب مديري الضفة الغربية الاسرائيليين الى قرى ومدن الجنوب اللبناني حيث قاموا بتشكيل « ادارات مدنية » مماثلة لتلك الادارات القائمة في الضفة الغربية وقطاع غزة ، ويتجلى عملهم في شن وتصعيد الحملات المناوئة للعصيان والتمرد التي تستهدف المقاومة المسلحة اللبنانية والتخطيط والتدبير لخلق نخبة تكون مدينة بالفضل لما تقدمه اسرائيل »[2] .

ويقتصر الحكم الاسرائيلي المباشر على الجنوب اللبناني الذي يقع ضمن « الحاجة » الاسرائيلية الدينية والاقتصادية للسيطرة الدائمة على

---

(١) مجلة الموقف العربي عدد ١٩٨٢/١٠/٢٥ .

(٢) دراسات « فتح » تقرير خاص رقم ٥ (تشرين الثاني ١٩٨٢) .

المنطقة وقد تم التأكيد على النوايا الاسرائيلية وابرازها بشكل واضح إثر تعيين احد زعماء حركة « اوقفوا الانسحاب من سيناء » حاكماً عسكرياً على مدينة النبطية في الجنوب اللبناني[1] .

ان الموقف الاسرائيلي من الانسحاب يتمثل في التمسك بالمناطق اللبنانية المحتلة والمساومة عليها لتحقيق اطماع صهيونية قديمة ، مع العمل في الوقت ذاته على تكريس واقع الاحتلال وتثبيت مرتكزاته . الامر الذي يهدد مستقبل لبنان وسيادته ووحدته وسلامة اراضيه وينكشف عمق الوهدة التي وقعت فيها الجبهة اللبنانية عندما تحالفت مع الصبهيونيين ضد العرب ثم اكتشفت ــ بعد فوات الاوان ــ ان على لبنان كله ان يدفع ثمن هذا السقوط .

ب ــ الموقف الامريكي الداعم لاسرائيل :

قبل الغزو ببضعة ايام ، قال وزير الخارجية الامريكي وقتذاك ، الكسندر هيغ « انه خلال الاسابيع القادمة ، ستقوم الادارة الامريكية بشغل دور اكثر فاعلية في منطقة الشرق الاوسط » ثم شدد قائلاً « هذا هو الوقت المناسب للولايات المتحدة للعب دورها في هذه المنطقة »[2] .

ومع اليوم الاول لعملية الغزو ، وجه الرئيس الامريكي ريغان الى رئيس الوزراء الاسرائيلي بيغن رسالة تكشف ، الى حد كبير ، الصلة بين

(١) المصدر السابق .

(٢) جريدة هارتس الاسرائيلية عدد ١٩٨٢/٥/٢٧ .

هذه العملية ومحاولة اغتيال السفير الاسرائيلي في بريطانيا شولومو ارغوف ، وقال فيها « عزيزي مناحيم في اعقاب اطلاق النار على السفير ارغوف ، وتصعيد العنف الذي جاء نتيجة لذلك فانني واثق من انك منتبه الى جهودنا في التعاون مع الاطراف المهتمة في اوروبا والشرق الاوسط من اجل استخدام النفوذ كي لا تحدث اعمال اضافية اخرى ضد اسرائيل » وقال ريغان ايضاً « سنجري اليوم انا وهيغ مشاورات مع السفير حبيب وسنطلب منه اذا سمح الوضع متابعة مهمته في المنطقة ، كما هو مخطط . انني أمل ان توافق على وجوب العمل معاً لاجل خلق الظروف التي تمكن مع مرور الوقت من خلق لبنان مستقر . وفي نهاية الامر خلق الامن على الحدود الشمالية لاسرائيل » . وختم ريغان رسالته بقوله « كما تعلم ، فان امن اسرائيل هو من اول اهتماماتي »[1] .

ان هذا الكلام يظهر الى حد كبير دور الولايات المتحدة في عملية الغزو . وهو الدور الذي كشفه « يعقوب حزان » احد مؤسسي الدولة الصهيونية بقوله : « كانت خطة الغزو شاملة وتهدف الى تحقيق تغيير جوهري في الخريطة السياسية حولنا ، تغيير في وضع لبنان وسورية والاتحاد السوفييتي وفي وضع شريكتنا في العملية ، الولايات المتحدة . لا اقول ان هناك مؤامرة بيننا وبين الولايات المتحدة بل اقول ان ما حصل هو جزء لا يتجزأ من الاتفاق الاستراتيجي بيننا وبينها »[2] .

وبالرغم من صدور قرارين متعاقبين (٥٠٨ و ٥٠٩) عن مجلس

---

(١) جريدة هارتس الاسرائيلية عدد ١٩٨٢/٦/٧ .

(٢) دراسات فتح ، التقرير رقم ٢٣٦

الامن ، يقضيان بسحب قوات الغزو فوراً من الاراضي اللبنانية فان الولايات المتحدة استخدمت ليلة ٨ ـــ ٩ حزيران (يونيو) حق النقض « الفيتو » ضد مشروع قرار قدمته اسبانيا الى مجلس الامن يطالب مجدداً بأن تسحب اسرائيل قواتها من لبنان فوراً ودون قيد او شرط ، وبانهاء الاعمال الحربية في هذا البلد خلال ٦ ساعات ، فيما صوتت الدول الاربع عشرة الى جانب المشروع . وكانت مندوبة الولايات المتحدة في الامم المتحدة ، جين كيركباتريك ، قد بررت الغزو بقولها « ان تحرك الدبابات الاسرائيلية عبر الحدود لا يختلف من الناحية النوعية عن قصف بلد بقذائف المدفعية الثقيلة وكلاهما اعمال عنف كبيرة »[١] .

وفي يوم ٦/٨ اعلن الناطق باسم وزارة الدفاع الاميركية انه لا توجد الان مخططات لإيقاف ارساليات السلاح الى اسرائيل . وقالت جريدة هآرتس الاسرائيلية التي نشرت هذا التصريح « ان مراقبين امريكيين في لندن يعتقدون ان الولايات المتحدة تشجع اسرائيل بتنفيذ عملياتها العسكرية الى حين استكمال اهدافها وذلك خلافاً للطلب العلني بوقف النار »[٢] .

ومع اكتمال حصار بيروت بدت الادارة الامريكية مصممة على الاستفادة من الضغط العسكري الاسرائيلي بشأن اخراج المقاومة من بيروت . وبدا ذلك التصميم واضحاً من خلال مباحثات الموفد الامريكي فيليب حبيب مع الحكومة اللبنانية ومع قيادة المقاومة عبر الممثلين اللبنانيين وكذلك مع بعض القيادات العربية .

---

(١) جريدة تشرين عدد ١٩٨٢/٦/٩ .

(٢) دراسات فتح تاريخ ١٩٨٢/١٠/١٦ .

وقد تكشف سير الامور عن ان ثمة توافقاً بين سير المباحثات التي يجريها الممثل الامريكي وبين الضغط العسكري الاسرائيلي . فحالما كانت المباحثات تتلكأ لامر ما او خلاف حول طلب ما ، تسارع قوات الغزو الى خرق وقف اطلاق النار وصب حممها على بيروت مع تضييق طوق الحصار التمويني وقطع الماء والكهرباء . والغريب ان الادارة الامريكية كانت تعمد الى تغطية هذا الموقف باطلاق تصريح بين حين واخر تبدي فيه قلقها او استنكارها لحدة القصف الاسرائيلي وارتفاع عدد الضحايا المدنيين .

وبالرغم من ان الادارة المذكورة كانت تلح على تطبيق هدفها في ما يسمى « اخراج القوات الاجنبية من لبنان » الا انها كانت تركز ، عبر تصريحات مسؤوليها وعبر مهمة فيليب حبيب ، على اخراج المقاومة من لبنان دون ان يتطرق الحديث الى موضوع « سحب القوات الاسرائيلية » ولقد كشفت صحيفة « واشنطن بوست » الامريكية المقربة جداً من اوساط الحكومة الامريكية ان الولايات المتحدة « لم تعد ترغب في ان تنسحب القوات الاسرائيلية من لبنان » وشرحت الجريدة ، اسباب هذا الموقف بالقول « ان الواقع الحالي في لبنان تجاوز المعطيات التي ارتكز عليها قرار مجلس الامن الدولي رقم ٥٠٩ الذي طالب بانسحاب القوات الاسرائيلية من لبنان[١] بل ان الولايات المتحدة إمعاناً في تحقيق الهدف المتضمن سحب المقاتلين الفلسطينيين من بيروت ، استخدمت حق

(١) جريدة تشرين عدد ١٩٨٢/٦/١٧ .

النقض ضد مشروع قرار فرنسي يطالب آسرائيل بسحب قواتها من منطقة بيروت ويقترح وضع قوات امن لبنانية في المنطقة الغربية من بيروت ، وذلك على الرغم من موافقة جميع الدول الاعضاء في المجلس على مشروع القرار المذكور .

والتناقض الغريب في الموقف الامريكي هو استخدام الضغط العسكري الاسرائيلي لاجلاء المقاومة مع الاعلان بان الهدف المركزي هو اجلاء « جميع القوات الاجنبية عن لبنان » وهكذا فإن امريكا شاءت إنهاء ما اسمته « الغزو » الفلسطيني عن طريق إحلال الغزو الاسرائيلي محله .

هكذا عمدت الولايات المتحدة الى تكريس الدور الاسرائيلي في لبنان ، في الوقت الذي سقط بعض العرب في اوهام احتمال ممارسة الضغط الاميركي على اسرائيل ، رغم ان الاوساط الصحفية والسياسية الامريكية قد استبعدت هذا الاحتمال بل ان وزير الخارجية هيغ قد اعلن امتناع الحكومة الامريكية عن اصدار اي قرار بفرض عقوبات على اسرائيل كوسيلة للضغط عليها للانسحاب من لبنان ، كما اكد انه لم يتخذ اي اجراء يعوق شحن الاسلحة الامريكية لاسرائيل(١) بل ان مكتب الامن القومي الامريكي عقد اجتماعاً برئاسة جورج بوش نائب الرئيس الامريكي اثناء وجود ريغان في اوروبا لحضور مؤتمر فرساي تقرر فيه الا يجري اي تقليص لحجم المساعدات وارساليات الأسلحة الى إسرائيل . والسبب في

---

(١) جريدة تشرين عدد ١٩٨٢/٦/٩ .

ذلك يعود ، كما شرحه « دان مورغان » في جريدة واشنطن بوست الامريكية بقوله ان مسؤولاً امريكياً سابقاً في البنتاغون أسرّ لي بأن « القضية ليست في اننا نستطيع الضغط على اسرائيل او انه ليست لدينا القدرة على وضعها تحت الرقابة وانما هي في اننا اخترنا أن لا نمارس هذا الضغط او الرقابة عليها »[1] .

في ظل هذا الاختيار الامريكي ، كان من الطبيعي الا تضغط واشنطن على اسرائيل لسحب قواتها من لبنان ، وان تعوق اي ضغط يمكن ان تتعرض اليه الدولة الصهيونية في هذا المجال . واذا كان الموقف الاميركي إبان الغزو يتسم بالتأييد الكامل للعدوان ، فأن الموقف الاميركي بعد الغزو يتمحور حول استثمار التصلب الاسرائيلي من اجل تحريك عجلة كامب ديفيد ، وجعل وجود القوات الاميركية في الأراضي اللبنانية مطلباً لبنانياً ملحاً ، على اعتبار انه السبيل الوحيد الى تحقيق الانسحابات الاسرائيلية . بالاضافة الى استخدام الاحتلال الاسرائيلي القائم كورقة للضغط على سورية والثورة الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية .

ج ــ الموقف السوري والتوتر في البقاع :

دخلت القوات السورية لبنان في العام ١٩٧٦ لمنع الاقتتال بين الاخوة ، وواجهت الغزو الصهيوني في العام ١٩٨٢ تحت شعار حماية

---

(١) واشنطن بوست عدد ١٩٨٢/٧/٢٢ .

الشعبين اللبناني والفلسطيني . وكان موقفها في الحالتين نابعاً من منطلق قومي . لذا فقد كان من الطبيعي ان يكون موقفها من الانسحاب الاسرائيلي قومي المنطلق ايضاً . ولقد ظهرت اول بوادر هذا الموقف في مساء ٦/١٠ . فبعد المباحثات التي اجراها المبعوث الامريكي فيليب حبيب مع الرئيس حافظ الاسد ، وافقت سورية على وقف اطلاق النار الاول ، شريطة ان يرافق ذلك انسحاب اسرائيلي فوري من لبنان .

وفي ١٥ حزيران ١٩٨٢ كشف ناطق رسمي سوري عن محاولات « سياسية » اسرائيلية هدفها انتزاع « موافقة سورية على سحب قواتها من لبنان » . فقد تلقى العميد سامي الخطيب ، قائد قوات الردع العربية انذارا من القائد العسكري الاسرائيلي ومعاونه في منطقة « بعبدا » بوجوب اخلاء مدينة بيروت وما جاورها من القوات السورية . وقال الناطق ان سورية اجابت العميد الخطيب بأن قواتنا الموجودة في بيروت انما تعمل بموجب قرار عربي وبطلب من السلطة الشرعية اللبنانية ، ولبنان دولة مستقلة وذات سيادة ، وان هذه القوات ستقوم بتنفيذ واجباتها للدفاع عن السلطة الشرعية اللبنانية والاراضي اللبنانية والشعبين اللبناني والفلسطيني في لبنان ، وبكل امكاناتها[١] .

كان واضحاً من الطلب الاسرائيلي والرفض السوري له ، ان الموضوع يتعلق بصراع الارادات حول مستقبل لبنان وهويته ومصيره . وان

---

(١) جريدة تشرين عدد ١٩٨٢/٦/١٦ .

رغبة اسرائيل في استباحة الاراضي اللبنانية وابادة الشعبين اللبناني والفلسطيني ، تصطدم بارادة سورية لا تقبل المساومة .

ولقد اعتقد العدو الاسرائيلي ان اتفاق وقف اطلاق النار مع سورية يسمح له بمتابعة القتال ضد الثورة الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية دون صدام مع القوات السورية . ولكن الربط بين وقف القتال والانسحاب جعل القوات السورية تتابع التصدي للغزاة عندما حاولوا التقدم باتجاه بيروت او في الجبل او البقاع . الامر الذي ادى الى وقوع عدد من المعارك البرية والجوية . وكانت تلك المعارك تمثل اصرار سورية على استمرار دورها العسكري في لبنان ، طالما استمر الوجود العسكري للغزاة . ومنذ وقف اطلاق النار الاخير ، اقترن صمود سورية العسكري بجهد سياسي نشيط ، هدفه دفع اسرائيل الى سحب قواتها الغازية من لبنان . واحباط المحاولات الامريكية الرامية الى الربط بين الانسحاب الاسرائيلي والوجود العسكري السوري في الاراضي اللبنانية .

وكان الرئيس ريغان قد طرح في اول مؤتمر صحفي له بعد غزو لبنان ، ان من اهداف الولايات المتحدة في لبنان « سحب القوات الاجنبية » . وكان في هذه الصيغة مؤشر واضح الى ان الولايات المتحدة تساوي بين الوجود الشرعي للقوات السورية والوجود الاحتلالي للقوات الاسرائيلية . ولقد فند السيد عبد الحليم خدام ، نائب رئيس مجلس الوزراء ، وزير الخارجية السوري هذه الصيغة ودحض مضمونها ، ابان اللقاء الذي تم في واشنطن بين الرئيس ريغان ووزيري الخارجية السوري والسعودي ، بناء على تكليف من وزراء الخارجية العرب الذين عقدوا

مؤتمراً طارئاً في تونس في اواخر حزيران « يونيو » . ولقد قال الوزير خدام في هذا اللقاء : ان المطلوب منا ان نبحث كيفية تنفيذ قرار مجلس الامن القاضي بانسحاب اسرائيل ، لكن الذي يبحث الان يدل على ان اسرائيل وهي المعتدية ، تتطاول وتتساوى مع القوات الاخرى الموجودة بقرار عربي وموافقة لبنانية ، وانا ابدي قلقي العميق من السماح لاسرائيل باستخدام القوة بهذا الشكل لفرض اوضاع معينة مما يشكل سابقة خطيرة في المنطقة وهو وضع لا يمكن قبوله تحت اي ظرف من الظروف . ان المطلوب هو انسحاب اسرائيل ، والمشاكل الاخرى ستحل بشكل طبيعي . ولا نستطيع تحت أي ذريعة أن ننظر إلى القوات السورية على قدم المساواة مع القوات الاسرائيلية . القوات السورية قوات شقيقة دخلت لبنان بموافقته وبقرار عربي ، والقوات الاسرائيلية قوات غازية معتدية فكيف يمكن المساواة بين الاثنتين ؟ هذا مالا يمكن ان نتصوره .. ان القوات السورية لم تدخل لبنان لاسباب سورية وانما لاسباب لبنانية وبقرار لبناني عربي .. وسورية كما دخلت تستطيع ان تخرج .. اما ان يرتبط ذلك بخروج اسرائيل ، فهو امر غير معقول[1] .

ومن المؤكد ان الاصرار السوري لا يتركز على بقاء القوات السورية في لبنان ، بل يتركز أساساً على إجلاء الغزاة الإسرائيليين عنه .

ذلك ان الأمر بالنسبة الى سورية وما تريده من لبنان ليس هو موضوع البحث او الاهتمام الأول ، لأن الاهتمام سيبقى منصباً على ما

(١) جريدة السفير عدد ١٩٨٢/٩/١٠ ، نقلاً عن مجلة « كل العرب » التي تصدر في باريس .

تريده اسرائيل من لبنان . فممارساتها على الارض ، بدءاً من تحريكها حساسيات وفتناً طائفية في الشوف وعاليه ، وصولاً الى ما تحاول فعله ، او ما قامت به فعلاً في الجنوب اللبناني ، كل هذه المواقف والممارسات والتصرفات دليل واضح على وجود مخطط خطير ونوايا بالغة السوء ، ومكائد مرسومة لدى اسرائيل إزاء لبنان ، وهذا المخطط ، وهذه النوايا والمكائد ، هي التي تجعل سورية في موقف الاصرار الشديد على سحب القوات الاسرائيلية ، اولاً ، وبعد ذلك يصبح امر الانسحاب السوري موضوعاً متعلقاً بمباحثات سورية ـــ لبنانية حول مدى استغناء لبنان عن مساعدة سورية ، بل وحول رغبته في هذا الانسحاب . وقد اكد الرئيس حافظ الاسد هذه النقطة بقوله في ١٩٨٢/١١/٢٠ امام المؤتمر العشرين لاتحاد نقابات العمال : اعلنا تكراراً استعدادنا لمغادرة لبنان في أي وقت يشعر فيه اشقاؤنا في لبنان انهم في غنى عن مساعدتنا . ونؤكد اليوم انه حالما تنسحب قوات الغزو الاسرائيلية من لبنان ، فلا مشكلة بالنسبة الى قواتنا . ومن المفهوم ان الانسحاب الاسرائيلي يجب ان لا يتحقق عن طريق فرض شروط على لبنان تحد من سيادته وحريته . كنا دائماً مع لبنان وسنبقى دائماً معه ، فسورية ولبنان بلدان شقيقان[1] .

وكان الرئيس الاسد قد ذكر في حديث لمجلة النهار العربي والدولي : « فكما كنا في السابق مع لبنان ، نحن الآن وسنبقى في المستقبل مع لبنان . واذا كنا مع لبنان بقوة قبل الاجتياح الاسرائيلي لبعض اجزائه ،

---

(١) جريدة تشرين عدد ١٩٨٢/١١/٢١ .

فنحن الان بقوة اكثر مع لبنان لتحرير الأرض اللبنانية التي احتلها العدو مهما رتب علينا ذلك من أعباء وتضحيات . ومثل هذا الأمر نعتبره واجباً ، ولا يتوقف قيامنا بهذا الواجب على طلب من أحد « ... » ذهبنا إلى لبنان تلبية لحاجة لبنان ، ونخرج من لبنان عندما تنتفى هذه الحاجة . وهذه الحاجة إذا كانت ملحة في وقت من الأوقات ، فهي أكثر إلحاحاً في ظل الاحتلال الإسرائيلي[1] .

ولقد نظرت سورية بارتياب وحذر شديدين إلى فكرتي « الانسحاب المتزامن » و « تجزئة الانسحابات » . فآعتبرت ان الفكرة الأولى تتضمن المساواة بين المعتدين على لبنان والمدافعين عنه بناء على طلبه . كما اعتبرت الفكرة الثانية مناورة إسرائيلية تستهدف تطبيق المخطط الخاص بالترتيبات الامنية وتحقيق المكاسب السياسية والاقتصادية والمائية . وبالاضافة الى ذلك ، فإن سورية ترى أن إصرارها على الانسحاب الاسرائيلي اولاً ، يعزز موقف المفاوضين اللبنانيين في المحادثات اللبنانية ـــ الاسرائيلية ، ويضع في يدهم ورقة تساعدهم في إقناع الإسرائيليين بضرورة الانسحاب . في حين أن التساهل في هذه المسألة يجعل المفاوضين اللبنانيين يخسرون نقاطاً كان بامكانهم التفاوض حولها .

إن الوجود العسكري السوري في لبنان يفرض على سورية أعباء أمنية واقتصادية كبيرة . ولكن سورية تقبل حمل هذه الأعباء ، ما دام الغرض منها مساعدة قطر عربي شقيق على مقاومة مخططات العدو

(١) النهار العربي والدولي عدد ٣٠/١٠/١٩٨٢ .

المشترك . وبهذا المغنى ، يكون الثبات العسكري السوري في البقاع ، حتى يتم انسحاب الاسرائيليين وتزول حاجة لبنان إلى القوات السورية ، ثباتاً قومياً في مواجهة أخطر حملة تتهدد وجود الامة العربية .

د ـ الموقف اللبناني

في غياب الوفاق والإجماع الوطني اللبناني على المسائل التي تحقق المصلحة العليا للوطن ، ومع انجراف كثير من اللبنانيين وراء مختلف القوى والتيارات السياسية الإقليمية والخارجية ، يغيب الموقف الوطني الموحد من قضية الانسحاب الاسرائيلي من لبنان ، بالرغم من أن جميع القوى السياسية اللبنانية تعلن تمسكها المبدئي بتحقيق هذا الانسحاب وبدعم السلطة الشرعية ، وبوحدة لبنان أرضاً وشعباً .

فالسلطة الشرعية اللبنانية راغبة في انسحاب الاسرائيليين من لبنان كله دون ان تدفع مقابل ذلك ثمناً سياسياً باهظاً ، ولكنها تجد صعوبة في تحقيق التفاف جميع اللبنانيين حولها بشأن إجلاء الغزاة الاسرائيليين . فالأوضاع في الشوف وعاليه لا تدعو الى الارتياح ، وحزب الكتائب موزع الولاءات حائر بين معتقداته وضغط اسرائيل على بعض اجنحته ، وسعد حداد يهاجم السلطة الشرعية انطلاقاً من الأوامر التي يتلقاها من الغزاة . ناهيك بتعدد المواقف السياسية لكافة القوى الحزبية والطائفية على الساحة اللبنانية . هذا الوضع هو الذي دفع الرئيس امين الجميل إلى القول :

« لست أدري كيف أطرح قضية الانسحابات من لبنان ، والوضع في الشوف وعاليه على ما نرى » وذلك قبل توجه الرئيس الجميل الى الولايات المتحدة لالقاء خطابه في منظمة الامم المتحدة وللاجتماع بالرئيس ريغان واركان الادارة الامريكية في شهر تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٨٢ .

وليس موقف القوى الوطنية والاسلامية سوى امتداد لموقفها من الغزو . فلقد ادانت الغزاة منذ البداية ، ونادت بضرورة مقاومتهم وحملت تنظيماتها المقاتلة السلاح ضدهم ، وقاتلت الى جانب القوات السورية وقوات الثورة الفلسطينية وتعرضت في المناطق التي اجتاحها العدو الى الارهاب والاسر والتنكيل ، ونظمت في تلك المناطق مقاومة سرية لمواجهة الاحتلال والتصدي لعملائه المحليين .

لذا فقد كان من الطبيعي ان تقف في طليعة الاطراف اللبنانية المطالبة بانسحاب الاسرائيليين ، الكامل ، والداعية الى مواجهتهم بمختلف وسائل النضال . كما كان من الطبيعي ان تؤيد السلطة الشرعية الساعية الى تأمين الانسحاب الاسرائيلي . وان ترفض في الوقت ذاته « الانسحاب المتزامن والانسحاب الجزئي » او اية فكرة تساوي بين انسحاب القوات الاسرائيلية الغازية وانسحاب القوات الصديقة (السورية والفلسطينية) من البقاع والشمال .

وبالمقابل فان موقف « الجبهة اللبنانية » من الانسحاب حافل بالتناقض . فلقد رفعت لواء العداء للقوات السورية والفلسطينية قبل بدء الغزو واعتبرتها قوات غريبة وطالبت بانسحابها بحجة الحفاظ على السيادة اللبنانية . ثم اسقطت هذه الحجة منذ ان اتصلت بالعدو الصهيوني

وشجعته على العدوان . وكان موقفها في خلال الغزو متعارضاً مع الحفاظ على السيادة الوطنية . فقد قاتلت قوات الجبهة اللبنانية مع الغزاة حيثما سمح لها بذلك ، واستقبلت المعتدين بترحاب مكشوف ، وقدمت لهم غطاء سياسياً لبنانياً وشاركت في حصار بيروت والتنكيل بالمواطنين واعتبرت الانتصار العسكري الاسرائيلي انتصارها . واعتقدت ان القوات الاسرائيلية لم تدخل لبنان الا لخدمتها .

ومع اصرار الاسرائيليين على عدم الانسحاب الا لقاء ثمن سياسي واقتصادي يتعارض مع السيادة ، ويحول لبنان الى محمية صهيونية انهار منطق « الجبهة اللبنانية » من اساسه ولم يعد لمقولاتها اي مستند ، وانكشف التناقض بين منطلقاتها النظرية والنتائج العملية الناجمة عن السير وراء السراب . وزادت اسرائيل في حدة هذا التناقض عندما اعلنت انها غير مدينة لاحد ، وانها دخلت لبنان لتأمين مصالحها وليس لخدمة « الجبهة اللبنانية » وانها وحدها صاحبة القرار في ما ينبغي عليها عمله . ثم سددت اسرائيل طلقة الخلاص الى اوهام « الجبهة اللبنانية » بأن كشفت دور حزب الكتائب في مذبحة صبرا وشاتيلا واعتبرته مسؤولاً عن الفظائع المرتكبة ضد المدنيين وعززت في الوقت نفسه دور سعد حداد على حساب « الشرعية » التي اعتبر حزب الكتائب نفسه وصياً عليها ، منذ ان انتخب احد اعضائه رئيساً للدولة وتسلم قمة الشرعية .

امام هذا الوضع الصعب كان على « الجبهة اللبنانية » ان تتخذ موقفاً ازاء الوجود الاسرائيلي العسكري في الاراضي اللبنانية ، فهي لا تستطيع السكوت على هذا الوجود الاحتلالي المتعارض مع مقولاتها عن

السيادة ولا تتمكن من مطالبة الاسرائيليين بالانسحاب بعد ان اتفقت معهم على الغزو وساعدتهم خلاله ، وليس بوسعها رفع لواء مواجهتهم من اجل اجلائهم سيما بعد ان تمكنوا من اختراق الجبهة وتقسيمها إلى اجنحة وربط بعض تلك الاجنحة بهم وتحويلها الى ادوات اسرائيلية .

لذا اكتفت « الجبهة اللبنانية » بطرح مقولة انسحاب القوات « الاجنبية » كلها وساوت بين عدو لبنان واصدقائه بل وذهبت الى حد المطالبة بانسحاب سوري فلسطيني اولاً . الامر الذي اتاح لاسرائيل مجالاً واسعاً للمناورة ومنحها الفرصة لترسيخ وجودها الاحتلالي على الارض اللبنانية .

ويمثل سعد حداد القوة الرابعة الموجودة عملياً في لبنان . ولكن من غير الممكن التحدث عن موقف متميز لهذه القوة ازاء الانسحاب الاسرائيلي طالما ان قوات سعد حداد قد ارتبطت باسرائيل عضوياً ، وغذت جزءاً من مخططها الامني والسياسي في لبنان واصبحت مواقفها ابان الغزو وبعده جزءاً لا يتجزأ من الموقف الاسرائيلي . وأذا كان في « الجبهة اللبنانية » جناح اكتشف ــ بعد فوات الاوان ــ خطورة التحالف مع اسرائيل ، والاضرار الناجمة عنه بالنسبة الى سلامة لبنان وسيادته ووحدته وعلاقته مع محيطه العربي ، فان سعد حداد مازال غارقاً في هذا التحالف ومتمسكاً به ، ومازال في مقدمة المطالبين بالانفصال عن العرب والعروبة وعقد معاهدة أمنية مع الدولة الصهيونية .

وهو يمثل في الجنوب ما تمثله اجنحة « الجبهة اللبنانية » المرتبطة باسرائيل في المناطق التي تسيطر عليها تلك الجبهة .

هـ ـ الموقف الفلسطيني

كان الهدف المعلن للاجتياح الاسرائيلي للبنان هو إنزال هزيمة قاسية بمنظمة التحرير ، وابعاد المقاومة الى مسافة اربعين كيلو متراً من خط الهدنة اللبناني ـ الاسرائيلي ، غير ان هذا الهدف سرعان ما تطور الى جملة اهداف منها : اخراج القوات السورية والفلسطينية من جميع الاراضي اللبنانية ، وتدمير البنية التحتية لمنظمة التحرير والقضاء عليها كقوة عسكرية وكحركة سياسية .

وقد ازداد عناد اسرائيل لتحقيق هذه الاهداف مع وصول القوات الغازية الى مشارف بيروت ، وقتذاك اعلن الامين العام للامم المتحدة ، « دي كويلار » انه تلقى تأكيداً من منظمة التحرير بقبول قرارات مجلس الامن القاضية بوقف اطلاق النار ، واعرب عن قلقه إزاء البيانات التي تطلقها اسرائيل بان وقف اطلاق النار « الحالي » لا ينطبق على اعمالها ضد الفلسطينيين[1] .

لقد قاتل رجال منظمة التحرير زهاء تسعين يوماً بشجاعة فائقة اذهلت العالم ، وكان قتالهم دفاعاً عن استمرار وجودهم ووجود منظمتهم وحقهم الوطني المغتصب ، مثلما كان دفاعاً عن الارض والشعب اللذين سهلا انطلاقهم نحو الارض المغتصبة والالتحام مع العدو ، طوال اربعة عشر عاماً . ولقد حقق المقاتلون الفلسطينيون عبر صمودهم على ارض

---

(١) جريدة تشرين عدد ١٩٨٢/٦/١٢ .

لبنان أعلى درجات الإرادة الوطنية ، ويكفي أن يشار إلى هذه الإرادة من خلال ما قاله الجنرال الاسرائيلي « بن تسيون شرايدر » لجريدة « عل هامشمار » الاسرائيلية أثناء رقوده جريحاً في المستشفى : « إن من يقول لك انه لم يكن يظن ان الفلسطينيين سيقاتلون بضراوة وشجاعة فائقة هو كاذب .. نحن كنا نعلم جيداً انهم سيقاتلوننا حتى النهاية .. وإلا لماذا دخلنا هذه الحرب بمائة وخمسين الف جندي ؟ اتعرف ماذا يعني ان تدخل إسرائيل حربا بمائة وخمسين الف جندي ؟ يعني انها حرب قاسية.، وهناك امر هام وهو ان تسعين بالمائة من الجنود الذين دخلوا لبنان هم من القوات النظامية وليسوا من قوات الاحتياط »[1] .

وتؤكد هذه الشهادة ، ومئات الشهادات المماثلة صمود المقاتلين الفلسطينيين وبسالتهم ، بقدر ما تؤكد اصرارهم على الدفاع عن ارض لبنان والتمسك بها كقاعدة لانطلاقهم نحو ارضهم في فلسطين . بيد ان اختلال موازين القوى العسكرية على الارض ، ومعطيات الوضع العربي التي لم تسمح بتعديل هذا الخلل إبان القتال ، والرغبة في الحفاظ على ارواح المواطنين اللبنانيين وممتلكاتهم دفعت القيادة الفلسطينية الى القبول بوقف القتال والخروج من بيروت . ولم يحدث للقيادة الفلسطينية ان اتخذت قراراً بمثل صعوبة قرار الخروج من بيروت ، ذلك ان هذا القرار طوى صفحة العمل النضالي الفلسطيني من الساحة اللبنانية دون ان تنال قضية فلسطين مقابلاً سياسياً يستحق الذكر ، مثل اعتراف الولايات المتحدة

(١) نقلا عن « صدى المعركة » عدد ١٩٨٢/٩/١٨ .

بمنظمة التحرير ، ومشروعية ووحدانية تمثيلها للشعب الفلسطيني وبضرورة إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ، رغم ان المنظمة قدمت تضحيات هائلة اثناء تصدي رجالها للغزو .

ولم تكن صعوبة هذا القرار تنطوي في الشق الاول من تنفيذه على الخروج من جنوب لبنان ومن بيروت ، وانما في الشق الثاني حيث خرج المقاتلون الى ثماني دول عربية ، وبقي سائر الفلسطينيين في لبنان ، وعددهم يقدر بأكثر من نصف مليون نسمة تحت وطأة التهديد بالتهجير وبتوزيعهم على دول عربية اخرى ، اضافة الى ان توزيع المقاتلين على هذه الدول ، إحدث اربا كات كبيرة في صيغة العمل النضالي الفلسطيني ضد العدو الاسرائيلي .

في غمرة هذه الإرباكات ، ووسط المعضلات الناجمة عن النزوح الرابع ، وما رافقها من تباين في وجهات نظر المنظمات الفلسطينية حول طبيعة العمل النضالي المستقبلي والعلاقة مع الاردن وغيرها من المسائل الطارئة كان على قيادة منظمة التحرير الفلسطينية اتخاذ قرار حول الوجود العسكري الفلسطيني في البقاع والشمال .

ولقد اعلنت منظمة التحرير عن استعدادها المبدئي الكامل للانسحاب من البقاع وطرابلس . ويرجع ذلك الى انها تريد مساعدة لبنان ولا ترغب في ان يقدم رفضها للانسحاب المبررات والحجج الى اسرائيل للابقاء على غزوها واحتلالها . ففي رسالة سلمها وفد فلسطيني الى الرئيس امين الجميل قول رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات : « لن نسمح باستغلال وجودنا في لبنان ذريعة لبقاء قوات الاحتلال

الاسرائيلي »[1] وبالاضافة الى ذلك فان منظمة التحرير لا تريد ان تلقي على نفسها مسؤولية الابطاء في التوصل الى حالة من الوفاق الوطني اللبناني ، باعتبار ان « الجبهة اللبنانية » تعتبر الوجود الفلسطيني المسلح معوقاً للاتفاق بين كافة الاطراف اللبنانية .

غير ان هذا لا يعني انه ليس لدى الثورة الفلسطينية شروط محددة للانسحاب من الاراضي اللبنانية فيما اذا كانت هناك مفاوضات حول ذلك . وهذه الشروط هي :

١ ــ الانسحاب الاسرائيلي الكامل من لبنان ، على ان تتعهد المنظمة بضمانات عربية لسحب قواتها من لبنان بعد الجلاء الاسرائيلي . حتى لا يتعرض الفلسطينيون المدنيون لمذبحة على غرار مذبحة صبرا وشاتيلا التي برهنت على ان اسرائيل لا تلتزم بتعهداتها ، وان الضمانات الاميركية بحاجة الى ضمانات .

٢ ــ الاتفاق مع السلطة اللبنانية على شكل وحجم الوجود السياسي والثقافي والاعلامي لمنظمة التحرير في لبنان ، مع توفير الضمانات التي تكفل الالتزام بالاتفاق الذي يتم التوصل اليه .

٣ ــ الاتفاق مع السلطة اللبنانية على عدم اعتقال الفلسطينيين المقيمين في لبنان او تسفيرهم ، وعلى ضمان امن المخيمات بشكل لا يسمح بتكرار مذبحة صبرا وشاتيلا على يد اي طرف من الاطراف .

ومن الواضح ان استمرار الوجود العسكري الفلسطيني على الارض

---

(١) جريدة الرأي الاردنية ، عدد ١٩٨٢/١٠/٢٤ .

اللبنانية تتدخل فيه عوامل كثيرة يتصل معظمها بالموقفين اللبناني والفلسطيني وبتطوراتهما ، واذا كان الموقف اللبناني يتمثل ـ مبدئياً ـ في سحب « جميع القوات الاجنبية من لبنان » فان استمرار اسرائيل في غزو لبنان ، سيجعل من الطلب اللبناني سحب القوات الفلسطينية امراً شبه مستحيل لان معناه القبول بالشرط الاسرائيلي المفروض عبر الاحتلال مع رفض استمرار الالتزام باتفاق القاهرة لعام ١٩٦٩ القاضي بتنظيم الوجود الفلسطيني المسلح على الارض اللبنانية .

وليس من المستبعد ان تعمد القيادة الفلسطينية الى طرح مسألة الوجود العسكري في لبنان بهدف الضغط لايجاد حل للمشكلة الاصلية ، اي مشكلة فلسطين ، اما كيف ستمارس القيادة هذا الضغط ؟ وعلى من تمارسه ؟ فهذا رهن بجملة الاوضاع السياسية التي ستسود المنطقة من جراء الصراع القائم بين سورية والقوى التحررية المتحالفة معها من جهة والولايات المتحدة واسرائيل والقوى الاستسلامية من جهة اخرى .

و ـ الموقف العربي

كان رد الفعل العربي « الخجول » الذي قوبل به الاجتياح الاسرائيلي انعكاساً للعجز العربي العام عن التصدي للغزاة . كما كان من اهم العوامل التي شجعت القيادة الاسرائيلية على المضي في دفع قواتها الى العمق اللبناني ومحاصرة بيروت ابان القتال . وفي مقدمة العوامل التي امنت لاسرائيل القدرة على التعنت ورفض الانسحاب وتوسيع مجالات الابتزاز بعد وقف القتال .

ففي اثناء عمليات الغزو العسكرية ، فشلت الدول العربية ، والمؤسسة الممثلة لها (الجامعة العربية) في عقد اي اجتماع ولم تتمكن من عقد اجتماع لوزراء الخارجية العرب الا بعد مضي ثلاثة اسابيع ومحاصرة بيروت وسقوط الاف القتلى والجرحى . وفي ٦/٢٧ انتهى ذلك الاجتماع الطارىء الذي عقد في تونس ، دون التوصل الى قرار ملموس ومباشر لمواجهة الغزو . ولم يدن الوزراء علانية المساعدة الامريكية لاسرائيل ولم يصدروا سوى قرار وحيد ، اعلنه الامين العام للجامعة العربية الشاذلي القليبي وهو تشكيل لجنة وزارية مصغرة « من اجل متابعة الجهود العربية الهادفة الى تطبيق قرارات الامم المتحدة بالنسبة الى سحب القوات الاسرائيلية من لبنان » وكما هو ملحوظ من صيغة هذا القرار ، لم يفعل الوزراء ما من شأنه اتخاذ موقف عملي حازم حيال العدو الاسرائيلي الغازي ، او حيال الولايات المتحدة الواقفة وراء العدوان . الامر الذي جعل وزير الخارجية السورية عبد الحليم خدام ينتقد بعض الدول العربية « لان ردود فعلها لم تكن جدية ومحسوسة »[1] .

والحقيقة ان الدول العربية قامت خلال القتال وبعد توقفه بعدة محاولات سياسية بغية تأمين انسحاب القوات الصهيونية الغازية من لبنان ، ومساعدة لبنان على تنفيذ قراري مجلس الامن ٥٠٨ و ٥٠٩ ولكن محاولاتها لم تأخذ شكلاً ضاغطاً ، حتى لا تصطدم بالولايات المتحدة المتحالفة مع اسرائيل ، والمشاركة ، في إعداد العدوان ، والقائمة بتغطيته على المستوى

(١) دراسات فتح ، التقرير رقم ٢٥٢ .

الدولي . ويرجع هذا التراخي في الموقف العربي الى ان عدداً كبيراً من الدول العربية قد وضع ٩٩٪ من اوراق الحرب والسلام في المنطقة العربية في يد الولايات المتحدة واحس بانه مدين لها بحمايته من الخطر السوفييتي المزعوم ، فلم يعد قادراً على التعامل معها من موقع قوي مستقل بكل معنى الكلمة . ولقد وصف الكاتب الفرنسي ايريك رولو الوضع العربي القائم بقوله : في التحليل الاخير (العالم العربي مسؤول عن التواطؤ الاسرائيلي الامريكي اذ ليس لدى الولايات المتحدة في الواقع اي سبب يجبرها على تغيير سياستها مادامت مصالحها الحيوية غير مهددة في الشرق الاوسط ، وخصوصاً في الخليج ، ولم تقم اية دولة في المنطقة بأي تلميح الى احتمال القيام بضغط سياسي مثل قطع العلاقات الدبلوماسية او اقتصادي مثل تعليق التعامل مع المؤسسات وتقليص المبادلات التجارية وسحب الارصدة الموجودة في الولايات المتحدة[١]) .

ان الموقف العربي مؤيد للانسحاب الاسرائيلي الكامل . ولكن الوضع العربي الذي اتينا على ذكره لا يعطي هذا الموقف دعماً كافياً ولا يمنحه القدرة على الفعل . والمخرج الوحيد لتجاوز التناقض القائم حالياً بين الرغبة والقدرة هو الارتقاء بمستوى القدرة بشكل يجعلها عنصراً فاعلاً .

وهذا هو بالضبط ما تفعله سورية من خلال السعي الى تعديل موازين القوى ، وهذا ايضاً ما ينبغي على الدول العربية ان تفعله حتى لا يؤدي اعتمادها على الولايات المتحدة الى دخول عصر السيطرة الاميركية ـــ الاسرائيلية الذي تخطط له واشنطن وتسعى الى فرضه في المنطقة العربية .

(١) لوموند ديبلوماتيك ، ذكرتها دراسات فتح ، الحرب الفلسطينية ـــ الاسرائيلية ص٥٧ .

الفصل الثاني عشر

على هامش الغزو

١ ــ مقدمة :

٢ ــ انتهاك العدو الصهيوني في لبنان للقوانين والاتفاقيات الدولية .

٣ ــ الاحتلال الحربي .

٤ ــ تصنيف جرائم العدو الصهيوني في لبنان .

٥ ــ ارتكاب العدو جرائم الحرب في لبنان .

٦ ــ وجوب معاملة المعتقلين كأسرى حرب .

٧ ــ معسكر انصار معتقل نازي .

٨ ــ جرائم ضد الانسانية .

٩ ــ وجوب معاقبة افراد قوات الاحتلال كمجرمي حرب .

١٠ ــ سلطات الاحتلال واعمال السلب والنهب .

١١ ــ الخرق السياسي والتغلغل الاقتصادي الاسرائيلي في لبنان .

١٢ ــ قوات الاحتلال والمصارف اللبنانية .
١٣ ــ سلطات الاحتلال وقطاع السياحة .
١٤ ــ تأثير الغزو على الاقتصاد الاسرائيلي .

١ ــ مقدمة

تنشب الحروب في مختلف انحاء العالم . ولكنها تختلف من حيث اهدافها ، والاطراف المتنازعة المشتركة فيها ، والاساليب والوسائل التي تتم فيها العمليات العسكرية . فالرغبة في التوسع والسيطرة على البلدان الاخرى تقود الى الحروب ، كما ان وجود الاحتلال الاجنبي واستمراره يولدان امكانية اندلاع حروب جديدة .

وتكمن أسباب الحروب في الانظمة الامبريالية والاستعمارية ــ ومنها الكيان الصهيوني ــ ذاته ، ذلك لانها تقوم على التوسع والاحتلال والاضطهاد والاستغلال ويحاول ، عن طريق القوة المسلحة ، الحصول على أراضٍ ومصادر جديدة للمواد الخام وأسواق جديدة لمنتجاتها الصناعية ، ولقد نشبت في الماضي العديد من الحروب من اجل إعادة توزيع مناطق النفوذ والحصول على الأرباح الهائلة .

ويقسم بعض الفلاسفة ورجال القانون الحرب من حيث طبيعتها الى نوعين : حروب عادلة وحروب غير عادلة . والحروب العادلة هي حروب التحرير وتقوم من أجل التحرر من الاحتلال الاجنبي او للدفاع عن

الوطن ضد عدو خارجي ، فحرب التحرير والحروب الدفاعية هي حروب عادلة .

والحروب غير العادلة هي حروب الغزو والتوسع التي تخدم احتلال اراضي الغير للتوسع ونهب ثرواتها واضطهاد شعوبها وانزال افدح الخسائر فيها ويقع ضمنها الحروب الامبريالية وحروب اسرائيل الاستعمارية التوسعية ضد فلسطين وبقية الاقطار العربية ومنها لبنان .

ومن الامثلة على الحروب غير العادلة حروب فرنسا في الجزائر ، والولايات المتحدة في كوريا وفيتنام ، واسرائيل في فلسطين وسورية ومصر ولبنان ، اما الحروب التي خاضتها شعوب هذه البلدان ضد فرنسا والولايات المتحدة واسرائيل فهي حروب عادلة تهدف الى تحرير هذه البلدان من قوات الاحتلال الاجنبي وممارسة حقها في تقرير المصير والاستقلال .

لقد قامت حكومة العدو الصهيوني باسم « سلامة الجليل » بغزو لبنان ، ويعتبر هذا بحد ذاته انتهاكاً لمبدأ اساسي من مبادىء ميثاق الامم المتحدة والقانون الدولي ، وهو مبدأ عدم استخدام القوة في العلاقات الدولية كما انتهكت الدولة الغازية تعريف العدوان الذي اقرته الامم المتحدة في ١٤ كانون الاول/ ديسمبر ١٩٧٤ ، ولذلك فان ما قامت به يعتبر عدواناً وينطبق عليه تعريف العدوان ، والذي جاء فيه « أن العدوان هو استخدام القوة المسلحة من قبل دولة ضد سيادة وأراضي دولة اخرى »(١) ويتضمن التعريف ايضاً ان اية اعتبارات سياسية او اقتصادية او عسكرية

(١) البعث ١٩٨٢/١٢/١٢ .

لا يمكن ان تبرر العدوان ، ولذلك فان تذرع اسرائيل بعمليات المقاتلين الفلسطينيين لا تبرر العدوان مطلقاً ، وتسقط الحجة الاسرائيلية في تبرير العدوان .

٢ ــ انتهاك العدو الصهيوني في لبنان للقوانين والاتفاقيات الدولية

منذ ان قامت الدولة الصهيونية في فلسطين وهي تنتهك قوانين الحرب واتفاقيات جنيف الاربع للعام ١٩٤٩ ، والاعلان العالمي لحقوق الانسان وميثاق الامم المتحدة وقراراتها ، ومبادىء القانون الدولي . وهذا ما يثبت بالدليل القاطع ، أن جميع حروب اسرائيل هي اعتداءات وحروب غير عادلة ، من وجهة نظر القانون الدولي .

وبالرغم من انتهاك العدو الفاضح لهذه القوانين والاتفاقيات الدولية نجد ان الولايات المتحدة الاميركية وبعض دول اوروبا الغربية لم تستنكر هذه الانتهاكات ولم تقم بادانتها رغم انها لا تزال حتى اليوم تدين وتستنكر جرائم المانيا النازية مع العلم أنه عندما ارتكبت ألمانيا النازية جرائمها الوحشية ضد المعادين لها لم تكن الامم المتحدة والاعلان العالمي لحقوق الانسان والاتفاقيات الدولية الاخرى موجودة ، وعلى هذا فان جرائم الدولة الصهيونية افظع من جرائم الدولة النازية في ألمانيا لوجود الامم المتحدة والاتفاقيات الدولية العديدة .

ان غزو لبنان والاعمال التي قامت بها القوات الاسرائيلية خرق

فاضح لميثاق الامم المتحدة واتفاقية تحريم ابادة الجنس التي أقرت بتاريخ ٩ كانون الاول ديسمبر ١٩٤٨ ، والاعلان العالمي لحقوق الانسان واتفاقيات جنيف الاربع للعام ١٩٤٩ ، والعهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية ، والعهد الدولي للحقوق الثقافية والاقتصادية واللذين تم التوقيع عليهما في ١٦ كانون الاول/ديسمبر ١٩٦٦ .

اعلن العدو الصهيوني ، في بداية الغزو ، ان الهدف من عملية ، سلامة الجليل ابعاد مدفعية منظمة التحرير الفلسطينية نحو ٤٠ ــ ٤٥ كم عن المستعمرات الاسرائيلية في الجليل ، غير انه دمر اجزاء كبيرة من صور وصيدا والنبطية والمخيمات الفلسطينية واعتقل حوالي عشرة الاف من المدنيين الفلسطينيين واللبنانيين . ولم يتوقف العدو الصهيوني عند هذا الحد فحاصر بيروت وأعلن انه يصر على اخراج منظمة التحرير الفلسطينية منها سياسياً وعسكرياً .

لقد دمر العدو الغازي ٤ مدن لبنانية و ٢٥ قرية و ١٠ مخيمات للاجئين[1] الفلسطينيين وأصبح حوالي ٦٠٠ ألف لبناني وفلسطيني دون مأوى ، بعد أن دمرت قوات الغزو الصهيونية منازلهم وقتل حوالي ٢٠ ألف لبناني وفلسطيني وجرح حوالي ٣٥ ألف معظمهم من المدنيين الابرياء بمن فيهم النساء والاطفال والشيوخ . وتم تدمير المنازل نتيجة القصف الجوي والبحري والبري ، وشمل القصف المؤسسات العلمية والثقافية والصحية .

---

(١) الدستور الاردنية ١٩٨٢/٧/٧ .

٣ ـ الاحتلال الحربي

الغزو في القانون الدولي هو دخول القوات المسلحة لدولة ما الى اقليم دولة أخرى بالقوة . وتدخل عملية الغزو مرحلة الاحتلال الحربي عندما تفرض القوات الغازية سيطرتها على الاجهزة الحكومية والادارية في المناطق التي احتلتها .

وقد هدف العدو الاسرائيلي من غزو لبنان الى التوسع على حساب الارض اللبنانية ، وتحويل نهر الليطاني ، والتغلغل في الاقتصاد اللبناني والسيطرة عليه وفرض اتفاقية صلح على لبنان تتضمن الاهداف السياسية للغزو .

ان الاحتلال الحربي لا ينقل السيادة على الاقليم المحتل الى ملكية دولة الاحتلال ، لان ميثاق الامم المتحدة ومبادىء القانون الدولي تشجب الحرب كوسيلة من وسائل تحقيق السياسة القومية ولذلك تمنع أحكام القانون الدولي سلطات الاحتلال من ممارسة أي عمل من أعمال السيادة على الاقليم المحتل كضم جزء من أراضيه أو تحويل نهر من أنهاره كما لا يجوز لسلطة الاحتلال أن تطبق قوانينها على المناطق المحتلة ، ويقول الاستاذ « جوجنهايم » أنه ينشأ في الاقليم المحتل ثلاثة نظم قانونية[١] .

أ ـ نظام الدولة صاحبة الاقليم .
ب ـ نظام الدولة المحتلة .

---

(١) د . احسان الهندي : قانون الاحتلال الحربي ، دمشق ١٩٧٢ .

ج ــ نظام يقوم على أساس قواعد القانون الدولي العرفية والاتفاقية . ان علاقة سكان الاراضي المحتلة بسلطة الاحتلال تختلف عن العلاقة التي تربطهم بدولتهم الاصلية ، وهذا يعني أن سكان المناطق المحتلة غير ملزمين بالولاء لسلطات الاحتلال ، لان القانون الدولي يعتبر الولاء علاقة قانونية مرتبطة بالسيادة ، ولذلك لا يجوز للقوات الاسرائيلية في لبنان أن تفرض أي نظام اداري أو مالي وأي قانون اسرائيلي ، أو أن تتخذ أي تدبير يخالف احكام القوانين والانظمة اللبنانية .

٤ ــ تصنيف جرائم العدو الصهيوني في لبنان

حظرت المواثيق الدولية ومبادىء القانون الدولي المعاصر الحروب العدوانية ، واعتبرتها جريمة من أكبر جرائم القانون الدولي ، فقد حرم البيان الصادر عن الاجتماع الثامن لعصبة الامم في ١٩٢٧/٩/٢٤ الحروب العدوانية ، واعتبرتها معاهدة كيلوج ــ بريان[١] الموقعة عام ١٩٢٨ جريمة ، وكذلك ميثاق الامم المتحدة .

ويمكن تصنيف الجرائم التي ارتكبتها قوات العدو الصهيوني في لبنان انطلاقاً من القانون الدولي الى انواع ثلاثة : جرائم ضد السلام ، وجرائم حرب ، وجرائم ضد الانسانية والنوع الاول يتضمن اشعال الحروب

(١) معاهدة KELLOGG - BRIAND الموقعة في تموز/ يوليو ١٩٢٨ .

العدوانية ويتضمن النوع الثاني الحروب التي تنتهك قواعد الحرب وتقاليدها التي نصت عليها المواثيق الدولية كاتفاقيات لاهاي للعام ١٨٩٩ و ١٩٠٧ واتفاقيات جنيف للعام ١٩٢٩ و ١٩٤٩ ، أما الجرائم الانسانية فهي الاعمال التي تخالف احكام الاعلان العالمي لحقوق الانسان واتفاقية تحريم ابادة الجنس واتفاقية جنيف الرابعة المتعلقة بحماية المدنيين زمن الحرب .

٥ ـ ارتكاب العدو جرائم الحرب في لبنان

قام العدو الاسرائيلي في لبنان بارتكاب جرائم حرب في القرى والمدن اللبنانية والمخيمات الفلسطينية بانتهاكه ابسط قواعد وقوانين الحرب التي وردت في الكثير من الاتفاقيات الدولية وبشكل خاص في اتفاقيات جنيف الاربع للعام ١٩٤٩ وهي :

أ ـ اتفاقية جنيف الاولى بشأن تحسين حال الجرحى والمرضى بالقوات المسلحة في الميدان .

ب ـ اتفاقية جنيف الثانية بشأن تحسين حال الجرحى والمرضى والغرقى من افراد القوات المسلحة في البحار .

ج ـ اتفاقية جنيف الثالثة بشأن معاملة اسرى الحرب .

د ـ اتفاقية جنيف الرابعة وتتعلق بحماية الاشخاص المدنيين وقت الحرب .

لقد جرت عادة العدو الاسرائيلي أن يستخدم احدث أنواع

الاسلحة الفتاكة والمحرمة دولياً بدءاً من رصاص الدمدم في العام ١٩٤٨ وقنابل النابالم في العام ١٩٦٧ ، والقنابل العنقودية والفراغية في عدوان حزيران/يونيو ١٩٨٢ .

ولقد استخدم القنابل العنقودية في صور وصيدا وبيروت الغربية والبقاع على نطاق واسع . واعترف مجرم الحرب شارون بذلك وقال انه اعطى الاوامر باستعمال هذه الاسلحة[1] كما اكد كثير من المراسلين الاجانب وشهود عيان استخدام العدو للقنابل العنقودية في بيروت وعلى نطاق واسع .

استخدم العدو اشد وسائل التدمير والفتك والابادة بين صفوف المدنيين لتحقيق اهدافه السياسية . فكلما تعرقلت مساعي المبعوث الامريكي فيليب حبيب ، صعدت القوات الصهيونية العسكرية غاراتها على الاحياء المدنية والمؤسسات الثقافية والصحية وركزت عدوانها على المدن والقرى والمخيمات الاهلة بالسكان المدنيين مثل بيروت الغربية وصور وصيدا والنبطية ومخيمات الفلسطينيين .

لقد تم منع التدمير في الحرب منذ بداية القرن التاسع عشر عرفا ثم تم تدوينه في اتفاقية لاهاي للعام ١٩٠٧ وتنص المادة ٢٣ من الاتفاقية « على أنه يمنع بشكل خاص تخريب ممتلكات العدو الا في حالة الضرورة العسكرية الماسة . » وتنص المادة ٥٣ من اتفاقية جنيف الرابعة للعام ١٩٤٩ على انه : « يحظر على دولة الاحتلال ان تدمر أية املاك ثابتة أو

---

(١) هارتس ١٩٨٢/٨/١٥ .

منقولة خاصة بالأفراد او الجماعات او الحكومة أو غيرها من السلطات العامة أو لمنظمات اجتماعية او تعاونية الا اذا كانت العمليات العسكرية تقتضي حتماً ضرورة هذا التخريب » . وعندما يقوم العدو بتدمير الاملاك الخاصة وعن قصد ، يعتبر ذلك انتهاكاً للقانون الدولي ويجب معاقبته .

ولقد ذهبت محكمة نورمبرغ الدولية أبعد من ذلك حين اعتبرت التدمير ضرورة عسكرية للمدن والقرى من جرائم الحرب .

وتعتبر المادة ١٤٧ من اتفاقية جنيف الرابعة التدمير الشامل للممتلكات او الاستيلاء عليها من المخالفات الخطيرة والتي يجب ملاحقة مرتكبيها ومعاقبتهم واتخاذ كافة الاجراءات لوقفها .

وتقول مجلة هعولام هازيه الاسرائيلية ان قوات الغزو استطاعت عن طريق القصف الجوي والبحري والبري ان تدمر اكثر من ٨٠٪ من الاحياء السكنية للمدن اللبنانية في الجنوب[١] ، ودفن تحتها الالاف من السكان المدنيين . وتعرضت المخيمات الفلسطينية لابشع اساليب التدمير والابادة جواً وبحراً وبراً . وقد دمر العدو أربعة عشر مخيماً في جنوب لبنان وشرد سكانها ، كما دمر مخيم عين الحلوة تدميراً تاماً ، وكذلك مخيمي البص والرشيدية ، واستخدم لاول مرة في التاريخ قنبلة فراغية في منطقة الصنائع في بيروت الغربية دمرت بناية مكونة من ثمانية طوابق وقتلت ٢٥٠ مدنياً .

---

(١) الدستور ١٩٨٢/٧/١٦ ، عن مجلة هعولام هازيه .

وقد تحدث الدكتور يوسف عواد من مستشفى بلسم في بيروت عن ظهور القنبلة الفراغية وقال :

« ان ضحايا القنبلة الفراغية يعانون من جروح داخلية خطيرة من العسير علاجها وهم يبدون أصحاء المظهر الا انهم يبصقون ويتبولون دماً باستمرار وهي تؤدي الى ارتجاج في المخ وانكماش في الرئتين وانفجار في الكبد وانتفاخ في البطن »[1] .

واستخدم العدو الاسرائيلي ايضاً القنابل الفسفورية وقنابل النابالم المحرقة التي أصابت الكثير من المدنيين ، وكتب الصحفي روبرنيسك في التايم يقول :

يرقد في مستشفى بدر ١٠٢ مدنياً في جناح واحد اصابتهم القنابل الفسفورية التي القتها اسرائيل[2] .

وتحرم المواثيق الدولية الثلاثة التي صيغت عام ١٩٨٠ في جنيف استعمال القنابل الفسفورية والعنقودية ضد المواقع العسكرية داخل المدن . وقد حدث أن سقطت القنابل الفسفورية على مبنى الصليب الاحمر نفسه في بيروت المدينة المحاصرة[3] .

لقد فاقت تصرفات الغزو الصهيونية في لبنان تصرفات الالمان النازيين ابان الحرب العالمية الثانية ، فلم تكتف سلطات العدو الصهيوني

---

(١) الارض العدد الرابع تاريخ ١٩٨٢/١١/٧ .

(٢) المرجع ذاته عن مجلة التايم .

(٣) البعث ١٩٨٢/٨/٥ .

بتدمير البنايات السكنية على رؤوس ساكنيها بل قامت بقصف المدارس والمستشفيات على من فيها من جرحى ومرضى وممرضين وأطباء ، وتجلت وحشيتها عندما دخلت مستشفى عكا في بيروت وقتلت عمداً عدداً من الاطباء والممرضات وحرقت غرفة الاطفال وفيها ١٥ طفلاً . وكانت تطارد بطائراتها سيارات الاسعاف التي تحمل شارة الصليب الاحمر لتقصفها وتقتل من فيها من الجرحى ، وكانت تقصف السيارات المدنية وهي تسير في الطرقات ، فقتلت عشرات الاطفال والنساء وهم في سياراتهم المدنية .

وفي مدينة صور دمرت جميع مستشفيات المدينة وهي : مستشفى الدكتور اسماعيل بحر ، ومستشفى جبل عامل ، والمستشفى الحكومي ، ومستشفى الهلال الاحمر الفلسطيني[1] .

وفي صيدا دمرت مستشفى الهلال الاحمر الفلسطيني والمستشفى الحكومي ، ودمرت في شتورا مستشفى الميس .

وفي بيروت قصفت قوات العدو معظم مستشفيات المدينة ، ولم يسلم من القصف سوى مستشفى واحد[2] . ودمرت تدميراً تاماً مستشفى عكا ، ومستشفى غزة ، ومستشفى بيروت ، وأصابت مستشفى البربير ومستشفى المقاصد ، ومستشفى دار العجزة ومستوصف الهلال الاحمر اللبناني في رأس النبع .

ولم يقتصر التدمير على المستشفيات بل شمل ايضاً المدارس والمعاهد

(١) مجلة الارض العدد الثالث ٢١/١٠/١٩٨٢ .

(٢) الارض العدد الثالث ٢١/١٠/١٩٨٢ .

والمراكز الثقافية وحتى دور العبادة ، فتم تدمير مسجد برج البراجنة ومسجد صيدا ومسجد عين الحلوة .

ولم يكتف العدو الصهيوني بهذه الاساليب والاعمال الوحشية بل قام بمنع وصول امدادات المواد الغذائية والطبية ومواد الاسعاف وقطع الماء والكهرباء عنها ، خاصة عندما كانت الحاجة ماسة جداً للدم بسبب كثرة الجرحى وفقدانه من المستشفيات ، وهذا انتهاك فاضح لاتفاقيات جنيف التي تحرم استخدام الجوع والعطش ضد السكان المدنيين وانتهاك لابسط المبادىء والحقوق الانسانية .

وشمل التدمير الاملاك المحمية ، وهي أملاك المؤسسات الدينية والعلمية والانسانية والفنية بموجب المادة ٥٦ من لائحة الحرب البرية الملحقة باتفاقية لاهاي للعام ١٩٠٧ والتي تنص على ما يلي : « ان أملاك البلديات ، والمنشآت المخصصة لممارسة العبادات ولاعمال البر والتعليم ، وللفنون والعلوم ، حتى تلك التي تعود ملكيتها للدولة يجب اعتبارها كالملكية الخاصة ، وان كل مصادرة او تدمير او تحقير متعمد لمثل هذه المنشآت وللاعمال الفنية هي امور ممنوعة ويجب ملاحقتها » وتنص المادة ٥٦ من اتفاقية جنيف الرابعة للعام ١٩٤٩ على أن من واجب دولة الاحتلال تأمين وحفظ المنشآت والخدمات الطبية والشؤون الصحية العامة والوقاية في الاراضي المحتلة ... ويسمح لجميع افراد الهيئة الطبية من جميع الفئات بمباشرة واجباتهم . وتعني هذه المادة وجوب احترام سلطة الاحتلال للمستشفيات وبقية المؤسسات الصحية الاخرى حكومية كانت ام خاصة ، وعليها ترك حرية العمل لافراد الطواقم الطبية كالاطباء والممرضين

والممرضات . وتنص المادة ٥٧ من الاتفاقية ذاتها على تحريم مصادرة سلطة الاحتلال للمستشفيات الا لمعالجة الجرحى والمرضى من العسكريين ولا يجوز بأي حال من الاحوال مصادرة تجهيزات المستشفيات .

٦ ـ وجوب معاملة المعتقلين كأسرى حرب

رفضت « الدولة الصهيونية » جميع المطالب والضغوط الدولية لمعاملة الاسرى الفلسطينيين في حرب الابادة في لبنان كأسرى حرب . فهي تعاملهم كمعتقلين خارجين عن القانون بموجب قوانين الطوارىء التي وضعتها بريطانيا بين الحربين العالميتين الاولى والثانية ابان فترة الانتداب البريطاني على فلسطين . وتعلل حكومة العدو رفضها تطبيق المواد القانونية في اتفاقيات جنيف حول معاملة أسرى الحرب بأن هذه الاتفاقيات لا تنطبق على مقاتلي منظمة التحرير الفلسطينية لان نشاطاتهم لا تتفق مع قوانين الحروب وأعرافها .

وقام المحتلون الاسرائيليون في لبنان بالقاء القبض على جميع الذكور الفلسطينيين واستجوابهم بابشع الطرق والاساليب الفاشية مما دفع الصليب الاحمر الدولي الى التصريح بأنه لا يرضى عن تصرفات اسرائيل تجاه معتقلي منظمة التحرير الفلسطينية . كما دعت اللجنة الدولية للصليب الاحمر الى معاملة المعتقلين الفلسطينيين كمقاتلين .

ان قوانين الطوارىء والقوانين الاخرى التي تعامل بها دولة الاحتلال

الاسرائيلي الفلسطينيين لا مثيل لها في العالم على الاطلاق . فالمادة ١١٠ من قانون الطوارىء تمكن سلطات الاحتلال الاسرائيلي من اعتقال اي شخص دون القاء تهمة عليه أو تقديمه للمحاكمة . كما تمنح المادتان ١٠٩ و ١١٠ الحاكم العسكري صلاحية سلب المواطن الفلسطيني حقه في املاكه وحوائجه ومنعه من استعمالها واجباره على السكن في منطقة معينة . وتنص المادتان ١١٩ و ١٢٠ على مصادرة املاك شخص شك الحاكم العسكري باخلاصه للاحتلال أو خالف أوامر سلطات الاحتلال .

ان رفض قوات الاحتلال معاملة المعتقلين الفلسطينيين كأسرى حرب يخالف نصوص لائحة الحرب المبرمة الملحقة باتفاقيات لاهاي ١٨٩٩ و ١٩٠٧ والتي تنص على ان اي تنظيم مسلح تتوافر فيه العوامل الاربعة التالية يكتسب صفة المحارب ويتمتع بالتالي بوضع أسير الحرب اذا ما تم اعتقاله وهذه الشروط هي :

أ ـــ ان يكون له رئيس مسؤول عنه .
ب ـــ ان يحمل سلاحه بشكل علني .
ج ـــ ان يكون له لباس مميز وشارات مميزة .
د ـــ ان يتقيد بقوانين الحرب وأعرافها .

وكرر ذلك مؤتمر القانون الدولي الذي انتهى العام ١٩٧٧ في جنيف ، وتضمن البروتوكول الاول الصادر عنه صفة المحارب تنطبق على الشخص الذي يتوافر فيه الشرطان التاليان :

ـــ ان يحمل السلاح بشكل علني .
ـــ ان يتقيد بقوانين الحرب واعرافها .

وانطلاقاً مما ورد فقوات الاحتلال الاسرائيلية ملزمة ان تعامل المعتقلين الفلسطينيين كأسرى حرب ، ولا سيما ان منظمة التحرير الفلسطينية تعترف منذ العام ١٩٧٤ بميثاق الامم المتحدة والاتفاقيات الدولية الاخرى ، وتلتزم احكامها ، وذلك منذ قبولها عضواً مراقباً في الجمعية العامة للامم المتحدة .

ان سلطات الاحتلال ملزمة بمعاملة المعتقلين لديها كأسرى حرب ، وهذا يحتم عليها عدم ضربهم او اهانتهم او تجويعهم او تعذيبهم والسماح للصليب الاحمر الدولي بزيارتهم وتفقد احوالهم .

وتقضي المادة الرابعة من اتفاقية جنيف الثالثة للعام ١٩٤٩ بمعاملة رجال المقاومة المسلحة ضد قوات الاحتلال كأسرى حرب ، وفي حال رفض قوات الاحتلال رجال المقاومة كأسرى حرب ، فان عليها ان تطبق اتفاقية جنيف الرابعة المتعلقة بحماية السكان المدنيين لان سكان المناطق المحتلة اما ان يكونوا اسرى حرب تنطبق عليهم اتفاقية جنيف الثالثة او ان يكونوا مدنيين فتنطبق عليهم اتفاقية جنيف الرابعة .

وتنص المادة ٢٧ من الاتفاقية الرابعة على ما يلي : « ان الاشخاص المحميين لهم الحق في جميع الظروف بأن يحترموا في اشخاصهم وشرفهم وحقوقهم العائلية ومعتقداتهم الدينية وممارسة طقوسها وفي عاداتهم واعرافهم ويجب معاملتهم دوماً بروح انسانية وحمايتهم بشكل خاص من جميع اعمال العنف او التهديد ومن الاهانات والتعريض العلني » .

وانطلاقاً من نص هذه المادة فانه يجب حماية الشخص من اعمال القتل والتعذيب ، وتنص المادة ٣١ على انه لا يجوز استعمال الاكراه

البدني او المعنوي ضد الاشخاص المحميين للحصول على معلومات منهم او من غيرهم . وتنص المادة ٣٢ على :

« ان الاطراف المتعاقدين يتعهدون بشكل صريح على ان كلا منهم يمتنع عليه اتخاذ اي تدبير من طبيعته ان يسبب ألماً جسمانياً للاشخاص المحميين الموجودين تحت سلطتهم او يسبب ابادتهم . وان هذا المنع لا ينطبق فقط على جرائم القتل بمختلف اشكاله والتعذيب والعقاب الجسدي وبتر الاطراف والاختبارات الطبية والعلمية بل يشمل ايضاً كل تدابير القسوة الاخرى سواء قام بها الموظفون المدنيون ام العسكريون » .

٧ ـ معسكر أنصار معتقل نازي

أقامت قوات العدو الصهيوني « معسكر انصار » قرب النبطية وهو أسوأ من معسكرات الاعتقال النازية ، ويبلغ عدد المعتقلين فيه حوالي عشرة الاف منهم الكثير من الاطفال الذين لا تتجاوز أعمارهم الرابعة عشرة وتم اعتقالهم دون مشاركتهم في القتال وانما لاستجوابهم والحصول منهم على معلومات . وتقوم قوات الاحتلال باستجوابهم بمنتهى الوحشية وبأساليب أبشع من أساليب المانيا النازية .

وكتبت جريدة النهار عن وضع الاسرى تقول : يعاني الاسرى في معتقل أنصار من أوضاع صحية متدهورة بسبب الافتقار للمرافق الصحية

والمياه ويتعرض المعتقلون فيه للشمس المحرقة والنوم على التراب لعدم وجود الرعاية الصحية مما ادى الى وفاة بعضهم[1] .

وقالت مجلة نيوزويك الاميركية أن أحد حراس المعسكر قال عن المعتقلين :«إنهم أناس سيئون وليسوا أكثر من حيوانات[2]» وكتبت مجلة هعولام هازيه تقول : « لقد اكد اطباء اجانب انهم شاهدوا بأم اعينهم الجنود الاسرائيليين وهم ينهالون بالضرب الوحشي على فدائيين اسرى حتى الموت[3] » .

ومنعت سلطات الاحتلال الاسرى من الاتصال بذويهم بل قامت بتعذيب الجرحى منهم كما حدث في مستشفى الهلال الاحمر الفلسطيني في صيدا حيث قامت باعتقال قسم من الجرحى وتعذيبهم وطردت الاخرين والدماء تنزف منهم ، وهكذا لم يكن الهدف تصفية منظمة التحرير فحسب وانما ابادة الشعب الفلسطيني .

قال الدكتور كريس جياتو الذي كان يعمل مديراً للمستشفى الطبي في النبطية في مؤتمر صحفي عقد في مبنى الامم المتحدة إنه رأى الجنود الاسرائيليين يضربون أربعة أسرى حتى الموت[4] . ان الحالة الصحية في المعسكر سيئة جداً فهناك أمراض القلب والقرحة والديسك والسل ، ويوجد في المعتقل من اصحاب العاهات الدائمة والمعاقين عدد كبير .

---

(١) الارض العدد الرابع ١٩٨٢/١١/٧ .

(٢) البعث ١٩٨٢/٧/٢٩ .

(٣) الدستور ١٩٨٢/٧/١٦ ، نقلاً عن مجلة هعولام هازيه .

(٤) النهار ١٩٨٢/٧/٣ .

ولقد دفعت وحشية قوات الاحتلال وفاشيتهم في معاملة الاسرى العرب الصحفي البريطاني مايكل آدمز الى القول في صحيفة الغارديان : « لقد عانيت الكثير خلال أربع سنوات كأسير حرب لكن الالمان لم يعاملوني بمثل القسوة التي عومل بها الفلسطينيون[1] .

وقال ريتشارد باتلر مدير قسم المساعدة في المجلس الوطني لكنائس الولايات المتحدة « إن قوات الغزو تحتجز المدنيين المتعاطفين مع منظمة التحرير ، وتعاملهم معاملة سيئة خلافاً لاتفاقية جنيف المتعلقة بالمدنيين ايام الحرب ، وكان الاسرى يضربون ويحرمون من الطعام[2] » .

وانطلاقاً من نص المادة ٣٢ من اتفاقية جنيف الرابعة يمنع على كل دولة القيام بجرائم القتل والتعذيب للاشخاص الذين يقعون تحت سيطرة دولة غازية او محتلة . ومنع التعذيب بموجب هذه المادة يعني عدم اللجوء الى اي نوع من انواع التعذيب للحصول على اعترافات من الشخص المعتقل ، كما تمنع العقوبات الجسدية كالضرب ونزع الأظافر وغيرها . ولم يجر منع تعذيب المعتقل بموجب المادة المذكورة فقط وانما ايضاً بموجب المادة ١٤٧ من الاتفاقية ذاتها وبموجب المادة الخامسة من الاعلان العالمي لحقوق الانسان والتي تنص على ما يلي :

« لا يعرض اي انسان للتعذيب ولا للعقوبات او المعاملات القاسية او الوحشية او الحاطة بالكرامة » .

---

(١) الارض العدد الرابع تاريخ ١٩٨٢/١١/٧ ، عن صحيفة الغارديان .

(٢) السفير ١٩٨٢/٧/٧ .

ويمنع التعذيب ايضاً بموجب المادة السابعة من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية « لا يجوز اخضاع اي فرد للتعذيب او لعقوبة او معاملة قاسية او غير انسانية مهينة » .

٨ ــ جرائم ضد الانسانية

ان الجرائم التي ارتكبتها قوات الاحتلال في جنوبي لبنان وبيروت الغربية ضد السكان المدنيين هي جرائم ضد الانسانية ، لانها جاءت مخالفة لاتفاقية تحريم ابادة الجنس والاعلان العالمي لحقوق الانسان واتفاقيات جنيف .

ان القصف المستمر للمخيمات الفلسطينية جواً وبراً وبحراً وارتكاب المذابح الجماعية في جنوبي لبنان وفي مخيمي صبرا وشاتيلا تبين بوضوح سياسة الابادة الجماعية التي سلكتها سلطات العدو الصهيوني تجاه الشعب الفلسطيني للتخلص من قضيته عن طريق ابادته ، مخالفة بذلك نصوص اتفاقية تحريم ابادة الجنس التي اقرتها الامم المتحدة عام ١٩٤٨ . فالمادة الثانية من هذه الاتفاقية تنص على « ان المقصود من ابادة الجنس في هذه الاتفاقية هو ان اي عمل من الاعمال التي تقترف مع نية القضاء الجزئي او الكلي على مجموعة قومية او عرقية او دينية عن طريق قتل افراد من هذه المجموعة او التسبب في اذى جدي ، جسدياً كان ام عقلياً لافراد منها[١]) .

(١) البعث في ١٩٨٢/٨/١٤ .

لقد شنت الدولة الصهيونية الحروب العدوانية المسلحة والنفسية وخططت مشاريع توطين الفلسطينيين خارج وطنهم فلسطين لتصفية القضية الفلسطينية ولكنها فشلت ، بل وكانت دائماً تصطدم بالشعب الفلسطيني في تحقيق اهدافها التوسعية لاقامة اسرائيل الكبرى ، لذلك قررت اتباع سياسة الابادة تجاهه .

٩ ـ وجوب معاقبة افراد قوات الاحتلال كمجرمي حرب

وافقت الجمعية العامة للامم المتحدة بتاريخ ١٩٦٨/١١/٢٦ على اتفاقية بخصوص عدم سريان تقادم الزمن على جرائم الحرب وعلى الجرائم التي ترتكب ضد السلام وضد الانسانية ، وتعتبر الاتفاقية هذه الجرائم من افدح الجرائم في القانون الدولي . وتشكل معاقبة مجرمي الحرب عاملاً فعالاً في تجنيب الشعوب مثل هذه الجرائم والمحافظة على الاعلان العالمي لحقوق الإنسان وحماية السلم والامن الدوليين .

لقد طالبت الشعوب الاوروبية التي وقع عليها الاعتداء الالماني ابان الحرب العالمية الثانية بمعاقبة مجرمي الحرب النازيين ، فاستجابت معظم الحكومات الاوروبية ، واصدرت اعلان سانت جيمس الذي تؤكد فيه عزمها على محاكمة مجرمي الحرب النازيين . ودعم الاتحاد السوفييتي هذا الاتجاه ، واقترح بتاريخ ١٩٤٢/١٠/١٤ تأسيس محكمة دولية لمحاكمة مجرمي الحرب النازيين .

واكدت الاتفاقية التي وافقت عليها الجمعية العامة للامم المتحدة فيما بعد بيان موسكو الصادر عن الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا بتاريخ ١٩٤٣/١٠/٣٠ حول مسؤولية النازيين عن الاعمال الوحشية التي اقترفوها ، وانذرت بمعاقبتهم ، كما اكدت ايضاً اتفاقية الدول الاربع الكبرى (الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا) التي تم توقيعها في لندن في آب/اغسطس ١٩٤٥ ، وقررت انشاء محكمة عسكرية دولية لمحاكمة مجرمي الحرب ، وبالفعل تأسست محكمة نورمبرغ ، وتعتبر هذه الاتفاقية تطويراً لمبادىء القانون الدولي بعد الحرب العالمية الثانية ، اذا لم تكن مبادىء القانون الدولي حتى الحرب العالمية الاولى تنص على معاقبة المسؤولين عن الحروب لان شن الحرب كان يعتبر آنذاك تعبيراً عن سيادة الدولة . ولكن الدول الاستعمارية اضطرت ان تغير موقفها من المسؤولين عن الحروب ، ووافقت في اتفاقية فرساي في المادتين ٢٢٧ و ٢٣٠ على معاقبة المسؤولين الاساسيين في المانيا القيصرية عن اندلاع الحرب العالمية الاولى .

وخلال محاكمات نورمبرغ حاول ممثل الدفاع ان يبرىء المتهمين من مجرمي الحرب النازيين ، بحجة انهم تصرفوا كممثلين لسلطة الدولة ، ولان القانون الدولي لا يعرف وقائع تدين الاشخاص الذين يطبقون اوامر حكومية . ولكن قرار المحكمة نقض محاولة الدفاع هذه اذ ورد فيها « ترتكب الجرائم ضد القانون الدولي من قبل اشخاص وليس من قبل كائن مجرد ، ولا يمكن تطبيق مبادىء القانون الدولي الا بمعاقبة الافراد الذين يرتكبون مثل هذه الجرائم » .

وبالفعل تمت معاقبة مجرمي الحرب النازيين سواء من اصدروا الاوامر منهم او نفذوها او اشتركوا في تنفيذها ، لانهم ارتكبوا جرائم ضد السلام باشعالهم نيران الحرب العالمية الثانية ، وجرائم حرب وجرائم ضد الانسانية .

وفي تاريخ ١٩٤٦/١١/١١ اقرت الجمعية العامة للامم المتحدة نظام محكمة نورمبرغ كقانون دولي . ولذلك تسري المبادىء العامة التي اقرها نظام محكمة نورمبرغ وقراراتها على مجرمي الحرب اينما كانوا ، وتسري بالتالي على مجرمي الحرب الصهيونيين لاشعالهم حرب الابادة في لبنان في حزيران يونيو ١٩٨٢ .

لقد رفضت محكمة نورمبرغ الفكرة القديمة التي كانت سائدة قبل الحرب العالمية الاولى ، والتي كانت تعفي الافراد من تصرفاتهم ، بحجة انهم يطبقون اوامر رؤسائهم وقررت المحكمة ان كل من ينتهك قوانين الحرب وتقاليدها مسؤول عن جرائمه ولا تعفيه الحجة القائلة ان الاوامر التي تلقاها تعفيه من المسؤولية .

ان افراد سلطات الاحتلال في لبنان الذين يعتدون على المدنيين ويقتلون العزل الابرياء ، ويقصفون منازلهم ويدمرون المستشفيات ودور العبادة ، ويعذبون الاسرى والجرحى ولا يسعفون الجريح ويستخدمون القنابل العنقودية والفراغية مسؤولون عن هذه الجرائم كرؤسائهم ولا يعفيهم القول انهم كانوا ينفذون اوامر قادتهم .

فالبروفسور الاسرائيلي زئيف شترنهيل يؤكد ان الحكومة والقيادة العسكرية والقوات الاسرائيلية الموجودة في لبنان والضباط الذين كانوا في

بيروت ساعة وقوع مذبحة صبرا وشاتيلا كل هؤلاء مسؤولون عن المذبحة[1] . ويعتبر مسؤولاً عن المذبحة ايضاً كل مسؤول اسرائيلي خطط لها واشترك في محاصرة المخيمين ، وساهم مع عصابات الكتائب في قتل الاطفال والنساء والرجال الفلسطينيين واللبنانيين في المخيمين .

لقد حدثت المذبحة تطبيقاً لما اعلنه قادة العدو الاسرائيلي قبل الغزو انهم سيدمرون منظمة التحرير ويقضون على رجالها ، وادت القوات الاسرائيلية دوراً اساسياً في المذبحة ، فهي التي أختارت العناصر المجرمة للقيام بها ، وحاصرت المخيمين ومنعت الخروج منها ، بل ولم تبذل اي جهد لوقفها ، وهي التي دعمت ومولت وسلحت القوات الانعزالية ، وهي التي زودت المجرمين بالجرافات لاخفاء جريمتهم . لذلك فالحكومة الاسرائيلية وقادة الجيش وجميع افراد قوات الاحتلال مسؤولون مسؤولية مباشرة عن المذبحة وعن حرب الابادة في لبنان ، مما يستوجب معاقبتهم تطبيقاً لنظام محكمة نورمبرغ واصدار الاحكام ضدهم كمجرمي حرب ارتكبوا جرائم ضد السلام وجرائم حرب وجرائم ضد الانسانية .

ان غزو العدو الاسرائيلي وتدميره للمخيمات والمدن في الجنوب اللبناني وبيروت الغربية والمذابح الجماعية التي ارتكبها تطرح مجدداً مسؤولية المجتمع الدولي عن هذه الجرائم ، ووجوب طرد اسرائيل من الامم المتحدة وفرض العقوبات التي نص عليها ميثاق الامم المتحدة ، والتوقف عن بيعها السلاح او شراء السلاح منها ، فالتسامح الدولي مكن اسرائيل من ارتكاب جريمتها القذرة .

---

(١) الدستور ١٩٨٢/١٠/٩ .

وللولايات المتحدة الاميركية مسؤوليتها القانونية الدولية ايضاً فيما جرى في مخيمي صبرا وشاتيلا . فلقد تم غزو لبنان بالتخطيط والتنسيق معها ، وباسلحتها ودعمها وحمايتها .

وكان مبعوث الرئيس الاميركي فيليب حبيب يستغل الضغط العسكري الاسرائيلي ، والدمار والخراب والقتل والحرق والابادة التي تلحقه القوات الاسرائيلية المسلحة بالاسلحة الاميركية ـــ بالشعبين اللبناني والفلسطيني ، من اجل لعب دور الوسيط وتحقيق الاهداف السياسية لحرب الابادة في لبنان .

لقد تم توقيع عدة اتفاقيات سرية خلال حصار بيروت بين المبعوث الاميركي ورئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بشأن خروج مقاتلي المنظمة وحماية المخيمات وسلامة المدنيين الفلسطينيين فيها ، لذلك تتحمل الولايات المتحدة ، من وجهة نظر القانون الدولي مسؤولية مباشرة عما جرى في مخيمي صبرا وشاتيلا ، وعن سياسة ابادة الجنس التي مارستها اسرائيل في لبنان . وهذا ما اوضحته منظمة التحرير الفلسطينية في بيان اصدرته اثر ارتكاب مذبحة صبرا وشاتيلا :

« قامت قوات الغزو الاسرائيلي بهذه المذابح بالرغم من ان الولايات المتحدة ضمنت بتعهد مكتوب من خلال مبعوثها فيليب حبيب عدم دخول القوات الاسرائيلية بيروت الغربية بعد خروج المقاتلين الفلسطينيين منها وتأمين سلامة سكان بيروت الغربية والمخيمات الفلسطينية الامر الذي

يطرح بشكل مباشر مسؤولية الولايات المتحدة الكاملة المادية والمعنوية عن هذه المذابح[1] » .

١٠ ــ سلطات الاحتلال واعمال السلب والنهب

استمر التعامل الدولي حتى بداية القرن التاسع عشر في معاملة املاك الدولة المهزومة ومواطنيها كغنيمة للمنتصر ، ولذلك كانت تجري اعمال السلب والنهب وتدمير الممتلكات الخاصة والعامة دون قيد . الا ان مؤتمر بروكسل عام ١٨٧٤ اقر لاول مرة عدم جواز الاستيلاء على الاملاك الخاصة . كما ورد في المادة السابعة عشرة الاعلان العالمي لحقوق الانسان « انه لا يجوز تجريد احد من ملكيته تعسفاً » .

وتفرق الاتفاقيات الدولية بين مكانة الاملاك الخاصة ومكانة الاملاك العامة . فاملاك العامة لا تتمتع بالحماية نفسها التي تتمتع بها الاملاك الخاصة ، وكانت لائحة الحرب البرية في اتفاقية لاهاي عام ١٩٠٧ واتفاقية لاهاي عام ١٩٥٤ اهتمتا بالاملاك العامة .

ومنذ ان قامت الدولة الصهيونية في فلسطين وحتى الان وهي تمارس اعمال النهب والسلب ومصادرة الاراضي والممتلكات العربية كسياسة رسمية ، ولذلك ليس من المستغرب ان يقوم افراد قوات الاحتلال الاسرائيلي بنهب وسلب كل ما يقع تحت ايديهم في جنوبي لبنان وبيروت الغربية ، ولم

(١) صوت فلسطين ، تشرين الاول ١٩٨٢ ، ص١٥ .

تسلم المستشفيات وتجهيزاتها من النهب والسلب ، فلقد نهب الغزاة تجهيزات المستشفيات في صيدا وصور وبيروت الغربية ، ونهبوا تجهيزات مطار بيروت وسرقوا السيارات التابعة لشركة طيران الشرق الاوسط ، كما سرق احد الطيارين الصهيونيين طائرة خاصة . وقام الغزاة بنهب المكاتب والاثار والمستودعات (كما حدث في مستودعات الخشب في الناعمة) والمنازل والمدارس ومكتبة مركز الابحاث الفلسطيني ومحتوياته . وكانت المنازل تتعرض باستمرار للنهب والسلب من قبل جنود العدو ، بل وصل السلب حد سرقة مجوهرات النساء العربيات من ايديهن واعناقهن .

وتنص اتفاقية جنيف الرابعة عام ١٩٤٩ على منع السلب وتشير المادة ١٤٧ منها الى ان اعمال الاستيلاء غير المشروع والسلب والنهب التي يقوم بها جنود الاحتلال بشكل جماعي او فردي او بأمر من رؤسائهم لنقل بعض ثروات الاراضي المحتلة الى دولة الاحتلال هي من المخالفات الخطيرة للاتفاقية ، ويمنع الجنود من القيام بالنهب حتى لو صدرت اليهم الاوامر من قادتهم . ولقد قام جنود الاحتلال الاسرائيلي باعمال النهب والسلب على نطاق واسع في جنوبي لبنان وبيروت الغربية ، بدءاً من نهب المحلات العامة والمخازن والمنازل حتى نهب المستشفيات ومراكز البحث العلمي والمكتبات العامة . وحتى الساعات والحلي واجهزة الفيديو والراديو والمسجلات والغسالات والبرادات والكتب والوثائق والملابس وغيرها ، لم تنج من سلبهم ونهبهم .

وفي منتصف ايلول سبتمبر ١٩٨٢ قامت القوات الاسرائيلية الغازية بالاعتداء على مركز الابحاث الفلسطيني ونهبه وسلب معظم محتوياته ،

واتلفت الجزء المتبقي منها ، ملحقة افدح الخسائر المادية والثقافية والعلمية بهذه المؤسسة التي تعتبر من اهم المؤسسات العلمية والثقافية في الوطن العربي ، وقد ادى هذا المركز دوراً عظيماً في ميدان البحث العلمي المتعلق بالشؤون الفلسطينية وابعادها العربية والدولية ، وبلغ عدد الكتب الموجودة في مكتبته حوالي ٢٥ الف كتاب . ويعد قسم الوثائق من اهم الاقسام الموجودة في المنطقة . ونشر المركز اكثر من ٤٠٠ كتاب ، بالاضافة الى مجلته الشهرية « شؤون فلسطينية » والنشرات الدورية التي يصدرها .

لقد حاولت اسرائيل عدة مرات تدمير هذا المركز فارسلت طروداً ملغومة ، اصاب احدها مدير المركز اصابة خطيرة ، وكان عملاء اسرائيل قد قصفوا المركز بالصواريخ فاصابوا جانباً منه .

ان ممارسات سلطات الاحتلال هذه انتهاك واضح للقانون الدولي وخاصة قوانين الحرب واتفاقيات جنيف عام ١٩٤٩ التي تمنع الاعتداء على المؤسسات الثقافية .

١١ ــ الخرق السياسي والتغلغل الاقتصادي الاسرائيلي في لبنان

اتبعت اسرائيل غزوها العسكري للبنان باجراءات عديدة هدفت من ورائها الى ان « تطبع » بقوة الاحتلال ، المؤسسات الادارية والاقتصادية ، وتخضعها لمشيئتها تمهيداً لتحقيق اهدافها في التوسع

والسيطرة والهيمنة ، وتقنين ذلك بمعاهدة السلام التي تطالب بعقدها مع لبنان .

بدأت قوات الاحتلال بتفريغ المؤسسات الادارية ، وذلك عن طريق التدخل اليومي والمستمر في شؤونها او منعها من ممارسة مهامها .

ولقد قامت السلطات الصهيونية باحتلال الدوائر اللبنانية وتحويلها الى مقرات للحكام العسكريين ورفعت عليها العلم الاسرائيلي مما دفع ممثل لبنان الدائم لدى الامم المتحدة الى ان يحتج على محاولات سلطات الاحتلال اقامة مؤسسات بديلة للدوائر اللبنانية فقال :

« لم تكتف اسرائيل باعمال العنف والوحشية المستمرة ، التي سببت الدمار الهائل والاصابات التي لا تحصى ، وانما تباشر في اقامة ادارات محلية موازية متجاهلة السلطات اللبنانية الشرعية التي تعرضت للمضايقة ومنعت جدياً في اغلب الاحيان من ممارسة مهامها[1] » .

وتقول مجلة الارض الصادرة بتاريخ ١٩٨٢/١٠/٧ ان الحكام العسكريين قد عمدوا الى اضطهاد الموظفين اللبنانيين ومنعهم من تأدية اعمالهم ومنع المؤسسات البلدية من ممارسة نشاطاتها .

والى جانب تعطيل الدوائر الحكومية اللبنانية والغاء مهامها ، اخذ الحكم العسكري الصهيوني يفرض تطبيع العلاقات ويجبر المواطنين اللبنانيين على التعاون مع اسرائيل في المجالات الاقتصادية والتجارية والسياحية ، وذلك باستغلال حاجة السكان الماسة لازالة الدمار والتخريب الذي عم الجنوب على ايدي قوات العدو .

---

(١) السفير ١٩٨٢/٧/٢٧ .

ومع التعطيل الاداري ، اتخذت سلطات الاحتلال الاسرائيلي اجراءات كثيرة لتحقيق غزو اقتصادي يستثمر الغزو العسكري « واذا كان الاحتلال العسكري قد توقف عند حدود معينة فان الاجتياح الاقتصادي وصل الى كل المناطق اللبنانية ، حيث بات مألوفاً رؤية المنتجات الاسرائيلية معروضة على المكشوف[1] » .

من المعروف ان التعامل الاقتصادي مع اسرائيل ليس جديداً ، فقد بدأ منذ عام ١٩٧٦ في أثر فتح ما يسمى «الجدار الطيب» في منطقة الشريط الحدودي التي تحتلها ميليشيات العميل سعد حداد .

وفي وقت مبكر من الغزو الاسرائيلي للبنان اعلنت الاذاعة الاسرائيلية ان «عشرات من رجال الأعمال اللبنانيين زاروا المكتب الصغير في بلدة المطلة لاخذ المواصفات لمئات المنتجات الاسرائيلية[2] » . وفي وقت لاحق ، قال جدعون بات وزير الصناعة الاسرائيلي ان حجم التبادل التجاري مع لبنان ، خلال الاشهر الثلاثة الاولى للحرب فاق حجم التبادل التجاري مع مصر خلال سنة كاملة ، واوضح ان « التطبيع الاقتصادي بين اسرائيل ولبنان يسبق علاقات السلام على عكس ما حصل مع مصر[3] » .

---

(١) مجلة « شؤون فلسطينية » العدد ١٣٣/١٣٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ــ كانون الاول/ديسمبر ١٩٨٢ ص٥٩ .

(٢) السفير ١٩٨٢/٧/٨ .

(٣) مجلة شؤون فلسطينية ــ المرجع السابق ص ٦٠ .

ورغم اتخاذ الجهات اللبنانية بعض الاجراءات الوقائية ، مثل : رفض تسعير « الشيكل الاسرائيلي » ، وسحب الرخص القانونية لمكاتب السفر التي يثبت تعاملها مع اسرائيل ، وعزم الحكومة اللبنانية على نزع الجنسية عن كل لبناني يدخل اسرائيل بهدف السياحة او التجارة ، استمرت سلطة الاحتلال في توسيع التبادل التجاري وفرضه على التجار اللبنانيين .

لا ريب في ان التبادل التجاري مع اسرائيل لا يقوم على اساس التبادل المتوازن ، بل ان ما يجري هو العكس تماماً ، اذ إن السوق المحلية اللبنانية تتعرض لعملية اغراقية خطرة ، فالسلع الاتية من اسرائيل تباع باسعار تقل بنسبة ٣٥٪ تقريباً عن السلع اللبنانية المماثلة . وقد تمكنت اسرائيل من اختراق الحاجز المالي واكتسبت عملتها قيمة تصديرية ، واخذت تتعامل مع لبنان كسوق داخلية . وهكذا امتلأت الاسواق في المناطق اللبنانية كافة بالسلع الاسرائيلية كالالبسة والسكاكر والزيوت والفواكه والخضار والزجاج والاسمنت وغيرها « من دون رقيب او حسيب » وصار مرفأ حيفا مزاحماً من الدرجة الاولى للمرافىء اللبنانية ، حيث تمر البضائع المستوردة من كل صوب معفية من الرسوم الجمركية وغير الجمركية . كما ان تنقل الاشخاص ، عبر الحدود المشتركة مع اسرائيل لا يعترضه معترض ، في الذهاب والاياب ، « الابواب كلها مفتوحة[1] » . ولهذا قال رئيس جمعية الصناعيين اللبنانيين ان لبنان ، بعد الاجتياح الاسرائيلي « بدأ يفقد اسواقه الداخلية[2] » . وادى ذلك كله

(١) العمل ١٩٨٢/١١/٢ .

(٢) مجلة الكفاح العربي ١٩٨٢/١٠/٢٥ .

الى انتشار الكساد والبطالة ، والحاق الضرر الفادح بالاقتصاد اللبناني بجميع مرافقه ، وبخزينة الدولة « يضاف الى ذلك محاولات اسرائيل للتسلل الى الاسواق الافريقية بواسطة رجال اعمال لبنانيين الامر الذي ينطوي على محاذير خطيرة[1] » .

ان الاثار الاقتصادية السلبية الخطيرة التي نتجت عن الاجتياح الاسرائيلي يمكن تحديدها على النحو التالي :

آ ـــ الاضرار العامة : تدمير قسم كبير من المرافق العامة ، وشلل ما تبقى منها ، وتعطل الحركة على الطرق الدولية، ولا سيما طريق دمشق ـــ بيروت التي تعتبر الطريق الرئيسية لتصدير البضائع نحو البلاد العربية وتوقف حركة السياحة ، وتدمير عدد كبير من المنشآت الفندقية والسياحية والصناعية والتجارية ، ونهب تجهيزات ما تبقى منها .

وتقدر الدولة اللبنانية اجمالي الخسائر التي اصابت البلاد بمبلغ ١٢ مليار دولار .

ب ـــ القطاع الصناعي : احراق عدد من المصانع اللبنانية ، والحاق الاضرار بعدد اخر ، مما ادى الى توقف الانتاج وزيادة كلفة النقل ، وتعذر وصول العمال الى المصانع .

ج ـــ القطاع الزراعي : تعرضت الزراعة اللبنانية لكارثة مزدوجة ، نجمت الاولى عن تدمير منشآت الري وقنواته والاشجار المثمرة والمواشي والاسماك ، فيما نجمت الثانية عن تدفق المنتوجات الزراعية الاسرائيلية .

---

(١) النهار ١٩٨٢/١٠/٨ .

١٢ ــ قوات الاحتلال والمصارف اللبنانية

بعد دخول اسرائيل الى بيروت الغربية بتاريخ ١٥ حزيران/يونيو ١٩٨٢ احتلت قواتها عدة مصارف لبنانية منها البنك العربي ، والمصرف اللبناني ــ الفرنسي وفيرست ناشيونال سيتي بنك وغيرها .

وعندما اتضحت نيات قوات الاحتلال الاسرائيلي تجاه المصارف اللبنانية اجرى حاكم مصرف لبنان المركزي اتصالات مع الجانب الاميركي لوقف الاعتداءات الاسرائيلية على الحياة المصرفية في لبنان .

وقامت قوات الاحتلال بعملين عدائيين آخرين : اولهما اقتحام بنك بيروت للتجارة الذي يحتوي على ودائع وحسابات فلسطينيين واعتقلت مدير البنك المذكور . وثانيهما : اعتقال مدير مصرف الرافدين .

واثارت هذه التصرفات الشكوك لدى رجال المصارف في بيروت والذين يعتقدون :

آ ــ ان اسرائيل تتطلع بحسد وحقد الى القطاع المصرفي اللبناني وتعتبره قطاعاً منافساً لها ، وتضمر له العداء .

ب ــ ان اقتحام اسرائيل لمكاتب المصارف يذكر بأساليب المانيا النازية خلال احتلالها لبعض العواصم الاوروبية في الحرب العالمية الثانية .

وقامت قوات الاحتلال بافتتاح مصارف اسرائيلية متنقلة لدفع رواتب افراد قوات الاحتلال بالعملة الاسرائيلية ، وهؤلاء يقومون بشراء

حاجاتهم من جنوب لبنان وبيروت الشرقية بالعملة الاسرائيلية ، وكان البائع اللبناني يجبر على قبول العملة الاسرائيلية مما يلحق الضرر به وبالاقتصاد اللبناني .

وللتخفيف من اثر ذلك ولفسح المجال امام شراء الاسرائيليين البضائع من لبنان وافقت السلطات الاسرائيلية على بيع المنتجات الاسرائيلية وتقاضي عليها نصف ثمنها بالليرة اللبنانية والنصف الاخر بالشيكل ، وذلك لفرض العملة الاسرائيلية على لبنان .

ولقد ادى انتشار العملة الاسرائيلية في لبنان عن طريق جنود الاحتلال الى ترويج البضائع الاسرائيلية .

وزار وزير المالية الاسرائيلي يرافقه مدير البنك المركزي الاسرائيلي والحاكم العسكري لمدينة صيدا فرع المصرف المركزي اللبناني في صيدا ، ولكن المصارف اللبنانية رفضت التعامل مع المصارف الاسرائيلية رفضاً باتاً .

١٣ ــ سلطات الاحتلال وقطاع السياحة

لم تكتف قوات الاحتلال بما الحقته من اضرار في المصارف وما قامت به من تدمير للكثير من المنشآت الصناعية ، وانما انزلت ايضاً دماراً كبيراً بالفنادق والمنشآت السياحية فخربت اكثر من خمسين فندقاً بالقصف الجوي والبري والبحري .

وهدفت قوات الاحتلال من تدمير قطاع السياحة اللبناني الى فسح

المجال امام قطاع السياحة الاسرائيلي المنافس له ، وتشجيع اللبنانيين على السفر من مطار اللد وبالطائرات الاسرائيلية .

وفتحت شركة الطيران الاسرائيلية (العال) فرعاً في صيدا لبيع التذاكر والاشراف على نقل المسافرين بالسيارات الاسرائيلية .

واقامت شركة ايجد للباصات خطين للنقل البري :

الاول من نهاريا ــ صور ــ الرشيدية ــ صيدا .

والثاني من كريات شمونه ــ قليعة ــ النبطية .

١٤ ــ تأثير الغزو على الاقتصاد الاسرائيلي

يعاني الاقتصاد الاسرائيلي من ازمات مستديمة تتمثل في التضخم المستمر والعجز الدائم في ميزان المدفوعات وارتفاع نسبة البطالة وعسكرة الاقتصاد .

وجاء غزو لبنان ليزيد من ازمات الاقتصاد الاسرائيلي ، وكادت مصانع كثيرة تغلق ابوابها نتيجة للافلاس وتراجع الصادرات الاسرائيلية .

كتبت صحيفة يديعوت احرونوت الصادرة بتاريخ ١٩٨٢/٩/٢٩ تقول ان الغزو الاسرائيلي وبشكل خاص مذبحة صبرا وشاتيلا ، اثر تأثيراً سلبياً على الصادرات الاسرائيلية الى الدول الغربية وعلى العلاقات التجارية مع مصر وعلى كافة تصريف البضائع الاسرائيلية في الجزء المحتل من لبنان . وقالت الجريدة ان تدهور سمعة اسرائيل السياسية في العالم

انعكسيت في بروز موقف عدائي تجاه المنتجات الاسرائيلية لدى مستهلكي السلع الاسرائيلية التقليديين في العالم .

كما عمدت مصر منذ بدء الغزو الى تجميد التبادل التجاري مع اسرائيل لتصاعد المعارضة داخل مصر للعلاقات مع اسرائيل ، بينما بدأت الصادرات الاسرائيلية الى جنوب لبنان بالتراجع بعد ان وصلت في الشهرين الاولين للاحتلال الى ١٢ مليون دولار[١] .

ولقد بلغت نفقات العدوان على لبنان حوالي ٣٠ مليار شيكل اي حوالي ملياري دولار ، وستحصل اسرائيل على المبلغ كاملاً من الولايات المتحدة الاميركية[٢] . ولذلك قررت الولايات المتحدة الاميركية ان تكون مساعداتها لاسرائيل حوالي ثلاثة مليارات دولار للعام ١٩٨٣ . وبذلك تكون الولايات المتحدة قد مولت غزو اسرائيل للبنان .

وبالرغم من المساعدات الاميركية لاسرائيل فان الحكومة الاسرائيلية اتخذت عدة اجراءات لمواجهة تكاليف الحرب ومنها زيادة الضرائب ورفع اسعار الكثير من المواد الاستهلاكية . وفرضت ايضاً قرضاً اجبارياً على العمال والمستخدمين حوالي مليار دولار . وبالتالي يكون الغزو الاسرائيلي للبنان قد ادى الى انخفاض مستوى حياة الانسان في الكيان الصهيوني للاسباب التالية :

(١) ارتفاع الاسعار (٢) القرض الاجباري (٣) الارتفاع

---

(١) المستقبل عدد ٢٩٤ — تشرين الاول ١٩٨٢ .

(٢) الثورة السورية ١٩٨٢/١١/٥ .

المستمر في التضخم (٤) ارتفاع الديون الخارجية الى ٢١ مليار دولار بعد ان كانت في اواخر شهر اذار/مارس ١٩٨٢ تبلغ ١٨٫٤٣٨ مليار دولار[١] (٥) انخفاض السياحة بنسبة ١٢٪ (٦) انخفاض الصادرات الاسرائيلية .

لقد وصلت نسبة التضخم المالي في نهاية ايلول سبتمبر ١٩٨٢ الى ١٣٥٪ بسبب غزو لبنان ، وهذا يدل على فشل الحكومة الاسرائيلية في معالجة مشكلة التضخم[٢] — وزادت الحكومة نسبة التضخم عن طريق زيادة السيولة النقدية فطرحت في الاسواق خلال شهر ايلول/سبتمبر ١٩٨٢ خمسة مليارات شيكل ، وعلق السكرتير العام للهستدروت على ارتفاع التضخم فقال إنها اعلى نسبة سجلت في تاريخ اسرائيل ، وحمل الحكومة مسؤولية ارتفاع التضخم . وبلغ العجز التجاري خلال المدة من نيسان/ابريل الى ايلول/سبتمبر ١٩٨٢ مبلغ ١٦٤٣ مليون دولار ، اي بزيادة ٩٪ عما كان عليه في المدة ذاتها من العام السابق[٣] . كما بلغ العجز في ميزان المدفوعات حوالي ٤٫٥ مليارات دولار . ويعود سبب ارتفاع العجز في ميزان المدفوعات الى انخفاض الصادرات الاسرائيلية بسبب غزو لبنان ولعدم اقبال المستهلك على الشراء ، ولاستدعاء الاحتياطي وانخفاض السياحة بنسبة ١٢٪ خلال الاشهر التسعة الاولى من عام

---

(١) هآرتس ، ١٩٨٢/٩/٢ .

(٢) هاموديع ١٩٨٢/١٠/١٧ .

(٣) هآرتس ١٩٨٢/١٠/٢٤ .

١٩٨٢ . وارتفعت البطالة اذ بلغ عَدد العاطلين عن العمل في النصف الاول من عام ١٩٨٢ حوالي ٧٢٩٠٠ بينما بلغ خلال الفترة المقابلة لها من العام ١٩٨١ حوالي ٦٨٧٠٠ ، اي انها ارتفعت بنسبة ٦٫١٪[1] . ورافق ارتفاع البطالة موجة من الاضرابات كاضراب عمال شركة العال واضراب عمال الصناعات الجوية ، وهذا الاضراب هو الاول من نوعه في تاريخ هذه الصناعة . وبلغ عدد العمال المضربين ٢٠ الفاً .

وتقول جريدة الانباء الصادرة بتاريخ ١٩٨٢/٩/١٤ ان الاستثمارات الخارجية لاسرائيل قد توقفت ، بينما اخذت الاستثمارات الاسرائيلية تتجه للخارج .

ان غزو العدو للبنان سيزيد في حدة التناقضات داخل الكيان الصهيوني ، خاصة التناقضات السياسية والاجتماعية في المجتمع وفي الجيش على حد سواء ، وسيزيد من ازماته الاقتصادية وعزلته السياسية اكثر من اي حرب عدوانية اخرى قامت بها « الدولة الصهيونية » .

---

(١) يديعوت احرونوت ١٩٨٢/١٠/٢٦ .

الفصل الثالث عشر

الحرب النفسية

ــ مقدمة .

١ ــ التمهيد النفسي للغزو .

٢ ــ الحرب النفسية الاسرائيلية أثناء الغزو الاسرائيلي للبنان .

أ) هدفها ومحاور عملها .

ب) الوسائل والاساليب التي استخدمتها .

ج) نتائج الحرب النفسية الاسرائيلية في لبنان وآثارها .

٣ ــ الاعلام العربي الرجعي .

٤ ــ الاعلام الغربي المضاد .

٥ ــ الاعلام العربي الوطني ودوره في تعزيز الصمود .

ـــ مقدمة :

جاءت « الحرب النفسية » نتيجة الجهود التي بذلتها الأجهزة العلمية والثقافية والتربوية والعسكرية التوجيهية للرأسمالية الاستعمارية خلال الحرب العالمية الثانية وما تلاها من محاولات لخلق وسائل واسلحة جديدة ، تستخدمها الدول الاستعمارية في حروبها ضد الشعوب .

وقد استخدمت اسرائيل منذ نشأتها باعتبارها كياناً عنصرياً استعمارياً سلاح « الحرب النفسية » ضد العرب جنباً الى جنبٍ مع القوة العسكرية ، معتمدة في هذا المجال على خبرة الجيوش الامبريالية وعلى معطيات العلوم الانسانية ، خاصة علمي النفس والاجتماع ، اضافة الى ما افرزته التقنية الحديثة من وسائل اعلامية ودعائية .

واذا كانت اسرائيل قد مارست الحرب النفسية ضد العرب ابان حروبها العدوانية السابقة ، واستخدمتها ايضاً في حرب تشرين التحريرية عام ١٩٧٣ ، فقد مارستها قبل واثناء غزوها العسكري للبنان (حزيران ١٩٨٢) واعتمدت عليها لدرجة ذهب معها بعض المعلقين السياسيين

الى القول : ان « نصف حرب اسرائيل في لبنان كان حرباً عسكرية ونصفها الاخر كان حرباً نفسية » .

ان المتتبع للاحداث السياسية في مرحلة ما قبل الغزو الاسرائيلي للبنان ، يرى ان اسرائيل والامبريالية العالمية قد شرعتا بالتمهيد للغزو قبل حدوثه ، وذلك من خلال الضجة الاعلامية المفتعلة لما سمي بـ « ازمة الصواريخ » السورية في البقاع (ربيع عام ١٩٨١) .

١ ـ التمهيد النفسي للغزو :

لقد مهدت اسرائيل والامبريالية الامريكية لغزو لبنان بحرب نفسية متعددة الاشكال ، بدأت بالتهديدات والتصريحات الاستفزازية التي وردت على لسان المسؤولين الامريكيين والصهاينة ، فقد قال اسحق شامير وزير خارجية الكيان الصهيوني اثناء حديثه للتلفزيون الاسرائيلي مساء ١٩٨١/٥/١٧ :

« يمكن القيام بعمليات عسكرية في لبنان ، لكن ذلك لا يعني قيام حرب حقيقية » ، أما « هيغ » وزير الخارجية الامريكية السابق فقد قال في نفس الفترة معلقاً على ما سمي « ازمة الصواريخ » السورية في البقاع : « ان الوضع في لبنان حرج للغاية وان هناك حدوداً معينة لايجاد تسوية سلمية للازمة اللبنانية » .

وزادت اسرائيل من حدة حربها النفسية اواخر عام ١٩٨١ ، حيث

اخذت تصور للرأي العام العالمي ان الوضع على حدودها مع لبنان خطير للغاية من خلال زعمها خرق الفدائيين الفلسطينيين لقرار وقف اطلاق النار . ففي اواسط تشرين عام ١٩٨١ ادعى « ارييل شارون » وزير الحرب الاسرائيلي بأن كيانه يواجه وضعاً خطيراً من جراء خرق الفلسطينيين لقرار وقف اطلاق النار وحذر قائلاً : « اننا نواجه وضعاً خطيراً في جنوب لبنان منذ وقف اطلاق النار واذا لم تنجح الجهود ، فسيترتب على اسرائيل عند ذلك ان تتخذ قرارات وسنضطر للقيام بعمل ما » .

وقد جاء هذا التحذير في وقت كانت فيه جميع الحقائق والوقائع الموضوعية تؤكد مدى التزام الثورة الفلسطينية بقرار وقف اطلاق النار الذي تم التوصل اليه بين منظمة التحرير الفلسطينية واسرائيل عقب معارك الليطاني في تموز ١٩٨١م ، ولكن اسرائيل ــ كما تبين ــ وبدعم من الامبريالية الامريكية اخذت تخطط لاجتياح الجنوب اللبناني منذ ذلك التاريخ ، ولذا فان تصريحات شامير وشارون وغيرهما من المسؤولين الصهيونيين والامريكيين كانت بمثابة تهيئة الرأي العام العالمي كي ينظر في المستقبل الى اي عمل عدواني تقوم به النفس ، ومن اجل ذلك لجأت اسرائيل والامبريالية الامريكية الى الكذب والتضليل والخداع ، والى اسلوب الضغط والتهديد والاستفزاز ضد سورية والثورة الفلسطينية ، وهذه الوسائل والاساليب بطبيعة الحال هي من صلب الحرب النفسية .

كما لجأت اسرائيل ايضاً الى استخدام التخويف وبث روح اليأس والاستسلام عند العرب وتصوير « اسرائيل » على انها قادرة على ان تفعل

في المنطقة ، ما تشاء . وتجلى ذلك من خلال وسائل اعلامها (صحف واذاعة وتلفزيون) وما كانت تبثه من اخبار تتعمد فيها تضخيم قوة اسرائيل وقدرتها العسكرية واسلحتها المتطورة التي يمكنها الوقوف حتى في وجه الاتحاد السوفييتي الذي يهدد المنطقة على حد زعمها ، اضافة الى ما نشرته صحف اسرائيل حول خطط حكومة بيغن واهدافها تجاه لبنان كدخول الاراضي اللبنانية واجبار منظمة التحرير الفلسطينية على الخروج من لبنان .

هذا وقد واصلت الحرب النفسية الاسرائيلية والامبريالية نشاطها — في مرخلة ما قبل الغزو العسكري للبنان — من خلال سلسلة التبليغات والتصريحات الاسرائيلية والامريكية والاروبية . منها التبليغ الرسمي الذي قدمته اسرائيل لواشنطن حول ردها « العنيف » على اي هجوم فلسطيني ضد اي مواطن اسرائيلي في العالم وما ابلغته الادارة الامريكية بدورها للبنان عبر مبعوثها في الشرق الاوسط « فيليب حبيب » من انها تعارض اي هجوم اسرائيلي على لبنان ، ولكن اسرائيل قد لا تأخذ بالمعارضة الامريكية ، خاصة في حال تعرض امنها للخطر . كذلك اوروبياً ، كثرت التصريحات حول « القلق البالغ الذي تبديه المجموعة الاوروبية حيال تزايد اعمال العنف والارهاب في لبنان » .

وجاءت محاولة اغتيال السفير الاسرائيلي في لندن « شلوموارغوف » بتاريخ ١٩٨٢/٦/٣ ، فرصة امام اسرائيل والامبريالية الاميركية : لتنفيذ عدوانهما المبيت على الثورة الفلسطينية وعلى الشعبين اللبناني والفلسطيني ، حيث اتخذت اسرائيل من هذا الحادث الفردي ضد سفيرها حجة وذريعة

بررت على اساسها الغارات الوحشية التي قامت بها على الاحياء السكنية والمخيمات الفلسطينية ، في بيروت وضواحيها يومي ٤ و ١٩٨٢/٦/٥ ، وسط حملات التبرير الكاذبة ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر ، تصريح « الكسندر هيغ » وزير الخارجية الامريكية انذاك حيث قال : « انه من الممكن الربط بين الاعتداء على السفير الاسرائيلي في لندن وبين القصف الاسرائيلي للبنان » .

وبلغت الحرب النفسية الاسرائيلية ذروتها في قرار الحرب الذي اتخذته الحكومة الاسرائيلية يوم السادس من حزيران عام ١٩٨٢ ، في جلسة خاصة عقدتها في منزل رئيس الحكومة « مناحيم بيغن » ادلى على اثرها سكرتير الحكومة « دان مريدور » بالتصريح التالي : « قررت حكومة اسرائيل تكليف الجيش الاسرائيلي بمهمة اخراج جميع المستوطنات في الجليل من مدى نيران المخربين (الفدائيين) المتمركزين هم وقياداتهم وقواعدهم في لبنان ، واسم العملية « سلام الجليل » واثناء تنفيذ العملية يجب عدم مهاجمة الجيش السوري ، الا اذا بدأ بمهاجمة قواتنا ، وبعد تنفيذ هذه العملية فان اسرائيل تتطلع الى توقيع معاهدة سلام مع لبنان » .

ان نظرة فاحصة لهذا التصريح توضح لنا مدى اعتماد اسرائيل على الحرب النفسية واساليبها في الخداع والكذب والتضليل وتزوير الحقائق وحجبها ليس على الرأي العام العالمي فحسب ، وانما ايضاً على الرأي العام داخل الكيان الاسرائيلي . فالتصريح يعطي الانطباعات والايحاءات التالية :

١ ـــ الايحاء بأن الفدائيين من رجال المقاومة الفلسطينية هم الذين اعتدوا

على المستوطنين الصهاينة المدنيين في منطقة الجليل داخل فلسطين المحتلة ، ولذا فان الحكومة الاسرائيلية قررت الدفاع عن هؤلاء المستوطنين ووضع حد لعدوان الفدائيين الفلسطينيين عليهم .

واسرائيل هنا تحاول تضليل الرأي العام ، واقناع العالم بأن قرارها هذا واعمالها العدوانية يأتيان في اطار « الدفاع عن النفس » فهي المعتدى عليها وليست هي المعتدية على الآخرين ، بتعبير آخر فان حربها هذه هي « حرب دفاعية مشروعة » وليست حرباً عدوانية ، الامر الذي يؤدي الى التفاف الاسرائيليين وتأييدهم لحكومتهم في هذا القرار من جهة ، والتخفيف من استنكار دول العالم والرأي العام العالمي لاعمال اسرائيل العسكرية في لبنان من جهة اخرى .

٢ ــ الايحاء من خلال تسمية الحرب باسم « عملية سلام الجليل » بأن قرار اسرائيل بأعمالها العسكرية في لبنان لا يعتبر من الاعمال العدوانية ولا يدخل ضمن اطار اعلان الحرب على لبنان وعلى الشعبين اللبناني والفلسطيني ، وإنما هو عبارة عن عملية محدودة تدخل ضمن اطار تحقيق الامن والهدوء للمستعمرات الاسرائيلية في الجليل والمهددة من قبل الفدائيين الفلسطينيين .

وعلى هذا الاساس فان اسرائيل تحاول اقناع الرأي العام (الداخلي والخارجي) بان قرارها هذا عبارة عن عمل بسيط لا يستدعي ولا يثير المخاوف .

٣ ــ الايحاء بأن اسرائيل لا تستهدف مهاجمة الجيش السوري في لبنان لتترك انطباعاً لدى الرأي العام العالمي مفاده : ان القوات السورية العاملة

ضمن اطار قوات الردع العربية في لبنان عندما تتصدى للعدوان ، وترد على مصادر النيران الاسرائيلية الموجهة الى مواقعها تكون في هذه الحالة معتدية على اسرائيل ، ومن حق اسرائيل عندئذ ضرب هذه القوات اينما وجدت وفي اي مكان تمركزت فيه على ارض لبنان .

فاسرائيل في هذه الحالة تدافع عن نفسها ضد عدوان سوري تماماً كما هو الحال في الايحاء الاول الخاص بموقف الفدائيين الفلسطينيين من المستوطنين الصهاينة في الجليل ، اضافة الى ان هذا الايحاء في حد ذاته يعتبر عملاً دعائياً خبيثاً ، واسلوباً من اساليب الحرب النفسية الهادفة الى ايجاد تفرقة بين السوريين الفلسطينيين من خلال محاولة « تحييد سورية » والانفراد بالفلسطينيين اولاً ، ثم ضرب السوريين في مرحلة لاحقة (وهذا هو الاهم والافضل بالنسبة لاسرائيل) .

٤ ـــ الانطباع الاخير الذي حاول تصريح « مريدور » غرسه في الاذهان هو ان اسرائيل ترغب وتتطلع الى توقيع معاهدة سلام مع لبنان ، وعلى هذا الاساس فهي دولة مسالمة تكره الحرب وتعمل من اجل السلام .

ان هذا التصريح في حد ذاته تطبيق حي لنظرية اعلامية تسمى « الدفاع الاستباقي عن النفس » ومقولة اساسية من مقولات العمل الاسرائيلي في الحرب النفسية وهي « مقولة اسرائيل من اجل العيش والبقاء » .

وبمقتضى هذه المقولة وتلك النظرية يحاول الاعلام الصهيوني والامبريالي تصوير اسرائيل بالدولة المسالمة المكافحة من اجل العيش والبقاء واتقاء اخطار العرب ، ويعمل على خداع الرأي العام العالمي واقناعه بان

حروب اسرائيل واعمالها العدوانية ضد العرب ، انما تتم بغرض الدفاع عن النفس ، وجميعها حروب دفاعية ووقائية من وجهة النظر الصهيونية .

٢ ــ الحرب النفسية الاسرائيلية اثناء الغزو الاسرائيلي للبنان

آ ــ هدفها ومحاور عملها

رافقت عملية الغزو العسكري الاسرائيلي للبنان حرب نفسية شرسة ، شنتها اسرائيل وساهمت فيها الدوائر الامبريالية والقوى الرجعية والانعزالية في المنطقة العربية ، بدءاً بغارات الطيران الاسرائيلي الوحشية على الاحياء السكنية والمخيمات الفلسطينية في بيروت وضواحيها ومروراً باجتياح الجنوب اللبناني ، وانتهاء بحصار بيروت ومعارك الجيش السوري في منطقة بحمدون وغيرها من مناطق جبل لبنان .

وقد استخدمت إسرائيل الحرب النفسية بشقيها : العام « الاستراتيجي » أي ذلك النوع من الدعاية المضادة التي وجهتها اسرائيل عبر وسائل اعلامها المختلفة الى جميع العرب السوريين والفلسطينيين واللبنانيين (مدنيين ــ عسكريين) والخاص « التكتيكي » وهو ما وجهته اسرائيل من بيانات ومنشورات دعائية الى عناصر الجيش السوري في لبنان والى مقاتلي الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية اثناء المعارك والعمليات العسكرية . واستهدفت اسرائيل من جراء حربها النفسية هذه تحقيق جملة من الاهداف نجملها بما يلي :

(١) ضرب تماسك الجبهة العربية الداخلية المواجهة لغزو اسرائيل العسكري وذلك من خلال التفريق بين الفلسطينيين من جهة واللبنانيين والسوريين من جهة اخرى ، عبر الادعاء بأن عملياتها العسكرية تستهدف الفدائيين الفلسطينيين فقط .

(٢) محاولة تحييد سورية — خاصة في الايام الاولى للقتال — وبث روح الخلاف والانقسام بين سورية ومنظمة التحرير الفلسطينية .

(٣) التمييز والتفرقة بين ابناء البلد الواحد (لبنان) وتشجيع الانتماءات المذهبية والعشائرية والطائفية .

(٤) تشكيك المقاتل العربي بقياداته العسكرية والعمل على تأليب المقاتلين على قياداتهم في الجيش العربي السوري ، ومنظمة التحرير الفلسطينيةوالقوى الوطنية التقدمية في لبنان .

(٥) العمل من اجل الوصول الى زعزعة ثقة المقاتل العربي بسلاحه والتشكيك في قدرة هذا السلاح ، وذلك من خلال حملة التشكيك بالسلاح السوفييتي ، والاشادة بالسلاح الامريكي والتعديلات التي ادخلتها اسرائيل على هذا السلاح .

(٦) تهديم ثقة المقاتل العربي بنفسه وبحلفائه واصدقائه وتشجيعه على الهرب والاستسلام .

(٧) تصوير نهج كامب ديفيد بأنه المنقذ الاساسي والوحيد ، للعرب ودعوتهم الى الاقتداء بسلوك السادات ونهجه الخياني .

باختصار فان الهدف الاساسي من حرب اسرائيل النفسية في لبنان هو تحقيق حالة الانهيار السياسي والمعنوي للعرب ، ودفعهم باتجاه

الاستسلام والرضوخ لمشيئة اسرائيل ومخططات الامبريالية في المنطقة .

وقد حشدت اسرائيل في حربها النفسية زهاء مئة خبير في علم النفس اضافة الى العديد من المختصين في مجال الدعاية والاعلام والعلوم الاجتماعية والنفسية ، وصب هؤلاء جهودهم من اجل تحقيق اهداف الدعاية الاسرائيلية الكاذبة والمضللة والخادعة للرأي العام العالمي والاسرائيلي على حد سواء .

لذلك راح إعلام الكيان الصهيوني يصور للعالم ان غزو لبنان مجرد عملية بسيطة تستهدف ما اسماه « امن وسلامة المستوطنات » في منطقة الجليل ، وان اجتياح الجنوب اللبناني لم ينجم عنه سوى خسائر بسيطة في الارواح والممتلكات ، وقد بالغ المسؤولون الاسرائيليون بالتخفيف من حجم الخسائر التي الحقتها القوات الاسرائيلية في مدينتي صيدا وصور بهدف خداع وتضليل الرأي العام العالمي لدرجة ان « بيني موريس » كتب في صحيفة جيروزاليم بوست الاسرائيلية بتاريخ ١٩٨٢/٧/١٣ مفنداً مزاعم المسؤولين الاسرائيليين ما يلي :

« ان تصريحات الحكومة والجيش الاسرائيلي حول الدمار في صيدا سخيفة ، فدمار البيوت يظهر في كل انحاء المدينة وليس مقصوراً على الشارعين الرئيسيين » .

وتطرح الصحافية الامريكية « مايكل جانسن » التي عاشت في لبنان خلال الغزو الاسرائيلي وسجلت مشاهداتها عن حرب لبنان بصورة حيادية معلقة على ما كتبه بيني موريس بالسؤال التالي : ما هي هذه التقديرات الرسمية السخيفة ؟ وتجيب عن سؤالها في الفصل الثاني من

كتابها « معركة بيروت .. لماذا غزت اسرائيل لبنان » قائلة « لقد قال مسؤول اسرائيلي للصحافة ان عشرة بيوت فقط في صور دمرت بشكل لا مجال لاصلاحها ثانية وان عدداً اقل من ذلك قد دمر بتلك الطريقة في صيدا ، وكانت هذه الدعاية الرسمية قد لفقت بشكل متعمد في القدس ، وذلك لان الرائد يوسف دانا ، وهو محاضر في الادب العربي في جامعة حيفا وقد خدم ضابطاً مسؤولاً عن المدنيين قال في صحيفة جيروزاليم بوست يوم ١٥ ــ ٦ ــ ١٩٨٢ ان (٣٠٪) من مباني صور قد دمرت تدميراً كاملاً » .

ولقد وضع الاعلام الاسرائيلي الرأي العام في جو من البلبلة المقصودة من خلال اختلاف ارقام الخسائر التي كان يعلن عنها المسؤولون الاسرائيليون ، فوزير خارجية اسرائيل « اسحاق شامير » اعلن في ٢٢ ــ ٦ ــ ١٩٨٢ أن « ٤٦٠ ــ ٤٧٠ » مدنياً قتلوا و ١٦٠٠ جرحوا في جنوب لبنان ، فيما عدا بيروت ، وتفصيل ذلك : « ٤٠٠ قتلوا في صيدا ، و ٥٠ ــ ٦٠ في صور ، و ١٠ في النبطية » وقد استثنت هذه الارقام الضحايا الفلسطينيين . وفيما بعد ودون اي توضيح صحح الرقم فاصبح ٢٦٥ قتيلاً في صيدا و ٥٦ في صور و ١٠ في النبطية . وكان هناك نفس التشويش في الارقام الاسرائيلية حول عدد الفدائيين الفلسطينيين الذين استشهدوا . ففي ١٩ ــ ٦ ــ ١٩٨٢ قال الجنرال ايتان رئيس الاركان الاسرائيلي انذاك ان القوات الاسرائيلية قتلت حوالي ٢٠٠٠ ارهابي بينما قال ياريف في ٢٧ ــ ٦ ــ ١٩٨٢ « ان ١٠٠٠ ارهابي قتلوا » .

كل ذلك التشويش والتضليل والتمويه الاسرائيلي كان بقصد اخفاء الحقيقة عن الرأي العام العالمي ، لكي يبقى على جهل وعدم معرفة بحقيقة ما قامت به اسرائيل من جرائم في صور وصيدا ، ومن ثم في العاصمة اللبنانية ــ بيروت ، ذلك لان الارقام الحقيقية للضحايا اللبنانيين والفلسطينيين الناجمة عن عمليات اسرائيل العسكرية اكبر من جميع الارقام التي ذكرها المسؤولون الاسرائيليون . ف « روبرت فيسك » ذكر في صحيفة التايمز البريطانية بتاريخ ٢١ ــ ٦ ــ ١٩٨٢ انه باضافة الارقام التي اخذت من الصليب الاحمر ومن الشرطة اللبنانية عن كل قرية ومدينة في لبنان ، فان عدد الضحايا يصبح ١٤ الف قتيل و ٢٠ الف جريح ، كما ان صحيفة النهار اللبنانية ذكرت في نهاية آب ١٩٨٢ ان عدد الضحايا في لبنان بلغ ١٨ الف قتيل ، و ٣٠ الف جريح ، بمن فيهم الذين قتلوا من المقاتلين اللبنانيين والفلسطينيين ، اي ان الرقم النهائي للقتلى المدنيين في لبنان بلغ حوالي ١٦ الفاً .

وفي محاولة لتغطية الكذب والخداع الاسرائيلي ، هاجم « مناحيم بيغن » رئيس وزراء اسرائيل وسائل الاعلام العالمية ، موجهاً اليها تهمة التزييف والمبالغة في نقل المعلومات ، حيث صرح في ٢٣ ــ ٦ ــ ١٩٨٢ ، وعقب عودته الى فلسطين المحتلة اثر زيارته للولايات المتحدة الاميركية آنذاك قائلاً : « ان تقارير وسائل الاعلام الاجنبية كانت غير موضوعية وغير صحيحة ، وان المعطيات التي اوردتها معظم وسائل الاعلام الاجنبية كانت مزيفة ومبالغاً فيها ، اذ ان وسائل الاعلام الاجنبية تحدثت عن تشريد ٦٠٠ الف شخص من سكان الجنوب

اللبناني » وادعى بيغن « ان هذا العدد من المشردين والذي تحدثت عنه وسائل الاعلام العالمية هو اكبر من عدد سكان الجنوب اللبناني بـ ٣٠ مرة » .

واضاف بيغن قائلاً : اما بصدد الضحايا التي وقعت في الجنوب اللبناني فان وسائل الاعلام الاجنبية بالغت في هذا العدد ايضاً وتحدثت عن ٤٠ الف قتيل ، بينما تشير المعطيات المتوفرة ان عدد الاشخاص الذين لاقوا مصرعهم في هذه الاحداث لا يتجاوز الاربعة الاف .

وفي « فترة حصار بيروت » قام الاعلام الاسرائيلي بتركيز اهتمامه على شن حرب نفسية خطيرة كانت بمستوى خطورة قصف بيروت الغربية باحدث الاسلحة الامريكية المتطورة ، وقد تمحور الاعلام الاسرائيلي في تلك الفترة على النواحي التالية :

١ ــ ان لبنان سيكون الدولة العربية الثانية التي توقع معاهدة سلام مع اسرائيل ، وان توقيع هذه المعاهدة اصبح وشيكاً ، ورافق ذلك قصف عسكري اسرائيلي واسع من البر والجو والبحر على بيروت الغربية ، استخدم فيه الجيش الاسرائيلي جميع انواع الاسلحة الامريكية المتطورة بما فيها الاسلحة والذخائر المحرمة دولياً .

وكان الهدف من ذلك بث روح اليأس والاستسلام في صفوف القوات السورية ، والمقاتلين الفلسطينيين واللبنانيين المدافعين عن بيروت ، ومحاولة اقناع قوى الصمود العربي بأن الخيار الوحيد امامهم هو الاستسلام والرضوخ الكامل لشروط اسرائيل وامريكا في المنطقة .

٢ ــ الاستفادة من حالة التخاذل والصمت من جانب الانظمة العربية

الرجعية ، وعدم اتخاذ هذه الانظمة اي اجراء عملي باتجاه انهاء حالة الحصار لبيروت الغربية ، الامر الذي جعل الاعلام الاسرائيلي يستخدم هذه الحالة ويوظفها ضد العرب الصامدين من سوريين وفلسطينيين ولبنانيين ، منطلقاً في ذلك من حقيقتين : الاولى ان النظام المصري قد اكد التزامه باتفاقات كامب ديفيد ، والثانية ان بعض الانظمة العربية الاخرى قد أكدت للولايات المتحدة عدم عزمها لاستخدم سلاح النفط كما جرى في حرب تشرين التحريرية ١٩٧٣ .

وهذا ما جعل قادة الكيان الصهيوني يتوهمون انه في ظل حالة الاستفراد بقوى الصمود العربي ، قد حان الوقت لتعميم سياسة كامب ديفيد عبر البوابة اللبنانية والتهيؤ لمرحلة عقد المعاهدات مع الدول العربية .

فقد جاء في صحيفة هآرتس الاسرائيلية بتاريخ ١٩٨٢/٧/١٨ مايلي :

« ان على اسرائيل التأهب للمرحلة القادمة بعد ان نكون قد وقعنا معاهدة سلام مع لبنان ، وبعد ذلك سوف يتوجه الملك حسين للاجتماع بـ بيغن سواء في عمان او في القدس بشكل سري او علني من اجل عرض معاهدة سلام مع اسرائيل » .

٣ ــ عمل الاعلام الاسرائيلي على شن حملة نفسية مكثفة ضد الشعب الفلسطيني في الاراضي العربية المحتلة ، سواء عن طريق الاعلانات المتكررة حول يأس قوات الثورة الفلسطينية من امكانية الصمود ، او من خلال اعادة طرح مقولة استئناف مفاوضات « الحكم الذاتي » ، وتشجيع العملاء لاخذ زمام المبادرة ، وبدء المفاوضات والتنكر لمنظمة التحرير

الفلسطينية . وقد عبر « شارون » عن هذه الخطط عندما صرح لصحيفة « يديعوت احرونوت » في عددها الصادر بتاريخ ١٩٨٢/٧/٢١ « لقد توفرت الآن قاعدة مريحة جداً لتجسيد مشروع الحكم الذاتي للعرب في الضفة والقطاع » .

٤ ـ القيام باخفاء الحقائق عن طبيعة المعارك التي جرت بين قوات الغزو الاسرائيلي وبين المدافعين عن بيروت من سوريين وفلسطينيين ولبنانيين ، وحجب ذلك عن الجمهور الاسرائيلي داخل اسرائيل ، وكذلك حجب اخبار حركات الاجتياح داخل الكيان الاسرائيلي عن القوات العسكرية الموجودة في لبنان ، وعدم نشر اية اخبار عن الخسائر البشرية بين صفوف الجيش الاسرائيلي وعن جرائم هذا الجيش في قصف بيروت بالاسلحة المحرمة دولياً .

اما في فترة اجتياح الجيش الاسرائيلي « بيروت الغربية » وارتكابه مذبحة صبرا وشاتيلا فقد انصب اهتمام الدعاية الاسرائيلية على ايجاد المبررات والحجج التي دفعت باسرائيل الى القيام بهذا السلوك العدواني الجديد ، وكان من بين الحجج والادعاءات التي روجها الاعلام الاسرائيلي في هذا الصدد : الادعاء بأن اجتياح بيروت الغربية جاء لسد ما سمي بـ « الفراغ الامني » او الحيلولة دون قيام ميليشيات حزب الكتائب بما سمي « عمليات ثأر وانتقام » ضد المدنيين الفلسطينيين ، وعناصر الحركة الوطنية اللبنانية اثر حادث اغتيال الرئيس المنتخب بشير الجميل في ١٤ ـ ٩ ـ ١٩٨٢ .

وبعد حدوث مذبحة صبرا وشاتيلا ، واضطرار الحكومة الاسرائيلية

بسبب ضغط الرأي العام الداخلي والخارجي واجبارها على تشكيل لجنة « كاهان » للتحقيق في المذبحة ، اخذت الدعاية الصهيونية ووسائل الاعلام الاسرائيلية على عاتقها مهمة « تبرئة » الجيش الاسرائيلي واعفائه من مسؤولية حدوث المذبحة ، وقد اعتمد الاعلام الاسرائيلي في هذا الصدد ما سمي بـ « المناعة الادبية » او « مناعة المجتمع ونظام الحكم في اسرائيل » ، وراحت اجهزة الدعاية الصهيونية من خلال تشكيل لجنة « كاهان » تتحدث باسهاب عن « الديمقراطية » في اسرائيل ، وذلك لتحويل انظار العالم والرأي العام العالمي عن حقيقة ما اقدمت عليه من جرائم في لبنان ، وما اقترفته بحق المواطنين الفلسطينيين الابرياء من نساء وشيوخ واطفال في المخيمات الفلسطينية سواء في مخيم عين الحلوة او في مخيمي صبرا وشاتيلا .

هذا ولم تقتصر حرب اسرائيل النفسية ابان غزوها العسكري للبنان على المواطنين العرب الصامدين في وجه حربها العدوانية من فلسطينيين ولبنانيين وسوريين ، ولم تقف عند عمليات التمويه والتضليل والكذب والخداع للرأي العام العالمي ، وانما امتدت هذه الحرب واساليبها لتشمل المواطن الاسرائيلي نفسه .

فوسائل الاعلام الاسرائيلي اخذت تصور للجندي الاسرائيلي ان حربه في لبنان عبارة عن « نزهة قصيرة » لا تستغرق سوى يومين على ابعد حد ، وانها ليست صعبة ، وانما هي سهلة بعيدة عن المخاطر ، وهي أشبه ما تكون بالمناورات التدريبية التي تكسب الجنود المشتركين فيها خبرة ومعرفة قتالية ، فقد اعلن « مناحيم بيغن » امام زملائه في الوزارة وامام

زعماء المعارضة والرأي العام الاسرائيلي الذين بدؤوا يتساءلون عن اهداف الحرب بعد ٣٦ ساعة من بدئها : « ان الحرب تحتاج الى ٧٢ ساعة على الاكثر » والاكثر من ذلك فان صحيفة « جيروزاليم بوست » بتاريخ ٨ ــ ٦ ــ ١٩٨٢ افادت بأن : « توقيت بيغن المحدد كان ٤٨ ساعة فقط » اما الجنرال « شارون » فقد قال عندما سئل عن اسباب الهجوم على لبنان : « انه بعد تسع سنوات من حرب ١٩٧٣ اصبح هناك جيل كامل من الجنود الاسرائيليين الذين لا خبرة لهم في الحروب ، ويحتاجون الى مثل تلك الخبرة » .

فالحرب على حد تعبير قادة اسرائيل اذن ليست سوى ، عملية تدريبية بالنسبة لجنود اسرائيل ، لكن الواقع اثبت للاسرائيليين عكس ذلك ، فحربهم في لبنان ليست « نزهة قصيرة » وليست عملية تدريبية وانما حرب عدوانية طويلة ، ولم تكن مضمونة النتائج خالية من الخسائر المادية والبشرية كما تم تصويرها ، لقد قام خبراء الدعاية الاسرائيلية بايهام الجندي الاسرائيلي بان قتاله في لبنان هو من اجل السلام ، وليس من اجل الحرب ، فهو يقاتل ــ اي الجندي الاسرائيلي ــ من اجل سلامة الجليل ومواطنيه الذين يعانون من عمليات الفدائيين الفلسطينيين .

كما راحت وسائل الاعلام الاسرائيلية تصور للرأي العام الاسرائيلي بان الجيش الاسرائيلي في لبنان ، يستقبل بالورود والازهار وعبارات الترحيب ، وعلى انه المنقذ والمحرر للبنان ، وليس عبارة عن جيش غازٍ ومستعمر ، فالجنرال « شارون » ادعى من خلال اذاعة اسرائيل في ٢١ ــ ٨ ــ ١٩٨٢ ما يلي : « ان اسرائيل حررت الشعب اللبناني من

القتل والاغتصاب والضغط ومن كل الاعمال والوسائل الوحشية التي مارسها المخربون في لبنان » .

لكن منطق الجنرال شارون هذا مجانب للحقيقة ، وبعيد عن الوقائع العلمية الموضوعية ، شأنه في ذلك شأن منطق كافة المغتصبين الصهاينة والمستعمرين في القرن التاسع عشر ، ممن كانوا يرون ان احتلال اراضي الآخرين ، والسيطرة على مقدرات الشعوب هو تحرير لهذه الشعوب وحماية لبلدانهم ، وما ذلك الا حجة وذريعة .

ان ابلغ وصف لادعاءات « شارون » ووسائل الاعلام الإسرائيلي هو ما جاء في مجلة « هاعولام هازيه » الاسرائيلية الصادرة في اب ١٩٨٢ عندما كتب « يوري افنيري » عضو حركة إلسلام في اسرائيل قائلاً : « ان وسائل الاعلام ، ونقلاً عن الناطق العسكري للجيش حاولت ايهام الاسرائيليين بأن جيشهم الغازي قد استقبل من قبل اللبنانيين بالورود والازهار وعبارات الترحيب ، وغير ذلك من العبارات المعروفة . لم يسبق لامة على وجه الارض ان استقبلت جيشاً غازياً ، يدمر مدنها وقراها ، ويقتل نساءها واطفالها وشيوخها ، ويدفنهم تحت انقاض منازلهم بالورود والازهار وعبارات الترحيب ... ويؤكد افنيري في نهاية كلامه حقيقة مفادها : « ان جيوش الغزو الاسرائيلي في لبنان قد استقبلت باللعنات ... وبالسخط والغضب » .

ب ـ الوسائل والاساليب التي استخدمتها الحرب النفسية الاسرائيلية اثناء الغزو الاسرائيلي للبنان

لتحقيق اهداف الحرب النفسية الاسرائيلية ، قامت اسرائيل وبدعم من الامبريالية الامريكية ، ومساندة انظمة الخيانة والتواطؤ ، وقوى الانعزال العربية باستخدام اساليب متعددة بدءاً من عمليات الخداع وبث الفرقة والانقسام بين صفوف الخندق العربي الواحد (القوات السورية ، ومقاتلي الثورة الفلسطينية ، والحركة الوطنية) الى عمليات التشكيك والتشويه بسمعة القياديين والمخلصين العرب ، وانتهاء بكل اساليب الضغط النفسي واصطناع التوتر وبث روح اليأس والخوف والرعب والقلق عن طريق عمليات القصف الوحشي المستمر ، وقطع المياه والكهرباء عن بيروت الغربية . اضافة الى الغارات الوهمية والسيارات الملغومة وغيرها من الاساليب الوحشية كمنع نقل الغذاء والمساعدات الطبية للجرحى والمصابين .

وفي سبيل تحقيق ذلك ولاحداث الانهيار السياسي والمعنوي عند العرب الصامدين في وجه عدوان اسرائيل والامبريالية الامريكية ، لجأت اسرائيل في حربها النفسية الى وسائل متعددة منها : الاذاعة الرسمية ، أو حرب البيانات والنداءات (قف وفكر) ومنها تصريحات المسؤولين والقادة العسكريين ، اضافة الى ترويج الشائعات بانواعها والقاء المنشورات والاستعانة بالعملاء والجواسيس الى آخر ذلك من الوسائل الدعائية الامبريالية في هذا المجال .

يقول « فيليب اجي » احد اداريي وكالة المخابرات الاميركية (C-I-A) السابقين بأن الولايات المتحدة تستعمل ثلاثة انواع من الدعاية : « الدعاية البيضاء والتي يعترف بها علانية بأنها صادرة عن الحكومة الامريكية ، والدعاية الرمادية والتي تعزى حسب الظاهر الى الناس او المنظمات التي لا تعترف بالحكومة الامريكية على انها المصدرة والدعاية السوداء وهي مادة غير منسوبة لاحد ، او تنسب لمصدر لا وجود له ، او تكون مادة كاذبة تعزى الى مصدر فعلي » .

وكما ورد في مقال نشرته جريدة « الرأي » الاردنية بتاريخ ١ ـــ ٨ ـــ ١٩٨٢ نقلاً عن جريدة « ميدل ايست » فان « اسرائيل استعملت الانواع الثلاثة من الدعاية (البيضاء ـــ الرمادية ـــ والسوداء) خلال غزوها للبنان في محاولة لاضعاف معنويات الفلسطينيين المحاصرين في بيروت ومؤيديهم في الخارج » وفيما يلي تلك الوسائل :

١ ـــ الاذاعة الرسمية (صوت اسرائيل)

منذ اللحظات الاولى لحرب اسرائيل العدوانية في لبنان ، اعلنت اذاعة الكيان الاسرائيلي بأنها ستواصل بثها دون انقطاع او توقف . وبالفعل واصلت تلك الاذاعة بثها طيلة الحرب ، ولم تتوقف عن البث دقيقة واحدة في اليوم ، وكانت هذه الاذاعة تبث البيانات وتوجه النداءات الى المواطنين اللبنانيين ، والى المقاتلين الفلسطينيين والسوريين ، داعية اياهم الى الهرب او إلقاء السلاح والاستسلام لجنودها ، كمحاولة منها لزرع اليأس والقنوط في النفوس وخلق الشك بالقيادات والايقاع بين

المواطنين والفدائيين تحت شعار انها لا تستهدف المدنيين وممتلكاتهم ، وانما تستهدف (المخربين) فقط على حد تعبير هذه البيانات .

وقد تم توجيه هذه البيانات تحت اسم « قف وفكر » الى القوات السورية العاملة في لبنان ضمن نطاق قوات الردع العربية ، والى مقاتلي الثورة الفلسطينية ، اضافة الى المواطنين المدنيين في جنوب لبنان وفي بيروت الغربية .

ففي الساعة الثانية عشرة والنصف من يوم ٧ — ٦ — ١٩٨٢ وجهت اذاعة اسرائيل الى سكان مدن جنوبي لبنان بياناً يتضمن التحذير والتخويف والتهديد ، ويطلب من المدنيين دعوة الفدائيين الى القاء سلاحهم ، وقد جاء في البيان ما يلي :

« القوات الاسرائيلية مزودة بوسائل حربية حديثة وفعالة . . . تضرب دون هوادة كل من يتصدى لها » ، كما جاء فيه ايضاً : « ليس لاسرائيل خلافات مع المواطنين اللبنانيين ، وانما الهدف هو اجتثاث شر المخربين .

والشيء الملاحظ من خلال ما جاء في البيان ان العدو يحاول تفرقة الصفوف ، وذلك بادعائه التعامل مع الفدائيين الفلسطينيين بمعزل عن المواطنين اللبنانيين .

وفي الساعة العاشرة والنصف من يوم ٩ — ٦ — ١٩٨٢ وجهت اذاعة اسرائيل الى سكان منطقة صيدا بياناً تطلب من السكان اخلاء المدينة على غرار ما فعله سكان صور كما زعم البيان ، ومما جاء فيه « لقد استجاب اخوانكم سكان صور الى نداء جيش الدفاع الاسرائيلي فأخلوا

مدينتهم ، ليتركوا المجال مفتوحاً امام قواتنا لتطهير المدينة من اوكار المخربين » .

ويلاحظ هنا مدى التضليل والخداع والكذب ، اضافة الى الايحاء بأن سكان صور قد استجابوا لمطالب ونداءات الغزاة الاسرائيليين المتعلقة باخلاء المدينة وافساح المجال امام الجيش الاسرائيلي للقبض على الفدائيين الفلسطينيين .

كما اتبع الاسرائيليون نفس الاسلوب اثناء حصارهم لـ « بيروت الغربية » ففي بيان اذيع الساعة الثامنة والنصف من مساء يوم ٢٥ ــ ٦ ــ ٩٨٢ من اذاعة اسرائيل جاء فيه ما يلي : « نقترح على المدنيين الذين يريدون الحفاظ على سلامتهم الابتعاد عن الاماكن التي يتواجد فيها المخربون ، والاتجاه شمالاً حيث الامان من الخطر ، الى ان يتم تطهير منطقتك من العناصر التخريبية » .

وواضح من خلال ما جاء في البيان ان الهدف هو تشجيع المواطنين المدنيين على الهرب والخروج من بيروت الغربية ، ليتم تفريغ المدينة من السكان ، وخلق جو من البلبلة والفوضى والخوف ليتسنى لقوات الغزو الاسرائيلي دخول المدينة وتحقيق اغراضها العسكرية باقل خسائر ممكنة .

وحتى في الحالات التي كان يتم التوصل فيها الى وقف اطلاق النار فان اذاعة اسرائيل كانت تستمر بتوجيه البيانات الى سكان مدينة بيروت الغربية تدعوهم فيها للهرب واستغلال وقف اطلاق النار ، في الوقت الذي كانت فيه الغارات الوهمية والقنابل المضيئة والسيارات الملغومة تفعل فعلها في المدينة .

اما بالنسبة لبيانات « قف وفكر » التي كانت توجهها الاذاعة الاسرائيلية الى الفدائيين الفلسطينيين والى القوات السورية فقد هدفت الى تحقيق مجموعة من الاغراض نذكر منها :

(١) التلاعب بعواطف المقاتل واحاسيسه ومشاعره تجاه اهله وزوجته واولاده .
(٢) بث روح الخوف والهزيمة واليأس عند المقاتلين .
(٣) الدعوة الى الهرب ، او ترك السلاح والاستسلام للعدو .
(٤) تقريب فكرة الاسر الى اذهان المقاتلين من خلال الايحاء بالمعاملة الجيدة التي يعامل بها الاسير في اسرائيل .
(٥) التشكيك بالقيادات ومحاولة الايقاع بين المقاتلين وقياداتهم .
(٦) العمل على تفتيت الوحدة الوطنية من خلال تأليب السكان المدنيين على الفدائيين وتهديد المدنيين اذا لم يتعاونوا مع قوات الغزو الاسرائيلي في القبض على الفدائيين وتسليمهم الى الجيش الاسرائيلي .

وبالاضافة الى بيانات « قف وفكر » فقد قامت الاذاعة الاسرائيلية باجراء عدد من المقابلات الاذاعية التي شملت مواطنين لبنانيين وفلسطينيين بسطاء كما شملت بعض الشخصيات اللبنانية المتصهينة امثال : مي المر وما يسمى زعيم حركة حراس الارز (ابو الارز) ومقابلات اذاعية اخرى اجرتها مع من اسروا او من سلموا انفسهم للجيش الاسرائيلي اثناء الغزو .

وبطبيعة الحال فقد استخدمت هذه المقابلات ووظفت جميعها لخدمة اغراض الحرب النفسية الاسرائيلية واساليبها ، حيث كان يتم تمويه

حقيقة حرب اسرائيل في لبنان واخفاء طابعها العدواني محاولة منها لتصوير هذه الحرب بأنها جاءت لانقاذ وابعاد ما يسمى تهديد المخربين لمدنه وقراه .

وكانت طبيعة اسئلة هذه المقابلات « ايحائية » بمعنى انها تستهدف انتزاع اجابات محددة يتقصدها صاحب السؤال ، ويسعى من خلالها الى الدعوة والترويج لافكار معينة ومقصودة مستغلاً الوضع النفسي لحالة الاسير وظروفه غير الطبيعية الناجمة عن الاسر .

وقد تمحورت الاسئلة التي وجهت الى الاسرى الفلسطينيين حول : العلاقة بين الفدائيين والمواطنين اللبنانيين المدنيين وكذلك العلاقة بين ما اسمته الاسئلة بـ « طبقة الضباط » و « طبقة العناصر » ورأي الفدائيين (قياداتً وافراداً) بالزعامات العربية ، اضافة الى دور القادة الفلسطينيين في الحرب .

والهدف من ذلك هو محاولة زرع الفرقة بين الفدائيين الفلسطينيين والمواطنين اللبنانيين والايقاع بين المقاتلين وقيادتهم ، وبين الفدائيين والقادة المسؤولين في الدول العربية الاخرى .

٢ ـ تصريحات المسؤولين الاسرائيليين

اعتمد مخططو الحرب النفسية الاسرائيلية على استخدام تصريحات المسؤولين والقادة العسكريين في اسرائيل بغية تحقيق هدف مزدوج : الاول زعزعة المقاتل العربي بنفسه وبسلاحه وبحلفائه . والثاني رفع معنويات

الجندي الاسرائيلي الى اقصى درجة ممكنة من خلال ما سمي « الانجاز الكبير » في عملية سلام الجليل ، و « التعديلات » التي ادخلها الخبراء الاسرائيليون على السلاح الامريكي ، وما سمي بـ « نوعية الجندي الاسرائيلي » وما يتميز به من قوة وتدريب وخبرات عالية ٠٠ الى اخر ذلك من اساطير التيفوق واستحالة التراجع ، واشترك في حملة التصريحات الدعائية هذه جميع المسؤولين في الحكومة الاسرائيلية ، وكبار القادة العسكريين في الجيش الاسرائيلي ، اضافة الى زعماء المعارضة في اسرائيل ٠

كما شارك في حرب التصريحات ايضاً كبار المسؤولين في الادارة الامريكية ، حيث قام « هيغ » وزير الخارجية الامريكية آنذاك بشن حملة من الشعارات وصف فيها حرب اسرائيل العدوانية بأنها : « فرصة امام رسم خارطة سياسية جديدة للمنطقة » ٠ وفي ١٤ ــ ٦ ــ ١٩٨٢ اعلن هيغ قائلاً : « املنا في ان يكون الحل النهائي للازمة اللبنانية حافزاً لتسهيل التقدم في عملية السلام ، وليس عقبة في طريق التقدم » واعلن هيغ : « ان محادثات الحكم الذاتي الفلسطيني مرتبطة بحل الوضع في لبنان » ٠ وفي نفس اليوم قال مسؤول امريكي كبير في الامم المتحدة لاعضاء اخرين في مجلس الامن : « ان الطلب بانسحاب اسرائيلي غير مشروط في لبنان لم يعد مناسباً لمتطلبات الوضع » ٠

يتضح من هذه التصريحات ان هناك تبريراً امريكياً للغزو الاسرائيلي للبنان والنظر الى هذا الغزو بأنه خطوة لحل ما سمي « ازمة لبنان » والتقدم في ما سمي : « عملية السلام » وهذا منتهى التضليل وتزوير الوقائع

والحقائق وقلبها ، فالحرب العدوانية تصبح سلاماً في نظر (هيغ) وغيره من مسؤولي الادارة الامريكية » .

لقد جاءت التصريحات الامريكية هذه لتكون بمثابة الوجه الآخر لتصريحات المسؤولين الاسرائيليين التي حملت طابع التهديد والاستفزاز والغطرسة . فالجنرال رفائيل ايتان « صرح في ٧ ـ ٦ ـ ١٩٨٢ قائلاً : « خلال قتال استمر ٢٤ ساعة انجزت وحدات الجيش الاسرائيلي عمليات كان قد خصص لها ضعف الوقت الذي استغرقته » .

واهم ما تميزت به تصريحات المسؤولين والقادة العسكريين الاسرائيليين اثناء فترة الحرب هو الدعاية للسلاح الامريكي ، والتعديلات التي ادخلتها اسرائيل على هذا السلاح وتفوق بسلاحهم على السلاح السوفييتي الذي يعتمد عليه العرب ، وذلك بقصد زعزعة ثقة المقاتل العربي بسلاحه وتشكيكه في قدرة هذا السلاح ، الامر الذي يؤدي في النهاية الى شل ارادة القتال عند هذا المقاتل . وقد اشترك جميع قادة الاسلحة في اسرائيل في الدعاية لاسلحة جيشهم ، خاصة قائد سلاح المدرعات العميد « موشيه باركوخفا » والميجر جنرال « يسرائيل تال » المسؤول عن مشروع تطوير وانتاج دبابات « المركفا » .

٣ ـ الشائعات بأنواعها

قامت اسرائيل بنشر الشائعات المفرقة للصفوف ، والتي من اساليبها تناول القادة والزعماء واختلاق الاقاويل عنهم ، كما اعتمدت ايضاً

على بث شائعات هدفها تشويه الحقائق وتزييفها والتشكيك بالمخلصين من القادة ، واعتمدت اسرائيل على الاذاعة الرسمية (صوت اسرائيل) في نشر شائعاتها احياناً ، في حين اعتمدت على العملاء والجواسيس واذاعة الكتائب واذاعة الخائن سعد حداد في احيان اخرى .

فبعد الاسبوع الاول للحرب ، عمدت اسرائيل الى نشر شائعات مدروسة تناولت اسماء فدائيين معروفين على انهم متعاونون معها ، كالشائعة التي روجتها وعملت على نشرها ومفادها : « ان الرائد « كايد » وهو من المسؤولين العسكريين الفلسطينيين المعروفين في الجنوب اللبناني ، قد وصل الى النبطية على رأس القوات الاسرائيلية » ، في الوقت الذي كان فيه « كايد » يخوض مواجهات عنيفة ومعارك مشرفة ضد قوات الغزو الاسرائيلي من موقع لآخر . ومن هذه الشائعات ايضاً شائعة مفادها : « ان رئيس تنظيم مصر الحرة هو بالاصل ضابط اسرائيلي ، وهو يوجد مع القوات الاسرائيلية في صيدا ، وقد روج لهذه الشائعة كثيراً وامتد نطاقها ، علماً ان الشخص المعني كان ما يزال يداوم بمكتبه في منطقة « فردان » التي كانت تتعرض في تلك الساعات لقصف مدفعي كثيف .

ولا شك في ان هدف اسرائيل من هذه الشائعات واضح كل الوضوح وهو : تشويه سمعة هذين الشخصين وامثالهما من المناضلين ، ولكن كما قال « بلال الحسن » في مقاله المنشور بعنوان : « هكذا عشنا ايام الحصار » في جريدة الرأي الاردنية بتاريخ ١٩٨٢/١١/٤ : « انكشفت امر هذه الشائعات كلها ، وأدرك المواطن العربي انها جزء من الحرب النفسية ، ولكنها ككل شائعة تحدث بلبلة لفترة من الوقت حتى

ينكشف امرها ، وهذه البلبلة ولو لفترة زمنية وجيزة ، هي ما يريده العدو وما يحاول الاستفادة من تأثيراتها » .

وقد واصل العدو الاسرائيلي نشر الشائعات عندما دخل بيروت الغربية . ومن الشائعات التي نشرها في تلك الأثناء شائعة مفادها « ان بائع اشرطة كاسيت في هذا الحي هو اسرائيلي متخف » و « ان الشخص المجنون في ذلك الحي والذي كان يعطف عليه الجميع ويساعدونه قد تكشف عن ضابط اسرائيلي كبير كان يراقب كل شيء حوله » . ومن المرجح ان تكون هذه الشائعات مثل غيرها من الشائعات الكاذبة التي تهدف الى مجرد نشر البلبلة وعدم الثقة بين المواطنين انفسهم .

٤ ـ المنشورات والنداءات

من المعروف ان المنشورات احدى الوسائل الاساسية التي تستعمل في الحرب بهدف خلق التوتر النفسي ، واضعاف ارادة المقاومة وتحطيم المعنويات وتشجيع التخاذل وترك ارض المعركة والاستسلام ، ويكثر استخدام هذا النوع من وسائل الحرب النفسية في حالات الحصار والاوضاع الصعبة وغالباً ما تكون المنشورات حاملة لمشاعر الخوف واليأس . وللمنشورات انواع متعددة نذكر منها :

١) المنشورات التي تهدف الى تحطيم ارادة القتال .
٢) المنشورات التي تهدف الى بث التفرقة والخوف والشكوك .
٣) منشورات الخداع .

٤) المنشورات التي تهدف الى تحريك التوترات النفسية وخفض الروح المعنوية .

وقد استخدمت اسرائيل في حربها النفسية مختلف انواع المنشورات ، ففي احد المنشورات الذي وجهته الى سكان منطقة جنوبي لبنان وضمنته مجموعة من التعليمات منها ما يدعو الى الاستسلام كالبند الخامس من التعليمات والذي ينص على ما يلي : « علقوا على الشبابيك وعلى الشرفات قطعة من القماش بصورة تمكن رؤيتها بوضوح من الشارع » ، ومنها ما يدعو الى جمع الاسلحة كالبند الثامن من التعليمات والذي ينص على ما يلي : « اجمعوا كل الاسلحة الموجودة بحوزتكم ونفذوا التعليمات التي تذاع عليكم من دار الاذاعة الاسرائيلية بهذا الخصوص ، ومنها ما يدعو الى التخلي عن الفدائيين .. الخ ، ونلاحظ ان هذا النوع من المنشورات يهدف الى بث التفرقة واحداث الخوف واثارة الشكوك .

وزادت اسرائيل من اعتمادها على المنشورات التي كانت تلقى بالطائرات اثناء حصارها لبيروت ، الغربية وذلك من اجل تفريغها من السكان ، وكان المنشور يلقى في توقيت مدروس بحيث يأتي القاؤه بعد قصف مدفعي عنيف ، او بعد غارات جوية متلاحقة ، وفي اللحظة التي يعلن فيها وقف اطلاق النار وبالاستناد الى الحالة النفسية والتوتر الشديد ، وبالاستناد الى مناظر القتلى والجرحى وصوت سيارات الاسعاف . في مثل هذه الاوضاع تأتي المنشورات لتدعو السكان لمغادرة بيروت الغربية واستغلال وقف اطلاق النار .

فقد جاء في احد المنشورات التي القيت على بيروت الغربية ما

يلي : « ان وقف اطلاق النار يوفر فرصة لا تعوض لسكان غربي بيروت لانقاذ حياتهم وحياة اعزائهم وانت الذي تتواجد في بيروت اليوم ، تذكر ان الوقت اخذ يتضاءل ، وكلما تأخرت كلما ازدادت المخاطر على سلامتك وسلامة اعزائك » . وفي منشور اخر ولتشجيع عملية الهروب كان يتم تحديد الطرق الواجب اتباعها من قبل المغادر ، فقد جاء في احد المنشورات ما يلي : « استغل وقف اطلاق النار وانقذ حياتك . امامك الامكانيات التالية :

أ) عن طريق قوات جيش الدفاع الاسرائيلي شرقاً على محور بيروت ــ دمشق .

ب) شمالاً باتجاه « طرابلس » .

اضافة الى استخدام اسرائيل للمنشورات في حربها النفسية فقد استخدمت ايضاً النداءات ، وابرز هذه النداءات ذلك النداء الموجه الى قائد اللواء السوري الخامس والثمانين الموجود في بيروت من قبل اللواء الاسرائيلي « امير دروري » قائد المنطقة الشمالية وذلك بتاريخ ٢٠ ــ ٦ ــ ١٩٨٢ والذي جاء بعد يوم كامل من القصف الجوي العنيف لبيروت الغربية وبعد وصول القوات الاسرائيلية الغازية الى منطقة « الشويفات » .

وقد اعتمد هذا النداء على اسلوب الترغيب والتهديد في ان واحد . ففي الوقت الذي يشيد فيه النداء بشجاعة وبطولة قائد اللواء ٨٥ فانه يطلب منه ان يخرج قواته من المدينة خلال ساعات معدودة ، وقد ارفقت

بالنداء خارطة موضح عليها بالاسهم المحوران اللذان يتعين على القوات السورية الموجودة في بيروت الخروج من خلالهما .

وقد قامت اسرائيل ايضاً بتاريخ ٧ ـــ ٧ ـــ ١٩٨٢ بتوجيه نداء الى الجنود السوريين في المواقع الامامية في منطقة « البقاع » عبر مكبرات الصوت ، ادعت فيه ان المواقع السورية الامامية المتقدمة خالية من وجود الضباط ومقتصرة على الجنود الذين تركوا وحدهم في هذه المواقع ، وكان الهدف من هذا النداء هو التشكيك بالقيادات واحداث الفرقة والانقسام .

وقد تم الرد على هذا الاجراء الاسرائيلي في حينه من قبل القوات السورية بعدة وسائل منها : « توجيه نداء بمكبرات الصوت الى الجنود الاسرائيليين في المواقع المقابلة للقوات السورية في المنطقة ، اضافة الى عمليات الشرح والتوضيح التي تمت من قبل عناصر التوجيه السياسي للمقاتلين السوريين ، والتي فندت الغاية والهدف الاسرائيلي من هذا النداء وامثاله الامر الذي ادى الى تطويق اي اثر للنداء الاسرائيلي على الجنود السوريين من جهة ، ومن جهة اخرى فان الرد السوري المماثل اقنع العدو بعدم العودة الى هذا الاسلوب ثانية .

٥ ـــ الادلاء والعملاء

من الاساليب التي استخدمتها اسرائيل في حربها النفسية في لبنان « اسلوب المقنعين » الذين كانوا يشيرون او يدلون على الناس ، وقد

استخدم هذا الاسلوب في مدينة صيدا فبعد ان امرت قوات الاحتلال الاسرائيلي جميع السكان في مدينة صيدا بالنزول الى شاطىء البحر حيث قضوا هناك اربعة ايام بلياليها ، اجبروا الاهالي ، خاصة الشبان منهم على المرور امام سيارة جيب يجلس فيها عدد من المقنعين الذين يدلون على الفدائيين او المتعاونين معهم .

والايحاء الاساسي في هذه العملية هو ان المقنعين هم جواسيس لاسرائيل من اهل المدينة او من الفدائيين انفسهم ، مع ما يعنيه ذلك من قدرة الاسرائيليين على معرفة كل شيء ، ومن خوف لدى كل مواطن بان دوره معروف سلفاً لدى المحتلين ولا جدوى من اخفائه ، وبالتالي ينهار او يعترف او يسلم نفسه طواعية .

ويعلق « بلال الحسن » على هذا الاسلوب في مقاله المنشور بتاريخ ٤ — ١١ — ١٩٨٢ في جريدة الرأي الاردنية قائلاً : « لقد احدث هذا الاسلوب تأثيراً لبعض الوقت ، ثم تلاشى هذا التأثير لسبب بسيط هو ان صيدا مدينة صغيرة واغلب اهاليها يعرفون بعضهم بعضاً ، ويعرفون ايضاً من هو الفدائي بينهم ، ومن الذي يتعاون مع الفدائيين ، وقد تبين لسكان صيدا ان المقنعين يدلون على عشرات من الناس الذين لا علاقة لهم بالعمل الفدائي ، وقد لاحظوا ايضاً ان كل من يتمتع بجسم رياضي مثلاً يفرز فوراً على انه فدائي . ونتيجة لذلك فقد تأكد المواطنون في صيدا ان هؤلاء المقنعين ليسوا سوى جنود اسرائيليين ، وان ما تريد قوات الاحتلال الاسرائيلي الايحاء به من ان هؤلاء المقنعين هم جواسيس

يعرفون كل شيء عنهم هو ادعاء كاذب ، ولذلك فقد هذا الاسلوب تأثيره بسرعة ولم تعد القوات الاسرائيلية تلجأ اليه » .

هذه هي ، بشيء من التفصيل ، الوسائل التي استخدمتها اسرائيل في حربها النفسية ، يضاف اليها اساليب الرغب والخداع كعشرات الغارات الوهمية التي شنتها اسرائيل على بيروت الغربية قبل اجتياحها ، ومئات القنابل المضيئة التي القيت على المدينة ، والتي كانت احدى وسائل الضغط النفسي على المواطنين من اجل ارهاق اعصابهم وزيادة توترهم ، اضافة الى ما قامت به اسرائيل من قطع المياه والامدادات التموينية وارسال مواد اسرائيلية معينة بغرض الدعاية ، فكما قال اجد مسؤولي الامم المتحدة للصحافي « كريستوفر روكر » بتاريخ ١٨ ــ ٦ ــ ٩٨٢ : « ان الاسرائيليين يرسلون امدادات غير ملائمة مثل الحلوى والبوظة ، ولا يسمح لنا بارسال موادنا التموينية الاساسية المنتظمة عبر الحدود الى اللاجئين الذين يفترض اننا مسؤولون عنهم » .

ج ــ نتائج الحرب النفسية الاسرائيلية في لبنان وآثارها

بادىء ذي بدء لا بد لنا من القول إن حرب اسرائيل النفسية كان لها بعض الاثر على المقاتلين العرب الصامدين ، وكانت اشد ايلاماً في بعض اللحظات من الغزو ، خاصة في الايام الاولى للحرب ، من خلال ما احدثته من تشويش ذهني وضغط نفسي ، وما ولدته من انطباع عند بعض المقاتلين في منظمة التحرير الفلسطينية من ان اسرائيل تستهدفهم

بمفردهم ، وبأنها حشدت لهذه الغاية جيشاً متفوقاً بالعدة والعدد على الفدائيين ، وساعد على ترك هذا الانطباع عمليات القصف المستمر للمخيمات الفلسطينية والاحياء السكنية في بيروت خلال يومي الرابع والخامس من حزيران ٩٨٢ ، اضافة الى الواقع العربي المشتت وانشغال بعض الانظمة العربية في الجري وراء المشاريع والمخططات الامريكية الرامية الى فرض مشاريع الاستسلام على العرب .

ولكن اثر الحرب النفسية الاسرائيلية اخذ يضعف ويخف بعد عمليات المواجهة المباشرة في النبطية وقلعة الشقيف وغيرهما من المواقع ، التي اثبت فيها الفدائيون من رجال المقاومة الفلسطينية كفاءة قتالية عالية . وجاء اشتراك القوات العربية السورية في العمليات العسكرية منذ اليوم الاول للغزو ليعزز ارادة الصمود وامكانية التصدي للعدو ، الامر الذي ادى الى تلاشي مفعول الحرب النفسية الاسرائيلية ، بحيث لم يعد البيان او المنشور او النداء الاسرائيلي يؤثر على احد من العرب سواء كان مقاتلاً او غير مقاتل . فمع الزمن ومع طول الحصار الذي فرضته قوات الاحتلال الاسرائيلي على مدينة بيروت الغربية حيث تعايش المواطنون مع عمليات القصف والغارات الوهمية والحقيقية على المدينة ، لم يعد المنشور او النداء او الشائعة او غيره من وسائل الحرب النفسية واساليبها تثير الذعر .

وباستثناء الموجات الأولى من المدنيين الذين تركوا بيروت الغربية ، كان المواطن يكتفي بان يقول لجاره : هل قرأت المنشور الاخير ؟ انها حرب نفسية . وتعبر هذه الكلمات البسيطة عن مدى التغيير الكبير في النفوس ، فبعد ان تم كشف خطة اسرائيل وهدفها من هذه الوسائل

والاساليب ، فقدت الحرب النفسية تأثيرها المعنوي المنشود ، وهذا ما اكدته مجلة « نوفل ابسرفاتور » في مقال لها بعنوان : « بيروت والحصار الاسرائيلي » .

والذي نشرته جريدة الرأي الاردنية بتاريخ ١٩٨٢/٧/١٠ حين قالت جرب الجيش الاسرائيلي كل الوسائل الممكنة ، ليحمل اهل بيروت الغربية على مغادرتها الى مناطق اخرى عمليات القصف البربري ، ثم الضغوط السيكولوجية ، المنشورات التي تهدد باحتمال الاقتحام بين لحظة واخرى ، والخراب الشامل ، القنابل المضيئة ليلاً ، بعض القنابل الصوتية وسط الليل ، للظن بأن الهجوم قد بدأ فعلاً .. ولكن سكان بيروت باتوا معتادين على المعارك ، لقد عايشوا الحرب بكل آلاتها واجهزتها وتآخوا مع الموت .

لقد خاب ظن الدعاية الاسرائيلية السوداء ، وعجزت وسائل حربها النفسية واساليبها عن تحقيق الهدف المنشود في الفرقة والانقسام في صفوف المقاتلين العرب وعلى العكس من ذلك فقد تجلت الوحدة الوطنية باسمى معانيها ، وازداد التلاحم السوري الفلسطيني ، اللبناني كما شهدت منظمة التحرير الفلسطينية وفصائل المقاومة وحدة في الرأي لم تعرفها من قبل .

يضاف الى هذا وذاك ان المقاتلين العرب ، وبالرغم من الظروف الصعبة التي قاتلوا فيها لم يتعرضوا لحالات من الانهيار النفسي والاضطراب العصبي ، كما هو الحال في الجانب الاسرائيلي ، ولم تشهد الحرب حالات استسلام جماعية عند المقاتلين العرب ، ومن وقع في الاسر منهم كان مرده الى ظروف المعارك والقتال ، وليس مرده الى ظروف الاستسلام الطوعي

للعدو ، كما ان مظاهر الفرقة والانقسام في صفوف المقاتلين لم تحدث بالرغم من جميع المحاولات التي بذلتها أجهزة الحرب النفسية الاسرائيلية في هذا الصدد ، ولم تحدث ايضاً حالات التمرد والعصيان ورفض الاوامر ، ولا حالات الهروب من المعركة ..

باختصار فان حالة الانهيار السياسي والمعنوي في الجانب العربي الصامد ، والتي ارادها العدو الاسرائيلي لم تتحقق ، وثم تصدير تلك المظاهر السلبية كالتمرد ورفض الاوامر والتهرب من الخدمة الاحتياطية ، والفرار من ارض المعركة .. الى جيش اسرائيل الغازي والى المؤسسة العسكرية الاسرائيلية .

ان اساليب الكذب والخداع والتضليل والتشويش وتزوير الوقائع والحقائق والاساليب الاخرى التي اعتمدت عليها حرب اسرائيل النفسية في لبنان ، والتي ارادت من خلالها تدمير النفس العربية وتخريبها ، كان لها منعكساتها السلبية على الكيان الاسرائيلي وعلى سمعة المؤسسة العسكرية الاسرائيلية بالذات ، ومن خلال الشروخ العميقة التي احدثتها هذه الحرب في بنية تلك المؤسسة ، حيث نبتت داخلها معارضة متصاعدة ، تضم اعداداً متزايدة من الجنود والضباط ضد الحرب في لبنان ، ويرجع ذلك في تقدير الخبراء والمختصين في المجتمع الاسرائيلي الى ازمة الثقة التي سببها الفصل بين القول والعمل ، بين ما قيل للرأي العام (الداخلي والخارجي) عن الحرب وطبيعتها واهدافها وبين ما افرزه الواقع العملي من اطماع توسعية اسرائيلية لا تقف عند حد .

ونتيجة لحرب اسرائيل في لبنان ، وطول مدة هذه الحرب ، وعدم

قول الحقيقة في بيانات الناطق العسكري الاسرائيلي ، فقد انتشرت مظاهر عدم الثقة في اقوال الناطق العسكري وعدم ثقة الاسرائيليين بالقادة ، لدرجة ان « بيغن وشارون » اتهما بالكذب والتضليل ، ففي احدى ملاحق صحيفة « عال همشمار » وتحت عنوان « جبهة الرفض في الجيش الاسرائيلي » نشرته جريدة « السفير » اللبنانية بتاريخ ١٩٨٢/١١/٢٨ وصف دقيق لحالة الكآبة التي سادت الجيش الاسرائيلي وازمة الثقة التي انتشرت بين الجمهور والزعامة في اسرائيل من جراء الحرب في لبنان ٠

وقد ورد في المقال ما يلي : (كان من بين الاهداف التي وضعها رئيس الحكومة « بيغن » لحرب « سلام الجليل » ، تخليص الشعب والجيش الاسرائيلي من كآبة حرب يوم الغفران ، لكن الذي حدث هو ان حرب لبنان لم تخلص اي شخص من الكآبة القديمة فقط بل فتحت جروحاً جديدة) ٠

وورد في المقال نفسه ايضاً : « اجل ، لقد حدثت بعد حرب يوم الغفران ازمة ثقة بين الجمهور والزعامة ٠ ونجمت تلك الازمة عن تقدير خاطىء للزعامة ٠ لقد نظروا الى غولدا مائير ، وموشي دايان على انهما شخصان مخطئان ، ويجب ان يدفعا الثمن ، لكنهم لم ينظروا اليهما على انهما مضللان ، ولم يصفهما احد بأنهما كاذبان ، اما ازمة الثقة اليوم ، فلم تنجم عن تقديرات خاطئة ، وانما بسبب عدم الاستقامة الشخصية ، وعدم قول الحقيقة من قبل الزعامة الحالية » ٠

وعن حجم الخسائر الحقيقية بين صفوف الجيش الاسرائيلي من جراء حرب لبنان ، والتي حاول الناطق العسكري الاسرائيلي التقليل منها ما

امكن . لكن الاخبار التي بدأت تتردد داخل اسرائيل بعد الشهر الاول من القتال حول ضخامة هذه الخسائر وزيادة عددها ، وضعت حداً لاقوال « شارون » و « ايتان » و « الناطق العسكري » الامر الذي اجبر الحكومة على نشر قوائم بأسماء القتلى والجرحى في المعارك ، لكن حتى هذه القوائم كانت غير حقيقية ، وقد عبر ضابط احتياط كبير في الجيش الاسرائيلي عن ذلك عندما قال لمجلة « هاعولام هازيه » الاسرائيلية في شهر تموز عام ١٩٨٢ ما يلي :

« .. لا تستمعوا ابداً لما يقوله الناطق العسكري « الاسرائيلي » فكل بياناته كاذبة وليست دقيقة ، ان الناطق العسكري هذا يجلس في مكتبه خلف الطاولة ولا يعلم حقيقة ما يجري في الساحة ، ولا يجرؤ على الحديث بصدق بسبب الاوامر والضغوط الصادرة له والتي يخضع لها من جهات عليا . وقال ايضاً : لقد اختلقوا (القادة الاسرائيليون) الاكاذيب والتضليل من أجل غزو لبنان ، وهاهم اليوم يختلقون الاكاذيب ويخفون الارقام الحقيقية لعدد الذين قتلوا في الحرب ما بين ضباط وجنود » .

واضاف ضابط الاحتياط الكبير الذي لم تذكر المجلة اسمه قائلاً : « سقط في الاسبوع الاول للحرب ٣٥٠ قتيلاً ما بين ضابط وجندي ، وان ما يزيد عن نصف القتلى كانوا من الضباط ما بين ملازم وجنرال اما الآن وقد مضى حوالي شهر على هذه الحرب فان عدد القتلى قد ارتفع الى اربعة اضعاف لان الجيش الاسرائيلي فقد اعداداً أكبر من القتلى والجرحى بعد الاسبوع الاول من بداية هذه الحرب اللعينة » . وواصل الضابط الاسرائيلي حديثه الى المجلة قائلاً : ... عليكم دائماً ان تضعوا صفراً امام

كل رقم يذيعه الناطق العسكري الاسرائيلي عن خسائرنا بالارواح ، وهذه هي الحقيقة كاملة التي يجب ان يعلمها الجميع » .

ان حالة التوتر الشامل التي حاولت حرب اسرائيل النفسية احداثها في الجبهة العربية الصامدة في وجه العدوان الاسرائيلي ، أعطت مردوداً عكسياً عن طريق رفض الاستسلام والاصرار على الدفاع عن الحق والكرامة ، مهما كانت التضحيات ومهما كان الثمن ، وقد علقت وكالة تاس السوفياتية على الروح المعنوية العالية للقوات السورية بعد مرور شهر على الغزو الاسرائيلي للبنان قائلة : « ان القوات السورية ابدت شجاعة نادرة واستخدمت بفعالية اسلحتها ضد الغزاة ، واستشهدت الوكالة على ذلك بأن احدى كتائب الدبابات السورية استطاعت تدمير خمسين دبابة اسرائيلية من صنع امريكي خلال احدى المعارك ، اضافة الى تدمير عدد كبير من المعدات العسكرية الاسرائيلية الاخرى . كما اعترف احد كبار الصهيونيين ممن اشتركوا في عمليات الغزو الاسرائيلي للبنان في تقرير نشرته مجلة « هاعولام هازيه » الاسرائيلية الصادرة في تموز ٩٨٢ بان : « القوات السورية المشتركة قاتلت ببسالة وشجاعة لم ير مثلهما من قبل » .

لقد كانت الصدمة العنيفة التي واجهت القائمين على الحرب النفسية الاسرائيلية تتمثل في ان حالات العصيان والتمرد والهروب من أرض المعركة لم تحدث عند الجانب العربي ، وانما حدثت عند الجانب الاسرائيلي ، حيث تفجرت المظاهرات من جانب الضباط والجنود والاحتياطيين الاسرائيليين ضد الحرب ، ولم تستطع وسائل الاعلام الاسرائيلية وادعاءات بيغن وشارون اقناع الضباط والجنود في اسرائيل بأنهم يحاربون في لبنان من

اجل « مجد اسرائيل وسلامة مستعمرات الجليل » ، الامر الذي ادى الى ظهور حالات الاستقالة من الخدمة العسكرية ورفض الخدمة في لبنان عند الكثير من الضباط والجنود والاحتياطيين .

وامتدت حالات التمرد ورفض الحرب لتشمل الجيش النظامي الاسرائيلي ، حيث رفض العقيد « ايلي جيفع » قائد احد الالوية المدرعة التي كانت تحاصر بيروت العودة الى الخدمة في لوائه بعد انتهاء اجازة قصيرة له ، كونه فقد الايمان بجدوى مشروعية حرب اسرائيل في لبنان ، وعلق جيفع على عدم عودته الى الخدمة قائلاً : « انه لا يستطيع النظر الى عيون آباء القتلى من الجنود الاسرائيليين واخبارهم ، ان أبناءهم ماتوا في عمليات لا جدوى منها ويمكن تجنبها » .

ولقد بلغ عدد من تهربوا في الجيش الاسرائيلي من المشاركة في حرب اسرائيل العدوانية في لبنان وفقاً لما جاء في مقال « لطفي الخولي » وعنوانه « الانتصار الفلسطيني الاستراتيجي » الذي نشرته جريدة « الرأي » الاردنية بتاريخ ٢٣ ـــ ١١ ـــ ١٩٨٢ ، ما يلي : « وحسب ما قرره الجنرال « ايتان » في مجلة الجيش الاسرائيلي فان عدد المتهربين من المشاركة في الحرب فاق اثني عشر الف جندي احتياطي ، واعترف شارون ايضاً بأنه بات من الصعب لاول مرة في تاريخ استكمال اعداد لواء بكل طاقته بسبب حركة العصيان الجاري في صفوف الجيش ، واتهم العصاة « بانعدام المسؤولية » ان لم يكن الجبن في بعض الحالات » .

ووصل الرفض والاحتجاج على الحرب في صفوف الجيش الاسرائيلي لدرجة ان الرافضين شكلوا جماعات احتجاج خاصة بهم مثل : (الجنود

ضد الصمت) و (للامر حدود) ، وقد صرخت هذه الجماعات لدى تظاهرها خارج وزارة الدفاع الاسرائيلية بشعارات مثل : « طهروا الجيش من مجرمي الحرب وبيغن ارهابي » .

وتقول الصحافية الامريكية « مايكل جانسن » في كتابها « معركة بيروت .. لماذا غزت اسرائيل لبنان ؟ واصفة ظاهرة الرفض والاحتجاج عند الجنود الاسرائيليين بأنه : « في اجتماعين منفصلين احدهما بحضور شارون طالب مئة من كبار الضباط الاسرائيليين بالاستقالة ، وقام الف ضابط عسكري بتوقيع بيان علني قالوا فيه : « انهم لا يريدون ان يخدموا في لبنان وكانت هذه التصرفات قريبة من التمرد » .

واذا كانت اسرائيل قد هدفت من جملة ما هدفت اليه من غزوها للبنان « تصفية المقاومة الفلسطينية » والقضاء على منظمة التحرير الفلسطينية فان الواقع اثبت عدم استطاعة اسرائيل تحقيق هذا الهدف . صحيح أن منظمة التحرير ، فقدت الكثير من مقاتليها الشجعان ، اضافة الى فقدانها العديد من المواقع الاستراتيجية في الاراضي اللبنانية ، خاصة مواقع الجنوب ، الا ان منظمة التحرير لا تزال موجودة ولا يزال مقاتلوها يتحلون بارادة قتالية عالية رغم خروجهم من بيروت وتوزعهم في الاقطار العربية .

ومن هذا المنطلق ، فانه يمكن القول ان حرب اسرائيل النفسية ، ومحاولات وسائل الاعلام الصهيونية تصوير منظمة التحرير بانها عبارة عن مجموعة من الارهابيين قد فشلت ولم تجد نفعاً ، وقد علق « وليم بغاف » في صحيفة « هيرالد تربيون » بتاريخ ١٨ ــ ٩ ــ ١٩٨٢ على فشل

خطط اسرائيل الرامية الى اضعاف هيبة منظمة التحرير ونفوذها من خلال تشويه سمعتها في الخارج ، مؤكداً بعبارات سلبية على استمرار هذه الهيبة والنفوذ ، رغم النكسة العسكرية التي أصيبت بها المنظمة حين قال : « لم يعد هناك تهديد عسكري من منظمة التحرير الفلسطينية لاسرائيل . لكن هناك تهديداً سياسياً على نطاق لم يسبق له مثيل ، واكد « بفاف » ايضاً أنه نتيجة دخول بيروت الغربية اعترف البابا والرئيس ريغان ورؤساء اليونان وايطاليا وفرنسا وزعماء غربيون اخرون .. بانه يتوجب اقامة كيان سياسي فلسطيني .. ومن المحتم ان يكون ذلك على حساب اسرائيل » .

بوجه عام فان اساليب اسرائيل في الحرب النفسية ، ومحاولاتها خداع الرأي العام العالمي وتضليله قد انعكست سلباً على اسرائيل وسمعتها الدولية ، وانكشفت اسرائيل على حقيقتها كدولة عنصرية توسعية .

ورغم الجهود التي بذلتها وسائل الاعلام الصهيونية والضجة الاعلامية التي اثارتها حول قرار حكومة بيغن تشكيل لجنة « كاهان » للتحقيق في مذبحة « صبرا وشاتيلا » وما رافقها من مقولات « المناعة الادبية » و « الديمقراطية الخاصة في اسرائيل » الى اخر ذلك من المقولات ، لم تقنع جهود اسرائيل الاعلامية ومقولات الدعاية الصهيونية الرأي العام العالمي بتبرئة اسرائيل من مذبحة/صبرا وشاتيلا/ ولا سيما ان الرأي العام العالمي نفسه كان غير مقتنع بأرقام الخسائر في الارواح والممتلكات بين صفوف المواطنين المدنيين اللبنانيين والفلسطينيين في جنوبي لبنان الناجمة عن حرب اسرائيل العدوانية ، والتي كانت اسرائيل تقلل منها بقصد تشويش الرأي العام وتضليله عن حقيقة اعمالها العدوانية ، وكما ورد

في مجلة «شؤون فلسطينية» العدد ١٢٩ ـــ ١٣٠ ـــ ١٣١ لعام ٩٨٢ الصادرة عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ، فان « شمعون بيرس » قد تحدث بعد عودته من جولة في اوروبا خلال شهر تموز عام ٩٨٢ عن موقف الرأي العام فيها والحملة الاعلامية ضد اسرائيل بسبب العدد المرتفع من الضحايا المدنيين ، والدمار الكبير الذي خلفته هذه الحرب قائلاً : « ان ادعاءاتهم تدور حول الدمار ، وصور المنازل المهدمة ، واللاجئين والاطفال التائهين والضائعين وصور المستشفيات .. ان مكانة اسرائيل الدولية ، وكذلك مكانتها لدى الرأي العام في الولايات المتحدة قد اصيبتا بالضرر » .

اما الصحافية الامريكية « مايكل جانسن » فقد قالت : في كتابها « معركة بيروت .. لماذا غزت اسرائيل لبنان ؟ «ما يلي» اصبحت مذابح صبرا وشاتيلا آخر قشة بالنسبة للرأي العام العالمي والذي اضحى ناقداً بصورة متزايدة لتصرفات اسرائيل خلال الشهور الثلاثة والنصف السابقة (منتصف ايلول ٩٨٢ وما بعده) . فلم تتقدم اية جهة او منظمة ذات سمعة للدفاع عن اسرائيل » .

وقد حددت « مايكل جانسن » خسارة اسرائيل الدائمة في الحرب حين قالت : « الخسارة خارج اسرائيل تتمثل في خسارة المصداقية ، فلم تعد كلمة اسرائيل تلقى أذناً تصدقها ، وذلك لان حكومتها قطعت وعوداً لم تف بها . وأضافت قائلة : « .. وفي اسرائيل فان القاعدة الاخلاقية للدولة العلاقة بين الحاكمين والمحكومين قد نسفت ، فقد تم الامساك بالحاكمين وهم يكذبون على المحكومين ، كما ان

حكومة بيغن خدعت الشعب الاسرائيلي بقولها : ان الهدف من الغزو هو ضمان السلام للجليل ومرة اخرى بعد رحيل مقاتلي منظمة التحرير الفلسطينية عندما قالت انها لا تنوي ان تدخل بيروت الغربية رغم انها كانت تعد لذلك » .

من خلال ما سبق وفي ضوء النتائج والاثار المترتبة على حرب اسرائيل النفسية على الصعيدين العربي والاسرائيلي ، وعلى صعيد الرأي العام العالمي ، واذا ما اخذنا بعين الاعتبار حجم الامكانات الفنية والعلمية الضخمة التي اعتمدت عليها حرب اسرائيل النفسية ، والوسائل والاساليب المتعددة والمتنوعة التي استخدمتها وقياساً بالظروف العسكرية المواتية لهذه الحرب من جانب العدو الاسرائيلي ، اذا ما اخذنا هذه الاعتبارات جميعها في عملية تقييم الحرب النفسية الاسرائيلية من حيث نجاحها او فشلها فانه يمكننا القول : « إن حرب اسرائيل النفسية لم تكن ناجحة ، ولم تعط النتائج والمردود الذي توقعه المخططون والقائمون على ادارة هذه الحرب . وهناك أسباب ثلاثة لذلك :

الأول : صمود المقاتل العربي السوري والفلسطيني واللبناني واصراره على دفع العدوان بأي شكل ، ومهما كانت التضحيات ، الامر الذي ادى الى ايقاع خسائر فادحة في صفوف العدو الاسرائيلي ، وحول الحرب من حرب خاطفة قصيرة ـــ كما ارادتها اسرائيل ـــ الى حرب طويلة استنزفت الكثير من طاقاتها البشرية والاقتصادية والسياسية .

والثاني :وعي المقاتل والمواطن العربيين وادراكهما لطبيعة اسرائيل وحربها العدوانية ونياتها التوسعية ، وخبرة المقاتل العربي السابقة بأساليب اسرائيل

في الحرب النفسية الهادفة الى احداث الفرقة والانقسام بين صفوف العرب الصامدين ، اضافة الى ايمان المقاتل العربي بعدالة قضيته والتضحية في سبيلها ، الامر الذي دعم الصمود وعزز ارادة القتال .
والثالث :اساليب الكذب والخداع والتضليل والبعد عن الحقائق التي اعتمدت عليها حرب اسرائيل النفسية ، والتي كان لها مردود سلبي على الكيان الاسرائيلي وعلى سمعته الدولية اكثر من المردود السلبي على القوات السورية ، وعلى مقاتلي منظمة التحرير الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية ، الامر الذي أكدَ ويؤكد فشل المنهج الدعائي الذي تعتمد عليه اسرائيل .

٣ ــ الاعلام العربي الرجعي :

من اخطر اسلحة الحرب النفسية التي رافقت الغزو الاسرائيلي للبنان ، مساهمة الاعلام العربي الرجعي في هذه الحرب ، حيث دأبت الابواق الاذاعية في كل من مصر والاردن والعراق ، والإذاعات المتصهينة في لبنان ، كإذاعة الكتائب ، « صوت لبنان » ، واذاعة الخائن سعد حداد ، « صوت لبنان الحر » على نشر السموم في فترة الحرب ، وذلك من خلال التهجم والاساءة الى القيادات الوطنية العربية المخلصة في كل من سورية وليبيا وغيرهما من دول الصمود والتصدي ، ومن خلال تشويه أنباء سير المعارك ، وطمس بطولات وتضحيات القوات العربية السورية ، ودورها في الدفاع عن لبنان والمقاومة الفلسطينية .

وقد جاءت مساهمة الانظمة العربية الرجعية ووسائل اعلامها ،

وفقاً لما خطط ورسم لها ولاذاعاتها كل حسب الدور الذي رسمته الدوائر الامبريالية والصهيونية العالمية ، فحاكم مصر ــ حسني مبارك ــ واجهزة اعلامه اعتبرا الغزو الاسرائيلي للبنان فرصة للدعوة « لكامب ديفيد » من جديد ، ولتسويق مشاريع الحلول الاستسلامية والتصفوية ، والهادفة الى اخضاع المنطقة للهيمنة الصهيونية والامبريالية الامريكية .

ومن هذا المنطلق راح حاكم مصر ، يشارك في الحرب النفسية الاسرائيلية ، من خلال تصريحاته الحاقدة على سورية ، ففي مقابلة تلفزيونية ، أذيعت في الولايات المتحدة الاميركية بتاريخ ٢٠ ــ ٦ ــ ١٩٨٢ ادعى بأن: « كلاً من سورية واسرائيل تخطط لاعادة ٣٠٠ الف فلسطيني للاردن » ، وفي تصريح آخر امام الصحفيين المصريين قال : « انه يرحب بأي خطوة لبنانية تضمن قيام المقاومة الفلسطينية بتسليم اسلحتها للجيش اللبناني ، واشتراكها بدور في مسيرة كامب ديفيد ، وفي ٢٨ ــ ٦ ــ ١٩٨٢ ادعى مبارك بأن سورية : « ستحصل على البقاع عوضاً عن الجولان » وقال ايضاً : « ان سورية تلقت حوالي ١٤ مليار دولار منذ أن قطعت علاقاتها مع مصر بحجة أنها دولة المواجهة التي لا يمكن ان تقف مكتوفة الايدي امام الغزو الاسرائيلي .

ونلاحظ ان ما ورد على لسان حسني مبارك يشكل جزءاً لا يتجزأ من حرب التصريحات التي استخدمتها اسرائيل والامبريالية الامريكية اثناء الغزو الاسرائيلي للبنان ، وهي تشويه واضح ، وتزوير لحقائق الواقع الموضوعي لموقف سورية في لبنان ، اضافة الى كونها جزءاً من حملة التيئيس التي شنتها ومازالت تشنها اسرائيل ضد الفلسطينيين والعرب الصامدين في

وجه مخططات الخيانة والاستسلام ، فبدل ان يدين حاكم مصر حسني مبارك العدوان الاسرائيلي على لبنان ويقوم بالغاء معاهدة السلام المصرية ــ الاسرائيلية ويوقف عمليات تطبيع العلاقات مع اسرائيل ، عمد الى مهاجمة سورية والاساءة الى موقفها ، اوعز الى وسائل اعلامه بث سمومها والترويج للاستسلام .

وما ينطبق على الاعلام المصري اثناء الغزو الاسرائيلي للبنان ، ينطبق على الاعلام العراقي والاردني ، فمن كان يستمع الى الاذاعة الاردنية أيام الحرب كان يسهل عليه رؤية التضليل الذي كانت تمارسه هذه الاذاعة ، ففي الايام الاولى للغزو كانت اذاعة عمان تركز على أخبار وأنباء المعارك التي تخوضها قوات الثورة الفلسطينية وقوات الحركة الوطنية اللبنانية ، متجاهلة في الوقت نفسه أي ذكر لدور القوات العربية السورية التي كانت تتصدى للغزو الاسرائيلي دفاعاً عن لبنان والثورة الفلسطينية ، ووفقاً لما نشرته جريدة البعث السورية الصادرة بتاريخ ١٠ ــ ٦ ــ ١٩٨٢ فان « قادة اسرائيل وجهوا الشكر يوم ٩ ــ ٦ ــ ١٩٨٢ الى النظام الاردني وموقفه الرسمي ، ولا سيما من خلال ما كانت تبثه اذاعة عمان من حرب نفسية ضد سورية » .

اما اذاعة بغداد ووسائل اعلام النظام العراقي ، فقد دأبت هي الاخرى على طمس بطولات القوات السورية ، والتقليل من التضحيات التي قدمتها أثناء معارك التصدي في لبنان ، في الوقت الذي كانت تذكر فيه وباسهاب سلبيات المقاومة الفلسطينية وأسلوبها في الصمود والمواجهة ،

وتبرز وتضخم حجم أعمال العدو وانتصاراته في لبنان ، وذهبت الى أكثر من ذلك عندما أخذت تروج الشائعات وتذيع الاخبار الملفقة عن موقف سورية لتغطي مواقف النظام العراقي التآمرية والانهزامية وسلوكه الخياني ، وذلك في افتعاله الحرب مع ايران ، وتبديد قدرات العراق وطاقاته التي كان من المفروض والواجب ان تشكل البعد الاستراتيجي لسورية .

وكذلك اخذت وسائل الاعلام العراقية على عاتقها ايام الحرب مهاجمة دول جبهة الصمود والتصدي ، ودأبت على توجيه الاتهامات لسورية ، وتلفيق الاخبار الكاذبة عن مواقفها من المتطوعين القادمين الى لبنان عبر سورية ، مغطية بذلك السلوك التآمري للنظام العراقي الذي جند جميع المواطنين العراقيين بمن فيهم الفلسطينيون في العراق لاشراكهم في حرب « صدام » الظالمة ضد الثورة الايرانية .

ان هذه الأدعاءات وأمثالها من الشائعات التي كان النظام العراقي واجهزته الاعلامية مشغولاً بها ، لم تكن سوى جزء من حملات الكذب والتضليل بهدف الاساءة الى سورية وموقفها ، والسعي لاحداث الفرقة والانقسام بين صفوف المدافعين عن لبنان وكرامة الإمة العربية من سوريين وفلسطينيين ولبنانيين ، تماماً كما هدفت حرب اسرائيل النفسية ، لذلك لم تلق هذه الحملات أي اهتمام بين الجماهير العربية ولم تحدث اي أثر .

واذا كانت اجهزة الاعلام في كل من مصر والاردن والعراق قد قامت اثناء حرب لبنان بهذا الدور التخريبي ، وسعت الى احداث الفرقة والانقسام بين صفوف المقاتلين العرب السوريين من جهة ، وبين مقاتلي منظمة التحرير الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية من جهة أخرى ،

اضافة الى ما قامت به من حملات التشكيك والشماتة بجبهة الصمود والتصدي العربية عامة وسورية خاصة ، فان الاذاعات المتصهينة كاذاعة الكتائب واذاعة الخائن سعد حداد قد قامت بدور كبير ونشط في هذا المجال ، وقدمت الكثير من المساهمات لخدمة حرب اسرائيل النفسية في لبنان ، فمنذ اللحظات الاولى لاجتياح اسرائيل الاراضي اللبنانية اخذت اذاعة الكتائب واذاعة الخائن سعد حداد تصوران غزو اسرائيل بأنه انقاذ للبنان وتحرير لارضه مما تسميه « الغرباء ».(الفلسطينيين) وذهبت الى حد ان انتصار اسرائيل المحقق هو بمثابة انتصار للشعب اللبناني وحكومته .

لقد اخذت اذاعة الكتائب على عاتقها نقل الاخبار عن احتلال الجيش الاسرائيلي لهذا الموقع او تلك المدينة قبل ان يتم ذلك بساعات ، بل واحياناً بأيام ، وتصور للمستمع بأن هذا الاحتلال قد تم دون أية مقاومة ، وفي الوقت نفسه كانت تردد باستمرار اخبار ما تسميه انسحاب الجيش السوري او قوات منظمة التحرير الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية من هذه المنطقة او تلك ، ، والسرعة التي حصل فيها هذا الانسحاب وضعف المقاومة التي واجهتها القوات الاسرائيلية ، فقد اذاعت عن سقوط « الدامور » ومحاصرة البلدة وتمشيطها من قبل القوات الاسرائيلية قبل ان يكون ذلك قد تم بالفعل ، وكان المستمع يفاجأ بأن اذاعة العدو في اليوم التالي تتحدث ببيانات رسمية عن المعارك العنيفة حول الدامور ، وغارات الطيران الاسرائيلية الكثيفة عليها .

ولم تكتف اذاعة الكتائب بذلك ، بل عمدت الى العمل كمرشد

للقوات الاسرائيلية اثناء الغزو ، فقد كان هم قوات الغزو ان تكتشف مواقع المدفعية الفلسطينية ومخازن التموين والذخيرة لتقوم بقصفها وضربها . وكانت اذاعة الكتائب تواصل ترديد الانباء التي تقول ان الفدائيين ركزوا مدافع جديدة اليوم في منطقة ما وكانت المدفعية الاسرائيلية تقوم بقصف هذه المواقع بالفعل بعد وقت قصير من اذاعة تلك الانباء .

وفي الوقت الذي كانت تقوم فيه اسرائيل بقصف المباني في أحياء بيروت الغربية تحت ستار قصف مقرات القيادات الفلسطينية ، كانت اذاعة الكتائب تردد أنباء قيام الفدائيين باقامة مقرات جديدة لهم في بناية كذا ، في شارع الحمراء ، والهدف من ذلك هو اشاعة الخوف والذعر عند سكان هذه البناية او تلك . وبالفعل كان عدد من السكان يضطرون الى ترك منازلهم خوفاً من غارات اسرائيل الجوية . وقد تولد لدى كل مواطن نتيجة ذلك احساس بأن اذاعة الكتائب انما تدل عليه شخصياً ، ليكون هدفاً للقصف او للغارات الاسرائيلية ، واوجد ذلك في نفوس الناس مرارة لا توصف .

وكانت اذاعة الكتائب تبرر عمليات القصف الاسرائيلي لبيروت الغربية دائماً للمستمع بمدى بشاعة القصف المضاد من قبل السوريين والفلسطينيين ، وتتحدث عن بيروت الغربية وكأنها خالية تماماً من السكان المدنيين وذلك من خلال الاسلوب الذي كانت تعتمده في صياغة النبأ ، فمثلاً كانت تقول في اخبارها ما يلي : « قامت القوات الاسرائيلية اليوم بقصف مدفعي » على مواقع الفلسطينيين العسكرية في بيروت الغربية ،

وردت المدفعية الفلسطينية والسورية بقصف « عشوائي » اصاب المدنيين واوقع في صفوفهم الكثير من القتلى والجرحى » .

وواضح من أسلوب صياغة الخبر ـ بهذا الشكل ـ ان اذاعة الكتائب تحمل مسؤولية ما يقع في صفوف المدنيين اللبنانيين على عاتق القوات السورية والفلسطينية ، وتعفي القوات الاسرائيلية من أية مسؤولية ، طالما ان قصفها يقتصر على مواقع تمركز الفلسطينيين والسوريين . ومثل هذا الاسلوب في اذاعة الاخبار هدفه تأليب المواطن المدني اللبناني ضد المقاتل الفلسطيني والسوري ، ودعوة غير مباشرة لتخلي المواطنين في بيروت الغربية عن المقاتلين الصامدين المدافعين عن المدينة المحاصرة .

وكما عمدت اذاعة اسرائيل الى اجراء المقابلات الاذاعية مع المواطنين اللبنانيين والفلسطينيين البسطاء في جنوبي لبنان ، فان اذاعة الكتائب استخدمت الاسلوب نفسه ، حيث نظمت برنامجاً اذاعياً أخذ يلتقي مع المواطنين المهجرين الذين اضطروا الى ترك منازلهم في بيروت الغربية واللجوء الى بيروت الشرقية ، وكانت امثلة هذه البرامج على النحو التالي : « لماذا تركتم بيوتكم ؟ وهل تخافون من العودة ؟ وهل يزعجكم المسلحون الغرباء ؟ .. الى اخر ذلك .

ان هذه الاسئلة «ايحائية » تستغل الوضع النفسي للمهاجر وظروفه الصعبة ، كي تصل الى اجابات معينة تخدم الهدف المطلوب من وراء هذه المقابلات . لكن وعي المواطنين اللبنانيين قطع الطريق امام اذاعة الكتائب واهدافها التخريبية ، وكثيراً ما عبرت اقوالهم عن كبرياء ، فقد اكد الكثير منهم انه ترك بيروت الغربية من اجل الاطفال ، ولولا ذلك لفضلوا البقاء في

منازلهم . امام هذه الاجابات عمدت اذاعة الكتائب الى ايقاف هذا البرنامج .

وكانت اذاعة الكتائب ايضاً ، تدفع اسرائيل باستمرار لحسم الوضع في بيروت الغربية عسكرياً ، دون الالتفات الى الحلول والمساعي السلمية . ففي الوقت الذي كانت تظهر المفاوضات السياسية الدائرة اي تقدم ، وفي فترات الهدوء النسبي في منطقة بيروت الغربية ، كانت اذاعة الكتائب تركز في اخبارها على اشتباك حصل في هذا الموقع او انفجار قنبلة او لغم في هذا الطريق او ذاك المكان او مقتل اشخاص . وجرح آخرين ، الى اخر ذلك من الاخبار التي تدل على عدم الاستقرار والهدوء وتعطي الانطباع بفشل المفاوضات ، الامر الذي يفهم منه ضرورة اعتماد الخيار العسكري بدلاً من اللجوء الى الحل السياسي .

٤ ــ الاعلام الغربي المضاد

علاوة على ما قام به الاعلام العربي الرجعي من دور في خدمة الحرب النفسية الاسرائيلية ، فان الاعلام الامبريالي الغربي الذي تسيطر عليه منظمة الصهيونية العالمية اخذ يساعد الغزو الاسرائيلي ، ويبرر اعمال اسرائيل العدوانية من خلال التباكي على أوضاع لبنان ، وتحميل الجانب العربي ، خاصة منظمة التحرير الفلسطينية مسؤولية ما آل اليه الوضع في لبنان .

وقد تولى الاعلام الامريكي مهمة الضغط على الرأي العام في البلدان

الرأسمالية اولاً ، وفي العالم ثانياً ، لاعطاء الغزو الاسرائيلي للبنان صورة الدفاع عن النفس ، ولا شك في ان الاعلام الامريكي عكس ويعكس وجهة نظر الادارة الامريكية التي ساهمت في العدوان تخطيطاً وتنفيذاً ، وأيدته سياسياً ، فقد جاء في صحيفة « البرافدا » : ان الولايات المتحدة الامريكية معنية بتغطية العدوان الاسرائيلي بكل الوسائل . وتحاول ان تظهره على شكل عمل مشروع ، وتضفي عليه صبغة جماعية امريكية اوروبية ، ويتضح ذلك من خلال الضغط على فرنسا ، ودول اوروبية اخرى لارسال قواتها ايضاً الى لبنان .

كما ان المتتبع لاجهزة الاعلام الامريكية ، لا تعوزه الشواهد الدامغة على تبني الموقف الاسرائيلي كاملاً ، والدفاع عنه لدرجة جعلت الصحافي الامريكي المعروف « الكسندر كوكبيرن » ، ينتقد المبالغة في انحياز الاعلام الامريكي الكامل الى جانب اسرائيل ، والتغطية المقصودة على جرائم القوات الاسرائيلية ضد الشعبين الفلسطيني واللبناني .

٥ ـــ الاعلام العربي الوطني ودوره في تعزيز الصمود

لم يقف الاعلام العربي الوطني مكتوف الايدي من حرب اسرائيل النفسية ، ومن اجهزة الدعاية الامبريالية والرجعية واساليبهما التخريبية ، وانما قام ومنذ اللحظات الاولى لتصدي المقاتلين العرب للقوات الاسرائيلية

الغازية بدور أساسي لتعزيز صمود المقاتلين العرب ، وشحذ هممهم وتغطية اخبار معاركهم مع العدو ، وكرس ايضاً جهده من اجل فضح اكاذيب دعاية العدو والرد عليها ، وكشف ادعاءاتها الباطلة .

فقد حرصت اجهزة الاعلام في كل من سورية وليبيا والجزائر واليمن الديموقراطية ، واجهزة اعلام منظمة التحرير الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية على الالتزام بالواقعية والموضوعية ، والبعد عن اساليب التهويل والتضخيم والخداع التي اتبعتها اجهزة الدعاية والاعلام المعادية ، الامر الذي اكسب الاعلام العربي الوطني مصداقية وثقة المواطن العربي ، ودفع بالمقاتل العربي الى تتبع ما تنقله من اخبار وتعليقات وبيانات عن سير المعارك ، وخسائر العدو الحقيقية فيها .

وفي سبيل ذلك كانت الاذاعات الفلسطينية ، والوطنية اللبنانية ، تدعو المقاتلين الى الصمود والتشبث بالواقع ، وعدم الالتفات لما تبثه اذاعة اسرائيل واذاعة الكتائب وغيرها من الاذاعات التي تروج لحالة اليأس والاستسلام ، وتقلل ما امكنها من فاعلية وجدوى القتال ضد الغزاة الاسرائيليين . وبذلت الاذاعات الوطنية ايضاً جهداً غير قليل في تعقب الشائعات وتكذيبها ، وتناولت انباء اذاعة الكتائب بالتفصيل وتولت الرد عليها ، والكشف عن مآربها ومغزاها .

ولقد استخدم مقاتلو منظمة التحرير الفلسطينية مكبرات الصوت رداً على ما كان يوجهه الاسرائيليون في محاور القتال وعند نقاط التماس في بيروت ، حيث كان يذاع من خلالها نداءات باللغات الثلاثة « العربية والعبرية والانكليزية » ، وكانت هذه النداءات تحذر الاسرائيليين من خوض

معركة بيروت ، ومن الخسائر التي سيتعرضون لها ، وتذكرهم ببيوتهم وزوجاتهم ، وتدعوهم للعودة الى ديارهم .

ويبدو ان هذه الوسيلة وغيرها من الوسائل التي اتبعتها الاذاعات الوطنية ، قد ازعجت الغدو الاسرائيلي ، وابطلت جانباً كبيراً من حربه النفسية ، مما دفع بقوات الغزو الى تركيز جهودها لضرب مراكز الاعلام الفلسطيني ، ومراكز اعلام القوى الوطنية ، فحاولت قصف اذاعة المرابطين اكثر من مرة ، ووجهت اليها في بعض الاحيان اصابات مباشرة دون ان تؤثر على معنويات العاملين فيها ، حيث واصل هؤلاء العمل رغم كل الظروف الصعبة والمعقدة . ولا ينسى اهل بيروت انهم سمعوا بآذانهم في احد ايام القتال كيف ان صوت القذيفة كان يترافق مع صوت المذيع في اذاعة المرابطين .

اما اذاعة الثورة الفلسطينية ، فقد تعرضت هي الاخرى لعمليات القصف من قبل قوات الغزو الاسرائيلي ، حيث قصفت ثلاث مرات متتالية ، ورغم ذلك فقد استمرت بالعمل دون انقطاع ، وقامت بتغطية الاحداث والاخبار عالمياً بسرعة وعلى اكمل وجه ، حيث كان هناك خط هاتفي مباشر — رغم كل ظروف الضغط العسكري — بين وكالة « وفا الفلسطينية واذاعة « مونتي كارلو » ، فكان العالم يسمع بيانات الثورة الفلسطينية عن القتال ونتائجه قبل ان تصل هذه البيانات الى الاذاعات المحلية داخل بيروت .

اما وسائل الاعلام السورية ، فقد عملت على تعزيز ارادة الصمود عند المقاتلين العرب ، من خلال تتبع اعمالهم البطولية ، ونقل اخبار

المعارك التي يخوضونها والخسائر التي يوقعونها بقوات العدو ، فكانت تقوم باذاعة قوائم بأسماء الضباط والجنود الاسرائيليين الذين قتلوا في المعارك ، ولم يعترف بمقتلهم الناطق العسكري الاسرائيلي ، اضافة الى قيام الصحف السورية بنشر اسماء هؤلاء القتلى مع صورهم ، الامر الذي جعل المقاتل يسمع ويرى نتائج ادائه القتالي الجيد ، ومدى تأثيره الفعال على العدو ، ويكتشف في الوقت نفسه كذب اذاعة العدو وبياناتها حول الخسائر في الجانب الاسرائيلي .

وجاءت بيانات الناطق العسكري السوري ، لتدعم ثقة المقاتل بنفسه وبوسائل اعلامه حيث اتسمت هذه البيانات بالواقعية من خلال ذكرها للخسائر في الارواح والمعدات من كلا الجانبين ، بعكس ما كان يبثه الناطق العسكري الاسرائيلي من بيانات ، تقتصر على ذكر الخسائر التي تقع في الجانب العربي ، دون ذكر الخسائر الاسرائيلية الحقيقية الا في الحالات التي تضطر الى الاعتراف بها « كحالة وقوع بعض الطيارين والجنود الاسرائيليين اسرى لدى الجانب العربي » .

وقد قامت الصحافة السورية بمشاركة المقاتلين العرب الصامدين في معاركهم من خلال التحقيقات واللقاءات التي كان الصحفيون العرب يجرونها مع المقاتلين والقادة في مواقعهم ، كما خصصت الاذاعة برنامجاً خاصاً لاجراء المقابلات الاذاعية مع المقاتلين ، وأسهم التلفزيون العربي السوري ببرنامج يومي ايضاً كان يتم من خلاله نقل صور حية لما قام به الجنود والضباط العرب السوريون من أعمال بطولية ، وكان لمثل هذه البرامج الاذاعية والتلفزيونية اثر كبير في نفوس المواطنين المدنيين والمقاتلين

الصامدين في أرض لبنان ، ونظراً لما تثيره من روح الحماسة والتضحية ، وما تولده في النفوس من مظاهر الوحدة والتلاحم بين الجبهتين المدنية والعسكرية .

اما الدور البارز والهام والاساسي في تعزيز الصمود والتصدي ، فقد جاء من خلال توجيهات الرئيس حافظ الاسد رئيس الجمهورية العربية السورية ـــ القائد العام للجيش والقوات المسلحة ، والتي اعتمدت على مصارحة المقاتلين بحقيقة الاوضاع والظروف السياسية العربية والدولية ، فكانت تشرح وتوضح للمقاتلين العرب ظروف المعركة التي خطط لها العدو الاسرائيلي ، بدعم من الامبريالية الامريكية ، ورغم ذلك كله فقد كان قرار سورية بالتصدي للغزو والدفاع عن لبنان والمقاومة الفلسطينية ، نابعاً من ارادة الشعب العربي ومعبراً عن تطلعاته .

كما تضمنت توجيهات الرئيس حافظ الاسد الطلب الى المقاتلين استخدام السلاح بشكل جيد ، والمحافظة عليه ، والدعوة الى الثبات والتشبث بالارض ، والتحلي بالصبر والنفس الطويل والتصميم على القتال حتى النصر .

وكان لهذه التوجيهات وللرسائل المتبادلة بين الرئيس حافظ الاسد وقائد اللواء الخامس والثمانين في بيروت اثر كبير ودور ايجابي فعال على لروح المعنوية للشعب والجيش ، تجلى في الصمود والتضحية والفداء من أجل الدفاع عن لبنان وحماية الثورة الفلسطينية ، انعكس في وعي المقاتلين العرب السوريين من خلال عدم تأثرهم بأي شكل من اشكال الحرب النفسية المعادية ، كما ظهر في وعي المواطنين السوريين وادراكهم لابعاد

محاولات اسرائيل والامبريالية في الاساءة الى الجبهة الداخلية ، حيث برز وبشكل واضح الالتفاف الجماهيري الكبير حول القيادة السياسية السورية ، وابدى المواطنون السوريون حماسة منقطعة النظير لمواجهة العدوان الاسرائيلي ، والعمل على صده مهما كانت التضحيات وكان تزاحم المواطنين العرب السوريين أمام شعب التجنيد العامة ، تلبية لدعوة الإحتياط لاداء الواجب الوطني والقومي أحد هذه المظاهر .

ولا شك في أن نشاط الاعلام العربي الوطني والتقدمي ونشاط الدول الاشتراكية وحركات التحرر في العالم ، اضافة الى الدول الصديقة في العالم الثالث ، ادى الى فضح دعايات ووسائل الاعلام الضهيونية والامبريالية والرجعية ، وعمل على تضييق الخناق على حملات الكذب والافتراء التي كانت اجهزة الدعاية والاعلام المعادية تمارسها ، مما كان له اكبر الاثر في صمود المقاتلين في الجبهة والمدافعين عن بيروت والحفاظ على معنوياتهم العالية طوال ايام الحرب .

الفصل الرّابع عشر

المبادرات السياسية في أعقاب الحرب

١ ــ الموقف الأمريكي من الغزو ومشروع ريغان
٢ ــ مشروع فاس
٣ ــ الموقف السوفييتي ومبادرة بريجينف
٤ ــ موقف الأمم المتحدة.

١ ـ الموقف الأمريكي من الغزو ومشروع ريغان

تهدف سياسة الولايات المتحدة تجاه الوطن العربي الى تأمين مصالحها . وهذا يعني باختصار وبصورة رئيسية تأمين تدفق النفط العربي الى الغرب باسعار متواضعة واستثمار الاحتياطيات العربية من العملات الاجنبية ـــ بصورة خاصة ـــ لدى المصارف الامريكية وبالدولار الامريكي ، مما يؤدي إلى دعم ميزان المدفوعات الامريكي وبالتالي الدولار . فدعم القوة الاقتصادية للولايات المتحدة ـــ وهي كبيرة ـــ يساهم في دعم قوتها السياسية وبالتالي يزيد من امكانياتها في تحقيق اهدافها الاستراتيجية في مختلف انحاء العالم . كما ان من اهداف هذه السياسة تأمين انفتاح الاسواق العربية على استثماراتها وعلى تدفق بضائعها وخدماتها . وينتج عن الهدف الاساسي هذا (وايضاً بسبب اعتبارات اخرى) هدف آخر وهو الحد من النفوذ السوفياتي والنفوذ الراديكالي في المنطقة نتيجة الاعتقاد بأن زيادة هذا النفوذ ستؤثر سلبياً على مصالح الولايات المتحدة .

ولعل من اهم نقاط الجدل في السياسة الامريكية منذ عام ١٩٦٧ هي : هل الوسيلة الناجعة لتأمين المصالح الامريكية والحد من النفوذ السوفياتي والراديكالي في المنطقة هي دعم اسرائيل ام كبح جماحها التوسعي وتحقيق تسوية سلمية عادلة للصراع العربي ـــ الاسرائيلي ؟ وكان الجدل دائماً ينتهي عملياً الى اختيار استمرار الدعم لاسرائيل وذلك لاسباب عديدة منها ما هو استراتيجي ، وما هو ناجم عن الضغط الصهيوني ، او نتيجة للضعف العربي وبالتالي انعدام الضغط العربي . ولعل هذا السبب الاخير هو الذي يفسر الحقيقة التالية : فرغم الدعم الامريكي المتواصل لاسرائيل منذ عام ١٩٦٧ فإن مصالح الولايات المتحدة في الوطن العربي (باستثناء فترة قصيرة جداً بعيد حرب ١٩٧٣) لم تتأثر سلبياً بل اتصفت بالنمو والازدهار . ونتبين ادناه العوامل التي تحدد خلال فترة ما السياسة التي تنفذها الولايات المتحدة لتأمين مصالحها .

كانت السياسة الامريكية مؤيدة للغزو الاسرائيلي للبنان وجاء ذلك محصلة بشكل اساسي للعوامل التالية :-

ـــ ايديولوجية الطبقة او الفئة الحاكمة :

هذه الايديولوجية يمكن وصفها بأنها يمينية متطرفة تعتبر من الضروري وقف تدهور قوة الولايات المتحدة عسكرياً واقتصادياً في العالم ، وان من الضروري استعمال القوة الامريكية للتصدي لمجابهة تزايد نفوذ الاتحاد السوفياتي وتزايد نفوذ ما يعتقد بأنهم عملاؤه . ويمكن وصف هذه الايديولوجية بأنها المكارثية العالمية لأنها تنظر الى مختلف المشاكل في العالم

سواء أكانت حركات تحرر وطني في امريكا اللاتينية او حركة تقرير مصير او حرية شعب ، كالقضية الفلسطينية ، بأنها اساساً من صنع موسكو وبالتالي تتجاهل اسبابها التاريخية والسياسية والاقتصادية ومقتضيات القانون الدولي والعدالة[1] . ولقد انتقد غابريل غارسيا ماركيز الحائز على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٢ الرئيس ريغان لأنه « لا يمكنه ان يقبل بأن للصراع الحالي في امريكا اللاتينية اسبابه الداخلية وهي الاضطهاد والظلم وعدم المساواة . فبالنسبة له كل حركات الثورة المشروعة هي عمليات سوفياتية »[2] . كما ذكر سيروس فانس وزير خارجية الولايات المتحدة الاسبق « بأنه لخطأ فادح ان ينظر الى مشاكل (العالم الثالث) ضمن اطار مواجهة الغرب والشرق . اذ ان هذه وصفة تؤدي الى الفشل »[3] .

ولقد كان موقف هذه الايديولوجية تجاه الصراع العربي ـــ الاسرائيلي بأنه يجب على الولايات المتحدة دعم اسرائيل لانها حليفة للولايات المتحدة وسلاح استراتيجي يمكن استعماله لفرض القوة الامريكية ، والحد من تغلغل النفوذ السوفياتي في المنطقة وبالتالي حماية مصالح امريكا فيها . وبالمقابل يجب استعمال القوة في مجابهة « وكلائه » اي سورية ومنظمة

(١) انظر مقال نورمان بودورتزفي : New York Times (Magazine,2 May 1982) ، وتعبر هذه المقالة عن رأي اليمين الامريكي المتطرف او رأي اليمين الجديد كما يحبون تسمية انفسهم . والكاتب المذكور هو رئيس تحرير مجلة Commentary الشهرية التي تصدرها اللجنة الامريكية اليهودية . وتعتبر هذه المجلة من أهم المعبرين عن آراء تحالف اليمين المتطرف والصهيونية في الولايات المتحدة .

(٢) New York Times.24/10/1982,partE .

(٣) International Herald Tribune,16,17/4/1983

التحرير الفلسطينية . وفي الواقع ان هذه الايديولوجية هي امتداد خطر لايديولوجية كيسنجر تجاه الصراع والتي كانت سائدة في رسم السياسة الامريكية ما بين ١٩٧٠ ــ ١٩٧٦ . فكيسنجر لم يكن يجد اصبعاً للسوفيات في كل مشكلة من مشاكل العالم ، ولكنه كان بالنتيجة يتبع سياسة معادية ــ وإن لم تكن تصادمية ــ لمن يعتبرهم اصدقاء السوفيات ومؤيدة لاصدقاء الولايات المتحدة وخاصة اسرائيل . فهو قد نسف في نهاية ١٩٦٩ خطة روجرز لتحقيق سلام في المنطقة على اساس انها تخدم اصدقاء السوفيات أي مصر آنئذٍ وسورية ، كما تبنى استراتيجية تجاه النزاع هدفها افهام اصدقاء الاتحاد السوفياتي بأنهم لن يحصلوا على اي تقدم سياسي او عسكري تجاه اسرائيل ما داموا على صداقة معه ، وان صداقة امريكا هي الكفيلة بأن تحقق لهم اي تقدم[1] .

---

(١) Henry Kissinger, The White House Years (Boston, Mass, ; Little , Brown, 1979), especially pp.354 and 376 .

كانت الثغرة الاساسية في منطق كيسنجر هي التالية : اذا كانت الصداقة مع الولايات المتحدة هي مفتاح الحل . فلماذا لم تطبق خطة روجرز على الاردن ، علماً بأن هذه الاخيرة كانت وما زالت دولة صديقة للولايات المتحدة قبلت خطة روجرز ، كما كانت قد وُعدت في عهد الرئيس جونسون بأن الولايات المتحدة ستعمل على اجلاء اسرائيل عن الضفة الغربية . ولقد قبلت الاردن قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧ استناداً الى هذا الوعد . ومن الواضح ان كيسنجر الذي عرف بالمخاتلة والمراوغة استعمل منطقه الاستراتيجي لافشال خطة روجرز التي رفضتها اسرائيل بشدة وذلك للحيلولة دون ممارسة اي ضغط على اسرائيل ، يضاف الى ذلك اعتقاده ، انطلاقاً من ايمانه بسياسة الامر الواقع ، بأن نتيجة الجهود الدبلوماسية يجب ان تعكس اساساً علاقة القوة على الارض وبالتالي فإن من حق المنتصر ان يفرض شروطه . ومن يقرأ مذكراته يدرك بأن ضوابط التصرف لديه على المستوى الدولي ليست ميثاق الامم المتحدة او القانون الدولي وانما مستندة الى سجلات التاريخ .

ــ شخصيات صانعي القرار واهمها :

الرئيس ريغان ووزير خارجيته ــ اثناء بدء الغزو ــ الكسندر هيغ . فريغان يمثل الحد المتطرف لايديولوجية الفئة التي يمثلها . والاتحاد السوفياتي ليس فقط دولة توسعية كما كان نيكسون وكيسنجر وكارتر يعتقدون وبالتالي من الضروري التصدي لها ، بل هي امبراطورية شريرة يجب تقويض دعائمها . فبالنسبة لريغان يجب ان تزيد الولايات المتحدة من تسلحها بنسب كبيرة ليس فقط لتحقيق تفوق استراتيجي على الاتحاد السوفياتي ، وإنما ايضاً لخلق مشاكل داخلية له نتيجة محاولته مجاراتها في سباق التسلح . ولقد انعكست نظرة ريغان في الايديولوجية الساذجة على النزاع العربي ــ الاسرائيلي ، وقيل بأنه في اول مقابلة بين ريغان وبيير ترودو رئيس وزراء كندا تراخت افواه مساعدي الرئيس الكندي ذهولاً من الشرح البسيط والساذج الذي قدمه ريغان لقضية الصراع العربي ــ الاسرائيلي[1] . ولقد طالب في حملته الانتخابية بدعم اسرائيل لانها سلاح استراتيجي للولايات المتحدة ، كما وصف منظمة التحرير الفلسطينية بأنها « عبارة عن جماعة من الاشقياء . . . تقتل الاطفال » . ولقد ذكر مراسل صحيفة التايمز اللندنية في واشنطن بأن هذا القول ليس مجرد دعاية انتخابية وانما يعبر عن شعور عميق[2] . كما هدد ريغان ما يعتبره الارهاب العالمي حين

---

(١) التعليق على الكتابين حول العلاقات الامريكية ــ الكندية في : International Herald Tribune,10/2/1983.

(٢) Times,7/1/1981 .

استقباله الرهائن الامريكيين بعد افراج ايران عنهم قائلاً « بأن عقاب الولايات المتحدة سيكون حاسماً وسريعاً[1] .

ولم يكن الكسندر هيغ وزير خارجيته اثناء بدء الغزو للبنان اقل تطرفاً من ريغان في رغبته في تأكيد القوة الامريكية واستعمالها . فقد تم تفضيله على كيسنجر رئيسه السابق رغم ان الاخير يفوقه جداً من ناحية الامكانيات العقلية والدهاء السياسي ، لأن اليمين المتطرف لم يغفر لكيسنجر سياسة الوفاق مع الاتحاد السوفياتي . ولقد شارك هيغ مع كيسنجر اثناء ادارة نيكسون في قرار قصف كمبوديا عام ١٩٦٩ ، كما يعتبر من المسؤولين عن الانقلاب في تشيلي ضد ألندي . وفي عام ١٩٧٨ اثناء المظاهرات القوية ضد الشاه اتصل بواشنطن من مركزه في بروكسل حيث كان قائداً لقوات حلف شمال الاطلسي معبراً عن غضبه الشديد تجاه ضعف ادارة كارتر في تأييدها للشاه . كما طالب بوضع بعض حاملات الطائرات الامريكية في المحيط الهندي وسرب من الطائرات في السعودية وذلك كدليل على تأييد الولايات المتحدة للشاه في صراعه الداخلي[2] .

وفي اجتماعاته الاولى مع الصحفيين ، كوزير للخارجية ، اتهم هيغ الاتحاد السوفياتي بأنه مسؤول عن الارهاب الدولي ، ولقد أعطى ناطق

---

(١) مقال « رغبة ريغان في اتباع سياسة خارجية قوية » الذي نشر في : . Times,30/1/1981

(٢) Zbigniew Brezinski,Power and Principle (New York ;Farrar, Strauss, Ginou, 1983), P.378 .

باسم وزارة الخارجية امثلة عن دعم الارهاب ذاكراً تأييد الاتحاد السوفياتي لمنظمة التحرير الفلسطينية وتزويدها بالسلاح وتدريبه لعناصرها[1] .

ـ الوضع الخارجي

ـ وكان العامل الثالث وراء تأييد الولايات المتحدة للغزو الاسرائيلي هو الوضع الخارجي . فالرغبة في تحقيق الغزو لا تتحقق اذا كانت هناك قوة خارجية قادرة على صده او قادرة على التأثير سلبياً على مصالح الولايات المتحدة في المنطقة ، مما يجعلها تحاول كبح جماح الاسرائيليين بدلاً من تأييدهم . وفي الواقع لقد كان الوضع الخارجي مؤاتياً لأن تحاول الولايات المتحدة تحقيق سياستها في تدمير منظمة التحرير الفلسطينية واخراجها وقوات الردع السورية من لبنان واعادة التركيبة السياسية الداخلية فيه .

فالولايات المتحدة كانت تتوقع عدم تدخل الاتحاد السوفياتي اذا لم تحاول اسرائيل غزو الاراضي السورية . فمعاهدة الصداقة بين الاتحاد السوفياتي وسورية لم تنص على تعهد من الاتحاد السوفياتي بالتدخل اذا القوات السورية في لبنان .

وكان صانعو القرار الامريكي يتوقعون ان تدين اوروبا الغربية الغزو ، ولكن ألا تفعل شيئاً اكثر من ذلك . وفي الواقع امتنعت هذه الدول عن فرض عقوبات اقتصادية على اسرائيل علماً بأنها فعلت ذلك تجاه الارجنتين

---

(١) International Herald Tribune,1/2/1981 .

حين قامت الاخيرة بغزو جزر الفوكلاند . فاوروبا الغربية قادرة على المضي شوطاً محدداً في معارضتها لسياسة الولايات المتحدة ولكن هناك حداً من الصعب عليها ان تتجاوزه دون ان تتأثر مصالحها سلبياً .

ولم يكن صانعو القرار الامريكي يتوقعون مواجهة عربية شاملة لاسرائيل لأن الوضع العربي كان في منتهى التفكك والضعف . فالعرب لم يكونوا قادرين على مواجهة اسرائيل عسكرياً في غزوها للبنان نظراً لأن مصر ــ وهي اقوى دولة عربية ــ كانت قد عزلت نفسها عن الوطن العربي نتيجة توقيع معاهدة السلم المنفردة مع اسرائيل ، كما كان العراق منشغلاً في حربه مع ايران . لذلك كانت سورية هي البلد العربي الوحيد القادر على التصدي للغزو ، ولكنها بمفردها لم تكن نداً لاسرائيل . باختصار كان الميزان العسكري في المنطقة راجحاً لحد بعيد لمصلحة اسرائيل . كما لم يتوقع الساسة الامريكيون ان يستعمل العرب اسلحتهم الاقتصادية والسياسية للضغط على الولايات المتحدة لمنعها من تنفيذ سياستها في لبنان بواسطة اسرائيل وذلك للاسباب التالية :

ــ كانت الخلافات العربية ــ بحد ذاتها ــ حائلاً دون ان يتخذ العرب موقفاً موحداً .

ــ لم يكن استعمال سلاح النفط ذا فعّالية كبرى نظراً لكون السوق النفطية العالمية تعاني من فائض آنئذٍ .

ــ ولعل ذلك اهم سبب ، لم تكن حكومات البلدان العربية الخليجية في وضع تستطيع معه اغضاب الولايات المتحدة لكونها متخوفة من الثورة الايرانية وبالتالي بحاجة لحمايتها ضد هذه الثورة .

ومن الجدير بالتساؤل : هل اعطت الولايات المتحدة الضوء الاخضر لاسرائيل للقيام بالغزو ؟ لقد ذكر اللورد كارينغتون وزير الخارجية البريطاني السابق في زيارته لدمشق في آذار/مارس ١٩٨٣ بأن هيغ قد اعطى الاسرائيليين فعلاً الضوء الاخضر[١] . وفي رأينا أن المهم في الامر ليس كون الولايات المتحدة قد قالت لاسرائيل بتاريخ معين امضي في غزوك ، بل المهم نمط السياسة الامريكية قبل الغزو وخلاله والذي لم يترك مجالاً للشك في تأييد الولايات المتحدة له . ويمكن تلخيص هذا النمط قبل الغزو بالنقاط التالية :

- هدد ريغان من اعتبرهم ارهابيين بأن الولايات المتحدة ستعاقبهم بشكل حاسم وسريع ، كما وصف مرات عديدة منظمة التحرير الفلسطينية بأنها ارهابية . وكرر ذلك مسؤولون في ادارته ، على رأسهم هيغ .
- كان من اهداف اتفاق التعاون الاستراتيجي بين الولايات المتحدة واسرائيل الموقع في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨١ ليس الحد من نفوذ الاتحاد السوفياتي فقط ، بل ايضاً ردع من اعتبرتهم الادارة الامريكية وكلاء له في المنطقة .
- كان الموقف الامريكي من القصف الاسرائيلي للمدن اللبنانية ، والمتكرر قبل الغزو ، مؤيداً من الناحية العملية إن لم يكن من الناحية الكلامية .

---

(١) مصادر وزارة الخارجية السورية .

ــ ورغم احتجاج الولايات المتحدة على قصف المفاعل النووي العراقي في حزيران/يونيو ١٩٨١ وإيقافها شحن بعض الطائرات لاسرائيل الا انها لم تلبث بعد بضعة اسابيع ان اعادت تزويد اسرائيل بها .

ــ استعملت في كانون الاول/ديسمبر ١٩٨١ حق النقض في مجلس الامن على مشروع قرار يبغي تطبيق العقوبات على اسرائيل لضمها مرتفعات الجولان السورية .

ويمكن اعتبار هذا النمط من السياسة قبل الغزو بأنه يشكل بحد ذاته ضوءاً اخضر لاسرائيل للقيام بالغزو . وهذا لم يخف عليها . ولقد ذكر احد المسؤولين الاسرائيليين بأن الولايات المتحدة « تزودنا بكل هذه الطائرات ليس لاستعمالها في استعراضات عيد الاستقلال وإنما لأن هناك مصلحة استراتيجية مشتركة »[١]

ــ الموقف الامريكي خلال الغزو

فنتيجة للعدوان الاسرائيلي على لبنان وقصف بيروت وبعض المدن اللبنانية الاخرى صباح الجمعة في الرابع من حزيران/يونيو ورد فصائل منظمة التحرير بقصفها شمالي اسرائيل بعد ظهر اليوم ذاته ، اجتمع مجلس الامن الدولي في اليوم التالي وتبنى بالاجماع القرار رقم ٥٠٨ الذي تضمن دعوة كل اطراف النزاع لأن توقف حالاً كل النشاطات العسكرية داخل لبنان وعبر الحدود اللبنانية الاسرائيلية . وكانت الولايات المتحدة من

---

(١) . Washington Post, 21/7/1981

المؤيدين لهذا القرار . هذا وقد اعلنت منظمة التحرير الفلسطينية عن استعدادها لتنفيذه اذا فعلت اسرائيل ذلك[١] . ولكن الاخيرة تجاهلت القرار اذ قامت بغزوها للبنان يوم الاحد خارقة بذلك القانون الدولي وشريعة الامم المتحدة . وفي ذلك الوقت كان الرئيس ريغان وكبار مساعديه يحضرون القمة الاقتصادية في فرساي لرؤساء اكبر سبع دول صناعية رأسمالية . ولقد عرقلت اخبار الغزو اعمال المؤتمر[٢] . وصدر عن القمة بيان عن لبنان في اليوم نفسه (السادس من حزيران/يونيو) يؤيد بشدة دعوة مجلس الامن في اليوم السابق لكل الاطراف لايقاف اعمال العنف حالاً . كما ان جميع الرؤساء ، باستثناء ريغان ، ادانوا في مؤتمراتهم الصحفية وبشدة الغزو الاسرائيلي . اما الاخير فقد حث في مؤتمره الصحفي على ضبط النفس واستنكر « التزايد في اهراق الدماء في المنطقة » . ولما سئل هيغ عن السبب الذي منع الولايات المتحدة من ادانة الغزو اجاب « بأن اهم شيء في الساعات الاولى هو التركيز على ايقاف العنف » . ولما سئل عما اذا كانت حكومته ستعمل على تحقيق الانسحاب الاسرائيلي الفوري من لبنان قال « من الواضح بأن هذا ما سعينا اليه ، لم نكن نرغب ان يدخلوا . . . وكنا واضحين جداً جداً حول هذا ولفترة طويلة »[٣] .

---

(١) New York Times, 6/6/1982 .

(٢) كانت هذه هي المرة الثانية التي تعرقل فيها اسرائيل اعمال القمة الاقتصادية للرؤساء المذكورين . ولقد كانت المرة الاولى في ١٧ تموز/يوليو ١٩٨١ عندما قصفت بيروت بوحشية بينما كانت القمة متعقدة في اوتاوا (كندا) .

(٣) New York Times, 7/6/1982 .

وتجاه استمرار اسرائيل في غزوها للبنان وتجاهلها لقرار مجلس الامن رقم ٥٠٨ ولبيان قمة فرساي عن لبنان تبنى مجلس الامن في السابع من حزيران/يونيو القرار رقم ٥٠٩ والذي تضمن الطلب من اسرائيل ان تسحب قواتها العسكرية كافة فوراً وبدون شروط الى حدود لبنان المعترف بها دولياً . ولقد أيدت الولايات المتحدة هذا القرار ولكنها اصرت على الا يتضمن اي ادانة لاسرائيل . كما انها رفضت بعض التعديلات المقدمة من لبنان والمتضمنة إدانة اسرائيل لعدم امتثالها لقرار مجلس الامن رقم ٥٠٨[1] .

وكان من الواضح بعد تبني القرارين ٥٠٨ و ٥٠٩ واستمرار اسرائيل في تجاهلها والمضي في عدوانها على لبنان حتى السابع من حزيران/يونيو ، كان هناك تناقض في الموقف المعلن للولايات المتحدة . فهذا الموقف تضمن من ناحية تأييدها لهذين القرارين اللذين يطلبان انهاء العمليات العسكرية فوراً وانسحاب اسرائيل الفوري وغير المشروط من جميع الاراضي اللبنانية ، ومن ناحية اخرى معارضتها لأية إدانة لاسرائيل التي تجاهلت هذين القرارين . وكان امام الولايات المتحدة لحل هذا التناقض خياران : الاول : الالتزام بتأييد القرارين والعمل على تنفيذهما بوصفها عضواً دائماً في مجلس الامن وذلك بتأييد تطبيق عقوبات على اسرائيل لرفضها الانصياع لهما ، والثاني : التراجع عملياً عن تأييدها لهذين القرارين . ولقد اختارت الحل الثاني مما جعل الموقف المعلن ينسجم مع

(١) New York Times, 8/6/1982 .

الموقف الحقيقي . وهذا يظهر بأن تأييدها للقرار ٥٠٩ القاضي بالانسحاب الاسرائيلي الفوري وغير المشروط كان من قبيل الخداع والتمويه . ويحتمل ايضاً بأن الولايات المتحدة ايدت القرار ٥٠٩ لأنها لم تكن متأكدة كلياً في اليومين الاولين للغزو من ردود الفعل العربية . فلما وجدت بأن العرب قد عجزوا عن اتخاذ موقف موحد فعّال ، كما ان اغلب الاقطار العربية اكتفت بالاحتجاج الكلامي ، مضت قدماً في تنكرها للقرار المذكور .

ولقد ظهرت اولى مؤشرات التراجع في الموقف الامريكي في اليوم الثاني للغزو . ففي الطائرة التي نقلت الرئيس ريغان وكبار مساعديه من روما الى لندن سئل هيغ عما اذا كانت الولايات المتحدة تريد انسحاباً فورياً للقوات الاسرائيلية من لبنان فأجاب « نعم ، نعم » ولكنه مضى يعبر عن شكوكه عما اذا كانت القوات الاسرائيلية ستنسحب بسرعة ، ذاكراً انها تتطلب وقتاً لتحقيق اهدافها ، كما انه استعمل عبارات تدل على ان الولايات المتحدة واسرائيل في صف واحد . فعندما اشار الى الخسائر الاسرائيلية قال « نحن لم نخسر البارحة فقط طائرة وهليوكبتر وانما هناك ادعاء بأن طائرة اخرى قد سقطت ، كما اسقطت هليوكبتر ثانية ، ودمرت ايضاً بعض وسائط نقل الجيش »[1] . ثم مضى في حديثه مع الصحفيين ليظهر تفهماً لاسباب الغزو الاسرائيلي « في كل مرة تمارس اي عملية

---

(١) المصدر نفسه . التأكيد في النص من الكاتب .

ارهابية ضد اسرائيل يوضع عبء ثقيل على الصبر الاسرائيلي » كما أظهر بأنه يريد تحقيق بعض الاهداف في لبنان « نرغب في ان نرى تقوية للحكومة المركزية في لبنان وان تصبح الحدود مع اسرائيل آمنة ... ومن الواضح بأنه يجب تحقيق شيء أبعد من ايقاف النار يجب إعادة تشكيل التركيبة الداخلية في لبنان . ونأمل ان يكون ذلك في اتجاه تقوية الحكومة المركزية »[1] .

ففي الامم المتحدة استمرت الولايات المتحدة في تأييدها لاسرائيل فاستعملت حق النقض في مجلس الامن لاسقاط أي مشروع قرار يبغي إدانة اسرائيل او تطبيق عقوبات عليها وفقاً لميثاق الامم المتحدة ، كما ان الولايات المتحدة عارضت اي قرار في هذا الاتجاه ناقشته وصوتت عليه الجمعية العامة . ولنعط بعض الامثلة :

— في الثامن من حزيران/يونيو نقضت مشروع قرار تقدمت به اسبانيا (وأيدته بقية اعضاء مجلس الامن اي ١٤ دولة) يؤكد على مضمون القرارين ٥٠٨ و ٥٠٩ وبالتالي الانسحاب الاسرائيلي الفوري وغير المشروط ، ويقرر في حال عدم الامتثال اجتماع مجلس الامن من جديد للنظر في الطرق والوسائل العملية وفق الميثاق ، كما أدان مشروع القرار اسرائيل دون ذكر اسمها لعدم امتثالها للقرارين المذكورين اعلاه .

— نقضت الولايات المتحدة في ٢٦ حزيران/يونيو في مجلس الامن

---

(١) المصدر نفسه .

مشروع قرار تقدمت به فرنسا ومما طالب به : (١) الانسحاب الفوري للقوات الاسرائيلية المتمركزة حوالي بيروت مسافة عشرة كيلو مترات من حدود المدينة وذلك كخطوة اولى لتحقيق الانسحاب الكامل من لبنان .. كما طالب ان يتم في المرحلة الزمنية نفسها انسحاب القوات الفلسطينية المسلحة من بيروت الى مخيماتها ؛ (٢) تمركز قوات الامم المتحدة الى جانب القوات اللبنانية . ولقد ايدت بقية اعضاء مجلس الامن مشروع القرار[١] .

— وفي اليوم نفسه صوتت الولايات المتحدة ضد مشروع قرار في الجمعية العامة أدان بشدة الاعتداء الاسرائيلي على لبنان وأيد بقوة ما طالب به القراران (٥٠٨) (٥٠٩) . ولقد تم تبني مشروع القرار . اذ صوتت معه (١٢٧) دولة ، ولم تمتنع اية دولة عن التصويت . وعارضته فقط اسرائيل اضافة الى الولايات المتحدة[٢] .

— في التاسع والعشرين من تموز/يوليو ١٩٨٢ امتنع مندوب الولايات المتحدة ان يشترك في التصويت في مجلس الامن على مشروع قرار يطلب من اسرائيل رفع حصارها عن بيروت الغربية[٣] .

— في ليلة الاربعاء بتاريخ ٤ آب/اغسطس وبعد القصف الاسرائيلي العشوائي لبيروت الغربية تقدمت اليابان واسبانيا بمشروع قرار في

(١) New York Times, 27/6/1982 .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) New York Times.30/7/1982 .

مجلس الامن أدان اسرائيل لعدم التزامها بقراراته الخاصة بالازمة اللبنانية . ولقد امتنعت الولايات المتحدة عن التصويت علماً بأن مشروع القرار قد اعيدت صياغته قبل عرضه للتصويت استجابة لبعض اعتراضات الولايات المتحدة عليه . ولقد ايدت مشروع القرار بقية الدول الاربع عشرة الاعضاء في مجلس الامن[1] .

— تبنت الجمعية العامة في ١٩ آب/اغسطس مشروع قرار يدين اسرائيل لتجاهلها قرارات مجلس الامن ويطالب بفرض عقوبات عليها . ولقد صوتت معه ١٢٠ دولة وامتنعت ٢٠ دولة عن التصويت . وعارضته بالاضافة الى اسرائيل الولايات المتحدة فقط[2] .

يضاف الى ذلك فقد كانت جهود الولايات المتحدة في اخراج الفصائل الفلسطينية المسلحة من بيروت الغربية لمصلحة اسرائيل اذ مكنتها من احتلالها في ١٥ ايلول/سبتمبر دون تكبد أية خسائر ونزع سلاحها ومن ثم تدبير تنفيذ مذبحتي صبرا وشاتيلا . وكانت ردة الفعل الاولى للرئيس ريغان عند سماعه الاحتلال الجديد ايجاد المبرر لاسرائيل قائلاً بأنها استفزت من قبل بعض عناصر اليسار اللبناني[3] . ورغم ان الادارة الامريكية دعمت بعد ذلك مشروع قرار مجلس الامن بتاريخ ١٧

(١) Washington past, 5/8/1982 .

(٢) New York Times, 20/8/1982 .

(٣) « اربعة ايام من العار » .

ايلول/سبتمبر الذي أدان اسرائيل لاحتلالها بيروت الغربية[1] ، إلا انها لم تفعل اكثر من ذلك علماً بأن هذا الاحتلال تضمن خرقاً لتعهد كانت قد قدمته الولايات المتحدة لمنظمة التحرير بأن اسرائيل لن تحتل بيروت الغربية . وعلى كل كانت هذه الاخيرة مدركة عند احتلالها بأن الولايات المتحدة لن تفعل شيئاً جدياً لمنعها عن ذلك او لتحقيق انسحابها الفوري ، هذا اذا لم تكن الولايات المتحدة مؤيدة فعلاً لهذا الاحتلال . فهي قد ايدت اسرائيل في عدوانها على لبنان وما نجم عنه من مجازر بشرية وتدمير مادي هائلين ، فهل يعقل بعد ذلك ان تتوقف الولايات المتحدة عن دعم اسرائيل لمجرد احتلالها لبيروت الغربية وبالتالي مساهمتها في تحقيق الهدف الامريكي ـــ الاسرائيلي المشترك وهو اعادة ترتيب الاوضاع السياسية الداخلية في لبنان . لذلك نجد بأنه عندما وصف الملك حسين عقب مذابح صبرا وشاتيلا مناحيم بيغن بأنه الارهابي الابدي وطالب الولايات المتحدة بتطبيق عقوبات على اسرائيل ، كانت ردة فعل السيد شولتز وزير الخارجية الامريكي بأن هذا غير وارد وان اسرائيل هي شريكة للولايات المتحدة في البحث عن السلام في المنطقة .

وخلال قصف بيروت الغربية وخاصة بعد اجلاء القوات الفلسطينية عنها اتبعت الولايات المتحدة بالتوازي مع سياستها الداعمة لاسرائيل سياسة جانبية هدفت الى منع الضرر الممكن ان يلحق بمصالحها في الوطن العربي ، وبالتالي ايجاد المبررات لتلك الحكومات العربية التي

(١) . Washington Post, 18/9/1982

كانت وما زالت تؤمن بصداقة الولايات المتحدة للاعتقاد بأن هذه الاخيرة راغبة في ايجاد حل عادل لمشكلة الصراع العربي ـــ الاسرائيلي وللقضية الفلسطينية التي تشكل جوهر هذا الصراع . بكلمات اخرى هدفت هذه السياسة الى دعم مركز الحكومات العربية الصديقة تجاه شعوبها والحيلولة دون ظهور ردود فعل شعبية غير مناسبة . ومن المعلوم بأن الشعب العربي كان ينتابه شعور بالمرارة والغضب لعجز حكوماته عن القيام بعمل موحد فعّال يحول دون ما حدث في لبنان . ومن الطبيعي ان يكون هذا الشعور على اشده في صفوف الفلسطينيين ، فياسر عرفات أدان بشدة في خطابه الذي ألقاه في الليلة التي سبقت رحيله من بيروت موقف بعض الانظمة العربية قائلاً « كانت ثلوج جبل الشيخ اكثر حرارة من قلوب بعض الأنظمة العربية وستتزعزع الارض عما قريب من تحت هذه الانظمة نتيجة بركان بيروت المتفجر »[1] ، ولما سئل ابو اياد عن السبب الذي دفع ياسر عرفات الى ان تكون اثينا اول محطة له بعد مغادرته بيروت اجاب بأنه كان مشمئزاً جداً من الموقف العربي بحيث فضل ان تكون محطته الاولى عاصمة اوروبية[2] .

كانت ادارة ريغان مدركة ، ولا ريب ، لهذا الشعور من المرارة والغضب الذي انتاب الوطن العربي . كما كانت مدركة لبعض الحقائق التاريخية عن المنطقة . فمن المعلوم مثلاً بأن تواطؤ بريطانيا وفرنسا مع اسرائيل في العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ كان من أهم الاسباب

(١) Guardian (london), 31/8/1982 .

(٢) الانوار (بيروت) ١٩٨٢/٩/٢ .

التي اطاحت بالنظام الملكي في العراق عام ١٩٥٨ والذي كان موالياً للغرب . كما كان دعم الولايات المتحدة لأسرائيل وخاصة في قصفها للمدن المصرية اثناء حرب الاستنزاف التي شنها الرئيس عبد الناصر في صيف ١٩٦٩ على الاحتلال الاسرائيلي من الاسباب الرئيسية التي ادت الى الثورة في ليبيا في ايلول/سبتمبر من ذاك العام .

لذلك كله نجد بأنه خلال القصف الاسرائيلي الوحشي لبيروت الغربية ، كانت تصدر من وقت لآخر من الساسة الامريكيين بعض المسكنات الكلامية لاصدقائهم العرب او تسرب بعض الاخبار الهادفة الى تحقيق الغرض ذاته .

لقد قيل مثلاً بأن الرئيس ريغان قد عبر عن نفاذ صبره مرات عديدة من اسرائيل بسبب التدمير واهراق الدماء غير المبرر له[١] ، كما انه اتصل في ١٢ آب/اغسطس ، ببيغن طالباً منه بحزم وقسوة التوقف عن قصف بيروت العشوائي[٢] . ولقد سربت الادارة الامريكية خبر الرأي القائل بأن من أهم اسباب استقالة هيغ في ٢٥ حزيران/يونيو ١٩٨٢ واستبدال شولتز به هو دعم هيغ الشديد للموقف الاسرائيلي . ولقد تفاءلت بعض الاوساط العربية (التي تنظر دائماً بعين التفاؤل الى الولايات المتحدة) من التعديل رغم انه لم ينتج عنه اي تغيير في السياسة الامريكية تجاه الغزو .

ولعل من اهم اسباب اتباع الولايات المتحدة لسياسة منع الضرر

---

(١) New York Times, 2/8/1982 .

(٢) New York Times, 13/8/1982 .

وخاصة بعد اجلاء الفصائل الفلسطينية عن بيروت هو الوضع في مصر . فادارة ريغان كانت مدركة بأن من اهم اسباب اغتيال السادات هو توقيعه لمعاهدة السلام المنفردة مع اسرائيل . فالغزو الاسرائيلي للبنان قد اغضب واربك كثيراً الحكومة المصرية ، كما احدث نوعاً من الغليان لدى الشعب المصري . اذ برهن للكثيرين في مصر ـــ اذا كانت هناك ثمة حاجة لبرهان ـــ بأن مخاوف منتقدي اتفاقية كامب ديفيد قد تحققت . اذ ان تحييد مصر عملياً في الصراع العربي ـــ الاسرائيلي ادى الى احداث خلل كبير في التوازن الاستراتيجي بين العرب واسرائيل مما نتج عنه ان تصبح هذه الاخيرة اكثر رغبة في التوسع واكثر شراسة في اعتداءاتها واكثر عناداً في رفضها الانسحاب من بقية الاراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ . ولم يكن الغزو الاسرائيلي للبنان إلا احدى نتائج اتفاقية كامب ديفيد والخلافات العربية الاخرى .

ولقد قامت الحكومة المصرية باتصالات مكثفة مع الولايات المتحدة خلال الغزو وذلك بغية كبح جماح اسرائيل . ومن اهم هذه الاتصالات الزيارة التي قام بها في اواخر تموز/يوليو وزير الخارجية المصري الى الولايات المتحدة حاملاً معه رسالة من الرئيس مبارك الى ريغان . ولقد ذكر المعلقان الامريكيان رولند ايفنس وروبرت نوفاك بأن الرسالة الحقيقية التي حملها الوزير المصري والتي صيغت بعبارات مهذبة « تحذر الرئيس ريغان من ان عجز الولايات المتحدة في ان توقف اسرائيل سيدفع الشرق الاوسط الى هاوية مدمرة ستؤدي الى انعدام نفوذ واشنطن ونفوذ حلفائها العرب المعتدلين . . . وان تحرر اسرائيل من الضغط الامريكي في غزوها للبنان قد

احزن القاهرة والوطن العربي المعتدل ... وان يأس مبارك يتجاوز لبنان والمشكلة الفلسطينية .. فهو يريد من ريغان ان يتذكر بأن السادات قد قتل من قبل المسلمين المتعصبين لأنه باع الحقوق العربية . وان هذا قد حدث قبل زمن من غزو لبنان . فرفض الولايات المتحدة ان تطرد اسرائيل من لبنان يمكن أن يعطي الاسلام المتعصب قوة لا يمكن مقاومتها »[1] .

ويمكن اعتبار الركيزتين الاساسيتين في سياسة منع الضرر هما مشروع ريغان الذي اعلنه في خطاب القاه اول ايلول سبتمبر ١٩٨٢ ، وفي الجهود الامريكية لتحقيق انسحاب القوات الاسرائيلية والقوات العربية غير اللبنانية من لبنان ، وذلك عن طريق التفاوض بين لبنان واسرائيل ، وسنتعرض لهما ادناه بشيء من التحليل المختصر ، يمكن تلخيص مشروع ريغان بالنقاط التالية :

١ ـ اعطاء الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة الحكم الذاتي الكامل بحيث لا يتعارض مع متطلبات الامن الاسرائيلي .
٢ ـ دعوة اسرائيل الى تجميد اقامة مستعمرات جديدة في الضفة لان انشاء مستوطنات جديدة لا يخدم متطلباتها الامنية .
٣ ـ التأكيد على ان مبدأ الانسحاب في قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧ ينطبق على كل الجبهات مع اسرائيل وبالتالي على الضفة والقطاع .

---

(١) Washington Post, 2/8/1982 .

٤ ـ عدم تأييد انشاء دولة فلسطينية مستقلة في الضفة والقطاع وايضاً عدم تأييد بسط السيادة الاسرائيلية عليها .

٥ ـ بعد فترة الاعوام الخمسة من الحكم الذاتي يقرر مصير السيادة على الضفة الغربية والقطاع استناداً الى صيغة مشاركة سياسية بين فلسطين والاردن .

٦ ـ بقاء القدس موحدة وضمن هذا الاطار يبت بشأنها في المفاوضات المقبلة .

٧ ـ دعوة الاردن مع الفلسطينيين الى المشاركة في مفاوضات الحكم الذاتي بين مصر واسرائيل وذلك بغرض توقيع اتفاقية السلام مع اسرائيل تضمن لها العيش بسلام ضمن حدود آمنة ويمكن الدفاع عنها . كما ان على جيران اسرائيل ان يعترفوا بهذا الحق .

ولعل اهم الاعتراضات الجوهرية على المشروع هي التالية :

ـ طالب بتجميد المستعمرات الاسرائيلية في الضفة والقطاع ولكنه سكت عن مصير المستعمرات القائمة . ولقد صرح بعدئذ وزير الخارجية الامريكية شولتز بأن الولايات المتحدة تعارض ازالة المستعمرات القائمة .

ـ اكد وفي نواح كثيرة منه على امن اسرائيل ومعارضة الولايات المتحدة بشدة لأي حل يهدد هذا الامن ، ولكنه تجاهل امن البلدان العربية علماً بأن أمن هذه الاخيرة هو المهدد . فالاراضي العربية هي المحتلة والشعب العربي الفلسطيني هو المشرد والمضطهد والمعرض للمذابح

والارهاب الاسرائيلي وسكان الضفة والقطاع هم الذين يعانون الاضطهاد والقمع الاحتلالي وهم الذين تصادر اراضيهم وتدمر مساكنهم .

- عارض المشروع حق الفلسطينيين في اختيار اقامة دولة مستقلة .
- ان تأكيده على امن اسرائيل مع تجاهله لأمن البلدان العربية دليل على ان الانسحاب الاسرائيلي من الضفة والقطاع لن يكون كاملاً او شبه كامل . وهذا يتضح بصورة ادق من تأكيد المشروع على حق اسرائيل في العيش بسلام ضمن حدود آمنة ويمكن الدفاع عنها . ومن الواضح بأن فكرة حدود يمكن الدفاع عنها غير واردة في قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . كما ان اسرائيل استعملتها لتبرير سياستها التوسعية .
- لم يتناول المشروع حق الفلسطينيين الذين في المنفى في العودة الى الضفة والقطاع .
- اكد المشروع على ضرورة بقاء القدس موحدة وان يحل وضعها بالتفاوض ، ولكنه سكت عن ماذا يجب ان تكون عليه نتيجة التفاوض وعن دور الفلسطينيين او الاردن في القدس الموحدة . ومن المعلوم بأن الرئيس ريغان يفضل بقاءها موحدة تحت السيادة الاسرائيلية .

وعلى الرغم من مزايا المشروع من وجهة نظر اسرائيل فإنها رفضته وبشدة في اليوم التالي لاعلانه لأنها لا تريد تجميد بناء مستعمرات جديدة كما لا ترغب في اعطاء الحكم الذاتي الكامل للفلسطينيين . ولقد اتهم

بيغن اي اسرائيلي يقبل المشروع بأنه خائن(١) . كما أكدت تحديها له اذ اعلنت خلال بضعة ايام من تاريخه ، اقامتها لثلاث مستعمرات جديدة ، اثنتين في الضفة الغربية وواحدة في قطاع غزة . كما أعلنت في الاسبوع الاول من كانون الاول/ديسمبر ١٩٨٢ عزمها على اقامة خمس وثلاثين مستعمرة جديدة في الضفة الغربية على شكل مشاريع سكنية تباع او تؤجر باسعار مدعومة جداً لحوالي مائة الف مستوطن يهودي جدد وبكلفة حوالي ٤٨٥ مليون ليرة استرلينية(٢) . فماذا فعلت الولايات المتحدة تجاه هذا التحدي الاسرائيلي الفعلي لمشروعها ، علماً بأن اسرائيل خرقت وتخرق بعملها هذا القانون الدولي واتفاقية جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩ المتعلقة بحماية الاراضي المحتلة ؟ لا شيء ، بل على العكس نجد بأن مساعداتها لاسرائيل وبالتالي تمويلها لسياسة اسرائيل العدوانية والتوسعية في تزايد . وهذا يؤدي الى الاستنتاج بأن مشروع ريغان كان غير جدي وهو عبارة عن نوع من التهدئة الكلامية للاقطار العربية ، هدفه منع الضرر بمصالح الولايات المتحدة وايضاً خلق خلافات عربية جديدة .

ويظهر بأن سياسة التهدئة هذه تجاه العرب قد نجحت . فبدلاً من ان يدين العرب الدعم الامريكي لاسرائيل في اول مؤتمر قمة لهم بعد غزو لبنان نجدهم يسكتون عن ذلك . وبدلاً من ان يرفضوا مشروع ريغان لتعارضه الاساسي مع المشروع العربي المتفق عليه وايضاً لأنه نوع من التحذير الكلامي ، نجد بأن البعض قد رحب به . وهذا الضعف العربي

---

(١) Times, 3/9/1982 .

(٢) هيئة الاذاعة البريطانية ، كانون الاول/ديسمبر ١٩٨٢ .

لم يخف على الامريكيين ، فسرعان ما نجدهم يتخلون فعلياً عن مبادرتهم . فبالاضافة الى عدم قيامهم بأي عمل حسي تجاه التحدي الاسرائيلي والذي يشكل أساساً تخلياً عن مبادرتهم ، نجد بأن وزير الخارجية الامريكية شولتز يطلب من الاردن والفلسطينيين (باستثناء منظمة التحرير الفلسطينية) التفاوض مع اسرائيل دون شروط مسبقة ويؤكد بأنه ليس من الضروري الموافقة مسبقاً على مشروع ريغان او على اي مبدأ يتضمنه هذا المشروع للدخول في المفاوضات وان الخلافات القائمة بين الاطراف المعنية يجب حلها على طاولة المفاوضات[1] . كما اكد وينبرغر بأن الولايات المتحدة لن تضغط على اسرائيل اذ صرح لمجلة يو اس نيوز اند ورلد ربورت قائلاً « ان الكثيرين في الشرق الاوسط يعتقدون بأننا نستطيع ان نمارس سيطرة على الحكومة الاسرائيلية . هذا خطأ تام ... اننا نعتبر اسرائيل حليفاً مهماً وضرورياً ونعتقد انه من المهم ان نحافظ على هذه العلاقة ، وان من شأن التهديدات إن تؤذيها[2] .

وفي الواقع لم تكن هذه هي المرة الاولى التي تقدم فيها الولايات المتحدة مشاريع لتسوية النزاع العربي ـــ الاسرائيلي ومن ثم سرعان ما تتراجع عنها نتيجة اعتباراتها الاستراتيجية وبسبب الرفض الاسرائيلي الشديد ، ففي كانون الاول/ديسمبر ١٩٦٩ تقدمت بمشروع روجرز[3] لتحقيق تسوية

---

(١) International Herald Tribune, 14/9/1982, and Times,14/9/1982 .

(٢) كما وردت في : النهار (بيروت) ١٩٨٢/٩/٢٠ .

(٣) انظر خطاب روجرز بتاريخ ٩ كانون الاول/ديسمبر ١٩٦٩ والمتضمن مشروعه والذي نشر في : New York Times, 10/12/1969.

شاملة للنزاع ، ومن ثم تراجعت عنه في تشرين الثاني/نوفمبر اي قبل اعلانه نتيجة اعتبارات كيسنجر الاستراتيجية[١] وبسبب المقاومة الاسرائيلية ، هذا علماً بأن مصر لم ترفض صيغة المشروع الذي كان سيطبق على مصر[٢] كما ان الاردن قد رحبت به وقبلته[٣] . ومرة اخرى تقدمت الولايات المتحدة مع الاتحاد السوفياتي بمشروع للتسوية تضمنه البيان الامريكي السوفياتي بتاريخ اول تشرين الاول/اكتوبر ١٩٧٧[٤] . ورغم ان المشروع قد حظي بتأييد مصر والاردن ومنظمة التحرير الفلسطينية بينما لم تبد سورية رأياً رسمياً بشأنه ، الا ان الولايات المتحدة سرعان ما تراجعت عنه بعد اربعة ايام من اعلانه نتيجة اعتباراتها الاستراتيجية التي قضت بابعاد الاتحاد السوفياتي عن منطقة الشرق الاوسط ولسبب رفض اسرائيل القاطع ، وايضاً بسبب معارضة تحالف اليمين المتطرف والصهيونية في الولايات المتحدة .

وعلى الرغم من تراجع الولايات المتحدة الفعلي عن مشروع ريغان ، الا انها ضغطت على الاردن التي قبلت المشروع وذلك للدخول في

---

(١) International Herald Tribune, 16, 17/4/1983 .

(٢) Mahmoud Riad, the Struggle For Peace in the Middle East (London ;Quartet Books, 1981) , PP. 110 - 111

(٣) William B. Quandt, Decade of Decisions ; American Policy toward the Arab - Israeli Conflict, 1967 - 1976 (Berkeley, Calif, ; University Of California Press, 1977), P.91 .

(٤) New York Times, 2/10/1977, and Washington Post, 2/10/1977 .

وكانت الركيزة الثانية لسياسة منع الضرر هي جهود الولايات المتحدة في انسحاب القوات الاسرائيلية والقوات العربية غير اللبنانية من لبنان وذلك عن طريق التفاوض بين لبنان واسرائيل . ولقد بدأت المفاوضات في كانون الاول/ديسمبر ١٩٨٢ على مستوى عالٍ من الموظفين كما اشتركت فيها الولايات المتحدة بدبلوماسي على مستوى سفير . وفي الاسبوع الاخير من نيسان/ابريل ١٩٨٣ زار وزير الخارجية الامريكية شولتز المنطقة لوضع ثقله في كفة انجاح المفاوضات . ونتج عن ذلك ان تم التوصل الى اتفاقية حوالي نهاية الاسبوع الاول من ايار/مايو تمت الموافقة عليها فيما بعد من قبل الجانبين اللبناني والاسرائيلي . **ولعل اهم بنود الاتفاقية هي التالية :**

- انسحاب جميع القوات الاسرائيلية من لبنان خلال مهلة تتراوح بين ثمانية اسابيع واثني عشر اسبوعاً من سريان مفعول الاتفاق « انسجاماً مع هدف لبنان الرامي الى انسحاب جميع القوات الخارجية من لبنان » .
- انهاء حالة الحرب بين لبنان واسرائيل .
- التفاوض وبنية حسنة خلال مدة ستة اشهر التالية للانسحاب « بغية التوصل لاتفاقات حول حركة السلع والمنتجات والاشخاص وتنفيذها على اساس غير تمييزي » .
- تحديد منطقة أمنية في جنوب لبنان تكون حدودها نهر الاولي ، تخضع لترتيبات امنية خاصة من حيث تحديد عدد القوات اللبنانية ونوعية سلاحها ويكون من اهدافها منع اي نشاط عدائي لاسرائيل .

وتكون المنطقة الامنية في تسلم الجيش اللبناني وحده تساعده القوات الدولية . ولقد اعطي سعد حداد دوراً في هذه الترتيبات .

ــ انشاء لجنة اتصال مشتركة لبنانية ــ اسرائيلية ــ امريكية يرأس كل جانب منها موظف كبير ، ويكون هدفها الاشراف على تنفيذ الاتفاق في جميع جوانبه والتأكد من عدم مخالفة بنوده .

ــ يلغي كل من الفريقين خلال عام من سريان مفعول الاتفاق المعاهدات والقوانين والانظمة التي تعتبر معارضة للاتفاق .

ــ يحق لكل فريق ان يقيم مكتب اتصال على ارض الفريق الآخر « وذلك للقيام بالمهمات المذكورة .. في اطار لجنة الاتصال المشتركة وللمؤازرة في تنفيذ هذه الاتفاقية » ويتمتع كل مكتب بالحصانات الدبلوماسية[1] .

وتجدر الاشارة هنا بأنه كان من المتفاهم عليه بأن الانسحاب الاسرائيلي مشروط بانسحاب القوات السورية والفلسطينية من لبنان . ولقد اكدت الولايات المتحدة هذا التفاهم في كتاب جانبي لاسرائيل[2] . كما انه يجب التنويه بأن اللبنانيين ذكروا بأن ما نص عليه الاتفاق من ضرورة التفاوض حول حركة السلع والمنتجات والاشخاص بين لبنان واسرائيل لا

(١) نشرت الصحف السورية النص الكامل للاتفاق انظر : الثورة ، ١٣/٥/١٩٨٣ ، والبعث ، ١٥/٥/١٩٨٣ . كما لخصت النهار البيروتية أهم بنود الاتفاق ، انظر : النهار ، ١٣/٥/١٩٨٣ .

(٢) International Herald Tribune, 10/5/1983 ..

يشكل التزاماً من حيث نتيجة المفاوضات[1] . وهذا واضح من نص الاتفاق .

هذا ولقد ايدت بعض البلدان الاتفاق كما مدحه الرئيس مبارك في خطاب له بتاريخ ١٩٨٣/٥/١٤ امام اجتماع مشترك لمجلسي الشعب والشورى المصريين ، وشكر الرئيس ريغان على جهوده ودعا بقية البلدان العربية الى تأييده[2] . وهكذا نجد بأن سياسة منع الضرر قد نجحت في ان تحول الهلع المصري تجاه الموقف الامريكي من الغزو الاسرائيلي للبنان الى ثناء على الجهود الامريكية فيما بعد .

ولقد هاجمت سورية بشدة الاتفاق ونجحت أخيراً في إلغائه لأنه قيد سيادة لبنان وتعارض مع التزاماته العربية ولأنه اعطى مكاسب سياسية لاسرائيل نتيجة عدوانها على لبنان ونتيجة قيامها بدور السلاح الاستراتيجي لتحقيق اهداف الولايات المتحدة . يضاف الى ذلك ان الترتيبات الامنية في الاتفاق تعطي مبرراً لغزوها للبنان ، ذلك الغزو الذي ادانه العالم قاطبة باستثناء الولايات المتحدة واسرائيل . فالسوريون لا يرغبون في ان يكافأ العدوان وبالتالي كان من الطبيعي ان يعارضوا تحقيق الاهداف الامريكية في لبنان على طريق القوة الاسرائيلية[3] . اذ كان من الممكن للولايات المتحدة

---

(١) ذكرت هذه الناحية في تلخيص الاتفاقية في : النهار ، ١٩٨٣/٥/١٣ .

(٢) نقل جزء من الخطاب في « صوت امريكا » ، ١٤ ايار/مايو ١٩٨٣ .

(٣) انظر الاسباب التي ذكرها الرئيس السوري حافظ الاسد لرفض الاتفاق كما لخصت في : البعث ، ١٩٨٣/٥/١٥ . كما اعطى السيد عبد الحليم خدام نائب رئيس وزراء سورية ووزير خارجيتها عدة احاديث صحفية ضد الاتفاق . انظر مثلاً المستقبل (باريس) ، (٢١ ايار/مايو ١٩٨٣) .

العمل على تحقيق هدفها في لبنان باجلاء القوات الفلسطينية والسورية عنه دون اللجوء الى الآلة العسكرية الاسرائيلية ودون تعريض لبنان للخسائر البشرية والمادية الهائلتين . فالفلسطينيون لم يكونوا يرغبون البقاء في لبنان ، وكانوا مستعدين لمغادرته اذا سمح لهم بالعودة الى الضفة الغربية والقطاع وهما جزء من وطنهم الاصلي . فلقد قدموا تنازلات في الماضي لتحقيق تسوية سلمية عندما قبلوا البيان السوفياتي ـ الامريكي تاريخ اول تشرين الاول/اكتوبر ١٩٧٧ وعندما قبلوا مشروع الامير فهد تاريخ آب/اغسطس ١٩٨١ . وفي الواقع ان قبولهم انشاء دولة فلسطينية في الضفة والقطاع ، اي في مساحة تبلغ ربع مساحة وطنهم الاصلي فلسطين يشكل اكبر تنازل . كما ان السوريين الذين دخلوا لبنان بطلب من سلطته الشرعية وبموافقة الاقطار العربية كانوا مستعدين للانسحاب قبل الغزو الاسرائيلي وبطلب من هذه السلطة ايضاً . ولكن شاءت الولايات المتحدة ان تحاول العمل على اجلاء الفلسطينيين والسوريين بطريقة تذل فيها الاتحاد السوفياتي وتدمر فيها الفلسطينيين والقوات السورية . لذلك ليس من العجيب ان تعارض هذه الجهات اهداف الاتفاقية . اضافة الى ذلك ما المبرر لشكر الولايات المتحدة ؟ أليست هي التي سمحت لاسرائيل بالغزو ، وما نجم عنه من اهوال كما انها هي التي كافأتها بخلق مبرر للغزو ، ومكنتها من تحقيق مكاسب سياسية ؟ .

وختاماً يجدر القول بأن تصرف الدول على الصعيد الدولي لا يستند بشكل أساسي وفي الغالب على القانون الدولي او الاخلاقية الدولية ، وانما يعتمد على المصلحة وعلى علاقات القوة . فحينما تتعارض المصلحة

وعلاقات القوة مع القانون الدولي يكون الاخير هو الضحية ، هذا هو الواقع في علاقات الدول مع الاسف . لذلك فسياسة الولايات المتحدة تجاه الغزو الاسرائيلي للبنان لم تكن فريدة في نوعها من حيث تأييد اسرائيل في استعمالها للقوة وخرقها لشريعة الامم المتحدة . اذ اعتقدت ادارة ريغان بأن مصلحة الولايات المتحدة اقتضت ذلك . ولكن ربما الشيء الفريد من نوعه هو الضعف العربي رغم الامكانيات العربية الضخمة التي تمكنهم ، ان شاؤوا استعمالها ، من ان يتصرفوا بقوة .

كما ان الشيء الذي يدعو للعجب هو ايمان بعض العرب بأن الولايات المتحدة ستحقق تسوية عادلة . فتاريخ المنطقة منذ ١٩٦٧ يظهر بأنها لن تفعل ذلك ما دام العرب يعانون الضعف . فهي ستعمل على تحقيق تسوية عادلة ليس لأن العدالة والقانون الدولي وحرية تقرير المصير تقتضي ذلك بل إذا وجدت بأن مصلحتها تفرض ذلك . وللاسف لم يتمكن العرب حتى الآن من الاتفاق على استراتيجية تظهر للولايات المتحدة فعلياً بأن ما تكسبه من استمرار دعمها غير المحدود لاسرائيل سيكون اقل بكثير من خسارتها مع العرب . فحين يفعلون ذلك تصبح غالبية اوراق الحل في يدهم وليست في يد اي جهة اخرى .

٢ ـــ مشروع فاس

بعد مرور ثلاثة اشهر على بدء الغزو الاسرائيلي للبنان ، عقد الملوك والرؤساء والامراء العرب مؤتمرهم في مدينة فاس بالمغرب (٦ ايلول ١٩٨٢) وكان تأخرهم هذه المدة الطويلة عن عقد القمة ، يعكس سلبية

شبه مطلقة حيال الغزو والتصدي السوري ــ اللبناني ــ الفلسطيني له .

وكان بعض القادة العرب قد وجهوا في خلال الشهرين الاولين من الغزو دعوات الى عقد القمة منها : دعوة الرئيس اللبناني سركيس ، ودعوة رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات ، ودعوة الزعيم الليبي معمر القذافي (التي كررها فيما بعد) ودعوة الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة والدعوة المشتركة التي وجهها رئيسا شطري اليمن علي عبد الله صالح وعلي ناصر محمد . . الا ان هذه الدعوات لم تحقق الغرض منها ، على عكس دعوة الملك الحسن الثاني ملك المغرب الذي دعا الى عقد قمة في فاس .

في ٢٨ اب (اغسطس) واثر البدء بخروج رجال الثورة الفلسطينية وانسحاب القوات السورية من بيروت ، تحرك العرب لترتيب قمتهم حيث عقد وزراء الخارجية العرب مؤتمرهم في مدينة المحمدية المغربية في ظل وضع يعكس الخلافات الشديدة بين الانظمة العربية . ومن اجل تجنب نتائج هذه الخلافات تم الاتفاق في المؤتمر على ضم جميع « اوراق العمل » الى جدول اعمال القمة . وقد تم ترتيب اوراق العمل اللبنانية والسورية والفلسطينية تحت عنوان « العدوان الاسرائيلي على لبنان » كما تم ترتيب المشروعين السعودي والتونسي تحت عنوان « النزاع العربي الاسرائيلي » وقد تضمن جدول الاعمال موضوع الحرب العراقية ــ الايرانية ونقاطاً كثيرة اخرى تتصل بعلاقات الوطن العربي مع العالم ، ودعم نضال الشعب الفلسطيني داخل الأرض المحتلة ومذكرة التفاهم حول اتفاق التعاون الاستراتيجي بين الولايات المتحدة واسرائيل . . الخ .

في السادس من ايلول (سبتمبر) التأمت القمة وشاركت فيها وفود كل الدول العربية ما عدا ليبيا وتغيب عنها رؤساء لبنان والجزائر وموريتانيا وتونس وسلطان عمان ، واعلن الملك الحسن الثاني ، في بداية اعمال القمة استئناف قمة فاس الاولى التي عقدت في اواخر العام ١٩٨١ .

ولقد عرض الرئيس حافظ الاسد في اجتماعات القمة ظروف دخول القوات السورية الى لبنان واوضح ان سورية تعارض اية تسوية لأزمة الشرق الاوسط ، قد تبدو بمثابة استسلام للولايات المتحدة واسرائيل[١] .

وحاولت جهات عربية ان تركز على ما أسمته « ايجابيات مشروع ريغان » الا ان الرئيس حافظ الاسد اكد ان الولايات المتحدة كانت شريكة مباشرة في العدوان والغزو وان المشروع لم يتحدث عن منظمة التحرير الفلسطينية ، بل اتى استكمالاً لاتفاقي كامب ديفيد ... وتطرق الوفد السوري خلال ماتلا من مناقشات حول الحرب العراقية ـــ الايرانية فأكد موقفه في معالجة هذه الحرب باسلوب الحوار ، ومحاولة ايجاد قواسم مشتركة لحل سلمي بين البلدين ، انطلاقاً من كون ايران دولة صديقة ومؤيدة للقضايا العربية[٢] .

وفي نهاية جلسات المؤتمر صدر بيان ختامي حيا « صمود قوات الثورة الفلسطينية والشعبين اللبناني والفلسطيني والقوات المسلحة العربية السورية[٣] » على ارض لبنان . وقرر بالنسبة الى موضوع « الصراع العربي ـــ الاسرائيلي » ثمانية مبادىء هي كما جاءت نصاً :

---

(١) مجلة الموقف العربي عدد ١٩٨٢/٩/١٨

(٢) المصدر السابق .

(٣) جريدة تشرين عدد ١٩٨٢/٩/١٣ .

١ ــ انسحاب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضي التي احتلتها اسرائيل في العام ١٩٦٧ بما فيها القدس العربية .

٢ ــ ازالة المستعمرات التي اقامتها اسرائيل في الاراضي العربية المحتلة بعد العام ١٩٦٧ .

٣ ــ ضمان حرية العبادة وممارسة الشعائر الدينية لجميع الاديان ، في الاماكن المقدسة .

٤ ــ تأكيد حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وممارسة حقوقه الوطنية الثابتة غير القابلة للتصرف بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ممثله الشرعي والوحيد وتعويض من لا يرغب في العودة .

٥ ــ تخضع الضفة الغربية وقطاع غزة لفترة انتقالية تحت اشراف الامم المتحدة ولمدة لا تزيد عن بضعة اشهر .

٦ ــ قيام الدولة الفلسطينية المستقلة بعاصمتها القدس .

٧ ــ يضع مجلس الامن الدولي ضمانات سلام بين جميع دول المنطقة بما فيها الدولة الفلسطينية المستقلة .

٨ ــ يقوم مجلس الامن الدولي بضمان تنفيذ تلك المبادىء[1] » .

والجدير بالذكر ان موضوع « الصراع العربي الاسرائيلي » قد تقدم من جهة الترتيب على موضوع « العدوان الاسرائيلي على لبنان » الذي ورد في مرتبة تالية . كما ان القرارات المتخذة بشأنه لم تعكس الحد الادنى المطلوب لانهاء الغزو الاسرائيلي للبنان .

---

(١) المصدر السابق .

اذ لم يضع الزعماء العرب البدائل الاستراتيجية والعسكرية فيما اذا فشلت المساعي الخاصة بتنفيذ القرارين ٥٠٨ و ٥٠٩ القاضيين بانسحاب اسرائيل من الاراضي اللبنانية ، حتى الحدود الدولية المعترف بها .

وبدلاً من ان يناقش الزعماء العرب الخيارات المتعددة لاجلاء قوات الغزو عن لبنان عمدوا الى تثبيت الطلب الذي تقدم به مندوب لبنان في المؤتمر ، جوزيف ابو خاطر ، لانهاء مهمة قوات الردع العربية في لبنان ، غير انهم قرروا صياغة هذا الطلب على اساس « التفاوض بين الحكومتين اللبنانية والسورية لوضع الترتيبات في ضوء الانسحاب الاسرائيلي من لبنان .

ولان موضوع « الصراع العربي ـــ الاسرائيلي » كان الموضوع المركزي في جدول اعمال القمة فقد قرر المؤتمر « تشكيل لجنة لاجراء اتصالات بالاعضاء الدائمين في مجلس الامن لمتابعة قرارات المؤتمر المتعلقة بالصراع العربي ـــ الاسرائيلي وللتعرف على موقف هذه الدول ومواقف الولايات المتحدة التي أعلنت في المدة الاخيرة في ما يتعلق بهذا الصراع ، على ان تعرض اللجنة نتائج اتصالاتها ومساعيها على الملوك والرؤساء في طريق منتظمة[1] .

ولقد تشكلت اللجنة من سبعة اعضاء (سورية ، السعودية ، المغرب ، تونس ، الاردن ، لبنان ، منظمة التحرير الفلسطينية) وباشرت اتصالاتها منذ ١٩٨٢/١٠/٢٢ ، وتمكنت من طرح وجهة النظر العربية

---

(٢) المصدر السابق .

من الصراع العربي ــ الاسرائيلي عامة ومن الوضع الناجم عن الغزو الاسرائيلي للبنان ، كما اطلعت على مواقف الدول الخمس الكبرى وتصوراتها لعملية السلام في المنطقة العربية .

وكانت العقبة الاساسية التي صادفتها في خلال عملها تتمثل في الموقف الامريكي المؤيد لاسرائيل والرافض للاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية وحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره السياسي واقامة دولته المستقلة على ترابه الوطني ، اضافة الى اصرار الولايات المتحدة على اعتبار كامب ديفيد السبيل الوحيد للسلام في المنطقة ، الامر الذي يؤكد ان الادارة الاميركية مصممة على استغلال نتائج الغزو الاسرائيلي للبنان الى ابعد الحدود ، بغية فرض الحلول التي تضمن مصالحها الاستراتيجية العليا على حساب الامة العربية ، وتؤمن في الوقت ذاته عدم المساس بالمصالح الاستراتيجية للدولة الصهيونية .

٣ ــ الموقف السوفييتي ومبادرة بريجنيف

يمكن القول إن الموقف السوفييتي من الغزو الاسرائيلي للبنان كان منبثقاً من موقف عام وشامل وهو موقف التأييد للحق العربي ، والمعاداة المطلقة للتوسع الامبريالي الصهيوني في المنطقة العربية ، اضافة الى المواقف المحددة التي برزت ، بشكل أو بآخر ، اثناء عمليات الغزو وما تلاها من مواقف واحداث .

وينبع الموقف السوفييتي من اهتماماته الاستراتيجية ومواقفه

الايديولوجية . فالسوفييت يفهمون تماماً مردود الصداقة الوطيدة بيهم وبين العرب ، كما يعرفون أنه ليس بوسعهم إغفال المخاطر الناجمة عن التحالف الاستراتيجي بين الولايات المتحدة ، واسرائيل ، وضرورة لجم هذه المخاطر باقامة تحالف ، أو علاقة متينة بينهم وبين جميع الدول العربية ، خاصة أن مثل هذا الموقف ، لا ينحصر في اطار التصدي للاستراتيجية الامريكية في المنطقة بل يتعداه الى تأكيد جوهر السياسة الخارجية التي ينتهجونها بشأن حق تقرير المصير لكافة الشعوب وارساء دعائم العدل والسلام بين الشعوب .

ويبدو مما نشرته وسائل الاعلام الغربية ، خلال الايام الاولى من الغزو ، ان الاتحاد السوفييتي كان يتوقع ان يتمخض الغزو عن ايجاد صيغة للوجود العسكري الامريكي على ارض لبنان ، مما يضر بالمصالح السوفييتية الاستراتيجية العليا . ولقد كان من الطبيعي ان تبدأ الصحف السوفييتية بفضح الدور الامريكي في عملية الاجتياح الاسرائيلي للبنان منذ اليوم الاول لتلك العملية ، اذ ذكرت ان الاجتياح هو « جزء من مخطط يهدف الى ضرب الثورة الفلسطينية وتجريدها من اهم اسلحتها ، بل من مبرر وجودها ، وهو الكفاح المسلح نص عليه اتفاق التعاون الاستراتيجي بين الولايات المتحدة واسرائيل[1] وان العدوان كان موضوع محادثات في اطار الاتفاقات العسكرية السرية بينهما[2] » .

في اليوم التالي لبدء عمليات الغزو « دان الاتحاد السوفييتي العدوان

(١) وكالة تاس ، نقلاً عن جريدة « النهار عدد ١٩٨٢/٦/٧ » .

(٢) المصدر السابق .

الاسرائيلي وطالب بانسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي اللبنانية . ودعا مجلس الامن الى اتخاذ اجراءات فورية في هذا المجال[1] » . وكتبت صحيفة (الازفستيا) ان بيغن « بدأ تنفيذ السيناريو المعد منذ امد بعيد بعد تصريح وزير الخارجية الامريكي ، الكسندر هيغ ، بان ساعة الولايات المتحدة في الشرق الاوسط قد دقت[2] » . وما اعلنته الصحيفة ، كان اشارة الى الموقف السوفييتي من الحرب ، باعتبارها اول مظهر تطبيقي لما نص عليه اتفاق التعاون الاستراتيجي بين الولايات المتحدة واسرائيل . ولهذا صدر عن الحكومة السوفييتية بيان بتاريخ ١٤ حزيران (يونيو) اكد أن « الاتحاد السوفييتي يدعم العرب بالافعال ، لا بالاقوال[3] » . غير ان هذا الدعم لا يعني اعفاء العرب ، من واجباتهم تجاه انفسهم . ولقد اشار الرئيس السوفييتي الراحل ، بريجنيف ، الى تلك الواجبات في حديث أدلى به الى جريدة « برافدا » وقال فيه « إن وحدة العرب تتسم في الوضع الراهن ، المتأزم فعلاً ، بأهمية بالغة ... وفي هذا الظرف ينبغي ، في اعتقادنا الراسخ ، ان يوضع جانباً كل ما يحول دون هذه الوحدة . وتزداد حيوية ووضوحاً في هذا المجال ضرورة أن يرسم العرب بصورة مشتركة الاجراءات اللازمة لضمان حق الفلسطينيين في الحياة والامن والتطور المستقل وبناء دولتهم المستقلة علي أرضهم[4] » وبالرغم من ان ما طالب به

---

(١) يوميات الحرب العربية الاسرائيلية الخامسة ص ١٣ .

(٢) جريدة « السفير » عدد ١٩٨٢/٦/٨ .

(٣) جريدة تشرين عدد ١٩٨٢/٦/١٥ .

(٤) مجلة « المدار » العدد ٢٣٥ .

بريجنيف يعتبر شأناً عربياً بحتاً ، الا ان تحقيق بعضه على الاقل ، يعطي امكانية هائلة للاتحاد السوفييتي ، الذي يحتاج الى غطاء عربي للقيام بدوره الكامل في ردع الغزو والغزاة ٠

ومع ان الدول العربية ، لم تفعل ما من شأنه توفير غطاء للدور السوفييتي في لبنان ، الا ان الاتحاد السوفييتي ظل على موقفه الداعم لسورية والثورة الفلسطينية ٠ ففي ٨/١ ، اصدرت وكالة « تاس » التي تعبر عن الموقف الرسمي السوفييتي بياناً أكدت فيه « أن الاوساط القيادية في الاتحاد السوفييتي تعتقد انه لا يجوز ارجاء اتخاذ تدابير فعالة لوضع حد للعدوان » وأضاف البيان « انه لامر ضروري ان يبحث مجلس الامن ، ويتخذ بأسرع وقت ممكن ، كل اجراءات التأثير التي ينص عليها ميثاق الامم المتحدة[١] » ٠ وفي اليوم التالي بعث الرئيس بريجنيف رسالة الى الرئيس ريغان قال فيها « ان الوضع بلغ من التفاقم بحيث يتطلب اتخاذ تدابير عاجلة للغاية » ، وكانت هذه الرسالة تؤكد ما ورد في رسالة سابقة وجه فيها الرئيس بريجنيف تحذيراً الى الرئيس ريغان ، من مغبة ارسال قوات امريكية الى لبنان « لان ذلك سيدفع الاتحاد السوفييتي الى اتخاذ موقف يتناسب مع الواقع الجديد[٢] » ٠

في ١٥ أيلول (سبتمبر) طرح الرئيس السوفييتي مبادرته التي تتضمن ستة مبادىء « يمكن على أساسها ضمان السلام الوطيد في الشرق الاوسط» وتقتضي هذه المبادىء :

---

(١) جريدة تشرين عدد ١٩٨٢/٨/٢ ٠

(٢) جريدة السفير عدد ١٩٨٢/٧/٦ ٠

١ ــ وجوب المراعاة الصارمة لمبادىء عدم جواز الاستيلاء على اراضي الغير عن طريق العدوان .. وهذا يعني أن تعاد الى العرب كافة الاراضي التي احتلتها اسرائيل منذ عام ١٩٦٧ اي مرتفعات الجولان والضفة الغربية وقطاع غزة ، والاراضي اللبنانية ، كما يجب ان تعلن حدود بين اسرائيل وجيرانها العرب ثابتة وغير قابلة للتغيير .

٢ ــ وجوب تأمين الحق الثابت للشعب الفلسطيني في تقرير مصيره واقامة دولة خاصة في الاراضي الفلسطينية التي سيتم تحريرها من الاحتلال الاسرائيلي ، أي الضفة الغربية لنهر الاردن وقطاع غزة ، كما يجب تمكين اللاجئين الفلسطينيين ــ وفقاً لقرارات الامم المتحدة ــ من العودة الى ديارهم او الحصول على تعويض مناسب لممتلكاتهم المتروكة .

٣ ــ يجب ان يعاد الى العرب الجزء الشرقي من مدينة القدس الذي احتلته اسرائيل سنة ١٩٦٧ ، والذي توجد فيه احد المقدسات الاسلامية والذي سيصبح جزءاً لا يتجزأ من الدولة الفلسطينية . ويجب أن تؤمن في مدينة القدس بأسرها حرية زيارة المؤمنين الى الاماكن المقدسة للاديان الثلاثة .

٤ ــ وجوب تأمين حق جميع دول المنطقة في الوجود والتطور السلميين والامنيين ، وذلك طبعاً ، بشرط مراعاة مبدأ التعامل بالمثل ، لانه لا يمكن ضمان البعض دون أمن الآخرين .

٥ ــ وجوب انهاء حالة الحرب واحلال السلام بين الدول العربية واسرائيل ، وهذا يعني ان على جميع الاطراف المشاركة في النزاع ،

وبضمنها اسرائيل والدولة الفلسطينية أن تلتزم بالاحترام المتبادل لسيادة واستقلال ووحدة اراضي بعضها بعضاً وبحل النزاعات الناشئة فيما بينها بوسائل سلمية وعن طريق المفاوضات .

٦ ـــ وجوب اعداد واقرار ضمانات دولية للتسوية ، ويمكن أن يقوم بدور الضامنين للتسوية مثلاً ، الاعضاء الدائمون في مجلس الامن الدولي أو مجلس الامن الدولي على وجه العموم[١] . .

وفي نفس اليوم الذي طرح فيه الرئيس بريجنيف مبادرته أعلن أن المبادىء الستة كانت وراء الاقتراح الذي طرحه يوم ٢٣ شباط (فبراير) ١٩٨١ ـــ اي لدى افتتاحه المؤتمر السادس والعشرين للحزب الشيوعي السوفييتي ـــ والمتضمن عقد مؤتمر دولي حول الشرق الاوسط . كذلك اعلن الرئيس بريجنيف انه يؤيد ما تبناه مؤتمر قمة فاس العربية من مبادىء مؤكداً بذلك عمق التزام الاتحاد السوفييتي بدعم الامة العربية في نضالها من اجل التحرر ، وتأييد المواقف التي تجمع الدول العربية على اتخاذها في مواجهة الغزوة الصهيونية .

٤ ـــ موقف الامم المتحدة

سجل ميثاق الامم المتحدة اهدافها تسجيلاً واضحاً موجزاً في مادته الاولى التي نصت على « المحافظة على السلام الدولي ، باتخاذ اجراءات جماعية للحيلولة دون أي شيء يهدد السلام ، ولقمع أي عدوان ولفض أي

---

(١) جريدة تشرين عدد ١٩٨٢/٩/١٦ .

نزاع قد يؤدي الى تهديد السلام » ومع ان للجمعية العامة للأمم المتحدة الحق في بحث جميع القضايا التي تدخل ضمن اهداف ميثاق الامم المتحدة وفي وضع توصيات حول هذه القضايا الا أن مجلس الامن الدولي هو الأكثر مسؤولية في صون السلام والامن الدوليين . وله أن يستمع الى شكاوى الدول الاعضاء وله وحده حق الفصل في المنازعات الدولية .

ويمكن للجمعية العامة أن توجه نظره الى أي وضع قد يعرض السلام للخطر .

وبالرغم من أن اسرائيل هي الدولة الوحيدة التي خلفتها الامم المتحدة بين دول العالم ، قاطبة فانها الدولة الوحيدة التي ضربت رقماً قياسياً في تجاهل قرارات الامم المتحدة وخرقها والخروج على ميثاقها وازدراء مبادئها . والامم المتحدة تعرف ذلك بل ان الجمعية العامة في قرارها الصادر بتاريخ ١٩٨٢/٢/٥ والقاضي بالطلب الى اسرائيل الغاء قرارها العدواني بضم الجولان اعلنت «أن سجل اسرائيل وتصرفاتها تؤكد أنها ليست عضواً محباً للسلام ، وانها لم تقم بواجباتها المترتبة عليها بموجب ميثاق الامم المتحدة[1] » .

وفوق ذلك كله فان قادة اسرائيل لم يكونوا ليترددوا ، بعض الاحيان في وصف قرارات الامم المتحدة بأنها « لا اخلاقية » وذلك من مواقع الصلف والبذاءة اللذين اشتهروا بهما .

وليست هناك حاجة الى تقديم الامثلة والشواهد والاثباتات بان

(١) نقلاً عن دراسات فتح عدد ٦٦ (آذار ١٩٨٢) .

الولايات المتحدة هي التي صاغت الموقف الاسرائيلي المعادي جذرياً للامم المتحدة ، وهي التي انفردت دون سائر دول العالم كله بالوقوف الى جانب اسرائيل ، متحدية بذلك اكبر منظمة دولية مسؤولة عن المحافظة على السلام وقمع اي عدوان .

في الخامس من حزيران ، أي قبل اجتياح القوات الاسرائيلية للبنان بيوم واحد ، وفي اعقاب اعمال القصف الهمجية للاماكن والمواقع المدنية في مختلف انحاء لبنان ، اقر مجلس الامن الدولي ، القرار رقم ٥٠٨ الذي تقدمت اليابان بمشروعه . وجاء فيه ان المجلس « اخذ العلم بالاتي :

اولاً ــ يحث كل أطراف النزاع على الوقف الفوري والمتبادل لكل النشاطات العسكرية داخل لبنان وعبر الحدود اللبنانية الاسرائيلية ، في وقت لا يتعدى الساعة السادسة بتوقيت لبنان من يوم الاحد السادس من حزيران .

ثانياً ــ يطلب من كل الاعضاء الذين هم في موقع يسمح لهم بذلك ان يمارسوا نفوذهم على المعنيين حتى يمكن احترام وقف العمليات العدائية (لاحظ هنا أن المقصودين هم الاميركيون) استناداً الى قرار مجلس الامن الدولي رقم ٤٩٠ .

ثالثاً ــ يطلب من الامين العام ، القيام بكل الجهود الممكنة لضمان تنفيذ هذا القرار وتطبيقه واعداد تقرير الى المجلس بأسرع وقت ممكن وبما لا يتعدى ٤٨ ساعة[1] .

---

(١) جريدة السفير عدد ١٩٨٢/٦/٧ .

ولم يمض يوم واحد ، حتى شرعت قوات الغزو باجتياح الاراضي اللبنانية ، وتجددت دعوة مجلس الامن الى الانعقاد ، حيث اصدر القرار ٥٠٩ وجاء فيه « ان مجلس الامن اذ يذكر بقراريه ٤٢٥ لعام ١٩٧٨ و ٥٠٨ لعام ١٩٨٢ ، واذ يشعر بالقلق الشديد ازاء الوضع ، كما وصفه الامين العام في تقريره الذي قدمه الى المجلس ، واذ يؤكد مجدداً الحاجة الى الاحترام الصارم لوحدة اراضي وسيادة لبنان واستقلاله السياسي داخل حدوده المعترف بها دولياً :

١ ـ يطلب من اسرائيل سحب جميع قواتها العسكرية فوراً وبدون أية شروط الى الحدود اللبنانية المعترف بها دولياً .

٢ ـ يطلب من جميع الاطراف التقيد التام بشروط الفقرة الاولى من القرار رقم ٥٠٨ التي دعتهم الى الوقف الفوري وفي آن واحد لكل النشاطات العسكرية داخل لبنان وعبر الحدود الاسرائيلية اللبنانية .

٣ ـ يدعو كافة الاطراف الى ابلاغ الامين العام قبولها للقرار الحالي خلال ٢٤ ساعة .

٤ ـ يقرر الاستمرار في وضع يده على الموضوع[1] . »

ورغم ان الولايات المتحدة لم تعترض على القرار ، بدليل صدوره ، فإنها عمدت الى استخدام حق النقض (الفيتو) خلال أقل من اربع وعشرين ساعة على مشروع قرار مطابق له قدمته اسبانيا ، ويطالب اسرائيل « بسحب قواتها من لبنان فوراً ودون قيد أو شرط وبإنهاء الاعمال الحربية في هذا البلد خلال ٦ ساعات » فيما صوتت الدول الاربع عشرة

(١) جريدة النهار عدد ١٩٨٢/٦/٨ .

الأخرى الى جانب المشروع . وهذا الموقف الغريب اتبعته الولايات المتحدة بموقف اشد غرابة . اذ لم يمض يوم واحد على رفض مشروع القرار الاسباني ، حتى أعلن الرئيس ريغان في ختام زيارته لبريطانيا وفور انفضاض اجتماعه برئيسة وزرائها تاتشر « اننا متفقان على القرار ٥٠٨ » .

اما عن الموقف الاسرائيلي ، فقد احاط الامين العام للامم المتحدة دي كويلار مجلس الامن في جلسته يوم ٨ حزيران علماً بأن اسرائيل ابلغته ان الانسحاب امر « لا يمكن التفكير فيه » ما لم توضع « ترتيبات ملموسة لحماية الاهداف الاسرائيلية من الهجمات من داخل لبنان » واعلن دي كويلار ان القيادة الفلسطينية ابلغت الامم المتحدة استعدادها للتقيد بالقرار رقم ٥٠٨ (القاضي بوقف اطلاق النار) .

في يوم ١٦ حزيران ، كشفت جريدة « واشنطن بوست » الامريكية اسباب تمسك الولايات المتحدة باستمرار الاحتلال الاسرائيلي « بأن الواقع الحالي في لبنان تتجاوز المعطيات التي ارتكز عليها قرار مجلس الامن رقم ٥٠٩ الذي طالب بانسحاب القوات الاسرائيلية[1] » وهذا يعني ان الولايات المتحدة تريد خلق واقع جديد على ارض لبنان استناداً الى معطيات الغزو ونتائج الاحتلال . وقد ظهرت اولى عناصر الواقع « الجديد » المشار اليه عبر رفض الولايات المتحدة لمشروع قرار تقدمت به فرنسا الى مجلس الامن يوم ٢٦ حزيران ويدعو الى انسحاب القوات الاسرائيلية والفلسطينية من بيروت الغربية ، كما يدعو الى مرابطة وحدة من

(١) جريدة تشرين عدد ١٩٨٢/٦/١٧ .

الجيش اللبناني في بيروت الغربية بالاضافة الى القوات الدولية ومراقبين للاشراف على تنفيذ وقف اطلاق النار ٠٠ وقد بررت مندوبة الولايات المتحدة في المنظمة الدولية جين كيركباتريك موقف بلادها بقولها « ان المشروع يحتوي على عناصر تعتبرها الولايات المتحدة ايجابية الا أنه لم ينص بطريقة تبعث على الارتياح بالنسبة الى الولايات المتحدة على شروط اجلاء القوات الفلسطينية وتسليم اسلحتها[1] » ٠

بعد تضييق قوات الغزو حصارها المضروب على بيروت وقطعها الماء والكهرباء عن المدينة أصدر مجلس الامن قراره رقم ٥١٣ تاريخ ٥ تموز تلبية لدعوة من الاردن ، الذي لم يحدد بالاسم قوات الغزو ولا قوات منظمة التحرير واكتفى بالاشارة « الى المبادىء الانسانية » لمواثيق جنيف ، ودعا الى « احترام حقوق السكان المدنيين دون تمييز[2] » ٠

واثر اشتداد القصف الوحشي الاسرائيلي لبيروت اصدر مجلس الامن قراره رقم ٥١٥ بتاريخ ٢٩ تموز ويقضي بأن ترفع القوات الاسرائيلية حصارها المضروب حول بيروت وبعد ثلاثة ايام اصدر المجلس قراره رقم ٥١٦ الذي يؤكد قراراته السابقة ويطالب بوقف نار فوري وبوقف كل النشاطات العسكرية على الاراضي اللبنانية ويسمح للامين العام للامم المتحدة « بنشر فوري ، وبناء على طلب من الحكومة اللبنانية ، لمراقبين من الامم المتحدة لمراقبة الوضع في بيروت وحولها[3] » ٠

(١) دراسات فتح عدد ٦٦ (اذار ١٩٨٢) ٠

(٢) جريدة القبس الكويتية عدد ١٩٨٢/٧/٦ ٠

(٣) جريدة تشرين غدد ١٩٨٢/٨/٢ ٠

وفي ٣ آب دعا مجلس الامن ، مجدداً ، وبالاجماع ، الى وقف اطلاق النار فوراً في لبنان وجاء في نص القرار « أن مجلس الامن اذ يعرب عن قلقه البالغ ازاء استمرار العمليات العسكرية في لبنان، خاصة في بيروت وحولها :

١ ــ يدعو اسرائيل وكافة اطراف النزاع الى الالتزام بدقة بنصوص قرارات مجلس الامن المتعلقة بالوقف الفوري لكافة العمليات العسكرية في لبنان وخاصة في بيروت وحولها .

٢ ــ يدعو الى رفع الحصار عن مدينة بيروت فوراً بصورة تسمح بدخول الامدادات اليها وتلبية الاحتياجات الضرورية للسكان المدنيين فيها .

٣ ــ ويطالب مراقبي الامم المتحدة الموجودين في بيروت وحولها بتقديم تقارير عن الوضع .

٤ ــ يدعو اسرائيل الى التعاون التام مع الجهود الرامية الى تحقيق انتشار فعلي لمراقبي الامم المتحدة بالشكل الذي تطلبه الحكومة اللبنانية وبما يضمن سلامتهم .

٥ ــ يقرر الدعوة الى الاجتماع اذا دعت الحاجة لدراسة الموضوع بناء على مضمون تقرير الامين العام[١] .

لقد اظهر موقف الامم المتحدة من الغزو الاسرائيلي للبنان ، ان الولايات المتحدة استطاعت أن ترسم حدوداً بالغة الضيق لحركة مجلس الامن الدولي ــ عبر استخدام الفيتو ــ والمنظمة الدولية مما أدى الى

---

(١) جريدة الانباء الكويتية عدد ١٩٨٢/٨/٤ .

تعطيل تنفيذ قرارات الامم المتحدة وشل الارادة الدولية ومنح الدولة الصهيونية الفرصة لمتابعة العدوان في لبنان دون رادع ، ورفض الانسحاب من الاراضي اللبنانية بعد توقف القتال في ١٢/٨/١٩٨٣ .

الفصل الخامس عشر

نظرة موضوعية الى الغد

١ ــ محاولات احتواء الثورة الفلسطينية وتدجينها ٠

٢ ــ تمسك القطر العربي السوري بمواقفه القومية والمبدئية ٠

٣ ــ مستقبل الثورة الفلسطينية واساليب نضالها في المرحلة القادمة ٠

٤ ــ اضواء حول مستقبل الصراع العربي ــ الصهيوني ٠

١ ــ محاولات احتواء الثورة الفلسطينية وتدجينها

قبل الحديث عن محاولات احتواء الثورة الفلسطينية وتدجينها ، لا بد من استعراض سريع للعوامل الاساسية المؤثرة على العلاقات الفلسطينية العربية بعد حرب لبنان .

تجتاز العلاقات العربية الفلسطينية بعد الغزو الاسرائيلي للبنان مرحلة دقيقة ومعقدة نظراً لما خلفته من ذيول وما تمخضت عنه من انعكاسات لا تزال كامنة ، على الصعيدين العسكري والسياسي .

لذلك قد يكون من العسير ، في الظروف الراهنة ، التكهن بكافة جوانب هذه العلاقات المحتملة في المرحلة المقبلة ، خاصة ان الحرب في لبنان قد اعادت خلط الاوراق على الساحتين العربية والدولية مما قد يفسح المجال امام عدد من الاحتمالات الجديدة وغير المتوقعة .

الا ان هناك عوامل اساسية مؤثرة في المرحلة الراهنة يمكن تلخيصها كما يلي :

آ ـ استمرار الالتزام العربي بالقضية الفلسطينية

لم يتأثر التزام الجماهير العربية بهذه القضية القومية المصيرية من جراء غزو لبنان ، رغم الطروحات المشبوهة ، التي نراها ترتسم في الافق هنا وهناك ، ورغم المشاريع الاستسلامية والتخاذلية التي تدور في الاطارين العربي والدولي من اطراف تحاول احتواء الثورة الفلسطينية وتجريدها من اهم اسلحتها ، بل من مبرر وجودها ، وهي الكفاح المسلح والوحدة الوطنية وارادة القتال واستقلالية القرار .

ولا شك في ان لهذا الالتزام جذوره التاريخية والعقائدية والعسكرية والسياسية ، مما يجعل من القضية الفلسطينية احدى الحلقات المركزية التي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بآمال الشعب العربي وامانيه في كل مكان طوال نصف القرن الاخير .

مهما كانت الخلافات العربية او مدى التباين في الآراء داخل الصف العربي ، فان استمرار الالتزام العربي بالقضية الفلسطينية يؤمن استمرار المكانة الخاصة لها على صعيد السياستين المحلية والدولية . وتجدر الاشارة هنا الى محاولات الولايات المتحدة المتكررة للقفز فوق القضية الفلسطينية ودفعها الى المرتبة الثانية من سلم الاولويات السياسية والاستراتيجية .

ب ـ التقصير الكبير

تتميز العلاقات العربية الفلسطينية بعد حرب لبنان بشعور عربي

عام بالتقصير والعجز حيال ما جرى على الساحة اللبنانية ، حيث وقفت الجماهير العربية حائرة حيال ذلك الصمت المهيمن الذي لاذ به « الاشقاء » في الوقت الذي كان فيه مقاتلو قوات الردع العربية السورية والثورة الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية يخوضون معركة الشرف والكرامة ضد الغزو الصهيوني الهمجي المزود بأحدث ما انتجته الترسانة الاميركية من سلاح وعتاد .

وقد اعترف العدو قبل الصديق بضراوة المقاومة التي صادفها وبالخسائر الكبيرة التي تكبدها رغم الخلل الكبير في ميزان القوى لصالحه في البر والبحر والجو . صحيح ان الحروب تقدر بنتائجها كما يقولون ، ولكن وقفة الشرف تكون هدفاً بحد ذاتها في بعض الاحيان . وقد قال الشاعر العربي عمر ابو ريشة :

« شرف الوثبة ان ترضي العلا   غلبَ الواثب ام لم يغلب »

صحيح ان الدول العربية لم تكن مستعدة لخوض حرب مع اسرائيل لان القوى العربية الرئيسية قد اعتبرت منذ مدة ان ميزان القوى في المنطقة لا يسمح بخوض مثل هذه المواجهة في المرحلة الراهنة وما فيها من تصدع خطير في الصف العربي ، الا انّ الحرج بلغ اشده بعد حصار بيروت وحرب الابادة التي شنتها اسرائيل ، بينما معظم الوطن العربي واقف يتفرج دون ان يمارس أي تأثير على العدو الغاشم او حتى على حليفته الولايات المتحدة من قبل اصدقاء امريكا من الانظمة العربية . وهكذا ظهرت فجوة معنوية ونفسية هائلة بين موقف المقاتلين الابطال في بيروت ، من سوريين وفلسطينيين ولبنانيين وطنيين ، وبين موقف العجز العربي الذي

اثار الف علامة استفهام ، وخلف في نفوس الفلسطينيين ، بل لدى المواطن العربي في كل مكان شعوراً عميقاً بالغضب والمرارة وخيبة الامل ٠

وهكذا ، فقد خلق غزو لبنان معادلة معنوية نفسية عربية فلسطينية دقيقة ، قد تسمح باعطاء المقاومة الفلسطينية حرية عمل معينة من جهة ، وبالتجاوب العربي مع المتطلبات السياسية والمالية والعسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية من جهة اخرى ٠ الا ان بوادر كثيرة تشير الآن الى ان الشعور بالتقصير لن يدوم طويلاً حسب التطورات على الساحة الفلسطينية الداخلية ، وحسب الاتجاه العام للتحركات السياسية في المنطقة ٠

ج ـ الاتجاه العام نحو ايجاد حل للصراع العربي ـ الاسرائيلي

لعل من اهم العوامل المستجدة على العلاقات العربية ـ الفلسطينية منذ غزو لبنان ، اتفاق معظم الاطراف العربية وقوى الثورة الفلسطينية على شكل الحل المبدئي المطلوب لانهاء الصراع مع اسرائيل ٠

وعلى الرغم من ان الموقف العربي الجديد كما تبلور في فاس هو اقرب الى اعلان مبادىء من برنامج عمل ، يبدو من الواضح ان الاتجاه العام للتحركات العربية في المرحلة المقبلة يميل نحو تطوير وسائل العمل الدبلوماسية والسياسية اكثر من ميله نحو الخيارات العسكرية في المرحلة الراهنة على الاقل ٠

وضمن هذا الاطار العام للتوجهات العربية ، تبرز معادلتان هامتان على صعيد العلاقات العربية ـ الفلسطينية :

(١) تحتاج الدول العربية الى قبول منظمة التحرير الفلسطينية واقتناعها بصيغة السلام المطروحة حتى يمكن الوصول الى حل شامل ونهائي للصراع مع اسرائيل . ومن البدهي انه سيكون من الصعب جداً على اية دولة عربية انَ تنفرد بحل سياسي مرفوض من قبل منظمة التحرير . وقد اكدت مؤامرة « كامب ديفيد » السيئة الذكر ، كما اكدت تجربة مصر في محادثات الحكم الذاتي استحالة الوصول الى حل منفرد للقضية الفلسطينية .

(٢) كذلك تحتاج منظمة التحرير الفلسطينية نفسها الى الدعم والمؤازرة العربية للوصول الى اهدافها المشروعة في آلتحرير والعودة. واقامة الدوله الفلسطينية المستقلة على التراب الفلسطيني .

وهكذا ، فقد تميل اراء في منظمة التحرير الى ضرورة التنسيق او اقامة العلاقات الخاصة مع بعض الدول العربية ، وبالاخص تلك التي تستطيع تقديم الدعم المادي الكبير والتي يعتقد بانها تستطيع التأثير على قوى عالمية رئيسية كالولايات المتحدة التي لا تزال ترفض الاعتراف بالمنظمة ولا تقيم العلاقات الرسمية المباشرة معها .

من هنا قد تمر الدبلوماسية الفلسطينية بمرحلة حرجة عبر عقبات كثيرة داخلية وخارجية ، لذلك من المرجح ان تعود لممارسة مهمتها التقليدية في السعي للتوفيق بين مختلف الاتجاهات مع الحرص على عدم ظهور علاقات عربية فلسطينية ثنائية تبدو وكأنها على حساب الاطراف العربية الاخرى . ولا شك في ان هذه المهمة تعتبر الان اكثر اهمية والحاحاً من اي وقت مضى .

د ــ الاستقلالية الفلسطينية

لعل من اهم المؤثرات على العلاقات العربية الفلسطينية هو عامل الاستقلالية الفلسطينية والسعي الفلسطيني الدائم من اجل حرية القرار والعمل . ولكن الواضح ان منظمة التحرير الفلسطينية لا تعمل في معزل عن التأثيرات العربية ، والعكس بالعكس . وقد تلعب هذه التأثيرات دوراً هاماً في تحديد وجهة السياسة الفلسطينية في المرحلة المقبلة . خاصة ان غزو لبنان قد افرز انتشاراً فلسطينياً جديداً داخل الساحة العربية . وفي جميع الاحوال ، سيصعب على القيادة الفلسطينية في المرحلة القادمة كما في المراحل السابقة اتخاذ القرارات السياسية او العسكرية دون ان تأخذ بعين الاعتبار طبيعة ردود الفعل العربية المحتملة عليها . ويمكن القول ان العلاقات الفلسطينية العربية واستقلالية القرار الفلسطيني تتأثر اساساً بالعاملين التاليين :

(١) الوجود الفلسطيني ــ البشري (الديموغرافي) داخل الاقطار العربية المختلفة

يشكل هذا الوجود في الواقع ثقلاً فلسطينياً حيوياً تستمد منه منظمة التحرير بعض قوتها السياسية والعسكرية . وقد تشكلت القاعدة المركزية للنضال الفلسطيني في العقدين الماضيين ، منذ انطلاقة الثورة

الفلسطينية ، من السكان الفلسطينيين داخل البلاد العربية ، ولا بد من التنويه هنا ببعض الصعوبات ، الكامنة او الفعلية ، مع السلطات المضيفة في بعض البلدان ، منها ما يتعلق بالاوضاع المعيشية للسكان الفلسطينيين ، ومنها ما يتعلق بالتناقض احياناً بين مقتضيات حركة ثورية ومستلزمات الامن والسلطة في هذا البلد او ذاك .

وهكذا يمكن القول ان الوجود البشري الفلسطيني في الاقطار العربية يؤثر على هذه البلدان ويتأثر بها في آن واحد .

(٢) الامتدادات العربية داخل منظمة التحرير الفلسطينية

تتأثر سياسات منظمة التحرير من جزاء وجود امتدادات لبعض الدول والتيارات السياسية العربية داخل بنيتها السياسية والعسكرية .

وهذا يعني ان على قيادة هذه المنظمة ان تأخذ بعين الاعتبار وزن هذه الامتدادات ، ليس على الصعيد الفلسطيني الداخلي فحسب ، بل كذلك فيما يتعلق بعلاقتها مع القوى العربية المعنية . وبتعبير آخر ، فإن الامتدادات العربية داخل منظمة التحرير تعطي بعض القوى العربية القدرة على التأثير المباشر في عملية صنع القرار الفلسطيني . وليس هناك ما يرادف هذه القدرة في التأثير على سياسات الدول العربية من جهة المقاومة الفلسطينية سوى التزام بعض الجهات او القوى السياسية بالخط السياسي العام الذي تطرحه منظمة التحرير . وقد تستطيع المقاومة في بعض الاحيان ان تؤثر على سياسة بعض الدول العربية من خلال بناء

العلاقات الخاصة مع قوى شعبية معينة (كما جرى بالنسبة للقوى الوطنية في لبنان على سبيل المثال) .

هـ ــ العامل العسكري

مهما كانت الخيارات الجديدة المفتوحة امام الثورة الفلسطينية في المرحلة القادمة ، فلا يوجد ادنى شك في ان هناك اجماعاً فلسطينياً واضحاً على عدم ترك البندقية والاستعاضة عنها بالياقات المنشاة . ومن المعروف ان الثورة الفلسطينية تمتلك قواعد ومؤسسات ومنشآت عسكرية على اراضي عدد من الدول العربية ، مما يجعل من هذه الدول هدفاً محتملاً للعدو في حال تجدد الصراع المسلح الفلسطيني ــ الاسرائيلي في مرحلة لاحقة .

ويمكن القول ان السعي الفلسطيني نحو الحصول على حرية العمل العسكري انطلاقاً من الاراضي العربية كان من العوامل الحيوية التي اثرت على طبيعة العلاقات الفلسطينية العربية في الماضي ، والتي قد تعود لتؤثر عليها في المستقبل القريب . ولعل من المبهمات التي قد يصعب توقع نتائجها في الوقت الحاضر ، موقف الدول العربية الجديدة المستضيفة للمقاومة في حال اعادة تحريك الخيار العسكري الفلسطيني او قيام اسرائيل بالمبادرة بضرب الاهداف الفلسطينية على اراضيها . وليس من المستبعد ان تمر العلاقات الفلسطينية مع بعض هذه الدول العربية بمراحل صعبة او حرجة ، قبل ان يصل الطرفان الى الاتفاق حول صيغة التعايش .

يستنتج من هذا الاستعراض السريع للعوامل المؤثرة على العلاقات العربية الفلسطينية ان التفاعل المتبادل حتمي بين الامة العربية وقوى الثورة الفلسطينية التي تظل طليعة من طلائع النضال العربي ضد الهجمة الصهيونية الشرسة على الوجود العربي كله . فهي قوية بأمتها والامة قوية بها وبكافة الطلائع الثورية والقوى التقدمية في كل مكان .

لذلك لا بد ، امام دماء آلاف الشهداء من قول الحقيقة وتوجيه اصبع الاتهام الى تلك الاطراف التي تحاول تضخيم حجم الهزيمة العسكرية وتوظيف الوهن النفسي لاضعاف روح المقاومة في صفوف الثورة الفلسطينية في محاولة لاحتوائها وتدجينها بغية تمرير الحلول الاستسلامية .

ولا شك في ان الدعوة للاعتدال والاتزان والعقلانية تعتبر فضيلة عندما توجه الى الاقوياء والمنتصرين ، ولكنها تعتبر ضعفاً قد ينحدر الى مستوى التآمر عندما توجه الى من خسروا كل شيء ووضعوا نصب اعينهم الشهادة او العودة والتحرير .

لم يعد يخفى على احد ان الصمت خلال غزو لبنان كان صمت الانظمة لا الشعوب ، كما كانت معركة بيروت هزيمة شنعاء للذين دفنوا رؤوسهم في الرمال وليس للذين قاوموا وصمدوا واستشهدوا .

ولعل من المفيد الآن ان نلفت الانظار الى بعض البوادر والمؤشرات الخطيرة للمحاولات المشبوهة الجارية الآن من اجل احتواء الثورة الفلسطينية وتدجينها . وهي كلها مدانة سواء صدرت عن حسن نية او لغاية في نفس يعقوب .

نحن لا نريد هنا الوقوع في شرك المهاترات او دمغ الآخرين بالخيانة

المتعمدة ، خاصة في هذه الظروف العصيبة التي تعيشها الامة العربية وهي احوج ما تكون لرأب الصدع ورص الصفوف . الا ان السكوت عن الخطأ ، في هذه المرحلة المصيرية ، جريمة اكثر خطورة من الوقوع في الخطأ نفسه .

لذلك نورد فيما يلي اهم ما يشكل في رأينا محاولات او بوادر من شأنها احتواء الثورة الفلسطينية وتدجينها في الوقت الذي تحتاج وتستحق كل دعم وتأييد على كافة الصعد ، العسكرية والسياسية والدبلوماسية والمعنوية :

(١) تشتيت المقاتلين الفلسطينيين

بعد خروجهم من بيروت وتوزيعهم بعيداً عن خطوط المواجهة المباشرة مع العدو لاقناعهم بعدم وجود قاعدة مادية للصراع المسلح من جهة ، ولاضعاف السيطرة والقيادة المركزية لمنظمة التحرير من جهة ثانية . ولا شك في ان هذا كان هدفاً اساسياً من اهداف الغزو الصهيوني الامبريالي للبنان .

(٢) محاولات الايقاع بين سورية وقيادة الثورة الفلسطينية

لحرمان المقاومة من اهم قاعدة متاحة للصراع مع العدو الصهيوني . الا ان وعي المناضلين سيقضي على كافة محاولات الدس والوقيعة كما فعل في الماضي ، لان وحدة النضال السوري الفلسطيني تستند الى اسس تاريخية وموضوعية اهمها :

— كانت سورية دائماً شريكة الدم في النضال الفلسطيني . وبحكم الموقع والانتماء والتاريخ والعقيدة ، ظلت قضية فلسطين تشغل السوريين مثلما تشغل الفلسطينيين .

— ان الثورة الفلسطينية قد انطلقت من ارض سورية ، والثوار يعرفون انه مر وقت كان فيه السلاح يجمع من ايدي المقاتلين السوريين ليسلم الى قوات الثورة الفلسطينية .

— في عهد الانتداب الفرنسي ، قدمت سورية لفلسطين ابناً عظيماً من ابنائها هو الشيخ عز الدين القسام ليقود الثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦ .

وفي عهد الاستقلال ، قدمت سورية معظم قادة جيش الانقاذ وجنوده . وفي كافة الحروب ، كانت سورية هي التي تحمل العبء الاكبر من التضحيات . وأخيرا في حرب لبنان ، كانت الوحيدة التي قاتلت مع الثورة الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية .

— الشعور المتبادل بوحدة الهدف والمصير ، والترابط الوثيق في المصالح المشتركة .

— كذلك كانت الثورة الفلسطينية ولا تزال طليعة من طلائع النضال العربي ، تقف بعناد في وجه الهجمة الصهيونية الشرسة على الامة العربية ، كما قدمت آلاف الشهداء على درب الكفاح الطويل بحكم موقعها مع سورية في الخندق الاول من جبهة الصمود والتصدي .

(٣) النفاق المصري المفضوح

في الواقع ، لا يخفى على احد الدور « المسرحي » الذي حاول النظام المصري تمثيله امام الامة العربية عامة والشعب الفلسطيني ، خاصة عندما استدعى سفيره من اسرائيل وحاول الظهور بمظهر الغيور على المصلحة الفلسطينية وهو الذي باعها كما باع القضية العربية كلها بأبخس الاثمان .

لقد سعى من وراء ذلك الى التسرب داخل صفوف الثورة الفلسطينية وكسب ثقة الجماهير العربية ، ليس عن شعور بالذنب او رغبة في العودة الصادقة الى معسكر النضال العربي ، وانما لجر الامة العربية كلها الى مستنقع كامب ديفيد .

(٤) محاولات الهاء المقاومة بالعمل السياسي والتخلي عن العمل العسكري :

الا ان تجربة الشعب الفلسطيني قد اثبتت ان لا اهتمام بقضيته ولا تأثير لكفاحه دون النضال المسلح . وهذه قضية تدركها جيداً كافة الشعوب التي ناضلت عبر التاريخ ضد الغزو والاحتلال . وقد ثبت ان عدونا يؤمن بان حق القوة هو افضل من قوة الحق . وها هي الغالبية العظمى من قادة الثورة الفلسطينية تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك على انها ستستمر في العمل السياسي ولكنها لن تتخلى عن البندقية .

(٥) دور النظام الاردني

لقد حاول النظام الاردني جاهداً الانفتاح على بعض فصائل المقاومة ، ليحل محل الشعب الفلسطيني كله وليتحدث باسمه .

ولا شك في ان الامبريالية الامريكية والصهيونية تسعيان لاذابة الوجود الفلسطيني ضمن الكيان الاردني ، والخلاص نهائياً من هذه الشوكة التي تقض مضاجع الامبرياليين وعملائهم .

ولا بد من القول هنا ان اي شكل من اشكال الوحدة بين اية اطراف عربية يظل مطلباً عزيزاً وامنية غالية . والشعب العربي الفلسطيني ، عندما يستعيد حقوقه ويشكل دولته المستقلة على تراب وطنه ، يصبح حراً في ان يتحد مع من يشاء ، وبالشكل الذي يشاء . واخيراً ، لا بد من التنبيه الى خطر جديد ــ قديم يحاول الالتفاف على الثورة الفلسطينية : وهو محاولات استدراج منظمة التحرير للاعتراف المسبق باسرائيل بهدف التوصل الى دخول الولايات المتحدة في حوار مباشر معها ، لان كافة الدلائل تؤكد ان هذا الاعتراف سيكون من جانب واحد ، فاسرائيل قد اعلنت مراراً وتكراراً عن تصميمها على عدم الاعتراف بما تسميه « منظمة التخريب » .

في الختام ، لا بد من القول ان محاولات احتواء الثورة الفلسطينية وتدجينها ستبوء بالفشل ، سواء جاءت من خارج الوطن العربي او من داخله ، لان الشعب العربي الفلسطيني الذي قدم آلاف الضحايا طوال مسيرته النضالية المشرفة ، لن يرضى ولن يسمح لاحد بأن يحرفه عن اهدافه

الثابتة والمبدئية في حق تقرير المصير وفي تشكيل الدولة الفلسطينية المستقلة على التراب الوطني ۰

اضف الى ذلك ان الشعب العربي كله يقف بالمرصاد ، لان القضية الفلسطينية هي ايضاً قضيته الاولى التي بذل في سبيلها الكثير الكثير من التضحيات والدماء على طريق الصراع الطويل مع الصهيونية وحماتها من الامبرياليين ۰

٢ ــ تمسك القطر العربي السوري بمواقفه القومية والمبدئية

تتميز علاقات سورية ولبنان بأنها علاقات شقيقين توأمين ۰ وما ظاهرة غياب التمثيل الدبلوماسي بين البلدين آن يصطحب معه اوراقه الثبوتية الشخصية لينتقل الى البلد الآخر وكأنه يتحرك داخل بلده ۰

وطيلة سنوات الاستقلال قبل نحو اربعين عاماً ، كان هذا الوضع المتميز في العلاقات السورية اللبنانية اطاراً لنشاط اقتصادي حافل ومنفعة متبادلة لعب فيه لبنان دور بوابة سورية الى السوق التجارية العالمية ، كما لعبت فيه سورية دور ساحة التصريف والممر الى ساحات اخرى في المشرق العربي ، خاصة بعد ان اصبحت بيروت اهم مرفأ تجاري على الشاطىء الشرقي للمتوسط بفقدان حيفا ويافا أهميتهما بعد الاحتلال الصهيوني ۰

في العقدين الاخيرين ، وبتصاعد الصراع العربي الصهيوني ، الذي

تعتبر سورية ساحته الرئيسية ، بل الوحيدة في احيان كثيرة ، شكل لبنان ثغرة في الاستراتيجية الدفاعية السورية بسبب ضعف امكانياته العسكرية من جهة ، ونتيجة الارتباطات المشبوهة لبعض فئاته من جهة اخرى .

وفي مرات عديدة شكل لبنان ممراً للطائرات الحربية الاسرائيلية المغيرة على سورية الوسطى والساحلية وحتى دمشق .

ومن المحتمل ان تكون الغارة الاسرائيلية على مطار بيروت الدولي في ١٩٦٨/١٢/٢٨ قد لعبت دوراً هاماً في دفع القوى الوطنية اللبنانية للمطالبة بتعزيز الدفاع الوطني والتخلي عن الشعار المضلل القائل إن « قوة لبنان في ضعفه » في منطقة تتأجج فيها نيران العدوان وتهب عليها باستمرار رياح الاطماع الامبريالية والصهيونية .

وحتى ابان الاستعداد السوري لحرب تشرين التحريرية سنة ١٩٧٣ ، حرصت سورية على ان تبقي لبنان خارج ساحة الصراع ، مراعاة منها لتوازناته الداخلية الحساسة ، التي تعتبر من علائم ما يسمى « الخصوصية اللبنانية » .

بيد ان السنوات التي تلت حرب ١٩٧٣ ، شهدت هزة عميقة اصابت « الخصوصية اللبنانية » هذه ، بعيداً عن أي تأثير سوري او ارادة سورية ، لانها نجمت عن الصراع الاجتماعي بين المتضررين والمنتفعين من العملية الاقتصادية اصل « الخصوصية اللبنانية » .

وقد اضيف الى هذا الاضطراب عامل آخر بدأ يتنامى منذ مذبحة ايلول ١٩٧٠ وجرش وعجلون ١٩٧١ في الاردن ، حيث لجأت غالبية قوى منظمة التحرير الفلسطينية الى لبنان . عندئذ اخذ الاعتماد يتزايد من

القوى الوطنية على قوات منظمة التحرير التي وجدت في هذه القوى حليفاً طبيعياً وغطاءً سياسياً لا يمكن تجاهلهما .

وفي ايار من عام ١٩٧٣ ، حين اثبتت اجهزة الدولة اللبنانية عجزها الثاني أمام غارة فردان ، بعد عجزها الاول حيال الغارة على المطار عام ١٩٦٨ ، وجدت المقاومة الفلسطينية نفسها ملزمة ، دفاعاً عن النفس ، لان تطور اعتمادها على نفسها في الحفاظ على امنها ووجودها ؛ وان تطور بالتالي تحالفها السياسي بطبيعة الحال .

اضف الى ذلك انه لوحظ تصاعد تحالفات سياسية وعسكرية بين قوى لبنانية اخرى و « اسرائيل » ، الامر الذي جعل من الدولة اللبنانية الفريق الاضعف ، ومهد السبيل امام حرب اهلية، وجاءت مجزرة عين الرمانة في ١٣/٤/١٩٧٥ ، ايذاناً باشتعالها ونذيراً بعواقب وخيمة على مستقبل لبنان والمنطقة .

ازاء الوضع الجديد الناشيء والمتفاقم ، كانت جميع القوى والدول العربية والاجنبية ذات المصالح في لبنان ، تستطيع الاكتفاء باصدار بيانات الشجب والاستنكار ، باستثناء سورية . فخاصرة سورية كانت تلتهب ، وامنها القومي يتهدد بمضاعفات حرب بلا ضوابط ولا حدود ، علاوة على تهديد امن الثورة الفلسطينية وامن لبنان ووجوده . أمام تعثر الدولة اللبنانية وعجزها عن التحكم بمجرى الامور وعن وقف نزيف الدم المرعب ، استنجدت بسورية الجارة والمصير والمشترك . لذلك كان لا بد للقطر العربي السوري وهو السباق دائماً في المواقف القومية والمبدئية ، من ان يلبي النداء فوراً وهو مدرك تماماً صعوبة المهمة وحجم التضحيات .

وقد عانت سورية الامرّين طوال سنوات المحنة ولا تزال . ويمكن تلخيص هذه المعاناة بردها الى حقلين :

الاول : حقل حسابات القوى اللبنانية المتضارب تبعاً لتضارب مصالح القوى الاجتماعية ، المنتفعة والمتضررة من « الخصوصية اللبنانية » .

والثاني : حقل امتداد الصراع العربي ـــ الصهيوني وتحالفاته وامتداداته الى لبنان كساحة لاستنزاف سورية واغتنام فرصة وجودها في لبنان لطعنها كقوة وحيدة باقية بعد ردة السادات ومؤامرة كامب ديفيد .

وقد بذلت سورية كل ما تستطيع ، وهي تتعامل مع حقلي الاستنزاف في لبنان ، لتجنب كارثة في اي منهما ، قد تعود على مستقبل معركتها المصيرية القومية بالضرر الخطير .

وهكذا رسم القائد الاسد سياسة سورية في لبنان على اساس ايصال اللبنانيين الى وفاق وطني يحقن الدماء ويسد الطريق امام الذرائع العديدة التي تعدها اسرائيل للتدخل في شؤون لبنان الداخلية لما فيه مصلحتها ومصلحة الامبريالية الاميركية .

كما اعطت سورية الاولوية في هذه السياسة لضرورة وقف نزيف الدم .

الا ان المراوغات المبيتة والمدروسة كانت تعيق كل جهد مخلص لتحقيق الوفاق الوطني المنشود .

من هذه المراوغات :

أ ـــ ربط الازمة اللبنانية بأزمة الشرق الاوسط بتعسف وصل حد رهن اي

خلاف حول الوفاق الوطني اللبناني بحل ازمة الصراع العربي ــ الصهيوني ..

ب ــ القاء مسؤولية تفجير الموقف الامني ، بعد اي نجاح تحرزه الجهود السورية الحثيثة لتحقيق الوفاق او على طريقه ، على عاتق « طرف ثالث » مجهول الهوية ، مبهم الملامح ...

بيد ان السنوات القليلة الاخيرة قد اوضحت انه يكمن وراء هذين النوعين من المراوغة جهد منظم ، اشتركت فيه جهات دولية وعربية ، للنيل من سورية والخلاص من آخر شوكة في حلق الامبريالية الصهيونية الاميركية .

فبعد عودته من القدس المحتلة عام ١٩٧٧ ، « تنبأ السادات بأن الدم سيسيل مجدداً في سورية ولبنان » . ثم تبين بالأدلة القاطعة ان ما قاله السادات لم يكن « نبوءة » ، بل كان تعبيراً عن مخطط متعدد الاطراف ، هدفه الرئيسي اضعاف قدرة سورية على مقاومة التشكيل الجديد للتحالف المشبوه في الشرق الاوسط ، الذي نجم عن سياسة الركوع والاستسلام بعد كامب ديفيد .

ولا شك في ان المخطط الامبريالي ما زال في استنزاف سورية واضعاف المقاومة الفلسطينية وروح النضال العربي في كل مكان . وقد بدأت ملامح هذا المخطط تتوضح اكثر فأكثر في جهد منسق ، سياسي دولي وعربي ، وعسكري اسرائيلي :

فها هي الضغوط تمارس على سورية من قبل بعض الاطراف العربية والدولية لسحب قواتها من لبنان ، وها هي الدسائس تحاك للايقاع بين

سورية والمقاومة الفلسطينية لحرمان هذه الاخيرة من آخر قاعدة لها للنضال الحقيقي ، وها هي اسرائيل الغازية تشعل فتيل حرب طائفية جديدة في لبنان ، لكي تجد مبرراً لبقائها في الارض العربية ولتتحين الفرص او تخلقها لفرض ارادتها على لبنان وارغامه على توقيع معاهدة سلام معها .

الا ان سورية قاومت ، ولا تزال ، هذا المخطط وافرازاته ، التزاماً منها بميثاق الدفاع العربي المشترك ، ولان لبنان هو خاصرتها الغربية التي لا مناص من تطبيب تقرحها رغم كل المعوقات . ولا شك في ان سورية ومعها الجماهير العربية المناضلة ، داخل الوطن المحتل وخارجه ، ستتصدى بكل امكاناتها وطاقاتها لمخططات العدو ومشاريع الذل والاستسلام ، معتمدة على قوتها الذاتية وايمان شعبنا بالانتصار مهما بلغت التضحيات . ولن يتراجع قطرنا الصامد عن مواقفه المبدئية الثابتة والتزاماته القومية المقدسة ، وفي طليعتها القضية الاصل ، قضية شعبنا العربي الفلسطيني ، رغم تخاذل الرجعية العربية وتواطؤ العملاء .

لقد تصور قادة واشنطن وتل ابيب ان الغزو الهمجي الفاشي للبنان وما رافقه من حملات ابادة وقتل وتجويع سينهي الى الابد قضية فلسطين وحقوق ابنائها . ولكن ارادة الصمود العربي ، التي جسدها المقاتلون السوريون والفلسطينيون واللبنانيون الوطنيون ، قد جاءت لتؤكد سخف هذا التصور . وهذا ما اوضحه السيد الرئيس حافظ الاسد لوفد الاشتراكية الدولية عندما قال :

« ان ضرب اسرائيل المخيمات الفلسطينية لن يقضي على قضية الشعب الفلسطيني . فنضال الشعب العربي الفلسطيني من اجل حقوقه

الوطنية لم يبدأ في بيروت ولن ينتهي في بيروت ولن يتوقف الا بحصوله على هذه الحقوق » .

من المعروف إن القطر العربي السوري قد ظل دائماً ، عبر تاريخه النضالي الطويل ، يفضل المصلحة القومية على مصالحه الاقليمية الانية ، منطلقاً من موقف مبدئي ثابت ومن ادراك جيد لحقائق التاريخ وظروف العصر الذي نعيش فيه . ضمن هذا الاطار ، وفي الجلسة الافتتاحية للمؤتمر العشرين للاتحاد العام للعمال في القطر ، قال السيد الرئيس حافظ الاسد مخاطباً الاخوة اللبنانيين الذين كانوا يقتتلون في لبنان :

« .... تنبهوا لخطر اسرائيل فهي تستهدفكم جميعاً ، ولا تكونوا ضحايا دسائسها ومطامعها . فمطامعها في ارضكم ايها الاخوة في لبنان تاريخية معروفة ، فلا تخلقوا لها الفرصة المناسبة لتحقيق هذه المطامع .. اما نحن في سورية فسوف نظل اشقاءكم ، ونقف الى جانبكم في السراء والضراء ، ولن تستطيع اسرائيل ابداً ان تفك اللحمة التاريخية التي تربط بيننا ، كما لن تستطيع اسرائيل ابداً ان تحول بين سوريا وبين قيامها بواجباتها القومية في لبنان وفي اي مكان آخر » .

ولا بد هنا من التنويه بما تردده الاوساط الامبريالية والرجعية حول تشجيع سورية لما يسمى « بالنفوذ السوفييتي » في المنطقة ، لان هذا يدخل حملات التشويش على موقف سورية القومي والوطني ، ويهدف الى ابقاء الوطن العربي تحت رحمة الامبريالية والصهيونية دون قوة او سند ودون اصدقاء مخلصين .

فسورية العربية تميز جيداً بين الاصدقاء والاعداء ، ولا يمكن ان

تساوي بين موقف امريكا المعادي للعرب وقضاياهم والداعم لاسرائيل ولسياستها العدوانية ، وبين موقف الاصدقاء في منظومة الدول الاشتراكية وفي طليعتها الاتحاد السوفييتي الصديق ، الذي يقف الى جانب قضايانا العادلة ويدعم قدرتنا الدفاعية ويساعدنا على تحقيق التوازن الاستراتيجي مع العدو الصهيوني . فتعاملنا مع هذا الصديق ينطلق من مبادىء قومية ثابتة تخدم المصالح المتبادلة للشعبين العربي والسوفييتي ، وليس من منطلق التبعية والاستغلال والهيمنة التي تسعى الولايات المتحدة الامريكية لتجسيدها مع بعض دول المنطقة من خلال قوات الانتشار السريع والقوات المتعددة الجنسيات ومن خلال الاحلاف والقواعد العسكرية كما هو الحال في كل من مصر والسودان والصومال وعمان وغيرها . .

وخلاصة القول ان كل ما دار ويدور حالياً في لبنان خاصة وفي المنطقة عامة لن يثني سورية عن الاستمرار في تمسكها الثابت والمبدئي بموقفها القومي تجاه امتها العربية وقضيتها المركزية ، قضية الشعب العربي الفلسطيني وحقه في تقرير مصيره وتشكيل دولته المستقلة على ترابه الوطني . فالشعب العربي السوري كان مع الثورة الفلسطينية قبل بيروت ، كما كان معها في بيروت ، وسيظل معها بعد بيروت حتى تسترد الارض وتسترجع الحقوق .

وهذا ما عبر عنه الرئيس الاسد عندما قال :

« المقاتلون الفلسطينيون موجودون في سورية منذ زمن طويل ، واذا كان السؤال يتعلق بالمقاتلين الجدد الذين قدموا الى سورية من بيروت ، وما هي حقوقهم ، فحقوقهم هي نفس حقوق المقاتلين الفلسطينيين

السابقين الموجودين في سورية . وبطبيعة الحال سلاحهم ملكهم ، وسيظل بأيديهم ، وان احتاجوا الى سلاح فسوف نقدمه لهم ، وسيقيمون في اكثر من مكان ملائم في سنورية ، وستكون لهم حرية العمل الكامل من اجل قضيتهم » .

٣ ــ مستقبل الثورة الفلسطينية ..
واساليب نضالها في المرحلة القادمة ..

لقد اصبح من المسّلم به ، وباعتراف العدو الصهيوني نفسه ، ان الثورة الفلسطينية قد حققت نصراً سياسياً كبيراً بعد صمودها البطولي المشرف في بيروت ، حيث اثارت اعجاب العالم ، الذي ازداد اقتناعاً بضرورة اعطاء الشعب الفلسطيني حقه في تحرير ارضه وتقرير مصيره وفي اقامة دولته المستقلة فوق ترابه الوطني ، كما تكشفت عنصرية الصهيونية واساليبها النازية ، ورأى العالم بأم عينيه همجية الغزاة ووحشيتهم المنقطعة النظير في بيروت .

لذلك من الطبيعي ان تحرص الثورة الفلسطينية في المرحلة القادمة على استثمار هذا الفوز السياسي ، فتضاعف من نشاطها السياسي والدبلوماسي بالتعاون مع كافة الدول العربية الشقيقة والدول الاجنبية الصديقة .

الا اننا ذكرنا آنفاً ان العمل السياسي وحده يظل عبثاً لا طائل تحته

اذا لم تكن خلفه قوة عسكرية تدعمه ، خاصة في هذا العصر الذي يسود فيه حق القوة على قوة الحق ، مع الاسف . من هنا ، ومن تصريحات معظم القادة الفلسطينيين ، يمكن القول إن الخيارات العسكرية ستظل متاحة ، كما سيظل النضال المسلح قائماً طالما هناك فلسطيني واحد ، الى ان تسترجع الارض وتستعاد الحقوق .

ولكن ما هي الخيارات العسكرية التي لا تزال متاحة للفلسطينيين بعد خروج المقاومة من بيروت.؟

هذا هو السؤال الذي يتردد الآن في ذهن كل عربي ، والذي سنحاول الاجابة عنه قدر المستطاع في هذا الوقت المبكر الذي اختلطت فيه الاوراق على الساحة اللبنانية والعربية ، ولكنها لم تتكشف كلها بعد ...

ـ خيارات عسكرية فلسطينية

قد يكون من المفيد هنا أن نستهل كلامنا بحديث قصير أدلى به احمد جبريل لجريدة القبس الكويتية بتاريخ ١٩٨٢/٩/٣٠ ، حيث سئل عن مستقبل الصراع الفلسطيني ــ الاسرائيلي بعد خروج المقاومة من بيروت فأجاب :

« ان مستقبل الصراع لا يمكن ان يتحدد من خلال الجغرافيا رغم اهميتها الفائقة . ان الجغرافيا الحقيقية للثورة الفلسطينية ليست الساحة اللبنانية وليست بيروت ، بل هي حيث توجد الارادة الفلسطينية والتصميم

على النضال . بعد انسحاب المقاومة من الاردن عام ١٩٧٠ ، راهن الكثيرون على انتهاء الكفاح المسلح ، لكن الايام اثبتت فشل هذا الرهان . ان صراعنا مع العدو واسع ومفتوح ومتعدد الابواب ، وليس من الصعب ايجاد المفاتيح .. صراعنا مع العدو لن يكون محصوراً في الاطر السياسية والاعلامية ، ولا شك في ان من اهداف حرب لبنان تحويلنا الى مجموعة سياسية . لكن هذا لن يكون في المفهوم الذي يريدون .. صراعنا سيبقى في أطره العسكرية والسياسية . وسنركز بصورة خاصة على الاولى لان العدو لا يفهم غير لغة القوة .

ان هدفنا في المرحلة الراهنة والمقبلة سيتجه صوب تصعيد العمل العسكري ، ليس في ساحة واحدة ، وليس في الاراضي العربية المحتلة وحدها ، بل في كل الساحات الدولية حيث تكون مؤسسات العدو ومصالحه ... » .

لقد استشهدنا بهذا الحديث بالذات لاعتقادنا بأنه يحمل فعلاً الخطوط العريضة والاطار العام لما يمكن ان يتسم به النضال المسلح ، او الخيار العسكري ، في المرحلة القادمة .

في الحقيقة ، يمكن توضيح الخيارات العسكرية الفلسطينية المستقبلية من خلال العودة الى اطر العمل العسكري الفلسطيني المعمول بها في الماضي ، ثم مناقشتها والخروج بالمستجدات والمتغيرات الطارئة بعد حرب لبنان .

ويمكن القول ان هذا العمل قد اتخذ حتى الان الاشكال الاساسية التالية :

(١) ـــ العمليات داخل الاراضي المحتلة

وهذا ما يمكن تسميته بالاطار الكلاسيكي النموذجي للعمليات الفدائية ، ويشتمل على بناء الخلايا المنظمة والمسلحة والمكتفية ذاتياً ، التي تقوم بأعمال النسف والتدمير وغيرها ضد الاهداف الاسرائيلية المختلفة . وقد وصلت هذه العمليات في بعض الاحيان الى حد الاغارة والمواجهات العسكرية البطولية ، ولعل ابرزها قيام وحدة من الداخل بكمين ضد المستوطنين الصهيونيين في بلدة الخليل ربيع عام ١٩٨٠ .

(٢) ـــ ضرب الاهداف الاسرائيلية والصهيونية في الخارج

لم يتم تبني هذا الاطار رسمياً من قبل منظمة التحرير الفلسطينية ، وان كانت بعض فصائل المقاومة قد نفذت عمليات خارجية ذات اصداء عالمية واسعة في اواخر الستينات ومطلع السبعينات . وقد استهدف بعض هذه العمليات تعطيل شبكة المواصلات الاسرائيلية الخارجية (خطف طائرات شركة « العال » ، وضرب مكاتب شركة « زيم » للسفن الخ ..) ، كما كان للبعض الآخر طابع معنوي وسياسي ، بالاضافة الى بعده العسكري مثل عملية ميونخ عام ١٩٧٢ .

(٣) ـــ الغارات العسكرية عبر الحدود

كانت هذه احدى اهم وسائل المقاومة حيث يتم الانطلاق من القواعد ومراكز العمليات في البلدان المتاخمة للكيان الصهيوني (الاردن حتى عام ١٩٧٠ وجنوبي لبنان فيما بعد) لضرب الاهداف داخل الاراضي المحتلة . ومن ابرز هذه العمليات ، عملية الشهيد كمال عدوان

التي قادتها الشهيدة دلال المغربي عام ١٩٧٨ ، وعمليتا الخالصة (كريات شمونة) و « معالوت » عام ١٩٧٤ ، وغيرها . . .

(٤) ــ عمليات القصف عبر الحدود

وقد اشتملت على قصف الاهداف الاسرائيلية الواقعة عبر الحدود مباشرة او على مقربة منها بالاسلحة الثقيلة والخفيفة . وقد كانت فترة وجود المقاومة في غور الاردن بين عامي ١٩٦٨ ــ ١٩٧٠ من الفترات التي تم فيها اعتماد هذا الاسلوب من العمل العسكري بشكل مكثف ، كما عادت المقاومة لتبنّيه في جنوبي لبنان .

لا تزال هذه الاطر الاساسية للعمل العسكري الفلسطيني هي الأطر التي سيتحدد من خلالها الخيار العسكري الفلسطيني في المرحلة المقبلة . الا انه يمكن القول ان حرب لبنان قد جاءت بالنتائج التالية فيما يتعلق بالوضع العسكري العام للثورة الفلسطينية :

أ ــ لم تعد المقاومة الفلسطينية تمتلك قاعدة مستقلة او شبه مستقلة للعمل العسكري كما كان لديها سابقاً في لبنان ، تستطيع التأثير منها مباشرة على العدو الصهيوني داخل الارض المحتلة ، مما قد يحد بعض الشيء من خرية العمل العسكري الفلسطيني ويزيد من الكوابح التي تحد من الخيارات الفلسطينية العملياتية . وفي الواقع ، حتى في لبنان ، كانت هناك كوابح واعتبارات اخذتها المقاومة بعين الاعتبار ، واهمها مدى استعداد السكان المدنيين اللبنانيين لاستيعاب ردود الفعل الاسرائيلية الهمجية ، وكون الوضع العسكري في لبنان يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمجمل

الاوضاع على الجبهة الشرقية مع اسرائيل . وهكذا ، فان نتائج غزو لبنان فرضت على قيادة المقاومة المزيد من الحرص والحذر في ايجاد الصيغة المناسبة التي تمكنها من الاحتفاظ بالحد الادنى من حرية العمل الفلسطيني من جهة ، وضرورة حساب الكوابح النابعة من البيئة العربية الجديدة التي تعمل المقاومة من خلالها من جهة اخرى .

ومن هنا تنبع اهمية التلاحم الفلسطيني السوري وضرورة التنسيق المتبادل والفعال في هذه المرحلة البالغة الحساسية والتعقيد .

ب ـ لقد فقدت المقاومة القاعدة الموحدة والمتجانسة نسبياً للعمل العسكري . فوجودها في بيروت وجنوبي لبنان كان يؤمن لها مسرحاً متكاملاً نسبياً لتحضير وتنفيذ العمليات العسكرية ولاقامة بنية عسكرية من حجم ونوع معينين (اقامة مراكز التدريب والحشد والقواعد الخ ..) .

وبالتالي يمكن القول ان مركزية العمل العسكري الفلسطيني تأثرت من جراء توزيع الوحدات المقاتلة عبر مسافات بعيدة وفي مسارح جديدة غير مألوفة . وهذا بدوره قد اثار صعوبات على صعيد القيادة والسيطرة والاتصال فيما يتعلق بجوانب هامة في العمل العسكري منها :

(١) الجانب الانضباطي والمعنوي

حيث من المحتمل ان تتأثر السلطة المعنوية للقيادة الفلسطينية في غياب الادارة المركزية القوية ، كما تزداد الاعباء على القيادة نفسها التي قد تضطر للتعامل مع مشاكل مختلفة ، ولربما اولويات متضاربة ، ناجمة عن انتشار الوحدات المقاتلة وتوزيعها ضمن ظروف متباينة وغير متناغمة .

(٢) الجانب العملياتي

ومستلزماته الادارية واللوجستيكية وغيرها ، حيث ان توزيع قوات المقاومة قد أثر على امكانية التنسيق الفعال بين القطاعات المختلفة والمتباعدة ، وعلى امكانية الوصول الى مستويات موحدة من القدرة القتالية والجاهزية .

ليس من الضروري ، من حيث المبدأ ، ان تكون جميع قوات المقاومة موجودة ضمن رقعة جغرافية واحدة او في بلد واحد . وقد توزعت الوحدات الفلسطينية النظامية التابعة لجيش التحرير الفلسطيني في السابق بين سورية والاردن والعراق ومصر ، وذلك منذ ان تأسست منظمة التحرير الفلسطينية في منتصف الستينات .

لكن القوة الفلسطينية العسكرية الاساسية المكونة من مقاتلين تابعين للمنظمات الفدائية ووحدات الميليشيات الشعبية المسلحة ، بقيت فعاليتها لاعتبارات تواجدها على الساحة الواحدة التي تعمل فيها ، اولاً في الاردن ومن ثم في لبنان .. وبتعبير آخر ، مما لا شك فيه ان وجود ساحة مركزية يساعد كثيراً على سهولة السيطرة والقيادة والتوجيه .. واذا كان غياب مثل هذه الساحة لن يؤدي بالضرورة الى تجميد الخيار العسكري الفلسطيني ، فانه قد يزيد من الصعوبات التي ستواجه محاولة تطوير هذا الخيار في المرحلة القادمة .

ويمكن في هذا المجال التساؤل عما اذا كان من الممكن اعادة حشد القوى الفلسطينية في ساحة واحدة (او ساحات متقاربة على الاقل) ، وما هي الظروف السياسية او العسكرية التي قد تسمح بذلك . يبدو من

الواضح ان اية عملية اعادة حشد على نطاق واسع ستتوقف على طبيعة العلاقات العربية الفلسطينية في المرحلة القادمة ، وبالذات مع الدولة او الدول التي تريد المقاومة العمل من خلالها . ولا بد من التنويه هنا باحتمال اتخاذ اسرائيل هذا الحشد ذريعة للجوء الى ضربة استباقية . الا ان هذا بدوره قد لا يحول بالضرورة دون امكانية اعادة الحشد في مرحلة لاحقة عبر سلسلة من الخطوات المتتالية لاعادة التنظيم وبناء الذات خلال فترة زمنية معينة .

هذه كلها صعوبات ولا شك ، الا ان ارادة القتال وتطوير الاساليب في مجالي العمل الفدائي والتنظيم من شأنهما التغلب على كافة العقبات التي يعتبر وجودها دائماً حافزاً للمناضلين . وقد عودتنا الثورة الفلسطينية ، من خلال مسيرتها الطويلة والصعبة ، على أنها ستجد حتماً الحلول المناسبة في المكان والزمان المناسبين .

(٣)ــ كنتيجة لغزو لبنان واعادة توزيع القوات الفلسطينية ازدادت صعوبة الوصول الى اراضي العدو عن طريق الغارات الفدائية العابرة للحدود ومن خلال عمليات القصف من المناطق المتاخمة للاراضي المحتلة . وهكذا فان الصعوبة قد ازدادت في تحريك خيارين من الخيارات التي كانت متوفرة سابقاً (اي الخيارين (٣) و (٤) الواردين آنفاً) .

لذلك من المتوقع ان تتضاءل اهمية تواجد المقدرة الفلسطينية على قصف الاهداف عبر الحدود بواسطة المدفعية . وبتعبير آخر ، فان مجرد وجود قوة مدفعية فلسطينية على الاراضي العربية ، حتى ولو تمت مضاعفتها من حيث الكم والنوع ، لن يضيف الكثير الى مجمل الحشد الناري

المدفعي العربي ، علماً ان تسليح الجيوش العربية يفوق بكثير اي تسليح مدفعي فلسطيني محتمل ٠

ولكن مهما كانت الصعوبات الناجمة عن انتقال القواعد الفلسطينية الى مسافات بعيدة نسبياً عن مسرح عملياتها التقليدي ، فإن ذلك لن يحول دون امكانية تطوير وسائل قتالية جديدة تكيفاً مع واقع المعطيات الجغرافية والسياسية الجديدة ٠ فالبعد الجغرافي لا يشكل بحد ذاته عقبة لا يمكن للمقاومة تجاوزها ٠ وهكذا يمكن استكمال الخيارين (٣) و (٤) بخيارات جديدة تبتكرها الثورة الفلسطينية حسب امكانياتها وظروفها ٠

ــ العمل السري

ان بروز المشاكل والصعوبات السياسية او العملياتية امام ما يمكن وصفه بأساليب العمل العسكري المباشر ــ اي الاغارة والقصف من بعد ــ قد يعيد التركيز الفلسطيني على ما يمكن اعتباره اساليب العمل السرية ، اي العمليات داخل الاراضي المحتلة ، والعمليات ضد الاهداف الاسرائيلية او الصهيونية في الخارج ٠ وتبدو افضليات العمل السري « تحت الارض » ، بالمقارنة مع العمل المباشر « فوق الارض » على النحو التالي :

(١) ــ لا يتطلب العمل السري بالضرورة تواجد قاعدة مركزية او ساحة عمل موحدة ومتجانسة لاغراض التدريب والقيادة والسيطرة الخ ٠٠٠

ويمكن نظرياً ادارة العمليات السرية من المراكز المتنقلة او من القيادات الموزعة على ساحات مختلفة . ولا شك في ان غياب القيادة المركزية هو اقل شأناً في العمل السري منه في العمل العسكري المباشر .

(٢) ــ ان العمل السري يتناقض بطبيعة الحال مع الحشد الناري او العسكري المكثف فوق الارض . وبالتالي فان العمل السري لا يتطلب نظرياً سوى الحد الادنى من الوجود العلني ، مما يقلل من الاهداف التي يستطيع العدو التعرف عليها وضربها (قواعد ، مكاتب الخ . . .) ، ومما قد يساعد ايضاً على التخفيف من حدة التوتر او « الاحراج » مع الدول المستضيفة للمقاومة .

(٣) ــ ان العمل السري لا يتطلب بالضرورة تواجداً في المناطق او الساحات المتاخمة لاسرائيل . وبالتالي ، فان عامل البعد الجغرافي يؤثر على الخيارات السرية اقل مما يؤثر على الخيارات المباشرة ، لان العمل السري لا يتطلب بالضرورة نقل العتاد او الوحدات المقاتلة عبر مسافات بعيدة ، كما لا يتطلب قدرة على القصف عبر الحدود .

لكن هذه الاعتبارات ، على اهميتها ، تطرح على المقاومة اسئلة صعبة تتطلب الاجابة عنها منعطفاً ثورياً حاسماً في مجالي التنظيم والتكتيك :

فمنظمة التحرير الفلسطينية وفصائلها المقاتلة قد طورت مؤسسات عسكرية ذات حجم معين ، وسيكون من الصعب تفكيكها او النزول بها « تحت الارض » . وعلى سبيل المثال : فإن العمل السري قد يتطلب تشغيل عناصر قليلة نسبياً ، الامر الذي يستدعي تسريح أعداد كبيرة من

المقاتلين ، وهذا قد يكون صعباً على القيادة الفلسطينية من الناحية النفسية والسياسية ، كما يتعارض مع مجمل توجهات الثورة الفلسطينية نحو بناء القوة الذاتية منذ منتصف الستينات .

وحتى في حال عودة المؤسسات العسكرية الفلسطينية الى العمل السري ، فان هناك مؤسسات اخرى ، اجتماعية وسياسية ودبلوماسة وغيرها ، سيصعب تفكيكها هي الاخرى . وهذا يعني ان بعض افضليات العمل السري ، مثل عدم تقديم هدف واضح للعدو ، او غياب الوجود العلني الذي قد يحرج الدولة المستضيفة ، قد لا تتوافر اذا ما تم اخفاء الوجود العسكري مع الابقاء على التواجد العلني للمؤسسات الفلسطينية الاخرى .

واسرائيل لم ولن تفرق بين التواجد العسكري او المدني . اضف الى ذلك ان الوجود العلني للمنظمة يمثل رمزاً للتقدم على صعيد القضية الفلسطينية ، وسيكون من الصعب التخلي عن هذا الوجود في وقت تأخذ فيه القضية الفلسطينية حجماً متزايداً من الاهمية على الصعيد الدولي .

هذه هي المعادلة الصعبة التي يترتب على الثورة الفلسطينية حلها في اقرب وقت ممكن ..

ولكن ، مهما يكن الامر ، فان من مزايا العمل السري (رسمياً كان ام غير رسمي) بمختلف اشكاله المحتملة ، انه يشكل مصدر قلق حقيقي للعدو الصهيوني . لذلك مهما كانت الصعوبات العملياتية او الاعتراضات السياسية عليه ، فان مجرد تواجده (ولو كخيار نظري او كسلاح اخير) قد يعطي مردوداً معيناً لا يستهان به على الصعيد السياسي

والدبلوماسي . ومن هنا ليس من المستبعد ان تشكل أطر العمل السري المختلفة مدار بحث ونقاش طويلين داخل صفوف المقاومة الفلسطينية في المرحلة المقبلة .

هذه لمحة موجزة عن اساليب عمل المقاومة الفلسطينية المحتملة في المرحلة المقبلة . ولا شك في ان تركيزاً خاصاً سيتم على العمل داخل الأرض المحتلة ، فاستمرار دعم الانتفاضات الداخلية وتطوير وسائل المقاومة والعصيان المدني ، هي من الحلقات المركزية في اية استراتيجية فلسطينية شاملة محتملة . ولا تقتصر نتائج انتفاضات الداخل على تسليط الاضواء على قضية الشعب الفلسطيني وحقه في تقرير المصير فحسب ، بل انها تساهم الى حد كبير في قطع الطريق امام محاولات فرض التسويات المرفوضة مثل صيغة « الحكم الذاتي » اضف الى ذلك ان هذه الانتفاضات الشعبية تزيد من الاعباء المادية والمعنوية على سلطات الاحتلال ، وتساعد على تنشيط الاصوات المعارضة لهذا الاحتلال داخل المجتمع الاسرائيلي نفسه .

صحيح ان كل هذا سيصطدم بالضرورة بكافة وسائل القمع التي تستطيع اسرائيل تعبئتها لضرب حركات الاحتجاج والعصيان ، من قتل واعتقالات وتهجير ونسف بيوت ، الا ان الصراع بين عصا الجلاد وظهر الضحية ينتهي احياناً بتحطيم العصا وارهاق الجلاد . . .

٤ ــ اضواء حول مستقبل الصراع العربي ــ الصهيوني

قبل الحديث عن مستقبل الصراع العربي ــ الصهيوني ، لا بد من استعراض سريع للموقف الدولي نظراً لتأثيره الكبير في صنع الاحداث وتوجيهها في كامل منطقة الشرق الاوسط .

لقد عمل المعسكر الغربي عامة ، والولايات المتحدة الامريكية خاصة ، على دعم الكيان الصهيوني الذي زرعوه بأيديهم في قلب الوطن العربي ، ومده بكل ما انتجته الترسانة الغربية من احدث الاسلحة وافضل العتاد . وقد زاد في قوة هذا الكيان التمزق العربي الذي بلغ اشده بعد صفقة الخيانة في « كامب ديفيد » ونشوب الحرب العراقية ــ الايرانية وما افرزته من هدر للطاقات في الزمان والمكان غير المناسبين ، مما سمح للعدو الصهيوني بممارسة عربدته في لبنان دون رادع قوي بسبب الخلل الكبير في ميزان القوى بين الاطراف المتصارعة على الساحة اللبنانية .

ولا شك في ان هذه الظروف المواتية لاسرائيل قد خلقتها الولايات المتحدة الامريكية مستفيدة من التمزق العربي تمشياً مع خطتها في السيطرة على المنطقة وفرض نوع من « التهدئة » المحلية للالتفات وتوجيه الجهد الى جبهات اخرى ، حيث طرأت احداث تعتبرها اكثر حيوية والحاحاً في الوقت الحاضر .

من هذه الاحداث ، التعاون الاوروبي ـــ السوفييتي والحوار الصيني ـــ السوفييتي والوضع في افغانستان واعادة تسليح اليابان .

لذلك تتالت المشاريع المسماة تجاوزاً « بالسلمية » ، الا انها لن تكون في الواقع اكثر من مجرد هدنة تستريح فيها الاطراف المتعبة وتستعد لمواجهة جديدة .

كيف يمكن تصور خلاف ذلك واسرائيل ما زالت تمارس بصلف سياسة القوة وفرض الامر الواقع دون ان تعترف للعرب بالحد الادنى من حقوقهم المشروعة ؟ . .

اما في الجانب العربي ، فأغلب الظن أن معظم الانظمة العربية راغبة في مرحلة التهدئة هذه ، وخاصة بعد ما خلفه غزو لبنان من بؤس وضحايا خشية أن يخلق الموقف الجديد تربة خصبة للتطرف . . .

بقي هناك الاساس في الصراع ، وهو قضية الشعب الفلسطيني وقضية منظمة التحرير الفلسطينية التي اجتازت ، عبر سبع سنوات من الصراع المرير على ارض لبنان ، سلسلة طويلة من العقبات والازمات العسيرة ، ثم جاءت عملية غزو لبنان لتبرهن بشكل قاطع على ما وصلت اليه المنظمة بفصائلها المختلفة من كفاءة سياسية وقدرة قتالية . لقد خسرت المنظمة قدراً لا يستهان به من قوتها البشرية ، وقدراً اكبر من قدرتها المادية ووسائلها القتالية ، كما خسرت بعض قواعدها الاساسية للعمل المباشر ضد الاحتلال الصهيوني . الا ان كل ذلك يمكن تعويضه في ظروف الغضب والحقد التي اثارتها الاعمال الهمجية لجيش العدوان الصهيوني . مقابل ذلك ، اكتسبت قيادة منظمة التحرير خاصة ،

والقضية الفلسطينية عامة ، دعماً معنوياً هائلاً على الصعيد العالمي ، كما اكتسبت خبرة واسعة في ادارة الصراع وتوجيهه على كافة الصعد العربية والدولية ، مما اصبح من المستحيل معه تجاهل وجود الشعب الفلسطيني او التنكر لقضيته او حرمانه من قيادته الثورية المناضلة .

غير ان الشعب الفلسطيني وقيادته باتا ملزمين ، امام التحولات الجديدة ، باعادة تنظيم شامل ووضع اسس جديدة لخطة العمل في المرحلة القادمة . وهذا يتطلب ولا شك بعض الوقت والهدوء النسبي لفترة معينة من الزمن . الا ان هناك حقيقة لا تقبل المناقشة ، وهي ان الصراع سيستمر بمختلف الوسائل لتحقيق الاهداف المرحلية على الاقل ، وتأمين قاعدة صلبة للنضال المستقبلي على المدى البعيد .

الا إن السؤال الذي يطرح نفسه الآن ، هو هل ترضى اسرائيل بهذه التهدئة المرحلية التي اجمعت على ضرورتها اطراف كثيرة كما رأينا ؟

من الواضح انه اذا كانت ارض لبنان هي الهدف المباشر للهجوم الاسرائيلي ، واذا كان الشعب الفلسطيني هو المستهدف من الغزو فان الهدف غير المباشر هو الوطن العربي والشعب العربي كله . ومن الواضح ايضاً ان الهدف السياسي هو اكبر بكثير من حدود الهدف العسكري ، واذا كان العمل العسكري قد اسند كالعادة الى الاداة التنفيذية الصهيونية ، فإن الامبريالية الامريكية قد احتفظت لنفسها بحرية العمل السياسي . وهذا ما حدا بالارهابي مناحيم بيغن للقول : « اذا كانت الزعامة الامريكية تتحدث الان عن امكانية قيام تسوية جديدة في لبنان ، فانه يمكن القول لهذه الزعامة الامريكية ان القوة الاسرائيلية قد قامت

بالعمل التمهيدي الصحيح ، لذلك من الافضل ان نترك لاصدقائنا الامريكيين المجال لتجربة بقوتهم في مجال العمل السياسي ٠٠ » ٠

ان الممارسات الصهيونية بدعم من الولايات المتحدة الامريكية تهدف الى ابادة الشعب العربي ، وجوداً وفكراً ، بطريقة منهجية مبرمجة وعلى مراحل ٠

وقد حققت اسرائيل قسماً من هذا الهدف بالابادة والتشريد ، بصورة مباشرة احياناً (كما حدث في مذابح لبنان عامة وصبرا وشاتيلا خاصة) ، وبصورة غير مباشرة في احيان اخرى كما هو معروف لدى كل العرب حكاماً ومحكومين ٠

وهكذا يمكن القول ان ما ينتظر المنطقة العربية ليس سلاماً على الاطلاق ، بل مجرد هدنة قد تفرضها الظروف الدولية والعربية وحتى الفلسطينية ٠

فالسلام الحقيقي المستقر والدائم هو المبني على العدل ، ولا مجال لتحقيق العدل اذا لم تكن وراءه قوة تدعمه ٠

على ضوء ما تقدم ، واستناداً الى نتائج مؤتمر فاس ، هل يمكن التنبؤ بأطر العمل العربي المحتملة وبالخطوط العريضة لمستقبل الصراع العربي الصهيوني في المرحلة القادمة ٠

توصلت الدول العربية في مؤتمر فاس الاخير الى احياء سياسة الحد الادنى المشترك ، التي بقيت مجمدة عملياً طوال السنوات الخمس الماضية منذ مؤتمر القمة في بغداد عام ١٩٧٨ ٠ والواقع ان مقررات القمة العربية

جاءت لتعكس مكامن القوة والضعف في اية سياسة تقوم على ايجاد القاسم المشترك بين مواقف متباينة واحياناً متضاربة .

فمن ناحية شكلت مقررات فاس موقفاً موحداً واطاراً للعمل العربي الجماعي ، واوضحت المبادىء العامة التي ستوجه السياسة العربية في المرحلة القادمة . ولكن من ناحية اخرى ، بقيت مقررات فاس بمجملها اقرب الى اعلان موقف منها الى برنامج عمل سياسي واضح . وبتعبير اخر ، فان الدول العربية في فاس قد حددت الاهداف الدنيا التي تلتف حولها ، والتي تسعى لتحقيقها على صعيد الصراع العربي ـــ الاسرائيلي ، لكنها لم تحدد بدقة مفهومها لكيفية الوصول الى هذه الاهداف ، والخطوات التي ستتخذها في سبيل تنفيذ سياستها وتحديد الادوار وتوزيع المسؤوليات بين الاطراف العربية المختلفة . اغلب الظن ان هذا الغموض مع الاكتفاء بالحد الادنى المتفق عليه ، جاء تلافياً لتحريك الخلافات وتقويض وحدة الصف ..

ـــ الاطر المحتملة للعمل العربي في دائرة الصراع المقبل

يمكن النظر الى بعض هذه الخيارات والاطر المحتملة على النحو التالي :

أ ـــ العمل من خلال الامم المتحدة

لقد اشارت قرارات مؤتمر فاس الى امكانية العمل على تحقيق الاهداف العربية من خلال اجهزة الامم المتحدة وبالاخص فيما يتعلق

بالبند الذي يطالب مجلس الامن « بضمان امن جميع دول المنطقة بما في ذلك الدولة الفلسطينية المستقلة » . لكن اية خطوات تتخذ في الامم المتحدة ستواجه على الارجح بعقبات عديدة ؛ لعل اهمها تحفظ الولايات المتحدة واسرائيل المستمر حيال منح الاتحاد السوفييتي اي دور في المباحثات حول مستقبل المنطقة ، كما ان اسرائيل باتت تقاطع اي موقف يصدر عن الامم المتحدة بشكل اوتوماتيكي ، مما يجعل احتمال التزامها بتوصيات او قرارات الهيئة الدولية امراً مستبعداً . إلا اذا قررت الولايات المتحدة ممارسة الضغوط الشديدة عليها ، وهو امر مستبعد ايضاً على ضوء الدعم غير المشروط الذي تقدمه للكيان الصهيوني .

ب ـ صيغة المؤتمر الدولي

مما لا شك فيه ان اعادة طرح المؤتمر الدولي في الظروف الراهنة تعني تلقائياً الدعوة الى ادخال السوفييت المفاوضات ، مما يجعل احتمال انعقاد مثل هذا المؤتمر ضئيلاً في المستقبل المنظور .

ج ـ التعامل مع اطار كامب ديفيد

بعد شعور امريكا بأن معاهدة كامب ديفيد قد حققت اهدافها المرحلية ، ووصلت اخيراً الى طريق مسدود ، جاءت مبادرة ريغان الجديدة التي ولدت ميتة لانها بعيدة جداً عن الحد الادنى من الطموحات العربية التي تمت بلورتها في مؤتمر فاس ، كما يتعارض الموقف الامريكي كلياً مع مبدأ حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره واقامة دولته المستقلة على ترابه الوطني ، كما يتعارض مع اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل

الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني • ومن المستبعد في المستقبل المنظور ، ان تقوم امريكا بتغييرات اساسية في مشروعها ، خاصة ان اسرائيل ترفضه رسمياً بصيغته الحالية ••

د ـ الموقف العربي (المبادرة العربية)

اذا اعتبرنا ان قرارات مؤتمر فاس اقرب فعلاً الى اعلان مبادىء منها الى برنامج سياسي قابل للتنفيذ ، فان احد الخيارات العربية في المرحلة القادمة قد تكون العودة الى تطوير سياسة الحد الادنى المشترك بحيث تأخذ طابع المبادرة العربية التحريكية ، التي قد تؤدي الى اعادة خلط الاوراق على الساحة السياسية ـ الدبلوماسية • وبتعبير اخر ، قد تقوم خطوات محددة على صعيد الامم المتحدة كالمطالبة باعادة صياغة القرار /٢٤٢/ بحيث ينص على الحقوق الوطنية الثابتة للشعب العربي الفلسطيني كشرط مسبق لقبوله من قبل كافة الاطراف الغربية •

الا ان مخاطرة سياسية من هذا النوع تعتبر تنازلاً دون مقابل او تجاوب مضمون من الجانب الامريكي الصهيوني ، الامر الذي يؤدي الى خسارة العربي لاوراق تفاوضية هامة دون مقابل او مردود ايجابي •

هـ ـ الخيارات البديلة المتبقية

لقد جاءت مقررات مؤتمر فاس ضمن سياق التوجه العربي العام نحو البحث عن شروط السلام في المنطقة وليس من ضمن اطار البحث في الخيارات العسكرية البديلة • والحق يقال ان الظروف الانية المحيطة باحتمالات الصراع مع اسرائيل لا تساعد كثيراً على تبني العرب لخيار

عسكري قابل للتصديق ، الا بعد ان يتحقق التوازن الاستراتيجي مع العدو الصهيوني الذي وضعته سورية نصب عينيها والذي وعد به القائد الاسد واعتبره واحداً من اهم الاهداف الاستراتيجية للقطر ، وان كان هذا لا يعني مطلقاً انه قد تم تجميد او تحييد القوة العسكرية العربية . الا ان عملية بناء القوة العسكرية الذاتية واصلاح الخلل في ميزان القوى قد تأخذ بعض الوقت ، مع اعادة النظر في الاولويات العربية التسليحية او اساليب التدريب والتنسيق وغيرها ..

وخلاصة القول هنا ان قدرة الموقف العربي على تحقيق سلام عادل تتوقف الى حد بعيد على طبيعة التقييم الاسرائيلي ــ الامريكي للبدائل العسكرية العربية . وهكذا فان التوجه العربي الراهن نحو السلام ، في ظروف يفتقر فيها الخيار العربي العسكري الى مصداقية حقيقية ، لا بد ان ينعكس على طبيعة السلام « المقدم » الى العرب .

لذلك يمكن القول ، وهذا من البدهيات المعروفة ، ان « العقلانية » والتوجه نحو السلام لا يمكن ان يعطيا ثماراً مقبولة اذا لم تكن الاوراق العسكرية متكافئة على الاقل بين الاطراف المتصارعة ...

واذا ارادت القوى والاطراف العربية المختلفة الاستمرار بتقيدها بصيغة الحد الادنى المشترك ، فان اهم اولويات هذه الصيغة على الصعيد العسكري قد تكون :

ــ ترميم الجبهة الشرقية

مما لا شك فيه ان اعداء الامة العربية سيخيب فألهم اذا اعتقدوا

بان النزاعات العربية هي من العوامل الثابتة ، فالخطر داهم وحقيقي ، وقد اثبت غزو لبنان (اذا كان هناك من لا يزالون بحاجة الى اثباتات) ان اطماع اسرائيل بلا حدود ، وان الامة العربية مهددة تاريخاً وحضارة وارضاً ووجوداً . اما الحرب العراقية ـ الايرانية فستصل الى نهايتها حتماً ، بما يسمح للعراقيين والايرانيين بحقن دمائهم التي تهدر دون طائل في الوقت الذي يتصاعد الخطر الصهيوني الذي يستهدف المنطقة بكاملها دون تمييز .

ـ اعادة النظر في السياسات العربية التسليحية

لعل من دروس حرب لبنان الهامة ، الكشف عن بعض نقاط الضعف في التسليح العربي بالمقارنة مع العدو في مجالات قليلة ومحددة ولكنها هامة . ويمكن في هذا المضمار انشاء الاجهزة العربية المشتركة التي تقوم برفع التوصيات حول المتطلبات التسليحية وتوجيه الصفقات العربية التسليحية الضخمة، بحيث يمكن إعادة توزيع بعض أنواع الأسلحة حسب احتياج القوات على هذه الجبهة او تلك .

بهذا تتنوع مصادر السلاح بحيث ينتقى الافضل من هذا الجانب او ذاك ، بانتظار وضع سياسة عربية موحدة للتصنيع الحربي والاكتفاء التسليحي الذاتي على المدى البعيد .

ـ توضيح دور المقاومة الفلسطينية المسلحة

لقد اصبح من الملح بعد توزع المقاومة الفلسطينية ، اثر خروجها

من بيروت ، ان يتم التنسيق معها بما يوضح دورها في الكفاح المسلح ضد العدو الصهيوني ضمن استراتيجية شاملة يصبح فيها العمل الفدائي احد جوانب الخيارات العسكرية العربية .

مما تقدم يمكن القول ان الصراع العربي مع العدو الصهيوني لن يتوقف ولكنه سيأخذ ابعاداً اكثر وضوحاً في مجال السياسة الاستراتيجية ، وما يتبعها من سياسات فكرية (ايديولوجية) واجتماعية واقتصادية .

ومن البدهي ان الولايات المتحدة واداتها التنفيذية (اسرائيل) لن تقف مكتوفة الايدي ، بل ستحاول متابعة مخططاتها لاحباط الجهود العربية الهادفة لبناء المستقبل ودعم القدرة الذاتية ، مما يجعل الاسراع بتنقية الاجواء العربية ورص الصفوف مطلباً حيوياً ومصيرياً بكل معنى الكلمة على اساس متابعة الصراع ضد العدو الصهيوني .

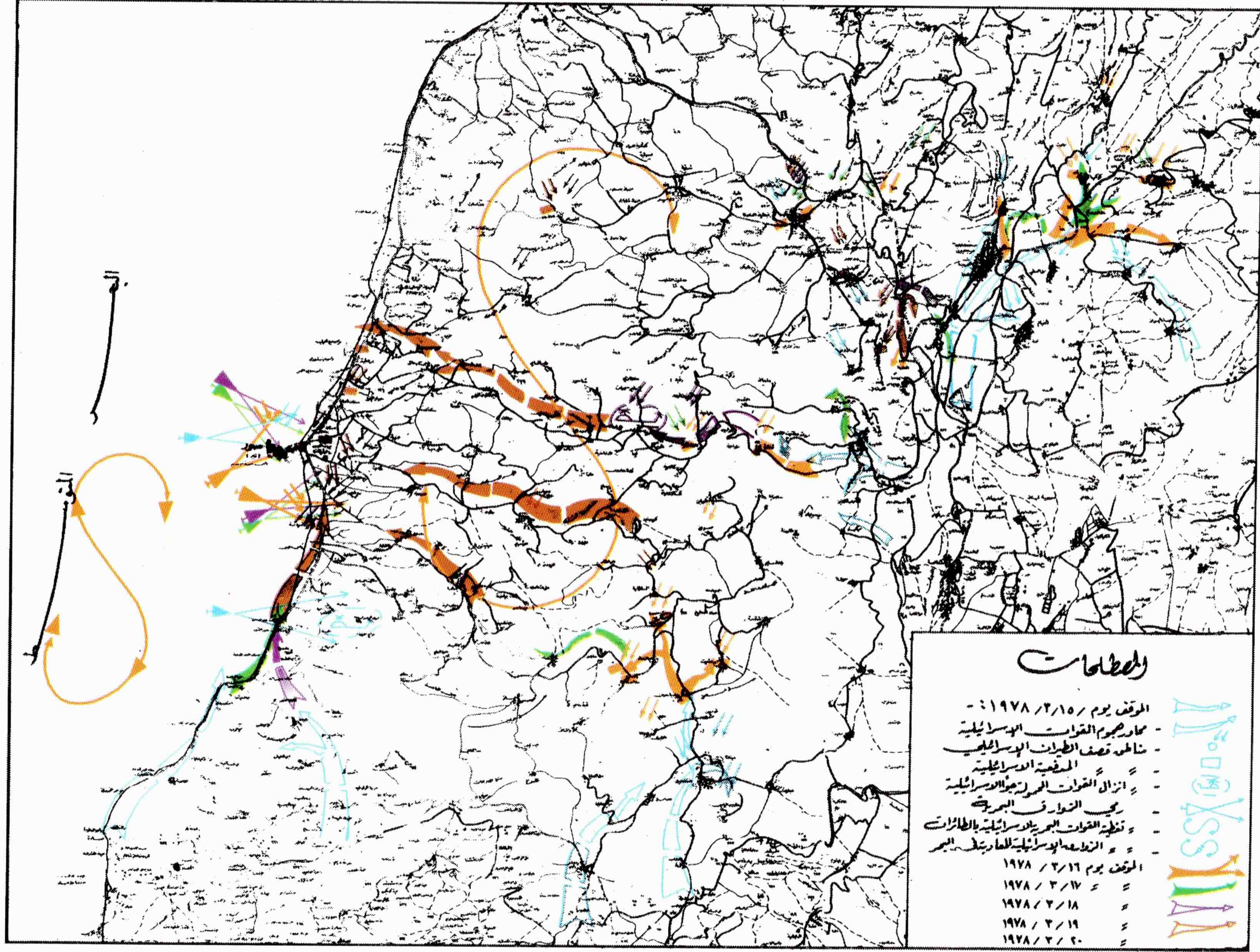
لذلك ، ولما تتطلبه عملية بناء القدرة الذاتية وحمايتها من جهود صادقة مخلصة ، لا بد ان تحظى القوات العربية المسلحة باهتمام خاص لتطوير النوع ولو على حساب الكم في كافة المجالات (التنظيم والتدريب والتسليح والمعنويات الخ ...) ، على ان يتم التركيز بشكل خاص في المرحلة القادمة على بناء المقاتل العربي (الانسان) ورفع مستواه عن طريق التوجيه المستمر والتدريب الشاق والانضباط الذاتي مع التركيز على تنمية الحوافز وتمتين روابط المقاتل بارضه وقيمه وجذوره .

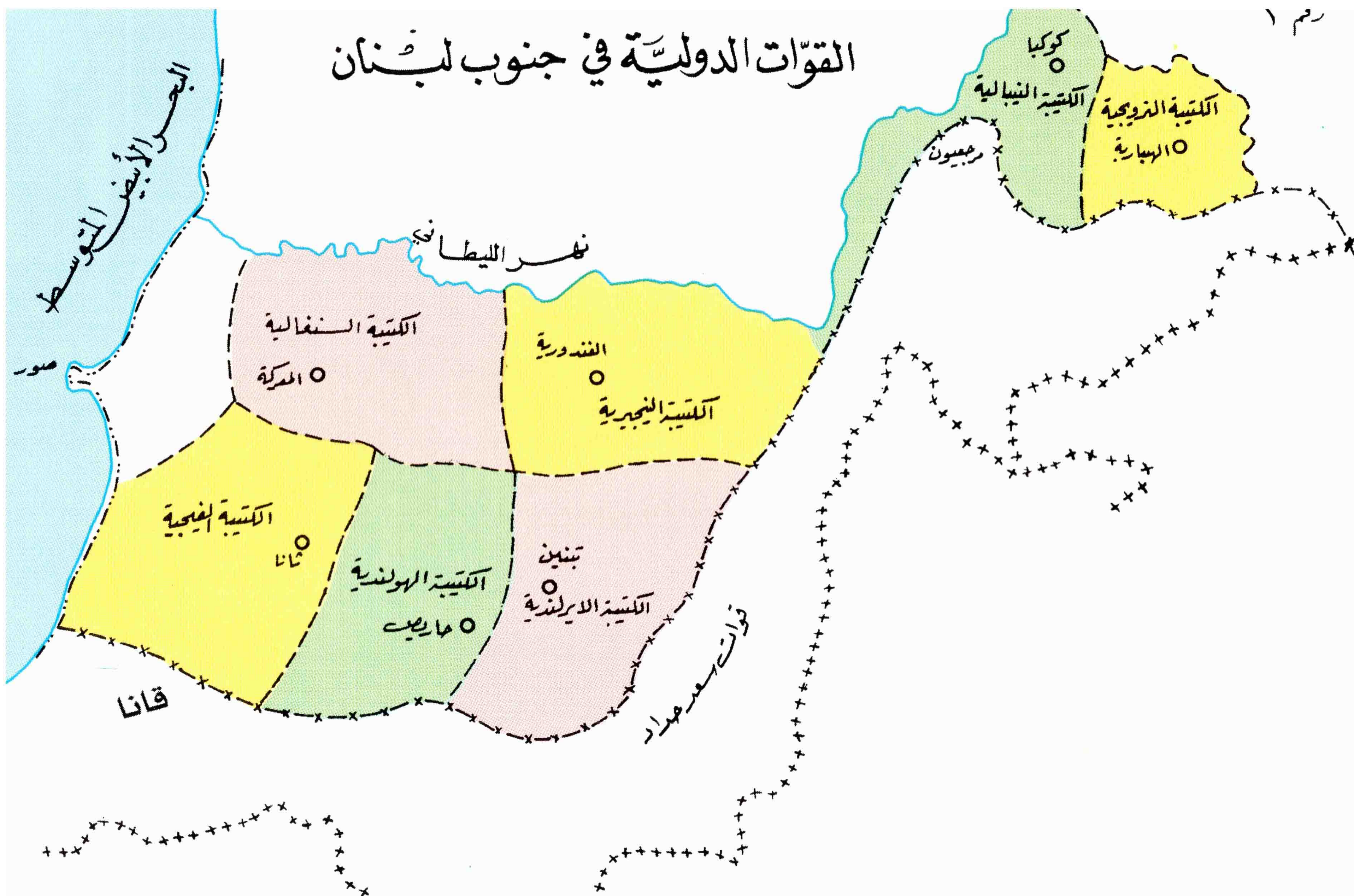
هذه هي بعض ملامح الاحتمالات المتوقعة للصراع العربي — الصهيوني ، الذي لن يسقط اللجوء الى السلاح من حسابه ، نظراً

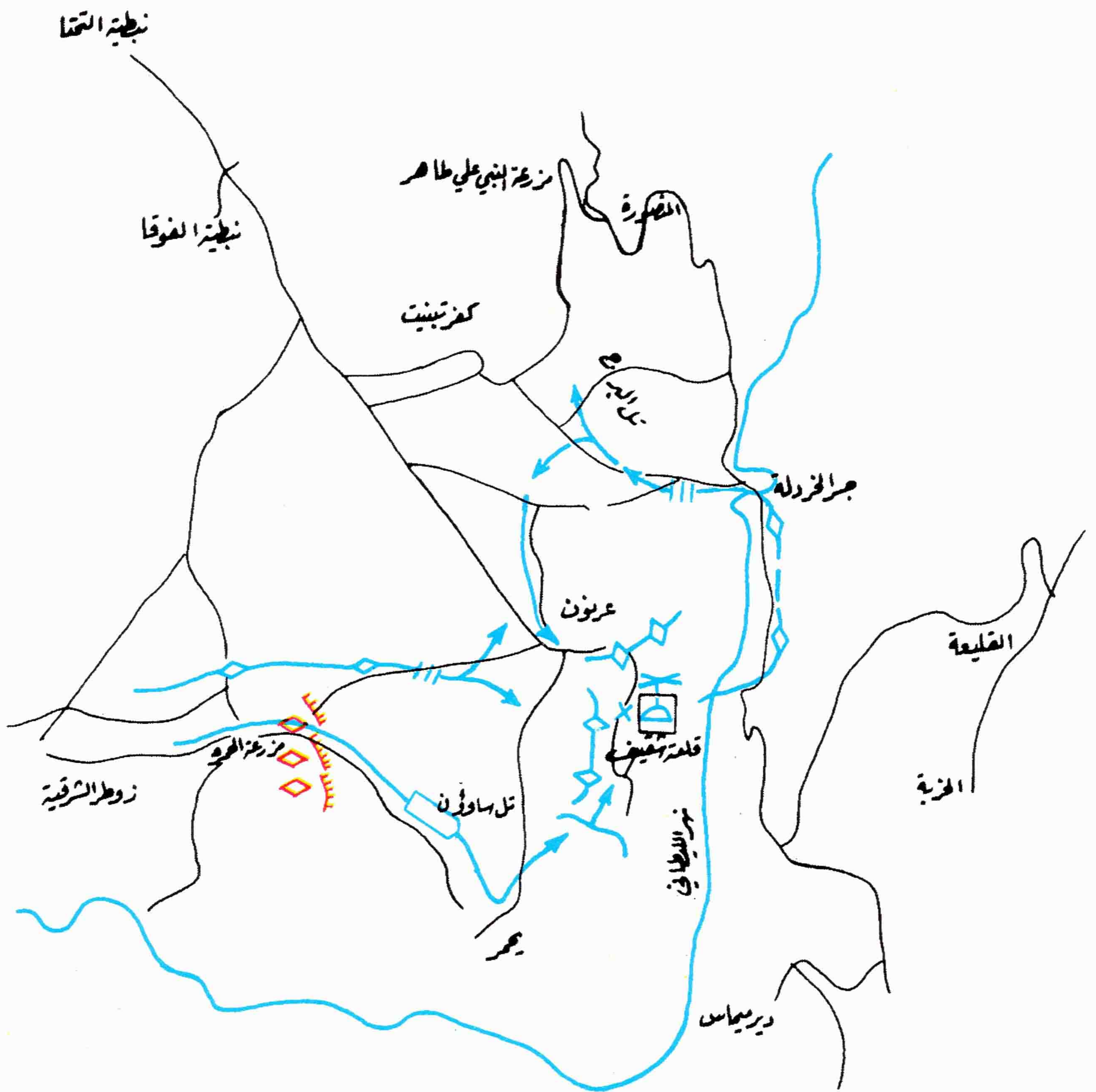
لاستمرار دعم الكيان الصهيوني بالاسلحة والوسائط القتالية الامريكية التي لم تستخدم يوماً الا للتوسع والعدوان .

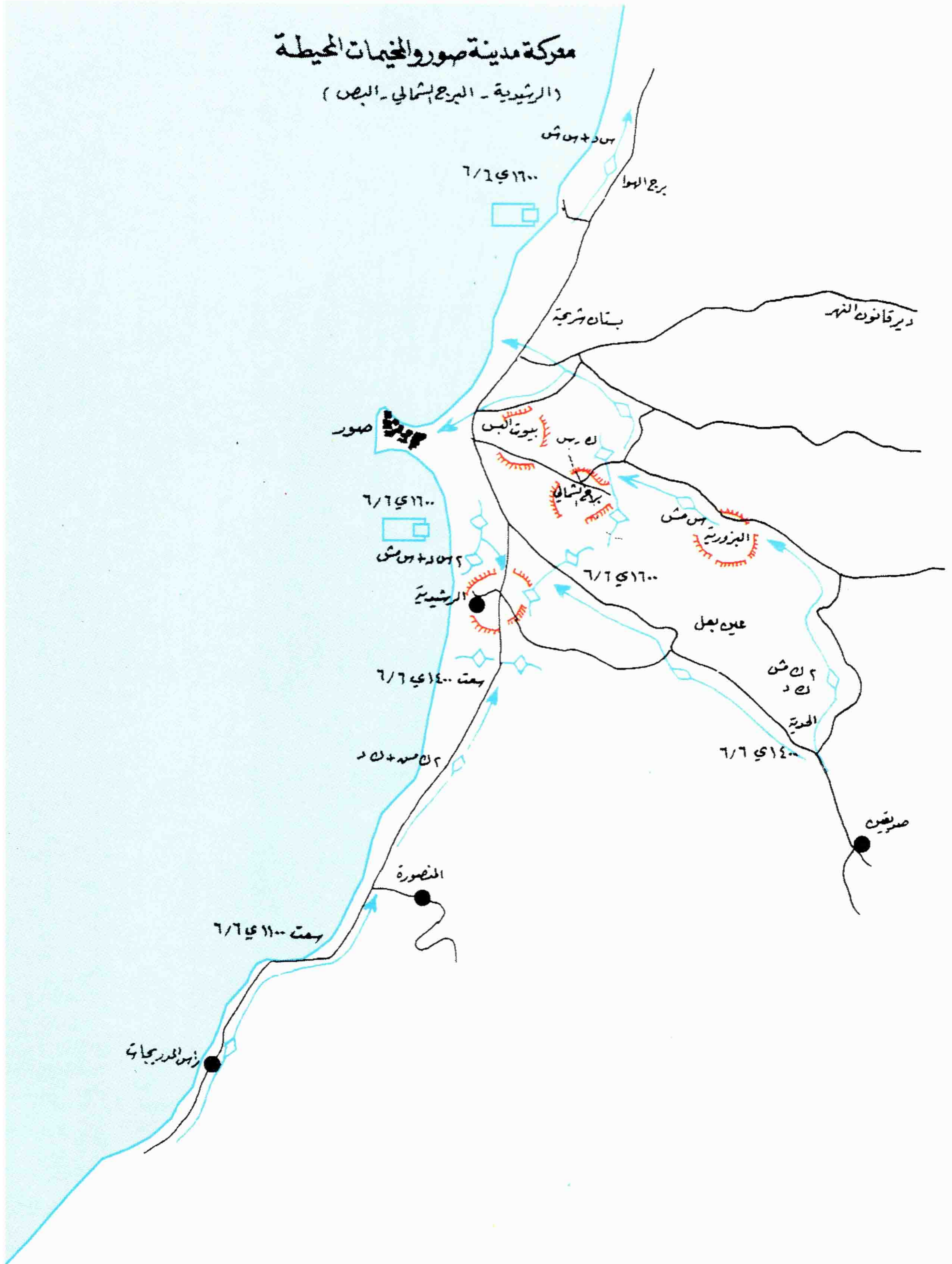
تلك هي الحدود الدنيا لما يجب على العرب ان يفعلوه في المرحلة القادمة ، اذا ارادوا الحفاظ فعلاً على ما تبقى لهم من حرية وكرامة وارض ووجود ...

الفهرس

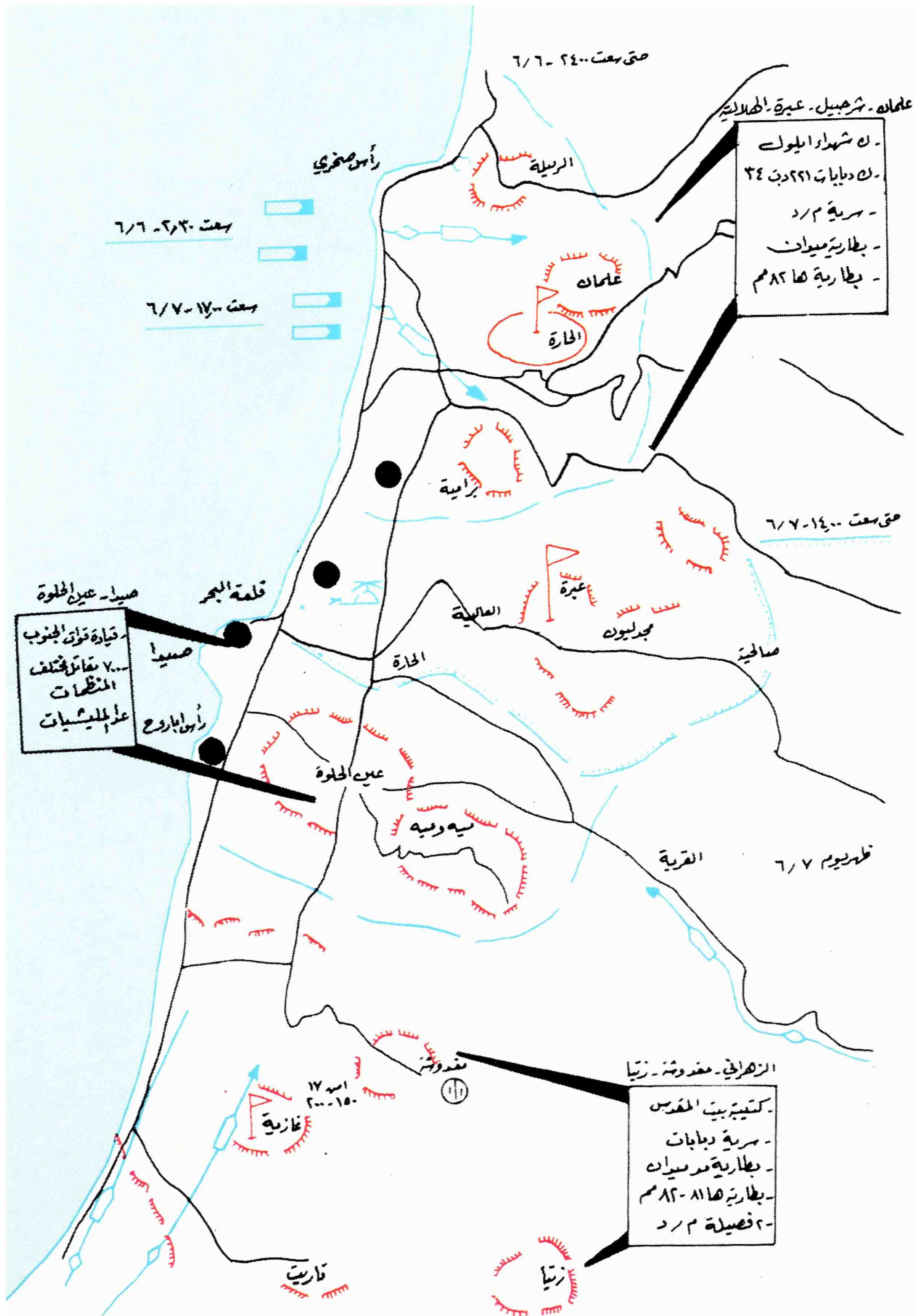

الاجتياح الإسرائيلي للجنوب اللبناني عام / ١٩٧٨/
البحر المتوسط
المصطلحات
الموقف يوم / ١٥/ ٣/ ١٩٧٨ :-
- محاور هجوم القوات الإسرائيلية
- مناطق قصف الطيران الإسرائيلي
- 〃 المدفعية الإسرائيلية
- 〃 انزال القوات المحمولة جواً الإسرائيلية
- رسي الزوارق البحرية
- 〃 تغطية القوات البحرية الإسرائيلية بالطائرات
- 〃 الزوارق الإسرائيلية المعادية في البحر
الموقف يوم ١٦ / ٣ / ١٩٧٨
〃 〃 ١٧ / ٣ / ١٩٧٨
〃 ١٨ / ٣ / ١٩٧٨
〃 ١٩ / ٣ / ١٩٧٨
〃 ٢٠ / ٣ / ١٩٧٨


رقم ١
القوات الدوليّة في جنوب لبنان
البحر الأبيض المتوسط
صور
نهر الليطاني
مرجعيون
كوكبا
الكتيبة النيبالية
الكتيبة النرويجية
الهبارية
الكتيبة السنغالية
المركة
الفندورية
الكتيبة النيجيرية
الكتيبة الفيجية
ثانا
الكتيبة الهولندية
حاريص
تبنين
الكتيبة الايرلندية
قوات سعد حداد
قانا

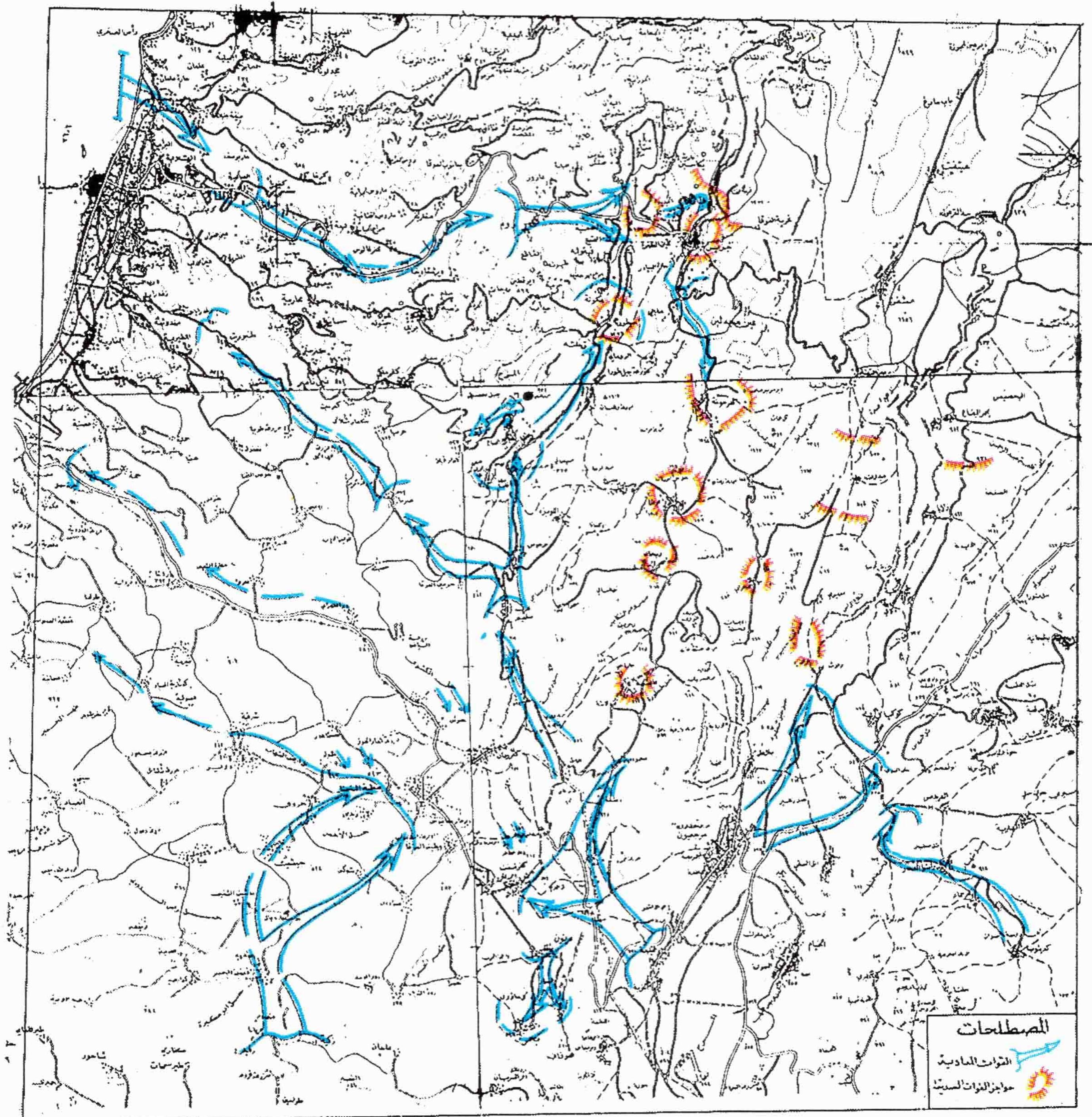

نبطية التحتا
نبطية الفوقا
مزرعة النبي علي طاهر
كفرتبنيت
جسر الخردلة
عرنون
القليعة
قلعة الشقيف
زوطر الشرقية
الخربة
نهر الليطاني
يحمر
دير ميماس



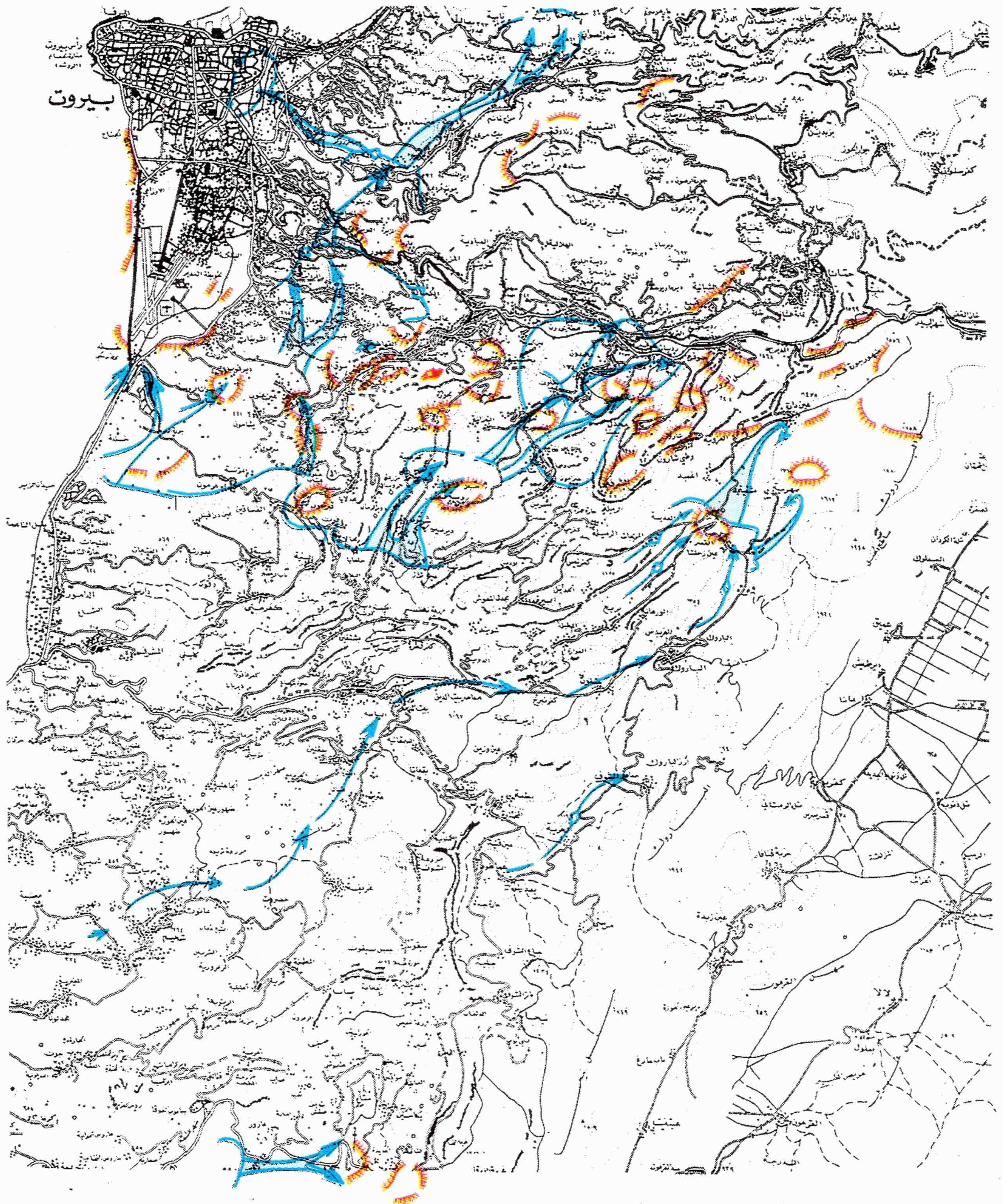
معركة مدينة صور والمخيمات المحيطة
(الرشيدية ـ البرج الشمالي ـ البص)
س د + س ش
١٦٠٠ ي ٦/٦
برج الهوا
بستان شرجة
دير قانون النهر
صور
بيوت البص
برج الشمالي
س ش
البزورية
١٦٠٠ ي ٦/٦
٢ س د + س ش
١٦٠٠ ي ٦/٦
الرشيدية
عين بعل
٢ ك ش
ك د
١٤٠٠ ي ٦/٦
سحت ١٤٠٠ ي ٦/٦
٢ ك مد + ك د
صديقين
المنصورة
سحت ١١٠٠ ي ٦/٦


حتى سعت ٢٤٠٠ - ٦/٦
علمان - شرحبيل - عبرة - الهلالية
- ل شهداء ايلول
- ل دبابات ٢٢١ د ب ٣٤
- سرية م/د
- بطارية ميدان
- بطارية هـا ٨٢ مم
رأس صخري
الرميلة
سعت ٢٫٣٠ - ٦/٦
علمان
الحارة
سعت ١٧٫٠٠ - ٦/٧
برامية
حتى سعت ١٤٠٠ - ٦/٧
صيدا - عين الحلوة
قلعة البحر
- قيادة قوات الجنوب
- ٧٠٠٠ مقاتل مختلف المنظمات عدا الميليشيات
صيدا
عبرة
العالية
مجدليون
الحارة
صالحية
رأس ابا روح
عين الحلوة
ميه وميه
القرية
ظهر يوم ٦/٧
الزهراني - مغدوشة - زتيا
- كتيبة بيت المقدس
- سرية دبابات
- بطارية ميدان
- بطارية هـا ٨١ - ٨٢ مم
- ٢ فصيلة م/د
مغدوشة
اسه ١٧
١٥٠ - ٢٠٠
غازية
قاريت
زتيا

الصدام في جزين من ٦- ٨ حزيران ١٩٨٢



إحتلال الشوف والقتال على محاور عين زحلتا ـ مديرج وقرى الجبل وبحمدون من ٧ ـ ٢٧ حزيران ١٩٨٢



مخطط

يوضح تقدم القوات الاسرائيلية أثناء غزوها للبنان

البحر المتوسط

زحلة

شتورا

قب الياس

زحلتا

باروك

عين زحلتا

كفريا

بحيرة القرعون

جزين

مشغرة

ينطا

دير العشاير

راشيا

قلية

عين عطا

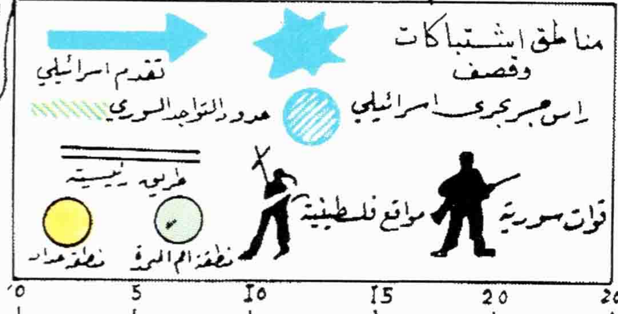
عرمتا

كوكبا

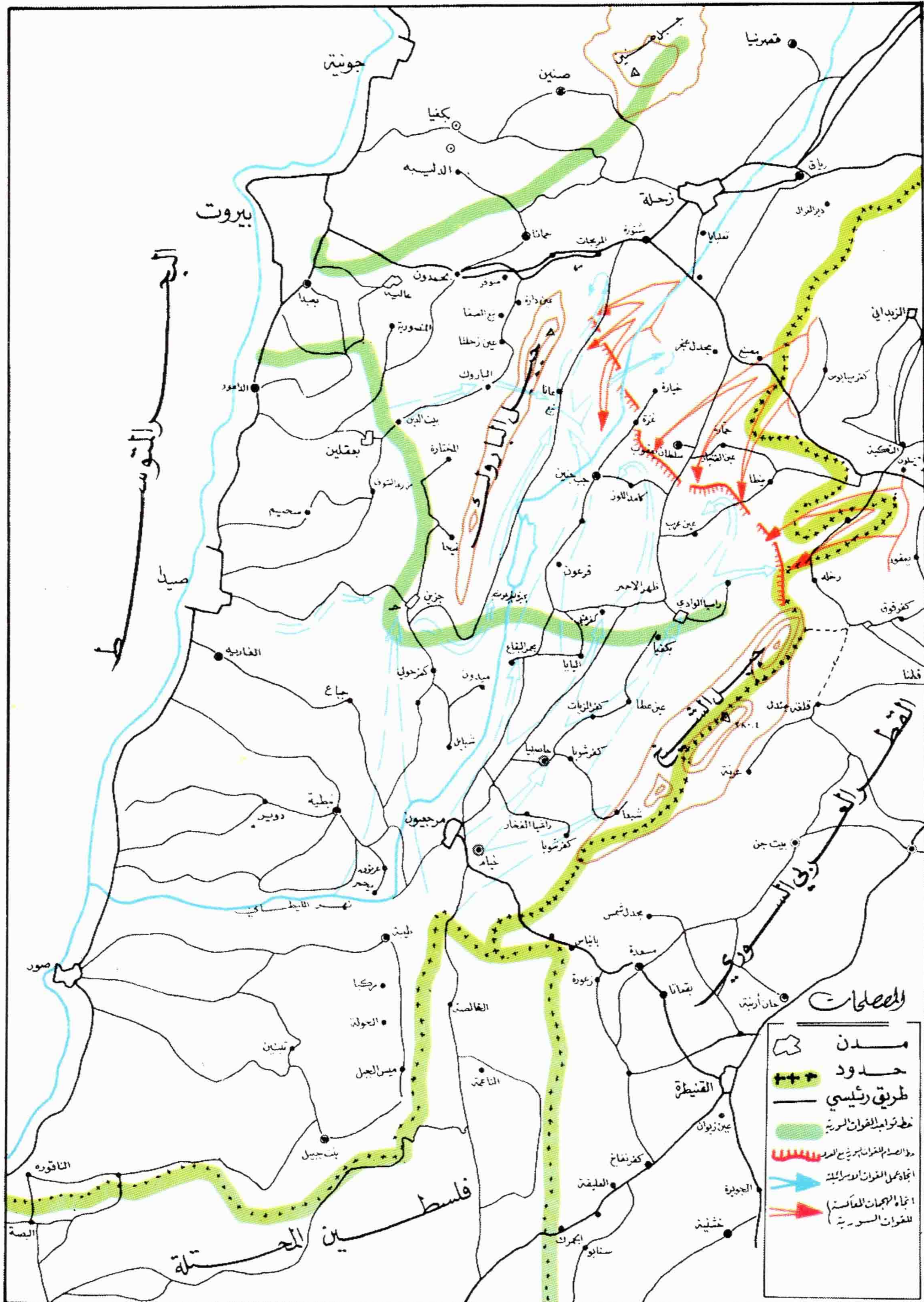
مرجعيون

القطر العربي السوري

فلسطين المحتلة

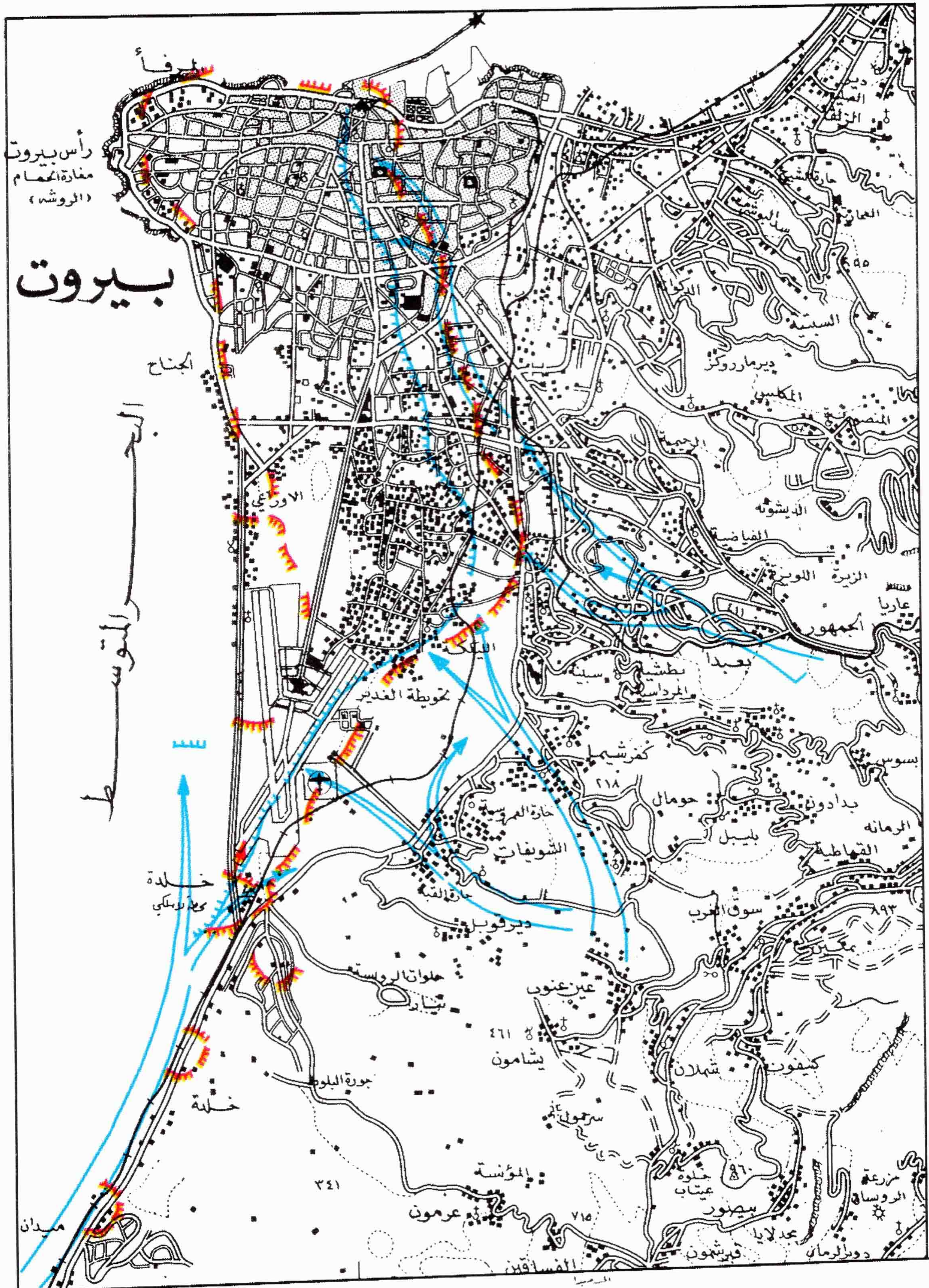


مخطط يوضح تقدم القوات الاسرائيلية في البقاع والهجمات المعاكسة التي نفذتها القوات السورية



- مخطط -

تقدم العدو في معركتي خلدة ومثلث خلدة وإحكام التطويق حول بيروت
والوصول إلى تخوم المناطق المبنية ومدرجي المطار اعتباراً من ٩ حتى ١٧/٦/١٩٨٢



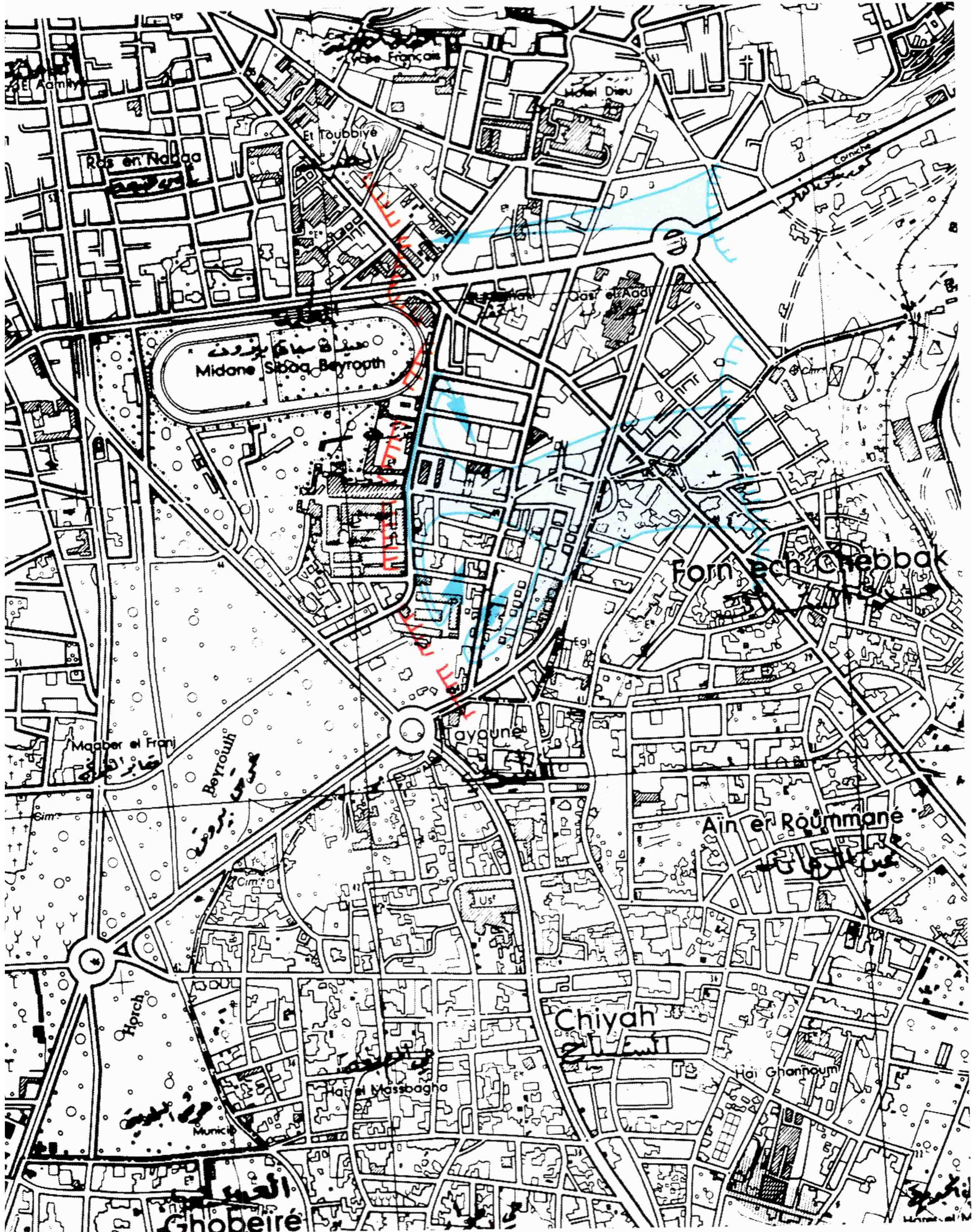
- مخطط -

تقدم العدو من ١/٨ حتى ٤/٨/١٩٨٢

حي السلم - الكوكودي - المطار

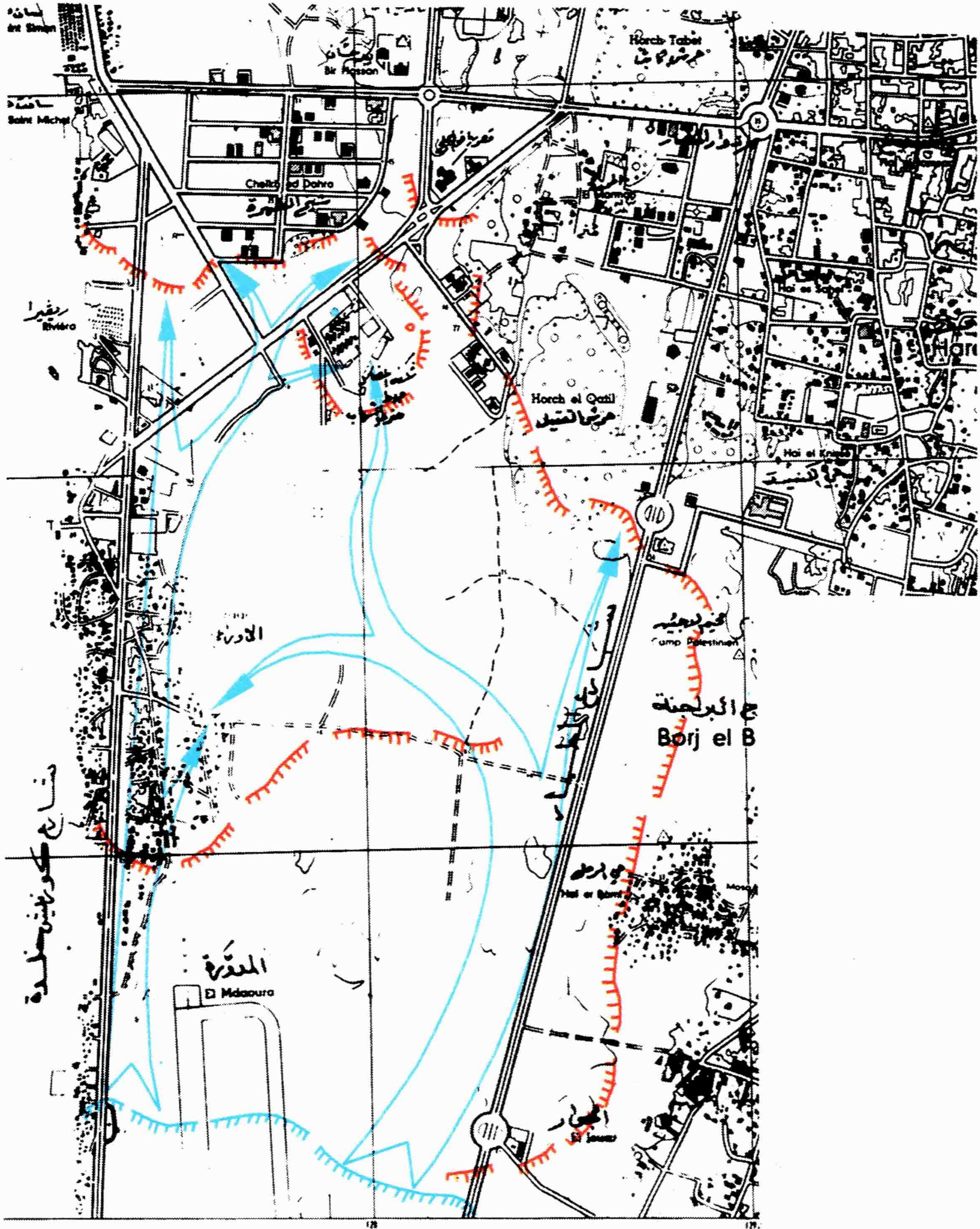
بيروت
المرفأ
رأس بيروت
مغارة الحمام
(الروشة)
الجناح
الأوزاعي
البحر المتوسط
تحويطة الغدير
خلدة
محطة اللاسلكي
السبتية
ديرمار روكز
المكلس
المنصورية
الديشونه
الفياضية
الزيرة اللويزة
عاريا
الجمهور
بعبدا
كفرشيما
٢١٨
حومال
بليبل
الرمانة
القماطية
حارة العمروسية
الشويفات
حارة القبة
ديرقوبل
سوق الغرب
٨٩٣
عين عنوب
حلوات الروسة
٤٦١
بشامون
جورة البلوط
خلدة
شملان
كيفون
المؤنسة
٣٤١
عرمون
٧١٥
عيتاب
بحدلايا
مزرعة الويسا
ميدان الزير

معركة المتحف ٤ـ١٢/٨/١٩٨٢



معركة ثكنة هنري شهاب واخلاء الأوزاعي

٤ / ٨ / ١٩٨٢



رقم: ١٠٨١٣
تاريخ: ١٩٨٩/١١/٩

هذا الكتاب

بعد مرور سنوات على العدوان، ثبت أن الغـزو الإسرائيلي للبنان كان عبئاً ثقيلاً علـى إسـرائيل، ومأزقـاً معقداً يصعب الخـروج مـنه، لقـد زال بسرعة بريق الانتصـار وصـدأت الأوهام الإسرائيلية والأحكـام الأمريكية. واكتشفت واشنطن أن ثمـن الغـزو كان باهظاً، وأن رمال لبنان المتحركة كانت تبتلع كل يوم نزيفاً إسـرائيلياً جديـداً مـن خلال المقاومة اللبنانية وتكثيف أعمالها العسكرية خلف الخطوط التي وضعت القوات الإسرائيلية فـي لبـنان في مواجهة حرب استنزاف يومية أرهقت الآلة العسكرية الإسرائيلية ووضـعتها فـي حالـة تأهـب مستمر. وأرغمـتها علـى الخروج مدحورة تجر أذيال الهزيمة في 25 أيار 2000.



